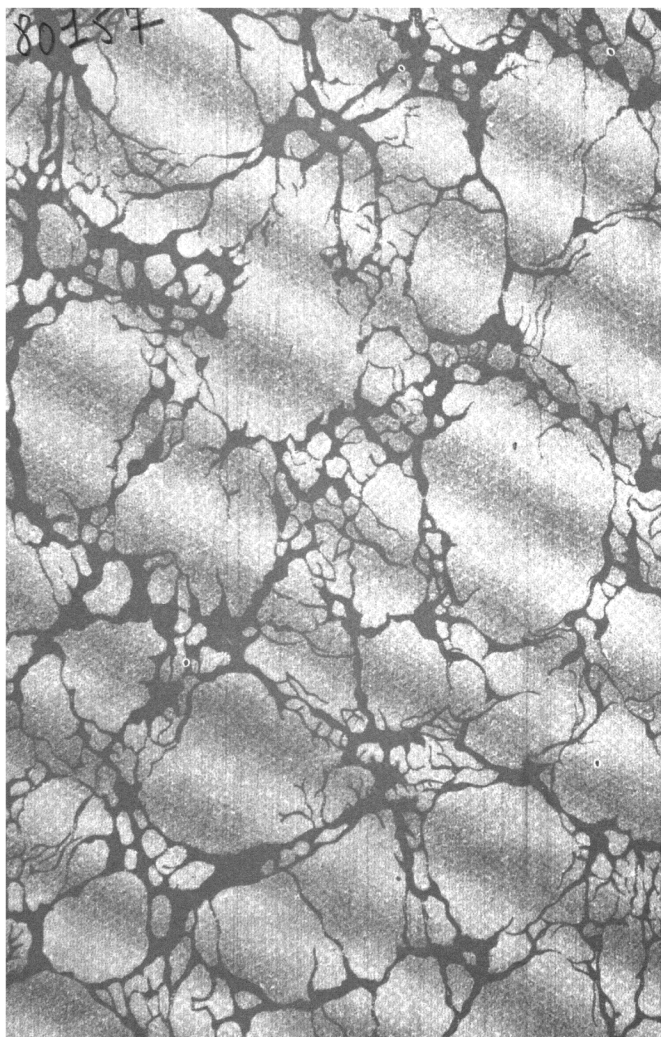




بيروت. هاتف ٢٢٢٧٩٨



فهرس المجلد الخامس

من المقتبس	صفحة	صفحة
٤٣١ الاطفال . حمايتهم	١	٣٢٣ الاب
٥٢٧ « . عقولهم		١٦٠ ابن رشد (كتاب)
٥٤٤ اعلام برنثالية . تصحيحها		١٦٠ « الطفيل (»)
٤١٩ اعمال الاعلام (كتاب)		٥٤٥ « القارح . رسالته
٢٣٣ اغنياؤنا		٥٢٠ « مثله المثلث
٢٨٨ اكتشاف نافع		٣٥٣ ابو العلاء المعري
٢٠٨ آلات الطرب واغاني العرب .		١٩٥ الانكل الشرقي
مصطلحاتها		٦٩ اترابنا العميان
٥٨١ الاسكا والاسكاويون		٣٤٧ آثار عربية
٦٧٢ « وكلونديك		٣١٣ الاخبار . آفتها
٨٢ المانيا . التعليم فيها		٣٣٥ اخبار العلماء باخبار الحكماء
٥١٥ « . المدارس الصناعية فيها		٧٠ الاخلاق بالطعام
٧٩٤ الامراء . صناعاتهم		٥٢٨ الاخلاق والعادات
٣٨٣ الى العرب (قصيدة) .		٧٨٩ الآداب العربية
٥٢٠ امالي تاريخية		٣٢٣ ارشاد الارباب الى معرفة الاديب
١٥٦ امهات مخطوطات		(كتاب)
٨٣ اميركا الامرائيلية		٥٤٣ ارشاد الفحول (كتاب)
٧٦٥ اميركا . السوربون فيها		٣٥٢ الارض . الخطوط الحديدية فيها
٤٣١ انكلترا والاقتصاديات		١٥٩ « في السماء (كتاب)
٤٨٦ اوربا . التحصيل فيها		٥٩٧ الاستقلال . مدرسته
٣٥١ الاولاد . جاستهم		٥٩٨ الاسلام . استعماره
٣٥٢ « المدخنون		٤٨٨ اصلاح خطأ
٧٢ ايطاليا . التمثيل فيها		

صفحة		٢٢٧	العلم الوطني
	ب	٨٥	التقيل . منه
٦٧١	بدائع الصنائع (كتاب)	٤٦٦	التلغراف
٤٠٤	البرنقال . جمهوريتها	٤٢٨	التلفون . فوائده
٧٩٤	بردي قديم	٦٥٨	تولستوي
٧٣	البريد الالمانى	٧٣٣	» رثاؤه (قصيدتان)
٦٦٦	البشر . لحومهم	ج	
٦٧٢	البشير . تقويمه	٨٥	الجمال الطبيعى . حمايته
١٥٤	بلجيكا الحديثة	٥٨٩	الجمعيات . قانونها
٧٩٥	البوارج . اعظمها	٤٣٢	الجنه
	ت	١٨ و ٨٩ و ١٧٧	الجن . مذاهب الاعراب
١٦٠	تاريخ ابي الحاسن (كتاب)		وفلاسفة الاسلام فيها
١٥٢	التاريخ . معناه	٧١	الجيش الامل
٥٩٢	التأليف . سعيته ومؤلفو الشيعة	ح	
٣	» . سعيته في الاسلام	٢٧٦	حالة المليمير الاقتصادية (كتاب)
٣١٦	» . قانون حقه	٥٩٩	الحس . تربيته
٥٠١ و ٥٦٩	التجارة . غرفها	١٦٠	حضارة بابل (كتاب)
٣٤٩	التجارة . انتظامها	٣٢ و ١٩ و ٧٩٥	حكم افرنجية
١٢١	التربية الاوربية	٨٥	الحمة
٥٣٧	» الجديدة	٤٤٩	حمة ابي رباح
٣٥١	تربية العقل	٨٤	الحنطة . محصولها
٣٤٧	التربية العقلية	٥٣٤	حوران . اصلاحها
٣٤٧	» . غايتها	٤٣٠	الحيوانات . احصاؤها
٨٠	» مدرستها	خ	
٣٤٩	» المشتركة	٢٨٨	الخصب . ميكروبه
٢٨٨	» اليابانية	٤٣٢	الخط المائل والمستقيم
٢٨٨	الترجمة دارها	٧١	الغلاء . التمثيل فيه

فهرس المجلد الخامس

ج

صفحة	صفحة
س	٧٣ الخلية • مدرستها
٣٠١ و ٣٥٨ السجل المعلق	د
٧٩ السجناء	٢٢٥ المدارس في المدارس
٤٩٦ السريانية في العربية العامة	٦٠٩ الدرر الكامنة
الفاظها	٢٥٠ الدروز • اصلهم
٧٣ السكك الحديدية • حوادثها	٢٤٢ » • جبلهم ونقبتهم
٧٩٧ السكك العثمانية	٤٢٢ دروس التاريخ الاسلامي
٧٧ السل • هلكاه	١٦٠ دروس الحياة الانسانية (كتاب)
٨٧ سلامة ابن جندل • ديوانه	٧٩٨ الدروس العربية (كتاب)
٣٤٤ سلاويك • الجرائد فيها	٦٧١ الدولة الاسلامية (كتاب)
١٥٩ سمير الميالي (كتاب)	٢١٦ ديوان احمد نسيم (كتاب)
٤٨٨ السن • اوهاها	٧٩٩ ديوان سلامة بن جندل (كتاب)
٨٠٠ السنة الخامسة • خاتمتها	٥٦٤ الدين والدنيا
٥١١ سوربة • نهضتها	ذ
٨٤ سوريسرا • الصحافة فيها	٢١١ التدخيرة لابن بسام
٤٧٩ السياسة الاسلامية (كتاب)	١٥٥ التذهب • محصوله
٧١ السيامي • صفاته	ر
ش	٥٢٠ الرازي بالله
٧٤ الشام • اكتناء عربها	٧٨٣ الرأي المبرمج
٤٨٤ الشام ومصر • المحسنون لها	٤٨٦ الرئيس البرنثالي
٧٩٣ الشرق • بسطه	٢٨٢ رسائل البايبة (كتاب)
٤٢٧ الشعب • مكاتبه	٤٦٨ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
٢٨٤ الشعري اليانية	(كتاب)
٧٨ الشمس • الاستشفاء فيها	٨٣ الرياضات اليابانية
ص	٢٢٠ الرياضيات (كتاب)
٧٠٣ صحافتنا وصحافتهم	

صفحة	صفحة
٨٨ العلم (مجلة)	٤٢٦ الصحافة • مدارسها
٨٨ العلم • فقهه (كتاب)	٤٢٧ الصحة • الساحات لها
٣٤٨ علم نفس الطفل	١٥٣ الصحة المدرسية
٢٨٦ العلم • وقف له	٣٤٢ الصحف والنجاح
٦٩٩ تلامذتنا وكيف ينشئون ابناءهم	٦٦٧ الصور السائية
٦٩ العملة • تربية صغارهم	١٤٤ الصور • العالم فيها
٥٩٨ العناصر • مؤتمرها	٨١ الصين • التعليم الحديث فيها
١٤٥ العين • صحتها	ض
غ	١٤٨ الضاحية • تربية البيوت فيها
٥٢١ الغابات • مدارسها	٦٧٣ الضوء اللامع
٣٣ و ٢٨٢ غرائب الغرب	ط
١٥٩ الغصن الرطيب سيف فن الخطيب	٧٩٨ الطريقة القدسية (كتاب)
(كتاب)	٤٣١ الاطفال • حمايتهم
ف	٨١ الطليان • عملتهم
٧٧ الفرصة • التنزيه فيها	٤٨٤ الطيور • اعمالها
٦٤٣ الفصيح العامي والعامي الفصيح	ظ
١٥٨ فلسفة الاسلام (كتاب)	٤٨٩ الظلمات • ظلامات عصرها
٨٠ الفوسفات • سماده	ع
ق	٨٤ العالم • خريطته
٣٤٩ القراءة • من تعليمها	٣٢١ عبث المشيب (قصيدة)
٨١ القرى والمدن الانكل سكسونية	٨٧ العبرانيون والفينيقيون
٧٢ القلب • خفقانه	٤٦٧ العرب
٤١١ قلمون الاسفل • رحلة اليه	٤٩٦ العرية البامية • الالفاظ السريانية
٤٥٣ القائي والسيرا في • مناظرتهما	فيها
ك	٢٦٨ العقارات • قانون تكليفها
٤١٥ كتاب المثني	٣٥١ العتل • تربيته

فهرس المجلد الخامس

صفحة	صفحة
٥٤٤ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام	٣٨٥ الكتابة والكتب ودورها
في الجن « كتاب »	٢٢٤ و ٢٨٣ و ٤٢٤ و ٧٩٩ كتب متفرقة
٥٢٠ المرأة اليابانية	٧١٠ الكرك . عمرانها
٦٢٩ المسلمون والبولونيون	٧٣٧ الكواكب السائرة
٥١٩ المصارف . ذهبها	ل
٦٦٢ مصر . الصناعة فيها	٢٦٤ اللاما وعابوده
٤٨٣ « . العلم والمال فيها	٤٨٧ الاسب والتربية
٧٧٠ المصرون مقابرهم وجزائهم	٧٠ اللغات الحية . تعلمها
١٥٩ طابع الاضواء « كتاب »	١٠٥ و ١١٠ اللغات الاسلامية . نثوها
٦٧٠ المعادن المذخورة	٨٣ اللغة الروسية
٧٢ المعادن الشفافة	٢٩٤ اللغة العربية . هل هي حية
٧٩٤ معجم انكليزي	١٦٠ اللغة اليابانية (كتاب)
٤٣٢ المعلمون والمعلمات . نصائح لهم	١٥٤ ليبسيك . كليتها
٢٨٣ معيار الفناوى « كتاب »	م
٨٠ المطاط . شركته	١١٤ المالية العثمانية
٤٣٠ مطاطات	٧٠ المباحث اليمولوجية
٨٢ المطبوعات الاميركية	١٥٩ مبادي الفلسفة القديمة (كتاب)
٢٠٤ ملك الانكليز وامبراطور الهند	٥٤٠ مباحث الفكر ومناهج العرب (كتاب)
٢٧٩ منطق المشرقيين « كتاب »	٢٨٣ مجلات جديدة . ثلاث
٧٢ الموسيقىون . جهيتهم	٢٥ و ٨٨ مجلات جديدة
٤٢٣ الماجر الوري « كتاب »	٢١٩ الجمع العلمي السميثوني . تقريره
٦٨٦ و ٧٥٠ ميزان التقدير في بيان التقدير	٥١٨ مخطوطات نادرة
ن	٢٢٥ المدارس . الدارس فيها
٤٢٩ انتخاب الالمانى	٣٥٢ « . صحتها
٨٨ النجف « مجلة »	٥٩٨ المدارك . ضعافها
١٤١ النهضة . الدرس فيها	٣٤٧ المدرسة والاخلاق

اصلاح الاغلاط

صفحة	صفحة
١٧٠ النساء . تعليمهن .	١٦١ » العربية . جرائدها
٤٨١ النسائيات « كتاب »	٣٠٨ الهند الانكليزية . حالها
١٥٨ النصائح الكافية « كتاب »	٣٥٠ » البريطانية
٣٧١ و ٣٢٥ النظرات . نظرة فيها	٤٣١ الهواء الطلق
٢٨٩ النظم والانشاء . صناعتها	٢٨٢ الهيئة والاسلام « كتاب »
٢٨٦ النفوس . مسألة قلتها	ي
و	٤٢٧ يابان الاقتصادية
٣٥٠ الولادات والوفيات	٤٨٧ « فقرها وغناها
٥٣٥ الولايات العثمانية . سكانها	

اصلاح الاغلاط

التي وقعت في مجلد هذه السنة

صفحة	سطر خطأ	صواب	صفحة	سطر خطأ	صواب
٤	١٦ فلان	فلاناً	١١١	٠٠	هذه الصفحة طبعت خطأ
١١	١٠ معاني	معاني	١٣١	١٢	مقدمة على التي تليها
١٩	٧ احد	احدا	١٤٩	١١	ان عبد
٣٧	١٤ الاقتصاديين	الاقتصاديان	١٨٠	١٠	ثلاثة
« « «	« « «	الاثريين	١٨٢	١٢	فافتقر
« « «	« « «	المؤرخين	« « «	١٣	في الصروع
« « «	« « «	الفيلسوفين	١٨٣	١٤	علم به
٣٩	١٥ نعيم	نعم	١٨٤	٢١	واذا
٤٤	١٤ احد	احدى	١٨٩	١٩	قادر
٨٠	١٨ او ثلاثا	او ثلاث	« « «	« « «	وان (او)
٨٨	٤ واحدة	واحد	« « «	« « «	واذا فراجع

اصلاح الاغلاط

صفحة	مطر خطأ	صواب	صفحة	مطر خطأ	صواب
١٢ ٢٠٥	استيثاق	استيثاق	٢٤ ٤٥٠	الاولى	الاول
٤ ٢١٥	ابني عبد الله ابي	ابا عبد الله ابا	١٨ ٤٣٣	يستعين	يستعين
١٦ ٢٤٦	عمر ابي عيسى	عمر ابا عيسى	٢٠ ٤٧٥	واري	وار
١٦ ٢٤٦	قراو	قمرأ	٢٠ ٤٩٠	والطافة	والطائفة
١٤ ٢٥٣	فلا يسوع	فيسوع	« « « «	احد	احداً
١٢ ٢٥٤	خطب	خطب	٨ ٤٩١	البرآء	البرء آء
١٤ « « «	سلمان	سلمان	١ ٤٩٥	البرآء	البرء آء
« « « «	بالتوبة	بالتوبة	١٧ ٤٩٦	ابو	ابي
٢٢ ٢٧١	الغير صافية	غير الصافية	١٦ ٥٠٣	الفرق	الفرق
٢٥ ٢٧٢	التقدير	٠ ٠ ٠ ٠	« « « «	فسمان	قسمين
١٩ ٢٧٤	في السنة الاشهر	في ستة الاشهر	١٧ ٥٠٦	وتطالب	بل تطالب
١٥ ٢٧٥	حتى	حق	٢٠ ٥٠٧	التجاروهم	التجار
٩ ٢٧٨	الثونسين	الثونسيون	٤ ٥١١	الغير	غير
١٨ « « «	فانفضت	فانقصت	٦ ٥١٤	محكم وجاهلا	محكم وجاهل
١٢ ١٨٣	وولايتا	وولايتي	٧ ٥٢٤	الاراضي	الارض او الارضي
٢٥ ٣١٣	بعض لم	بعض من لم	١٧ ٥٢٥	موفوراً	موفور
٩ ٣٣٤	بتزيينا	بتزيينا	١ ٥٤٦	وتزلفه	وتزلفه
١١ ٣٥٢	أحد	أحدأ	٢٦ ٥٥٤	وقو	وقول
٩١ ٣٩٢	مثلهم كالحمار	التلاوة كمثل الحمار	١ ٥٥٥	البحري	البحري
٣ ٤٠٨	مليون	مليوناً	٢٣ ٥٦٢	علي النسيان	علي من النسيان
٢٦ ٤١٣	الصغير	الفطر	٣ ٥٦٣	اذا جئته	اذا ماجئته
١٧ ٤١٧	اين	اي	٢٣ ٥٦٤	الادون	الاديان
٢٠ « « «	وبصيص	وكصيص	٧ ٥٦٦	لما	لما
٢٦ ٤١٩	ابو الحسن	ابو الحسين	١٥ ٥٦٩	ومدارس	والمدارس
١٤ ٤٤٨	تيجينها	تمتينها	٤ ٥٧٤	أحد	أحدى
١٩ ٤٥٠	الاقدمين	الاقدمون	١٨ « « «	اولا وثانياً	اولا وثوانياً

اصلاح الاغلاط

صفحة	سطر خطأ	صواب	صفحة	سطر خطأ	صواب
٥٧٩	٢٣ الغرفة	الغرف	٦٩٧	١٩ الف	الفأ
« « « ٢٤	متقارنا	مقارنا	٧٠٦	١٣ ونيف	ونيفاً
٥٨٠	١٨ اثنين	اثنتين	٧١٤	٢١ أن سلع	ان سلعاً
٥٨١	١١ الفرقان	الفر يقين	٧١٦	٦ سلع	سلعاً
٥٨٥	١٦ فالاولين	فالاولون	٧٣٨	٣ ابو	ابي
« « « ١٧	والآخرين	والآخرون	٧٣٩	٧ مع ذكرهم	من ذكرهم
٥٩٦	٩ واثنين	واثنان	٧٥١	١ ونصف	ونصفاً
٦٠٥	٨ يراقبوا انفسهم	يراقبوا نفسهما	٧٥٢	١٨ سثار	استثاراً
٦٠٦	١ يخلوا	يخلوا	« « « ٢٠	الحسابين	الحسابيين
٦١٠	٢٥ وابو حيان	وابي حيان	« « « ٢١	قسطاس	القسطاس
٦١٢	١٠ شاب ابن ظ	شاب ابن من ابن	٧٥٤	٣٠ الشعر	العشر
٦١٥	١٤ عشرين رجب	عشري رجب	« « « ١٥	الحسابين	الحسابيين
٦٥٧	٢٢ دوم واشتام	روم واشتام	٧٥٩	١٢ ونصف	ونصفاً
٦٦٨	١٩ الاثنا عشر	الاثني عشر	٧٦٠	١ الف	الفأ
٦٧٣	١٧ خمس	خمة	« « « ٤٣	بصاع	بالصاع
٦٧٥	٥ وقرقاس	وقرقاس	« « « ٥	الف ومائة	الف ومائة
« « « ٢٦	تخرجه	خريجه	« « « ٧	يسرى	ييزرى
٦٩٣	٣٢ ملاء كف	من كفي	٧٦١	٩ اذا	اذ
٦٩٤	٨ ومن	وعن	٧٦٢	١ واثنى	واثنا
٦٩٥	٢٥ فيها	فيه في محلين في السطر	« « « ٢٣	تفاوتا	تفاوت
٦٩٦	١ الآخر	الآخرى	٧٦٤	٣ واثنا	واثنى
« « « ١٤	يلغ ثمان	تبلغ ثملنيا	« « « ٢٧	وكسر	وكسرا
« « « ١٤	وعشرين	وعشرين	٧٧٣	٧ برادي	براد
٦٩٧	٣ اواربع	اواربعاً	٧٩٠	٤ الفاخر	المفاخر
	محدود	محدودة	« « «	انباه : انباه : انباه	انباه : انباه : انباه

المقتبس

مجلة علمية اجتماعية
تصدر في كل شهر عربي بدمشق



لنشرها

محمد عيسى



المجلد الخامس

١٣٢٨ - ١٩١٠



قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

سعة التأليف

في الاسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمات تسمى مجلداتهما فدلا على انساع نطاق التأليف في الاسلام ايام كان علماؤه منصرفين الى العلم والعمل يصرفون اثنى اوقاتهم في خدمة الامة وهما كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الامام احمد على ابواب البخاري لجامعه الامام ابي الحسن علي بن عروة الحنبلي من اهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق الكبير لوضعه الحافظ ابي القاسم ابن عساكر من اهل القرن السادس .

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس اجسادنا وشدة واثقنا وجه التنا فقد وجد من الاول مجلدات كثيرة ضخمة لا تقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد ائمة بحيث لا يظن ان الكتاب بلغ اقل من مئة وخمسين مجلداً في التفسير والحديث والاصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والادب فهو دائرة معارف اسلامية حقيقية ضمت بين جوانحها اشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الامة مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الاعلام

واما تاريخ دمشق فله الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً . ولقد جرى ذكره بين حافظ^(١) مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في امره واستعظم اسامه فقال حافظ مصر : ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يتصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتأني . قال ابن خلكان : ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضب حصرها وله غيره تواليف حسنة

وبعد فان الخالق تعالى وضع في افراد من كل امة خاصيات وملكات فلما يشاركون فيها كثيرون وآتاهم هبات يستخدمونها في نفع البشر ونفوساً لا تعرف المال لدرك مقاصدهم الشريفة . وكما ارتقت الحضارة في شعب ينبغ فيه رجال يصرفون على الافادة والاستفادة فقد اعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لا يكادون يرون السعادة والملاذ واخيراً وكل ما تطمح اليه نفوس بني الانسان من المعالي الا فيما هم بسبيله

ومن انتم النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حتى دراستها لا يلبث ان يزول عجبها اذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في اعمالهم ويتفانون فيما اخذوا به نفوسهم فيزهدون في المال والبنين ويفطمون انفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف

كنا ذات يوم نذكر لاحد اصدقائنا من الاطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الامة قديماً فقال اما ما يلغى عن اكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لاكثرهم منه الا النظر القليل يكتبه لهم اذكاء المتخرجين بهم بعد ان يكونوا تفتوا عنهم بعض ماله علاقة في الموضوع الذي ألفوا فيه حتى اذا اتوا على آخره يدفعونه الى اساتذتهم فيجبلون فيه انظارهم ويمثلونه للطبع مفتحة باسمائهم والنصف منهم من يذكر ان تليذه فلان اعانه في التأليف وبعضهم يضمنون بمثل هذه الاشارة

ولما اوردا لصاحبنا اسماء كثير من اشتهروا في الاسلام وألفوا التواليف الممتعة الضخمة وعونا وحدهم في الاكثر بجمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبويبها وتسويدها وان ما أثر عنهم كان مردوداً لو لم يرد على لسان اهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكونون من اضدادهم وحاسديهم — عند ذلك اقتنع صاحبنا بحجة رأينا وقال ان حال الافرنج اليوم يخالف حال سلفنا فان الافرنجي مهما بلغ من حبه الحكمة وتفانيه في خدمة المعارف يقتطع له اوقافاً لراحته وادخال الفرح على قلبه لينشط الى متابعة السير في عمله اما الشرقي فانه يفرط فيما تحض له فحاله اما تعب ليس وراءه غاية او راحة ما بعد وراثتها وراة

انفتح اي كتاب من كتب التراجم ولا سيما تراجم اهل القرون الستة الاولى للاسلام تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع وقد يظن ان معظم ما خلفوه من كتبهم هو

ديني محض ولا اثر لهم في العلوم الدينية ولكن هذا الظن لا يعني من الحق شيئاً لان جماهير المؤلفين المجيدين لم يكونوا متمكنين من علوم الدين باغفال علوم الدنيا بل انهم كانوا يعتقدون بان العلوم باسرها نافعة في الدارين وما نفع في هذه الاولى كان خليقاً بان ينفع في الاخرى

هذا ابو محمد بن حزم الظاهري واهل الظاهر نفاة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الاولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تأليف ممتعة فيما ننتبره من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الاندلس^(١) ان تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والمال وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين نحو من اربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة . وهذا شيء ما عناه لاحد ممن كان في مدة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر اهل الاسلام تصنيفاً فقد ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة وهو الذي وصل به تاريخ ابي جعفر الطبري الكبير ان قوماً من تلاميذ ابي جعفر لخصوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسموا عليها اوراق مصفاته فصار لكل يوم اربع عشرة ورقة ومن جملة تأليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو اصح التواريخ واثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه : هل لكم ان املئكم كتاباً في التاريخ قالوا ولم يكون حجمه فقال ثلاثون الف ورقة فاستعظموا ذلك وارادوه على الاختصار حتى املاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كبار ابناء اليوم احد عشر مجلداً ضخماً املاه بهذا القدر وهو يحرقل ويقول ماتت الهم لان تلاميذه لم يوافقوه على جعل تاريخه في ثلاثين الف ورقة فاذا كان يقول لوجاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه

وابن جرير في اجادة في التأليف واكثره منه مشهور كما ان من تقدمه ومن تأخر عليه من المصنفين مثل ابن تيمية من اهل القرن الثامن فقد قال فيه احد واصفيه^(٢) ان له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضب ولا اعلم احداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع ان تصانيفه كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً

منها في الخبس وليس عنده ما يحتاج اليه ويراجعه من الكتب . وقال غيره كان الامام يكتب في اليوم واللبلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة الاوائل نحواً من اربعة كراريس او ازيد وما يعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاوبة بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاء نحو ثلاثين مجلد اوقيل ان تأليفه تبلغ ثمانمائة مجلد .

ومثله ابو الفرج ابن الجوزي الواعظ من علماء القرن السادس صف في فنون^(١) عديدة وكتبه اكثر من ان تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يفتنون في ذلك حتى يقولون انه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقت انكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يتبله العقل ويقال انه جمعت برائة اقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير وادعى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها

ومن المكثرين من التأليف ابن الهيثم الرياضي فقد عدد ابن أبي أصيبعة^(٢) مصنفاته في زهاء اربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والاهواز وانتقل الى مصر قل : ربما انما انتقص عن مئة مجلد . ومثله الفارابي احد فلاسفة الاسلام كان مكثراً من التأليف وقد اخضع اكثرها لانه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الانهار للتأليف فطير الاوراق التي يكتبها

ومثلها ابو الريحان البيروني قال ياقوت : كان لغوياً اديباً له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي اجازه السلطان بحمل فيه فضة فرده للاستغناء عنه وكان مكثراً على تحصيل العلوم منصباً على التصنيف لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بعض اصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة فقال : أف في هذه الحال قال : يا هذا اودع الدنيا وانا عالم بها أليس خيراً من ان اخلبها وانا جاهل بها قال : فذكرتها له وخرجت فسمعت الصرخ عليه وانا في الطريق . قال ياقوت : واما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرور في ستين ورقة . وقال بعض مترجميه : ان كتبه زادت على حمل بعير

والبيروني واحد كبار فلاسفة العرب يجي^٤ في طبعة ابن سينا وابن رشد وابن زهر
والفارابي ومثاهم الكندي فيلسوف العرب^٥ وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة
والهندسة والحساب والارثاطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد اسماءها ابن
النديم في ست صفحات . ومثله ابو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات المهمة
في الطب والعلوم العقلية والادب وهو الذي استدار الغريون لاول نهضتهم بمصنفاته
واول ما طبع عندهم من تأليف العرب كتبته ذكر اسماءها ابن ابي أصيبعة في نحو سبع
صفحات وابن النديم في ثلث . ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الاسلامية
حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن ابي أصيبعة
تأليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتأليف حنين وثابت فلسفية علمية وهم ائمة
النقل من اليونانية الى العربية

ومن المكثرين من التأليف المجودين فيها حجة الاسلام الغزالي والماوردي
وعمر بن بحر الجاحظ وجار الله الزمخشري وهذان الاخيران من ائمة المعتزلة قيل في
الاول ان تأليفه تعلم العقل وفي الثاني ان تأليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو
واللغة وعلم البيان والادب . ومن المكثرين المجودين من ائمة المعتزلة القاضي عبد الجبار
قيل ان تأليفه التي وضعها في كل فن اربعمائة الف ورقة ومن ائمة المعتزلة كثير من
من جاوزت مؤلفاتهم المئة والخمسين الف ورقة

ومن المؤلفين الاول المكثرين من التأليف هشام الكلبي العالم بالنسب واخبار العرب
وايادها ومثاليها ووقاها المتوفى سنة ٣٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات
وهي تزيد على مئة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٣١٥ في نحو اربع صفحات
ومنهم المرزباني من اهل القرن الرابع قال ان تأليفه بلغت الوقا من الاوراق ومن
الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن ادريس الشافعي وداد بن خلف
الاصفهاني وابو العباس بن سريج المعروف بالياز الانهب من ائمة الشافعية كانت فهرست
كتبه تشمل على اربعمائة مصنف وقيل ان تصانيف الحافظ ابي بكر ابن البيهقي تبلغ الف
جزء ولا يابكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف
وقسني من كتب الاصول والفقه والحديث والادب والتاريخ ما يقرب من مئة مصنف .
وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة والاشعري خمسة وخمسون تصنيفاً .

وكان ابو حاتم البستي من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والموعظ قال ياقوت^(١) وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته وروى عن ابن ثابت ان من الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها واصفها مصنفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها في مسعود بن ناصر الشجري ووقفني على تذكروا باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيدنا ولا معروفة عندنا وانا اذكر منها ما استحسنست سوى ما عدلت عنه واخرحته وهناك فجاءت زهاء مائتين وخمسين جزءاً وبلغت مصنفات ابي بكر بن فورك المذموم الاصولي الاديب الخوي الواعظ قريباً من مائة مصنف * ولفظ المذموم^(٢) تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصول الدين وانما قيل له علم الكلام لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل أن مخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم العباس فيه فسمي هذا النوع من العلم كلاماً اختص به وان كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام اه ولا يبي الحسين الراوندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب اليه اليوم ظلاً كل كلام فيه فسفسطة ومغالطة وكفر من التأليف نحو مائة واربعة عشر كتاباً مع انه لم يتجاوز الاربعين من عمره ولرأس المتصوفة محيي الدين بن عربي تأليف كثيرة ومنها الممتح ذكر في اجازة كتبها للملك المعظم انه اجازها ان يروي عنه مصنفاته ومن جملتها كذا وكذا حتى عدت نيفاً واربعائة مصنف والـ رسالة عدد فيها كتبها كما جرت عادة بعض المؤلفين ان يترجموا انفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة ان يدس عليهم بعضهم مالا يروقونهم ويقول فيهم ما ليس فيهم *

وابن سعيد الاندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف منها المرقصات والمطربات والمنظومات من ازهار الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان النريان المتعددا الاسفار وهما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين^(٣) حدثني الوزير ابو بكر بن الحكيم انه خلف كتاباً يسمى المزمرة يشتمل على وقرعير من رزم الـ كرار بس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وابو الهاء الجعري ولهذا كتاب^(٤) سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المئة جزء في معجم البلدان (٢) ابن خلكان (٣) الاحاطة في اخبار غرناطة (٤) وفيات الاعيان

الادب قال: ابن خلكان: وحكى لي من وقف على الجلد الأول بعد المائة من كتاب الحمزة وازدق وقال لثاني ما كان يعوزه بعد هذا الجلد: ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان: اخبرني احداً الفضلاء الثقات المطاهرين على حجة زعموا ان سودات رسائله في المجلدات والفتايات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور ابر بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالافلس ادبياً جليلاً ومن تألفه^١ الكتاب المظفري المسمى بالندكرة في خمسين مجلداً. وكتب عبد اللطيف البغدادي الفيلاسوف نحو مئة وثلاثين كتاباً وذلك في مباحث له نويلة دامت نحو اربعين سنة صاحبها بين العرق والشال ومصر والروم.

ومن المكثرين من التأليف والمنسحين فيه ابن ابن السيد اللغوي الاندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العلم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالاثنا عشر وختم بالندرة وله في العربية: ولغة كتب اخرى. وشمه ابن سيدة الضرير صاحب الخفص والحكم وغيره وهو من المكثرين من التأليف والحفظ ومن المكثرين ابراهيم بن الاعلم البطليوسي له نحو خمسين تأليفاً. وبلغت تأليف محمد ابي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ - ٧٧ تأليفاً واث عيسى بن عمر النخوي نيفاً وسبعين مصنفات في النحو قال يبريد بن جهم: بعض اهل اليسار وانت عنده عليها قوة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولو تاملت اهل العلم وغلاة الكتب تمثل هذه الكتب لما ورتها الايدي بالنسخ وما فقدت.

ومن المكثرين من التأليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة ٣٣٨ قال المقرئ^٢ رأيت في بعض النواريخ ان تلاميذه بلغت ألفاً ومن اشهرها كتاب الواضحة في مدح مالك. ولابي عمرو والداني القرطبي من علماء القرائت مئة وعشرون مصنفات وكان يقول ما رأيت شيئاً قط الا كتبته ولا حفظته ولا حفظته فنتسبته وآخر من له التأليف الكثيرة من ائمة الاندلس ابو الحسن القلصادي المتوفى سنة ٨٩١ واكثر تصانيفه في الحساب والفرائض.

ومن عرفوا بسعة التأليف احمد بن ابي عبد الله تلميذ مذهب الامامية فان ما كتبه بلغ مائة تصنيف تتدها ياقوت في معجم الادباء. ومن فقهاء الامامية ابو النصر العياشي ذكر ابن النديم اسماء كتبه في نحو صحتين.

(١) نظم الدول لسان الدين (٢) فتح الطيب

ويقال ان تواليف ابي جعفر بن الخناس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين العرب وذكروا^(١) ان محمد بن جماعة من اهل القرن الثامن كان معجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف حظ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الالف فله على كل كتاب اقراء التأليف والتأليفين والثلاثة واكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت الى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والاصلاح والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبدع والمنطق والهيئة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون اخر وعنه انه قال : اعرف ثلاثين عالماً لا يعرف اهل عصري اسماءها .

ومن الذين اكثروا من التأليف احمد بن مكشوم من اهل القرن الثامن وعبد الرحمن الانباري من اهل القرن السادس وعيسى اللخمي الاسكندراني من اهل القرن السادس وربي الدين السبكي من اهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من اهل القرن العاشر اطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن اربعمائة مجلد وفيها الجيد

ومعجوبة المؤلفين ابو مرامى جابر بن حيان^(٢) قال : الفت ثلاثمائة كتاب في الفلسفة والفأ وثلاثمائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (?) والفأ وثلاثمائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم الفت في الطب كتاباً عظيماً والفت كتباً صغاراً وكباراً والفت في الطب نحو خمسمائة كتاب الى ان قال : ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ والفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة والفت كتباً في النيرانجيات والفت في الاشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم الفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملك وكتاباً يعرف بالرياض

وماذا عسانا ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في المكثرين من المؤلفين العارفين ولواردنا ان نذكر فقط من لهم منهم الى عشرة كتب لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه . وانا ليجزنا يوم نذكر ان كل واحد من ذكرنا خاف الامة خزائن كتب من مصنفاته ونلثت الآن عن ايماننا وعن شمانلنا فلا نرى المؤلفين في الاقطار العربية يعدون على الاصابع والمكسر منهم من لا يتجاوز مصنفاته العشرة

نشوء المصطلحات الإسلامية^(١)

قضي على اللغات في كل عصر ومصر ان تقتبس بعضها من بعض ما يجوزها من الالفاظ لشعبها عن الافكار الحديثة والعربية والفارسية والتركية لم تخلص من هذا القانون . فاقبست أولاً من اللغات السامية ومن اليونانية ثم من اعم لغات اوربا الحديثة ولا سيما من الفرنسية كما اقتبست كمية وافرة من الالفاظ للانصاح عن الافكار التي ليس في مجملها ما يدل عليها ثم هجمت تلك الالفاظ الاجنبية هجوماً كثيراً كادت تأتي معه على مفردات تلك اللغات نفسها فقامت تربية الرجوع الى اصولها وهب التوم بنذون من اللغات الاسلامية الثلاث تعابير رأوا وحشية ويستعوضون عنها بالفاظ يشتقونها من المادة الاصلية في العربية والفارسية والتركية او بالفاظ كانت موجودة ولكنها أطلقت على معاني جديدة

ومن الضروري ان لا يفوتنا النظر بان اصحاب هذه اللغات اليوم يريدون الرجوع بلغاتهم الى اصولها الصحيحة ويطرحون الالفاظ التي ليست لهم مدفوعين الى ذلك بتأثيرات الدعوة الى الوطنية في البلاد الاسلامية . وهذه الحركة في الرجوع بهذه اللغات الى اصولها لا ترمي الى نبذ الالفاظ الافرنجية فقط بل ان القوم في فارس يضحون الى حذف التعابير العربية وفي البلاد العثمانية كما هو في سائر البلاد التركية يحاولون طمس الالفاظ العربية - الفارسية . ويبحث الادباء - اهل هاتين اللتين في لديهم من التعابير الايرانية والتدريسية - الفارسية التي كان من تأثرات الفاتحين او من رغبة المغلوبين في اظهار معرفتهم بلغة غالبهم ان زهد فيها واستعملت الفاظ اقل منها انطباقاً مع الروح التركية والفارسية وان كثرت استعمالها وعدت او كادت من مادة اللغة الاصلية .

جرت اللغات الاسلامية كاللغات الاجنبية في اقتباسها الالفاظ على طريقتين علمية وعامة فالعامة يقتبسون على اسر وجه من الالفاظ ما يكرر على مسامعهم دائماً او ما يفصح عن افكار لا مقابل لها في لغتهم الاصلية ولقد عرفت منذ القديم النوانين التي تجري عليها في الاقتباس فالاسماء تنتقل من لغة الى اخرى باعظم ما يكون من السرعة

١ المسميولوسين بوفاحد علماء المشرقيات نشرها في مجلة العالم الاسلامي الباريزية وقد التزمنا في نقلها الترجمة الحرفية

واقل من ذلك انتقال الصفات وفي النادر اقتباس الظروف وبشأنه او لا يكاد يكون اثر لاقتباس الافعال . ومن اللغات ما اذا نظر فيه الى المفردات يمكن وصفه باللغات الخطاطة وهي تتألف في البلاد التي عرفت بتجارة المتباضة ولاسيما في المواني البحرية مثل لغة البجيين في الشرق الأقصى وهي مزيج من اللغة الانكليزية والصينية ولغة السايير مؤلفة من العربية والافرنسية والاسبانية ولايطالية او اللغة الافرنجية وهي مجموعة من كلمات متباعدة من جميع لبيجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية الى مراکش ولا بأس باعتبار اللغة الناطقة من هذا الضرب من اللغات وان اصبحت لها صحافة وآداب متذعبد ليس بيميد ولكنها لم تعد تحسب لهجة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب جاعلة الى نحوها الذي هو كثير اللغات السامية مفردات ايطالية وبعبارة اصح صقلية في الأكثر وكتابتها لاتينية

وما عدا هذه اللغات المشتركة البحرية التجارية خصوصاً فقد تألفت في البلاد الاسلامية التي استولى عليها الاوربيون لهجة عامية دخلتها الفاظ من لغات الناطقين واصطلاحات دواوين الحكومة وارباب الصناعات وهكذا نجد قرارات الحكومة الفرنسية في الجزائر كانت تكتب زمناً باللهجة شرفية مزوجة بكلمات فرنسية نقلها المرحومون بجبل منهم او كسل فيهم على حالها ولم يعنوا بترجمتها وارى جند الرماة والمشاة هناك يستعملون لغة هي اخرى بها ان تكون مما تواتر او عليه يدسم وهي خليط من اللهجات الفرنسية المخترعة كثيراً بحيث يصعب الاهتداء الى معرفتها غالباً

ولكن هذا لا يوضح كل الاطلاق . الا انني اتمنى الحكمة وكتابات من لم يتعلموا . اما اللغة الادبية التي مست حاجتها كذلك الى ايجاد تعابير جديدة فقد تمتد الى طرق

١ نوجد امثلة اخرى للغات اسلامية يتكلم بها اناس من غير المسلمين مثل اللغة الاسرائيلية الفارسية وهي لغة فارسية مزوجة قليلاً بالفاظ عبرانية ومكتوبة بحروف عبرية وهي لهجة يهود فارس . ويستعمل اليهود القراءون في التديم هذه الحروف ايضاً في الكتابة التركية وهي اللغة المداخرة بينهم . وفي البلاد العثمانية اناس من الارمن والروم يتكلمون بالتركية ولكنهم يكتبونها بحروفهم القديمة ولهم ادبيات اردنية تركية وادبيات يونانية تركية ذات صحافة خاصة بها . وهناك اللغة الكرشنوية وهي تطبيق المسيحيين للحروف السريانية على اللغة العربية والعبرانية العربية او العربية التي يكتبها اليهود بالحروف العبرانية .

عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل الفاظ أوربية كما هي أو بشدها قليلاً حتى توافق التلفظ المحلي وهذه هي الطريقة التي كانت تعتمد عليها اللغة العامية ومضى زمن كانت هي المحول عليها أما فكر الرجوع بثلث اللغات إلى أصولها فلم ينشأ إلا في السنين الأخيرة فاللغة العربية الغنية بمفرداتها ولها من الاشتقاق موارد كثيرة قد عمدت إلى ما سبقت منها من المفردات فاشتقت منها وكذلك كان من الفارسية وإن كانت لا تستغني بعض الأحيان عن الالفاظ العربية . أما التركية التي انتشرت بتأثير اللغات الأجنبية فيها فقد أخذت باديء بدء من العربية والفارسية وهي تحاول منذ مدة الاكتفاء بما عندها باستعمال التعابير القليلة القديمة التي كادت تملأني .

ما هي المؤثرات التي عرضت للغات الإسلامية من اللغات الأجنبية ؟ إن أقدم النصوص العربية التي انتهت إليها في الأشعار التي قبل الإسلام والقرآن نفسه لا يخلو من بعض الفاظ أصلها فارسي . وذلك لأن الصلات بين الفرس والعرب كانت قديمة مستحكمة فأخذت العربية عن اللغة المخارة لها بعض الالفاظ . فمن الفاظ القرآن الغير العربية في العربية ابريق وسجيل . وأقست اللغة الأرامية اللغة العربية بعض الفاعلها أيضاً فإن اتحاد اصول هاتين اللغتين والمناسبة القوية في تركيبهما قد جعلت الأخذ منها سهلاً للغاية . وكذلك الحال في اللغة العبرانية فقد اقتبست العربية بعض الالفاظ وأكثرها ديني فمثلاً « جهنم » و « ملك » واقتبست اللغة الرومية منذ عهد عهد بعض الالفاظ للغتين العربية والفارسية مثل سجيل وسندس وانتقلت هذه إلى العربية ووردت في القرآن عن طريق الفارسية .

ولقد نشأت في فارس لغة صناعية واعني بها البهلوية واستعملت الخط السامي واستعاضت عن المفردات الايرانية بما يقوم مقامها من المفردات الأرامية وتصریفها يجمع بين تصریف اللغتين ولكن اللهجة الشائعة من هذه اللغة بقيت غير متأثرة كثيراً بالفوز الغريب إلى زمن الفتح العربي . ولا حاجة إلى ذكر ما أصاب اللغة الايرانية من التبدل بالفتح فقد سرت إلى لغة الجمهور الفاظ كثيرة دينية وعامة . واعتمدت فارس في كتابتها على الخط العربي .

أما الأتراك فلطأهم أنهم لم يقتبسوا الفاظاً كثيرة من جيرانهم قبل أن يدينوا بالإسلام هذا إذا استثنينا منهم المغول . وربما أخذوا قديماً بعض الالفاظ من الصين وفارس حتى إذا فتحوا الإسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية . ونرى العربية إلى عهد

ظهور الاسلام تفتش من الفارسية والسامية والآرامية خصوصاً واليونانية ودام هذا الاقتباس وارتقى ارتفاعاً ظاهراً على عهد خلفاء الأمويين والعباسيين . وظلت اللغات الفارسية والسريانية والرومية بحسب الاقطار لغات الادارة في المملكة العربية ولا يجب من ثم ان ادخلت الى لغات الفاتحين عدداً كبيراً من الالفاظ العلمية . وكان من درس فلاسفة يونان ورياضيهم وكيماويهم وطبيعيهم ان سرت الى العربية من اليونانية اصطلاحات علمية

وفي الحروب الصليبية دخلت الى اللغة العربية الفاظ مختلفة اقتبسها من لغات الشعوب التي اختلط بهم المسلمون ولكن ما اخذته هو من الافاصيص محدود معدود ولم تدخل على اللغة العربية الالفاظ الغربية الا في القرون الحديثة الموافقة لارتفاع العثمانيين في آسيا واوربا . اما تأثير اللغات الاوربية في العربية فلم يكذب شعربه الى الدور الاخير وهو اقل من ذلك في الفارسية بالنظر لبعدها الجغرافي .

ومن اراد الآن ان يبحث في تأثير كل لغة اوروبية في اللغات الاسلامية منذ زمن النهضة فليقرر ما يأتي : ان اثر اللغة الافرنسية كبير جداً وقد فاق غيره في جميع العالم الاسلامي في البحر المتوسط وآسيا السالفة ولكن اثرها بالنسبة لغيره حديث العهد وكانت البواعث اليها ١ الاصلاحات التي جرت في البلاد العثمانية على عهد السلطان محمود ٢ تنظيم محمد علي لمصر على نحو ذلك العهد ايضا و ما تركه الفرنسيين من الفوائد فيها بعد حملتهم على مصر سنة ١٧٩٩ ٣ فتح الجزائر ٤ الضلات التي نشأت بين فرنسا وفارس وقد بدى بها في وائل القرن التاسع عشر الى ايدي بعض جواربها واند عرذات ثم اعيدت بعيد حين ٥ شدة ميل المسلمين في البلاد العثمانية ولا سيما في فارس لتعلم الآداب الفرنسية والانطباع بالافكار الفرنسية

وانت ترى بهذا ان نفوذ فرنسا في الشرق غير بعيد العهد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية على الرغم من تقلص ظل سياستها من البلاد العثمانية مدة من الزمن وعلى تدخل انكلترا في مصر وقلة علائقنا مع فارس فتأييد نفوذنا ابدأ في تلك البلاد التي لم يبق فيها اولئك الشعوب الذين هم اكثر منا مضاء في الامور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم الا القليل الذي لا يوبى له ولا ننسى ان تأثير اللغة الفرنسية قد استحكم في اللغات التتوية في روسيا ولكن لامباشرة بل دخلتها الفاظ من الافرنسية بواسطة اللغة الروسية او اللغة التركية العثمانية

اما تأثير اللغة الانكليزية فضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (يقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعتمد كل حين الى استعمال كمية من الالفاظ الفرنسية وليس للانكليزية في فارس غير اثر ضئيل جداً ولا اثر لها في التركية الا ما كان من بعض التعبيرات العلمية والبحرية واكثرها في السباق وانواع الارباض .

وبعد ذلك فان تأثير اللغة الايطالية قديم ثابت باق فهو يرد الى الزمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذلك العهد تأخذ عن اللغة الايطالية جملة من الالفاظ لا العلمي منها فقط (مثل الفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) بل الفاظاً شائعة في الاستعمال وكان للغة العثمانية ان تكسب بما عندها من مقابل لما مثل لفظة «فامليا» التي تجلج فيها اللهجة البندقية كل التجلي وكذلك كان من اللغة الصقلية ان شغلت مكاناً مهماً على نحو ما رأينا اتفاقاً في ان جزءاً من المفردات المألوفة مأخوذة منها . ودخل على اللغة في تونس كثير من الالفاظ الايطالية وقد لاحظ احد العارفين ان هذه الالفاظ لا تستعمل الا في الكلام الخارج اما اللغة المكتوبة فمتقنة للغاية ولذلك لا تستعملها . وفي مصر ترى بعض الالفاظ الايطالية والظاهر ان بعضها سرت اليها بواسطة اللغة التركية مثل كلمة سيفغورتا (الضمان او التأمين)

واللغة اليونانية الحديثة ادخلت كالايطالية على اللغة التركية العثمانية الفاظاً كثيرة فان ما وصل اليها من النصوص القديمة يبين ان تاريخ الصلة بينها يرد الى ما قبل القرن الخامس عشر ولفظة «افندي» العربية التي ذكر المسيو جان بيشاري تاريخها وما تقلب عليها من التبدل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الالفاظ وفي لغة عرب المغرب جملة من الالفاظ ومنها ما هو من اصل اسباني وهي مألوقة الاستعمال في مراكش فقد كان للبرتغاليين اثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى ان لا يتركوا فيها شيئاً من لغتهم واذ كانت المناسبة قوية بين الاسبانية والبرتغالية وكان سكان مراكش يحرفون ما يقبسونه عن الاوربيين من الالفاظ فمن الصعب ان يميز في هذه الاقتباسات ما سرى الى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة

واقدم كانت الالفاظ الالمانية التي سرت الى الشرق قليلة جداً وقال بعضهم ان لفظة غروش التركية مأخوذة من غروش الالمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم

العثماني تبين انه لم يسر الى التركية الا الفاظ جزئية من التعابير الجرمانية وهننا ننتقل الى اللغات الصقلية (السلافية) فدرى لغات البلقان قد نقات الى التركية عدداً جزئياً من التعابير ومنها بعض الالفاظ العسكرية وهي من جملة الالفاظ القديمة في تنظيم الجيش العثماني . واللغة الروسية أكثر سرياناً ولكنها مقصورة على اللغات التترية في القرم وقازان وقافقاسيا وآسيا الوسطى فهي لم تعد تلك الخوم والالفاظ الروسية في البلاد العثمانية الا برانية نادرة للناية . ويجب ان لا يفوتنا ان ما تنقسه الامات التترية او الروسية هي في الاغلب من اصل فرنسوي او ألماني او ايطالي . وما ذكرناه فيما تقدم عن اللغات الصقلية البلغانية ينطبق ايضاً على اللغة الجربية ولكن اللغة الانرناودية والارمنية وغيرها من اللهجات المحكية في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم تؤثر الا قليلاً جداً بهذه اللغة .

وهنا تأتي على تأثير اللغة التركية في فارس حيث شجع اليوم أسرة قاجار فنجند كثيراً من التعابير والمعاني المخذلة مأخوذة من التركية مثل الاعداد والرتب الشرف واسماء المناصب والرتاب . ومثل ذلك يقال عن اللغة العربية في مصر فلما اخذت اسما الرتب العسكرية التي دخلت الى البلاد العثمانية بعد الانتكارية ولم يدخل على اسماء الرتب من التعديل الا ما لاغية عنه التالفاظ الرربي . وترى في طرالمس الغرب الخاضعة للحكم العثماني جميع هذه الالفاظ شائعة بالاستعمال وتجد الفاظاً اخرى تركية مستعملة في تونس بل وفي الجزائر حيث ابقت الحكومة الفرنسية رسمياً على بعض الالفاظ التي اخترعها العثمانيون مثل اغا وباش عدل وخوجه وجاويش وغيرها وما عدا لغة البربر التي سمرت بعض الفاظها الى اللغة المغربية .

اما اللغة الهندستانية فلم يدخل منها الا بعض الالفاظ المتدايرة الى الفارسية اما اللغات الشرقية الاخرى فلا تعثر عليها بين الالفاظ العربية والفارسية والتركية الا نادراً جداً .

وما نحن نبدأ الآن بالكلام على كل واحدة من اللغات الاسلامية الثلاث فتستفتح بالعربية . فقد رأينا هذه اللغة قبل ولا سيما بعد ظهور الاسلام قد اخذت عن اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الارامية والفارسية واليونانية . وحمل الصليبيون الى العربية بعض الالفاظ الجديدة خلافاً لما يعتقد به بعضهم ويظفر بهذه الالفاظ في كلام المؤرخين ولكنها لم تسر الى اللغة المحكية ولا الى اللغة المكتوبة فمن الامثلة الغريبة

استعمال لفظة « ترم » بمعنى المدفوع وجمعهم له على تروم كما في تاريخ ابي شامة ولكنه من الصعب ان ترى هذه اللفظة في كلام آخر . واخذت العربية من الافرنج بعض الالقاء النصرانية، مدينة كانت اودينية مثل قومس (كونت) وكاغيكوس او كاتوغيكوس (بطريك) وبعض التعبيرات الحرية واللغة المالطية التي هي لسان شعب خاضع للحكم المسيحي ومتدين بدنه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية امورا كثيرة

ولم يبدأ دخول الالفاظ الاجنبية ولا سيما الافرنسية على العربية الا في اوائل القرن التاسع عشر دخلت بكثرة حتى ان القائلين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها . ثم ان دخول تعابير افرنسية كثيرة الى اللغة الرسمية اي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه اثر في اللغة الوطنية وازدياد صلات الشرق مع ام الغرب ودخول الافكار الفرنسية وتأيد الحكم الفرنسي على الجزائر وتونس ولا سيما انشاء صحافة عربية حذا فيها اهلهما حذو الصحافة الاوربية كل ذلك مما دعا الى تحول اللغة

وذلك ان الصحافة هي التي احدثت اللغة العربية الحديثة في الجملة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف لغة الرومانيك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال المسيو واشنطون سروس المالحق بقصلاتو البلجيكي في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم للغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعلى ما فيه من الاغلاط والنقص القليل فان هذا الكتاب الذي لم يؤلف على مثاله قد نفع وينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة على وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة للصحف التي كانت تنشر اذ ذاك مع تاريخ انشائها وهي قائمة ثمينة وان كانت فهارس الرجوع اليها مختصرة وبعض الامتوزجات من كلامها تأليفاً كانت او ترجمة فأتى فيه اولاً على الجرائد ثم على المواد الرسمية ثم على معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكلمات المولدة

ومن رأي المؤلف ان اللغة الحديثة قد نمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية او المكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكتبون بان يأخذوا عن اللغات الاجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون ان يعدلوا صورتها التعديل اللازم لها في الظاهر . (للبحث صلة)



مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

ليعلم ان من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للوقوف على اقل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت في شأنها المتنازب وتعددت في مباحثها المتفاهية وكل من الاعراب معها في المباحثية مخايل ولها في كل عصر نعمات جديده ومقرو عجايب ولا غرو في من اقدم المسائل واوضحها في الاذهان اذ دار اسمها على كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والاديلن

ان مسألة كسالة الجن ليست مما تدرك بالهظة او يشار اليها بالهظة حتى لا يرض لها الخشوي رأسا ولا يقيم لها الجاهد وزنا فوضعت شواهدا وقيدت اوامرها وانتظمت فرائدها لئلا يجرى على الخلف من اللطائف الغائبة والخواطر الزائفة مما يملك السمع والبصر اعجاب ويرتفع عن القلب للاصغاء بحجاب

كل مسألة لا يتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل اليها الا باستعانة من درسي امرها وسبر فلا بد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتقصير لاسيما ان تلك ذات شعوب واحراف وفروع واصناف لاجرم ينبغي استقراءها وتعرفها واستبصارها لاكتشافها لما خباها كنوز الحقيقة ووقوفنا على كل جليلة من دررها ودرقيقة

أكثر من ألف في العلم للالهى او ما وراء المادة تكلم في (الجن) فهو جز ومسموب ومقارب ومغرب والواقف على ما كتبه فلاسفة الاسلام يراه قريبا مما يحتاجه علماء اهل الكتاب في شأنها اللهم الا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن القصد شأن كل شيء جلوز حده

من استقرأ ما كتب وبذل جهده في التنقيب يربيه من علوم الاوائل ما ينبغي عن زهر الرياض حسنه وعن فتحي المسك نشره فن تأمله ازاد وجرما على تأمله ونصفحه مستعيدا بما يستعمله من فوائد

الطريقة المثلى والخطوة الوسطى هي اخذ الملم وايثار الوجود من كل شيء وهذا ما توخاه في هذه المسألة مما طالعه والافقه علم السلف مما بدعش الخلاف فليس لنا الا المختار من آرائهم والمتقى من انبائهم والله ابن المفتح اذ يقول «فتننى عالنا علم في هذا الزمان — زمانه رحمه الله — ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محدثنا ان يقتدي بسيرتهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم»

ان استقصاء ما تقدماء في (مسألة الجن) واستقراءه كله يعود إلى عدة مجلدات وسعة
أوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لذا آثرنا جمع شذرات تكشفت عن وجهها
نقابها وتجلي مدنف عويهاتها لطلابها

يفتصر ما تأثره في هذه المسألة في مقدمة ومقتضيين وخاتمة
أما (المقدمة) فتحكي فيها أمثلة: الفلسفة الثالثة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه
وخصومه وحقيقته ومجازها

وأما (المقدمة الأولى) ففي مذاهب الأعراب ومزاعمهم عني الجن وقد عوى أحد
وعشرين مجتهداً (١) من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يسمعون عزيف الجانث
ويرون الغيلان وما يشبهونه بالجن والشياطين وأعضائهم وأعمالهم

(ب) أضاعهم دبابي تدمر وأدناها إلى الجن

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن

(د) تزيام الجن في مراتب

(هـ) زعمهم ان الغول من انثى الجن وكذلك السعلاة

(و) زعمهم انهم ينظرون لهم ويكلمونهم ويتأخونهم

(ز) مزاعمهم في الهائف والناقل والرئي

(ح) ما روى من هشوفهم بالبعثة المحمدية

(ط) مزاعمهم في أوصافهم ومن قتلوه

(ي) من استهوه ومنهم خرافة

(يا) توهيهم رجل الغول ومعين الشيطان

(يب) مزاعمهم في أرض وبار وبلاد الخوش

(يج) مزاعمهم في الصرع

(يد) مزاعمهم في الطاعون

(يه) ما يزعمونه في قتلهم وتصورهم

(يو) رأيهم في قرناء الشعراء الغول

(يز) خيالهم في جن الشام والهند

(يح) توهمهم ملايح الجن في الانس

(يط) قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان

(ك) ما يحكوه من نيران السعالي والجن

(كا) فلسفة ما تزعمه الاعراب من عريف الجن وتقول الغيلان

(واما المقصد الثاني) ففي آراء فلاسفة الاسلام في الجن (ا) ابن سينا (ب) ابو طالب المكي (ج) الفزالي (د) ابن حزم (هـ) الفخر الرازي (و) القفطاني (ز) الماوردي (ح) القناضي ابو يعلى ابن الفراء (ط) ابن تيمية (ي) ابن القيم (يا) الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لما تأثرت مذاهب الاعراب بما أثر عن الائمة في هذه المسألة انتقلا الى الجد في مباحثها اذ المقصد الاول اشبه بالجمام والمشرع لما شاب جده من مخاريق ومخايل وختمت البحث بمتفرقات من شوارد هذه المسألة تنجها لفوائده وتأيداً لمقاصده

ليس لنا من مزية فيما أثراه الا انتقاء المهم مما طالعناه وترتيبه على هذا الاسلوب .
نسأله تعالى ان يمن علينا بتنوير القلوب ويدخلنا في عبادته الذين يؤمنون باليوب

المقدمة

فيما قاله فلاسفة الائمة في الجن

قال الراغب الاصبهاني في مفرداته في مادة جن : اصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال جته الليل والجنان القلب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة كل بستان يستر بأشجاره الارض (ثم قال) : والجن يقال على الروحانيين المستترين عن الحواس كلها بازاء الانس وسأتي تمة كلامه

وقال الزمخشري في اساس البلاغة : جنة ستره فالجن واستترت بجنة استتر بها واجتنى الولد في البطن واجتنى الحامل وواراه جنان الليل اي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو القلب وجنت الارض بالنبات ولاجن بكذا اي لاخفاء به قال سويد :
« ولاجن بالبغضاء والنظر الشرر »

ونقل الامام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس » ان استثناءه من الملائكة يدل على انه منهم وعن ابن اسحق ان العرب يقولون : ما الجن الا كل من اجتنى فلم يروا ان آية « الا ابليس كان من الجن » اي كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وان آية « وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا » اشارة لقول قريش ان الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الاعشي — اعشى

بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله

ولو كان شيء خالداً ومعمراً

براه النبي فاصطفاه عباده

وسخر من جن الملائكة تسعة

قياماً لديه يعملون بلا أجر

(قال) فابت العرب في لغتها الا ان الجن كل ما جن يقول : ما سمى الله الجن الا

انهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بني آدم انساً الا انهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما

اجتن فلم يرهو جن

ثم قال ابن جرير : واما خبر الله عنه انه من الجن فقير مدفوع ان يسمى ما جن من

الاشياء عن الابصار كلها جنّاً كما قد ذكرنا قبل في شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة

منهم لاجتنانهم عن ابصار بني آدم :

وقال الراغب الاصمعي في مفرداته : الجن يقال على وجهين (احدهما) للروحانيين

المترة عن الخواس كلها بازاء الانس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل

ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعلى هذا قال ابو صالح : الملائكة كلها جن وقيل

بل الجن بعض الروحانيين وذلك ان الروحانيين ثلاثة (اخيار) وهم الملائكة (واشرار)

وهو الشياطين (واوسط) فيهم اخيار واشرار وهم الجن وبدل على ذلك قوله تعالى

« قل اوحى الي » الى قوله عز وجل « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون »

✽ من ادعى من الاعراب والشعراء انهم يرون الغيلان ^(١) ويسمعون

عزيف الجن وما يشبهونه بالجن والشياطين وباعضاءهم واعمالهم ✽

أشدّ أعرابي :

كأنه لما تدانى مقربة ^(٢) وانقطعت اودامه ^(٣) وكربه ^(٤)

وجاءت اغليل جميعاً تذنبه ^(٥) شيطان جن في هواه يرقبه

اذنب فانقض عليه كوكبه

١ « جمع غول وهو شيطان يأكل الناس — يزعمهم — اودابة رأيتها العرب

(قاموس) » ٢ « مصدر ممي أي قربه » ٣ « جمع وذم كسب واسباب وهو سير يشد

في العنق » ٤ « بفخزين حبل يشد في الوسط » ٥ « ذنبه يذنبه ويذنبه تلاه فلم يفارق

اثره كاستذنبه

وانشد:

ابن العقيلي لا تلقى له شبيها
ولو صبرت لثلاثه على العيس^(١)
بيننا تراه عليه الخبز^(٢) في حش^(٣) الكواويس^(٤)
وقد تكفنه غرامه^(٥) زينا
اذ المغاليس يوما حاربوا ملكا^(٦)
وقال ابواخطفي^(٧)

يرفعن بالليل اذا ما اسدفا اعناق جنات^(٨) وهاتما رجفا
وعنقا^(٩) بعد الرسم^(١٠) خيلهما^(١١)

وانشد ابن الاعرابي

غناه كليبي يرعى الجن بينفي
صداه اذا ما آب للجن آيب
وقال الاعشى:

فاني وما كلفتموني اتباعه
ليعلم ربي من اعق^(١٢) واحوبا^(١٣)
لكالطور والحي يضرب ظيره
وما ذنبه ان عافت الماء مشربا
وقال الرقياني:

بين اللهى منه اذا همددا
مثل عزيف الجن^(١٤) هدت هذا
وقال ذو الرمة:

قد اعسف^(١٥) النازح المجهول معسفه
في ظل اخضر بدعوهم^(١٦) اليوم
للجن بالليل في ارجائها زجل^(١٧)
كما تناوح بين الريح عيشوم^(١٨)

«١» العيس بالكسر الابل البيض «٢» اي يمشي مشية الشيخ «٣» الحش مثلثة موضع قضاء الحاجة «٤» جمع كرباس وهو ثوب قطن والكربة مشي المقيد «٥» جمع عارم وهو الشرس الشديد المؤذي «٦» اي جوع عظيمة «٧» بفتحات لقب حذيفة جد جبرير الشاعر «٨» جمع جن «٩» بفتحتن نوع من السير «١٠» الرسم حسن المشي «١١» كهيكل سريع المشي «١٢» صار الى الحبوب بانفتح وهو الاثم «١٣» العزيف صوت الجن وهو جرس يسمع في المغاوير بالليل والبد الصوت الغايظ «١٤» اعسف عن الطريق مال وعدل وتخطه على غير هداية «١٥» الهام جمع هامة وهو طائر من طير الليل وهو الصدى «١٦» الزجل بفتحتن رفع الصوت «١٧» جمع عيشومة وهي شجر وما حاج من نبت

دوية^(١) ودجى ليل صكاهها^(٢) تراطن^(٣) في حافاته الروم
وقال :

وكم عرمت بعد السرى عن محروس^(٤) بها من صداء الجن اصوات سامر
وقال :

كم جيت دونك من بهاء مظلمة تيه^(٥) اذا ما غنى جفه سمرا
وقال :

ورمى لعزف الجن في عقدائه هنير كضراب الغنين بالطبل
وقال :

وتيه خبطنا غولها وارتمى^(٦) بنا ابو البعدن ارجائه المتطاوح^(٧)
فلاة لصوت الجن في منكراتها هيرر والايوام فيها نوايح
وطول اغتامي في الدجى كلما رعت من الليل اصداء المثاني الصوايح
ويقولون لمن به لقوة^(٨) او شتر^(٩) اذا شب بالطيم الشيطان ويقولون للرجل المفرط
الطول يا غل التمامه وللتكبر الضخم يا غل الشيطان
وكان عمر بن عبد العزيز اول من نهى الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم
الحلبة وقال : يحملون الصبيان على الجنان وانشد في تشبيه الانس بالجن لابي الجوير بالهدي :
انس اذا امنوا جن اذا نزعوا^(١٠) مرزؤن بهاليل اذا حشدوا
وانشدوا :

وقات والله لترحلنا فلائها تحسبن رجنا

وقال ابن الزوائد :

بحور خفض لمن الم بهم جن بارماحم اذا خطروا
وانشدوا :

أي امرؤ تابهني شيطانيه آخيه عمري وقد آخانيه

(١) الدوية انفلاق (٢) اليم البحر (٣) تكلم بالانجمية (٤) اعمرس القوم نزلوا آخر الليل
للاستراحة كعرسوا والخوض معوس ومعوس والسرى كهدي سير عامة الليل (٥) ارض
تيمه مضلة (٦) ازتمى به الفاء (٧) تنظروحت به التوى ترامت (٨) وانه في الوجه (٩) الشتر
انقلاب الجفن من الي واسفل وانشقاقه (١٠) هذا كقول الآخر من المولدين في التركة
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

يشرب في قعبي^(١) وقد سقانيه فالحمد لله الذي أعطانيه
وقال عبيد بن أوس الطائي :
هل جاء أوساً ليأتي ونعيمها ومقام أوس في الخباء المشرح^(٢)
مازلت الجوى الجن اسمع حسهم حتى دفعت الي راق المروج
وانشد آخر :

ذهبتم وعدتم بالأمير وقتلتم تركنا أحاديثنا ولحما موضعا
فما زادني إلا سناء ورفعة ولا زادكم في التوم إلا تخشعا
فما نقرت جني ولا فلي مبردي^(٣) وما أصبحت طيري من الخوف وقعا^(٤)
واشهرهم في هذا المعنى تنوت الحصر

✽ اضافتهم مبابي تدمر وامثالها الى الجن ✽

قال النابغة الذبياني :

الآ سليمان اذ قال الآله قم في البرية فاحددوها^(٥) عن القند
وخيس الجن^(٦) اني قد اذنت لهم يذنون تدمر بالضفاح^(٧) والعمد
قال الجاحظ : واهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام باكثر
مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليهما السلام « قالوا » ولكنكم اذا رأيتم بنيانا عجيبا
وجهلتم موضع الحيلة فيه اضغتموه الى الجن ولم تمانوه بانفكر . وقال العرجي :
سدت مسامعها اقرب مراحل من نسج جن مثله لا ينسج
وقال الاصمعي الديوف الماثورة هي التي يقال انها من عمل الجن لسليمان بن داود
عليهما السلام فاما القوارير والحمامات فذلك مالا شك فيه . وقال البيهقي :
بني زياد لذكر الله مصعة من الحجارة لم تعمل من الطين
كأنهم اغبر ان الإنس ترفعها مما بنت لسليمان الشياطين
وقال الاعشى في بناء الشياطين لسليمان :

(١) اي قدحي (٢) اي المشعور بالشرح وهو العربي (٣) الفل الثلم (٤) الطير اذا
كانت على شجر او ارض يقال لها وقع ووقع (٥) اي امنعها (٦) اي الكذب (٧) اي
ذللها (٨) كومان سجارة عراض رفاق والعمد جمع عماد

ارى عاديا لم يمنع الموت ربه وورد تيماء اليهودي ابلق^(١)
بناء سليمان بن داود حقة^(٢) له جندل^(٣) صم وطى موثق^(٤)

✽ تفرقهم بين مواضع الجن ✽

قال الجاحظ : كما يقولون تنفذ بركة^(٥) وضب سحا^(٦) وارنب الخلة^(٧) وذئب خمر^(٨)
يفرقون بينها وبين ماينسب لذلك اما في السمن واما في الخبث واما في القوة كذاك
ايضا يفرقون بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خوره من
الخبث والقوة والعرامة^(٩) بما ليس لجلتهم وجمهورهم قال ليبد :

غلب^(١٠) تشدر^(١١) بالدحول كأنها جن البدي^(١٢) رواسياقداها

وقال النابغة :

سهيكن^(١٣) من صدا الحديد كأنهم تحت النور^(١٤) جنة البقار^(١٥)

وقال زهير :

عليهن فتيان كجنة عبقر^(١٦) جديرون بوما ان ينفوا فيشعلوا

وقال - حاتم :

عليهن فتيان كجنة عبقر يهزون بالايدي الوشيح المقوما^(١٧)

(١) الابلق الفرد حصن للسموال بن عاديا بن اياه ابو او سليمان بارض تيماء وقصدته
الزباء فعجزت عنه وعن مارذ فقالت : تمرد مارذ وعز الابلق وتيماء قربة معروفة على
نحو عشر ساعات من منزلة المعظم - احدى منازل ومواقف السكة الحجازية - تابعة
لحكومة نجد (٢) الخقة بالكسر مدة من الدهر لاوقت لها والسنة (٣) كجعفر مايقله
الرجل من الحجارة (٤) اي محكم (٥) بضم فسكون احدى ديارات العرب (٦)
بفتح اوله مقصور الآخر منونا جمع سحاة وهي ناحية وشجرة شاككة (٧) الخلة بالفتح
الثقب الصغيرة والرملة المنفردة (٨) الخمر بفتححتين ملوارك من شجر وغيره وجبل بالندس
كما في القاموس (٩) اي الشراسة والاذى «١٠» جم غلب «١١» تشدر تيماء للقتال
وتوعد وتهدد «١٢» بضم فكسر يقال قوم بدي وبدا بادون «١٣» السهك صدى
الحديد «١٤» بفتح اوله وثانيه وتشديد ثاكه مفتوحا لبوس كالدرع «١٥» واد
وموضع يرمل عاجل كثير الجن «قاموس» «١٦» موضع كثير الجن «قاموس» «١٧» اي
الريح واصل الوشيح شجر الرماح

﴿ تنزيلهم الجن في مراتب ﴾

قال الجاحظ : ثم ينزلون الجن في مراتب فاذا ذكروا الجني سالما قالوا جني . فاذا ارادوا انه من سكن مع الناس قالوا عامر والجميع عمار . وان كان ممن يمرض للصبيان فهم ارواح فان خبت احدثهم وتعزم فهو شيطان . فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجمع عفاريث . وهم في الجملة جن ونوافي قال الشاعر

ولا يحس سوى الحافي بها أثر

فاذا ظهر الجني ونطق وانقى وصار خبيراً كنه فهو ملك في قول من تأول قوله « كان من الجن ففسق عن امر ربه » علكي ان الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون : كان منهم علكي الاضافة الى الدار والديانة لعلكي انه كان من جنسهم وانما ذلك علكي قولهم : سليمان بن يزيد العدوي وسليمان بن طوحان النيسي وابو علي العبدري وعمرو بن قائد الاسواري : اضافوهم الى المحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة :

وقال آخرون : كل مستجن فهو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قيل له جنين لكونه في البطن واستجنانه وقيل لبيت الذي في القبر جنين وقال عمرو بن كلثوم ولا شطاء ^(١) لم تدع المنايا لها من تسعة الاجئينا

يغير انما قد دفتهم كلهم « قالوا » وكذلك الملائكة من الحفظة والحملة والكروبيين ^(٢) فلا بد من طبقات ، وربما فرق بينهم بالاعمال واشتق لهم الاسماء من السبب كما قالوا لواحد من الانبياء خليل الله وقالوا لآخر كلم الله وقالوا لآخر روح الله والعرب تنزل الشجعان في المراتب والامم العام شجاع ثم بهمة ^(٣) اليس هذا قول ابي عبيدة فاما قولهم : شيطان الجمالة ^(٤) فانهم يعنون الحية وانشد الاصمعي

تلاعب مثني حضرمي كأنه تعجج شيطان بدوي خروع ^(٥) قفر

وقد يسمون الكبر والطغيان والخزوانية ^(٦) والغضب الشديد شيطانا علكي التشبيه . قال عمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : والله لا تزعن نعرته ^(٧) ولا ضربته ^(٨) حتى اتزع

« ١ » الشطيطايض الرأس يخاطب سواده « ٢ » بتخفيف الراء في القاموس هم سادة الملائكة « ٣ » بضم فسكون قال في القاموس هو الشجاع الذي لا يهتدى من ابن يوثق « ٤ » بفتح الحاء شجر شبيه بالين احب شجر الى الحيات « ٥ » كدرهم نبت لا يرعى « ٦ » بضم الحاء هو الكبير « ٧ » بالانهم اي خيشومه

شيطانه من نحرته^(١) وقال حسان بن ثابت في معنى قوله والله لا ضربته حتى ارفع من رأسه شيطانه فقال

وداوة^(٢) سبب سملق من اليد تعرف جناتها
قطعت بعيرانه^(٣) كافنيق يرح في الآل شيطانها

وابن منه قول منظور بن رواحة

اتاني واهلي بالراح وغمرة مس^(٤) عريف اللوم حتى بني بدر
فلما اتاني ما تقول نقلت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

والاعراب يجعل الخوافي والمستجنات من قبل ان ترتب المراتب جنين تقول حن وجن بالجيم والحاء وانشدوا

ايت اهوى في شياطين ترن مختلف بخارها حن وجن

ويجولون الجن فوق الجن وقال اعشى سليم

فما انا من جن اذا كنت خافيا ولست من التناس في عنصر البشر

ذهب الى قول من قال البشر ناس ونناس والخوافي حن وجن ويقول انا من اكرم الحيين حيث ما كانت

وضعة النساك واغياة العباد يزعمون ان لهم خاصة شيطاناً قد وكل بهم يقال له المذهب يسرج لهم الدبران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم ويربهم العجب اذا غشوا ان ذلك من قبل الله تعالى

(قال) واما الخابل والخليل فانما ذلك اسم للجن الذين يخيلون ويتعرضون من ليس

عنده الا العزيب والنوح وفصل ايضاً لبيد بينهم فقال

اغذل لو كان البداد^(٥) لقوتلوا ولكن اتانا كل جن وخابل

﴿زعمهم ان الغول من اثني الجن وكذلك السحابة﴾

قال الجاحظ: «قالوا» اذا تعرضت الجنية وتلونت وعثت فهي شيطانة ثم غول. ورؤ جعلوا الغول اسماً لكل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والظلال

«١» اي اعلى صدره «٢» الداوية النلاة والسبب الارض البعيدة المستوية والسماء

القاع الصفصف «٣» العيرانة بالفتح من الابل الناجية في نشاط. والفنيق الفحل المكرم

والآل السراب «٤» بكسر ففتح كثير السباب «٥» اي البراز اي لوبارزناهم رجل رجل لغابوا بفتح الباء

ذكر أكان أواني الا ان الاكثر على انه انبي وقيد قال ابو المضرب عبيد بن ايوب
العتيري

وحاللت الوحوش وحالفتني بقرب عمودهن وبالبعاد
وامسى الذئب يرصدني محشاً (١)
وغولاً قفرة ذكر واثي كأنت عليها قطع الجاد
فجعل في النيلان الذكر والاني وقد قال الشاعر في تلونها

وما تزال على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول
فالغول ما كان كذلك . (والسعلاة) اسم لواحدة من نساء الجن تشغول لفتن السفار
« قالوا » وانما هذا منها على العتب او لعابا ان تفرغ انسانا فيغير عقله من اجله عند
ذلك لانهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدوا بعلي بن ابي طالب وحزمة
ابن عبد المطلب وابي بكر وعمر في زمانهما وبغيلان والحسن في دهرهما وبواصل وعمر و
في ايامها وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن ايوب حيث يقول
وساخرة مني ولو ان عينها رأت ما لأقيه من الهول جنت
ازلب وسعلاة وغول بقفرة اذ الليل وارى الجن فيه ارنث (٢)
وهم اذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة مشوقة محضنة
قالوا سعلاة وقال الاعشى :

ورجال قتلى بجني اريك (٣) ونساء كأنهن السعالى
ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السعلاة وقال الراجز :

ياقاتل الله بني السعلاة
وفي تلون السعلاة يقول عباس بن مرداس السلمي :
اصابت القوم غول جل قومهم وسط البيوت ولون الغول الوان
وقال عبيد بن ايوب وكان جوالاً في مجبول الارض لما اشتد خوفه وطال ترده
وابعد في البر

لقد خفت حتى لو تمر حملة لقات عدو او طايعة معشر
فان قيل امن قلت هذي خديعة وان قيل خوف قات حقا فشمير
وخفت خيلي ذا الصفاء ورابي وقيل فلان او فلانة فاحذر

« ١ » يقال هو محش حرب بالكسر اي هو قد لما « ٢ » اي صاحبة (٣) كامير واد

فله در الغول اية رقيقة
أرنت باحن بدلحن واولقدت
واصحت كالوحشي يتبع ما خلا
ومما ذكر الغيلان قوله :

تقوا وقد امت بالانس لمة
اهذا خليل الغول والذئب والذئبي
رأت خلق الادراس^(١) اشعث شاحبا
تعوذ من آبائه فتكثتهم
ومما قال في هذا المعنى :

علام ترى إلى تم ذب بالمني
وصار خليل الغول بعد مدارة
وقال في هذا المعنى :

فلولا رجال يامنع رأيهم
انالك مني نكالك وغارة
اتل بوالاحسان حتى اغرتم
وتزعم الاعراب ان النول اذا ضربت ضربة ماتت الا ان يعده عليه الضارب قبل
ان تقضي ضربة اخرى فانه ان فعل ذلك لم تمت وتذ قال شاعرهم :
فثبيت والمقدار يحرس امله
وانشدوا لابي البلاد الطهوي :

لهان على جهينة ما الاقي
لثيت الغول تسري في ظلام
فقلت لها كلانا نضو^(٢) ارض
فصدت وانجحت لها بعض

(١) الادراس جمع دريس وهو الثوب الخالي (٢) الغبراء من السنين الجدة (٣) جمع
بسبس كبسب اوهر منلوبه وهو الثغر الخالي (٤) بكسر الهمزة وفتح اللام «٥» الارض
المستوية الجرداء (٦) النضر بالكسر حدة الجمال المزول من الابل (٧) بفتح الهمزة
اي معاب

فقد مرانها^(١) والبرد بها نغرت للبدن وللجوان
فقلت زد فقلت رويداني على امثالها ثبت الجنان
شدت عقالها وحطت عنها لانظر غدوة ماذا دهاني
اذا عينان في وجه قبيح كوجه الهر مشقوق اللسان
ورجلا مخدج^(٢) ولسان كلب وجلد من قراب او شنان
قال الجاحظ: واو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الاعراب وهو كما ترى
يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويميزه وقد قال كما ترى:
فقلت زد فقلت رويداني على امثالها ثبت الجنان
لانهم هكذا يقولون يزعمون ان الغول تستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من
ضربة وتعيش من الف ضربة

﴿ زعمهم انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ﴾
قال الجاحظ: ومن قول الاعراب انهم يظهرون لهم ويكلمونهم وينا كحونهم ولذلك
قال شمر بن الحارث الضبي:

وانا قد حضأت^(٣) بعيد^(٤) وهن بدار لأأريد بها مقاما
سوى تجليل راحة وعين اكائها مخافة ان تناما
أتوا ناراي فقلت منون انتم فقالوا الجن قت عموا ظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نخسد الانس الطعاما
وذكر ابو زيد عنهم ان رجلا منهم تزوج السعلاة وانها كانت عنده زمانا وولدت
منه حتى رأت ذات ليلة برقاعلي بلاد السعلاة فطارت اليهن فقال
رأى برقانا وضع^(٥) فوق بكر فلا ياما أسال وما اعاما
فن هذا التناج المشترك وهذا الخلق المركب «عندهم» بنو السعلاة من بني عمرو
ابن يربوع وبلقيس ملكة سباء
وتأولوا قول الشاعر:

«١» يفتح السين اي ظهرها «٢» بفتح الدال هو ولد الافة ناقص الخلق «٣» حضأ
التار او قدحها «٤» تصغير بمد «٥» اي اسرع فوق نافذة واللاي الشدة والاسالة الجري
والاعامة مسير الابل

لام ان جرهما عبادكا الناس طرف (١) وهم تلاكدا
فزعوا ان اباجرم من الملائكة الذين كانوا اذا عصوا في السماء أنزلوا الى الارض كما
قيل في هاروت وماروت فجعلوا سبيلا عشارا مسج نجا وجعلوا الزهرة امرأة نبياً مسخت
نجماً وكان اسمها اناهيد . وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شبيها بهذا
ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين
والارواح والعار اجابوه واطاعوه . فمنهم عبد الله بن هلال الحميري . الذي كان
يقال له صديق ابليس . ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي . وقد كان عبيد يقول
ان العامري حريص على اجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكل لم
يستطع دخوله والحيلة في ذلك ان ينجر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويقتل بالماء
القراح ويدع الجماع واكل الزهومات ويتوحش في الفيافي ويكثر دخول الخرابات
حتى يرق ويلطف ويصبر فيه مشابهة من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن
لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكل لها ومتى عاد خطبه فر بما جن وربما مات قال فلو
كنت ممن يصلح ان يكون لم هيكل لكنت فوق عبد الله بن هلال

« قالت الاعراب » وربما نزلنا لجمع كثير وراينا خياما وقبابا وناسا ثم فقدناهم من ساعتنا
والعوام تروي ان ابن معوذ رضي الله عنه رأى رجلا من الزط فقال : هؤلاء
اشبه من رأيت من الجن ليلة الجن . وقد روي عنه خلاف ذلك
وقال ابو النجم * بحيث تسمن مع الجن الفول * فاخرج الجن من الفول الذي باتت
به الجن . وهذا من عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد ان دخل ذلك الشيء في
الجملة فيظهر الامر خاص

وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من اجواف الاوثان همهمة وان
خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة نخذه حتى عودته الذي
صلى الله عليه وسلم « قال الامام الجاحظ رحمه الله تعالى » وهذه فتنة لم يكن الله تعالى
ليمتحن بها الاعراب من العوام « قال » وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان
التكسب . ولو سمعت او رأيت بعض ما قد اعدت الهند من هذه المخاريق سيفي ييوت
عبادتهم لعلمت ان الله تعالى قد من على جملة الناس المتكلمين الذين قد نشوا فيهم :
بمعني علماء الكلام وفلاسفة الدين عليهم رضوان الله

يتبع

حكم افرنجية

من لم يكن بكرم الشينوخة كان كمن يهدم في الصباح البيت الذي يجب عليه ان ينام فيه في المساء (كار)

لا يجب المرء ان يحبه الناس الا لانه يجب نفسه وربما ليعمل له سبباً الى ان يجب اكثر مما يجب (ديدرو)

كلما اراد احق ان يكون شتياً يصادف شقياً يبحث عن احق آخر «بومارشيه»
المرء في حاجة الى غيره سعيداً كان او شقيماً فمره قصير اذا لم يعيش الا بنفسه «دليل»
الهدم هو النقطة الكبرى ولم يصل اليه احد منا فكلنا اناس سائرون في الطريق «كاسباران»

ليس من الامور العظيمة ان يكون عقل المرء حاداً اذا لم يكن مستقيماً فليس كمال الساعة الدقاقة بسرعة سيرها بل بانتظام ادواتها

يدفع العمل عنا ثلاث مفسدات: الملل والرهبة والحاجة .
توشك السلطة في البلاد المصابة بالجمود ان تنزل الى ايدي المهذرين السافطين من الناس

افضل السلطات مالم يشعر المرء بنقل وظائفه
ما من جندي مهما كان الى الضعف والضعف الا ويحب ناداً في نظر آخرين
افضل الاطباء من ركض في البحث عنه . زينه فلم يجدوه .
الذار تغلي الماء والماء يطفي النار فلا تدفي ناكراً الجميل فانه يطفي شعاعك
ينف ريش البط في القرى وريش المتناضين في المدن
حاذر من اظهار مكانتك لثلاث اكثر معادوك
اني لا اؤثر ان اخدع علي ان اعيش ابداً في حذر وهو ابن الجبن وابو الدجاجة
«بوسويه»

لو كنت اعلم شيئاً نافعاً لوطني منغراً للجنس الانساني لابقيت عليه كما اُبقِيَ علي جريمة ارتكبتها «مونتيكيو»

اخرى الناس بالاستماع من يستعمل الكلام للتعبير عن الفكر والتفكير لبيان الحقيقة والفضيلة «فيلون»

غرائب الغرب

الطباعة الباريزية

المعنا مرات في الفصول السالفة الى تفنن الباريزيين في الامور الدوقية والطباعة من جملة فنون الذوق وان كانت تتوقف على علم وفضل تجربة . واجور الطبع هنا غالية لغلاء الاسعار واجور الدور والمنازل فالعامل الجيد لا يرزق اقل من نصف ليرة واقل عامل لا يرزق اقل من اربعة فرنكات في يومه . ولذلك ترى بعض ارباب المجلات وغيرهم من المؤلفين والطابعين يطبعون مجلاتهم وكتبهم في مطابع الولايات لخص اجورها وجودة طبعها الذي لا يختلف عن المطابع الباريزية في شيء

ومن جملة المطابع العظمى التي زرتها مطبعة الامة اي مطبعة الحكومة التي أسسها لويز الثالث عشر سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى قصر الكردينال روهان من اجل القصور الباريزية القديمة المعروف بيت اساقفة ستراسبورغ . وقد أنشئت لها بناية هائلة في شارع الكفانسيون لضيق هذا المكان على سعته البالغ سطحها عشرة آلاف متر مربع

تدخل من الباب فترى في فناء الدار تماثال غوتنبرغ مخترع الطباعة والمتفضل على الانسانية معمولاً من البرونز فلا تماثلك من الدعاء له وذكر يرض اياديه على العالم ثم يأخذك الدليل في الوقت الذي تعينه لك من قبل ادارة المطبعة ويطوف بك قاعات مسابك الحروف وفيها حروف في ثمانين لغة واللغة العربية في مقدمة لغات الشرق رأينا عم في بعض الغرف كتبوا بيتاً من الشعر العربي ليرن الاستاذ العملة على تعلم هذه اللغة فيحسنوا تنضيد حروفها بفهم

(١) من كتاب لنا نجت الطبع

ثم طاف بنا الدليل قاعات التضييد والتجليد والطبع والطباعة فرائنا كل شيء
قد جعل في مكانه اللائق به والعمله والعاملات يعملون في مكان واحد كتباً
الي كتب وقد يتولى الاعمال الشاقة الرجال من دون النساء . وعدد
العاملين والعاملات في المطبعة يناهز الالف والخمسمائة وفيها مايربو على ستين
آلة طابعة على آخر طرز منها خمس آلات من المعروف بالروتاتيف وعلى مثلها
تطبع جميع الجرائد الكبرى في الزرب اليوم . وتتفق الحكومة على هذه
المطبعة نحو تسعة ملايين فرنك مساهمة وفيها تطبع الجريدة الرسمية ومطبوعات
الحكومة والنشرات ومناسيرها وفهارسها واوامر دافالا استعداد فيها تام لكل
ما تطلب الحكومة طبعه وليس في وقتها متسع لطبع مطبوعات الافراد
وناهيك بمطبعة حوت من الادوات ما يلزمها من سبك الحروف حتى التجديد
وناهيك بكثرة اشغال حكومة الجمهورية التي تقع ميزانيتها وحدها في ثلاثة
آلاف صفحة كبيرة يطلب طبعها في وقت قصير وهذا لا يتيسر الا بمطبعة
متقنة جداً .

ولهذه المطبعة معامل للتصوير الشمسي وطبع الصور والطبع المحفور
المجوف والحفر على الخشب والحفر على النقش والحفر الناقى على النحاس والزنك
والطبع الملون وطبع الحجر والتصفيح والطبع المنحس وغير ذلك من التفنن
في الطباعة . وتسمح المطبعة باعارة الطابعين بعض الحروف الغريبة من
اللغات الاجنبية ولا تطبع من الكتب الا ما كان بلغة غريبة لا يوجد من
حروفها في كل مطبعة وذلك لمحض خدمة المعارف والفنون .

هذه جملة ما يقال في مطبعة الامة ولو جمعت مطابع مصر كلها مادانتها
بالمكانة وكذلك لو جمعت مطابع الاستانة واضفت اليها مطابع الولايات

العثمانية برمتها والمطبعة التي تنفق عليها الحكومة نحو اربعمائة وخمسين الف ليرة في السنة يستجبل على حكومة كالحكومة العثمانية والمصرية ان تقوم بنقلها وهي لا تنفق على المعارف كلها نحو هذا القدر من المال او اكثر منه بقليل فتأمل



مدرسة فرنسا

من المعاهد التي استغرقت شطراً كبيراً من وقتي في باريز دروس مدرسة فرنسا (كوليج دي فرانس) لسهولة التلقي فيها في كل علم يخطر في البال ولأن هذه المدرسة ذكرتني بمسارس الاسلام ايام حضارتنا وقد جعلوا العلم مباحاً لكل طالب يلغونه اياه بلا عوض

في شارع المدارس بالقرب من كلية السوربون قام بناء عظيم أسسه فرنسيس الاول ملك فرنسا حوالي سنة ١٥٣٠ وجعل فيه درسين الاول لتعلم اللغة الرومية والثاني للعبرانية وسمى المدرسة مدرسة الملك فأنت الكلية اذذاك ان قد استهين بها فاعززت الى مدرسة اللاهوت ان تهتم مدرسي مدرسة الملك بانهم يدعون الى الزندقة فخال الملك دون صدور الحكم عليهما واضاف الى المدرسة درساً في الفصاحة اللاتينية ليخلص وجماعته من تهمة الاتحاد وما زال عدد الدروس يزيد على عهد كل الملوك حتي اضاف اليها هنري الثالث درس العربية ونابوليون الاول درس التركية ولم يرح بناؤها ودروسها عرضة للقلب والابدال حتي على عهد الجمهورية الثالثة

ولقد اصبحت هذه السنة الدروس التي تلقي على الناس مجاناً ٤٩ درساً يصح ان يقال انها مجموع علوم البشر يتولى تدريسها اعظم اساتذة هذه البلاد

وعلمائها من اشتهروا بفن او علم اولفة وصرفوا في البحث فيه شطراً مهماً من حياتهم ولم ار في هذه المدرسة استاذاً تقل سنه عن ستين الا بعض معاونين ممن يتجاوزون الاربعين وينتخبهم المجمع العلمي او المجامع العلمية الخمسة واساتذة المدرسة ويقبض الاستاذ عشرة آلاف فرنك في السنة ولا يتجاوز مدة

الدروس ستة اشهر يتلو في خلالها درسين في كل اسبوع فقط

اما العلوم التي تلقى على جمهور المستمعين فهي (١) علم الانتقال التحليلي والسمائي (٢) العلوم الرياضية (٣) علم الطبيعة والرياضة (٤) الطبيعة العامة والتجريبية (٥) الكيمياء المعدنية (٦) الكيمياء العضوية (٧) الطب (٨) علم الحياة العامة (٩) تاريخ الاجسام الغير العضوية الطبيعي (١٠) علم تكوين الجنين (١١) التشريح العام (١٢) علم النفس التجريبي (١٣) تاريخ العلوم العام (١٤) تاريخ التشريع المقابل (١٥) الاقتصاد السياسي (١٦) الجغرافيا والتاريخ والاحصاء الاقتصادي (١٧) تاريخ العمل (١٨) جغرافية فرنسا التاريخية (١٩) تاريخ الاديان (٢٠) الفلسفة الاجتماعية (٢١) علم الاجتماع الاسلامي (٢٢) علم الجمال وتاريخ الفنون (٢٣) علم الكتابات والعاديات الرومانية (٢٤) الكتابات والعاديات اليونانية (٢٥) الكتابات والعاديات السامية (٢٦) الآثار المصرية واصول لغاتها (٢٧) الآثار الاشورية واصول لغاتها (٢٨) الآداب العبرانية والكلدانية والسريانية واصول لغاتها (٢٩) الآداب العربية واللغة العربية (٣) النقود القديمة ونقود القرون الوسطى (٣١) آداب اللغات الصينية والتتيرية والمنشوية ولغاتها (٣٢) آداب اللغة السنسكريتية (٣٣) آداب اللغة اليونانية (٣٤) فقه اللغة اليونانية (٣٥) تاريخ آداب اللاتينية (٣٦) التاريخ الوطني والعاديات الوطنية (٣٧) الفلسفة الحديثة

(٣٨) اللغة الفرنسية وآدابها في القرون الوسطى (٣٩) اللغة الفرنسية الحديثة وآدابها (٤٠) اصول اللغات الجرمانية وآدابها (٤١) لغات اوربالجنوبية وآدابها (٤٢) اللغات والآداب السلتية (٤٣) اللغة السلافية وآدابها (٤٤) علم النحو المقابل (٤٥) العاديات الاميركية (٤٦) الرياضيات (٤٧) تاريخ فن الموسيقى (٤٨) التاريخ العام والعاريفة التاريخية (٤٩) اصول اللغات الهندية والصينية وتاريخها هذه العلوم التي تدرس في مدرسة فرنسا ولا يستغرق الدرس منها ساعة يتلوفي خلالها الاستاذ زبدة علمه وبمحبته ولا يكتر المستمعون الا في بعض الدروس التي رزق اساتذها فضل بيان وطلاقة لسان واكثر الحضور غرباء اي غير فرنسوين وفيهم كثير من الفتيات طالبات العلم من قصدن فرنسا من المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا وايطاليا وبلغاريا ورومانيا والصرب والسويد واسبانيا واميركا ليغترفن من مدارس باريز ويكمن لغتها الجميلة . فكان اهل هذه العاصمة زهدن في حضور هذه الدروس المجانية وازهد الناس في الرجل امله وجيرانه . وان دروساً يعد من جملة اساتذتها لفاصور وبول لوروا بوليو الاقتصاديين وماسيرو وغانو الاثريين وجولييان ومونو المؤرخين وبرجسون وريو الفيلسوفين وغيرهم من الائمة الاعلام لحرية بان يستفيد منها كل طالب ويعترف من درر بحورها عاشق العلم

وان هذا المعهد ليولي فرنسا شرفاً ليس وراءه غاية ويدل على تفانيها في نشر المعارف والاخذ بابيدي القائمين عليها وينادي بلسان الحال والمقال على توالي العصور والاجيال ان فرنسا اذا هرمت في سياستها واخلاقها فهي على الدهر فتية في جمال علمها وجدة حكمتها

التجارة الباريزية

لم يكتف الفرنسيون بل الغربيون بما بلغوه من اسباب الراحة والرفاهية بل تراهم يعملون ليهم ونهارهم لثلاثين سنة بل بلداً آخر او مملكة مملكة أخرى كأن المنافسة التي هي من اعظم عوامل الارتقاء قد تجسست في صدر الكبير والصغير من الافرنج فكان من آثارها ما يبهتنا من تلك الحضارة الراقية والسعادة الشاملة

رأيت روح الاجتماع مستحكمة في اعمال الاوربيين فلا يكاد يأتي زمن قليل حتى تصبح جميع مشاريعهم واعمالهم شركات وجمعيات لينفي عمل الفرد ويظهر عمل الجماعة ويتراجم نصف الواحد امام قوة المجموع فقد ظهرت لتلك الامم نتائج الاشتراك جماعة ظهوراً لا ينكره الا من يكابر حسه ويفش نفسه فانشأ من كانوا الى الانفراد في متاجرهم ينضمون بعضهم الى بعض ومن عاشوا بالوحدة يربحون ويخسرون فلا يدري بهم احد عدلوا عن سالف طريقهم واقتدى المتأخر بالمتقدم او العناصر اللاتينية والسلافية بالعناصر الانكليزية السكسونية

مثال ذلك مدينة باريز مهد الحضارة اللاتينية فانك تجد معظم مشاريعها ومتاجرها ومصانعها اشركات ومشاريع الافراد ومتاجرهم ضعيفة ضئيلة لا تكاد تحيا حتى تموت وكلها آيلة طوعاً او كرهاً الى الاندماج في سلك الاشتراك مع الجماعة . دخلت كثيراً من مخازن باريز فكنت اشهد على قلة الماي بنف التجارة روح الجماعة مرفرفة عليها وتمدد القوى زائدة في غنائها وحسن النوق وسلامة الابداع تتخلل ارجاءها وتزيد بهاءها .

باريز اعظم بلد تصرف فيه السوق المالية والتجارية والصناعية من فرنسا

وروثوس اموالها مقدمة جميع متاجرها ولا تفوقها في ذلك الا لندرا . وقد بلغ عدد مافي باريز من البيوت المالية والمصارف وشركات الضمان فقط زهاء الف مئله محل توشك ان تكون كلها الشركات واعظم متاجر باريز بل فرنسا تجارة الاطعمة المحضرة والامته والثياب والازياء وكلها مهمة جداً لا بكثرة عددها بل بمكانتها وفخامتها وانتظام اعمالها .

زرت بعض هذه المخازن من مثل لابل جارندنيير والبرنتان واليون مارشه واللوهر ولافايت ودوفاييل وكل واحد منها يتتبع بها حوى قطراً واسعاً من اقطار الشرق ويحتاج وصفه الى الكلام ساعات على شرط ان يكون المتكلم عارفاً بالتجارة وما يتصرف او يتوقف عليها وتتوقف عليه وكل مخزن يعد مستخدموه وموظفوه بالثبات ففي مخزن دوفاييل وهرلفرش الدور والقصور وما يلزم لها من الاثاث والحرف والرياش والاواني والسرور والصناديق والمقاعد والمتكآت والكراسي وادوات الطبخ وكل ما يتصرف تحت انواع الزينة والتبرج والبذخ والرفاهية ما يأخذ بمجامع القلب ويعد من اغرب غرائب الغرب . ولا يقدر المرء ان يطوف هذا المخزن في اقل من ثلاث ساعات اذا احب ان يلقي نظرة واحدة على مافي من التحف والامته الثمينة وهو قصر فخيم جداً لم ار اجهل من نقوشه البديعة وبنائه العظيم سوى متحف اللوفر ومتحف فرسفال ودار المجلس البلدي الباريزي . وفي مخزن دوفاييل محل للتمثيل ومحل للموسيقى ومحل لالعب السينماتوغراف يختلف اليها الزائرون باجور معتدلة جداً والغرض منها ان يمروا ببعض مخازن ذاك المحل الكبير فيكون مرورهم بها والقاء انظارهم عليها بمثابة اعلان عما فيها من الاعلاق النفيسة وببركة الاعلان يشتري من لم يكن تحدته نفسه بالشر .

ومن الغريب ان هذا المكان الذي لا يشبهه في الفخامة الا ارقى قصور الملوك والامم كما قلنا آخذ الآن في توسعة مخازنه لانها ضاقت به على سعتها وما ادري ما هو رأس ماله ولا مقدار ارباحه وعدد مستخدميه وغاية ما رأيت ان مصرفه اشبه بمصرف كبير بل هو في سعته وكثرة مستخدميه اشبه بمصرف الكريديس ليونه في القاهرة لا في باريز فانه هناك العجب العجيب بعينه .

وقرأت في احصاء اخيران مخزن لافاييت احب ان يزيد رأس ماله فقرر من اهموه ان يزيده اثنتين وعشرين مليوناً ونصف مليون من الفرنكات فاذا كان مخزن واحد زاد رأس ماله في جلسة نحو مليون ليرة عثمانية فكيف يكون اصل رأس المال .

ومما هو حري بالنظر في المسائل الاقتصادية ان اهل باريز على شدة كرههم للامان يتعاونون في بلدهم البضائع الالمانية لرخص اسعارها والتفنن في ابداعها حتى كادت بضائع الالمان تأتي على بضائع فرنسا مع جودة هذه وممانتها واصبحت بذلك معظم البيوت التجارية لاناس او لشركات من الالمان وغيرهم ومثل ذلك قل على ما قرأته في احدى المجلات عن تجارة اندراو تجارة نيويورك فان القسم المهم منها بيد الالمان يصرفون على الانكليز والاميركان سلمهم وحكومة انكلترا واميركا مع شدة حرصهما على مصلحة قومهما التجارية لم تستطعا بالتعاريف الجركية ولا بغيرها ان يقياسداً منيعاً دون تسرب البضائع الالمانية اليهم . ولكن المانيا او العنصر الجرمانى ومن لف لفه تحارب هذه الحرب التجارية بسيف العلم والمعارف وسدود الدول لا تقوى على صد هجماتها المعقولة

ذكر الاحصائيون ان مدارس المانيا تخرج كل سنة اربعين الف طالب ويدهم الشهادات التجارية فاين يذهب هؤلاء الرجال بعد؟ وهل لهم الا ان يصرفوا متاجرهم في مشرق الشمس ومطاعمها بان طرق الاقتصادية المدهشة . فكم رجل تخرج من البلاد المصرية العثمانية ياترى حتي الآن في المعارف التجارية وكم طالب اتقن اللغة الالمانية منا حتي اصبح يكتب فيها . ويترجم منها واليا كما يكتب الفرنسية او الانكليزية ويترجم بها ومنها ؟ قال لي احد علماء الالمان اتدري باي شيء غلبنا الفرنسيين في حرب السبعين قلت لا اعلم قال غلبناهم لاننا كنا عارفين بما عندهم اما هم فلم يكونوا يعرفون ما عندنا وانا اقول ان اقتصارنا معاشر العثمانيين والمصريين والسوريين خاصة على تعلم اللغة الفرنسية في الاكثر هو من الاحتكار الضار فيجب ان نعرف او بعضنا لغة امة كبرى تريد ان تحارب العالم حرباً اقتصادية حتي لا يكون مثلنا مثل الفرنسيين مع جيرانهم الالمان قبل حرب السبعين جهلوا ما عندهم ففسروا في مادياتهم ومعنوياتهم :

نعم نتوزع على الاخذ من اوربا كل ما تمتاز به مملكة من ممالكها فنحول وجهتنا بعد الآن الى جرمانيا لتعلم علومها واقتصادها ومتاجرها وبريتها ونأخذ عن فرنسا الزراعة والحقوق وعن انكلترا السياسة والعلوم والبحرية وعن ايطاليا الصنائع النفيسة ونجعل للغة الالمانية والاطالية حظاً من عنايتنا حتي لانكون حكرة مضررة لحكومة خاصة من حكومات الغرب فحن كما نريد في السياسة ان نعامل الدول كلهن بوثاق يجب ان نأخذ عن كل دولة راقية احسن ما عندها حتي لانكون من الجالدين على امة بيمينها والجالمدون في مسائل الدين كالجالمدين في مسائل الدنيا لا يخلو حالهم من ضرر على المجتمع .

الاعلان اساس التجارة

تقدم في الفصل السالف ان البيوت التجارية في باريز تباع ماتبيع ببركة الاعلان عن نفسها وهنا مجال لان افصل ذالك الكلام المجل فاقول : كل من زار مدينة اوربية او اميركية من ابناء هذا الشرق الاقرب يأخذ العجب من وفرة الاعلانات وتفننهم في نشرها والفرنسيين في الاعلانات مقلدون لا مجتهدون قادروا الاميركان والانكليز وهو لا ينفقون عليها نفقات لا تكاد تصدق فقد ذكروا ان معمل الموازين (١) فيربانك وشركاؤه الذي كان ينفق على الاعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مسانهة اخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف فرنك وقد كان خصص احد معامل الصابون ثلاثين الف ريال للاعلان عن مصنوعاته وهو اليوم يصرف الف ريال في اليوم وتخصص المعامل الكبرى التي تباع بالمفرق في مدينة نيويورك وحدها زهاء اربعة ملايين ريال في السنة لنشر اعلاناتهم في الصحف وفي مدينة شيكاغو يستعملون البريد لنقل قوائم باعلاناتهم وقد انفق احد اصحاب المخازن لارسال طبعة واحدة من الاعلانات بطريق البريد ٦٤٠ الف ريال وليس من محل في اميركا الا ويصرف خمسة في المئة من ارباحه على الاعلانات وقد انفق احداهم ٧٥٠ الف ريال للاعلان عن موسى له فباع ستة ملايين موسى وكذلك فعل توما بيشام بحجوبه فصرف للاعلان عنها مليوني جنيه فاشتهر باسم النمل او صاحبه من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي وترداده في افواه ارقى الامم واوحشها موقوف على كثرة التفنن في الاعلان عنه والبذل في هذا السبيل عن سعة حتى قال كارنجي اعظم اغنياء الاميركان :

إذا أردت أن تباع قبعة بريال فانك تستطيع أن تباعها بريالين إذا وضعت اسمك عليها وذلك لأنك تفهم الناس بأن لاسمك بعض القيمة .

وذكروا (١) أن شركة ولن سي الاميركية وهي شركة معامل اصوف مؤلفة من ٢٧ معملًا رأس مالها ٦٩٠ مليون ريال وكانت مجموع ارباحها سنة ١٩٠٢ ١٨٧٥٠٠٠٠٠٠ على حين بلغ مجموع المنسرجات الصوفية المصنوعة في الولايات المتحدة كلها ملياراً و ٤٨٥ مليون ريال فيبيدها جزء من ثمانية اجزاء من عمل الصوف ذكروا انها توصلت بفضل الفن في الاعلان عن نفسها الى ان كادت تلتهم جزءاً عظيماً آخر من ارباح الشركات الاخرى ان لم تكن التهمت حتى الآن

والطرق الى ذلك مختلفة فمن ضروب الاعلانات الاعلان في الجرائد والمجلات على اختلاف انواعها ووضع صفائح مخصصة في الصفحة السابعة والثامنة اي الاخيرة واعلانات في شبك ودرج الاعلانات في اخبار الجرائد وبين اخبار الرياضات والسباق ودور التمثيل والازياء واداء اجها في المقالات وتعليقها على حيطان الدور وفي شوارع المدن والقرى وعلى طول السكك الحديدية وفي اماكن النزهة والمناظر التي يسرح فيها الناس وفي عجالات الحوافل والترامواي والسكك الحديدية تحت الارض وفوق الارض وستور دور التمثيل والقصور وجميع الاماكن العمومية حتى المراحيض وترسم الاعلانات على القرطاس الذي يضعه الكاتب تحت يده وعلى المقطع والسكاكين وعلبه عيدان الكبريت والدواة والبارموترو كتب التقويم وورق

(١) كتاب الاعلان الرابع المقتول لارين

La publicité lucratif et raisonnée, par J. Arrén.

النشائف وبطاقات البريد وتجعل من الورق الملون والمقوى والزجاج والخزف والحشب والمعدن وغيرها . وتبدو في المساء بالوان مختلفة مقطعة بادية بالكهرباء وغيرها مما يلول ذكره

ومن غريب تفننهم في الاعلانات ان مخزن ادوات نجاسية وحديدية في ليفربول اخذ يعلن في جرائدها بأنه يقدم مفتاحاً بلا ثمن لكل من يضع مفتاح بابه او خزانته بهذه الوسطة كان يأتيه المضيق فينصح له المحل بان يتناع قفلاً ناعلاً وينير القفل القديم حتى لا يقع المفتاح في يد لص وربما هانت عليه السرقة فبعض الناس يتناعون وبعضهم يكتفون بأخذ مفتاح بلا ثمن ولكن التصح يفعل في اكثرهم . واخترع احد البدالين من بائعي الماء كولات المضرة في لندرا طريقة للاعلان عن محله بان اغتم فرصة حضور جوق تمثيل فابتاع مئات من الكراسي المستخدمي محله ادخلهم على زنتقه فتحدث القوم بذلك وذكرته الجرائد فحصل المقصود للمحل بالاعلان عن نفسه . ومن غريب تفننهم ان احد مخازن القبعات في بلتيور في اميركا اعلن في الجرائد انه يريد ان يعرف احد النساء المحكوم عليهن بالقتل فاهتدى اليها واعطاها مئة ريال على ان تقول قبل ضرب عنقها هذه الجملة : « كل ما استطيع ان افوله الآن هو ان محل المستر بلانك يعمل احسن القبعات بريالين » ثم قطع عنقها واغتني صاحب المعمل .

والامثلة على ذلك كثيرة ويكفي القاء النظر على اي حائط او مجلة او جريدة لتعرف مبلغ تفنن الغربيين في الاعلان والاساليب في الكتابة التي يختارونها والصور المتنوعة ومنها المضحك وغيرها الجدي وبعضها لطيف وآخر بشع ومنها السياسي والادبي والعلمي وقد جعل الانكليز السكسونيون

للإعلانات قواعد حتى صارت علماً من العلوم لا يبرز فيه إلا من حسن ذوقه وعرف النقش والرسم والتصوير والطباعة وكان ملأً بالافتصاد السياسي وعلم النفس ومحبطاً بعالم المالقة والصناعة والتجارة والجرائد والمجلات وكان ذاهبة بالتفنن والادب والخطابة حاسباً كاتباً مقنعاً يعرف التفنن في المسائل الحاضرة أو يحسن علم الحال

ولا تعيش معظم الجرائد والمجلات الكبرى إلا باجور اعلاناتها حتى ان اجرة صفحة واحدة مرة واحدة في جريدة «لادي هوم جورنال» تؤجر بالف جنيه ٠ ويؤخذ من احصاء صدر سنة ١٩٠٠ ان في الولايات المتحدة ١٨٢٢٦ جريدة ومجلة بلغ مجموع ما يطبع من اعدادها من كل نسخة ١١٤٠٢٩٩٠٣٣٤ ومجموع ما طبعه في السنة ٨٠١٦٨٠١٤٨٠٧٤٩ وبلغ مجموع ايرادها تلك السنة ٨٧٨٠٩٤٨٠٢٥٠ فرنكاً منها ٤٧٩٠٣٠٥٠٦٣٥ فرنكاً من اجور الاعلانات اي ٥٤٦٥ في المئة من مجموع دخلها وطبع بعض الجرائد نسخاً خاصة بنشر الاعلانات فقط وتوزعها على مشتركيها ومن الجرائد ما لا يطبع غير الاعلانات وتوزع مجاناً ٠ ويصرف احد بيوت الثياب في فيلادلفيا نصف مليون فرنك في السنة اجرة صفحة واحدة من احد الجرائد الكبرى في تلك المدينة اسمها لوكورد ويصرف مخزن آخر يريد منافسته مليون فرنك على اربع جرائد ٠ ومن كتاب الاعلانات من يرزق الف ليرة في السنة

ومن الاعلان الغريب ان بعض التجار ليس لهم بيوت ولا مخازن بل هم يطبعون اعلانات وينشرونها في قوائم خاصة وعلى صفحات الصحف والكتب والرسائل فيرسل الطالبون بالبريد يطلبون منهم ما يشاؤون من بضائع

وما كولات وهم يرسلونها اليهم بالبريد ايضاً وهذه الطريقة اخترعت في الولايات المتحدة لان ثلاثة ارباع سكانها يعيشون في القرى والمزارع بعيدين عن مراكز التجارة واشغالهم لا تسمح لهم بالاخلاف الى المدن لابتياح مايشاؤون وبهذه الوساطة يوفرون عليهم عناء التعب والمساومة ويصلهم مايشتهون وهم في اعمالهم وناهيك بما في هذه الطريقة من تبادل الثقة بين التاجر والشاري وفي شيكاغو وحدها تباع مثل هذه المحال التجارية في السنة بما قيمته ملياران وخمسمائة مليون فرنك وأن ثلاثة محال منها لتأخذ وحدها كل يوم خمسة وعشرين الف رسالة في طلب مايلزم اصحابها . وقد حسبوا ان عشرة ملايين اي ثمن اهالي الولايات المتحدة يبتاعون حاجياتهم على هذه الكيفية .

وان لاحد هذه المحال التجارية في شيكاغو زبناً يبلغون مليوني نسمة يتناول منهم في السنة اربعة ملايين رسالة وهذه الرسائل لا تفتح واحدة واحدة بل تجعل كل ستين منها في آلة تفتح كلها بلحظة ثم ترسل الى مئات من البنات تجعل كل قسم مع قسمه وكل طلب مع ما يضارعه وتجعل في لواب كهربائية لاتقل عن خمسة عشر الف لواب وترسل في اسرع ما يمكن الى البيوت التي تقدم للحل طلباته وهي لاتقل عن ٧٧ الف نوع فتاتي كلها على جناح البرق بحيث يكون العمل ما يمكن مستغنياً عن الايدي الكثيرة على ان محلاً واحداً من هذه المحال التجارية التي تباع بالمراسلة عنده من المستخدمين ٦٢٠٠ مستخدم ولم يكن صاحبه قبل ربع قرن يملك ايرة واحدة وثروته تعد اليوم بلايين الليرات والناس يطالبون الى محله والى غيره من المحال التي على شاكلته كل ما يخطر بالهم ومنهم من يطالبون او يطلبون الزواج بواسطته .

وعلى الجملة فانك لا ترى في ديار الغرب محلاً تجارياً او معملاً او
 مشغلاً بالفنون الجميلة بل ولا عالماً ولا كاتباً ولا صانعاً الا وينفق جزءاً
 من ماله على الاعلانات ليربح المئتين مئتين وللإعلان يد طولى في عامة الاعمال
 الصناعية والزراعية والعلمية ولولاها ماراً يا المخازن الكبرى والمعامل الكبرى
 والجرائد الكبرى فعسى ان يقتدي الشرق باخيه الغرب في هذا السبيل فيعان
 خصوصاً عن اصقاعه الجميلة ليحذب السياح اليها ويربح منهم مئتين الانوف
 من الليرات كما فعلت سويسرا واغتنت بعد فقرها بكثرة تشويق العالم الى
 زيارة ربوعها وكما فعلت فرنسا وايطاليا والمانيا وغيرها من اصقاع اوربا واميركا
 مثل مدينة دالاس في ولاية تكساس في الولايات المتحدة فان اهلها كانوا
 سنة ١٨٨٠ عشرة آلاف نسمة فازمعت بعضهم ان يؤسسوا نادياً سموه نادي
 المئتين والخمسين الفا اي ان مدينتهم ستكون سنة ١٩١٠ مئة وخمسين الف
 نسمة وما رحوا يتذرعون الى ذلك بكل حيلة حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٤
 ٨٣ الفا وتوصلوا الى ان قال الرئيس روزفلت في خطاب له ان شمالي تكساس
 هو حديقة الرب ومدينة دالاس تطالب ويحق لها ذلك ان تكون نقطة دائرة
 هذه الحديقة

نعم ان الاعلان اساس من أسس الثروة اليوم بل هو سبب من الاسباب
 المعقولة المشروعة واثرة في الاعلان عن الاشخاص ظاهر وكما من نابه اشتهر
 يتحدث الناس في أمره ومن آخر خمل ذكره لانه لم يعرف كيف يتوصل الى
 الشهرة فماش ومات ولم يدرب به احد فاللهم اجعل الشرقيين من التابهين بحق
 لا الخاملين المجهولين



دور التمثيل والانس والاجتماع في باريز

ان ماشهده من التمثيل العربي المنحط جداً في الديار المصرية والشامية زهدي في التمثيل على انواعه فصرت لا اختلف الى دار تمثيل الا متكارهاً وذلك في المدة الطويلة لقلة غنائها وانقطاع الرغبة فيه واعل ذلك بان التمثيل لم يعهده العرب ايام حضارتهم بل لم يكن لهم ما يشبهه في قرطبة ولا في بغداد ولا في دمشق ولا في القاهرة ايام عزتها ولذلك قلما مال ابناء العرب اليه ميل الغربيين له وقدروا مزاياه حق قدرها .

ولما حللت باريز كان من اوائل المسائل التي توخيت دراستها حالة التمثيل في الغرب والسرف في توفر اهله عليه وخدمتهم له كما يخدم الشعر والموسيقى والخطابة بل جعلوا هذه الفنون خادمة للتمثيل واصبح عندهم من ضروريات الحياة كالطعام والشراب لا حياة بدونها وكذلك التمثيل لا حياة روحية بدون الاختلاف الى دوره ولو مرة في الشهر ان لم يكن مرة او مرتين في الاسبوع .

والتمثيل في باريز من اعظم ملاهيها وقل ان تجتمع العاصمة ما اجتمع لها من ضروبه واشدة عناية الحكومة به تنفل من مالها كل سنة اربعة دور تمثيل مبلغاً تسعين به على تحسين حالها فتمنح الاوبرا ثمانمائة الف فرنك والتياتروالفرنسوية ٢٤٠ الف فرنك مع الدار وتعطي الاوبرا كوميك ٣٠٠ الف وتعطي الاوديون ١٠٠ الف فرنك وفي باريز ٥٣ دار تمثيل كبرى ذهبت الى اشهرها مثل الاوبرا والتياتروالفرنسوية والاوديون والشاتليه وساره برنارد والفودفيل وغيرها

فكنت كلما ألفت اصطلاحاتهم في احاديثهم وحركاتهم وسكناتهم

ومظاهرهم ورقصهم وغنائم تبين لي سر تعالي التريبين بالتمثيل وانه حقيقة مدرسة تهذيب وفضيلة عملية ودار سلامى وارتياح ارواح فلا عجب اذا عدوه من اكبر العوامل في نهوضهم وتثقيف مجتمعاتهم وشغفوا بفصوله ولا شغف الشرقي بفصوله وحرص الفرد منهم على ساعاته حرصه على عزيزاوقاته اما دور التمثيل فهي قصور نفخة هندسوها على ضخامتها بحيث لايجرم الحضور على اختلاف درجاتهم من سماع مايقال على مسارحهاورؤية مايمرض فيها من المشاهد والمناظر . وكفى بان دار الاوبرا كلف بناؤها ثلاثين مليون فرنك وذرعها احد عشر الف متر . وافل دار تمثيل تساوي عشرات الالوف وبعضها مئات الالوف من الليرات وان مما يبهج جوق الموسيقى في الاوبرا وقد حرزته بمائتي شخص وجوق الممثلات والراقصات والممثلين على المسرح وما اظن جمهرته تقل عن خمسمائة .

واذا عرفت ان الاوبرا تدفع لاحد ممثلها ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من الممثلين رواتب تختلف بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً . وعن كل ليلة يعني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول بعض الممثلات اربعة آلاف فرنك في الشهر جاز لنا ان نستقل اعانة الحكومة للاوبرا ونحكم على كثرة دخلها وخرجها

ولقد كنت اتمثل نفسي في حضرة اعظم فصحاء الارض وعلماء الاجتماع والنفس ساعة تنتهي الى مسمعي اصوات الممثلين والممثلات وتنفق السنهم بكلمات الحكمة والادب ويشخصون الفضيلة في ابهى مظاهرها كأنك تراها فلا اتمالك من توقيف الممثلين والممثلات واكبار فائدة التمثيل . المدارس لتنشئة الصغار في وقت معين من السن ودور التمثيل مدارس دائمة للصغار

والكبار تفتحهم من ابسار السبل حكمة وآداباً وتلقنهم عبرة مفيدة وفكاهة رشيدة
حضرت رواية « مثل الاوراق » في الاوديون ورواية « الباريكاد » لبول
بررجه في الغودفيل ورواية « جان دارك » في تياترو ساره برنارد ورواية
الجندي الصغير في الشانليه فكان بخيل لي وانا اسمع وارى ان الامر واقعي
وان هذه المساعد حدثت الآن وقد اجتمع جمال الصوت الى جمال الوجوه
الى جمال الكلام الى جمال الهندام الى جمال المكان الى جمال النظار واقل
هذا مما يستهوي النفس فلا تدري اي شيء ترى ولا اي فائدة تعي

وما اظن اكبر متنتع لوحضر التمثيل في مثل هذه الدور العظمى يستطيع
ان يعيب شيئاً ما يشهد . واي عين لا تقع على ساره برنارد اشهر ممثلة فرنسية
وهي في الخامسة والستين من عمرها تمثل دور جان دارك وهي في التاسعة
عشرة فتناظر كأنها هي بصوتها وحركتها ونضرة وجهها ولا ترتاح وتعجب
واي اذن تسمع الحكمة في رواية الباريكاد يقولها احد الممثلين بصوت رخيم
« ان الطبقات الاجتماعية كلامهم يضع حقها في حفظ ما لم تقو على الدفاع
عنه » ولا يفكر طويلاً

ولقد رأيت في دور التمثيل حتى ما يوصم منها بان فيه شيئاً من الخلاعة
مثل « موان روج » ان الادب يلب على السامعين والناظرين . وان قاعات
الاستراحة بين الفصول يسير فيها الخرد العين كاسيات عاريات معطرات
متبرجات ولا ترى الا من يفض الطرف حياة وادباً . والغالب ان النساء
يلبسن الليلي التمثيل اجل ثيابهن وازياهن كأنهن في بيوتهن وبين صويحيباتهن
واصحابهن وقتاً تراعن في الشوارع الا مكثسيات من اللباس بما خف محمله
وقلتمه

اما سائر اماكن الطرب كجمال السماع والموسيقى والمراقص العامة فكثيرة جداً في باريز واحسنها ما كان على جوانب الجواد العظمى او بالقرب منها ويكون فيها المرء بحسب مبلنه من التهذيب . وموسيقى الافرنج وعزفهم وزفهم يستحسنها الشرقي مع طول الألفة لها والأنسة بها ومن لم يعرف عندم ولو احد هذه الانواع الثلاثة استغربوا أمره وعدوه محروماً من لذائذ الدنيا ساقطاً من رسوم الهيئة الاجتماعية . ولكل قوم عاداته واخلاقه يحرص عليها كثيراً ولا يرى فيها حرجاً ولا تكبراً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً



من باريز الى الاسطانة

قضيت شهرين اثنين في هذه العاصمة طفت المعاهد ورأيت المشاهد وعرفت العامل الجاهد وتبينت العالم المجاهد وطعمت الجشب والشهي من الطعام ووصلت السير بالنسرى وعمل الليل بعمل النهار ورأيت العملة في حاناتهم ومطاعمهم وراكلت الاغنياء في مقاصفهم وشاركتهم في نعيمهم واختلطت بطبقاتهم اسمع عباراتهم ولم استنكف من غشيان كل مكان ارجع منه بفائدة مستطعماً طالع خلق جاريماً من الاختيار فيه على عرق فكانت عيني تمل النظر وأذني تسام السماع وذهني يتأنف من التفكير وقلبي يتخوف كثرة الوعي . ومع ما صرفته من الوقت والقوة خرجت من هذه المدينة وفي النفس منها اشياء لم اتمكن من درس معالمها ومجاهاها ولا سيما اماكن الرياضات البدنية واللاعب على اختلاف ضروبه وزياره مجاريس العاصمة تحت الارض وسرايينها والاعتبار بقبورها ومدافنها وهي مزينة

كتصور الاحياء ومقطعة الى طرق ومناطق

وفي يوم بدأ نهر السين بفيضانه المشؤم الذي طغى على السدود والسكرور فدكها وبثقها واودى بالاموال الجسيمة من ناطق وصامت ركبت القطار وقت الظهر الى الحدود الالمانية فكان نهر الموز والمارن هائجين حتى طانت مياههما على السهول والادوية ولم يصل القطار الى نانسي على الحدود ويبلغ ستراسبورغ في ارض الالمان وقاعدة الالزاس الا وقد انقلبت تلك الامطار ثلوجاً وذاك الهدير سكوتاً ولون تلك المياه الكدرة بلون الثلج الابيض الناصع وبلغنا مونيخ عاصمة مملكة بافيرا الالمانية صباح الغد فوقف القطار زهاء ساعتين فرأيت ان لا اضيع الفرصة فاخذت اطوف المدينة ولكن كانت الثلوج غمرت فلم ارم منها الا واجهات الابنية ورؤوسها وهنات مثل لي النقص واحسست بالعجز وشمرت باغربة وانا التفت عن يميني وشمالي فلا اسمع الا الالمانية التي لا اعرف منها اكثر مما اعرف من الكردية وقد تركت بعض رفاق لي في القطار ومنهم بولونيون يتكلمون بالفرنسية تحليب نفسي بمحادثتهم ومفا كويتهم حتى اذا عدت آخذ مكاني من القطار اجتاز بنا بعد قليل في ارض النمسا وهكذا حتى وصلنا مساء اليوم الثاني الى فينا عاصمة النمسا .

وعلى ذكر اللغة لا بأس بان اقول اني يوم دخلت فرنسا لم اشهد وحشة ولم اشعر بغربة لمعرفة بلسان اهلها واطلاعي على تاريخهم وعاداتهم فكنت كأنتي داخل ولاية من الولايات العثمانية التركية او قطراً من الاقطار العربية في غربي آسيا او شمالي افريقية ولما انتقلت من ستراسبورغ شعرت بتغير العادات واللهجات وابتغت بان الغريب الذي يزور بلداً لا يعرف لغة اهله كالاصم والاعمى وهذا ما عايني في الاكثر عن زيارة انكلترا ومانيا خلال

هذه الرحلة مع شفي بخضارة هاتين الامتين لاني استعجب ان ارى غيري بعيون غير عيني وآذان غير اذني

قضيت في فينا يومين استرحت فيهما من وعناء السفر واطلعت على بعض معاهدها الا ان الثلوج التي بلغت نحو ذراع عاقتني عن اتمام الزيارة فركبت ثالث يوم بعد الظهر القطار قاصداً بلاد المجر فأجئنا عاصمتها بودابست في الليل ووقف القطار فيها ساعة لم اتمكن في خلالها حتى ولا من رؤية المحطة وعدنا الى قطارنا حتى تخطينا من الغد ارض الامبراطورية الى ارض البلقان ولم يكد القطار يجتاز نهر الطونة حتى تمثل امام خيالي تاريخ هذه البلاد وبينما كنت اذكر وقائع العثمانيين في ساسترا والبروج المعروفة ببرج العرب واذكر تلك الدماء العريضة التي اهرقت على ضفاف الطونة لفتح هذه البلاد ركبت معنا من اول محطة في بلاد الصرب فتاتان صربتان في الخامسة عشرة من عمرهما عليهما سماء الحشمة والادب فسألت الرفيقة رفيقتها ان تغني شيئاً فالتفت الينا وكان معنا رفيق بلغاري يعرف التركية فاستأذن في ذلك فقلت له لا بأس فاندفعت الفتاة تغني بنعمة على ايقاع غريب فاضت له نفسي بالدموع خصوصاً وقد جاءها النناء وهي تفكر فيما اصابنا في هذه الديار من الشقاء .

فعجب رفيقي البلغاري وقال لملك فهمت هذا النشيد الوطني الصربي قلت لم افهم وانما تأثرت من النعمة ومن امور أخرى فسألني ماهي فلم يسعني الا ان بحت له بذات نفسي ولما ذكرت له كيف تقدموا هم وتأخرنا من بلاد هواوها عثماني وسياوها عثماني واكثر عاياتها عثمانية عذرتني على شعوري بما فيه من فضل ادب .

ووقف القطار ساعتين في بلغراد عاصمة الصرب فاغتصمت الوقت لزيارتها

رهي نظيفة لطيفة صغيرة حرة بان تكون قاعدة لتلك المملكة التي يقطعها
القطار طولاً بأقل من عشر ساعات وزرت من الغد صوفيا عاصمة بلغاريا
وعبي اجل واضخم متاحة على مثال المدن الاوربية ويغلب الادب اهلها
وكثير منهم يعرفون التركية وقد وقفنا عليها نحو ست ساعات تمكنت
اثناءها من درس معالمها وحدائقها ومتنزهاتها وبعض قصورها وهي اقرب
الى ان تكون مدينة شرقية منها الى ان تكون مدينة غربية ويقال انها تراقي
سنة عن سنة ارتقاء يحسدها عليه حتى الاوربيون اترافون وعجبت لما سمعت
بعض الالفاظ التركية يستعملونها مع اللغة البلغارية حتى الآن كأنهم تركوها
عضواً اثرياً يذكرهم بايام حكم الاتراك عليهم .

وعند الظهر سار بنا القطار يقطع بلاد البلغار ووصلنا الى جسر مصطفى
باشا في ولاية ادرنه اول الخوم العثمانية عند العشاء وهناك جاءنا رجال
شرطتنا يدهمدمون ويرقون ويرعدون يحكمون على هذا بالجزء المقدسي
وبغفون عن ذلك ويطلبون من هذا جوازاً ومن الثاني ان يشعروا صوته
وهميانه ومن الثالث ان يفتشوا صندوقه ويراثبوا كتيبه والخلاصة تغيرت
معنا الحال من الاثلي الى الادنى حتى بلغنا بلادنا فرأينا الانحطاط بادياً عليها
في كل شيء وادارتها هي تلك الادارة الاستبدادية بعينها لم يبدل الدستور
من شدتها ومازلنا على ذلك حتى بلغنا صباح العد الاستانة عاصمة سلطنتنا
العثمانية .



عاصمة السلطنة العثمانية

صقع جميل وسواحل بديمة ومناظر رائعة وسماء صافية ورفاهية مفرطة

وأنس دائم فمن المضيق الى الخليج الى جزر البحر الى متنزعات منقطعة القرين الى غابات مانقة وجبال مكسوة وعيون خرابرة وكل ذلك بهجة النفس والخطر وهذه هي الاستانة واحياؤها وضاحتها .

اما عمرانها فصورة مكبرة من عمران الولايات لا نظام ولا شوارع منظمة ولا طرق معبّدة ولا راحة للراكب والسائر ولا القيم والنازل وغاية دافئها من مصانع وآثار قصور السلاطين والجوامع الكبيرة الزاهية التي انشاؤها منذ عهد محمد الفاتح الى يومنا هذا وبعض ثكن ومدارس عالية حديثة لا شأن لها من حيث فن البناء

والاستانة من حيث قوتها المادية ضعيفة ضئيلة نصف اهليها اترك يافعون نحو ستمائة الف والصف الاخر اروام وارمن واكراد وارناؤد وعرب وغيرهم من العناصر العثمانية . ويغلب على الاترك الاتكال لانهم مازالوا حتى بعد الحرية يعتمدون من انفسهم العناء والسودد اكثر من بقية العناصر ويتوهمون انهم العنصر احكم ولذلك قما ترى بينهم تاجراً معتمداً او زارعاً كبيراً او مالياً دراية يعيشون كلهم الا المترفة والباعثة نائلة على الامة لا يعرفون غير تقلد الوظائف الادارية والعلمية والقلمية والعسكرية .

فالاستانة من هذه الوجهة مدينة الاتكال الجسم يعيش اهليها كالخلمة الطفيلية على عنق الولايات ولكم خربت ولاية او لواء او قضاء ليعمر بها احد ثم مصيفاً له على ضفاف الخليج او في جزيرة الامراء ويقني من الجواري والسراري والعبيد بقدر ما تطيب له نفسه .

ولاهل الاستانة فضل ادب وابن جانب عرفوا به منذ القديم فتري الواحد منهم يعاملك باقصى اللطف والظرف حتي يرضيك وفي باطنه على

الاغلب يسلك غير ذلك وهذا الخلق عام في عمال النظارات والادارات الكبرى ولولا ذلك ما انصرفت وجوه ارباب الاشغال من سكان الولايات الى الاستانة يقصدونها لكشف ظلامه ونيل رتبة ومرتبة وراتب .

صرفت في هذه العاصمة عشرين يوماً قابات في خلالها كثيراً من اهل العلم والسياسة وكنت اتكاه في الاختلاف الى المعاهد والناس اذ سمعت نفسي كل ذلك بعد باريز التي رأيت فيها من كل شيء احسنه ومن العالم ارقاهم ولطالما اسرودت عاصمة بلادي في عيني ووددت على الاقل لو كتب لي ان ازورها قبل الرحيل الى الغرب وامتع النظر والحواس بحضارته البهجة حتى لا ارى الانحطاط بعد الرقي ولا الظلام بعد النور .

ومن جملة المعاهد التي هي جملة مقصدي وغاية منامي من زيارة الاستانة مجلسنا الزباني زرته خمس مرات وعضاؤه نحو مائتين وخمسين نائباً من جميع عناصر الدولة واصقاعها تجد فيهم ذى العمامة البيضاء او الخضراء كما تشهد فيهم لابس الكوفية والعقال وثلاثة ارباعهم من لابس الطرابيش ولقد سمعت من ارباب المائمه مناقشات راقية لم اكد اسمها الا من النواب الذين صرفوا شطراً من اعمارهم في اوريبيات علمون ويترنون ويدبر حركة المجلس من النواب اليوم نحو عشر اعضائه شأن مجالس العالم كلها فان ارباب العقول الراقية والمضاء الكبير فلائ في كل طائفة . خصوصاً ومجلسنا ما برح طفلاً ويرجى ان يكون في الانتخابات المقبلة ارق مما هو الآن

رأيت النظام قليلاً في المجلس يبدأ قبل الظهر بالنظر في قانون كذا وبعد الظهر يتناقش في غيره قبل ان يكمله ومن الغد يتناقش في مسألة أخرى وينسي القانون او اللائحة الاولى وذلك لانهم وسدوا رئاسته لرئيس اشتهر

بخدمته الحرية والشهرة قد تكذب . وكم وسدوا النظارات في هذا العهد الدستوري الجديد الى اناس اشتهروا بعلمهم وعقلهم في الدور السالف حتي اذا جاء الآن دور العمل ابانوا عن ضعف في المدارك وخور في العزائم وبضاعة مزجاة من العلم والعمل ونفس شريرة تعد قتل عنصر من العناصر قتلاً معنوياً لغاية بعيدة الحصول اسهل من تناول الكاس والسلام على الناس وكل اولياء الامر اذا حدثتهم في نقصنا والسعي لاصلاحنا شاركوك في حديثك وربما تظاهروا باكثر من غيرتك وحملوا اشد من جانبك فاذا اتت نوبتهم ليعملوا تراهم يقرنون القديم على قدمه ان لم نقل يزيدون الحال اعضالاً واشكالاً . فهم فلاسفة قول لاعلمة عمل وجربذتهم في اساليب لهم ينقنونها لافي ظلامه يرفعونها وولاية يرقونها واصلاح يدخلونه .

ولا اغالي اذا قلت ان عمال الاستانة الآن صورة من صور العهد الحميدي الا انهم يدعون الحرية وهم مضطرون الى الاسراع بمصالح العباد باقل مراوغة ومطاوله مما كانوا عليه في العهد الماضي اما الاصلاح الحقيقي فاظن من سيقومون به لهذه البلاد العزيزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين ان يحتفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريثما يخرج جيل جديد يربي على ادب النفس وادب الدرس وينشأ بعيداً عن اخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة التي غرست مبادئها الساقطة في القلب واللحم والدم والعظم



المتحف السلطاني^(١)

دخلنا هذه الدائرة الفخمة من بابها الغربي الكائن بجوار نظارة العدلية

(١) لم تيسر لنا زيارة هذا المتحف فعهدنا الى صديقنا شاكرا افندي الحنبلي ان يزوره عنا ويكتب لنا مقالة في وصفه ففعل وانا اشكره لفضله وعنايته .

ومررنا امام دار الضرب العامرة وبمدها دخلنا من باب آخر ينتهي الى ساحة كبيرة بني على اطرافها رواق ذو قباب اشبه ببنيان التكايا ثم دخلنا من باب ثالث فاستقبلنا بهو كبير يسمونه غرفة العرض كان يجلس فيه الوزراء والامراء لهذا كره والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد اليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الاعين

ثم خرجنا من هذه الزفة وصعدنا الى قصر شاه يصعد اليه بسلام من رخام جدرانها من بنى بالقياشي بناه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هرون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مثنى منتظم تحيط به من الخارج ردهة ضيقة ذات منافذ تطل على الخائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرية وقسم من البوسفور واحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الخوقة الشريفة) وفيها الداء النبوي وبقية المخلفات والآثار النبوية

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخلنا قصر آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال انها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القباية من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد المجيد ويسمونه (سلطان مجيد كوشكي) مبني على الطرز الايطالي وهذا القصر اجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بلور التوافذ حتي انك تتان النافذة مفتوحة لابلور فيها الشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد المجيد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الخوقة الشريفة

ثم انتهينا الى دائرة المتحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة

وهنا لا يتمالك الانسان من الدهشة عند ما يشاهد تلك الآثار النفيسة والمصنوعات الثمينة المادرة التي لا تقدر لها قيمة لنفاستها التاريخية . دخلنا هذه الدائرة وهي مؤلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث أخرى فوقانية واول شيء وقع نظرنا عليه تحت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الاول من الشاه اسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب سيفه وسط المتحف يوحي الى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور الناظر السلطان سليم الاول ممتطياً جواده سالماً سيفه يقود جيشه الباسل الى بلاد الاكاسرة ويشترك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه ويستولي على عرشه وخزائنه .

هذا التخت على هيئة مستديرة قائم على اربعة اعمدة يصعد اليه بدرجة واحدة وكله مرصع بالياقوت والزمرد مما يبهز الناظر . شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بانثوغوس آخر قيصرية الروم وهو سيف مرصع بالماس اخذ من جملة غنائم يوم فتح القسطنطينية . شاهدنا بهد السلطان محمود الثاني وهو على شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بانصاف وهذا مرصع بالاحجار الكريمة . وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الاولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمانمائة درهم والثانية على شكل مستطيل ووزنها ستمائة درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهناك اوان من النحف بعضها مرصع وبعضها بدون ترصيع وساعات واوان من العاج وبواطى من الصيني ودروع وطبرات ومغافر وبنادق قديمة مرصعة مما لا يكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة . والى جانبها دوي قديمة ذهبية وقاقم ومحاريب وسبجات ومراوح مرصعة وفي جملة هذه المراوح ثلاث تعد من نوادر المصنوعات الواحدة

قبضتها مرصعة بالماس والاخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة
 بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالاحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الارضية
 ومما امتعنا به النظر صورة شخص طوله عشرة سانتيمرات صدره وبطنه
 لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان وبالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب
 مرصع بالاحجار الثمينة. رأينا اغصانية مناضد من الاطلس والدياج بعضها مرصع
 باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع
 يأخذ بالاعتقول وهناك قلب من الماس حجريته الوسطى بقدر الببضة ويقال ان
 هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد امتعنا
 الطرف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً ممولاً من الخناس الاصفر ممتطياً
 جواده بقطعة كبيرة طبيعية وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني
 قيصر الروس ورسم غليوم الاول عاهل الالمان

ومما رأيناه ثلاث آلات للنظاومة الشمسية مصنوعة من الخناس الاصفر
 تدور فيها الارض والسيارات حول الشمس بحركة دولاب يدار باليد كل
 ذلك بل اكثره موضوع في خزائن من البلور لاتهسه الايدي رأينا مسميات
 لانعرف اسماءها مما يحار لها العقل ويدهش لها الفكر وانى لنا بآبن المعتز يقف
 في هذه الخزينة ويصف ما فيها من الحلي والحلل والجواهر الثمينة والمصنوعات
 الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكنوزة في هذا الكنز الكبير
 ليس شيء يصعب على الكاتب من ان يرى اشياء لم يألف مشاهدتها
 ولا يعرف لها اسماً فهو اذا اراد وصفها عصته الالفاظ وضافت به التعابير
 رأينا في هذا المتحف شيئاً كثيراً كله من النادر الغريب الذي لا يوجد الا في
 خزائن الملوك ولو اردنا ان نصف كل ما رأيناه لزال بنا البحث واحتجنا الى

سفر كبير ولكن نكتفي بذكر الآثار التاريخية الثمينة بالنظر لما لها من المكانة العارضة والقيمة الادبية

فمن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع ايضا مكتوب عليها هذه العبارة « هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح بغداد في اليوم الثامن عشر لسنة الف وثمان مائة واربعمائة هجرية » وتحت معمول من الباغ مرصع بالفيروز والزمرد وهو تحت السلطان احمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الاطلس مرصع بالمالاكي بنقوش لطيفة يصعد اليه ثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهر باء الملون المعرق اهدتها فيكتوريا ملكة الانكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الاحجار الكريمة اهدتها كاترينة قيصرية الروس للوزير الاعظم محمد باشا الباطنجي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من اثمن ما شاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الاحجار الكريمة وحلل ملوك بني عثمان وعلماءهم موضوعه كلها على قوالب مخصوصة على شكل انسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من اصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة اهداها ملوك اوربا للسلطان العثماني وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية .

وفي الجملة ان هذه الخزينة هي اعظم خزينة على وجه الارض لانها جمعت بين خزائن الاكسرة وخزائن القياصرة وملوك الاسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الاموال الزائدة عن نفقات الدولة وتدخر لافاق الحروب وتسمى (ايخ خزينة) اي الخزينة الداخلية . يروى ان السلطان مصطفى

الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ما صرفه في ذلك الوقت بأثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان
 اما بناء الدائرة فليس من الابنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التنكيا وليس فيه ما يستحق الذكر سوى ما ذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وانما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها او في احد قصورها يتمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتبجلى له عظمة آل عثمان وساطنهم ويرى الفاتح يسوق اسطوله على اليابسة باعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر القياصرة وخزائنها كما افتتح اجداده بلاد الاكسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الامير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش .

وفي الحقيقة ان هذا البناء اللطيف من اجل ما يتصوره الفكر والطف ما تشعر به النفوس فهو يحتاج الى قريحة شاعر مطبوع او قلم كاتب مجيد يصف ما تشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية . هذا ولا يسعني هنا الا ان اثني الشاء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما ابداه من المجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما اني اشكر للاستاذ الزهراوي وعبد العزيز افندي قولهما لي عنايتهما في هذه الزيارة التي هي من اثن الزيارات التاريخية .

المتحف العثماني^(١)

ليس بين معاهد الاستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد

(١) كتاب « موزه هابون عثماني » مخصوص رهنما اثر وحيد

ودخلته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الاوربيين وأحسننا التقليد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عادات الامم القديمة كالرومانين واليونانيين والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمصريين والهيثيين والبيزنطيين المتأخرين من نواويس وثمانيل واواني وآثار حجرية وخزفية وبلورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فأصبحت بلادها من جملة ولايات هذه السلطنة العثمانية أبداً الله اركانها

ومن اجل ما يشاهد فيه مسلتان عثروا على الاولى في صامسون والاخرى في ازنيق واسد وجد في هاليكارناس (قصبة بودروم) ويرد تاريخه الى اربعة قرون ق . م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية اسقودرة ومن الطف عادات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في صيدا وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعى بعضهم ان احدها هو ناووس الاسكندر المقدوني لان الاسكندر توفي في العراق وجيء به الى سورية على ان روايات المؤرخين مختلفة في مدفنه . ومن النواويس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشمونازار ملك صيدا وعليه كتابة بالخط الفينيقي . وناووس الاسكندر من اغرب ما نقش النقاشون تحسداً عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحفنا اهل العاديات والآثار ويبدلون لنا لو اردنا في الحصول عليها مئات الالوف من النصار ونواويس المتحف البريطاني والوفرليست باعظم منها ومن عادات المتحف ناووس معروف باسم « صدراب » احدولاة فارس فيه رسوم الصيد والقتل والحرب واللعب والسباق ووضيمة جنازة ومنه يستدل على ما وصلت اليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في ايونيا في الساحل

الغربي من بلاد الاناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق . م وهناك تمثال ثنائي عشرة امرأة من العجب ما نقش النقاشون جملان على اشكال متنوعة بعضهم قائمات وبعضهن قاعدات وذن يذرفن دموع الحزن واللاهفة وبالقرب منهن ١٩ قطعة من نواويس رومانية عثر عليها في جبل لبنان وحص ويبروت ومن النواويس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا اي البلاد المعروفة اليوم بسواحل اضاكية من اعمال قونية وهو رومي الصنعة محلي الاسلوب . وعلى مقربة منه تمثالان من الخزف المنقوش لابي الهول عثر عليهما في مدينة اورله او ميناء قلازومن من ازوير

قلنا ان الناووس المعروف بناووس الاسكندر هو من ابرع اصنعت الايدي ولذلك زاره الوف من علماء اوربا واميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملونة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الاسكندر المشهورة . ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيردغاني المصري ومنها بالخط الفينيقي

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قريبة ما يرجح انه رسم الحرب التي نشبت بين الاسكندر في ايسوس واربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق . م

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل اسود وجدت في زنجيري وقصورها وتمثال يمثل احد ملوك الهيتيين وقاعدة تمثالين لابي الهول وتمثال من الحجر الاسود اسمه « اسد مرعش » كتبت عليه كتابات هيتية وهو اشهر اثر عثر عليه من آثار هذه الامة حتى الآن . والهييتيون امم مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في

جبال الاكراد في سورية وقبادوكيا وقسم عظيم من بلاد الاناضول حتى
 مجرى نهري الاحمر (قيزل ايرق) وكديز واصولهم كثيرة متباينة بل ان
 البلاد التي كانوا يستولون عليها هي كما يقول المحققون في شمالي سورية اي
 في المنطقة الممتدة من فروع الفرات الاكبر الى جبال طوروس . وقد انشأوا
 على الفرات قلعة فارغاميش المعروفة الآن بجربلس واخذوا يهددون مدينة
 نينوى القديمة (الموصل) الى اواخر القرن الثامن ق . م وبلغوا منتهى مجدهم
 بين القرن العاشر والثامن ق . م وقد استولى على هذه القلعة صاراغون ملك
 اشور سنة ٧١٢ وباستيلائه عليها محي اسم الهيتين من عالم الوجود . على
 ان تاريخ هذه الامة مع ما بالغت من الحضارة بين الامم القديمة لم يؤثر عنها
 بالذات شيء يدل على عظمتها لان خطها لم ينحل حتى الآن ويرجي ان
 يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد
 كتب بالخط المصري مترجماً الى اليونانية

ومن العاديات المهمة في المتحف الاواني الزجاجية والخزفية واحسن الزجاج
 ماجاء من سورية وقد كتب على كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه
 عليها . ومعلوم ان تاريخ وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من
 الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي او جزيرة كوس . من جزائر البحر الرومي
 ويرد تاريخها الى الدور اليوناني وآثار معبد اشمون في صيدا . من آثار الفينيقيين
 الخزفية وآثار سوكة وآياثلوغ ونامورد . من اعمال ازير وغيرهما من بلاد الاناضول
 واكثرها يوناني . وفي قاعة أخرى اوان وجدت بالقرب من صور ووبج في ولاية
 مناستر في بعض المدافن واوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها الى
 ادوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ما عثر عليه في لابسكي من اعمال كليبولي

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديات ارض فلسطين ومنها ما عثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه الى القرن الثامن ق . م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القنطور والاسرجة وقد اعتبروا القسم الاعظم منها من عهد الزمن النحاسي . وفيه قطعتان من المرمر وجدتا بالقرب من المسجد الاقصى وعليهما كتابات بالرومية تحظر على الغرباء ان يتخطوا معبد سليمان والافيمانيون بالموت . وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الارض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيحون الى سور القدس حتى تصل الى نبع عين سلوان وينسبونه الى الملك حزقيا احد من ورد ذكرهم في سفر الملوك من النوراة

وليس العاديات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور ابي الهول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والاشورية واكثرها الواح واوان واكواب وعظام كتبت بالخط المسماري

ومنها ناووس من الخزف يرد الى عهد بابل اي الى نحو ٦٠٠ سنة ق . م ومنها مسلة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرهما وتخريب في وقائعه مع السيتين . ومن العاديات ما وقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من اعمال بئداد ومنها ما وجد في تللو من اعمال البصرة ومنها ما عثروا عليه في سيارا اوابي الحبة من اعمال الجزيرة

وقد خصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحميرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على ان صنعها من بدائع صناعتهم وان كانت تشبه الصناعات اليونانية لان مملكة تدمر وان كانت يهودية لم يبق فيها اثر لهم لان

الاشوريين قرضوا عمرانها ثم ارتقت على عهد اورليانوس اوائل ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الاسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وان كانت لغتها الآرامية او السريانية . اما الآثار الحميرية فهي آثار اهل سبأ ومعين في الجريف وعاصمة سبأ مأرب واهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمانية لما نشأت بعد هلاك مدينة سبأ ومعين واستدلوا من ذلك على ان الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وابدال كثير

ومن العاديات آثار قبرص منها تمثالان للمعبودين هر كيرل وأفروديت واوان خزفية وندور . ومنها حلي اشورية وفينيقية وحلي وجواهر واقراط واساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده اي في محل اسمه الآن حصارلق من اعمال لواء بيغا شمالي جون ادرميد وكان اسمه في القديم ايدا وهو بين جبل فار وهالسبون اي بين جناق قلعة وبحر الارخبيل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة . ومنها ما وجدوه في ترال من ازمير ولبية من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برغمة وفي نابلس

هذه جملة اشرنا بها الى ما حواه المتحف وله قسم آخر اسلامي جعلوه في قصر الصيني امام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها الى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي . وقصر الصيني هذا مما أمر بانشاءه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار ايامه الا اثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات واكثرها من قرون الانحطاط اي القرون الخمسة الاخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق ورودس وازنيق وكوثاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ما عثر

عليه في مصر وقونية ودمشق وبورصة وكان يعمل فيها كما تعمل الطائفة
البديعة في معامل دمشق وتوقاد واصفهان وغيرها

ومن عادات قصر الصيني درفتان من صنع قره مان وقونية ومنهار حالي
وقائم وطائف ومصابيح وخطوط صدرت عن بعض الملوك العثمانيين ومنبر
من صنع الرها (اورفة) واوان خزفية وجدت في الرقة من اعمال حلب وجلود
كتب من صنع مهرة المجلدين من العرب والفرس والترك واصونة وخزائن
وبعض آثار حجرية يقال انها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش
حيوانات رسمت على الزجاج من الادوار التركمانية والآرتقية وملوك بني آرتق
من ممالك الملكشاه بن الب ارسلار السليبرقي حكموا اجهات ماردين وديار
بكر وحلب الى سنة ٨١١ هـ وانقرضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة الى غير
ذلك من الماديات والآثار وما عرضه عود طرب او طنبورة وهي من صنع
عصور الثلاثة ايضاً

وبالجملة فان العاديات القديمة التي جمعت في البناء الجديد كلها حسنة
ومقيدة ولم يكن الكسر والتخميم يغلب عليها لما قاسته من اهاويل الدهور
اما العاديات التركية والعربية الاخيرة فتأفة على الاكثر وفي الاستانة محل
قرب جامع السلطان احمد عرضوا فيه صور الانكشارية مجسمة من الجبس
من صنع النمسا وهم يلبسون البستهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعاداتهم
لابأس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية

سير العالم والاجتماع

تربية صغار العميلة

في السويد الآن ٢٢ معملاً لصغار الاولاد منها ١٦ في استوكهولم والمختصة لهذه المدارس العقيلة كوستاف سيستارثزويس التي انشأت اول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكراً لاهلها وهذه المعامل هي عبارة عن مجلج لاولاد الشعب الذين لا تفتح لهم المدارس ابوابها الا صباحاً من الساعة الثامنة الى الواحدة او بعد الظهر من الساعة الثانية الى السادسة فيلزم فيها الاولاد صنع الخشب وتطوير الحديد واصلاح الثياب وخباطتها وخصف النعال وصنع الاحذية . وقد تبين لهذه المعامل ان الاولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخطونها بانفسهم ولا يتصدق من هذه المعامل اعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتمرين مخصصا به من الحدق والتفكير والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن الى الاعتماد على العمل ولا يسمح لولد ان يتغنى عن صنعة قبل ان يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلوه ومعلوم ان الحدق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة او الخامسة عشرة هذا مع ما في علمهم من التأثير الادبي النافع ويزيد ذلك سر الاساتذة على تلامذتهم ومعاملتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيهم هذه المعامل لقاء عملهم سوى طامهم وهم يهيئونهم بانفسهم معظم الاحياء .

اترابنا العميان

تحت هذا العنوان كتبت معلة انكازينة من العميان في احدى المجلات العلمية الا اثبتت فيه ان العميان ليسوا كما يتوهم الناس عاجزين الا عن استعمال قسم قليل جداً من القوى التي يستخدمها المبصرون واوردت على ذلك امثلة من التعليم الخاص بالعمي في بيوتهم او في المدارس الابتدائية والعالية فقالت ان هذه المدارس التي يديرها العمي في الاكثر مثل مدرسة المعلمين العميان في انكترا نعلم تعليماً موافقاً لحاجات الطلبة بحيث يغادروا هؤلاء وهم يعرفون القراءة والكتابة والخطاطة باليد او الآلة وطباعة الترتيب والكتابة على الآلة الكاتبة واللعب . وتعليمهم اللعب من اصعب الامور وهذا ما يجرض عليه اساتذة مدرسة المعلمين المذكورة حتى غدا تلاميذهم يعرفون اللعب بالشطرنج والداما ويركبون الدراجة ويمسحون التجهيز والعلوم ولعبة الفوتبول .

تعلم اللغات الحية

نشر احد ضباط الانكليز في الجيش الهندي مقالة في المجلة المدرسية ذكر فيها ان حكومته ارسلته مع الحامية الى تخوم الشمال الشرقي من مستعمرة الهند بين قبائل متوحشة تتكلم بلهجة هندية صينية ليس لها قواعد ولا معجم مفردات مكتوبة ففقدوا الاتفاق الى ان صارت له صلة مع احد شيوخ ذلك الصقع يستعمل السحر والكهانة فانشأ باديء بدء يستمع لما يلقيه ذلك الساحر من القصص مشفوعاً باشارات ورموز واضحة تجلب النظر فلم يمض زمن طويل الا وقد توصل الى ادراك المعاني التي يريد بها الساحر وما هو الاقليل ايضاً حتى دهش من نفسه وقد اخذ يألف الكلمات التي يدمدم بها الشيخ المتوحش واصبحت له من هذه اللغة البربرية معرفة واسعة لم يرغب في تحصيلها كما انه تعلمها من كتاب . واستنتج بعد ذلك بان خير طريقة يجب اتباعها في تعلم الاحداث لغة لا يعرفونها ان يسير المعلمون لها على الطريقة التي تعلم بها صاحبنا الانكليزي لغة الهند الصينية .

الاخلاق بالطعام

يرى بعضهم انه يستدل على اخلاق المرء من خطوط يده او من تفلطح رأسه او من استعماله القهوة اوغير ذلك ولكن احد اطباء الانكليز قال : « قل لي ما تأكل لاقول لك من انت » فاستدل بان الاغذية باجم البقر يورث نشاطاً وقوة . واستعمال لحم الخنزير يورث النفس اقباضاً ويسود المستقبل في النظر . ولحم الخروف يورث السويداء والاكثر من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومقاومة . وتناول اللبن الحليب والبيض يولي قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبد تكثر البلغم والنفاس يوافق العاملين بعمولهم والخردل من باعثات الدهن ومضطاته .

المباحث البيولوجية

البيولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتراكيب التي تبدو في الجيومات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا ينتهي في جوف الارض ولهذا العلم شأن عظيم في اميركا . ففي نيكاواغاً مثلاً بحيرة اسمها نجيايا هي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تحتوي كيات وافرة من محلول بيكاربونات البوتاس والصدودا وسلفات المنيزيا اذا ثار الهواء تحدث منه امواج يتكون منها زبد يستعمله سكان ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوي من الامراض

الجلدية . وفي وسط ولاية الاسكا بحيرة اغرب من هذه يكون سطح مائها حلواً
وسمكها ابيض اللون اما الماء في داخلها فملح من ماء البحر وتوجد فيه الاسماك التي لاتصاد
الا من البحار . ومن البحيرات الصغرى في ولاية اوتاها ماتجد ماءه . صر كماً من توابل
مماحة متبلورة يشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذاك الصقع ايضاً بحيرة لون مائها وردي
وتنبعث منها رائحة بنفسج ولونها ورانحتها صادرات من وجود الخث « نبات الماء »
فيها وبالقرب من سانتافي في كولورادو بحيرة تحتوي كمية وافرة من انكربت . ومثل ذلك
تجدد في كثير من اقطار الارض وهو ناشئ من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش
في تلك البحيرات ومن طبيعة ارضها بركانية كانت او غيرها . قالت المجلة التي عربنا عنها
وربما علل بذلك ما وجد في بحيرة اكتشفت حديثاً في آسيا من الغليان الدائم في
مياها بحيث لاتنزل حرارتها عن ١٢٠ درجة بالميزان المئوي

التمثيل في الخلاء

ضاقت في الغرب بيوت التمثيل فبرع الناس الى الخلاء يتخذون منه دوراً
للمثيل لاتضيق بالمتشغلين ولا بالحضور . وقد مثلت مدرسة هارفرد الجامعة في اميركا
في المدة الاخيرة رواية جان دارك للفيلسوف الالماني شيلر فكان الممثلون الفني شخص
والحضور خمسة عشر الفا وهو اعظم اجتماع على مثل هذه الحال .

الجيش العامل

على الرغم من احتجاج الملوك ومعارضة دعاة السلم ما برحت اوربا تزيد في جيوشها
العاملة حتى بلغ الجيش العامل اربعة ملايين وربعاً من اصل ٤٣٥ مليوناً من السكان
اي عاملاً واحداً يؤخذ من كل ثلاثين عاملاً في اوربا ولامانيا وحدها ٦٣٤ الفاً
وافرنسا زهاء ٦٠٠ الف وهكذا ازداد عدد هذه الجيوش زيادة كبرى فزادت اوربا
جيشها العامل منذ سنة ١٨٦٩ ضعفي ما كان وكذلك نفقاته . وفي الاحصاءات الاخيرة
ان اوربا تنفق على جيشها مساهمة ستة مليارات ٧٢٥ مليون فرنك في السنة

صفات السيامي

نشرت مجلة الاجتماع الدولية مقالة في الاخلاق التي يجب ان يكون عليها الساسة فما
قائمه ان الناس يزعمون بان احسن سياسي اكثرهم جرأة واحتشالاً وقد ابان استورنل
كونستان فساد هذا الرأي مؤكداً بان الثقة والمصلحة والاعتبار حليقة اهل الخشمة
والوقار من الناس اما النجاح الموقت الذي يأتي به بعض الظرف فهو من شأن الساسة

السطحيين وولاة الشأن المخطين . فمن يجيد السلام يسلم عليه ولكن لا يعد شيئاً عند التحقيق . ومن النقائص المضرة جداً في السياسي ان يكون واسع الفكر وردي النية فعليه اذا احب النجاح ان يتحاشى ادهاش المجتمع بفضيله . كما ان الواجب عليه ان لا يعيش عيش الفقراء بل ان يكون له مسكن في المدينة التي يقيم فيها وواحد في الضاحية وآخر في بلده الاصلي واحياناً مسكن في احدى الولايات والاتفاق على اربعة بيوت يحتاج الى البذل كثيراً ولكن ذلك ضروري لمن يجب ان يقوم بوظيفته حق القيام على صورة محتشمة . وختم الكاتب مقالته بان السياسة مثل سائر المسالك والاوزاع آخذة بالنشوء والابتعاد عن التقاليد القديمة من دس الدسائس واستعمال الشدة وغايتها الآن العمل لما فيه نشر السلام بين الانام

المعادن الشفافة

جربوا الذهب فظهر لم انه من المعادن الشفافة ومن المحتمل ان يكون النحاس والفضة كذلك . واثبت ان هذه المعادن شفافة يحدث الواناً مذهشة وتغييراً في الصنعة

خفقان القلب

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكلما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحمار ٥٠ والانسان ٧٠ والكلب ٩٠ والارنب من ١٥٠ الى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ الى ٦٠٠ . ولم تيسر حتي الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ما عرف ان الفأرة نفسها كما كانت فتية زاد خفقان قلبها

جمعية الموسيقيين

تألفت في فرنسا جمعية مهمة لتجمع جميع الجمعيات الموسيقية في فرنسا على اختلاف مقاصدها في نقابة واحدة . ففي فرنسا الآن ١٢ ألف جمعية موسيقية مؤلفة من ٣٠٠ ألف انسان على الاقل فاذا دفع الواحد فرنكاً في السنة تيسر لهذه النقابة ان تعمل اعمالاً مهمة ومنها انشاء مكتبة موسيقية عامة

- التمثيل في ايطاليا

الشعب الايطالي مولع من وراء الغاية بالتمثيل ولعه بالصوير والنقش والموسيقى حتى بلغت دوره عندهم اكثر من جميع البلاد المتقدمة بالنسبة ففي ايطاليا ١٥١٧ مسرحاً اي مسرح واحد بكل ثلاثة وعشرين ألف شخص ولولاية بروز المقام الاول حتى ان بليدة

صغيرة اسمها كمبرونا كورد في الهندية سكانها ٣٥٠ شخصاً لها معهد تمثيل . ومعظم دور
تمثيلهم تسمى باسماء اعالم رجالهم .

حوادث السكك الحديدية

على كثرة عناية الاميركان لاتقاء ما يحدث عن السكك الحديدية من المكدرات
تزداد حوادثها يوماً عن يوم وقد حسبوا انه هلك من وقائع السكك الحديدية منذ شهر
حزيران ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ ١٢٣٨٨٥ اي اكثر مما هلك وجرح في
معركة واترلو حيث بلغ مجموع من هلكوا ٥٣ ألفاً وفي معركة موكدن حيث لم يتجاوز
الهاكون مئة الف . وقد اخترعوا في روسيا طريقة سموها طريقة التجسس وهو ان يدام
المفتش وقاد القاطرة والميكانيكي وغيرهما من عملة القطار اثناء السير فاذا صادف خلافاً
او نقصاً يحكم على المتراخي في الحال . ويتقضى على كل سائق ووقاد ان تفحص عيناه كل
شهر فاذا شوهد فيها ادنى ضعف يمنع من الخدمة وقد جربوا هذه الطريقة في روسيا
واميركا فظهرت لهم فوائدها .

البريد الالماني

في احصاء رسمي لسنة ١٩٠٨ انه كان عدد الرسائل وغيرها التي مرّت بالبريد
الالماني تلك السنة ١٤٠٥٧ مليوناً وكانت سنة ١٩٠٠ ٨٨٤٠ مليوناً وعدد مستخدم
البريد ١٩٤٢٥٦ سنة ١٩٠٠ فاصبحوا في سنة ١٩٠٨ ٢٨٨٧٢٥ وتجيء بعد سويسرا
المانيا بمجودة بريديها في حين كانت انكلترا الثانية منذ ثلاث سنين . ولكل ٨٢٥
نفساً في سويسرا مكتب بريد ولكل ١٤٩٥ نفساً في المانيا مكتب وفي انكلترا لكل
١٨٧٣ وفي البلجيك لكل ٥١١٩ وفي ايطاليا لكل ٣٩٤٠ وفي النمسا ٢٩٦٥ وفي
فرنسا ٣٠٠٨ وفي اسبانيا ٤١٤٣ وفي روسيا لكل ١٠٣٦٥ وفي الدولة العثمانية لكل
١٨٣١٥

مدرسة الخلية

الخلية او عش النحلة اسم وضعه احد مفكري رجال التربية في فرنسا الميسو سباستيان
فور لمدرسته له اوجدها في مدينة رمبوليه من مقاطعة الواز في شمالي فرنسا لتربية اليتامى
او الاطفال المرحلين او ذوي الحاجة يختارون من ابناء الاداسة ويعلمون الى الخامسة
عشرة فيتلقي الطفل الى السنة الثانية عشرة التعليم الابتدائي وبعد ذلك يضاف اليه
قسم في يتعلم الطالب حرفة فاذا بلغ الخامسة عشرة يخرج بالخروج من المدرسة او ان

يعمل فيها لكي ان يقسم ارباحه من صنائعه ثلاثة اقسام ينفق الاول لطعامه ومسكنه والثاني يضاف الى رأس مال الخلية والثالث يودع له في صندوق التوفير للحاجة الذاتية واخلية الآن مكان لطيف فيه ٣٦ طالباً وأمره المؤسس ١٤ يعيش هؤلاء الاربعون نسمة كأُسرة واحدة ورأس مال هذه الخلية من ثمره اعمال المؤسس وحسنات المحسنين وقد كانت نفقتها سنة ١٩٠٩ نحو عشرة آلاف ايرة ودخلها اقل من ذلك بقليل وقد استمرت منذ سنة ١٩٠٦ وهي الى الآن تحسرو وبد العجز منه ويربي الطائفة على التربية البدنية والتربية العقلية ولا يعلم الدين ولا التاريخ يُستشاروا في شوا لانفسهم ديناً ومذهباً سياسياً لانه يقول ان التاريخ كما هو الآن لا يحلوا من زيادات كثيرة فمن نصفهم انهم عظاما كانوا في الحقيقة مخربون المراراً ولذلك يكتبون في تاريخ الحضارة والمدنية اذ يلقنهم بذلك حقاً راحة لا يتطرق اليها الفساد

اكتناء عرب الشام

كتب الامير شكيب ارسلان في التبراس فصلاً قال فيه تحت العنوان السالف ما يأتي :
انه لمعلوم ان لكل مبارز شعاراً ينادي به في ميدان الحرب ، وهذا هو المسمى عند الماخذين بالاكتناء وعند المعاصرين « بالنخوة » ، وهي في الالة المنظمة والفخر : يقولون انتخى عليه الفخر وعظم . وحيث كان الماتخي اكثرما ينتخى على طريق الكمية كأن يقول : « انا ابو فلان او اخو فلانة » فجعل هذا المذهب من الفخر في ساحة القتال اكنناء وسمي هذا الاكنناء انتخاء . ومثله قول الامام علي رضي الله عنه : « انا ابو حسن القرم » ومثله : « انا الغلام النفارسي » . وقد ورد في الحديث : « رأيت علياً في النادسية وقد تكنى وتجنى » والتكنى هو هذا واتجنى هو الزمزمة تكنى عادة الفرس . ولا ينحصر الاكنناء المقصود بها بذكر الاب والام بل هو تعريف الفارس بنفسه في ساحة الوغى بلقب من الالقاب او وصف من الاوصاف يصير عليه تالماً . فالشعلان وهم شيوخ الزولا من عزة من اعظم العشائر الضاربة في بادية الشام ينتخى واحدهم بقوله « انا رايعي العليا » ومعنى قبل « رعاة العليا » علم انهم الشعلان عند كل العرب . ولم نخوة اخرى وهي « اخوصيته » ولا ادري ما اصل هذه التكنية ولكن الصيغة في اللغة هي بمعنى الصيت ومنه قول لبيد :

وكم مشتري من ماله حسن صيتي لا بانه في كل مبدلٍ ومخضر

ثم ان ابن سمير شيخ ولد علي بن محمد آخر من عزة يتكنى بقوله « اخوعذرا » وعذرا هذه

قربة في مرج راهط شرقي دومة الشام كان لابناء سمير عليها اناوة سنوية او علي رؤسهم
«خوة» فتكنوا بها فكأن قولهم «اخو عدرا» يشير الى ان قربة عدرا تؤدس
لهم «الخوة» .

ثم ان ابن الطيار شيخ الفرقة الثانية من ولد علي بكشتي «باخي ثنية» ولا اعلم ما اذا
كانوا يريدون بهذه الثنية المحل المسمى ثنية العتاب الواقع الى الشرق من عدرا والذي
هو المطاع من المرج الى جبل القملون .

ثم السردية وهم من العرب المعروفين في بلادنا باهل الشمال ولهم قدة في حوران
وامارة في الايام السابقة ويضع بعضهم انهم بطن من تيوخ فهو لا ينتخون بقولهم «اخوذية»
ثم بنو صخر النازلون شرقي البلقاء على طريق الحاج وهم فرقتان الطومة والخرشان .

فالطومة ثلاث فرق : العيين وشيوخهم الفايز وهم شيوخ سائر بني صخر ايضا ومنهم المرحوم
طلال بن : ابن قندي الفايز والحامد والزين . فالفايز كتبهم في الحرب «اخربلها»
والحامد يقولون «اخو عمشاء» والزين «اخو وضحا» . واما الخرشان احدى فرقتي بني

صخر فيقولون «اخوفلوا» والبلقاء في اللغة هي المرأة الكريمة الغريزة التي لاتعلم الشر ،
وورد ايضا انها الناقة : قالوا ناقة بلقاء لاتنحاش من شي سكانه ورزانه كما انها حقة .
ولم اعلم سبب قولهم «اخربلها» . واما العمشاء : فهي مؤنث الاعمش من الحمش وهو

ضعف البصر مع سيلان الدمع . ولم ار في فصيح اللسان «الفلوا» ، وانما قيل ان الفلوا
وهو المهر يقال له فلوا بالتشديد ثم يؤنث فيقال فلوة مثل عدوة عدوة قبل ذلك تحريف
ام تخفيف ؟ لا اعلم . وجميع بني صخر يقال لهم البواصل وهو انقب يحجمهم فاذا قيل جاء

البواصل فهم العرب من ذلك انهم بنو صخر ومعناه مفهوم . ولهم لقب آخر وهو «رعاة
العرفاء» والعرفاء مؤنث الاعرف وهو الطويل الذي له عرف : يقال ناقة عرفاء اي
مشرفة السنام . ويقال ايضا ناقة عرفاء اي مذكورة تشبه الجمال ، ويقال ايضا عرفاء

للضبع لطول عرفها وكثرة شعرها وقد وردت العرفاء في شعر الشنفرى قال :

ولي دونكم اهلون سيد عملاس
وارقط زهنول وعرفاء جبال

ثم ان العدوان وهم عشيرة ينزلون منذ نحو مائتي سنة بالبلقاء يشتمون في الغور ويقيمون
في حبان يكتنون «باخرة شيخ» . ومن الزيب ان هذه الكنية في الحرب كنية
المناسخ العوامرة من رؤساء البروز في جبل حوران . على ان للعدوان ايضا لقباً آخر
وهو «رعاة الضبطاء» . اخبرني شيخهم وشيخ مناسخ البلقاء في هذا العهد وهو سلطان

ابن علي بن ذياب ان الضبطاء اسم ناقة تنمونها في حربهم مع الامراء آل مهدي الذين كانوا في البناء قديماً وكانوا امراء تلك الجهة وزحزحهم العدوان عنها بعد حرب عوان وان آل مهدي كانوا قد حملوا على تلك الناقة اوفار كوزهم من الحلي والذهب والفضة فزهم آل عدوان وغنموا الناقة بما عليها وتقاسموا فيما بينهم تلك الاموال فكانت بدء سعادتهم وحقق لهم ان ينسبوا الى ناقة حملت سعدهم فوق متنها . واما الضبطاء في اللغة فهي مؤنث الاضبط والاضبط هو الذي يعمل بكنا يدبه : يقال اسد اضبط اي يعمل بسأره كعمله يمينه : وناقة ضبطاء وليوة ضبطاء . قال الجرج الاسدي :

اما اذا أحررت حردي فحجرة ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

ثم عشيرة عباد من نزالة البلقاء ايضاً وهم بناطرون العدوان يقال لهم « الطرائفة » قسمهم في الهجاء يصيحون « اين ذهب الطرائفة ؟ اين ذهب الطرائفة ؟ » وهم فرق ست منهم المتناصير « اخوة عوجاء » ومنهم الخلة الذين (بدون تشديد) ومنهم الفقه او منهم الرماضة ومنهم غير ذلك . والطرائفة اسم جامع للكل

ثم الحويطات التالزون باطراف معان والعقبة على طريق الحاج هو لاء يقال لهم « اخوة صالحة » ويتخون في الحرب بكلمة « خيالة الصفحة » . سمعت انهم يسمون بذلك محلاً صعباً وعراً كثير الحجارة في بلادهم وفي اللغة الصفائح هي بهذا المعنى

ثم العجارمة وهم من عشائر البلقاء ايضاً ولم قدم في التاريخ رأيت السائح ابن بطوطة في رحلته يشير اليهم اذ مر من هناك قاصداً الى الحجاز هو لاء كنيته « صبيان الصباح » ولا اعلم الاصل في ذلك . وعشيرة ابي الغنم جيرانهم يقال لهم « اخوة دلعب » ولا اعلم وجه هذه التسمية ولم ار في الفصح « دلعباً » فلعله مقلوب دلعب اودعبل فان الدعبل والدعبل هما بمعنى الناقة .

وبنو حميدة من عرب الكرك « صبيان السياح » وبنو شيوخ عرب الكرك الذين منهم مبعوث ذلك اللواء في مجلس الامة هو لاء كنيته « اخوة خضراء » والصلية من عرب الكرك ايضاً يقال لهم « رعاة الحيزا » ولا اعلم للحيزا معنى الا ان كان من الحيز وهو السير الرويد والسوق الذين يسمون حاز الناقة يحيزها اي سار بها يرفق وللرفيحيات من عرب مجلون كنية هي « اخوة شيرة » ولعل « شيرة » مخفف « شيرة » اي جميلة لانه يقال امرأة شيرة اي حسنة الشارة

والعقمر من عرب غور يسان يقال لهم « رعاة الجدعا » والجدعا من الجدع وهو النطع

وأكثر ما يستعمل في الأنف والشفة والأذن وقد رأيت في أسان العرب « بنو جدعاء »
بطن من العرب .

ثم المساعيد النازلون بنور الفارغة في عدوة الاردن الى الغرب على طريق نابلس اميرهم
ضامن المسعودي لهذا العهد يقال لهم « بنو عقبة » وبلغني انهم في الاصل اشراف وارادون
من الحجاز .

والسرحان من العرب التي يقال لها عرب الشمال اسمهم « رعاة البويض » . والكعير
اسمهم « رعاة الصغرا » والدعجه من عرب مادبة يقال لهم « اخوة خشفة » . والمشاخه من
عرب غور ابي عبيدة (رضي الله عنه) منهم الريح « اخوة عشميا » والفعاور « اخوة صبحا »
والشرارات وهم من عرب البادية الضاربة الى الجوف يقال لهم الآت « بنو مكاب »
واطن انهم هم بنو كلب لان التاريخ ذكر نزول كلب باطراف اللقاء من الشام .

ومن جملة الكنى المشهورة في حوران « اخوة باجاء » وهي كمية بني الاطرش اشهر
مشايخ الدروز بذلك الجبل . ولا ادعي اني اتيت على جميع ما لعرب الشام من اصطلاحات
النخوة والكنية واللقب اذ بقي هناك قبائل وبطون وانحاذ لا يكاد يأخذها العدد ولكل
منها كنية وعرفه تتعرف بها وانما تتبع القول السائر : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .
هلكت السل

ثبت ان الانكحول هي الباعث الاقوى للسل وانه حيثما كثرت الحانات زادت
الاصابات والوفيات بهذا الداء العياء . واذا كان في فرنسا مثلاً نحو نصف مليون حانة
يصيب كل ثمانين انساناً من اهلها حانة واحدة وفي بلاد الشمال يصيب كل ٥٣ شخصاً
حانة اصبح السل فيها اكثر انتشاراً من غيرها . وقد أكدوا ان بلاد نروج توصلت بالقواعد
الصحية ومراقبة التلامذة والاساتذة في المدارس التي هي بؤرة العدوى الى ان قلَّ
فيها عند المصابين بالسل وفي احصاء ظهر منذ خمس سنين ان فرنسا يهلك فيها ٣١ نسمة
من كل عشرة آلاف بهذا الداء وايرلاندا ٢٦ وبنكوسيا ٢٠ والمانيا ١٧ وايطاليا ١٦
وانكلترا ١٦

التنزيه في الفرصة

بدأت الشركات في سويسرا منذ عشرات من السنين بجلب الاولاد من بلادها
وغيرها وتنزيههم مدة الفرصة فجرت على اثرها شركات اخرى في اكثر ممالك اوربا
حتى بلغ عدد من تنزههم الشركات من التلامذة في المانيا ٣٥ ألفاً في السنة وفي انكلترا

٣٠ ألفاً وفي فرنسا ٢٥ ألفاً ومن التلامذة من يرسلون تحت حماية معلمهم الى نزل للشركة ومنهم من تكتري لهم دوراً خاصة وفريق منهم تبتاع اوتبني لهم دوراً من ارض لها لينزلوها خلال فصل الصيف

الاستشفاء في الشمس

كتب الدكتور تريولير في مجلة مطا، انما في البيوت مائتاه مهرباً : جاءت الشهور التي يستشفى بها بالشمس العجيبة فنفتح لها ابوابنا ونوافذنا ولا يكني تسخين المساكن بالشمس وانارة زواياها بحرارتها فان الشمس في تلك الحال لا تزيد الجراثيم التي تنمو في الرطوبة والظلمة الا تضوئاً ولا يقتصر على الاستحمام بنورها المحرق انذهب خلال الارتياض والخروج للزهة بل الواجب ادخال اشعتها الى جسمنا وهر عريان لتطهر اشعتها جثثنا وتحمي انسجةنا وتحول المادة الحية المكتسبة الى مواد حيوية طاهرة تحوي في مطاويها النشاط والقوة .

فقد اوصى اسكولاب المشهور في الاساطير القديمة الذي احترم الاطباء في كل عصر اقواله - كل من ضعف وظانهم ان يعرضوا عراة في الشمس يؤثاب رؤوسهم من ضربات الشمس . وكان الرومان يقتطعون من مساكنهم اومدنهم اماكن يختصونها بحمامات الشمس والهواء الطاق يدعونها سرلار يومو بذلك حسن نسل اليونان واللاتين . قصد الاسكندر الكبير ديوجنس الكلبي ذات يوم وهو خارج من برميله يستحم على مهل بنور الشمس فسأله الملك ايكه غرض تريد ان اقضيه يا فيلسوف فاجابه هذا ارد ان اتبعك من طريق شمسي

وقد اتفق الاطباء في عصرنا على هذه المسألة وجنمت من كل مكان اخبار فوائد اشعة الشمس . وحدث ان رجلاً كان مصاباً ببحر اجين نغارين من الخنازير فعرض احدهما للشمس فشفى اما الثاني فلما لم يحسن مداواته باشعة الشمس بقيت بحالها تنز . وهكذا الحال في كثير من الرضوض والقروح السالية والفواسير والبثور وجروح الجلد فانها كلها تعول بتأثير المداواة بالشمس .

واشعة الشمس لا تؤثر فقط في ظاهر الجلد بل تخترق البشرة والادمة (الطابقة الغائرة من الجلد) وتسري الى الداخل وتعديل الحواس الداخلية فالحرارة المنبعثة منها تجلب النعيرين تغلبن الاعصاب وترخص المفاصل ويحول النعير بالملل والقلل بتأثير الاشعة وما يتبعها من ارتفاع درجة الحرارة ويحسن المضم شيناً فشيناً ويسكن القلق والاضطراب

الحادث ثالث من أوجاع مجهولة . ويرتفع التأثير الشديد الثاني من وجع الكلى والرحم والمبيض والآلام العصبية ووجع الاضلاع او يقل تناوبه تلى المصاب به فنفسه تنفسه وترتاح روحه وتنعدل حالة البول بادراره تارة وتجمعه اخرى وتحسن موازنة الوظائف المديدة في تركيب الانسان واكمل الاحشاء التي تناوم كل تأثير تنتهي بها الحال الى الخروج عن ضعفها . وينف السمن عن النمو او يرجع القهقري وذلك بدون عقاقير ولا تعاطي ادوية ولا حاجة للارصول الى هذه الغاية الى اكثر من الشمس على طريقة منظمة بتوجيه الاشعة الى البطن السمن والمنتق والخاصرة حتى تعود الى اعتدالها وحالتها الطبيعية وبعد المداواة بالشمس اشهرأ يعود الصدر الى سالف طبيعته .

وان الحركات الرياضية النفسية اللازمة للبالغين من ضاقت صدورهم ولكل من لم يستعدوا السبل لتتضي بان يعري المرء نصفه الفوقي ويعرضه للشمس وهذه المداواة تنفع جميع الضعفاء والهزالى والمتهوكين والمتعبين . واكثر المستشفين انتفاعاً باشعة الشمس من اسودت بشرتهم فاذا لم يكتب لهم ذلك فالواجب ان يمدوا الى طريق آخر في الاسعفاء . ويجب ان يمرض الجزء اللازم شفاؤه للشمس مباشرة بدون حاجز اللهم الا يحجب يقي الجسم من النظر وهرب الهوا فلا يحجم المستعم تلى هذه الصورة ولذلك رأى بعضهم ان خير استشفاء ما يكون في الشتاء ورأى آخرون ان الواجب الا يتباطى وضع رفادات ندية او مثابحة على الرأس والرقبة والقلب ولذلك يجب مراجعة الطبيب

السجناء

ما ربح الناس سيف الغرب يسون الى تخفيف عذاب السجن والرفق بالسجناء حتى اصبح السجن بهيجاً كالمعمل او المكتبة بل ان بعض السجناء قال نفث احد المسجون انهم لا يعطوننا خبزاً مثل خبز الجند كأنه ظن نفسه ارقى منهم طبقة ويحق له ان يطالب باكثر مما نال فليس عجيباً من ثم ان تزيد الجرائم . واخلف الباحثون في الجرائم والعقوبات فمنهم من رأى الاستعاضة عن الحبس بغرامة مالية ولكن ما كل الناس في سعة يستطيعون معها بذل المال وقال آخر يجب تشهير الجاني بالاعلانات ورد عليه غيره بان ذلك منوط بعقل المجرم . وذهب آخرون الى وضع المجرمين في بيوت اهلها من اهل العرض والشرف ثم عاد عن هذا الفكر وارتضاه فقط اصغار الاولاد . واحسن السجنون . جن لوفان في البلجيكي حيث يفصل المحكوم عليهم عن اخوانهم ويزورهم اتانس من ارباب الشرف والحشمة يسلمونهم ويعطونهم عملاً ويستمعون لمطالبهم ويصحون لهم من ربات انجح صالحة

وقد ارتأى أحد العلماء ان المحكوم عليه يجب ان يفصل ما يمكن عن اقاربه ويكون قريباً ما يمكن من المجتمع

شركات المطاط

كان يستخرج المطاط الى العهد الاخير من اشجار برية مرسية اسمها « ليان » ثم اصبحوا يفرسون شجره ويزرعونها فصارت غلاته على طريقة منظمة واجود واغزر من قبل وانتشرت هذه الزراعة في المستعمرات الانكليزية فأنشئت سنة ١٩٠٩ — ٨٩ شركة انكليزية برأس مال قدره عشرة ملايين جنيه كما أنشئ من اول كانون الثاني ١٩١٠ الى ١ آذاره ٤ شركة جديدة اخرى رأس مالها خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وكل يوم تنشأ شركات جديدة وقد كانت رؤوس الاموال الموضوعة سنة ١٩٠٦ مليونين ونصفاً من الجنيهات فاصبحت اليوم ثلاثين مليوناً واعم تلك الشركات ٢٤٧٠٠٠٠٠ شجرة يستخرج منها المطاط

مدرسة التربية

يذهب كثير من الباحثين الى ان المدرسة اذا علمت الاولاد قليلاً او كثيراً فهي لا تربيههم وقد كتب احد علماء الطليان بحثاً في هذا الشأن قال فيه ان المدارس تفرط في تدريس التعليم المسيحي على حين ليس هو نافعاً في تربية اخلاق الاولاد وذلك لانهم لا يفهمون منه شيئاً فالواجب ان يعتمد الى تربية الطفل على العمل حتى تصبح المدرسة مربية حقيقة فان ساعتين تكفيانه في اليوم لتعليم اللغات والمعارف الابتدائية فينبغي تخصيص بقية الوقت اي ساعتين او ثلاثاً للاعمال اليدوية بحسب ميل الطفل وذوقه لان الاستعداد للعمل امن اساس في الاخلاق وبذلك لا تكون المدرسة سجن الطفل تبرم نفسه من الجلوس على دكات المدارس خمساً او ست ساعات في اليوم وتضطرم المدرسة الى حضور التعليم الديني بلا فهم والفطرة تدعوهم الى الحياة العملية التي تهني مستقبلهم في المجتمع .

سماد الفوسفات

انتشرت صناعة السماد الكيماوي ولا سيما الفوسفات فقد ظهر هذا السماد لأول مرة سنة ١٨٦٧ في كارولين ثم جاء سماد البلجيك والجزائر وتونس وجزائر المحيط وفلوريدا وغيرها وكان المستخرج منه سنة ١٨٨٦ ثمانية الف طن فاصبح هذه السنة خمسة ملايين طن والولايات المتحدة اكثر الممالك اخراجاً للفوسفات اي نصف ما يستخرج من آسيا

واوربا واغريقية وزاد المصروف من هذا السباد ٢٩ مرة خلال العشر السنين
الاخيرة .

القرى والمدن الانكلوسكسونية

قابل احدهم بين نمو المدن في انكلترا ونموها في المانيا فقال ان الالمان اشد ميلاً الى سكنى المدن من الانكليز في حين بدأ الانكليز بالتخضر في المدن قبل الالمان بكثير فقد كان ٥ في المئة من سكان المملكة الجرمانية سنة ١٨٧١ يعيشون في المدن التي تضم كل واحدة منها بين جوانبها مئة الف نسمة فبلغ عدد ساكني المدن ١٩ في المئة من مجموع السكان سنة ١٩٠٥ وكان عدد المدن التي تحوي كل منها مئة الف نسمة ١٤ مدينة في انكلترا سنة ١٨٧١ فيها ٦٤٢٥٠٠٠٠ ساكن او ٢٧ ونصف في المئة من مجموع السكان فاصبحت سنة ١٩٠١ ٣٣ مدينة كبرى تحتوي كل واحدة منها على مئة الف نسمة ومجموع سكانها ١١٥٠٠٠٠٠ فزاد سكان المدن ضعفين خلال هذه المدة في انكلترا وزادت في المانيا ثلاثة اضعاف . والسبب في نمو المدن الالمانية كثرة اراضي المانيا وكثرة الولادات بل هجرة الناس من القرى ومعظم سكان المدن الحديثة هم شبان تحتلف سنهم بين ٢٠ الى ٤٥ سنة

عملة الطليان

يلغ عدد العاملين في ايطاليا ١٦٦٠٧٨٧٢ عاملاً منهم ثلاثة ملايين و ١٢٩٠٥٠٠ يعملون في الصناعات و ٤٦٧٠٦٦٦ في الزراعة وقد انشأ الراقون من العملة مؤتمراً للاتحاد بينهم منذ اربع سنين فبلغ عدد الداخلين فيه الى هذه السنة زهاء ثلثائة الف وغايتهم ان تكون حركة طبقة المساكين تحت ادارتهم مباشرة وان يساعدوا على تأسيس غرف للعمل والاتحاد الوطني وينشطوا على وضع القوانين الاجتماعية النافعة للعاملين لمخطتهم اصلاحية سلمية

التعليم الحديث في الصين

اخذت الصين منذ سنة ١٩٠٠ تعنى كل العناية باصلاح التعليم في الصين فنظمت كلية بكين وقسمتها الى ثمانية اقسام ثم أسست مدرسة للغات الغربية وفي سنة ١٩٠٣ وضعت مشروع قانون لجعل التعليم عسرياً محضاً فاخذ الطالب بشرع في الدرس في السنة السادسة ولا يخرج من المدرسة الثانوية الا في سن العشرين وبعد ذلك يتبرن ثلاث سنين في المدرسة العليا في عوادم الولايات قبل ان يخضع في مدرسة بكين في

علم واحد وهذه المدرسة تعد رجالاً أكفأ لسنة وأربعين مسلحاً • ويصرفون جزءاً مهماً من الوقت في المدرسة الابتدائية لتعلم اللغة الصينية وقراءة كتب الاقدمين من كتاب الصين اما في المدارس الاخرى فيدرسون العلم واللغات الحية خاصة وهذه اللغات تعلم على الترتيب الآتي : اللغة الانكليزية اللغة اليابانية اللغة الفرنسية اللغة الالمانية اللغة الروسية • والثلاثاء انفسهم يلاحظون في كل مدرسة امر مدرستهم ولم حق الاشراف عليها • ولم تكذ تنشر اللوائح الجديدة في التعليم حتى وضعت موضع العمل وقام الصينيون كلهم يطلبون انشاء مدارس لم وقد فتحت في ولاية بتشيلى وحدها ثلاثة آلاف مدرسة في آن واحد وحوادث كثيرة من المعاهد البوذية الى مدارس للتعليم على الاصول الحديثة وقد اعوزهم المعلمون اولاً حتى اصبحوا يتقبلون التعاليم بعض من لا يحسنونه الا ان الصين لم تلبث ان بعثت الى يابان سنة ١٩٠٤ بانبي طالب يتعلمون في مدارسها العالية وزاد عددهم حتى بلغوا سنة ١٩٠٦ عشرة آلاف طالب وكل من يعود منهم توسد اليه الوظائف السامية في التدريس وغيره (عن مجلة العالمين الفرنسية)

التعليم في المانيا

لاشيء ادل على ارتفاع التعليم الابتدائي في المانيا من قلة عدد الاميين بين الجند من ابتائهما فقد كان عند المانيا سنة ١٨٨٧ — ١٢٥٠ جندياً أمياً من الجنود الذين كانوا تحت السلاح فاصبحوا سنة ١٨٩٧ مائتين وقد بان ان هذه السنة اثنتين في المئة من مجموع المجندين واكثر هؤلاء الجنود الاميين هم من البولونيين في بروسيا الشرقية اما عدد الاميين في فرنسا في السنة الماضية فقد بلغ ٩٨٣٥ من الجند ومعظم الدول تعلم جندها الاميين القراءة والكتابة بحيث لا يقتضي الجند في الخدمة العسكرية الا وقد تعلم الكتابة كما تعلم الرماية

المطبوعات الاميركية

نشر احصاء بحركة العلم والمطبوعات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية فشاهد ان القوم اخذوا يزهدون في قراءة القصص ويرغبون في تناول كتب الجد واصبحت كتب الآداب في الدرجة الاولى من العناية بعد ان كانت في الدرجة الخامسة • وقلت العناية بكتب الدين واللاهوت كما زادت في سائر فروع العلم مثل الفنون النافعة والجغرافيا وكتب الرحلات والسياسة والعلوم الاجتماعية والتربية • وقد طبع سنة ١٩٠٩ في هذه البلاد ٨٣٠٨ كتب لمؤلف اميركي وكان عددهم في السنة التي قبلها ٦٣٤٩

وطبع ٨٣٨ كتاباً لمؤلف انكليزي او اجنبي وكان عدد هذه الفئة في السنة التي قبلها ١١٤٥ .

اللغة الروسية

كانت اللغة الفرنسية في روسيا منذ مئة سنة لغة الطبقة العالية والمجمعات المنورة وما برح الروسون يعملون على تحسين لغتهم ويجيبونها الى النفوس على كثرة شذوذها ويرفقونها على غلظتها حتى نشروا اعلامها لا في بلادهم فقط بل في اوربا ووصلوا بها الى اميركا في نيويورك وحدها حتى للروس يبلغ المتكلمون بلغتهم ١٦٠ ألفاً هذا واللغة الروسية على ما فيها من الآداب منذ عهد بوشكين شاعر الروس الاول الى عهد نولسوي آخر ائمة النثر عندهم لم تبحر على جفافها الاول وان تسربت اليها الفاظ كثيرة من اللغات المجاورة ولا سيما من الالمانية .

اميركا الاسرائيلية

في احدى المحلات الافرنجية ان اميركا هي بلاد الاسرائيليين لورجنا الى مقالته بعض المؤرخين والاحصائيين . فقد دخل الاسرائيليون اميركا منذ اكتشافها وسهل علماء اسرائيل في البرتغال باعالمهم الرياضية والفلكية الطريين لسفر خريستوف كولمبس الى اميركا بل ان مال اليهود . الذي يسر له رحلته وكان معه في السفينة لويز دي تور الاسرائيلي وهو اول من داس الارض الاميركية واخذ المهاجرة من الاسرائيليين منذ افتتاح تلك البلاد بأنونها زمرأاً زمرأاً فاليهود هم الذين استعمروا سان توميه حيث أسسوا معامل السكر وبهم نجحت برازيل الى ان طردوا منها سنة ١٦٥٤ وجزائر بارباد وجامايك ارتقت بواسطة الاسرائيليين وقد صرح احد حكام الانكليز ان الاسرائيليين هم احسن رعايا عظمة الملك . وما كانت الولايات المتحدة لتدخل في طور الفلاح لولا الغنصر اليهودي فيها . وقد قال الرئيس روزفلت يوم عيد ٢٥٠١ لهجرة الاسرائيليين ان هؤلاء القوم قد شاركوا في عمران هذه البلاد ونشأتها . وقال الرئيس كلفلند لم يوتر احد كاليهود في تأسيس معالم الحضارة الاميركية اليوم .

الرياضات اليابانية

يقول اليابانيون ان اجسام نعيمهم اخذت بالضعف منذ تحلى الناس في باباب عن الارتياض واللعب على طريقتهم القديمة على خلاف ما يظن الاوريون فان كثرة المواصلات بالترامواي والسكك الحديدية قللت السير على الاقدام والنشي من انقع

الرياضات كالسباحة وقد نصحوا بان الواجب على كل بابائي ان يحسن العوم ويتعلمه
مكرهاً في المدارس وعلى الناس ان يرجعوا من تلقاء انفسهم الى تعاطي اللعب والرياضات
والمشي فليس ادل على ضعف البنية اليابانية اكثر من ان حكومة الميكادو اخرت ١٧٨
الفاً من الجند او اعفتهم من الخدمة من اصل ٤١٤ الفاً لضعف بنيتهم ولانهم لم يستوفوا
الشروط المطلوبة للخدمة العسكرية .

خريطة العالم

دعا المؤتمر الجغرافي في جنيف سنة ١٩٠٨ مؤتمراً دولياً للتعاون على وضع خريطة
للعالم من مقياس مليون فاجتمع المؤتمر في نندرا وقرران ترسم انكلترا معالم افريقية
ومجاهلها وترسم الولايات المتحدة معالم اميركا الشمالية والجنوبية والمانيا ترسم آسيا وستكون هذه
الخريطة اصح مصوراً للاقاليم والبلدان تنفق عليه النفقات العظيمة .

محصول الحنطة

ذكر احد كبار الاحصائيين الاقتصاديين منذ عشر سنين انه سيحيى وقت ليس
ببعيد بظهر عجز كبير في محصول القمح فلا يعود يكفي الناس لانهم في ازدياد كل
يوم والمحصول لا يزيد على نسبتهم فقد ابان بعضهم بان محصول الحنطة في العالم سنة
١٩٠٥-١٩٠٦ كان ٢٣٧٠٥٨٦١٩٣ هكتولتراً (الهكتولتر ثمانية ار) وما صرف
من ٢٣٩٠٧٧٣٠٧٣٠ فبلغت الزيادة ٧٠٨١٢٠٤٦٢ هكتولتراً وبلغ المحصول في العالم
سنة ١٩٠٧-١٩٠٨ ١٩٠٨٤٩٤٧٠ ولا يأتي سد هذا العجز الا بحزن القمح وخزنه لا يتيسر على
ما ينبغي والمستقبل لا يخلو من خطر على غذاء البشر . وقد عاد الاقتصاديون فبحثوا عن
الاراضي التي تزرع قمحاً فاثبتوا بالارقام ان كثيراً من الاصقاع في اميركا وآسيا آخذة
بالنمو العجيب في زراعة الحنطة وانه يمضي الجيل اثر الجيل والقرن بعد القرن والحنطة
تكفي البشر وانه اذا كانت بعض المطاحن والخابز وقفت عن الطحن والعجن والخبز
ولا سيما في العواصم الاميركية والانكليزية فذلك ناشئ من مضاربة تجار الحنطة لا
من قلة المحصول .

الصحافة في سويسرا

ظهر تقوم الصحافة السويسرية لهذه الامة فحين منه ان سويسرا على قلة سكانها
اكثر البلاد الزاكية بصحفا ومجلاتا ففيها ٢٦٢ جريدة سياسية واخبارية تصدر باللغة

المانية و ١٠١ باللغة الفرنسية و ٢١ باللغة الابطالية و ٣ بلغة الرومانش (الرومانش من شعوب سويسرا الشرقية) نزول اليوم في كيزون ولغتهم مشتقة من اللغة اللاتينية)
وعندهم اربع مجلات فلسفية مهمة و ٤٠ مجلة فرنسية برتسنتية و ٣٧ المانية و ٢٧
جريدة كاتوليكية و ١٠ جرائد للرسلين ومجلتان اسرائيليتان وثلاث مجلات لا تقول
بدين هذا عدا الجرائد الرسمية التي تصدر في المقاطعات والمجلات الحقوقية
والاقتصادية والاجتماعية والفقهية ومجلات الضمان والنساء والفلسفة والعلوم والصناعات
النفيسة والرياضات والآداب فيكون مجموعها ٢٦٦ مجلة وجريدة فيها الله بلاد العلم
والعمل .

منع التتبيل

اشدت ولاية ايوا في الولايات المتحدة اكثر من غيرها من اصقاع الارض في منع
التقبيل وقد صنعت الوقاين الشريط الابيض والوردي كتبت عليه « لا تقبل » ووزعت
مجاناً كي تلامذة المدارس واخذت ادارة الصحة تبث باطنها الى البلاد يخطبون
القوم في مزار التقبيل واساتذة المدارس يساعدهم بما يشونه من النصائح للتلامذة والطلبة
حماية الجمال الطبيعي

في المانيا عدة جمعيات اخذت على نهجها حماية الجمال الطبيعي في اصقاعها البهجة
وهي تبذل كل مرتخص وغال لحماية المصانع القديمة من سوء ينزل بها ومنذ عشر سنين
ما برحت المراكز لهذه الغاية تعقد وتعالى ومن هذه الجمعيات ما يبلغ ايراده مئة
الف فرنك في السنة تصرفها في هذا السبيل
الحمة

هي تلك الاراضي الفسيحة الواقعة في وادي اليرموك الجبل على الخط الحجازي الآتي
من طريق حيفا في الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ الذي يشقه نهر الشريعة الشهير على جنوبي
جبال مكيس ذات الآثار الجليلة المعروفة قديماً بمدينة (جدره) وفي الحمة ينبع ثلاثة
ينابيع معدنية حارة تنبجس بفازرة وتجري حتى تنصب في نهر الشريعة على بعد قليل
ويبعد النبع عن الآخر بضع دقائق يدعى احدها « المظلي » « او حمام سليم » ودرجة
حرارته ١١٩ والآخران (حمام الحرب) وحرارته ٠٨ او حمام « الريح » وحرارته ٨٢
بميزان فارنهييت ويالحق بهذه الحمامات ثمانية دونم كلها صالحة للزراعة ذات خصب وثراء
وقد عرف الاقدمون مكانة هذه الينابيع فعمروها على احسن طرز من البناء الروماني

الضخم الجليل يدلنا على ذلك ماخلفوه لنا من الآثار الجلييلة والابنية العائرة الفخمة التي تحاطبنا بانفسح لسان بما كانت عليه من الجلال والمنة ابان مجد الرومانيين العابر منها آثار تياترو من الحجر الصلد الاسود على غاية الرونق والاتقان

وقد جرى تحليل هذه المياه في ادوار مختلفة لمعرفة خصائصها ومنافعها في الاستشفاء والمعالجة فانفسحت التجارب عن حقائق ذات شأن كبير منها شفاء اوجاع المفاصل المعروفة بالروماتيزم على انواعها عضلية او مفصلية وامراض الجلد والقروح حادة او مزمنة والرميل الكلوي وامراض المعدة والكبد والامراض الزهرية والامراض المانعة للحبل والتوليد وغير ذلك وفيها ايضا نبع غزير بارد له خاصية شفاء الاسهال اذا شرب منه المصاب ولهذا الحمامات شأن في كثير من جهات البلاد المجاورة لذلك بقصدتها الكثيرون يستشفون بها ويمشعون البصر بنظرها الطبيعية الجميلة بين ماء وكلاء وجبال شماء واودية غناء ولا يبلغ اذا قلت ان معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين الفا يقيمون اياماً تحت حر الشمس وهبوب الريح لايت يؤويهم ولا نزل يكنهم فان كان قاصدوها يبلغون هذا العدد وهي قفراء خربة في شهر واحد فكيف يكون عددهم لو تهيات لهم حمامات منتظمة وابنية وفنادق ومابه يستب لهم الراحة فيه البالغ اذا قلت انهم يزيدون عن المائتي الف؟

وقولي هذا بقوله الوف غيري وبضيق بي المقام لو قصدت الاستفاضة في وصف ما تحتية شركة مساهمة من الارباح وما يحوزه الوطن من الفوائد المادية والمعنوية والشركة تحتاج الى خمسين الف ليرة منها خمسة واربعون الف ليرة للابنية من حمامات ونزل ومستشفيات وخمسة آلاف ليرة لاصلاح الاراضي المجاورة ونصب اشجار مثمرة من ليمون وبرتقال وغيره وحدث عن خصب هذه الاراضي ولا حرج فن شجرة الباميا بلغت مترين فكيف تكون غلة الاشجار المثمرة وكما يكون نموها عجيباً وكما من الارباح والفوائد التي تستغلها الشركة وتتمتع بها دون اعنات وعناء ؟

عجلون : نجيب فر كوح



مطبوعات ومخطوطات

العبرانيون والفينيقيون

نشر المنيسوسلوش من علماء المشرقيات كتاباً بالافرنسية ذكر فيه ان الاسرائيليين والفينيقيين من عنصر واحد وليس اصل سكان فينيقية بعيداً عن وقت دخول المكوس اي العرب الى مصر . ومعنى فينيقي ساكن الكشبان والرمال الحمراء وكان العبرانيون والفينيقيون على عهد القضاة شعباً واحداً قال وقد دخل التمدن الى بلاد اليونان من مصر وان كان موشي اخو ابي الهول قد خرج من صحراء ليبيا ليحمل الحضارة الى يونان والكادموسيون اخوان الفينيقيين البكر اما اجداد الساميين المذكورين باسم بني قدم في التوراة فان اصل مقلهم كان في الهند كوش وخليج فارس ومعنى اسمهم الساميون الشرقيون ومنهم خرج العبرانيون سكان ماوراء بحر القرات والاراميون سكان بلاد الشمال الجبلية والعرب سكان الغرب . وقال انه كان سنة ٤٧١ ق م اناس من المستعمرين اليهود في اسوان وجزيرة الفيلة من صعيد مصر وانتشر اليهود في القرن الثاني ب م في افريقية ولما دمرت القدس سنة ٧٠ كان اليهود ومن تبع عاداتهم هم السواد الاعظم من سكان صحراء ليبيا . وبعد الحروب التي نشبت بين يهود اليونان ويهود الرومان خربت بلاد برقة وصحراء ليبيا الشرقية واصحاحل سكانها وسقطت اليهودية اليونانية منذ ذلك الحين في افريقية ولما قامت مدينة قرطاجنة الرومانية على انقاض قرطاجنة الفينيقية اصبحت مدينة تقاليد اليهود النموديين وامتدت المستعمرات اليهودية من قرطاجنة الى بلاد مراکش وكثر عددهم في مراکش الرومانية وافريقية القانداالية في القرن الثالث للمسيح . وتكلم على اليهود الحبريين واليهود البربر وعاق شائناً عظيماً على قول ابن خلدون في البربر النازلين في افريقية منذ عهد مشطاول والبربر الذين اتوا من حمير وهم عرب اختلطوا في افريقية بالسكان الاصليين وتبرروا مثلهم وقد انصبت هذه الشعوب الحميرية بصغة اليهود وقال ان اليهودية انتشرت في جنوبي بلاد العرب منذ سنة ١١٥ ق م .

ديوان سلامة بن جندل

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات من الفرنسيين ديوان سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية نقلاً عن نسخة مخطوطة من مكتبة ابا صوفيا في الاسنائة وقد ترجمه كتابه الى الافرنسية ونشره في المجلة الآسيوية فساهم بمجرد آلي حدة

فقه العلم

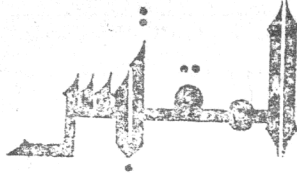
هو كتاب قدمه اصدقاء الماركيز مكيوردي فوكيه، المستشرق الفرنسي بمناسبة ذكرى ثمانين سنة من ولادته وبعض تلامذته ورفقائه والمعجبين به من علماء المشرقيات فكتب كل واحدة مقالة او بحثاً في الموضوع الذي يغلب عليه فكان عدد مقالاته ٥٨ مقالة وقد جرت العادة ان يقدم للعلماء مثل هذه الهدايا كما قدم لنولده احد كبار علماء المشرقيات من الالمان مثله ومن مقالات هذا الفرانكيس مقالة للمستشرق «مانس فان برثم» للكتابات المؤثرة عن دولة الانابليكية في دمشق وحل ماعرف من الكتابات الخمس عن امراء البوريين منها ثلاث من الانابك طغتكين وواحدة من ابنه بوري واخرى من محمد بن بوري . ومنها بحث للسيو برونوف في حصون تخوم بلاد العرب من العقبة الى حوران و اشار الى المبد الذي أنشئ في اوائل التاريخ المسيحي في بي من بلاد حوران اكراماً لو سارا وفيه المصورات والرسوم اللازمة . وبحث المسيو جويدي في المعلومات التي تؤثر عن علماء العرب في الجغرافيا من قبل الادريسي مثل ابن خردادة واليعقوبي وابن الفقيه والاصطخري والمقدسي في وصف اوربا الغربية فقال ان هذه المعلومات ضعيفة لان العرب الذين جاؤا اسبانيا قد ساروا على شواطئ اذربقية ولم يتيسر لهم ان يزوروا البلاد الغربية على ان هؤلاء الجغرافيين وصفوا رومية وصفاً مستوفى في الجملة اخذوه عن مصادر مسيحية ولكنها شرقية . وجميع هذه المقالات متعلقة بآثار الشرق وتاريخه وآدابه وشعره وفي جملة الكتابين اناس من كبار المستشرقين مثل سنار ونولده ومولر وماسبرو ومرجوليوت ودونسو وغانو

مجلتان جديدتان

العلم — هي اول مجلة عربية نشرت في العراق لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني في النجف وتطبع في بغداد وهي شريفة دينية فلسفية سياسية علمية صناعية ومؤلفها مشهور من التديم بكتابهاته ورسائله وقيمة اشتركاها ٣٠ قرشاً في محلها وريالاً ونصف في سائر الاقطار

النجف — هي اول مجلة فارسية ظهرت في العراق لمنشئها اغا محمد المحلاتي تصدر في النجف مرة في الشهر في ٦٤ صفحة وثمنها ثمانية ريالاً وهي تبحث في موضوعات دينية ومدنية





مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

تمة ماورد في الجزء الماضي

﴿ من اعلمهم في الهاتف والناقل والرئي ﴾^(١)

قال الجاحظ : والاعراب واشباه الاعراب لا يتحاشون من الايمان بالهاتف بل يشعجون
من رد ذلك فمن ذلك حديث الاعشى ابن ماس بن زرارة الاسدي انه سمع هاتفاً يقول :
لقد هلك الفياض غيث بني فهر وذو الباع والمجد الزئبق وذو القدر
قال فقامت مجيئاً له :

الا ايها الناعي اخا الجود والندی من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال :

نعت ابن جدعان بن عمرو اخا الندي وذا الحسب القدموس والمنصب القصر
وهذا الباب كثير

« قالوا » ولتقتل الجن الاخبار علم الناس وفاة الملوك والامور المهمة كما تسامعوا
بموت المنصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة . وهذا الباب ايضا كثير
« وكانوا » يقولون اذا الف الجن انسانا وتعطف عليه وخبره ببعض الاخبار وجد
حسه ورأى خاله ، واذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رئي من الجن . ومن يقولون

« ا » الرئي كفني ويكسر جني يرى فيجب او المكسور للمحبوب منهم « قاءوس »

ذلك فيه عمرو بن لحيان بن قعدة — والمأمون الحارثي — وعنتبة بن الحارث بن شهاب في ناس معروفين من ذوي الاقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع فاما الكهان^(١) فمثل حارثة بن جبهنة وكاهنة باهلة وعنز سلفة ومثل شق وسطيح واشباهم واما العراف وهو دون الكهان فمثل الابلق الاسيدي والاحاج الزهري وعروة بن زيد الاسدي وعراف اليمامة رباح بن كحلة وهو صاحب المستنير البائعي وقد قال الشاعر:

فقلت لعراف اليمامة داوحي فانك ان ابرأتني لطيب

وقال جبهاء الاشجعي :

اقام هوى صفية في فؤادي وقد سيرت كل هوى حبيب
لك الخيرات كيف منحت ودي وما انا من هواك بذى نصيب
اقول وعروة الاسدي يرقى اناك برقية الملق الكذوب
لعمرك ما الثناؤب يا ابن زيدر بشاف من رقاك ولا يحجب
لسير الناعجات اظن أشقى لما بي من طبيب بني الدهوب

وليس الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة^(٢) والزجر والخطوط والنظر في اسرار الكف وفي مواضع قرص الفار وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الاكتاف والقضاء بانجوم والعلاج بالتمكر

وقد كان مسيلمة يدعي ان معه رثيا في اول زمانه. ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه :

(١) قال ابن الاثير في النهاية : الكاهن الذي يتعاطى الخبير عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار وقد كان في العرب كهيئة كيشق وسطيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم ان له تابعا من الجن ورثيا يلقي اليه الاخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على موانعها من كلام من يدأله او فعله او حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما اه وقال ايضا : العراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به (٢) العيافة زجر الطير والفاوثر باسمائها واصواتها وممرها وكان ذلك من عادة العرب كثيرا وهو كثير في اشعارهم يقال عاف بعيف اذا زجر وحدهس وظن . افاده ابن الاثير . وقال ايضا الزجر للطير هو التيمن والتشوم بها والتفؤل بطيرانها كالسناخ والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة .

بيضة قارور وزاية شادن وخلة جني وتوصل طائر
الاتراه ذكر خلة الجني

✽ ماروي من هتوفهم بالبعثة المحمدية ✽

حكى الامام الماوردي في اعلام النبوة مارواه اهل السير من هتوف الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وانه كان من آيات نبوته الصادرة عن الهام فمن ذلك مارواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مرَّ به رجل فقيل له : اتعرف هذا المار يا امير المؤمنين قال : ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رثيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم يا امير المؤمنين بينا ناذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رثي من الجن فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته انشأ يقول :

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس باقتباها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماصادق الجن ككذباها
فارحل الى الصفوة من هاشم فليس قد اءا كاذناها

فقلت له : دعني فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثانية اتاني فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعوا الى الله والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتجارها وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روايتها واجمارها

فقلت : دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فصر بني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول :

عجبت للجن وتنجاسها وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ماخير الجن كانجاسها

فأرسل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى رأسها
قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبي الاسلام فرحات ناقتي وابتت المدينة فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت : اسمع مقال يارسل الله قال : هات فأنشأت
اتاني نجي بن هدد ورقدة ولم اك فيها قد نجوت بكاذب
ثلاث ليل قاله كل ليلة اتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمت من ذيل الازار ووسط بي الذعلب الوجناء بين السباب
فاشهد ان الله لا شيء غيره وانت مأمون علي كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرمين الاطياب
فرنا بما يأتيك باخبر من مشى وان كان فيما جاء شيب الفوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة موكبهم عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالاتي فرحاشديدا ووثب اليه عمر
فالتزمه وقال : قد كنت احب ان اسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رؤيتك اليوم
فقال : مذقرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن

وروي ابراهيم بن سلامة بسنده الى رجل من خضم قال : كانت خضم لا تحل
حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما (قال) فيرنا نحن عند صنم مهابذات ليلة
تتقاضى اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح صاحح من جوفه

ياايها الركب ذوو الاحكام ماانتم وطائش الاحلام

ومسندوا الحكم الى الاصنام

هذا نبي سيد الانام يصدع بالحق وبالاسلام

اعدل ذي حكم من الاحكام

ويقع النور على الاظلام سيعلم في البلد الحرام

قد طهر الناس من الآثام

قال الخشمي : ففرغنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وروي ابراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له : خرجت
 واصحاب لي في تجارة لنا يزيد الشام فمتجنا رجل من يهود فلما كنا ببعض اودية الشام
هتف هاتف

اياك لاتعجل وخذها موبقة فان شر السير سير الحققة

قد لاح نجم فاستوى في مشرقه بكشف عن ظلام عبوس موبته
يدعو الى ظل جنان مرقه

فقال اليهودي : تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا : ما يقول قال : يخبران نبيا قد
ظهر خلا فكم بمكة فقد منا فوجدنا نبي صلى الله عليه وسلم بمكة
ومن بشائر هتوفهم ما حكاه ابو عيسى قال : سمعت قريش في الليل هاتف ابي
قيس (جبل) يقول :

فان يسلم السعدان يا محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف
فلما اصبحوا قال ابو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تم فلما كان في الليلة الثانية
سمعه يقول

يا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبنا الى داعي الهدى وتنبينا على الله في الفردوس مائة عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف
قال الماوردي : ولئن كانت هذه الهتوف اخبار آحاد عن لا يرى شخصه ولا يحج
قوله فغروجه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول
الاخبار يؤكده صحتها ويؤيد حجتها (فان قيل) ان كانت هتوف الجن من دلائل
النبوة جاز ان تكون دليلا على صحة الكهانة فنه جوابان (احدهما) ان دلائل النبوة
غيرها وانما هي من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثاني ان الكهانة عن
مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والنائب موهوم اه كلام الماوردي

﴿ من اعلمهم في توصافهم ومن قتلوه ﴾

يقولون من الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة الانسان واسمه « شق »
وانه كثيرا ما يعرض للرجل المسافر اذا كان وحده فرما اهلكه فزعا وربما اهلكه خسرا
وقتلا (قالوا) فمن ذلك حديث علقمة ابن صفوان بن أمية بن حرب الكافي جد مروان
ابن الحكم في الجاهلية خرج وهو يريد مالا له بمكة وهو على حمار وعليه ازار ورداء
ومعه مقربة في ليلة اضحائية حتى انتهى الى موضع يقال له حائط جرمان فاذا هو بشق له
يد ورجل وعين معه سيف وهو يقول

علمني ابي مقتول وان لمحي ما كول

اضربهم بالدهلول^(١) ضرب غلام شملول

رجب النراع بهلول

فقال علقمة

يا شقها مالي ولك ، اعتمد عني منصلك

نقتل من لا يقتلك

قال شق

عنيت لك عنيت لك ، كيا ابيج مقتلك

فاصبر لما قد حم لك^(٢)

فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرأبيتين . فمن قتلت الجن علقمة ابن صفوان هذا وحرب بن امية قالوا وقالت الجن

وقبر حرب بمكان قفر ، وليس قرب قبر حرب قبر

(قالوا) ومن الدليل ان هذين البيتين من اشعار الجن ان احدا لا يستطيع ان

يشذهما ثلاث مرات متصلة لا يتنعم فيها وهو يستطيع ان يشذ اثقل شعر في الارض واشقه عشر مرات ولا يتنعم

(قالوا) وقتلت مرداس بن ابي عامر ابا عباس بن مرداس — وقتلت الغريض

خنقا بعد ان غنى بالغناء الذي كانوا نهوه عنه — وقتلت الجن سعد بن عباد بن ديلم وسمعوا الهاتف يقول

نحن قتلنا سيد الخرج سعد بن عباد

ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

✽ من استهوه^(٣) ومنهم خرافة ✽

(قالوا) استهوه سنان بن ابي حارثة ليستفحله فمات فيهم واستهوه طالب بن ابي

طالب فلم يوجد له اثر الى يومنا هذا — واستهوه عمرو بن عدي اللخمي الملك الذي يقال

فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه على جذيمة الابرش بعد سنين — واستهوه عمار

ابن المغيرة ونفخوا في احليله فصار مع الوحش

(١) الدهلول بالضم القرس الجواد ولعل المراد به هنا السيوف (٢) اي قضى (٣)

القاموس : استهوته الشياطين ذهبت بهواه وعقله او استهاته وحيرته او زينته لهواه

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال : خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال : الروث : قال فما كان شرابهم قال البول .

✽ توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان ✽

العلامة تزعم ان الغول يتصور في احسن الصورة الا انه لا بد ان تكون رجلها رجل حمار ، وخبروا عن الخليل بن احمد ان اعرابيا انشده وحافر الير في ساق خدلجة ^(١) ، وجفن عين خلاف الانس في الطول وذكروا ان العلامة تزعم ان شق عين الشيطان بالطول : قال الجاحظ : وما انظنهم اخذوا هذين المعنيين الا عن الأعراب

✽ مزاعمهم في ارض وبار وبلاد الحوش ^(٢) ✽

تزعم الاعراب ان الله تعالى حين اهلك الامة التي كانت تسمى وبار كما اهلك طمسا وجديسا وعملاقا وثودا وعادا ان الجن سكنت في منازلهم وحمتها من كل من ارادها وانها اخصب بلاد الله واكثرها شجرا واطيبها ثرا واكثرها حبا وعنبا واكثرها نخلا وموزا فان دنا انسان من تلك البلاد متمدا او غالطا حثوا في وجهه التراب فان ابى الرجوع خبلوه وربما قتلوه

(قال الجاحظ) والموضع نفسه باطل فان قيل لم دلونا على جبهته واوقفونا على حده وخلاكم ذم زعموا ان من اراده التي على قلبه الصرفة حتى كانهم اصحاب موسى في التيه وقال الشاعر

وداع دعا والليل مرخ سدوله زجاء القرى يامسلم بن حمار

دعا جعلا لا يهتدي لقميله من اللؤم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الاعرابي جعل ارض وبار مثلا في الضلال ، والاعراب يتحدثون عنها كما يتحدثون عما يجحدونه بالدو ^(٣) والصان ^(٤) والدهناء ^(٥) ورمل يبرين ^(٦) وما

(١) خدلجة اي مملثة (٢) بضم الحاء المهملة في القاموس : الحوش بلاد الجن او فحول الجن (٣) الدو — والدوية — والدواية ويخفف الفلاة ودوى تدوية اخذ في الدو (٤) الصان كل ارض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل وموضع هالج (٥) الدهناء الفلاة وموضع لتيم بنجد (٦) ويقال ابرين قال في القاموس : رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر البامة .

أكثر ما يذكرون ارض وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر (قلوا) فليس اليوم في تلك البلاد الا الجن والابل الحوشية والحوش من الابل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول ابل الجن فالحوشية من نسل ابل الجن والعبدية والمهرية والعبيدية والعناية قد ضربت فيها الحوش وقال روبة

حوت رجال من بلاد الحوش

وقال ابن هرمة

كأنني على حوشية او نعامة لها نسب في الطير وهو ظليم
وانما سموا صاحبة يزيد بن الطثرية حوشية على هذا المعنى، وقال بعض اصحاب
التفكير في قوله تعالى «وانه كان رجال من الانس يعوزون رجال من الجن فزادوهم
رهقاً» ان جماعة من العرب كانوا اذا داروا في تيه من الارض وتوسطوا بلاد الحوش
خافوا عبث الجنان والاعالي والذيلان والشياطين فيقوم احدهم فيرفع صوته انا عائدون
يسيد هذا الوادي فلا يؤذيهم أحد وتسير لهم بذلك خفارة .

﴿مزاعمهم في الصرع﴾

يزعمون ان الجنون اذا صرعه الجنية وان الجنونة اذا صرعها الجنني ان ذلك انما هو على
طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ، وان الشيطان بعشق المرأة منا — وان نظره اليها
من طريق المحب بها اشد تأليها من حمى ايام — وان عين الجن اشد من عين الانسان
﴿مزاعمهم في الطاعون﴾

قال المجاحظ : العرب تزعم ان الطاعون طعن من الشيطان ، وتسمي الطاعون رماح
الجن ، قال الاسدي للحارث الفسافي ملك غسان

لعمرك ما خشيت على ابني رماح بني مقيدة الحمار

ولكني خشيت على ابني رماح الجن او اياك حار

يقول لم اكن اخاف على ابني مع منعته وصبر امته ان تقتله الانذال ومن يرتبط
المعردون الفرس ولكني انما كنت اخافك عليه فتكون انت الذي تطعنه او يطعنه
طاعون الشام وقال العماني يذكر دولة بني العباس

(١) اصل الطاعون الطمن والقيل بالرماح ثم اطلق على المرض العام والوباء الذي
يكثرفيه الموتان .

قد دفع الله رماح الجن واذهب العذاب والتجني وقال زيد بن جندب الايادي :

ولولا رماح الجن ماكان هنهم رماح الاعادي من فصيح وأعجم ذهب الى قول ابي دؤاد :

سلط الموت والمنون عليهم فلمم في صدا المقابر هام^(١)

يعني الطاعون الذي اصاب ابادا ، وروي ان عمرو بن العاصي قام في الناس في طاعون عمواس فقال : ان هذا الطاعون قد ظهر وانما هو وخز من الشيطان ففروا منه في هذه الشعاب : وبلغ ذلك ابن جبل فانكر عليه

✽ مايزعمونه في تمثيلهم وتصورهم ✽

قال الجاحظ : تزعم العامة « ان الله تعالى قد ملك الجن والشياطين والعار والغيلان ان يتحولوا في اي صورة شاؤوا الا الغول فانها تحول في جميع صورة المرأة ولباسها الا رجلها فلا بد ان يكونا رجلي حمار »

وانما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة النكلي — وعلى تصور الملائكة الذين اتوا مريم وابراهيم ولوطا وداود في صورة المؤمنين — وعلى ما جاء في الاثر من تصور ابليس في صورة سرافقة بن مالك — وعلى تصويره في صورة الشيخ النجدي

(قالوا) فاذا استقام ان تختلف صورهم واخلاق ابدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز ايضا ان يكون ابليس لعنة الله عليه والشيطان والغول ان يتبدلوا في الصور من غير ان يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة اه

ونقل الحافظ احمد ابن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي باسناده عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول : من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته الا ان يكون نبيا اه

(١) الهامة اسم طائر كانوا يتشاءمون به او هي من طير الليل وقد قيل انها البومة وكانت الاعراب تزعم ان روح القتيل الذي لا يدرك بشاره تصير هامة فتقول استقوني فاذا ادرك بشاره طارت وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت او روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (اه نهاية)

(قال ابن حجر) وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيئاً منهم بعد ان يتطور على صورته من الحيوان فلا يقدر فيه وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور ، (قال) واختلف اهل الكلام في ذلك فقيل هو تحييل فقط ولا ينقل احد عن صورته الاصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم على ذلك بل بضرب من الفعل اذا فعله انتقل كالسحر (اي الشهادة) (قال) وهذا قد يرجع الى الاول اه وسياقي تحقيق تمثلهم في اول مباحث الخاتمة

﴿ رأيهم في قرناء الشعراء الفحول ﴾

قال الجاحظ : يزعمون ان مع كل خل من الشرا شيطانا يقول ذلك الفعل على لسانه الشعر ويقولون امم شيطان الخبل^(١) عمرو وامم شيطان الاعشى مسجل^(٢) وكذلك ايضا اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الاعشى مسجلا حين هجاء جهنم فقال :

دعوت خليلي مسجلا ودعوا له
بجهنم يدعى للجهنم المذم

وذكره الاعشى فقال :

جبابي اخي الجني نفسي فداؤه
بافج جياش العشيات مرجم

وقال اعشى سليم :

وما كان جني الفرزدق اسوة
وما كان في الخوافي مثل عمرو وشيخه

وقال الفرزدق في مدح اسد بن عبد الله :

اقبلن ابا الاشبال مدحتنا
من كان بالغور او طودي خراسانا

كانها الذهب العقيارات جبرها

وقال

فلو كنت عنددي يوم قرء عذرتني
يوم دهني جنة وخباله

فمن اجل هذا البيت ومن اجل قول الآخر

اذا ما زاع جارية^(٣) فلاقى
خيال الله من انس وجن

زعموا ان الخابل الناس . والما قال بشار بن برد

(١) بزنة اسم مفعول (٢) كمنبر (٣) اي اجتنبها

دعاني شقن ان الى خلف بكرة فقلت اتركني فالتفرد احمد
اي احمد لي في الشعر من ان يكون لي عليه من معين فقال اعشى سليم يرد عليه
اذا الف الجني قرداً مشفقاً فقولوا لخنزير الجزيرة ابشر
فنجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لانه كان يعلم مع تغزله ان وجهه وجه قرد وكان
اول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رآوا منه حتى انشد قول حماد عجرد
ويا اقبح من قرد اذا ما عمي القرد
وفي ان مع كل شاعر شيطاناً يقال معه قول ابي النجم
اني وكل شاعر من البشر شيطانه اني وشيطاني ذكر
وقال آخر
اني وان كنت صغير السن وكان في العين نبوءة عني
فان شيطاني كبير الجن

واما قول عمرو بن كلثوم
وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من بلينا
فانهم يزعمون ان كلاب الجن هم الشعراء . ومما دل على انهم يقولون ان مع كل
شاعر شيطاناً قول شاعرهم

اذا ما ترعرع فينا الفلا م فليس يقال له من هو
اذا لم يسد قبل شد الازا ر فذلك فينا الذي لاهو
ولي صاحب من بني الشيصا ن فطراً اتول وطوراً هو
وشيصان وشقن ان رئيسان ومن آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما ابو النجم
لا في شقن ان وشيصان

❖ خيالهم في جن الشام والهند ❖

قال الجاحظ : واصحاب الرقي والاخذ والعزائم والسحر والشعوذة يزعمون ان العدد
والقوة في الجن والشياطين لنزلة الشام والهند وان عظيم شياطين الهند يقال له (سكويرك)
وعظيم شياطين الشام يقال له « دركاراب » وقد ذكرهما ابو اسحق في هجائه محمد
ابن بشير حين ادعى هذه الصناعة فقال

قد لعمرى جمعت من اصعياب ثم من شعر آدم والخراب
وتفردت بالطواقى واليهكل والدهتمت من كل باب
وعلمت الاسماء كي ماتلاقي زحلا والمربخ فوق السحاب
واستثرت الارواح بالبحر بأئين اصرح الصحيح بعد المصاب
جامعا من لطائف الدهمسيا ت كنوسا نعتها في كتاب
ثم احكمت متقن الكرويا ت وفعل الناريس والتجارب
ثم لم تفكك السماء والحد مة والاخفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي بسكويرك ودركاراب

﴿ توههم ملامح الجن في الانس ﴾

قال القعقاع بن معبد بن زرارة في ابنه عوف بن القعقاع : والله لما ارى في عوف
من شمائل الجن اكثر مما ارى فيه من شمائل الانس : وقال يجير بن ايوب :
اخو قفرات حالف الجن وانتفى من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف بنجله وللجن منه خلقه وشمائله
وقال الآخر :

وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البساسب
فليس بجني فيعرف بنجله ولا هو انس تحتويه المجالس
يظل ولا يبدي لشيء نهاره واكنه بنتاع ^(١) والليل دامس

﴿ قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان ﴾

انشد اعرابي :

فما يعجب الجنان منك عدمتهم وفي الاسد افراس لم ونجائب
انسجج يربوعا وتلجم قنفذا لقد اعوزتهم ما علمت المراكب
فان كانت الجنان جنت قبل الحرى ولا ذنب للاقدار والله غالب
وما الناس الا خادع ومخدع وصاحب اسهاب وآخر كاذب

وقال دعلج بن الحكم

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناثب وشيطانه عند الاهلة يصرع
وانشد عبد الرحمن بن منصور الاسدي
جنونك مجنون ولست بواجد
طبيبا يداوي من جنون جنون
وانشد

أتوني بمجنون يسيل لعابه وما صاحي الا انا حيج المسلم
وقال ابن ميادة

فلما اتاني مائقول محارب تغت شياطين وجن جنونها
وحكت لها مما اقول قصائدا ترامت بها صهب المهارى وجونها
وقال في التمثيل

ان شرخ الشباب^(١) والشعر الاسود د مالم يعاض كانت جنونا
وقال الآخر

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ان الثياب جنون بروء الكبر
وما احسن ما قال الشاعر

جاءت بها عند الغداة يمينه كلتا يدي عمرو الغداة يمين
ما ان يجود بمثلها في مثله الا كريم الخيم^(٢) او مجنون

وقال الجمعي

ولو انني لم ائل منكم معاينة الا السنان بذات الموت مطعون
اولا خطبت فاني قد هممت به بالسيف ان خطيب السيف مجنون
وانشد

هم احواحي الرقي بضرب يؤلف بين اشتات المنون
فكعب عنهم درء الاعادي وداووا بالجنون من الجنون

✽ ما يحكونه من نيران السعالي والجن ✽

انشد ابو زيد لسهم بن الحارث
ونار قد حضأت بهيد هدء بدار لا اريد بها مقاما

سوى تحليل راحلة وعين كائنها مخافة ان تناما
اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عمواظلاما
فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحمد الانس الطعاما
قال الجاحظ : وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع ههنا قول ابي المطراب
عبيد بن ايوب

فله در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف مشفر
ارنت^(١) بالحن بعدلحن واوقدت حوالي نيران تبوخ^(٢) وتزهر

✽ فلسفة ماتزعمه الاعراب من عزيز الجنان وتغول الغيلان ✽

قال الجاحظ رحمه الله : كان ابواسحاق يقول في الذي تذكر الاعراب من عزيز
الجنان وتغول الغيلان اصل هذا الامر وابتدائه ان القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت
فيهم الوحشة ، ومن السرور وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الانس استوحش
ولاسيا مع قلة الاشتغال والماذكرين والوحدة ، لا تقطع ايامهم الا بالمتى او بالتفكير ،
والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة وقد ابتلي بذلك غير حاسب كابي ياسر ومثنى
ولد الفناير (قال) وخبرني الاعمش انه فكر في مسألة فانكر اهله عقله حتى حموه وداووه ،
وقد عرض ذلك لكثير من الهند واذا استوحش الانسان مثل له التي الصغير في صورة
الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم
على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناسدوه
واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانا ونشأ عليه الناسي وربي به الطفل فصار احدهم
حين يتوسط الفياقي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، فعند اول وحشة او
فزع وعند صياح بوم وبجاجة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في
الجنس واصل الطبيعة نقاحا كذابا وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على
حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى
ان يقول قتلها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول تزوجتها
قال عبيد بن ايوب

فله در الغول أي رقيقة لصاحب قفر خائف متفر

وقال

أهذار فيق الغول والدئب والذي يهيم بربات الحجال^(١) الهواكل

وقال آخر

أخو قفرات خالف الجن وانتفى من الأنس حتى قد تنقضت وسائله
له نسب الانسي يعرف بنجله^(٢) وللجن^(٣) منه خلقه^(٤) وشمائله^(٥)

ومما زادهم في هذا الباب واغراهم به ومدتهم فيه أنهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثاهم والا غيبا لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط—واما ان يلقوا رواية شعر اوصاحب خبر فالرواية عندهم كما كان الاعرابي أكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول وقتلها او مرافقتها او تزويجها ، وآخر يزعم انه رافق في مغارة فمرا فكان يطاعمه ويؤاكله فمن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فانه الذي يقول

اي رسل مروان الامير رسالة لا آتية اني اذا لمضلل
وما بي عصيان ولا بعدد منل ولكنني من خوف مروان اوجل
وفي ساحة العنقاء اوفى عمابة اوالاود^(١) مامن رحبة الموت موئل
ولي صاحب في الغار هدك صاحب هو الجوث^(٢) الا انه لا يعلل
اذا ما التقينا كان جل حديثنا صماتا وطرف كالعابل^(٣) اكل
تضنت الأروى^(٤) لنا بطعامنا كلانا له منها نصيب ومأكل
فما غلبه في صنة الزاد اني اميط الاذى عنه ولا بتأمل
وكانت لنا طب^(٥) بارض مضلة شريعتنا لا يي من جاء اول
كلانا عدو لو يرك في عدوه محزا وكل في العداوة محمل
وأشد الاصمعي

(١) الاود بالضم موضع بالبادية (٢) اي الاسود (٣) جمع معجلة بكسر فسكون وهو النصل العريض الطويل (٤) بضم الهمزة انثى الوعول (٥) بالكسر اي عادة وشان

نشوء اللغات الإسلامية

تمة ماورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة إيجاد الفاظ جديدة للتعبير عن أفكار حديثة ان تأخذ اللغة العربية من اللغات الأجنبية او ان تعتمد الى معجمها بان تصنع الفاظاً جديدة او بان تضع معاني جديدة للالفاظ التي تجدها في متن اللغة . ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بان تعتمد الى اللاتينية او اليونانية لتصنع منها التعبيرات الجديدة . وهذا تأتأ حزبان حزب يقول باخذ الالفاظ الافرنجية والآخر لا يرضى الا بالرجوع الى الاشتقاق من متن اللغة . والظاهر ان الحزب الاول قد كتب له النلبة أولاً ولا سيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين اولغلبة الكسل عليهم فبدلاً من ان يبحثوا في إيجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسي أكتفوا بنقله على ما هو بدون ان يحدثوا فيه تغييراً ثم ان عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد على ذلك ايضاً فان جريدة المشرق الرسمية ما برحت الى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر اما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها اليها الا من المتعذرات . وقد ذكر المنيو واشنطون سويسر من جملة الالفاظ الاعجمية التي دخلت على اللغة الجزائرية لفظة شاميت ويجمعونها على شامليت اي حارس الحقل بدلاً من عسس الفحص وفي الاوراق الرسمية « السيد الكوفرنور جنرال » اي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً ان يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد انخى برسنيه في كتابه الملح العربية على هذا النقل الرديء وحق له ان ينجي عليه قال لانه لا يفهم له معنى حتى عند الفرنسيين انفسهم .

وباليتى يرى ماسرى الى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الالفاظ الفرنسية المحرفة تحريفاً تعذر احياناً معرفته . وقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المنيو هو داس والمسيودلفين لفظة « لانتوراليز فرانس » بمعنى المتجنس بالجنسية الفرنسية ولفظة « كاتارفاويت » بدلاً من لفظة ثمانية وثمانين . ونحن لانورد الالفاظ كثيرة من هذا القبيل من الالفاظ الافرنجية التي يقل فيها التحريف ولا تاذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة « كونسبيون دو » امتياز ماء التي وردت في رسالة لاحد من نقلها كما هي .

(٣) ولقد وقع رجوع الى الاصل في مكافحة الالفاظ الاعجمية التي اوشكت ان تغير

نشوء اللغات الاسلامية

تمة ماورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة ايجاد الفاظ جديدة للتعبير عن افكار حديثة ان تأخذ اللغة العربية من اللغات الاجنبية او ان تعتمد الى معجمها بان تصنع الفاظاً جديدة او بان تضع معاني جديدة للالفاظ التي تجدها في متن اللغة . ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بان تعتمد الى اللاتينية او اليونانية لتصنع منها التعبيرات الجديدة . وهذا تأبى حزبان حزب يقول باخذ الالفاظ الافرنجية والاخر لا يرضى الا بالرجوع الى الاشتقاق من متن اللغة . والظاهر ان الحزب الاول قد كتب له النلبة اولاً ولا سيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين اولغلبة الكسل عليهم فبدلاً من ان يبحثوا في ايجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسي اکتفوا بنقله على ما هو بدون ان يحدثوا فيه تغييراً ثم ان عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد على ذلك ايضاً فان جريدة المشرق الرسمية ما برحت الى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر اما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها اليها الا من المتعذرات . وقد ذكر المسيو واشنطون سويسر من جملة الالفاظ الاعجمية التي دخلت على اللغة الجزائرية لفظة شاميت ويجمعونها على شاماليت اي حارس الحقل بدلاً من عسس الفحص وفي الاوراق الرسمية « السيد الكوفرنور جنرال » اي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً ان يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد انخى برسنيه في كتابه الملح العربية على هذا النقل الرديء وحق له ان ينخي عليه قال لانه لا يفهم له معنى حتى عند الفرنسيين انفسهم .

وباليتى يرى ماسرى الى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الالفاظ الفرنسية المحرفة تحريفاً تعذر احياناً معرفته . وقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المنيو هو داس والمسيو دلفين لفظة « لانتور البزفرانسه » بمعنى المتجنس بالجنسية الفرنسية ولفظة « كاتارفاويت » بدلاً من لفظة ثمانية وثمانين . ونحن لانورد الفاظاً كثيرة من هذا القبيل من الالفاظ الافرنجية التي يقل فيها التحريف ولا تاذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة « كونسبيون دو » امتياز ماء التي وردت في رسالة لاحد من نقلها كما هي .

ولقد وقع زجوع الى الاصل في مكافئة الالفاظ الاعجمية التي اوشكت ان تغير

نضرة اللغة . فاكدمسيو باربييه دي مينارس سنة ١٨٩٦ مع السرور ان الصحافة العربية في مصر وسورية اخذت تستعير عن الالفاظ الاجنبية التي كثر فيها بالفاظ عربية صرفة وذلك ان اللغة يمكنها بما لها الاستغناء عن الالفاظ الاجمعية وكان منها ان عبرت سنة ١٨٩٧ لفظة « كونه » بلفظة مؤتمر للدلالة عن مؤتمر المستشرقين الذي عقد تلك السنة في مدينة باريز ووضعت كلمة مستشرق للفظ « اورينتاليست » الفرنسية وهي اسم فاعل من شرق والمصدر استشرق اي طلب الشرق او اتجه نحو الشرق وهي تنطبق على الاصل الافرنحي كل الانطباق . واخذ اللسان العثماني هذه الالفاظ الثلاث عن العربية وانشأ يستعملها وكان من قبل ينقل اللفظ الفرنسي برمته واحتذاء اللغة العربية مطالب الحياة الحديثة هو من العادات المتبعة في الصحافة التونسية ويرجح ان تجري سائر الجرائد العربية في البلاد الاخرى والجرائد السورية والمصرية وهي نموذجها ومصدرها الوحيد على مثال الجرائد التونسية في تعريب الالفاظ

والهك الآن عدة امثلة في استعمال المولد من الالفاظ العربية الصرفة اقتبسناها من كتاب المسيو واشنطون سويس ومن هذه الالفاظ لفظة منطاد للبالون ودراجة للبيكسيكلت ومطفأة لمضخة الحريق ومستوصف . ومن جملة الالفاظ التي كانت موجودة في اللغة واستعملت لمعنى جديد لفظة امتياز وانهاء ودشن « افتح » وتحتيق ومذهب (سيامي) وصيغة (سياسية) . وانت ترى ان لفظة صيغة بالمعنى الخاص معناه اللون والصبغ اما الذين يصوغون الكلمات المولدة عندما يعمدون الى الفاظ موجودة في من اللغة فانهم يستندون على المعنى الاصيل للفظ الذي يريدون ان يعرّبوه . ومن هذه الالفاظ التي كان على المسيو واشنطون سويس ان يضيفها الى قائمة الالفاظ المعربة لفظة « كاية » فقد كان المترجمون يستطيعون ان يطلقوا عليها لفظة دار العلوم اودار الفنون ولكن كثيراً من الكتاب لاحظوا ان لفظة « اونيفرسيتيه » تعطي معنى الاجتماع والمجموع فصاغوا من كل كلية وهي ترجمة حرفية للفظ الفرنسية . ولفظ كلية شائع اليوم في مصر كثيراً .

وبعد فانا اذا بحثنا عن الالفاظ في كل قطر عربي وعن علاقة الفاظه بالالفاظ الفرنسية نستنتج ما يأتي : ففي سورية ومصر وتونس كمية كبيرة من الالفاظ الفرنسية مختلفة الاساليب وفيها ايضاً كثير من الالفاظ التركية او الفارسية التي انتقلت الى العربية بواسطة التركية وهي في الاكثر تعابير عسكرية وادارية او الفاظ تشریف مثل باشا

وبك وافندي وخاتم . والفاظ ألمانية مثل سيفورطه (خمان من الخريق اوصمان الحياة) المستعملة في التركية . وندر استعمال هذه الفاظ في البلاد الاخرى وهي شائعة بالاستعمال على الاسن في طرابلس الغرب كما تجد بعض الفاظ الرومية وهناك الفاظ اعجمية اخرى ولكنها قليلة وهي مستعملة في مصر خاصة مثل لفظة « جنه » الانكليزية لليرة المصرية . وهذا جماع الفاظ الاعجمية وقد سبق لنا الكلام على المالطية وهي بين اللغة التونسية والمصرية وفيها اثر كبير من الايطالية

ثم ان في تونس لغة مكتوبة منقحة للغاية ليس فيها شيء من الفاظ الاجنبية ولغة محكية دخلت اليها الفاظ الافرنسية والايطالية بكثرة . اما لهجة الجزائر فتكثر فيها الفاظ الفرنسية وفيها كما في لهجة تونس بعض الفاظ التركية وقليل من الاسبانية والايطالية . اما لغة مراکش فتجد فيها تعابير فرنسية وايطالية واقتبس قليلاً من لغة البربر وكثيراً من اللغة الاسبانية وربما بعض الفاظ البرتغالية . وقد اكده الملبو مرسية في بحثه عن هذه الفاظ المشتركة ان الفاظ البربرية (التي قد تكون احياناً الفاظاً من اصل عربي مذبذبة ثم اعيدت الى اللغة العربية) فلما توجد الا في البلاد الكبرى التي تكثر فيها اللغة البربرية ثم ان تأثير اللغة الاسبانية في المدن الساحلية محسوس جداً فتراهم يستعملون في الكلام لفظة « كوشطا » للساحل مأخوذة من « كوستا » الاسبانية و « فالسو » اي ردي الصفه و « فافور » نعمة و « خلينال » مخنذة من جنرال و « موندا » من « موني » اي المعاملة . ولم يثبت بان الادوات او الحروف دي وديال انكثيرة الاستعمال قد اتت من دي ودل ولكن اللغة العربية المراكشية اخذت عن الاسبانية حرف ب . وقد لاحظ المسيو مرسية وحقت له هذه الملاحظة بان قلة تناسب في هذه اللغة وتأثيرها باللغة البربرية والاسبانية ناشئة من اسباب كثيرة والحقيقة ان اللغة البربرية ليست لغة مكتوبة هو من اهم الاسباب على ان العربية كانت في كل زمن نحو اللغة البربرية وعاملة على تمدنيها وتحصيرها

من الصعب تعيين الفاظ الدخيلة على لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فاللغة البهلوية كتابة آرامية واكثر الفاظها آرامية ولكن اي تأثير كان في اللغة من هذه الفاظ السامية المشتركة ؟ الواقع ان هذه الفاظ الدخيلة لم تكن اسما مجردة بل اسما كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابلها من الفاظ الايرانية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من الحقيقة رأي من يدعون ان البهلوية لا تختلف الا في الخط

وقد تبدل كل شيء في الفتح الاسلامي فدخلت على اللغة الفارسية الفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تماير دينية والفاظ مجردة واخذوا يكتبونها بالف باء العرب وهذا هو اصل الفارسي الحديث . ولكن هذا التحول طال امره حتى ان الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامه وهي قصة ابطال فارس بدون ان يستعمل الالفاظ العربية وهذا مما يدل على مقدرة يصعب تقليدها اليوم وان كان بعض العلماء يقدرون على كتابة مكاتب مطولة ومقالات جرائد متتصرين فقط على الالفاظ الايرانية ولكن من ادغام اللغة الفارسية بالالفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية .

ولقد كانت للفرس والترك والتتار في القرون الوسطى كثير من العلاقات التي ابقى اثرها منها في اللغة وسرت بعض الالفاظ التركية الى الفارسية منذ قرون ومن جملة ما ذكره ارميوس فبري من الالفاظ المستعملة في الفارسية وهي من اصل تركي مثل « سالار » قائد و « خواجه » معلم او استاذ . وسرى اليها بعض الالقاب واسماء الوظائف مثل آغا وبك وخان وباشي (زعيم) التي كثيراً ما نراها متصلة بالفاظ فارسية مثل « متولي باشي » وهو اسم لقب ديني و « ده باشي » زعيم عشرة (اون باشي) اما سائر المصطلحات المحكية في فارس كالآرامية ولغات الشعوب القاقاسية الخاضعة للحكم الفارسي فلم تنأثر حتى اوائل القرن التاسع عشر بملوثات الفارسية وهكذا في اللغة الهندستانية على كثرة الصلات الموجودة بين فارس والهند فالواجب مع هذا ان لا تغفل عن لفظة « لك » مئة الف و « كورور » خمسمائة الف و « تشاب » طبع او مطبوعات وتنب هذه عن لفظة « طابع » العربية وهي لفظة حديثة العهد

هذا ما يقال في الدور الذي سبقت الدور الذي صار لفارس صلات مع اوربا في اوائل القرن الماضي . وبعد ذلك الدور داهمت الالفاظ الاجنبية اللغة ولم تكن هذه الالفاظ مأخوذة من اقرب الامم من فارس كما كان المنظر ولا من اكثرهن نفوذاً فيها من حيث السياسة والاقتصاد بل ان اللغة الفرنسية هي التي دخلت على اهل الجبل الحائس بافكارها ومصطلحاتها اللازمة للتعبير عن الالفاظ الحديثة في الشرق

بحث في هذا الموضوع احد كبار رجال فارس المرزا علي خان ذكاء الملك مدير مدرسة السياسة في طهران في محاضرة له القاها في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي في عاصمة ايران يوم ١٣ نيسان ١٩٠٧ ونشرت محاضرته في المجلة الزرقاء تكلم فيها بعد ان اورد بعض الملاحظات على الالفاظ العربية والتركية والمندبية التي اخذتها الفارسية على نشوء

لغته الحديث فقال ان اللغة الروسية واللغة الانكليزية لم يسر منهما الى الفارسية الا
الفاظ قليلة جداً

وربما وجد الناظر في لغة اهل خوريس ورشت بعض الفاظ روسية في اللغة الدارجة
ولكنها قليلة للغاية وهذا مما يدل على ان الروس قد اخذوا الفاظاً كثيرة من لغتهم عن
الاجانب مثل الفرنسيين والالمان والانكليز والاطليان فلم تستع الفارسية من الروسية
الا لفظ «ساور» «واسكان» طاس و«دروخكا» عربة و«كاليسكه» كاليش (وهي
عربة ذات اربعة دواليب) و«تاراتاس وباراخود» للسفينة البخارية و«اسكات»
معاملة الورق وهي من اصل فرنسوي اسنيا

والالفاظ الانكليزية عبارة عن عشر وهي «فاغون» و«ترامواي» و«نوت» من
بانكوت و«شيك» وجيلاس (قدح للشرب) وجلاس وسارلاسهم الشركات الخ.
اما الالفاظ الفرنسية في الفارسية فكثيرة جداً وهي تنقسم على الوجه الآتي: الالفاظ
العلمية واسماء العتافير واسماء الاطعمة مثل «سوب» «حساء» و«جيكو» فخذ و«كوتلت»
ضلع واسماء الالبسة مثل «كلوش» حذاء الرجل و«بلوز» مشلع و«بالنو» معطف
و«باردسو» شعار واسماء للتعبير عن المخترعات الحديثة: مثل «تلفون» و«تلفون»
و«اتوموبيل» و«بالون» و«غاز» للاستصباح والفاظ للجذبة مثل «اسكادرون»
كتيبة و«باتري» (بطارية) عدة مدافع و«مارش» سير «هالت» وقوف و«دفيه»
مضيق و«موسيك» موسيقى وان وجود معلمين من الفرنسيس في الجيش الفارسي في
ازمان مختلفة قد انتهى باستعمالهم الالفاظ الافرنجية واسماء الالاث مثل «نيانو» و«لانترن»
مصباح واسماء مدرسية مثل «كلاس» صف و«بروغرام» خطة و«ديكته» املاء
و«نمرة» واستعمالهم لفظي «بارلمان» و«كونستيتوشيون» اللتين نقلوهما بلفظ شوراي
ملي ومشروطيت واسماء سياسية فيقولون عنها سياست وتعابير دولية مثل «قنصل»
و«تمبر» طابع و«بردجه» ميزانية و«هنور» شرف التي تقابل لفظة هنر الموجودة
في الاصل الفارسي وقد استعجزها مونتسكيو وقبلت بن الفارسيين كما قبلت لفظنا
«مرسي» الشكر و«باردون» العفو

واستنتج ذكاء الملك بانه لافائدة من اختراع الفاظ جديدة متى اريد التعبير عن
افكار حديثة فان اللفظ الجديد على ما يرى هو غريب كاللفظة الاجنبية التي يراد اتفاقها.
ومن رآه ان لا يؤخذ من اللغات الاجنبية لفظ مادام في اصل اللغة الفارسية ما يقوم

مقامه . ولذا عبروا عن السكة الحديدية بلفظ « راه آهين » ومتولي الاشغال بلفظ « مهتكدار » ولفظ « مرسل فوق العادة » بلفظ مأمور فوق العادة و « غرفة التجارة » بلفظ « انجمن تجاري » ومهندس بلفظ « فني مأمور »

وبغاب على الظن ان عدد الالفاظ الاجنبية سيقبل بعد حين فانا نرى الجدل قائماً منذ بضع سنين في الصحافة لاعادة اللغة الفارسية الى نضرتها الاولى والقوم يريدون الرجوع بلغتهم الى لغة الفردوسي بحذف الالفاظ العربية التي كثرت سرايتها الى الفارسية وألفنا استعمالها على ماتراه من الامثلة التي اوردها . ويدعي القائلون بهذا الرأي ان حذف الالفاظ العربية لا يفهم منه مخالفة للدين فاما من شيء في القرآن يقضي علينا بان نستهمل في لغتنا الفارسية عربية . وان تناغي الفرس بوطنتهم وما فطر عليه القائلون بهذا الرأي من الغيرة والافتدار ومن جملتهم اللغوي العالم مؤلف الدولة ليدعو الى عقد الرجاء بنجاح هذا المشروع

كان الاتراك قبل ان يدينوا بالاسلام يستعملون الف باء من اصل سامي اما الالف باء اليونانية او الرومانية القديمة والويفور فالظاهر انها لم تكن تقتبس شيئاً من اللغات السامية . واقتبسوا عدداً قليلاً من الالفاظ الفارسية والصينية وعدداً غير قليل من الالفاظ المغولية التي كان الاشتراك في الاصول بينها وبين التركية يسهل احتذاء مثالها بالنظر لكثرة الصلات بين الشعبين . وهذه جملة ما اخذه الاتراك قبل الاسلام من جيرانهم حتى اذا اتخلوا الدين الاسلامي تغير كل ذلك . فكانت العربية وهي لغة الدين والعلم مصدراً للاتراك يتناولون منهما الالفاظ الدينية والعملية التي تمس حاجتهم اليها وكانت اللغة الفارسية على اتم نشوئها ولها آداب رائقة هي لغة الاتراك الادبية في عامة الاقطار وما الشعر التركي الا على مثال الشعر الفارسي وانتشر التهذيب الفارسي من آسيا الوسطى الى البحر الرومي وكانت له المكانة العليا في كل مكان يتكلم به باللغة التركية التي كانت مفرداتها كثيرة في القديم بفضل طرق الاشتقاق الكثيرة الهينة ولكنها لم تلبث ان افتقرت بما وهبها من الالفاظ العربية الفارسية

وانك لترى في النصوص القديمة من لغة الويفور الفاظاً مثل كونادغو يليك وهي من القرن الحادي عشر وهي تكثر في لغة الجغتاي نحو القرن السادس عشر وقد تركت لغة الويفور بالمرّة واستقام امر التركية بانها لغة اسلامية . اما اللهجات الشرقية التي هي اكثر غرابة في تركيبها القديمة فقد احتفظت بتراسها الوطني من المفردات اما في اللغة العثمانية

ولاسيما في اللغة العثمانية الأدبية فانك لاتكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة الفاظ عربية أو فارسية الاصل في آذربيجان والقفقاس تجد تأثيرات اللغة الفارسية ظاهرة في لهجة القوم كل الظهور وفي آسيا الصغرى ترى اللغة العربية مؤثرة في لغة السكان ولاسيما في اللفظ .

وليست هذه الالفاظ المشتركة الاسلامية هي الوحيدة في بابها فانك تجد في لغة سكان التركستان الصينية الفاظاً سرت اليها من اللغة الصينية ولكن ما أخذ من اللغات الاوربية كثير للغاية

في اي عصر دخلت الى التركية الالفاظ الاولى التي هي من اصل غربي ؟ انه من الصعب ان يحكم بذلك حكماً صريحاً على ان الاخذ عن الرومية نشأه قد حدث في التركية منذ القرن الثالث عشر . وفي المعجم الاخوي الذي نشره المسيو هوتسا وكتاب نحو التركية لابي حيان بعض الفاظ من هذا القبيل مثل لفظة (اوغور) (سادة) (ارغات) صانع وهذه الالفاظ على ندرتها في اللهجات الشرقية تكثر بسرعة عجيبة في اللغة التركية العثمانية بعد فتح الاستانة حتى ان لفظة (افندي) الذي كتب المسيو بيشاري تاريخها الغرب والتي تنقلت بها الحالات صورة ومعنى كانت مستعملة منذ القرن الخامس عشر . واذا كانت الايطالية هي اللغة البحرية والتجارية في البحر المتوسط فقد اقتست في كل زمان كمية عظيمة من الالفاظ للغة العثمانية فاننا نجد فيها تعابير بحرية وتجارية وهي من لهجة البندقية خاصة .

وقد اقتبس اللسان العثماني اليوم عدة تعابير بحرية ورياضية من اللغة الانكليزية كما اقتبس قديماً من اللغة المجرية واللغات السلافية في البنات عدة الفاظ عسكرية اما سائر اللغات المحبكة في المملكة العثمانية فاللغة التركية العثمانية تكاد لم تأخذ عنها شيئاً وقد سرت اليها بعض الالفاظ الالمانية وبعض الالفاظ من اللغات الاخرى ولكن الالفاظ الافرنسية كانت ولا تزال أكثر وجوداً في اللسان العثماني من جميع اللغات الاجنبية . بدأ دخولها على عهد السلطان محمود بميد جيش الانكشارية ويجب اعتبار هذا التأثير في الاصل على الاقل نتيجة لازمة للاصلاحات التي جعلت الدولة العثمانية مملكة تشابه اليوم بعد اليوم سائر ممالك اوربا بحكومتها وعاداتها وقوانينها فقصت الحال للتعبير عن افكار جديدة لايجاد الفاظ جديدة وكان معجم اللغة التركية الفارسية العربية يكفي في احوال كثيرة لسد هذه الثلمة ولكن الاتراك رأوا من الانسب قبول

التعابير الاجنبية ولا سيما الافرنسية منها على ما هي عليه . واذا غيروها احياناً فلتماغيرونها لتكون موافقة للفظ التركي . وزاد في هذا الاقتباس من الانترسية انشاء صحافة تركية وطنية نسجوا فيها على مثال الصحافة الاوربية وكثر شغب ادباء العثمانيين بتلاوة مصنفات الفرنسيين حتى حلت محل مصنفات الفرنسيين نحو سنة ١٨٥٠م فصارت المثال الذي يحتذيه كتاب الانراك ولا سيما ترجمة القصص الفرنسية التي هي في الاكثر من اسلوب الانشاء الطبيعي

ثم عاد القوم منذ خمس عشرة سنة يريدون وضع حاجز دون هجوم الدخيل على لنتهم وطرح مادخلها من . و ارادوا ان يعبروا عما يريدون بالالفاظ التركية واذا لم يكن فيها مايقابل اللفظ الافرنجي يعمدون الى الفارسية او العربية . وكاد هذا الاصلاح يأتي بالنتائج المنتظرة منه خصوصاً وان له علاقة بالحركة لتوحيد اللغة العثمانية وهي الحركة التي أشير اليها وسنعود الى الكلام عليها . وعلى اي حال فاننا نرى الآن في الصحافة التركية الفاظاً مولدة مثل « تحت البحر صفى سي » اي غواصة و « آثار عتيقة » اي العاديات او الآثار العتيقة و « يطر فلك » الحيات « بين الملل » دولي وغيرها . وقد نقلوا الى التركية كما نقل كتاب العربية الفاظاً انجليزية وعملوا مسميات وترجموا ادارة بلفظ « زرخي » ولكن الطراد ابتوه على اصله الفرنسي فقالوا (كروازور) وقالوا عن السافه (توربدو) وهي من الابطالية والافرنسية (توربل) و (غانبوط) اي سفينة مدفعية وهي من الانكليزية (كونبوت)

اما المصطلحات العلمية فتكاد تكون تقريباً باجمعها تركية ارفارسية او عربية ويعمد الى الفرنسية واللاتينية في النادر ولا نعمل الانكليزية ولا الالمانية

اما سائر اللهجات الشرقية التي تأثرت من اللغة العثمانية باللغات الاوربية فان اللغة الروسية تكاد تكون وحدها منفردة بهذا الامتياز ولا يشاهد ذلك الا في اللغة التتارية خاصة والظاهر ان ذلك بدأ في النصف الاول من القرن التاسع عشر فانك تجد سيف القصص الهزلية التي فيها الميرزا فتح علي آخوان زاده التي كتبت بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ بعض الالفاظ ان لم تكن روسية فتكون قد سرت الى التتارية من اللغة الروسية مثل (زاكون) قانون (يات) من (ياك) الفرنسية اي تذكرة و (باشبور) من (باشبور) اي جواز و (مدال) من ميدال اي نوط ولا تكاد الآن تفتح جريدة مثل ترجمان التي تصدر في بجه سراي وترقي التي تصدر في باكو وجريدة قازان مخبرية

الا وتدهش مما تراه من كثرة الالفاظ الروسية او المصبوغة بالصبغة الروسية لان كثيرا منها من اصل فرنسي او الماني او ايطالي

اذا عرفت هذا فما هو مستقبل اللغة التركية ؟ انا نشهد الان لجنة المعارف العدمية في مجلس النواب الروسي تعني بالكتب المولفة باللغة المحلية للمدارس وقد رفضت الاستعانة عن اللفظ التركي باللفظ التركي وذلك ليحولوا دون « الجامعة التركية » . ولكن من اين نشأت هذه المخاوف ؟

نشأت من كون جميع العناصر التركية منها كانت لعجتهم من الاستانة حتى سمرقند يريدون ان يتعارفوا ويتفاهموا وانا لنجد الصحف العثمانية تقرأ في روسيا كثيرا والصحافة التركية تتخذها نموذجا تتخذه حتى ولو كان ما يتبسونه منها من المولد مأخوذاً من اصل اوروبي ولا يجب ان يفوتنا ان كثيرا من الالفاظ الفرنسية قد سرت الى اللغة التركية بواسطة اللغة الروسية ولكن ما جاء منها من طريق اللغة العثمانية اوفر عدداً

ولقد اصبح من الظرف في البلاد العثمانية منذ بضع سنين ان تحقر اللهجات الشرقية وينظر اليها كما ينظر الى ما يسمونه « قبا ترك » اي التركي الغليظ وشغف القوم بالرجوع الى لغة اليف او سلطان باير القديمة الغنية التي افترقت وتبدلت اوضاعها بما دهمها من الالفاظ العربية والفارسية اولا والالفاظ الانجليزية ثانياً فاقوم فيها يبحسون في حذوف جميع هذه الالفاظ ليستعصوا عنها بما بقاها من الالفاظ التركية التي نسبت منذ عهد بعيد وهي اكثر التاماً مع روح اللغة . واصبح لهذه الحركة شأن عظيم بما توفر عليه القائلون بطرح الالفاظ الدخيلة على التركية من الابحاث اللغوية المهم اكثرها كابحاث العلماء امثال القائم مقام نجيب عاصم بك والمقالات الكثيرة التي نشرت في الجرائد وتأسيس الجمعيات لهذا الغرض مثل جمعية (ترك درنكي) اي المنتدى التركي وغرضه درس اصول اللغة التركية واحياء ما عاث فيه البلى من الالفاظ ويقول المسيو هارتمان احد علماء المشرقيات انه يرجي ان تكون لهذه الحركة نتائج حسنة

وهكذا يرجع العثمانيون الان ترك الى التركية القديمة والتتاروسيون يحاولون الجري على مثال اللغة التركية الشائعة في الاستانة ويطعمون في كل مكان ولا سيما في روسيا ان يوحدوا اللغة . وهذا العمل بلا في صعوبات مهمة ولا سيما فيما يتعلق منه باللغة العامية . فاللغة المحكية في القرم هي اللغة العثمانية الا قليلا ولا فرق بين هذه اللغة ولغة القافقاس الا ببعض التعابير المتعلقة باللهجة وبعض الالفاظ الروسية التي يريد القوم طرحها وبعض

الصيغ النخوية على ان هذا الفرق لا يحول دون العثماني وفهم لمحة ازري من ايسر وجه ومن المتعذر ارجاع لمجات بلاد قازان وآسيا الوسطى الى هذا الاسلوب . ومهما تم في هذا الامر فلا انظار متعجبة لما يحدث من هذا التبدل في البلاد التركية اتجاهها لما يحدث في سائر العالم الاسلامي مما فيه تأييد روح الوطنية باللغة الوطنية



المالية العشائرية

لا شيء يشغل بال العرفين من العثمانيين مثل اصلاح ميزانية الدولة وبينما النفوس متطلعة الى مايجري في مجلسنا الثيابي بشأنها وردت مجلة العالمين الباريزية وفيها مقالة بقلم احد الاخصائيين في هذا المعنى قال فيها ان واردات السلطان سليم الاول كانت تقدر سنة ١٥٠٨ بـ ٣,١٣٠,٠٠٠ دوكا^(١) وبلغت سنة ١٥٥٣ ١٥ مليون دوكا وبعد ذلك عادت تقاؤها انحطاطاً وقوتها ضعفاً مشهوداً لما وقعت فيه الدولة العثمانية من الغوائل السياسية والفتن العسكرية . فظهرت عندئذ نقود الورق واخذت الدولة بالافتراض فاصبحت المملكة في قبضة ارباب المصارف من المالمين ولا تزال حتى يوم الناس هذا . فليت شعري هل ينهض احرار الامة العثمانية المجددون لانهاض ماليتهم من كبوتها ؟ فالجواب على ذلك اقتصدوا على وجه حسن تحسن ماليتم لان هذه لا تستمد الا من الاقتصاد على ان الحالة الزراعية والصناعية والتجارية في السلطنة العثمانية ليست على مايرام بالنظر لمثل هذه المملكة الواسعة الرباع والاصقاع . فقد اخرجت المملكة العثمانية سنة ١٩٠٥ ١٨ مليون قنطار من الخنطة و٣٤ مليون قنطار من الشعير والجاودار (الخنطة السوداء) والقرطمان والذرة . ويستخرج من اليمن قهوة حسنة معروفة منزلتها . وتبلغ مساحة الغابات

(١) الدوكا معاملة ضربها دوق اودوج في البندقية تكون من الذهب او من الفضة وهي من سكة القرن الثالث عشر اما سعرها بعميار هذه الايام فقد كان يخالف باختلاف البلاد فالدوكا الذهبي كان سعره نحو نصف ليرة عثمانية في المانيا والنمسا وسويسرا وهانوفر وهولاندة وبولونيا وبروسيا وروسيا والسويد وفي امارتي باد وبال وغيرهما من ١٠ فرنكات و٦٩ سنتيماً الى ١٠ و٧٥ سنتيماً وفي الدانيمرك وهولستان ٩ فرنكات و٣٠ سنتيماً وفي البندقية ٧ و٤٨ س وكان في البندقية ايضاً دوكا بسعر ٣ فرنكات وربع

التي خربتها المواشي عشرة ملايين هكتار . ويصدر من ولاية بورصة ولواء ازميد نحو الف طن من الفياح (الشراقي) وكثير من الموارد الطبيعية على ظاهرها وباطنها لم تستثر الى الآن لقلة رؤوس الاموال والمهندسين . وتقدر صادرات المملكة ووارداتها بنحو ١١٥٠ مليون فرنك تكاد تنقسم نصفين وطول سككها الحديدية ٦٦٠٠ كيلومتر . هذا ما قاله صاحب هذا البحث وقال ان اصلاح المالية العثمانية ليس بالامر المتعذر فانها اذا لم تحدث للدولة مشاكل خارجية تستطيع ان تلم شعثها بعد بضع سنين اذا احسن الاحرار السياسة والادارة . وهو قول يشبه ما يردده ناظر المبتدأ على انه مثل بعض المثاقين لا يرى على الدولة حرجاً في الافتراض لسد العجز من ميزانيتها لان الدولة تقترض من جهة وتوفي ديونها من جهة اخرى .

ولما كانت الدولة العثمانية دولة حرية منذ قامت في الوجود الى اليوم والى ما به اليوم تحتم عليها ان تنفق على جيشها شطراً عظيماً من دخلها وبذلك كانت العسكرية اول ادارة دخلها الاصلاح في الدولة بعد اعلان الحرية وهذا الاصلاح يستدعي نفقات طائلة فقد جعل ما يطلب للحرية في ميزانية سنة ١٣٢٦ ٨٦٢٨٠٠٠٠ ليرة عثمانية ونحو ٤٠ في المئة من الواردات والدولة تحاول ان تجعل لها بحرية تضاهي قوتها البرية . هيئات ان يتم لها ذلك وقد جعلت لهذه الغاية زهاء مليون ايرة واخذت تجمع اعادة لانشاء اسطول من رواتب الموظفين على اختلاف درجاتهم وتميز اكف المحسنين من الاهلين فجمع حتى الآن اثنان واربعون مليون قرش اوصت باكثرها على مدرسات ونسافات . وتدفع الدولة زهاء ثمانية ملايين وربع للديون العمومية العثمانية مما يبلغ مع اللازم للجيش البري والبحري زهاء ثلثي الدخل والباقي يصرف رواتب لرجال الادارة والدرك والمعارف والنافعة

اما اصلاح المالية فموقوف كما يقول العارفون على اصلاح طرق الجباية وتعديل قيم الاملاك وتضمين الاعشار بحيث يتعادل ما يجبي منها من الفلاحين ومن كبار الاغنياء المالكين وان تطابق من خطط الاصلاح ما لا يكلفها النفقات الطائلة ويكون مأمون المغبة . مثل اصلاح ري العراق واستثمار الاقرب فالاقرب من مناجها وانشاء الاعمال من خطوطها الحديدية ومرافئها البحرية . والاضطلاع بجباية رسوم الاغنام وفرض ضريبة التمتع على التجار الوانبيين والاجانب على صورة عادلة واذا قبلت الدولة بزيادة الرسوم الجركية اربعة في المئة تزيد ١٥ في المئة فتبلغ الزيادة فيها ٣٤ في المئة . اذا اضفنا

اليها اصلاح ادارة الجمارك بتكثير رواتب الموظفين والافتصار على المتقدمين منهم تزييد الواردات نحو ٣٥ في المئة

وبيت قصيد كل هذا الاقتصاد في النفقات فقد رأينا الحكومة اقتصدت في الظاهر من امور طفيفة واسرفت في امور كبيرة وما ندري على اي قاعدة من قواعد الاقتصاد طبقت قانون التناعد في موظفيها فبعد ان كان العامل من الموظفين يقبض الف قرش مثلاً اجرت تقاعده واخذت تدفع له الفاً ومئة قرش اي انها زادت في رزقه وبذلك خسرت من وجهين الاول انه دخل في زمرة المتقاعدين اناس كان يرجى ان ينفعوها بمعارفهم وتجاربهم لو داموا على علمهم مع مراقبتهم واستعاضت سنهم بانهم لا يحسنون كيف يسرون الا قليلا وتكدت الخزانة من الوجه الثاني زيادة رواتب المتقاعدين

ولو كانت الحكومة تقتصر المال اللازم لها لسد ميزانيتها والقيام بالاصلاحات النافعة من البيوت المالية العامة باموال رعاياها لكان الامر وقتنا لها لا بأس من اقدامها الآن على تحسين مآثره تحيينه والتوسعة في النفقة ولكنها تنفق بالاستدانة من مصارف اوربا وعليها الآن نحو ١٣٠ مليون ليرة عثمانية دين للمصارف وقد استملت في العام الفائت لسد عجز الميزانية اربعة ملايين وهي تحتاج هذه السنة عشرة ملايين ليرة اخرى ويقول الميولور ان المستشار المالي ومع انه لا يعرف مقدار الديون العثمانية معرفة صحيحة فالظنون انه لا يقل عن ٢٩٥٠ مليون فرنك فاذا زعم هذا المبلغ الى القروض التي عقدت منذ سنة ١٨٨٢ اي منذ انشاء ادارة الدين العمومية وهي ١٠٣٩٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك منها ١١١٧٥٠٠٠٠٠٠٠ للديون العمومية ١٥٥٦٠٠٠٠٠٠٠ مليون سلفة و ٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ للمصرف الزراعي واخذنا التعديل المتوسط لانجذ الهج بقل عن اربعة وستين مليون فرنك مسانئة وقد تراكت عليها هذه الديون لانها سعت في استهلاك الديون المنظمة

وكيف يتأتى للدولة ان تكثر وارداتها فصبح كما قال ناظر المالية ثلاثين مليوناً بعد ثلاث سنين ونحن نراها لم تنفع في ميزانية الزراعة والمعادن سوى جزء من مئة جزء و اقل من ثلثائة جزء في المئة للتجارة والنافعة ومعظم هذا القدر يصرف رواتب لموظفي هاتين الادارتين فاين اترك لينفق على اصلاح ري العراق وفتح المناجم وانشاء الخطوط الحديدية والطرق والمرافق ولم يزد المخصص للمعارف سوى ٣٥٠ الف ليرة وهو قدر زهيد بالنسبة لاتساع المملكة وأكثرها مما يصرف على تربيك العناصر العثمانية لا على تعليمها علماً برفع

الامة والوطن

ومن الغريب انه ورد على الخزينة في السنة الماضية خمسة وعشرون مليون ليرة من الضرائب المنوعة ومليونان ونصف عن ولايتي البوسنة والهرسك واربعة ملايين بدل التخلي عن بلغاريا ونحو خمسة ملايين صودرت من اموال الخلع عبد الحميد واموال اعوانه ونحو مليون من واردات الاراضي السنية ماعدا القرض الذي عقده وهو زهاء اربعة ملايين وانفق كل هذا في سنة واحدة ولعل هذه السنة لا تكون اقل من طريدها لان الدولة لاتأمن كل ساعة ان يفتح عليها باب فتنة داخلية او خارجية تضطر الى الانفاق فيها لم تدخلة في ميزانيتهما.

اهم واردات الخفنة في الميزانية ١٠٢٣٣٠٢٥٩ ليرة من الاعشار و١٠٦٣٩٨٠٠٠ من الجمارك و ١٠٢٢٢٠٠٦٠ ليرة خراج الاراضي ١٠٣٧٧٠٣٦٠ خراج العقارات و ١٠٧٩٠٠٧٢٠ رسوم الاعيان و ١٠٢٨٩٠٦١٢ البدلات النقدية الى غير ذلك من رسوم التمتع والمرتب على الغابات والمناجم مما لا يتجاوز الستة والعشرين مليوناً . وقد الغي منذ ابتداء سنة ١٣٢٦ من البلاد التي لم تحرر نفوسها واملاكها جميع الرسوم التي كانت تؤخذ باسم الدكاكين والخليم وماشا كل ذلك عدا عن رسم الاحتساب او الدخولة (*OCTROI*) الذي كان وضعه من اهم عوامل فتنة الارناؤد الاخيرة كما ألغيت الرسوم التي تؤخذ من الصيارف واصحاب المعامل المنشأة حديثاً وجميع القوانين المتعلقة بالعملة المكلفة وتذاكر المرور اي الجوازات وتحصيل بدلات الطرق نقداً لابدناً وتلغى الرسوم التي احدثت في الكمارك بدون استناد على قانون او نظام والغيث الرسوم التي كانت تستوفيها الحكومة تحت اسماء الدلاية والزورق والرحى والخطب والفحم والباج والصياغ ومعمل القرميد والقصب والمضيقي ومرور الحيوانات وميزان الفضة وفتنة وغيرهما كما الغيت رسوم الجسور والمبار في ولايات بغداد والبصرة والموصل والقدس وبعض جهات ادركه فانها تركت للبلدية

وقد كتب شفيق بك المؤيد نائب دمشق في مجلس الامة العثمانية وهو ثقة في الشهودون المالية مجيئاً قال فيه : ان ديون الدولة يوم تألفت ادارة الديون العمومية محجرة بالضبط في قانون تأليف هذه الادارة وكانت يومئذ عبارة عن ١١٦١٨١٥٦١٧٢ ليرة عثمانية غير اننا اذا دققنا نجد ان قيمة هذه الديون الحقيقية لا تتجاوز ثلاثين مليون ليرة لان القيمة المحجرة في القانون هي قيمة اعتبارية لاحقيقية وقد قسمت الديون المذكورة

وقفتند الى اربعة اقسام اعظمها وكان يتناول اكثر من ثلاثة ارباعها ما كان معروفاً عند اصحاب الدين باسم (ترتيب د)

وهكذا كانت المئة منه تختلف ابدأ بين ١٧ و ٢٠ وانا على ما ذكر ما تجاوزت قط قبل ان تظهر مسألة توحيد الديون ٢١ او ٢٢ كما ان مجلس الديون العمومية لم يدفع قط في مشتره لاستهلاك الدين قيمة فوق ذلك . واني لآت ببرهان جلي على ان قيمة الديون الحقيقية اعني قيمتها في البورص لم تتجاوز قط ثلاثين مليوناً . وذلك ان مجلس الديون العمومية كان ولم يزل ينشر كل سنة خلاصة اعماله في رسالة مخصوصة يطبعها ويوزعها على اصحاب الدين . وقد وقعت يدي الآن اتفاقاً على رسالته عن عام ٣١٤ فوجدت ان الفائدة التي اداها المجلس تلك السنة عن الاقسام الاربعة المذكورة بلغت ١٠١٤٠٤٨٣ ليرة عثمانية فاذا اضفنا الى هذا المبلغ ما يعود من صافي الواردات لاسهم السكة الحديدية الرومية وهو ١٥٦٣٣٥ ليرة بلغ المجموع ١٠١٧٨٠٠٨٠ ليرة واذا اخذنا رأس مال هذا المبلغ بحسب قيمة الديون الموحدة وجدنا ذلك لا يبلغ ثمانية وعشرين مليوناً غير انه يجب لاجل تعيين مقدار الديون الخارجية وقتئذ ان نضيف الى هذا المبلغ قيمة الديون المضمونة بخراج مصر والدين الذي كان معروفاً بالتحويلات الممتازة فبلغ مجموع ذلك زهاء خمسين مايزن ليرة وهذا يكاد لا يتجاوز مقدار الدين الموحد الآن فابن هذا من ١٥٠ مليوناً .

اما ديوننا الخارجية الآن فهي كما يأتي وهي ارقام حقيقية راهمة لاعتبارية

الديون المضمونة بخراج مصر	١٨٦٦٠٦٠٦٩٨
الديون الموحدة	٥٢٦٣٩٤٠٦٥٩
ديون اخرى مودعة لمجلس الدين	٣١٦٣٣٢٥٥٤
ديون لبعض البيوت المالية	٢٠٣٩٩٦٠٦
ديون منوط امر تأديتها بانهضارة المالية (منها القرضان الاخيران)	١٥٦٢٦٢١٧٦٤
المجموع	١١٩٩٩٦٣٨١

فاذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة القرض الذي تنوي الحكومة عقده واضفنا عشرين مليوناً رأس مال مائده كل سنة ضماناً لشركات السكك الحديدية نجد ان مجموع ديون الامة ستتجاوز في منتهى هذه السنة المالية مائة وخمسين مليوناً فتزيد عنها يوم تأسست الديون العمومية ما يقرب من مائة مليون

قال تكي افي است من الذين يستعظمون هذا المبلغ ويرزن ان احبنا المالية وشمية العافية لمجرد تراكم هذه الديون علينا . كلا وانما الخطر كله في سياسة الحكومة المالية وانحرافها عن طريق الاقتصاد متبعة خطة التبدير والاسراف في جميع شؤونها وامورها مما لا يقف بنا عند هذا الحد بل يجرنا الى عقد القروض الجديدة فنجعل عائق اخلافنا مالا يقدر على القيام باعبائه ونبيع آجل الامة بعاجل ائمة نحن في غني عنها .
وان في ميزانية السنة الحالية اجلي برهان واعظم دليل على ما قدمت

تقررت ميزانية الدولة العثمانية عن سنة ٣٢٦ بعجز يتجاوز عشرة ملايين ونصفاً من الليرات العثمانية ومهما قال الثائلون فهذا العجز لا ينقص عندي عن ثمانية ملايين فتحتاج الحكومة لسده ان تعقد قرضاً بقرب من عشرة ملايين بزيادة نحو ثلاثة ملايين عن العام الماضي .

ولا يخفى ان ديوننا الخارجية وضمانات السكك الحديدية مع الواردات المخصصة لها مفوضة ادارتها جميعها الى دائرة اجنبية لاثاثير للحكومة في اعمالها وهذه الواردات مع النفقات وفائدة الديون المخصصة لها يجب في الحقيقة تنزيلها من الميزانية ايراداً ومصرفاً فاذا فعلنا ذلك رأينا ان صافي الواردات التي للحكومة حق التصرف بها يبقى عبارة عن ثمانية عشر مليوناً فاذا استقرضت الحكومة عشرة ملايين اسدعجز الميزانية تكون قد استقرضت ما يقرب من ستين في المائة من مجموع وارداتها فما ظن القراء بتاجر لا يكتفي ان يصرف سنوياً على خاصته وأسرته جميع كسبه وارباده بل يفترض فوق ذلك ستين في المئة من مجموع هذا الكسب والارباد .



حكم افرنجية

التألم على ما يرغب فيه اكثر من الاستمتاع بما تملكه اليد هذا ليس من السعادة في شيء بل هو من شأن الطامع
ان ما تشتمز منه نفوس ارباب الافكار الصالحة من المناقشات هو انها تفتهمي
بالخصام

كثيراً ما يكون الاستهزاء افلاساً في الفكر
وامن شيء ادل على الحذق اكثر من حسن السلوك

الجهل على ثلاثة ضروب : جهل بكل شيء ، ومعرفة ناقصة فيما تعلمه ، ومعرفة غير ما يجب عليك معرفته

ينهم الاولاد والمجانين ان عشرين فرنكا وعشرين سنة لا يتأني ان تنتهي
شارك الناس في افراحك تعظم وشارك الناس في اتراحهم فانت الترحمة المخرأة
بقل تأثيرها

يسأل الحكيم نفسه عن سبب اغلاطه والاحق يسأل عنها غيره
سران بضمه ان احترام الشيخوخة وصفاء الحياة : حب العمل والشعور بالواجب
النظام يسعف الذاكرة ويوفر الوقت ويحفظ الاشياء .
يقرأ الانسان ليمهر فلو كان الناس يتروون ليكونوا احسن حالا يصبحون عما قريب
امهر واحذق

تسكو قايلا في الاحيان من احبابنا لنهر سافقا خفتنا (لاروشفو كولد)
ان تعلم النظر هو اغول الفنون واصعبها (كونكور)
اننا نجب من يعجبون بنا ولكننا لانجب ابدأ من نجيب بهم (لاروشفو كولد)
يمجد المرء في السياحة رأس ماله للبطالة لا يخلو منه زاوية من زوايا قلب كل منا
(بانفيل)

علينا وحدنا ان نحرس افكارنا في البيوت نسهر على اخلاقنا وفي المجتمعات نحرس
السنن (العقيلة دي ستايل)

لا يتحدث في الحياة امر لا كما يخشى منه ولا كما يؤمل فيه
اشبه بمن يقول الكذب من يورد قولاً في معرض الحق وهو لم يفكر فيه
في القراءة اجمل سلوى عن الحياة وعن النفس
استمع مئة مرة ولا تتكلم الا مرة واحدة
من العار الحذر من الاصحاب اكثر من الانخداع بهم
احق انواع الاسراف باليوم الاسراف في الوقت
الاغتياب ندالة ولا قوة له الا على المنعيب
الفوطيب الفضيلة

ان لك من الحاضر دواء وما دمت تتعذب منه فاعقد الرجاء بالخلاص

(١) التربية الاوربية

سادتي الاخوان الاعزة :

اوعز اليّ بعض اعضاء هذا المنتدى الكريم ان احدثكم بما رأيته في رحلتي
الاخيرة الى اوربا فلم تسعني مخالفتهم لان الطلاب اعزة وتبادل الافكار
معهم من اشرف المطالب ولكن الموضوع كبير لا يتسع وقتي الآن للاحاطة
باطرافه كله ولا اوقات الحضور الكرام الى وعيه وسماعه ولذلك اقتصر منه
في هذه الليلة على الاشارة الى طرف مما تأثرت به نفمي في درس معالم
الحضارة الاوربية في اماكنها واستطلاع طلمعنا بالعمل بعد الاشتغال بدراساتها
بالنظر مدة . ولذا استميج عفوك اذا لحظتم في اقوالي شيئا مما لم يعتد بفضلكم
سماعه فانا أنص عليكم شعوري ولا حرج على الشاعرين كما لا حرج
على الشعراء .

اول ما يقع عليه نظر الداخل الى ارض اوربية ذاك الانشطار الغريب
في مرافق الحياة ومظاهرها القوة فيسقط لاول وهلة على نموذج صالح من استبحار
العمران هناك بل يتجسم في عينه وذنه ما سمعت اليه ولا تزال تسعى تلك
الامم الراقية من الاخذ بأسباب الراحة والبسطة من طريق التكمّل العلمي
والنشوء الاجتماعي والعمل .

ولا يزال هذا النموذج من العمران يعظم في نظر السائح كلما طاف
المعاهد وزار لمشاهد وجال في القرى والساكن والحواضر والقواعد . وكل

(١) خطاب القيناه في المنتدى الادبي في الاستانة وهو مجمع الناشئة العربية من طلاب

المدارس العالية .

فرع من فروع هذا الارتقاء العجيب يحتاج الناظر في وصفه الى مجلد برأيه
حتى يتجلى للسامع بعض التجلي وما رآه كمن سمعا

ماذا اذكر لكم ايها الاخوان من حال اوربا ومدينة الغرب الراقية التي
بلغها بقوة العقل وتطبيق العلم على العمل ؟ أأحدثكم بصناعاتها التي نه
النفس ؟ او باتساع متاجرها التي لا يحصيها العد ؟ او بارتقاء زراعتها التي
تنادي بلسان حالها ومقالها بانه لم يبق بعد ما بلغته غاية ؟ ام اذكر لكم حال
للمجامع العلمية والسياسية والجمعيات الاجتماعية والقبابات التجارية والصناعية
ام المدارس الجامعة والكلية والثانوية والابتدائية ام المتاحف والمعارض
والمكاتب والمجالس والمصارف ودور التمثيل ومحال الطرب والانس ؟

كل هذه المشاهد كنت اختلف اليها في اوقاتنا واجتمع برجال العلم
والادب والسياسة منذ الصباح الى ما بعد منتصف الليل ونفسي تتأثر بتغير
المشاهد بحيث تملك عليّ مشاعري فلا استطيع التفريق في الحسنات كأني
ابتليت بداء الاستحسان لا تقع عيني على شيء ولا نسمع اذني بشيء ولا
يتصور ذهني اقل شيء الا واخذ به جملة وتغرق النفس في استحسانه وتبحر في وصفه
ولقد كنت عزمت ان ادون في مفكرتي ما يعرض لي من المظاهر والمناظر
ويتردد في صدري من الافكار والخواطر واحضره من المحاضرات والخطب
والدروس النوادر ولما كثرت عليّ الموضوعات كل القلم من التقييد وقلت
انك يا هذا تكثفي متى عدت لتحدث قومك بما رأيته من تسجيل ما يعاق
في ذهنك وبعضه مما فيه الغناء والكفاية .

نعم تركت التقييد على خلاف عادتي فصديق في قول الشاعر
تكاثر الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

لولا ان اليأس من اعظم الامراض في الافراد والجماعات لطاوعت النفس ونقطت من نهضة هذا الشرق لمجاعة الغرب ولولا انني اعتقد بان النجاح مقدور لكل مخلوق يعمل وان الأجسام تتكون من الذرات وان من الخريجات تنشأ الكليات اسجلت بان قيام الشرق العثماني وهو على نهضته المتناقلة البطيئة التي نشهدها امر متعذر الا بعد قرون ان كتبت له الحياة. ولكن امامي مثال الدولة اليابانية مملكة الشمس المشرقة رأيها جارت اكبر الدول الاوربية في ثلاثين سنة وفاقته من كانت تعمل منذ ثلثة سنة من الدول الغربية فانغت درجة عالية من الحضارة

نعم ان اليأس يجب ان لا يتطرق اليها وان كنا وبالاسف تحت وصاية الغرب اليوم في كل شأن من شؤون حياتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والتجارية بصرفون علينا كل ما يريدون من ضروب المعارف ويرجون بعقولهم ما انواع الارباح والمكاسب ويستثمرون ثمرتنا بكل مالهيم من ذرائع العلوم والفنون ونحن منهم باهتون شاخصون شأن عبد مع سيده او جاهل مع عالم

حضرت دروساً كثيرة في الكوليج دي فرانس وهي المدرسة العظمى التي تضم في صدرها زهاء اربعين عالماً من كبار علماء فرنسا يقرأ كل واحد منهم درسين اثنين في كل اسبوع في العلم الذي اخصى فيه وتفرد به طول عمره وتكون دروسهم عامة يحضرها كل من اراد فتدل على كرم الفرنسيين في العلم

وحضرت دروساً في مدارس أخرى ووفقت الى سماع خطب ومحاضرات كثيرة فلم ار - في اكثرها الا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه

اذكر لكم على سبيل المثال محاضرتين دعيت اليهما لتعالوا منها مقدار ما يعده الغرب للشرق ومبلغ حكم ابنائه علينا ولكم بعدد ما ان تقيسوا حاضرهم بمحاضرنا وغايرهم بنا برنا وتضحكون بعدها او تبكون .

فالمحاضرة الاولى كانت في قاعة السوربون الكبرى اي كلية اريزوي المكان الذي جرت العادة ان يكون معهد الدبلوماسيين للعالم من الفرنسيين فاقامت جمعية آسيا الفرنسية والجمعية الجغرافية حنلة للاحتفاء باعضاء بلثة بليو الى التركستان الصينية وكنشو بحضور جملة من اعضاء تجمع الفرنسيين ولم يكن الحضور اقل من الف وخمسمائة مستمع ومنسجمة والمسيو بليو هو في الثامنة والعشرين من عمره طاق اللسان آية في البيان وهو استاذ اللغة الصينية في المدرسة الفرنسية في الشرق الافسي . شرح في محاضراته ما لاقاه في رحلته التي بدأت في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٦ وانتهت في الصيف الماضي واتى على ما وفق اليه من الاكتشافات الاثرية والكتابية وغيرها في آسيا الوسطى مما حفظ لفرنسا شهرتها القديمة في البحث عن الآثار وقال ان التعصب انتشر هنالك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر للمسيح فكان من ذلك التعصب ان اتى على الآثار بجملة . وقد قرع الشرقيين عامة والمسلمين منهم خاصة انواع التفرع . اما رحلته فهي كسائر الرحلات العلمية التي يرسلها الغربيون الى آسيا وافريقية فيكونون مقدمة للفتح والاستعمار وقديماً فان الشاعر يقول « السيف اصدق انباء من الكتب » فاذا ارادت امة ان تفتح بلداً اخرى ترسل اليها السيوف والبنادق ثم تهدد البلاد بالعارف اما اليوم فيرسل الغرب رجال العلم يرتادون البلاد اولاً ثم يرسلون مدافعهم وبنادقهم وآلات تدميرهم والامثلة على ذلك كثيرة

وقد ادعى بلبو صاحب البعثة والغالب انه على حق فيما ادعاه ان ماوفق الى جلبه من الآثار قد اغنى مكتبة الامة في باريز بالوف من المخطوطات الصينية ومنها شي في تاريخ الصين كما اغنى متحف الموفر الشير بتمثيل ورسوم ونقوش فاصبحت باريز بذلك عاصمة الدروس الصينية في اوربا ويحق لها ان تفاخر بان مجموعة ما عندها الآن من الآثار الصينية ليس لها مثيل في الغرب حتى ولا في الصين نفسها قال وغاية البعثة في التركستان الصينية ولا سيما في مقاطعات قاشار وارومشي البحث عن بقايا التمدن البوذي الذي سبق التمدن الاسلامي الى هناك وانه رأى جميع اهل التركستان من اهل الاسلام واذ كان دينهم يحرم التماثيل والصور لم يظفر بكثير منها في الاماكن المطروقة اذ كانت تعبت بها ايدي المتعصبين منهم

وقال انه رأى لسر الخط ان قد سبقه الى ارتياد تلك الاصقاع اناس من الالمان والانكليز واليابان والروس للغاية نفسهم او لكونهم عوفى الى ان اكتشف بين قاشار وكوتشار في نصف الطريق في طومشونك تمثالاً بوذاً صغيراً بين الصناعة اليونانية والبوذية حري بان يكون صلة بين الصناعة الشرقية القديمة والغربية وظفر في قاشار تحت انقاض احد المعابد في طيفة كثيفة بمخاطوطات هندية فاحرز ثلثها بواسطة راهب انقطع في تلك المغاور ووصف تلك البقاع بانه لاشجر فيها ولاعشب مع انك تمشي فيها الوفاًن الكيلومترات اللهم الا في بعض الواحات . واكثر تلك الاصقاع جبال شامخة ومنحدرات كثيرة ورمال محرقة فكانت الحرارة في الصيف تصل الى الاربعين درجة وفي الشتاء الى الخمس والثلاثين تحت الصفر حتى كان الخبر يحمى في ايدي اعضاء البعثة متى ارادوا ان يقيدوا آثار بعثتهم وقد اخذ احد اعضاء البعثة صورة

طوبوغرافية من خط هذه الرحلة وفوائد فلكية في عدة نقاط وآب بمجموعة من الحشرات والحيوانات تقني المتحف الطبيعي وبصور كثيرة عرضت بالفانوس السحري على الحضور تلك الليلة حتى لكأنهم ذهبوا بانفسهم الى تلك الاصقاع النائية .

هذه المحاضرة الاولى التي تكهرب بها جسمي وتأثرت عواطفني وسمعت بها مهانة أمي بأذني . والمحاضرة الثانية القاها المسيو تارديو من كبار السياسيين الفرنسيين وصاحب المقالات الافتاحية في جريدة الطان في الدولة العثمانية فهو اول اخصائي في سياسة الشرق ولا سيما دولتنا بقلب الفلم بين اصبه كما تشاء حكومته . حضرت خطبة له في مدرسة اللغات الشرقية الحية القاها على طلبة تلك المدرسة العالية ممن يتخرجون الآن ليذهبوا الى الشرق فيما بعد لخدمة حكومتهم وبكون منهم التراجمة والقناصل والسفراء ببيان لم اسمع من العرب ولا من العجم ابلغ منه لم تتمم ولم يعطس ولم يكرر وقلما رأيت انساناً درس موضوعه واعد له المواد التاريخية والمستندات اكثر من ذلك ولكن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح صراحة من خلال كلام الخطيب فكان عجبني بتعامله على هذه الدولة اكثر من عجبني بذلاقة لسانه فقد تكلم على علاقة فرنسا بالشرق ولا سيما بالدولة العلية منذ القديم فقال ان فرنسا صاحبة الفكر الاول في الحروب الصليبية قد اتى عليها زمن حالفت فيه الدولة العلية ايام قوتها لتستخدمها لاغراضها وقد جنى الفرنسيين ثمار هذا الوفاق ثم لما مضت سنون والدولة لم تر خيراً لها من تلك المحالفة نزعت يدها من يد حليفها ثم عادت فرنسا فبعثت بابنائها الى القريم ليحاربوا مع الانكليز والعثمانيين جيوش الروس لان مصلحتها اقتضت ذلك اذ ذاك وافاض في نشأة الامتيازات

الاجنبية في البلاد المصرية والعثمانية وقال ان فرنسا في كل دور من ادوارها استخدمت الدولة العلية لمقاصدها وان لها اليد الطولى في المسألة الشرقية اي استقلال بلاد البلقان واليونان وانها لا تقصر كل حين في بتر عضوم اعضاء هذه الدولة حتى تموت وتنفى

فيما اخواني وياسادتي ايسم عثمانى هذا الكلام ولا تجهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمداً وحسرة وتسود الدنيا في عينه ؟

هذا بعض ما يعده الغرب للشرق فما ذا يعد الشرق للغرب ؟

نحن يا قوم لا نحفظ كيانتنا ولا نحفظ بلغتنا وديننا وآدابنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلوننا به . واعني به سيف العلم . نحن يقضى علينا ان نأخذ من تلك المدينة الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعا لقيام مجتمعنا نأخذ عن رجال العلم منهم ونحتك بهم زمناً لاستفيد ونعرف الطرق التي يجب علينا سلوكها

رأيت الدولة بعد انقلابها الاخير بعثت بزمرة من الطلبة العثمانيين ليدرسوا في مدارس اوربا ولا سيما في مدارس باريز فقدرت عددهم قليلاً جداً بالنسبة لمجموع هذه الامة . واني لاخلج ان اقول لكم ان عدد الطلبة البلغاريين في روسيا ومانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك وانكثرا اكثر من عدد الطلبة العثمانيين واياكم ان تظنوا ان جميع طلبة الاجانب تبعث بهم حكوماتهم ليدرسوا على نفقتهم بل ان لهم الافراد شأناً عظيماً في هذا الباب وكثيراً ما ينفق الطالب من مال ابيه عن سعة حتى لا يتم دروسه الا وقد اتى على آخر فلس مما عنده وهو مقتبط بما صنع لانه احرز رأس مال كبير لا يقدر بالماليين والكرات وعاد وهو يعرف كيف يخدم امته وبلادهم

نحن مقصرون كل القصور في ارسال ابنائنا الى ديار الغرب يلتقطون
درر العلوم من بحار كلياتها ومدارسها والغرب في هذا المعنى اكثر العثمانيين
قصوراً . ولقد احصيت جميع من يدرسون من ابناء سورية في اوربا على
نفقة الحكومة او على نفقاتهم فلم اقدر ان اوصلهم الى ثلاثين طالباً اكثرهم
يدرسون على نفقتهم فليت شعري أليس هذا العدد بقليل على قطر بناهز
سكانه الثلاثة ملايين . هذا من سورية ارقى البلاد التربية وما اظن احداً
من ابناء العراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرالسهر وهرقة وغيرها من الاقاليم
العربية يدرس في مدارس اوربا فيكون هؤلاء الثلاثون طالباً خمسة عشر
مليوناً من العرب العثمانيين يصيب كل مليون نسمة طالب زوما اعظم ذلك
من قصور وتقصير

نعم هو قصور ليس وراء وراء وخمود هم كاد يصدق به علينا حكم
الغريب . واني لارجو ان لا تكون اقوالنا اكثر من افعالنا فان الكلام لا
اثر له بقدر الفعل . نريد معاشر العرب ان نجاري الامم الراقية بل سائر
العناصر من اخواننا العثمانيين ولا نجاريهم على الاقل في ضمائر العلم ؟

نتناغي بالوطنية ونذب حظ اللغة العربية ونحن ابناؤها الذين نعقها
ولا تعلمها . اليس مما يزعج ان يخاطب العربي اياه وامه واخاه وصديقه
بنير لفته الاصلية ؟ يعمل ذلك لا يمتحن على تلقف غير لفته بل لانه لا يعرف
ان يتكلم ويكتب بلسان ابيه وامه وقد يكون في الاكثر ممن يفرض عليهم
فرض عين تعلمها ليفهم بها كتابه وشريعته

انا ان كنت عربياً واحب العرب واريد نهوضهم ايتسر لي كل ما اريد
اذالم اخطبهم واخطبهم واكتب لهم بلغتهم التي يفهمونها . انا ان كنت

اريد الاطلاع على مجد آبائي واجدادى أأتمكن من ذلك بدون دراسة
ماخلفوه من آثارهم وهل يتيسر لي هذا باللغة التي كتبوا بها ؟ اقول هذا
وانا آسف كل الاسف على قصور العرب عن تعلم لغتهم قصوراً لا ابالي اذا
قلت ان فيه العار والشنار .

ايزهد سلاله العرب الاكارم في لغتهم ويتعلمها المستشرقون اكثر من
علماء العرب انفسهم ؟ ايزهد العربي ابن العشرين في العربية ويتعلمها رجل
العجمي في الستين من عمره . واعني به الكنت دي ساردنج الفرنسوي . هذا
الرجل من اهل الطبقة العالية في غناه كان والده سفيراً في طهران عن الملك
لويز فيليب ملك فرنسا وقد كان هو موظفاً في السفارات وآخر وظيفة له
رئاسة تراجمة سفارة فرنسا في مدريد ثم استقال وهو يسكن في الصيف في
قصر له في لوزان في سويسرا وفي الشتاء في باريز وقد قام في ذهنه منذ
اشهر ان يدرس اللغة العربية للاطلاع على حضارة العرب ومدينتهم الباهرة
فاتخذ له استاذاً صديقنا ووطنينا ميشل افندي بيطار وانشأ بتخرج به فقطع
شوطاً في التعلم واذ كانت الدواعي تضطره الى المقام في قصره في سويسرا
اكثر من باريز وكان استاذه لا يستطيع ان يلحق به الى سويسرا كتب اليه
بلمس منه التماس التلميذ من استاذه ان يعث اليه بدروس عشرين يوماً
حتى لا يضيع وقته مدة مقامه في سويسرا ويحرم من الاستفادة والتحصيل
فاذا آب الى العاصمة يعاود مابداً به .

هذا الرجل على ابواب الشيخوخة وهو في هذه السن يحاول ان يتعلم لغة
شرقية لاعيد له بمعرفتها . او ان يتعلم لغة القرآن ليدرس بها مدينة اهل
وشبان العرب انفسهم يتبعون عن ان يقضوا ولو بعض اوقات فراغهم في

إحكام لنهزم . هذا هو مثال صغير من امثلة المهمل في الشرق وامثلتها في الغرب فهل فيكم باشباب المستقبل وقرة عيون العثمانية العربية من يمشي على اقدام هذا الشيخ الفرنسي حتى لا يحمي علينا وقت مضطرب فيه ان نأخذ لغتنا بل ديننا عن اوربا ونكون تحت وصايتها حتى في امس الامور بنا واعلقها بقلوبنا ؟

كل مانراه من همم الغربيين ومثانيهم هو محصول الكتاب والمدرسة فانتم وامثالكم شباب هذه الامة في ايدي اقتداركم ان تجدوا لها شبابها اذا وضع كل منكم نصب عينه الذهاب الى الغرب وقضاء سنتين في الدرس والبحث ليري بعينه ويحكم بنفسه على قصورنا عن الغربيين وفقرنا وغناهم وشقائنا وسعادتهم ليعلم انني لا اغالي فيما اوردته لكم بل انني عاجز عن الوصف والتعريف . ولا يقرن في اذهانكم ان الذهاب الى اوربا بعيد المنال وانه لا يتيسر الا لكبار الاغنياء فانعيش في معظم البلاد الاوربية ارخص من الاستانة ومصر ودمشق وبغروت والمدارس رخيصة اجورها ولا يكاد يكون لها اجور ومنها ما جرة الطالب فيه مع الأكل والنوم والدرس ستون فرنكا في الشهر ومثل هذا القدر من المال لا يصعب على احد فيما احسب ان يعده او يستلفه على المستقبل مهما بلغ من ضيق ذات يده

يا ابناء قومي ويا زهراء أمتي ! أليس من العار ان تكون بلادنا التي لا تعيش الا بالزراعة ولا تحيا الا بالزراعة خالية من عارفين بها على الاصول الحديثة فلا يكون الذين يتعلمون منا هذا الفن في اوربا سوى طالبين اثنين احدهما في المدرسة الزراعية في لوفان من اعمال البلجيك وهو رفيق بك يعضون من بروت والاخر في كرنبون من اعمال باريز في مدرسة كرنبون الزراعية

واسمه مصطفى افندي الكيلاني من حماة . كلاهما من ابناء الاعيان ولهما اراض ومزارع فعملا عملا بالاختصاص بهذا الفن الشريف المفيد ولكن أليس في ابناء سورية بل البلاد العربية احد من ابناء الاعيان يملك اراضي وقرى غير هذين الشابين ؟ بلى ان المالكين كثر ولكن محبي الدرس قلائل ! هذا في فن الزراعة فمتى يقوم منا اناس نتعلم الكهربائية ومد الخطوط الحديدية والمهندسة المحلية والصناعات الحديدية واليدوية والتجارة وغير ذلك مما نحن فيه عيال على الاوربيين

زرت مدرسة كرنون الزراعية وهي على مسافة ساعة من باريز فرأيت شعارها مكتوباً بقلم غايظ في مكتبتها بما معناه : « الارض هي الوطن ومن توفر على تحسينها يخدم وطنه » ولكن قومي غفر الله لي ولهم يحتقرون هذا الفن فيما ارى . فان كما يختلف في البديهيات فمتى تنفق في غيرها ؟

زرت كرنون ورأيت بها ان عبد القادر الكيلاني يلبس مشاح الزراع ويدرس كما يدرس ابناء الاعيان في فرنسا ويحارونهم في ذكائه واطلعتني على ما في مدرسته من متاحف ومعارض واصحاب لآلات وحظائر لتربية الماشية وحدائق لغرس النبات والبقول وغابات للزراعة والانتفاع وادوات للعمل وحرث الارض وكثرتها

رأيت كل هذا واكبرته وقلت في نفسي لو حذا السوريون في الزراعة وتربية الماشية حذو الفرنسيين فيها وتربتهم ثلاثم تربتنا واولادهم اشبه باولادنا لا غنتنا غنى يغنيننا عن الهجرة وتطلب الوظائف الاتكالية فقد ذكروا لي ان خروفاً لعنته ادارة المدرسة ستين على الطريقة العلمية فبيع في واحد المعارض بسبعين ليرة فاين خروفاً التي يباع الواحد منها بسبع ليرات مهما علفناها

يجعلنا وبساطتنا واطحناها السحس المقشر او الشيح والقيصوم والعرار
والعرر

ولكن الآمال معقودة بان نعلم خرفانا على طريقتهم ونستثمر تربتنا
على اصولهم ونربي عقولنا على مناحيهم ونطبع دواينا وماشيتنا بحسب مستهم
فيكون اذ ذاك ابناء عبد القادر في الوفرة على زكاء التربة في نفهم هذه
الامة على مستوى جدهم الذي زكى النفوس في عصره . وتزكية التربة لا تقل
عن تزكية التربية والمال واحد .

مدرسة كرنيون الزراعية هي التي اوصي ابناء الاعيان وغيرهم الى التخرج
فيها لتخصب بهم تربتنا بعد اجدايها وتملاً جيوبنا بعد فراغها والمال مبدأ
كل عمل وفتحة كل ارتقاء مادي وادبي .

نحن لانرى الرقي المطلوب الا اذا تعلمنا العلم العملي وزهدنا قليلاً في
شقيقة الألسن والنظريات المجردة . ومن جملة المدارس التي زرتها في
فرنسا وتأثرت ايضاً بنظامها مدرسة جزيرة فرنسا في مقاطعة الواز . زرتها
بدعوة من صديقي مرسي افندي محمود احد كتاب مصر فكانت زيارتها
وزيارة مدرسة كرنيون من اسعد الايام التي قضيتها في ارض الفرنسيين
واني احب ان اقص عليكم قصة هذه المدرسة لتعرفوا الغرض منها فاقول :
قام منذ عشر سنين في فرنسا رجل من رجال الصحافة اسمه اديمون ديمولانس
درس طرق الحضارة والتعالم والتربية عند الالمان والانكليز والاميركان
وقابل بين طرائقهم واخلاقهم وعاداتهم وبين ما عند الفرنسيين منها ووضع
لذلك الكتب وكتب المقالات وانشأ مجلة العلم الاجتماعي التي تدور على
هذا الغرض ومن جملة كتبه سر تقدم الانكليز السكسونيين الذي نقل الى

العربية فعمت فائدته العرب كما عمت الافرنج

وقد وفق ديمولانس صاحب تلك الدعوة بان النف حوله اناس من ارباب الغيرة على ارتقاء بلادهم والاهتمام بمستقبلها فكانوا يعطونه بالمئات لقيام الغرض الذي حاول بلوغه وتربية ابناءه الفرنسيين على الطريقة الانكلوسكسونية العملية فأسست لذلك ثلاث مدارس كبرى عقيب دعوته الاولى مدرسة بروش أسست سنة ١٨٩٩ باسم جماعة من المساهمين وأخرى في اقليم نورمانديا لجماعة من كبار الصناع منها وأخرى في ليانكور أسست سنة ١٩٠١ وهي التي اريد ان احدثكم عنها

ليانكور قرية سكانها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وهي على نحو ساعة من باريز الى الشمال في مقاطعة الوازوفيهافي سائر بلاد فرنسا من انواع المرافق والرفاهية والمعامل الكبرى الصناعية والزراعة الراقية الفنية بل فيها من دور التمثيل فقط ثلاث دور وفي قصر الدوك دي لاروشفو كول الواعظ المشهور صاحب الكلمات الماثورة الذي أسس بنك التوفير في فرنسا في اواسط القرن التاسع عشر قامت هذه المدرسة العملية . وقصره هذا في ارض مساحتها مائتا هكتار اي نحو ثلثمائة فدان لم يبق منها الا دائرة حشمه اما دائرة قصره فقد اتى عليها رجال الثورة الاخيرة فدكوها وجعلوا عاليها سافلها وقد جلت المدرسة في تلك الدائرة فوضعت كل صفوفها ومراقفها ومعاملها .

في هذه البقعة الجميلة الواسعة بل الابعدية الكبيرة والحائوت الفخم التي حوت الغابات والمروج والحداثق والغدران والآكام والسهول يتربى رجال المستقبل على الطريقة الانكليزية وفيهم الفرنسيون واكثرهم من ابناء الباريزيين وعدد قليل من الاميركان والانكليز والبرتغاليين والاميركيين

والمصريين . يعيشون في هذا البيت كأنهم في أسرة لا في مدرسة وقد رفعت عنهم أكثر القيود التي تقيد طلبة المدارس الداخلية واختصر منها على ما يحفظ به النظام والآداب من مثل الحثار على احدهما ان يركض ويرفع صوته في المدرسة او في حجر الدروس وان يلعب في الاماكن التي هي ممر لآخوانه وان لا يخرج من المدرسة ولا يركب في قارب في الغدير بدون رخصة أولاً وان لا يتبع اي شيء كان من المدينة بدون استئذان وان لا يدخل جرائد ولا كتباً الا اذا وقع عليها المدير ولا يدخن وان يلبس ثياب اللعب عند ما يخرج من غرفة المائدة وقت الظاهر ولا يركب دراجته الا يومي الخميس والاحد وان لا يبحث بما حوت حديقة المدرسة ومكتبتها وان لا يتكلم بعد ان يطفأ النور في غرف النوم مساءً ولا قبل ان يستيقظ رفاقه صباحاً وما عدا ذلك فهو حر ان يلعب اللعب الذي يختاره في الاوقات التي خصصت لذلك منذ الظاهر الى حوالي الساعة الرابعة بعده .

وكل هذه القيود لا تكبر على التلميذ لانه يعرف انه لابد منها لكل عائلة كبرى وما هذه المدرسة الا كذلك . والمدرسة تقسم الى ثمانية صفوف أسسها الاستاذان الانكليزيان هوكنسن وسكوت ومديرها اليوم المسيو بلان وهو فرنسوي لان قانون فرنسا يجاز على الاجانب انشاء مدارس باسمائهم في البلاد . وفي المدرسة نحو عشرين معلماً ومعلمة وناظرة . ورئيسة المدرسة الآنسة باري من اقرباء اديمون ديولانس صاحب الدعوة الى الاخذ بطريقة الانكليز السكسونيين في التربية ومن اولئك المعالين مامان انكليزيان واثان المانيان

ويقسم تلامذتها بحسب اسنانهم واستعدادهم ولا يختلط الكبار بالصغار

الا في بعض ساعات النهار وهذه المدرسة تعد التلامذة لنيل شهادة البكالوريا او العالمية ولكن على غير الطريقة التي يحشى بهارأس التلميذ بالمواد النظرية وهي عن العلم العملي بعزل . فالمدرسة تربي الارادة والعين والذوق واليد والجسم اكثر مما تربي الذهن والذاكرة

واسماء الصفوف كصفوف سائر المدارس ويشترك جميع المعلمين في التعليم ويلاحظون الدروس ايضاً ولا يراجعون التلامذة في ما تعلموه خارج الصفوف النظامية لان النهار يكفي لذلك ويتولى الاولاد بانفسهم امور اميهم وحفظ النظام العام وسائر شؤون الحياة وربما لاتروق اكثر الاولاد هذه الطريقة خصوصاً واكثر من فيها من ابناء الاغنياء والامراء اعتادوا ان يخلقوا وحواليهم الخدم والحشم يتولون من امورهم ما يبتاعسون من عملهم ويصنعون خدودهم كبراً من القيام به

ويقسم التلامذة بعد الصفوف والفرق الى بيوت مختلفة وكل بيت يديره استاذ ويهدى الى النساء بالادارة البيتية والعناية بالمرضى وتعليم الموسيقى وتعليم الاحداث من الطابة وهن يعشن في المدرسة نفسها وعلى الطلبة ان يحضروا ثلاث جلسات في الاسبوع لتعلم لعب الكوكي والكريكة بنظارة اساتذة في هذه الالعاب . وفي المدرسة دار لتمثيل كما فيها ميدان للعب الديف ومحل لتعلم الرقص والموسيقى ومجال دروسهم اشبه بمكتب رجل منه بمطبخ تلميذ لكل واحد منضدة عليها دواة وورق نشاف يتصرف فيها كما يشاء ويرى فيها الدروس التي يدرسها بطريقة عملية اكثر منها نظرية فيتعلم مع العالم صناعة من الصناعات التي هي احب الى قلبه كالزراعة والتجارة والحداة والتصوير والتجليد وصنع المقوى والفخار والجلد وغيرها

وذلك بنظارة اساتذة هذا الشأن يدلونه على الطرق التي يسلكها ولا يعملون معه بل يدلونه على عيوب عمله ويدهو عينه هما اللتان تحملان ليعتمد بذلك على نفسه فاذا عاد الى عمله يستطيع ان يصنع بذاته عملاً من مثل ذلك فلا يكون فرق بين ماعمله في المدرسة ويعمله بعد الخروج منها ويتولى اكثر شؤونه كما قلنا بنفسه حتي يسهل عليه كل جهاد في حياته فان الرياضات التي يقومون بها في البستان والحقول والرحلات في الحلاء سواء كانوا مشاة ام ركباناً على الدراجات تزيد في قواهم وقابليتهم للرياضات البدنية ولا يقل النوم عندهم عن عشر ساعات للصغار الى تسع للكبار ليستريحوا من اتعاب النهار

وتمتاز هذه المدرسة بان يرحل تلامذتها بمراقبة اساتذتهم او بعضهم الى البلاد المجاورة كالبلجيك وهولاندة او غيرها من مقاطعات فرنسا البعيدة ليعتادوا الاستغناء عن الرفاهية ويحسنوا التخلص عند الحاجة من مشاكل الاحوال التي كثيراً ما تصادف الانسان في حياته وذلك ايضاً ليحتملوا بصبر وحسن خلق مع مكاسات الوقت ونكد الايام وتوثق عرى المحبة بينهم ففي عيد الفصح تقسم المدرسة الى ثلاث فرق بحسب سن التلامذة المؤلفة منهم فتذهب كل واحدة في وجهة خمسة ايام وكل من حسنت اخلاقه ودروسه يرحل به ايضاً كل ثلاثة اشهر مرة او مرتين يوماً او بعض يوم الى مكان بعيد للمدرسة في الصيف شهر ان ايضاً عطلة فتكون عطلتها السنوية من حيث المجموع ثمانين يوماً وتستوفي المدرسة اجرة من كل طالب الى سن الحادية عشرة ٢٥٠٠ فرنك فاذا تجاوز هذه السن تأخذ منه ثلاثة آلاف يدخل في ذلك اكثر حاجاته ما عدا بعض الدروس كالتقاص والموسيقى والرسم فانه يدفع اجرتها على حدة . وهو مبلغ كثير بالنسبة لاهل بلادنا ولكنه لا يستكثر

في مدرسة مثل هذه تنفق النفقات الطائلة على الاساتذة والعيشة والرحلات ويطبق فيها العلم على العمل وتربي الحواس بالعمل اكثر من تربية الذاكرة حدثني احد اساتذة المدرسة قال كان فكر مؤسسهاديمولانس ان تكون على الطريقة الانكليزية المحضة ولكن لم تمض مدة حتى اقبلت اوضاع الدروس والرياضات الى ما يشبه الاوضاع الفرنسية لان ماتوهمه ديولانس من انه يمكن تطبيقه في بلاده قدغالى فيه كثيراً ولو كان حياً — مات منذ نحو سنين — لرجع عن كثير مما نغاه على قومه وعد عدمه نقصاً في تربيتها وسبباً في ضعفها . وهو قول حق سديد لان ما يوافق امة لا يطبق بالحرف على اخرى وللمادة والمحيط والتقاليد دخل كبير في اوضاع الامة على ان هذه الغمة قد افادت فرنسا وغيرهابلا شك واطاعت الشرق على ان التربية الفرنسية مع ما هي عليه من الحسن هي في رقيها دون التربية الانكليزية السكسونية من وجوه وان كانت هذه دونها من وجوه ولعل بلادنا تستفيد من كل ذلك عبرة

تقدم ان تلامذة مدرسة ليانكور هم من الفرنسيين وخليط من البرتغاليين والاميركان والانكليز والمصريين وهكذا شأن معظم المدارس في فرنسا ولا سيما كلياتها الجامعة فلا يتعلم فيها الطلبة من المذكور فقط بل يتعلم فيها الطالبات من الاناث واني لا اذكر انني حضرت خطبة اودرساً او مجلساً علمياً ولا زرت متحفاً ولا مطبعة ولا ادارة جريدة الاورأيت الفتيات سبعة نني الى تلك الامكنة ومعظمهن روسيات وانكليزيات والمائيات وبلغانيات وبولونيات . والبولونيات ^(١) اكثر الفتيات الاجنبيات في فرنسا واكثرهن عناية بتعلم

(١) شارك النساء الرجال في اورباني كل عمل من اعمال الحياة وفي فرنسا شارك الرجال في الامور الذهنية ايضاً وثلاث ما ينشر في فرنسا من الكتب هو من اقلام الكاتبات

اللغات الاجنبية حتى ان الواحدة منهم لتكلمك فلا تحسبها الا فرنسوية لكثرة اتقانها للغة الفرنسية واجادتها النطق بهما لا يكاد يتيسر مثله لغربية ولا لغريب عن اللغة وهن مع هذا اكثر النساء الاوربيات تفانياً في احكام ملكة لغتهن وحرصاً على آدابها وتلقينها

واقدم كانت المرأة البولونية تعلم اولادها لغتهم في الغابات والحقول عندما كانت الحكومة الروسية تحظر عليهم الى قبل بضع سنين تعلم لغتهم لتجعلهم روساً مع الزمن فلما دالت دولة الجهل ونال البولونيون كسائر العناصر السلافية بعض حريتهم عقيب انشاء الدوما الاولى كان من البولونيين ان فتحوا في شهر واحد في البلاد التي وقعت منذ قرن ونصف تحت سلطة الروس زهاء اربعة آلاف مدرسة يعلمون فيها العلوم العالية والدروس المنوعة بلغتهم ولم ينقصهم اساتذة ولا اعوزهم بالطبع التلامذة

فالمرأة البولونية وان عنت بتعليم اللغات الاجنبية عنها تحتفظ باغتها

والشاعرات وكثيرات منهن يكتبن ويجدن كالرجال مثل مارسل تيناير مؤلفة كتاب دار الخطيئة والكونتس دي نوايل والعقيلة دي رنيه امرأة الشاعر المشهور وهي شاعرة مثله ومرمى هاري صاحبة كتاب فتح البيت المقدس وعشرات اهلها من المشهورات . والمنافسة الاديبة بين الجنسين الشيط واللطيف على اقمها في فرنسا حتى قال لي احد كتابهم انه سيجي يوم على فرنسا لا يبق لكثابها وجه للعاش الا ان يطيروا في مناطيد الهواء فقط وما عدا ذلك فالتساء يتولينه بدلنا . ولعل من يسبح في اوربا بعد عشرين سنة يشاهد ما لم نشهده الآن من الارتقاء المادي والادي فقد ساح الشيخ رفاة الطهاوي في منتصف القرن الماضي ولم يكن من مرسيليا الى باريز سكة حديدية بل كانت فيها حافلة بالدواب فاغبط بما رأى وساح احمد زكي بك في اوائل هذا القرن فركب القطارات في اوربا جميعا . وسنحنا نحن اليوم فرائنا ما لم يكن بهم من السيارات الارضية والطيارات الهوائية والمؤلفات في العلوم والصناعات الاديبة فماذا يشهد اولادنا واحفادنا بعدنا ياترى ؟

ووطنيتها احتفاظاً آمال الله ان يرزقنا نحن بعضه حتى انها اذا تزوجت من اجنبي لا تثبت ان تصبغ اولادها بصبغتها بحيث اخطر بسمرك ان يس في عهده قانوناً يحظر فيه على الضباط الالمان ان يتزوجوا من البولونيات اذ ثبت له ان الوطنية الالمانية كادت تضعف ويعروها الانحلال في القسم الذي اصاب مملكة بروسيا من ارث صاحب بولونيا

فياليت شعري متى يكون نساؤنا بل رجالتنا في هذه المنزلة من صحة الوطنية مع الحرص على الجامعة العثمانية التي هي عدتنا في شدتنا وبدون هذه الجامعة السياسية لا يرجى لنا بقاء بعد الذي رأيناه من تكالب الغرب على الشرق ف نحن ان انصفنا لانزع يدنا من الجماعة لان يد الله مع الجماعة ومن رأى كيف كانت حالة سويسرا والمانيا والولايات المتحدة قبل الوحدة السويسرية والالمانية والاميركية يدرك سر الاجتماع والتعاقد ويعرف ان المركب الكبير يستحيل ان تأقي عليه الانواع بقدر ما تضر بالصغير فقد يغرق هذا او يستغرق في غيره ولا من يسمع به

تعلمنا اوربا واميركا كل يوم معنى من معاني الوطنية والجامعات الجنسية فان كان بعض الاجتماعيين يدعون اليوم الى انشاء جامعة اوربية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة اميركية واحدة وبعضهم الى انشاء جامعة صفراء من اليابان والصين واحدة افلسنا نحن يا ابناء العثمانية احرياء بان نزيد في تكافتنا ونكافلتنا ونرفع من بيننا سوء التفهم بسعي العقلاء منا

طال المقال وبت اخشى عليكم الملل فهل تاذنون بان اختتمه بمجلة واحدة للمقارنة بين اخلاقنا واخلاق الغربيين وهي الاخلاق التي كانت من اعظم الوسائل في ارتقاؤهم كما كان تقيضها واسطة في انحطاطنا وذلك انني

تبينت بالاختبار ان الافرنج اكثر تفكراً منا في مصادر الاحوال ومواردها فهم لا يقدمون مثلنا على امر قبل ان يوقنوا من انفسهم الغناء فيه فالصانع في الغالب لا يتطال الى ان يكون سياسياً والمحامي لا يعمل في الزراعة وهكذا اختص اهل كل طبقة بطبقتهم وتفرد كل عالم بما يعلم ولم يتعدوا الاختصاص او الاختصاص هو الذي كان واسطة نجاح الغرب ودعوى معرفة كل شيء هي التي كانت واسطة انحطاط الشرق

الغربي يفتخر بانه لا يعرف غير ما تعلمه في مدرسته وحصله من حرفته ولكنه تعلمه فبرز فيه واحاط باطرافه وصبر حتى نضج فتناول ثماره جنية . اما نحن فنسارع في الهبوب كما نسارع الى الرقود فنهب دفعة واحدة كما نخذل كذلك الغربي يحبه نجاح العمل من حيث هو عمل نافع لامته ولنفسه ولذلك جاءت مصانعهم ومعاهدهم بل وجميع شؤءون حضارتهم فخمة خالدة وكانت مصانينا ومعاهدنا وسائر اعمالنا مختلة معتلة لا تدوم الا بدوام من عمل لها اول مرة فاذا ما ذهب تذهب بذهابه

الغربي استفاد ويستفيد بتجاربه غيره لان من عادته ان يحسن الانتفاع بكل شيء ونحن من عادتنا ان نهزأ في الاكثر بكل شيء

الغربي يدخل الاصلاح الى داره وبيته وامته بالتدريج بحسب سنة النشوء في عالم الكون والفساد ونحن نحب ان نطفر طفرة في اصلاحنا والطفرة محال لان سنن الفطرة لا تقال ولا تعاند . الغربي يحب النظام حتى صار ذلك طبيعة ثانية له ونحن لا يحسن النظام ولا التنظيم . الغربي معتدل على الاكثر في عامة احواله ونحن اميل الى الافراط او التفریط . الغربي عبد الواجب ونحن قلما نقوم بفرض او واجب فالغربي كما احسن تقسيم الاعمال والاختصاص فيها

احسن استخدام الوقت احسانه لاستخدام عناصر الطبيعة فجدده جدد ولكن
في اوقات الجد وهزله هزل ولكن في اوقات الهزل ونزهته نزهة ولكن في اوقات
النزهة وعمله عمل محض ولكن في زمن العمل والشرقي وبالاسف ليس
كذلك .

احسن الطبائع في الغربي خلق الاعتماد على النفس وانكار النفس فهو يعتمد
على كفاءته اولاً ثم على محيطه وامته وقد يهتم في الاكثر بمصلحة امته اهتمامه
او اعظم بمصلحة نفسه ولذلك جاء كل غربي راقٍ امة برأسه وامة تألف من
افراد هذا حال سوادهم الاعظم ببسط ظل عمراتها ويمتد على الارض
سلطانها . فانه اسأل ان ييب هذا الشرق المحبوب نفثة من تلك الروح
العالية وهذا لا يرجي لنا الا بتكثير سواد امثالكم يا طلاب المدارس العالية
فطلاب المدارس العالية هم ولا جرم اهل المطالب العالية فاعرفوا مقدار انفسكم
ومقدار الآمال التي تعلقها عليكم انتم نضر الله وجوهكم ويض بكم وجوهنا



سير العلم والاجتماع

الدرس في النزهة

اعتادت بعض المدارس في الغرب ان تخرج بتلامذتها في ايام معينة من الاسبوع
الى الضواحي تدرسه في كتاب الطبيعة بعيدين عن الدفاتر والكتب وجدران صفوفهم
ما يحرق حواسهم من رقهاو ينزه عقولهم من اتعابها ويعلمهم معالم بلادهم ومجآهلها وهذا ما ساه
احد علماء التربية بمدارس النزهة وليست هذه المدارس عبارة عن نزهة بسيطة يهتم فيها
التلامذة والاساتذة على وجوههم كما في نزهات المدارس بل انها نزهات هي الى الجد
اكثر منها الى الهزل وخطتها واسعة لانها تجمع بين الولد والارض والحياة وتعلمه النظر
والتبصر والتفكر والشعور بالحقيقة وجمال الموجودات حيوانات كانت او جمادات وثقوة

على مناظر الطبيعة واعمال ابنائها فيجمع فيها الولد شعوراً وشاهدات وملاحظات واحكاماً وتذكارات وصوراً على اختلاف ضروبها يستمد منها معرفة وحكمة

ويخرجون الى هذه المدارس في مساء يوم الاربعاء الاول والاربعاء الثالث من شهر نيسان وايار وحزيران وتموز وآب وتشرين الاول اي في شهور الربيع والخريف اما في الصيف فيخرجون اليها صباحاً خوف الحرارة وفي الشتاء يخرجون في اوقات الصحو والفرق بين هذه النزاهات وغيرها ان الاساتذة بكونوف عارفين بالخطه التي يجرون عليها وما فيها من مظاهر الكون المفيدة وظواهر الاشياء ليلفتوا اليها انظار تلاميذهم واذا كان في الطريق شيء يغيب عن اذهان المعلمين فيتخلصون من مأزقه في الحال

فباستعداد المعلمين لمثل هذه النزاهات ينجو التلميذ من هوى النظام المدرسي وخلل العادات ويتعود التنظيم المدقق بما يسبق نزاهاته من تدقيق المعلم بما يلزم لكل هذه النزاهات من الفوائد التي تناسب مدرسته ومحيطه فيذهب التلامذة مجتمعين حول معلمهم اكثر مما هم في صفوف المدرسة يسايرونه في البراري وينظرون ويتأملون ويستمعون ويسألون ثم يعودون الى المدرسة ببذرة من التذكارات فيكتبون مشاهداتهم ويجعلونها في جريدة مذكراتهم وربما اضافوا صور المناظر والاشياء التي وقعت عليها انظارهم .

والسبب في هذه المدارس البرية هو ان بعضهم قالوا ان المدرسة لاتعطي سوى جزء معين من المعارف وهذه المعارف منتخبة بحيث لاتضمن للولد كل المعرفة العملية التي يحتاج اليها في الحياة بل انها تؤثر في قواه وتخلق له فكراً وتنيره وتوسعه وفيها التربية الحقيقية فالواجب ان يحمل الطفل من ابناء الشعب عن معلمي مدرسته الابتدائية عادات حسنة ممن التفكير وذكاء نبهياً مفتحاً وافكاراً رائقة وصحة حكم وبعد نظر ونظاماً واستقامة في الفكر واللسان . وليس في هذه الطريقة من التعليم طرائق ميكانيكية تلبس الذهن ولا دروس عالية تحوي في مطاوعها معلومات تافهة باردة بل فيها كل ضروب التعاون في الافكار الخشيفة المرنة ولا سبيل الى ابلاغ العلم الى العقول اذا كان المعلم يلقيه على صورة مجردة ويعلمه كالتسلط فعلى المعلم ان لا يلقن الا ما يقرب من اذهان الطلبة وعليه في كل تعليم ان يستخدم اموراً محسوسة ويرى الاشياء بحيث تمسها اليد ويقف بالطلبة امام حقائق ناصعة ويمرهم بالتدرج على استخراج المجردات فهو يربي صحة الحكم في تلميذه بما يقوده اليه من النظر ويربي فكر البحث بكثرة النظر والعقل بمعاونته على التعقل بذاته من دون قواعد منطقية .

التلميذ لا يتعلم دروس الاشياء في كتاب مالم تضع امام عينيه صورة الشيء او عينيه والا فيكون كالبلغاء يسمع المدرس فيتشأب والاولى ان ينظر الى الشيء بذاته فان صورته واسطة وخير للنظر ان ينظر مباشرة فيتطبع بطابع ما يرى واشكاله ويسمع صدها وينشق رياه ويغتني باسماء الاعميان والاجناس التي تفهمه الاشياء وتمثلها لعينيه بما فيها من زخرف ثم يحسن ان تذكر في كتاب مع صورتها • ولئن افادت المعارض الطبيعية والمتاحف في المدارس فان الافيد منها والا قرب الى حصول المقصود ان تعرض الاشياء على انظار الطفل في اماكنها فالواجب ان يرى الحجر في الجبل والحصاد في الحقل المتوج باشعة الشمس والنبات والزهر في النور المرنج قبل ان يفهم بل لاجل ان يفهم مجموعة المعرض من اعشاب وزهور واحجار • يجب ان يذهب الى الطبيعة ليلاحظ الاشياء والمخلوقات في مساكنها واماكنها واكتشاف الصلات بين الارض والبشر •

فيخرج الطفل من المدرسة وهو اقرب الى العمل والحقائق مسلحاً بسلاح ماض من التعليم لطقن عوائق الحياة وليس معنى هذه التربية اخصاء التلميذ في العلم بل تلقينه مبادئ عامة واستعداداً موسعاً فيه يجب انيه البلاد التي خلق ليعيش فيها وتلقي في نفسه ذوقاً للبقاء فيها ليعمل لها ويضرب فيها اوتاد مقامه ولذا اقتضى ان ينظر في مظاهرها الطبيعية ويرى صناعاتها وفنونها كيف رقيت وبقراً تاريخ اجداده ويشعر بالصلوات والاتحاد المعنوية بين الارض واجبال الناس الذين راقبهم النزول فيها وحولوها منذ قرون الى الحالة التي وقع استحسانهم عليها •

وبهذه التربية تتربى الحواس في التلميذ على حين تصاب بين جدر المدرسة باغفاء • والتربية الطبيعية نشأزر التربية العقلية وهناك القوة والنفاذ فيتيسر للتلاميذ ان يقدروا الابعاد الشاسعة بسيرهم على الاقدام ثم بالعين من بعيد ولا يرحون بتصورونه حتى يرومخ في ذاكرتهم فينظرون الى قامة انسان وعلو بيت وطول شجرة على اختلافها في البعد والطول ويميزون بين جمال الاصقاع وما يتخللها من المظاهر والالوان اما صفار الاطفال فلا يستطيعون ان يسايروا اترابهم الاكثر منهم سناً فيجلسون الى ناحية يهبطون زهوراً واوراقاً ويعدونها وبذلك يكون لهم درس في الحساب ثم يجمعونها بحسب اشكالها ومجموعها وبذلك تترن السنتهم على الكلام واذهانهم على النظام • فخاصة الذوق والشم تترن ان باستنشاق ازهور وجنيها ورائحة الارض والمرج وغابة الصنوبر والسمع بتعود الانصات الى خرير المياه وتقدير المساف التي تبلغ بها الاذان وتترن الايدي كما تترن العين

عَلَى المساحة وتكعيب الخشب فتقرب التلميذ من الارض ومن اعمال البيوت
نعم بهذه الوساطة يتقن الطفل عَلَى الحساب والمساحة والعلوم الطبيعية بما يعده ويحسبه
ويحوله ويجمعه من النبات والحيوان والمعادن والاشجار والمسافات وهكذا ينتقل نظر
التلميذ في اخلاء من حقل يعمل فيه صاحبه بيده وكرم بعزقه ماله ومعمل يشغل فيه
الفتيان والفتيات وترتفع الكلفة بين المعلم وتلاميذه فيسيرون معه او يسير معهم كما يسير
اب مع بنيه ويدرك التلامذة باحتكاكهم بارباب الصناعات وعملة الحتول ان العمل
شريف في ذاته وانه خير ما يعده له نفسه

العالم في الصور

كتبت الآتية برس في مجلة التربية مقالة قالت فيها : ان اول من رأى تسهيل
الدرس عَلَى الاطفال بوضع صور في الكتب المدرسية هو احد قدماء العلماء آفوس
كومنيوس (١٥٩٣ — ١٦٧١) وما برحت طريقته تنتشر ولكن عَلَى ضعف حتى العهد
الاخير وقد غدت الكتب المدرسية وغيرها مصورة كابل افراطوا في تصويرها حتى
قال بعضهم ان كثرة الصور توشك ان تأتي عَلَى كل اجهاد للفهم وتفكر الانسان بنفسه
في موضوع مجرد وصفه وصفاً بسيطاً . ولكن الداهيين الي ان الصور تضعف قوة التصور
هم عَلَى خطأ في دعواهم فان الصورة تقوي الجهد للفهم وذلك بان تجعل الحواس والذهن
تتحرك بنفسها منذ الصغر ويتسع امام الطفل عالم العلم المنوع وتعلق بواسطته مبادئ من
العلم غير قليلة وبذلك يكون الفكر في سعة من الوقت والقوة اللازمة للبحث في امور
أخرى لا يتأتى التمكن منها بالنظر . نعم ان الصور توضح كل شيء بحيث تكتفي ارباب
ارباب العقول العادية بما فيها وهي مفيدة ايضاً لتفتح لارباب الافكار العالية اموراً جديدة
أخرى . ولعمري اليس التصوير من حيث الجملة هو سبب ونتيجة لاتساع الانتباه العقلي
في السنين الاخيرة .

فالواجب ان تري الجغرافيا عيوننا صوراً من بلاد العالم لم نرها ولن نراها . وان يكون
التاريخ معرض صور لكل عصر او لكل القصص التي نعظم قيمتها لقلة صحتها لانها تعبر
عن حالة الافكار العامة لزمان او لشعب اهم من فكر الابطال الذين تنسب اليهم . وان
يكون التاريخ الطبيعي عبارة عن زهرة حية في حدائق حيوانات او حيوانات تتمثل حية
ونباتات تبدو بجمالها وقوة اصولها وصخور تبدو عَلَى اجمل مظهر لتنبه النظر الى التأمل
نعم فلتكن عجائب المعامل والادوات وما وصلت اليه بعض الصناعات والاعمال

الاجتماعية من الارتقاء من مألوف عقل الولد بواسطة التصوير وبذلك يربح الطفل نفسه وللمستقبل لان ما يمثل لعينه يقيم وسط اتمدن النصري محفوفاً باكتشافات العلم وتبدل الاخلاق السريعة في تحولها اليوم وكمن عادة كانت بالامس غريبة فاصبحت اليوم من المألوفات وقد كان اجدادنا يضحكون من الكهربائية وتأثيراتها وهما قد بلغت منزلة المألوف وكذلك سيكون الحال غداً في الطيران في الهواء فليكن يستعد الطفل لثلاثي ما يحدث غداً من الارتقاء يجب عليه بعد الآن ان ينظر بلا انتطاع بكل ما فيه من قوة نظر الى ارتقاء اليوم .

والصور مفيدة في تعليم الحساب وتصور الحياة العملية وفي دراسة النحو والصرف فان كتاب علم مصور تصويراً جيداً هو درس في الذوق ولطف في الصناعة والواجب ان ينبه المعلم تلميذه الى ماحوت الصورة التي تمر في الدرس من المعاني وان كان من الصور ما ينطق بنفسه فالاولى ان ينطقه . فالطفل لاول حركته يعطى لعباً وصوراً منقوشة محسنة فاذا تقدم في السن تعرض عليه صور على الورق ليتعلم منها ما يحدث في الحياة اليبية فيشرح المعلم تلميذه كل الادوات والآنية والخرثي والماعون والنياب لينبه ذهنه الى كيفية استعمالها واذا شرحت الصور للولد شرحاً كافياً لا يلبث متى ادرك ان يقلدها بيده ويتعلم ما هو بميد عنه كأن يدرس ابن المدينة ماييجري في القرية وابن القرية ما يتم في المدينة فبالصوير يدخل الطفل في عالم جديد والتصوير يمثل لعينه العالم في مظاهر لم يكن يتوقعها فيرى حواله الاشياء والمناظر التي رآها في كتابه وربما كان يمر بها وهو ساه لا وعنها وبذلك يعلم جمال الحقيقة فالأكثر من مجاميع الصور في المدارس والبيوت من اقوى اسباب التعليم .

صحة العين

نشر الدكتور دوفور في مجلة التربية مقالة في صحة العين في البيوت والمدارس قال فيها : ان الواجب تنظيف عيون الاولاد والعمل لما فيه وقايتها لا ان يمدوا ايديهم اليها وهي وسخة فلا تتعمل لها اسفنجة ولا خرفة استعمال في سائر اجزاء الجسد ولا ان تغسل عيون الاولاد بماء استحموا به . لان الاسفنجة حتى ما يستعمل منها لفرك الوجه لا تخلو من وسخ ولكي يثق المرء بنظافتها يجب ان تجمل في ماء غال كل مرة يراد استعمالها وكثيراً ما تكون القوط قاسية القماش فالاحسن استعمال شيء من القطن للعيون ثم ترمى بعد الاستعمال واحسن سائل لغسل العين الماء الطاهر واذا اريد مزيد العناية فالواجب استعمال ماء

أغلي ثم فتر وتعمل فيه قطعة من الفطن المعروف ثم تمسح بها العين ولا سيما وراء الجفون والحدقتين من جهة الأنف والواجب تشييف العيون بعد غسلها حتى لا يبق فيها أثر للندوة . وان يفهم الطفل متى وعى على نفسه ان لا يقرب يديه وهما موسختان من عينيه كما لا يقرب منها شيئاً يؤذيها من مثل قلم او منقش او شكل او موى فاذا كبر وتعاطى بعض الصناعات تجعل على عينه نظارات تفيد النترات الضارة

وبقضى ان تكون غرفة المدرسة منوارة بالنور الابيض وبزور النهار ما امكن وما دام النور الطبيعي كافياً يجب تفضيله على النور الصناعي . وما يضر العين بل مجموع حالة الانسان ان يبقى المرء في غرفة منوارة بنور احمر مثل غرف التصوير الشمسي فان للالوان الملونة تأثيراً في النظر . يجب ان يكون النور غزيراً فان مضرة النور القليل تضطر التلميذ الى الاقتراب من دفترة او كتابه فيشغل قواه الذهنية بانراط فاذا عني بصحة عينيه منذ صغره يوجد نظره في كبره ولتدارك ذلك يجب ان يكون النور كافياً بحيث يستطيع التلميذ ان يقرأ عن بعد ثلاثين سنتماً على الأقل براحة . وبقضى ان تكون غرفة الدرس بحيث يرى منها التلميذ شعاعاً من نور الشمس او من ضوء النهار واسوأ المدارس ما جعل خالياً من النور في الطبقة السفلى من البناء لا ترى منها الا الفناء او شوارع ضيقة والاصح ان يدخل النور عن شمال الولد فانه اذا قابله بهير نظره فيضره واذا استدبره يغلل جسم الطفل ماتحت يده من الورق والكتاب واذا جاءه عن يمينه يغطي السطر الذي يحيطه . ويمكن تزوير الغرف العالية من ستوفها واذا اريد التوقي من زلزال الشمس في غرف الدرس فالاحسن اختيار ستور رمادية فاتحة كما تجعل الجدر كذلك حتى لا يهيج عيونهم ويجب ان يكون النور الصناعي شديداً ما امكن فالغازدون الكهرباء ضوءاً وخيره ما جعلت له زجاجة ولذلك تفضل مصابيح البترول والغاز والكهرباء على الشموع وغيرها مما لا زجاج يمنع الهواء عن العبث بنوره . وبقتضى للغرف المنورة بمصابيح البترول والغاز ان تهوى لانه يبعث من تلك المصابيح بخار وحامض كربونيك تسدعي الهواء اكثر من الغرف المنورة بالكهرباء .

اما كيفية الجلوس فيجب ان لا تكون على كراسي لا تاتي الا للجلوس عليها بضع دقائق في احدى الفترات بل تكون بحيث لا تقترب التلميذ مما بين يديه من الكتاب وغيره اقل من ٣٢ الى ٣٣ سنتماً او يكون جسمه وذراعه ورأسه على وضع يستريح به فاذا جلس بعيداً عن الكتاب او الدفتري لا يصير احسر قصير النظر او انه اذا كان مصاباً بالحسر

لا يزيد اعضاءاً . فاذا احب الكتابة : ندم مقدم ذراعه على المتصدرة ويقي مرفقه مطلقاً في الهواء وان تكون المفاد مائلة في الجملة وعلو محل كل تليذ ٦٥ سنتيمتراً على الاقل ويجب ان يعود الطفل على الكتابة المستوية لا لالسطور المائلة لان المائلة تسبب الحسر وان يعلم العمل بالادوات الكتابية التي شاعت بالاستعمال في اميركا . ويختار من الكتب ما تقرأ حروفه مطبوعة على ورق غليظ في الجملة بحيث لا تبدو الحروف البائنة من اسفله ويكون الورق ابيض خيراً من الرمادي او الاصفر الذي يمتدحه بعض اطباء العيون فالحروف الجيدة ما لا تلتبس فيه الحروف المتشابهة بالرسم حتى عن بعد . ويجب ان لا يتجاوز طول السطر ثمانية سنتيمترات وبين كل سطر مسافة ثلاثة مليترات وان لا تطول الصفحات ويكون لها هوامش بيضاء

لا يدخل الطفل المدرسة قبل السادسة من عمره ولا يبدأ بتعليم الكتابة الا بعد سنة من بدايته بالنزاهة ويعلم الكتابة بالورق والقلم لا على الواح من الحجر ولا يعلم في النهار اكثر من اربع ساعات وهو جالس بحيث لا يتجاوز كل مدرسة اكثر من ساعة بفصل بين كل واحدة منها ربع ساعة تلي الاقل بصرفها التلميذ في اللعب في الهواء الطلق او تحت رواق بحسب الفصل ولا يقرأ التلامذة ولا يكتبون خلال النزهة وان تقلل ساعات درسه في بته ما يمكن لان شروط الصحة تكون في البيوت غير مستوفاة في الجملة وكذلك ينقطع الوالد عن الدرس ايام العطلة وكل اسبوع كما تصرف العطلات المدرسية في الهواء الطلق لافي العمل . والاحسن ان لا يملي الاستاذ تلي تلامذته ما يتنصى عليهم ان ينسخوه بل ان يكتبه ويوزعه عليهم ويلاحظ الاطفال الموالعون بالمطالعة فلا يسمح لهم ان يطلعوا في الفراش لان جلستهم تكون غالباً مختلة ونور الغرفة ضئيل ويجب تعويد الاطفال رؤية الاشياء البعيدة حتى تمرن عيونهم على النظر

والحسر هو من الاسباب الرئيسة ان لم يكن في العمى التام فلنصف عمى يجعل الانسان عاجزاً ويحول بينه وبين تعاظم اكثر الصناعات وقد خص كوهن في المانيا سنة ١٨٦٥ زهاء عشرة آلاف طفل فقرروا بان الحسر في مدارس القرى يكاد لا يوجد لهم اثر ويزيد عددهم بزيادة المدرس ويزيدون الدرجة الكبرى من قصر البصر في المدارس العالية والجامعات وان الحسر في التلامذة يزيد من الطبقة الواطئة الى الطبقة العالية وان كان اكثر في العلماء لكثرة تحديقهم الساعات الطويلة وان الحسر يزيد في صاحبه كلما تقدم في درسه . وقد اكد كثيرون في بلدان مختلفة هذا الاحصاء فابان البحث بان الانحطاط

في تقرب العين من المرئيات يورث الحسر وهذا ناشئ من سوء جلسة التلميذ الذي يجني الخلل جسمه الى الامام مستنداً على مقدم ذراعيه صاعراً رأسه والسبب في الحسر واختلال وجهة العمود الفقري رداءة وضع التلميذ

ولقد كان ولا يزال لمسألة الحسر في المدارس شأن عظيم ولطالما ارسلت الحكومات الى مدارسها بالتعاليم الواجب على المعلمين تطبيقها على التلاميذ لوقاية اعينهم من الضعف والقصر ومن احسن الخطط التي اختطوها (١) ان يتسم التعليم على وجه لا يضطر فيه التلميذ الى صرف اكثر من ساعة متتامة (٢) ان تمرن العيون على النظر الى مسافات متراخية (٣) الرياضة المتوالية في الهواء الطلق والرياضات البدنية (٤) الامتناع من القراءة في العتمة او في الشفق اوضوح مظلم (٥) حسن العناية بوضع التلميذ خلال القراءة والكتابة (٦) الحظر على التلاميذ ان يضعوا نظارات على عيونهم بدون استشارة طبيب العيون (٧) يجعل التلاميذ الذين ضعفت عيونهم في مكان يعينه الطبيب (٨) يجب ان ينبعث النور للقاريء والكتاب والمصور من شماله او من اعلى رأسه (٩) يجتنب النور الصناعي واذا كان لامناص منه فالاعتماد على ما يمكن من القراءة والكتابة على ضوءه ويتعد عن التصوير فيه (١٠) يعلم الاولاد بحروف غليظة (١١) يحظر استعمال الورق ligné (١٢) يبعد بين العنق والعمل القريب

تربية البيوت في الفاحية

اشتهر الدكتور ليز في ألمانيا بانشاء مدارس سماها بهذا الاسم وشاعت طريقتها في اوروبا وامريكا على نحو ما كانت شاعت منذ بضع سنين كتب ادمون ديمولانس في فرنسا القائل باتخاذ التربية السكسونية . وقد كتب في مجلة التربية الفرنسية يصف طريقة مدارس قال : انا انشأنا خلال العشر السنين الاخيرة من بيوت التربية ثلاثة وهي في الضواحي بعيدة عن المدن يترى فيها التلميذ ممتعاً بكل قواه الطبيعية والبدنية والادبية فيعيش في محيط ملائم لتربية شخصيته على القوة والنشاط على صورة تعرف بها قيمة الحياة وافراحها وتكون جديرة بان تساعد على سمادة الخلق فيقوم المتعلمون في هذه المدارس بوظيفة المربي الحقيقي يعيشون مع الفتيان الذين عهدت اليهم تربيتهم كما يعيش الاصحاب ويعينونهم ما يمكن على اتمام تربيتهم الشخصية فيالعون ويعملون معهم ويقاسمونهم اللذائذ والاعمال الجدية ويؤثرون فيهم بالمثال والقُدوة وما يبثونه في قلوبهم من حب الميل الى كل الصور الشريفة والناعة في العمل . وللتربية العملية المقام الاول في هذه

التربية فيمكنون الطفل ان يعيش في الهواء الطلق وما يتحتم عليه القيام به من انواع الرياضات البدنية يسكون متناسبا مع نموه ويعمل به بدون افراط فيوصونه بالمشي والعدو واعمال الرياضة وركوب الدراجة وهذه الرياضة الاخيرة تكون في السنة الحادية عشرة ومن جملة الاعمال التي تقوي جسمه زراعة البقول والزروع والتجارة وهي من الصناعات التي كتبت لها المدرسة فضل النقد، واذ كان الدكتور ايزي يعانى شائنا عظيما على تأثير جمال الاقليم في التليذ أسس مدارس الثلاث في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا اما الاشغال العقلية فيجب ان يعلمها الطفل على صورة مقبولة ويتقياها بفرح فيه مافية من الميل الفطري وهبائه في النظر وقوته في التفكير كما ترى فيه العراطف الدينية والادبية والوطنية وتنى بما يحفظ نظام الحياة وسداجتها واخلاصها المطلق نحو الواجب . ويدررس ارقى صور الصناعة يبنى في الطفل معنى الصناعات وفكرها والشعور بها .

قال لقد انشأنا في ثلاثة اقاليم بهجة من بلاد المانيا (سيفه فارز تورنغ ورون) ثلاثة دور للتربية للاطفال والمتوسطين والكبار وذلك ليكون ابناء كل سن مع ابناء سنهم ويخلصوا من جسمهم في مدارس داخلية اشبه بالكن منيا بالمدارس فهمل اهل كل سن مايشاؤون لتنمية شخصياتهم ولم من تنوع الاقاليم التي يقولون من مدارسها ما يوسع امامهم أفق العمل في الحياة وليس في كل مدرسة اكثر من ٥٠ الى ٧٠ تليذا بقسم كل ١٠ الى ١٢ منهم فرقة واحدة يتولى امرها معلم يعيش معهم كما يعيش الاب مع اولاده وهكذا تتسع دائرة اختبار الطفل وافكاره بتقله من فرقة الى اخرى ومن مدرسة في هذا القطر الى اخرى في قطر آخر تخالفها بعض الشيء في النظام

والعيش في هذه المدارس منوع الاساليب حسن النظام بحيث يلائم تنمية القوى العقلية والطبيعية فيـ تيقظ الاولاد فيها بين الساعة السادسة الى السابعة صباحا يغنوا نشاط البكور فبعد ان يستحموا ويفاروا يبدؤون بالمدرس وهي خمسة طول كل منها ٤٥ دقيقة وذلك للتوسطين والكبار اما الصغار فدروسهم اربعة . ودروس الصباح لاتكون الا في فرعين او ثلاثة ويفصل بين كل درس فرصة لتنزهة وفرصتان تدوم كل منهما ثلاثين دقيقة تخصص احدهما للركض في الغابة اذا كان الوقت صاحيا وفي الشاء للترحلق على التالنج واللوج luge والتنزه الثانية لتناول الطعام الثاني ويتعدون الساعة الواحدة بعد الظهر والتعلم ينتهي الظهر والتليذ ساعة قبل الطعام يعامل في اعماله الخاصة اما الاكل فانا تتبع فيه طريقة الدكتور لاممان وذلك باننا نكثر من البقول

والثار ونقل من تناول اللحم ونضجى الاطعمة ذات التوابل والمشروبات الروحية والجزء الاول من وقت بعد الظهر اي من الساعة الثانية الى الرابعة نستعمله في الاعمال العملية مثل البستنة والنجارة او في الفنون اللطيفة كالرسم والموسيقى الآلية وبعد الساعة الرابعة يبدأ العمل العقلي على انه تقال فيه ما يمكن التمارين المكتوبة والنصوص المستظهرة . والعمل الجوهري في المدرسة يتم في الصباح وتدوم مدة الدرس في المساء ساعة في المدرسة الصغرى وساعة ونصفاً في المدرسة الوسطى وساعتين ونصفاً في المدرسة الكبرى وبعد رياضة طبيعية قصيرة او درس في الفضاء يذهبون الى المائدة الساعة السابعة وبعد ذلك يستريح الطفل قليلاً على نحو ما يشاء ثم ينقلون الى قاعة الأُسرة فيبدأ الأستاذ الموسيقى وجوقة التلامذة في اول الاجتماع وآخره بتأخين قاعة من الشعر ثم يتلو المدير قطعة ادبية تنشر بها روح الطفل وتكون الادبيات متتابعة مع اقتدار القوى العقلية في الطفل فالصغار يرتاحون الى تلاوة الاقاصيص والحكايات والقطع الشعرية اما الكبار فيجربون انواع الآداب العالية وبنام الصغار في الساعة الثامنة وبنام الكبار في الساعة التاسعة

وفي كل اسبوع تقضي كل فرقة او أسرة السهرة في رفقة اب الأسرة ويخصون سهرة اخرى لسماع الموسيقى وكثيراً ماتتلى عليهم محاضرات يقوم بها احدقاء المدرسة او الاساتذة انفسهم وهكذا ينتهي اليوم بما يعلي نفس التلميذ ويجدوها الى المطالب العالية . واذ كان التلميذ في حاجة الى الحرية لترتقي مداركه فالمدرسة تطلق سراحه بعد ظهر الاربعاء والسبت ولا يخشى ان يسيء استعمال هذه الحرية لان افراد المدرسة في الخلاه والعيشة الاشتراكية بين الاساتذة والتلامذة وكثرة الاعمال الطاهرة والجاذبة تستدعي نشاطه وتقود ارادته

وطريقة المدرسة في التعليم طريقة الوصف والاستدلال التي تساعد الطفل ابداً على موازنة العلم في عمله . ولا تطبق هذه الطريقة الا على شرط ان تنظم المواد المدروسة في هذا العمل الابتدائي المشترك وان تعرض من جديد على الطفل في صورة علمية . واذ كانت الفروع التي تدرس كل صباح قليلة سهل البحث في المائل التاريخية والعلمية واللغوية وذلك بدرس تجارب الغير والمستندات الموجودة وكلي هذا يتأتى التوسع في درس تاريخ الادب بدون ان يجزأ وللطفل من وقته متسع لعرض افكاره وبقدم اعتراضاته وبهي اجوبته .

ان احترام التلميذ لشخصية المربي وطاعته له هي من الشروط الجوهرية في نجاح التربية وهذه المدارس لا تتطلب ذلك من تلامذتها بالخوف ولا بالقصاص . فان التأثير الروحي الناشئ من الشخص المربي الحري بكل تجلّة والانقياد للطبيعة او للعقل وتأثير نوع الحياة والعمل المطلوب هي وحدها حرية بتربية اخلاق حرة .

وعلى ذلك يسمح للتلميذ ان يجري مع ميوله ويقوم بما يزيد في نشاطه على عمله ولا تطلبه المدرسة الا بما لاغنية عنه في تربيته الطبيعية والعقلية فتعلمه بالقوة وبما يسود فيها من الافكار العامة الى ان يدرك ماهية الواجب بحيث يتضح له بان نجاحه هو نتيجة لازمة لنظام منطبق على العقل .

اما العقوبات فيستغنى عنها في هذه المدرسة لان المربي يتنزل الى تقريب منهاجه من عقل التلميذ ويعامله على نصاب العدل واذا اختلفت هذه الشروط تصبح الحاجة ماسة الى العقوبات وعلى التلميذ من ثم ان يتعاضد عمله باحتياج وهذه هي الطبقة من التلامذة التي تتوخى المدرسة تنشئتها والقيام عليها ولا تطلب منهم الكمال بل تريد من على ان يرتقوا ارتقاءً تدريجياً مناسباً مع قواهم واستعدادهم . واذا لم يكن ذكاء التلميذ وارادته للتوقي من الاغلاط او لسد مواضع الخلل من تربيته فان المدرسة تنشطه وتضرب عليه في جهاده على انما لا تكلفه مالا طاقة له به .

ويعامل كل تلميذ بالاحترام اللائق بشخصه فان المربي الحقيقي هو الذي يكشف في كل تلميذ حتى في المقصرين منهم في المدارك ما هو جدير بالاحترام وقابل للتكامل فاذا تم ذلك فالحياة المدرسية تنقضي في دعة نافعة ونفع شامل .

واذا مست الحاجة الى ازالة القصاص بالتلميذ فلا يكون الا على اقل درجاته فمن اساء استعمال حريته تحجز عليه ومن تراخى في درسه يغيرون له الاسلوب في الالتقاء والمراقبة وطريقة تنشيطه وهكذا تجتهد المدرسة ان تحمل الولد على الاعتراف بخطائه وتأخذ بيده كل الاخذ لتوقد في نفسه جذوة العمل الصالح . ويجرمون العقوبات البدنية والقصاص الخارجي التي ليس لها علاقة داخلية مع الخطأ الذي ارتكبه كما لا يمدون الى مكافأة المحسن من التلامذة بمكافآت مادية . لاجرم ان اعظم الصعوبات التي تشاهد في تربية مدارس المدن ناشئة من الخروج عن سنة الفطرة وهذا ساقط من ذاته في مدرستنا بالنظر لموقعها من الخلاه ولطرز معيشتنا .

ولقد اقتنعنا بان كل شخص لم يطرأ على قلبه وذكاؤه ما يشوهه ما كل التشويه هو

قابل للتغير حري بالعائاة لإصلاح حاله . فالثقة والحب والاخلاص والمعاملة بحسب قانون العقل كلها من العلامات في زمان النجاح لئلا حتى ان النجاح وان كان لا يرجى في الحال بهذه الطريقة فاننا على ثقة بان البذرة الملائمة لا بد عاجلاً أو آجلاً ان تأقي اكها . نحن نحاول ان نجيب تلاميذنا بدون ضعف الثقة بمعنى الواجب ونجيبه الى نفوسهم ونشيطهم على الرغبة فيه ابدأ . هذه هي الفوائد التي جربنا عليها منذ عشر سنين وظهرت بعض نتائجها وحذت حذونا بعض المدارس التي انشئت في البلاد الخارجية فإبانت عن نجاح وستعظم فائدته في المستقبل أكثر .

معنى التاريخ

كتب الدكتور ماكس نوردو كتاباً بالفرنسية تحت هذا الاسم جاءت فيه بعض الفترات الآتية :

ان ما كان يراه الجيل الماضي في التاريخ لا يراه الحاضر وما يناسب هذا لا يناسب المستقبل وما يناسب الهنود واليابانيين لا يناسب الاوربيين والامريكيين فالتاريخ يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاشخاص فاننا به اليوم الى مصلحة عامة لا يكون له غداً تأثير في العالم . فالتراريخ يسير في ظلمات الماضي كالانسان الذي يحمل مصباحاً وشمصية المأرؤخ تظهر وان قال ذلك المؤرخ ان الواجب اخفاؤها لا يراد الحقائق مجردة . وقد قال هيروودنس ابو التاريخ ليس التاريخ سوى لعب ممن يره به ولا يختلف عن التصادم التي تنظم في تجريد الابطال البكونه نثراً وهذه شعر . وهو الى اليوم لم يبرح على ما يدعيه بعضهم من انه اصبح علماً عبارة عن قصة ولا يختلف المؤرخ عن القصص الا بان حريته محدودة بمحادث حدثت وعرفت في الجملة وذلك لانه لا يستطيع ان يناقض ماوقع التسليم به عند السواد الاعظم . ليس التاريخ علماً لان العلم ليس الا معرفة الصلات بين النتائج والتقدمات التي تربط الظواهر بعضها ببعض ومعرفة التواميس العامة في الطبيعة التي هي معرفة عنها . وقد ردد المؤان هربرت سبنسر قول من يطلق لفظ علم على هذا النوع من التقييد والتدقيق في الحوادث . وعيناً حاولت فلسفة التاريخ ان تحدد الصلة الاصلية في الحوادث وان تضع القوانين التي تتسلسل بها الوقائع التاريخية وربما جاء زمن اقتدر الناس فيه على تدوين تاريخهم خاليين من التناقض اذ ارتقى الفونوغراف والتصوير الشمسي اكثر من الآن . ولكن لا بد ان يدون بهذه الوسطة الا جزء صغير من الحوادث وماوراءها وهو الاهم كنعو ما يضمر في روح البشر ويبقى مخفياً عنا

فلا سبيل الى نقشه وتقله . والحقيقة ان لكل مؤرخ رأيا خاصا في الصور الكبرى من الماضي والحاضر وقلما تتفق صوره على صور رصفائه .

التاريخ هو غير تدوين الوقائع بل هو خارج عنه وارتق منه وما التاريخ الا مجموع حوادث اعترضت الجهاد الانساني في سبيل الحياة فهو تابع الاعمال والحن والميول والحقائق التي يحاول الانسان بها ان يوفق بينه وبين الشروط الطبيعية والصناعية الكائنة في المحيط الذي ولد فيه ويجب عليه ان يعيش وسطه فلا ترى بين رجل عادي ورجل فاتح فرقا في الطبيعة وكلاهما خاضعان للقوانين الفطرية فالاول لاعلاقة له بغيره قد يعيش ويموت فلا يدري به احد اما الثاني فيؤثر بافكاره واعماله في الوف وملايين من ابناء جنسه فالفرق بينهما في الكمية لا بالكمية وكم من اناس كبر مقامهم من دونوا اخبارهم حتى ان كثيرين ليعجبون من ارباب الرحلات السخفاء عجبهم من كبار الفاتحين المصلحين وكم من اناس هم عظام في نظرية ولا يذكرون عند اخرى وكم من زلازل وحرائق اثرت في الانقلاب البشري اكثر من الحروب والفارات وما سبب ذلك الا المؤرخون فانهم غالوا في هذه وسردوا اخبار تلك على وجه عادي .

قال ومن المحقق ان معرفة الحوادث التاريخية ليس فيها ضرورة حيوية كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ونواميسها بل انها تسد في المرء حاجة نفسية بل حاجة اجتماعية . ومملكة النقد على الجملة غير مرتبة في السواد الاعظم من الخلق فلم يرزقوا استعدادا للتمييز بين الحق والباطل وقلما يهتمون بذلك فكل قول يؤكده قائله صحته يقارنه مصدقون بدون ان يطلبوا الدليل عليه وان يبحثوا عن درجته من الصحة والتثبت . فكما ان اللاهوت يوقف الناس على الاسباب الاخيرة في نظام هذا العالم او المعجزات تكشف خفايا المستقبل هكذا تدوين الحوادث التاريخية كانت يوقفهم على معميات الماضي . ولو اهتم البشر بالاطلاع على الاسباب الاخيرة على نسبة اهتمامهم بالاطلاع على الاسباب القريبة لقضي على عالم اللاهوت منذ عهد طويل على نحو ماجروا في التاريخ الطبيعي الذي خلفه بليوس وعلم الحياة تأليف ارسطو وكتاب الطبيعة لبطليموس ولو اهتموا بمعرفة الماضي اهتمامهم بالمستقبل لادركوا منذ عهد بعيد ان تدوين وقائع التاريخ لا يوصل الى معرفة المستقبل الا كما يدل علم النجوم والقيافة والعرافة

الصحة المدرسية

اجتمعت جمعية الصحة الالمانية في ديسون من بلاد المانيا وبحث في امور كثيرة سي

حفظ صحة التلامذة ولاسيما في مسألة العيون فقر الرأي على ان خير وقاية للعين من الامراض عناية الامهات بنظافة عيون ابنائهم وبناتهم ثم عناية المدارس بذلك والتوفر على تقليل النقائص الارثية وملاحظة وضع النور في المدارس بحيث لا يقترب الاولاد مما ينظرون فيه وان تجعل الدروس في الصباح اما وقت العصر فيصرف في الالعاب والرباضات حتى يتيسر للنظر ان يقرن على النظر الى المساف البعيدة . ولا بأس حين الحاجة من انشاء مدارس خاصة بضعاف الابصار من التلامذة وهذا خير طريق للعناية بتطهير حماة الوطن وابناء المستقبل على ان يعنى ارباب البيوت بصحة عيون ابنائهم عناية المدارس بها بعد

كلية ليبسيك

احتفلت كلية ليبسيك الالمانية بمرور خمسمائة سنة على تأسيسها فقد اُنشئت سنة ١٤٠٩ على يد اساتذة وتلامذة من الالمان هاجروا من براغ للخلاص من النفوذ السلافي فد فرديريك المحارب ظل حمايته عليها وكذلك صاحب مسينا فحازت شهرة وقوة لم تزل محتفظة بهما حتى اليوم . وفيها الآن خمسة آلاف تلميذ من اقطار اوربا وانتدبت كليات المانيا وغيرها من كليات الغرب مندوبين عنها حتى اضطرت عمدة الاحتفال ان تحدد عدد الخطباء وناب كثير من ملوك الامارات الالمانية فيها وقد احتفلوا باقامة موكب تاريخي اشترك فيه الفارجل يمثل الادوار المختلفة في الحياة المدرسية في ليبسيك منذ سنة ١٤١٩ الى ١٨٣٠ ومما مثلوه فيها مناقشة لوثيروس صاحب الدعوة البروتستانتية مع خصمه ابك وحرب الثلاثين سنة والدور الذي رفض فيه الفيلسوف ليبنز من نيل شهادة الحقوق ودور لبسنج وكيتي واربية من قدماء تلامذة ليبسيك .

بلجيكا الحديثة

نشر فرنسوي اقام في بلاد البلجيك زمنا كتابا في وصفها جاء فيه ان ليس في بلجيكا روح بلجيكية كما ليس في المانيا روح المانية ولا في فرنسا روح فرنسية ولا في انكلترا روح انكليزية لانه ما من شعب في الارض يملك روحا خاصة به بل هو مزيج ارواح مختلفة ففي البلجيك شعبان الفالون والفلامند وقد انتبه الشعب الفلامندي في السنين الاخيرة فطلب ان تعامل اللغة الافرنسية واللغة الفلامندية بالمساواة . وفي البلجيك ٢٦٨٢٢٦٠٠٠ نسمة لا يشكلون بغير الفلامندية و ٢٠٥٧٤٦٠٠٠ نسمة لا تكلم بغير الافرنسية و ٨٠١٦٠٠٠ يتكلمون بالافرنسية والفلامندية و ٢٨٣٠٠ لا يعرفون ان يتكلموا بغير الالمانية

و ٧٢٠٠ يتكلمون الفلامندية والالمانية و ٤٢٩٠٠ يتكلمون باللغات الثلاث الشائعة في البلاد . والبلجيك متأخرة من حيث التعليم فثمة فيها ١٠١ أمي في كل ١٠٠٠ جندي اي اكثر من عشر ابناءها في حين ليس في هولاندة سوى ٢٣ أميا في الالف وفي فرنسا ٤٧ ويبحث المؤلف في احزاب البلجيك فردها الى ثلاثة احزاب حزب الاحرار وحزب الدين وحزب الاشتراكيين وقال ان الحرب الاول ضعيف بالنسبة لثاني الذي استولى على الامر فالاحرار يكتفون بان يخاطبوا الارواح والافكار اما سائر الاحزاب فتدعو الى مذهبها بما تقوم به من الاعمال النافعة العملية فهي تسطو على الفلاح والعامل والطفل ايضا تتناولهم من المهد ولا تتركهم الى المهد

محصول الذهب

قالت مجلة الاقتصاديين : ما برح محصول الذهب في العالم يزيد سنة عن سنة وليس هو الذي زاد غلاء المعيشة بل ان الغلاء ناشىء بطبيعة الحال من التدابير السياسية والقوانين الاجتماعية وهاك جدولاً بمحصوله سنة ١٩٠٩ ومنه تفهم ان الاولوية قد فازت بها الترنسفال في هذا الباب

فرنك

الترنسفال	٧٧٠١٠٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٩٢١٥٠٠٠٠٠
اوستراليا	٣٦٧٠١٠١٩٧٨
روسيا	١٧٤٠٢١٦٠٠٠
المكسيك	١٣٢٠٦٠٠٠٠٠
رودوسيا	٦٤٠٢٨٥٠٠٠
الصين واليابان وكوريا	٥٦٠١٠٠٠٠٠٠
كندا	٥٤٠٨٢٥٠٠٠
الهند الانكليزية	٥٣٠٨٨٦٠٦٠٠
افريقية الغربية	٢٣٠٥٨٧٥٠٠
مدغسكر	١٢٠٦٤٨٠٠٠
الاقطار الاخرى	١٢٧٥٠٠٠٠٠٠
المجموع	٢٦٣٢٩٠٠٠٠٠٠٠

مخطوطات وطباعت

أهميات مخطوطات

نذكر جداً ابن غلاة الكتب العارفين في البلاد العربية مثل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ومحمود شكري افندي الآلوسي في بغداد واحمد بك زكي في القاهرة فهم يتوسلون الى نشر كتب السلف بكل ماله من ذرائع لينبروا بها افاق البلاد ويحيوا موات المجموع والافراد . وطريقة العالم المصري في الدعوة غريبة لانه منزع باللغة او باللغات الافرنجية فقد نشر بالامس تقريراً طبعه بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في الاسكندرية واقرب الطرق الى الانتفاع بها واليوم نشر كراسة بالافرنسية فقط ذكر فيها الاسباب التي يجب الاعتماد عليها في مصر لاحياء الآداب العربية فيها فقال ان القاهرة منذ أسسها الفاطميون استأثرت بالارث العلمي الذي كان لبغداد وقرطبة فازهرت فيها الحضارة الاسلامية واثارت الافق آثارها فتبحت مساعي العلماء المصريين الى آخر عهد سلاطين المماليك واثمرت اعمالهم ثمرات جنية وكان لهم من تشييط الملوك والافراد الذي شغفوا بالآداب والعلوم مادعاهم الى تأليف مجاميع من المخطوطات النادرة والآثار الثمينة وكان للجوامع الاقلية مدارس وخزائن كتب دع عنك المكاتب التي جعلت خاصة لحفظ المخطوطات

وان الاعمال الباهرة التي قامت على ذلك العهد لتدل عليها كتب النوري وابن فضل الله العمري وابي شامة والمقريري والقلقشندي والسيوطي ثم ابن اياس والجبرتي من المتأخرين وان المناصب السياسية التي تولى معظم هؤلاء امرها قد كان لهم منها اعظم مساعد على اقتباس المواد النافعة لهم من سجلات الدولة وآخرهم علي باشا مبارك صاحب المخطط الجديدة التوفيقية ولكن ما جمع في مصر من مصنفات السلف في خمسة اوستة قرون قد تمزق شذر مذر وانتقل الى مكاتب مختلفة ولا سيما الى الاسكندرية عقيب ان فتح السلطان سليم العثماني مصر وحمل القسم الآخر الى مكتبة باريك ولا سيما منذ عهد حملة بوناپرت على مصر ومكاتب برلين ولندن واكسفورد ورومية وفيينا وغيرها فجمعتها تلك الحكومات المنتهية القيورة على الآداب واخذ علماؤها يعثرون اليها منها الحين بعد الآخر ما يطبعونه اجود طبع ويبعدون اليها ماضع منا بالانقلابات السياسية ويجهل بعض الاجيال الماضية ولقد جمعت بفضل الخديوي اسماعيل واشاره علي مبارك باشا قايما

تلك الكنوز وأسست لها المكتبة الخديوية، وها قد جاء دور يحق فيه للمصريين ان يستعيدوا سالف مكانتهم العلمية في العالم الاسلامي وبعد ان تكلم على ما ابرزته المطبعة الاميرية من مصنفات علماء العرب مثل كتاب الاغاني والعقد الفر بدو تاريخ ابن خلدون وصحاح الجوهري وقاموس الفيروز آبادي وغيرها من المصنفات التي لها شأن حتى عند علماء الشرقيات من الافرنج لفت انظار الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني الى احياء ما خلفه لنا السلف الصالح واورد ماوفق الى جمعه من مكاتب متنوعة بواسطة التصوير الشمسي من الكتب الممتعة او ما استنسخه او عرف مكانه ككتاب «نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الكريم النويري» (ونويرة قرية بالقرب من بني سويف في صعيد مصر) وهو كتاب دائرة معارف في العلوم البشرية التي عرفت في عصره قسمه الى خمسة اقسام وهي السماء والارض وها فيها الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات (وفيه نبذة في الطب) والدارين وهو في ٣١ مجلداً انتهى قبيل سنة وفاة المؤلف سنة ٧٣٣ هجرية

وتكلم ماشاء بيانه على هذا السفر الممتع والفيه من العناء في جمع اجزائه المتفرقة ثم ذكر دائرة معارف اخرى لمؤلفها شهاب الدين ابي العباس احمد ابن فضل الله العمري واسم كتابه «سالك الابصار في مالِك الامصار» وهو في ٣٢ مجلداً قسمه الى قسمين الارض والانسان وهو دائرة معارف طبيعية جغرافية مع المصورات وتاريخية وادبية وسياسية وهذا المؤلف دمشقي وكان معاصراً للنويري

والكتاب الثالث الذي لفت اليه الانظار «جوامع العلوم لزيين تليذ ابي زيد البلخي» من اهل القرن الثالث وهو مثل دائرة معارف ايضاً . والكتاب الرابع والخامس «درر التيجان لابي بكر بن عبد الله بن ايبك الداوداري» و«كنز الدرر وجامع العبر» للمؤلف نفسه وهو تاريخ مع فيه امور لم تنتشر بالطبع عن دولة الفاطميين والايوبيين والماليك وحياة المصريين وغارات التتار واخلاقهم وتقاليدهم واساطيرهم وسبب زوال الخلافة العباسية وفيه ترجمة مطولة للسلطان الناصر قلاوون صاحب المعاهد الخيرية في مصر والشام واحسن سلاطين المالك وحامي الآداب والمعارف في عصره

والكتاب السادس سيرة السلطان جقمق لابن عربشاه والكتاب السابع كتاب «تجارب الامم وتعاقب المهم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه» وهو من مؤرخي الاسلام الذي تفلسفوا في التاريخ . تطبعه على نفقتها اليوم أسرة جيب الانكليزية بمعرفة

الامير كياتاني الايطالي في رومية والكتاب الثامن « ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع » و « لطائف المعارف للنيسابوري » وهو في الادب والتاريخ والسياسة والجغرافية والاحصاء و « شجرة النسب الشريف النبوي للملك الاشرف السلطان ابي النصر فانصوه الغوري » وكتاب « صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي » وهو في الجغرافيا وفيه ٢٢ مصوراً . والبلخي اول جغرافي في الاسلام استعمل رسم الارض وكتاب « تاريخ الامير يشك الظاهري » وهو رحلة فيها وصف سورية واربينية وفارس في القرن التاسع للهجرة . ومن الكتب التي لفت اليها الانظار كتاب « الادب الصغير والادب الكبير لابن المقفع » وقد كتب لنا يقول فيها ان النسختين اللتين ظفريهما من كتابي الادب الكبير والادب الصغير لابن المقفع هما اجل واصح بكثير من اللتين اعتمدنا نحن واعتمد عليهما الامير شكيب ارسلان في الطبع وان الذي سميناه بالذرة القيمة انما هي الادب الكبير بعينه ونسخة زكي بك هي بالشكل الكامل ومنها كتاب « ترجمة البقية من كتاب مسطوس » احد فلاسفة يونان الماروف عند الافرنج بحاجبليك وهو الذي قاوم النصرانية في القرن الثالث لليلاد واراد ان تبقى يونان على وثنياتها والكتاب الخامس عشر رسالة في تاريخ الغناء وعدم حرمة اخبار المغنين في بلاد العرب ومؤلفه من اهل القرن الثاني والكتاب السادس عشر كتاب « العز والمانع للمجاهدين بالآلات الحرب والمدافع » وهو كتاب معرب عن اللغة الاسبانية الاسلامية (الجبادو) بقلم قاضي فاس سنة ١٠٥٠ هـ قال فيه ان البارود اخترعه راهب الماني

هذه هي الكتب التي لفت اليها صاحب اللائحة انظار العالم العربي والغربي معاً وهو يرى ان يبدأ بطبع دائرتي معارف النويري المصري والعمرى دمشقي ليكون لمصر مجد خالد كالاهرام على الدوام وفقه الله وسائر العاملين لخدمة العلم

فلسفة الاسلام

نشر الماجور ليونارد الانكليزي كتاباً في الاسلام وسيرة صاحب الشريعة (عليه الصلاة والسلام) على وجه يرفع الغشاء عنها ويزيل الشبه الشائعة في الغرب اليوم عن حقيقة هذا الدين وقد قدم له السيد امير علي العالم الهندي المشهور مقدمة بالانكليزية واثني على علمه وجبه للحق والكتاب يطلب من مكتبة لوزان في لندرا .

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

كتاب في ٢٢٤ صفحة في افعال معاوية بن ابي سفيان رأس خلفاء بني امية وما

عامل به آل البيت وكيف قام على الامام الحق وشيء من تاريخ ذلك الدور تأليف السيد محمد بن عقيل العلوي الحسيني من تجارير الكتاتين والعالمين مبادي الفلسفة القديمة

هي مجموعة فيها كتاب ما ينبغي ان يقدم قبل تعلم فلسفة ارسطو لابي نصر الفارابي وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادي الفلسفة له ايضا عنيت بتصحيحهما ونشرهما المكتبة السلفية بصرمو سبها محب الدين افندي الخطيب وعبد الفتاح افندي القشلان . وقد جعلت له مقدمة في ترجمة الفارابي مطولة وعلقت عليه حواشي مفيدة

سمير الليالي

طبعَت المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام الجزء الاول من هذا الكتاب تأليف محمد امين افندي صوفي السكري وهو في جغرافية المملكة العثمانية وشيء من تاريخها وهو في ١٩٨ صفحة وعسى ان يزيد المؤلف كتابه تدقيقاً في الطبعة القادمة لان فيه بعض نواقص لا يصح ان تبقى فيه

الفنن الرطب في فن الخطيب

هو مختصر في تعلم الخطابة للشيخ سعيد الشرتوني من فصحاء لبنان وانوبيه وفيه كثير من القواعد وبعض امثلة

مطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء

هو موجز ايضا للشيخ سعيد الشرتوني اتفق فيه زبدة علوم المعاني والبيانات والبدع والعروض بعبارات وجيزة قال احد الناظرين فيه « تبين لنا اثناء مرور النظر على مباحث هذا الكتاب ان المؤلف اذا استشهد ببيت شعر عزوه لقائله او فقرة من المزامير بين عدد الصحيفة التي وردت بها الا آيات القرآنية الشريفة فانه اذا استشهد بها لا يمزوها بل يتخذها كالمثال المبكر من عنده او كالكلام المعتاد فياحبذا لو ارجع الآيات كما يرجع غيرها »

الارض في السماء

هي قصائد ادبية اخلاقية تاريخية واساطير حكمية تأليف امين افندي ظاهر خير الله من الشعراء والكتاب جمع فيها الحقائق العلمية والنتائج العقلية والفوائد الزراعية على نمط جديد ولم يلتزم فيها الروي في كل شطر وساء الارض في السماء اي ما ينال به الانسان رغد العيش وحلاوة الامن وهو مشكول بالشكل الكامل ليسهل على كل متناول

وعدد صفحات هذا الجزء ١٤٢ ص طبع بالمطبعة الادبية في بيروت وبطلب من مؤلفه في دمشق .

دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله النباتية

هو كتاب في ١٥٢ ص تأليف امين افندي ظاهر خير الله المشار اليه جعل شعاره ان المبروات المحدودة تنطق بلسان صحتها عن تمام حكمة الباري والغير المحدود وفيه مباحث ادبية واجتماعية جعل الدين ولا سيما آيات الكتاب المقدس دعائمها الكبرى وذلك لينفع به طلاب المدارس المسيحية وهو مشكول ايضاً سهل العبارة حسن الاسلوب والتسج .

تاريخ ابي المحاسن

بدأت جامعة كليفورنيا في اميركا بنشر كتب في اللغات السامية فوأت ان تسفنج عماها بنشر الجزء الثاني من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ابن تغري بردي وهو في ست مجلدات كان نشر الجزء الاول منه في ليدن . وهذا التاريخ يبدأ من الفتح الاسلامي وينتهي سنة ٨٧٢ للهجرة . وفي هذا الجزء كلام على خليفين من خلفاء الفاطميين العزيز الناصر والحكم .

حضارة بابل

نشر المسيو مارتين ٢٤٨ رسالة باللغة البابلية وجدت في ابي حبة على خمسين كيلومتراً من مدينة بابل وفيها اشارات الى ثروة تلك البلاد واشخاصها ومجتمعها المدني والديني واشتغالها التجارية والحقوقية وذلك مدة خمسين سنة من سقوط بابل الى اوائل قيام دارا ملك الفرس .

ابن الطفيل

نشر المسيو ليون غوتيه بالفرنسية كتاباً على ابي بكر ابن الطفيل احد فلاسفة الاندلس فيه ذكر حياته واعماله و اشار الى رسالته حي بن يقظان في الحكمة المشرقية .

ابن رشد

نشر المستشرق الموما اليه كتاباً في ابن رشد الفيلسوف الاسلامي جعله تمة لما كتبه الفيلسوف رنان عنه وافاض في الكلام على كتاب فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال .



المقابر

جرائد الولايات العربية

كل شيء أخذ بالنشوء والنمو في هذه الديار الاجرائد الولايات العربية الرسمية فانها كلما طال عليها الزمن تخطت مكانتها لانها كانت ولا تزال تقدر أعمال الولاة وتزكيتهم الا قليلاً وجرائد هذا حالها كيف يرضيك خبرها ونخبها .

للحكومة العثمانية اليوم اثنتا عشرة ولاية (اولاء) عربية تصدر فيها ١١ جريدة رسمية أسوة سائر الولايات في آسيا الصغرى والروم ايلى وهي طرابلس الغرب ، بيروت جبل لبنان ، القدس ، سورية ، حلب ، الموصل ، بغداد ، البصرة ، الحجاز ، اليمن تصدر مرة في الاسبوع لتقريظ أعمال الولاة والمتصرفين ونشر بعض اوامر الحكومة باللغتين العربية والتركية لان الاولى لغة البلاد والثانية لغة الحكومة والعربية منقولة عن التركية بالحرف ولكنه نقل لا تقدر ان تقول عنه عربياً ولا مولداً واحر به ان يكون لغة خاصة يكاد لا يفهمها الا قلائل ممن ألفوها او ممن يعرفون التركية فاذا عسر عليهم فهم عبارة قلبوا الوجه التركي من الجريدة فقرأوا الاصل لينحل معهم الاشكال .

الى هذه الدركة من الانحطاط بلغت لغة تلك الجرائد فسادها ولو كانت منتشرة بين طبقات القوم انتشار سائر الجرائد العربية لافسدت من ملكة الادب العربي فساداً لا يشبهه فساد ولكن من حسن الطالع ان قراءها محصورون او يكادون يعدون على الاصابع واقدمها أنشي منذ خمس واربعين سنة واحدها منذ سنتين وثلاث منها وهي الزوراء جريدة بغداد والموصل تصدران بالتركية الصرفة كأثر الحكومة اعتبرت الجزيرة والعراق من الاقاليم التركية وانما ارادت ان توفر على اللغة العربية بعض الالفاظ والتراكيب الرديئة تصدر عن اعظم العواصم العربية القديمة وانما لم تجد في دار

السلام والموصل الحدياء من يرب لها جريدتها الرسمية . وجريدة لبنان تصدر بالعربية فقط وهي احسن الجرائد الرسمية عبارة . ولذا فان كلامنا اليوم مقصور على تسع جرائد لتسع ولايات كبرى كل منها عربية بان تدعى مملكة لا ولاية لاسباع بقاعها وكثرة نفوسها وقديم مجدها ونكتفي بايراد حمل من جرائدها الرسمية ننقلها نموذجاً على الخطاط اسلوبها وتراكيبها لنقلها من صفحة واحدة من كل صحيفة ولانشير الى الجريدة حرصاً على كرامة القارئ بها وان كان منظمهم لا يعرفون من العربية جملة ولا من قواعد قاعدته وهم عامة يكتبون وينشرون بدون مبالاة بما يفسدون به لغة العامة والخاصة وان كانت تتفاوت تلك الجرائد في عباراتها . فما ورد في احداها قولها : « صورة التخريرات الواردة بالشرف » وهي تعريب عن الاصل التركي بالحرف ولفظ التخريرات لم يسبق في الفصح استعماله كما لم يسبق للعرب استعمال خطاب بمعنى كتاب المستعملة بين المصريين ويجمعونها على خطابات قال في التاج « وتحرير الكتاب وغيره تقريره وتخليصه باقامة حروفه وتحسينه باصلاح سقطه وتحرير الحساب اثباته مستوياً لاغت فيه ولاسقط ولا محو » فالنحبر يجمع على تحوير وليس هو مقابل لفظ رسالة أو لوك أو كتاب . اما تركيب « الواردة بالشرف » فمن اسمج التركيب

وقالت : « ان النشئت والافتراق هما يسببان ويحدثان الفوائل والمشكلات الداخلية ويؤديان الى انقراض البيئة المعظمة العثمانية وانحلالها كما تشهد بها امثالها التاريخية ولا يحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي الا بالتحاد قلوبهم واتجاههم جميعاً نحو غاية واحدة فنظراً لهذه الحقائق رئت نواب الملة تشكيل الجمعيات المنبئية على اساس القومية والجنسية والمعنونة بها محلة بالوحدة العثمانية » في هذه الجملة من الركائز والالفاظ المبذولة الزائدة الدخيلة ما نراه . فابى داع اولاً لتكرار لفظي النشئت والافتراق والفوائل والمشكلات ونوعي يسببان ويحدثان وانقراض وانحلال وكلها بمعنى واحد يستغنى باحداها عن الاخرى ثم الى اين يرجع ضمير امثالها وكذلك كيف يرجع ضمير اتجهام جميعاً . وتركيب يحصل لها السلامة والسعادة والترقي والتعالي من التراكيب السقيمة ولا معنى للتعالي هنا ولو قال لنتم لهم السلامة الخ لكان اسلم ومن القبيح استعمال « فنظراً لهذه » واقبح منه « رئت نواب الملة تشكيل » فان في هذا التركيب ثلاث غلطات فقط الاولى في الرسم فكان الوجه ان يقال « رأى » ولفظ الملة لانتستعمل بمعنى الامة في العربية وهو من استعمال الترك فالملة الشريعة او الدين كلمة الاسلام والنصرانية

واليهودية قال في التاج : وقيل هي مغنم الدين وجملة ما يجي به الرسل وقال الراغب :
 الملة امم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى جواره وقال ابو
 اسحق : الملة في اللغة السنة والطريقة . وكذلك يقال في « تشكيل » فليس في العربية
 التشكيل بمعنى التأسيس او الانشاء فتشكل في الامر عندهم تصور وشكله تشكيلا صوريا .
 وما اشبع تركيب « الجمعيات المبنية على اساس القومية والجنسية والمعنونة بها » فجدد
 الالفاظ عربية في الظاهر ولكنها مبدوءة في تركيبها

وقالت : « فيجب ان تبلغون الذين يقتضي لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة وتبين
 لهم ان ليس في هذه المادة غرض سوى المحافظة على الوحدة العثمانية المتكفلة بالامانة
 والسعادة العمومية وان تجري التدريسات الابتدائية بالاسن القومية وتساعد على
 الحميات الخيرية والعملية وان لا تبلى احد الممنوعة المذكورة في شكل التعرض الى
 الاقوام » فالفاظ النحوي في هذه الجملة وهو ما نسمح به لانه بسيط لا يفسد اللغة بقدر
 ما تفسدها تلك الالفاظ المعسلة والتراكيب الشائنة المغلطة مثل « تبلغون الذين يقتضي
 لهم التبليغ بالصور الحسنة والمناسبة » ولو قال : تبلغون من يجب على ما يجب . لكن انصر
 واسلم . ولو قال الكفيلة بالسلامة العامة والسعادة الشاملة لاجاد ولفظ التدريس لاجدهم
 على تدريسات ومن الالفاظ ما يستحب مفردة اكثر من جمعه ومنها ما يعذب جمعه اكثر
 من مفردة ولعل جمع تدريسات جمعت على مثال تحريراتكم ادخلت التركيبة على امرية
 من هذه الجموع والالفاظ التي تجدها عربية الاصل ولكن اقم عليها شيء من الجملة
 ومنها ما نقل به اللفظ عن اصله مثل التشكيل .

ومن سخياف اللفظ « الممنوعة » فان المنع عربي في الاصل ولكن هذه الصيغة لم
 تعهد للعرب ولا لمن بعدهم وانما جاءت في القرون المتأخرة ومثلها المعنونة ولا يقال انا
 ممنون منك فالممنون المتطوع بل ممن لك كما لا يقال المخطوطة والمسروية والامنية
 بمعنى الامن والمقطوعة والمعلومة والمأذونية والمفهومية والانتقالية والفرغاية وكل هذه
 الصيغ لا تجوز في لغة العرب دخلت عليها من التركية فالحن كما قال عبد اللطيف
 البغدادي يتولد في الامم والنواحي بحسب العادات والدين

وما دام في اللغة متسع عن هذه الالفاظ فالاحسن نبذها وكذلك يقال في التفسيرات
 والمأثورات فقد خطأوا من قال من المتكلمين هذه المحسوسات وقالوا صوابها المحسات
 لانه يقال احسست الشيء بمعنى ادركته فاما المحسوس فهو المقتول من حسه اذا قتله .

ولوراجع من يمكن القلم العربي ليكتبوا به الجرائد في معاجم اللغة مثل هذه الالفاظ ونظروا في اصولها ردوا اكثرها الى الصحة من ثلثة انفسهم

وتقول « ينبغي اجراء التعقيبات المتخادبة والشديدة بواسطة مأمورين البلدية تحت نظارة اطباء في المواقع المحررة آنفاً وتحمري الفيران الميتة والقائمين في الماء المغلي وامساكن بملاقات الحديد الطويل وتبليهن بدهن الكاز واحرقهن بالنار ٠٠٠ يجب اجراء الوصايا والتوضيحات الكافية للاهالي لانلاف الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرض ويكن واسطة لانتشار المرض ويجب ايضاً على الدوائر البلدية اعطاء اجورات مناسبة لكل فارة التي يصطادونها الاهالي بالغن قصداً لتقليلهن في البلد »

هذه الجملة وحدها كانت تكفي للدلالة على ماني هذه الجريدة من منافيات البيان والقواعد المألوفة لصغار الطلبة دع عنك كبارهم . فمن الاغلاط اللغوية التي فيها « التعقيبات » و « التوضيحات » و « الاجورات » و « وقوعات » ومن الاغلاط النحوية « مأمورين البلدية » والصواب مأموري البلدية و « لكل فارة يصطادونها الاهالي بالغن » وهذه اللغة يسمونها لغة البراغيث من قولهم اكلتني البراغيث واولى ان تسمى لغة الفيران للتناسب ومثله تنزيل الفيران منزلة العاقل فقال (القائمين) والصواب القاؤها (وتبليهن بدهن الكاز واحرقهن الفيران اللواتي لم تصبهن المرض بعد لالا يمرض ويكن ٠٠٠ قصداً لتقليلهن) والاولى ان يقال دهنها بالكاز واحرقها ٠٠٠ الفيران التي لم يصبها المرض بعد لثلاث مرض فكون ٠٠٠ قصد لتقليلها و (لالا) هذه من اغلاط الرسم وصوابها لثلاث كما يفهم من سياق العبارة ومن مراجعة الاصلي التركي وكذلك (ملقاط) والاحسن ملقط ولم تكتف هذه الجريدة باستعمال الالفاظ التركية المهزعة بل هي تدس الى العربية الفاظاً افرنجية لها في اللغة ما يقابلها مثل لفظة (كادرو) التي شاعت في العهد الاخير في هذه البلاد يراد بها الموظفون الغير العاملين فيقولون اخرج فيها خارج الكادرو او القادرو وهي لفظة فرنسية والاولى ان يقال اخرج من الخدمة او اسقط او ماثل ذلك . و (محلول السوبليه) ولو قال محلول السليمانى لافهم وما اعجم و (البارقات) ولو استعاض عنها بالأكواخ لاصاب شاكلة الصواب ولفظ (سوبليه) و (باراك) من الالفاظ الفرنسية ايضاً وعندنا ما يقابلها من اللسان العربي

وجاء في جريدة اخرى لقطر آخر ٠٠ الثمين لمتصرفية ٠٠ والصواب المعين ٠ و

ندعوا لمالاه بالموقفية وهي جملة لم تشتم رائحة العربية ولو قالها عربي لا وردها هكذا (ندعو له بالتوفيق) فالوقفية من الالفاظ العربية المشتركة والاولى حذف الالف من ندعوا كما تحذف في موزعوا الجرائد ومأمورا الادارة . وقالت : (بحمد الله تعالى وعنايته التي لانهاية لها من منذ يومين ثلاث قد تنزلت الامطار النافعة في . . وجوارها واخذت الزراع صيب الموضع . وفي اثنا نزول المطر في يوم الاحد قد اصابت الساعة المطبخ الواقع في الجهة الشمالية من خسته خاتمة المركز العسكري وبحمد الله لم يكن تلفات سبب النفوس ولا ضايعات سوى احتراق يدور في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير) هذه القطعة التي افتتحها الكاتب وختمها بحمد الله نقول فيها الف سبحان الله لما فيها من الركافة والافساد للغة قريش . وما اظن رجلا من عرض الناس يكون له بعض مطالعة قليلة يكتب عبارة احط من هذه ودليلا (من منذ يومين ثلاث) و (لم تكن تلفات في النفوس ولا ضايعات سوى احتراق في ارجل محمد علي من الخدمة بدون تأثير » وغير ذلك من الغلط الفظ الفظيع . اما تلفات وضياعات « فتتصرف على وزن (موقعيات) و (تسقيتات) (وتغقيات) الفاظ اصلها عربي ولكن تركيبها اعجمي . ولم نفهم (اخذت الزراع صيب الموضع) الا عندما قلنا الوجه التركي فرائيا فيه مانعريه : (فاحذ الزراع بحرثون حقولهم ويسرعون الى بارها) كما اننا لم نفهم نسبة الارجل الى محمد علي وهل هذا الخادم له اكثر من رجلين كما نرى الا دمييين ام له عدة ارجل ولعل هذا يقاس على ما مر بك آنفا من تنزيل غير العاقل منزلة العاقل في جملة الفيران . ومن اشبع التعابير تعبير (بدون تأثير) في آخر العبارة اما لفظ (خسته) فانه فلها في العربية ما يتقابلها مثل دار المردى او مستشفى وكذلك جميع الالفاظ التي تختم بخاته فالواجب على العربي ان لا يخون لغته بل يردها الى اصلها فلا يقول دفترخانه ولا تيمارخانه ولا طوبخانه ولا موزخانه ولا بارودخانه ولا قره واخلانه بل يقول دار السجلات ودار المعشوين ودار المدافع والمتحف ودار التخف ودار البارود ودار الخفراو المخفرا الخ

ومن ركازات هذه الصحيفة (لاجل تقوية الانضباط بداخل المملكة روي لزوم انشاء واحد قره غول في مواقع مخصوص لاقامة قوميسر البوليس . وقد تبرع بخدمة مفتخرة باعطاء عرصة منها يكون انشاء القره غول المصارف الانشائية المنتضية للقره غول المذكور تعهد بتأديتها اغانة من طرف مأمور التوتون الرزي فايراز الحمية من المومي اليهم بهذه الصورة اوجبت التقدير والمعنوية .)

وكان الاجدر ان يقال لتوطيد امور الضبطي في البلاد دعت الحاجة الى اقامة مخفزة ..
ليقيم فيها مفوض الشرطة خاصة فتبرع فلان باعطاء عرصه تبني فيها المخفزة واخذ على
نفسه اداء التفقيات لبنائها ... فلان وفلان مأمر حصر الدخان وحماية المومنا
اليهم حرية بالشكر موجبة للاجر وهنا تنبيه الى رسم (المومي اليهم) الواردة في العبارة
فالاولى رسمها بالالف لانها من اوماً والاتراك يسمونها بالياء وكثير من كتاب الصحف
يتابعونهم على رسمها غلطاً . وجاء في هذا العدد (التيسيط المعطى من طرف ...)
وكان الاولى ان تجعل الف المعطى بدل ياء (المومي اليهم)

وجاء فيها : (تفضل بالاشعار من جانب قوماندان القواي المهمية ان مجموع الاعانة
للبوابير العثمانية في المعسكر الهابوني بلغت كما هو محرر اعلاه تسعة وخمسين الف وسبعائة
وثمانية وثلاثين قرش وعشر بارات وقد ارسلت رأساً الى دار السعادة فابرار حمية
المشريعين الجديدة جديرة بالمحمدة والشكران) في هذه الجملة اربع الفاظ اعجمية كانت
يتأتى الاستعاضة عنها بالفاظ عربية مثل (قوماندان) قائد (وقواي) القوة و (البوابير)
السفن و (الهابوني) السلطاني . ولو قال كتب قائد القوة العامة ان قد بلغت الاعانة
للسفن العثمانية في المعسكر السلطاني ... لاحسن ولفظ (قرش) تنصب على التمييز ولم
نفهم معنى حمية المشريعين الجديدة ولا الشكران

وفي هذه الصفحة من الصحيفة اغلاط شائعة اخرى اكثرها ما يعرفه احدث المدارس
مثل : (ان طالبين المأمورية تؤخذ منهم ورقة ترجمة الحال ابتداءً ليعلم منشامهم وهو يتهم
والغير تابعين لهذا الاصول لا يكون اسعافهم لمسئولهم) وتعريب هذه الجملة هكذا :
تؤخذ من طالبي التوظف تراجمهم بايديهم بدءاً ليعرف منشأؤهم واحوالهم ولا يجاب سؤال
من لا يجرون على هذه الاصول) ولفظ « هوية » تكثر في الكلام المولد مثل كية وكيفية .
وجاء ايضاً مانصه وفصه : « فالمأمور الذي يمنع ويصر على عدم اعطاء ترجمة الحال
بلا مانع فياحظ انه لمقصود ستر واخفا بعض خصوصيات عائدة لسيئات سوابق احواله
فالمأمورين المختارين السكوت في مقابل اغماض العين بهذا الباب يرى انهم غير موافقين
للمصلحة » وتعريب هذه الجملة كما يأتي : « علم ان لمن يمنع من الموظفين عن اعطاء
ترجمته بلا موجب مقصداً يريد ستره لسوء حاله والسكوت عن اهل هذه الطبقة يعد
من الاممال ولا يوافق المصلحة بحال »

ومثله « في هذا الحال واختياره لا يكون تجويز هذا المقصد والطالبين المأمورين

بداية اذا ما عطا ورقة ترجمة الحال لا يكون قبولهم في خدمة الدولة قياساً للاصول» و «لاجله لزم التبليغ تعميماً ٠٠٠ لا يجوز قطعياً للمأمورين الحكومة ٠٠٠ وعلى فرض يحصل خلاف هذا الاساس من المستخدمين في خدمة الحكومة فطبيعياً تجري بحقهم المعاملة اللازمة وبناء عليه يقتضي ايفاء التنبيهات» جل كلاً من السخافات والركاكات بمكان لا يصل اليه كاتب الا بمجدلان من الله .

وجاء في جريدة لقطر آخر : «بناء على شدة احتياج اهالي الولاية وضرورتهم كما علم من قرار تصفية البقايا وكان تدقيق ذلك وتطبيق تعليات مضبوطة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ في درجة الوجوب فقد تقرر استحصال الامر بالتلغراف واجراؤه» وتعبير هذه الجلسة كما يأتي : علم من قرار تصفية بقايا الاموال ان اهالي الولاية في حاجة ماسة الى ان تطبق عليهم لائحة البقايا الى نهاية سنة ١٣٢٠ ولذا تقرر استصدار الامر بلسان البرق وجرى العمل به .

وفي هذه الصفحة من الصحيفة الفاظ العجمية عمت بها البلوى في اللغة القرشية مثل : «ارسلت الولاية بمحررة» اي في كتاب او رسالة . و «استحصل امر وتسريع اجرائه لاهميته» والاولى استصدار الامر والعمل به في الحال لخطورته او خطره او شأنه اومكانته ولفظة اهمية مثل موفقية ومعمورية اصلها عربي وتركيبها العجمي وكذلك «لثامين وادامة نعمة الامنية والراحة الى منتهى حدودها» اي لتوطيد دعائم الامن والراحة للغاية . ومثله نسب قوميسيون التنسيق اعطاء معاش المعزولة الى ٠٠٠ اي رأت لجنة الاصلاح منح راتب عزل الى ٠٠ ولفظ معاش غير وارد في هذا المعنى والاولى ان يقال راتب او مشاهرة وكذلك نسب رأساً مناسباً و «قوميسيون» لجنة و «المعزولة» مثل المنوية والامنية والاهمية تقاس عليها ولكن لا تقس عليها بالله عليك ومثلها تبليغات و لمبات وايضاحات . وفي هذه الجمل تراكيب رديئة مثل : «باش كاتب الاعشار وبلغت لهم الكيفية بتذاكر مخصوصة ٠٠٠ المخبر عنه يكون مظنوناً بشهار السلاح ٠٠٠ ان يتظلموا محاسباتهم العائدة لزمان ادارتهم بمجرد ما ينفكون عن مركز وظائفهم ٠٠٠ وبذلك ظهرت انه تزلت علامة الخصب والبركة في الدنة الآتية ٠٠٠ يقرر في حق المفتين بعض احوال مخصوصة مستثناة ٠٠٠» والخطب يسير في ارجاع هذه الجمل الى العربية فيقال : رئيس كتاب الاعشار وبلغوا ذلك في رسائل خاصة ٠٠٠ المتهم بانه شهر السلاح ٠٠٠ يضعون محاسباتهم ايام ادارتهم عندما يغادرون وظائفهم ٠٠٠ الخ

وتقرأ صورة من صور الركائز في صفحة واحدة أيضاً من تلك الجرائد التي تصدر في قطر أيضاً فمنها: « يلزم إيفاء التعقيبات القانونية بحق من ٠٠٠ لكل الملاحظات والمراجع الإيجابية ٠٠٠ اسماء الذوات الذينهم عينوا ٠٠ حيث كانت ارض النموذج الزراعة بعيدة عن البلد وواقعة في محل لا يبر فيه احد ولم يستند من هذا النموذج شيء حال كون نفق عليه الاموال الكثيرة وبذلك باصلاحه المساعي الوفيرة فاستثنى كل من مجلس الولاية العام ومجلس الادارة من نظارة الاحراش والمعادن والزراعة بان يجعل الميدان والبستان الذي في جواره جفتلك النموذج ٠٠٠ وعرف عن اهمية المسئلة ايضاً وحين اقتران ذلك بالتصديق العالي يجري الايجاب اللازم ٠٠ وصوابه : اسماء الاعيان الذين عينوا ٠٠٠ لعامة العالات والمراجع ٠٠٠ لما كانت ارض الحقل الانموذجي ٠٠٠ لم ننتفع به في حين انفتت عليه الاموال الطائلة استأذن مجلس الولاية العام ومجلس الادارة نظارة الحراج بان يجعل مزرعة النموذجية ٠٠٠ عرف بمكانة المألة حتى اذا صدق عليه يعمل بموجبه ٠

وفي هذه الصحيفة من الالفاظ الاعجمية كل ما تنقبض منه النفس العربية مثل « المشروطة » و « الشائعة » و « المضبطة الاسترحامية » و « حيثية ملة النجبية العثمانية » و « استرحامات » و « تفوهات لسانية » الخ ويمكن ان يقال عنها الحكومة الالمانية او الدستورية والاشاعة ومضبطة الاسترحام وشرف الامة العثمانية الكريمة ٠ واسترحام وتفوه ٠ ونرى هذه الجريدة كلما ارادت ان تنفصح تستقط مثل قولها : « ماتفر وما افكر بتانا تبدل والينا المحترم واعهد بان هكذا اشعارات لا تنقص بزم وحزم حضرة المشار اليه الذي يتعلق باصلاح المملكة ٠٠ المرتبة العليا والمكان المسمى ٠٠٠ تترنم بالانعام المحزنة التي تفعل بالارواح ما لانفعاله السراح » تريد ان تقول لم بتقرر ولم يفكر بتاتا في ابدال والينا المحترم وعهدي بان مثل هذه النبات لا تضعف عزمه ولا حزمه وهو العامل على اصلاح البلاد ٠٠٠ المرتبة العليا والمكان السامي او الاسمي ٠ ولم افهم ما يراد بالسراح هنا ٠ وكذلك « نحن متحسين بحياة حب الوطن » اية شعورنا وطني اوما شاكل ذلك ولغظ حسيات يرسمونها بالناء المفتوحة مثل ثفات لا ثقاة ولكن ليست من العربي في شيء ٠

واليك نموذجات اخرى من جريدة قطر عظيم آخر : « غير خاف علي ان جميع المأمورين والمستخدمين هم مكلفون باعطاء اوراق تراجم احوالهم وكان الذين لم يقدموا

اوراق لا يتعينون في المأموريات ابتداءً وذلك من الاصول المتخذة فمن الضروري ان الذين يتعينون في خدمة يجب ان يعطوا ورقة ترجمة حطلم في اقل مدة وان لا يتسببوا الي الاحتياج بتبليغهم فيكون معلوماً لدى العموم انه اذا وقع خلاف ذلك لا تجري معاملتهم وتكون الاشارة على اسمائهم في دفاتر القيود طبقاً للاشعار الواقع من نظارة الداخلية هذه المرة فلنجري التبليغات اللازمة الى مأموري ومستغدي النافعة بالمشاورة على مقتضاه

وجاء فيها : حيث انه من اللزوم ان اوراق الاخبارات ... مسندة الى قناعة كاملة من اصحابها وان يصرح في الامضات ... اخبرنا بذلك العموم فيقتضي اعلانه بطرفكم ... زيادة شورا الدولة وتعليمات البول ... المعاونة الاولى ... باطن مظروفات مبطنة تعمل له خاصة لاجل ارساله بتمام المحافظة عن الضياع ... حاصلات البول تقيد في خاناتها المخصصة بالدفاتر المحلية ... صندوق تسهيلات ... من عموم مأموري البلدية ... تلتى المسؤولية على الامر والصارف ... يقيد مصرفاً بانواعه ومقاديره بجهة المدفوعات في دفتر عينيات البول الخ

وهنا ترك تصحيح هذه العبارات مكتفين بايرادها بصورها لابلطول البحث . وعندنا ان هذه الجرائد اذا دامت على هذا المنوال توجد في اللغة العربية لهجة جديدة لا يفهمها الا طبقة مخصوصة . ويكون الاختلاف بينها وبين الفصحى اكثر مما بين الاسبانية والبرتغالية وهناك بعض صحف رسمية هي اقرب الى الصواب في منشوراتها وان كانت لاتسلم مما تقع فيه الجرائد الركيكة العبارة مثل قول احداها : « باشمديرية الرسومات » « وصل الى مياهنا » « طريق شوسة » « للتخري على المزيفين » « استلفت الانظار » « الفشة الهمايونية » « دفتر الاغراب » « مستمكات الروس » « رفع رابة العصيان ضد » « طمعا بنوال مقاصدهم » « الامر الهام » « يحكم وهلة » « الرفاه والراحة » « بناء عليه وتوفيقاً لاحكام » والاخرى ان يقال : رئاسة مديرية الجرك . بلغ ثغرنا . طريق مركبات او معبدة . للبحث عن المزيفين . لفت الانظار او وجه الانظار . التكة السلطانية . مجل الغرباء . مستمرات الروس . رفع راية العصيان على . طمعا بنيل مقاصدهم . الامر المهم او الجلال . يحكم لاول وهلة . الرفاهية او الرفاهة والراحة . عملاً باحكام . اما تركيب « بناء عليه » « وعليه » « وحيث ان » فهي مولدة لا يعرفها العرب والاولى ان يستعاض عنها بتركيب اخرى عربية



تعليم النساء

وترجمة عليّة بنت المهدي العباسي

تمهيد

كان اخلفاء والامراء وخاصة الناس في صدر الاسلام حتى القرن الخامس للهجرة من احرص الناس على تهذيب بناتهم وجواربهم وامهات اولادهم ينفقون الاموال ويمجدون النفوس السنين الطوال في تثقيب عقولهن وتقويم فطرتهن بالترويض والتخريج والتدريس والتحصيل على ايدي ثقات اهل العلم وائمة النخبة والرواة واشهر الحفظة والمجودين فما منهن بعد ان يتمرسن على العفاف وحب الفضيلة من لا تحفظ القرآن العزيز وطرفاً من احكام الفقه والحديث وتتقمن علمي الانساب والتاريخ فضلاً عن آداب اللغة واخبار السلف من شعراء ومحدثين وغزاة وخطباء وكتبة وامراء فكان صدر كل فتاة من نضائهم كنزاً من اسي الكدوز يصيب منه سميرها ماشاء من ادب وحكمة ونكتة وفكاهة فيجذب لها فوائده وتنزع اليها عواطفه وتحل من نفسه محل الحرمة والتجلة والاعظام بمقدار ما يتوسمه فيها من مخايل الدراية والتعقل وآثار النجابة والاختيار

وما في ذلك من عجب بل العجب من النقيض وهيئات ان يخفى على امثال المنصور والمهدي والرزيق والمأمون ان الحسن المادي معها كان بارعاً رائعاً باهرأ فتناً اذا لم يقترن بالحسن المعنوي ويشفع بالظرف الادبي كانت صاحبه كالتمثال المنجوت والصورة المنقوشة بل اقل قيمة وابعد جاذبية منهما لان التمثال والصورة معدودان من انجادات فلا يتوقع منهما الانسان رشاقة الحركة ولطف الاشارة وخفة الروح وحلاوة المعنى وسعة الدراية وحسن الرواية ولذلك يستحسنان ويروقان باعين الناظرين بمقدار ما أودع فيهما من دقة الصنعة وتناسب الرسم وحسن التكوين ونشا كل الالوان بمعزل عن تلك المزايا

اما الفتاة ذات الجسم المتحرك والنفس الحية واللسان الناطق والخلق السوي العنيدة ان تكون زوجاً مؤانسة وأماً مربية فتأبها النفس ويعافها الذوق وينصرف عنها القلب وان كانت جميلة وسيمة مادامت جامدة كالصنم بكاء كالجماء لا تنفقه من احوال

الدنيا واسرار الحيوة وحقائق الكون وماهية ما يراد منها ومفروض عليها من سنن وواجب
الا ما كان مداره المطعم والمشرّب وقوامه الملبس والمركب ومرجعه اللهو والتصف
ونتيجه الحب والبعال فاذا عرض لها امر يستوجب الانباء — وهو مما يحدث كل
يوم — قصرت في الاداء وتلكأت في الكلام وسعلت وتذتذت وتساجت ما شاءت
ولم تقو على الافهام وان سئلت عن شيء اجابت بلا ادري او هذرت بجواب لم يكن من
لحمة السوء الولا من سداه . فمن كانت على هذا الطرز — وما عدوا مثالا عندنا
بقليل — احرى بها ان تكون عند اذكىاء الرجال وارباب الدوق والفضل ساقطة المنزل
ساقطة القدر رخيصة القيمة تفضلها الشخصوس وتمتاز عنها الصور لان هذه تمتع الاعين
بجمالها ولا تضر النفوس اما تلك فانها تورث الكراهة وتقي بالضجر وتبلي المنازل خاصة
والجتماع القومي عامة بادواء من الهموم والموبقات تذهب بالامم الى اقصى الدركات
اجل وليس من ينكر انك لتراها باديء الامر فتستحسنها لنقاء بشرتها وسواد حنظلها
واعتدال قوامها وغضاضة جسدها وبضاضة وجدله والنفاه ثم تسمع كلامها الدال على
جهلها وغباوتها المؤذن بقصر ادارتها وسذاجة قلبها وظلام ذاكرتها فتزدرىها وتستهجنها
وينبذها قلبك نبذ النواة ويطرحها ذكرك طرح القذاة لانها لا تصلح للمرأة لينة
وتروج الهموم ولا ترجى الاستشارة وتسدّد الرأي ولا تنفع للامومة باتم معانيها
وللتربية وتدير المنازل بكل ما يراد من هذين الواجبين بحكم العقل والصواب ومن كان
هذا شأنها كانت سخطاً على النوع الانساني ونيراً ثقيلاً على عاتق الوجود وكل امة
تقلص ظل مجدها ونصب معين رخائها ونزفت مواد قواها وتقطع اسباب منعتها وعزتها
وهناك انما نساءها على تلك الشاكلة ولقد صدق من قال « ان التي تهز السرير يهز العالم بيسراها »

فيا حبذا لواقعدي كبرأؤنا واعاظمنا بمن درجوا قبلهم من اساطين الامة وسراة اعلامها
وصرفوا العناية الى تعليم اولئك اللواتي لا يسمين بحق اوانس الا اذا كن بالنعلى نزهة
المجالس ولا يقال لمن عقائل مالم يكن بالحقيقة ارباب علم وادب وتهذيب وفضائل فان
الناس على دين ملوكهم والعامّة تقتدي بعاينها فان احسن هو لاء الابتداء احسن
القوم الاقتداء والعكس بالعكس سنة الله في الخلق منذ حلت الحضارة محل البداءة وقام
التهذيب مقام الفطرة واصبح البشر درجات ومراتب وطبقات
نقول هذا توطئة وتمهيداً لما نذكره الان من ترجمة ابنة خليفة واخت ثلاثة خلفاء وعمّة

ثلاثة وهي (عليه بنت المهدي) ^(١) التي عني قومها بتعليمها وتأديبها وتنوير عقلها وتوسيع دائرة اختبارها حتى صارت آية الفضل وتابعة الادب ومثال العفاف وعنوان الرقة والبلاغة في قرص الشعر الصحيح الاجزاء المئين التراكيب الرشيق المعاني تفتن في اساليبه وتأخذ باطرافه اخذاً يبهير العقول ويفتن الالباب على كونها نشأة زهو وترف وغرسة صفو ونعيم . ومعلوم ان الملكة الشعرية لا تستحكم في فتاة الى هذا الحد الا بعد الامعان والجد واحياء الليالي الطوال تبجراً في علوم العرب واتقاناً لفنون الادب وتعمقاً في دراسة اشعار النابغين المجيدين من فحول الجاهلية والمخضرمين والمولدين والالاً لما نهياً لها ان تتخذو حذوهم وتنسج على منوالهم وما تلك بالوحيدة بين اترابها في ذلك العصر الزاهر وما بعده بل يوجد كثيرات مثلها حتى بين الجوارس القيان فضلاً عن حرائر الآسات الحسان

* * *

ولدت عليّة حفيدة المنصور — ثاني خلفاء العباسيين — وبنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم بن المهدي والرشيد هارون والعباسة واسماء وعمّة الامين والمأمون والمعتمد وصالح من سريّة ام ولد تدعى مكنونة جارية المروانية ^(٢) وذلك في سنة « ١٦٠ » للهجرة وادركتها الوفاة نحو سنة « ٢١٠ » وقد ناهزت الخمسين على اثر حمى اصابتها وقد قال بعض المؤرخين في سبب وفاتها ان ابن اخيها المأمون ضمها اليه طويلاً وجعل يقبل رأسها والنقاب مسدول على وجهها ففصت بريقها لشدة ما نالها من حبس انفاسها ثم شرقت وسعلت فكان في ذلك حتفها

قال ابو اسحق القيرواني في كتابه « زهر الآداب » كانت عليّة لطيفة المعنى رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام رخيمة الصورت ولها الحان حسان احصاها ابو الفرج الاصبهاني في كتابه فاذا هي ثلاثة وسبعون وكلها حسن مختار

(١) هي ابنة المهدي واخت موسى الهادي وهرون الرشيد وابراهيم وعمّة الامين والمأمون والمعتمد وكل هؤلاء كانوا خلفاء

(٢) كانت مكنونة هذه احسن جارية بالمدينة وجهاً فاشترت للمهدي في حياة ابيه بمئة الف درهم فاسترلت على قلبه وغلبت على امره حتى كانت زوجته الخيزران تقول « ماملك المهدي امرأة اغلظ عليّ منها » وما زال خبر شرائها محجوباً عن ابيه المنصور حتى مات فولدت له عليّة هذه وعاشت الى ما بعد وفاة الرشيد

وقال التوفلي عنها انها من اوضي النساء وجهها واعدلن قواماً واطرفهن كلاماً تقول الشعر المثين الجيد وتصوغ الالخان الحسنة وكان في جبينها اثر من شجة اوفضل سعة ينقص من محاسنها فاتخذت العصائب المسكلة بالجواهر تستر ذلك العيب فكان ماحدثه خير ماابتدعته النساء وقد وهم من قال ان اختها العباسة المبدعة لتلك العصائب فان ذلك لم يقله احد من ثقات المؤرخين

وقال ابراهيم بن اسماعيل الكاتب كانت عليه حسنة المدين لا تغني ولا تشرب الا اذا كانت معتزلة الصلوة فاذا طهرت اقبلت على الصلوة وتلاوة الاوراد ومطالعة الكتب — الا ان يدعوها الخليفة الى شيء فلا تقدر على خلافه — واطرب شيء لديها قول الشعر وكان احد احفاد الفضل بن الربيع وزير الرشيد يقول مااجتمع في الاسلام اخ واخت احسن غناء من ابراهيم بن المهدي واخذه عليه وكانت اخته تقدم عليه

حدث يوماً ابو احمد بن الرشيد فقال : دخل في بعض الايام المأمون الى دار الحرم ودخلت معه فسمعت غناء اذهل عقلي فلم اقدر ان اتقدم ولا اتأخر وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال : هذه عمثك عليه تطارح عمك ابراهيم

مالي ارى الابصار بي جافيه لم تلتفت مني الى ناحيه

لا تنظر الناس الى المبثلي وانما الناس مع العافيه

وقد جفاني ظالماً سيدي فادمعي منهله واهيه

والشعر والغناء لها ومن شعرها في اخيها الرشيد وقد دعت الى وليمة فلي دعوتها

تفديك اختك قد حبوت بنعمه اسنا نعدك لها الزمان عديلا

الا خلود وذاك قربك سيدي لا زال قربك والبقاء طويلا

وحمدت ربي في اجابة دعوتي فرايت حمدي عند ذاك قليلا

قال الراوي مامعناه : لما زارها الرشيد قال لها « غنيني يا اختي » فقالت « وحياتك لا عملن فيك شعراً ولا صوغن فيه لحناً ولا سمعنك به غناء » يطرب الشكل ويرقص المقعد ويشجي المدنف » ثم نظمت من وقتها الثلاثة ابيات التي ذكرناها وغنت بها في لحن جديد من خفيف الرمل فاطرب الرشيد كثيراً واستعادها اياه مرات . ولها فيه ايضاً وقد دعا اختها العباسة الى زيارته ولم بدعها

مالي نسب وقد نودي باسمي وكت والذكر عندي رائج غادر

انا التي لا يطيق الدهر فرقتكم فرق لي يا اخي من طول ابعادي

ولها في ابن أخيها الامين وكانت لما مات الرشيد جزعاً شديداً وترك
اللهو والفناء فلم يزل بها الامين حتى عاودتها وهي كارهة فقالت

أطلت عاذلي لومي وتفتيدي وانت جاهلة شوقي وتسيديني

لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ظيماً غير آتني الخلد والجيد

قد رنحته شمول فهو منجدل يحكي بوجنته ماء العناقيد

قام الامين فاغني الناس كلهم فما فقير على حال بوجود

ولها في «لينة» ابنة أخيها علي بن المهدي وكانت من حسان زمانها الفاتنات

وحدثني عن مجلس كنت زينه رسول أمين والنساء شهود

فقلت له كره الحديث الذي مضى وذكرك من بين الحديث اريد

وايس شعرها هذا بشيء في جانب غزلياتها فان لها من المقاطيع في «طل» و«رشا»

وهما من ممالك الرشيد ما يكاد يسيل حلاوة وبقطر ظرفاً وبشرب سلامة

ومنها قولها في «رشا» وقد كنت عنه يزنب

وجد الفؤاد يزنباً وجداً شديداً متعباً

اصبحت من كلني بها صباً كثيراً منصبا

ولقد كيت عن اسمها عمداً لكي لا تنفضا

وجعلت زينب سترة وكتمت امرأً محباً

قالت وقد عز الوصا ل ولم اجد لي مذهبا

والله لانات الموداة او تنال الكوكبا

فلما اشتهر انها تكفي عن «رشا» يزنب قالت وقد صحفت زينب بلفظة «رب»

القلب مشتاق الى رب ياربما هذا من العيب

قد نيت قلبي فلم استطع الا اليك يا عالم الغيب

خبأت في شعري اسم الذي ارته كاتلخ في الجيب

وكان لزينة زوجة الرشيد جارية اسمها «طفيان» وشت بها مرة الى الرشيد

فقالت عليه تهجوها وفيه مع ادب الكناية اشد انواع القم وهو من مبتكراتها المأثورة

«لطفيان» خف مذ ثلاثين حجة جديد فلا يبلى ولا يترق

وكيف بلى خف هو الدهر كله على قدميها في الهواء معلق

فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً واما (ثياب فوقه) فمزق

ولامات «رشا» او قتل شبت في «طل» فقالت وقد صحت اسمه في البيت
الاول ليحيا

ايا سرور البستان طال تشوقي فهل لي الى «طل» لديك سبيل
متى يلتقي من ليس بهوى خروجه وليس لمن بهوى اليه دخول
عسى الله ان نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلّة وخليل
ولها فيه ايضاً وقد جعلت التصحيح في البيت الثالث

سلم على ذاك الغزال الاغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له ياغل الباب الرجال
خلت جسمي ضاحياً وسكنت في «طل» الجمال
وبلفت في غايّة لم ادر فيها ما احتيال
ثم صرحت به في ايات آخر تستعطفه بها وتنهيه بالصدود والاعراض وهي قولها
وهو من ارق التشبيب

يارب اني قد عرضت بهجرها فاليك اشكو ذاك يارباه
مولاة سوء تستهين بعبدها نعم الغلام وبشت المولاه
طل ولكنني حرمت نعيمه ووصاله مالم يغني الله
يارب ان كانت حياتي هكذا ضراً عليّ فما اريد حياه
والذي ادبها وخرّجها وعلمها فنون الشعر انما هو عمرو ابو حفص الشطرنجي وقد
نشأ هذا في دار ابينا المهدي مع اولاد مواليه ثم انقطع بعد موت المهدي الى عليه هذه
ولما زوجت بموي بن عيسى العباسي خرج معها الى دار زوجها ولما عادت الى القصر بموت
زوجها عاد معها وسمي شاعرها وهو القائل عن لسانها لما غضب عليها الرشيد
لو كان يمنع حسن العقل صاحبه من ان يكون له ذنب الى احد
كانت عليه اربي الناس كلهم من ان تكافا بسوء آخر الابدر
ما عجب الشيء نرجوه ونخرمه تدكت احسب اني قدملات بدي
فكانت اياته هذه سبب رضى الرشيد عنها واقباله عليها ومن احسن الغزل وارقه
قولها

يا عاذلي قد كنت قبلك عاذلاً حتى ابتليت فصرت صبا ذا هلا
الحب اول ما يكون مجانةً فاذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

ارضى فيغضب قاتلي فتعجبوا يرضى التثيل وليس يرضى القاتلا
 وكان الرشيد قد استخلفها ان لا تكلم « طالا » ولا تثيب به في شعرها ولا تسميه
 فخلعت له ثم هم يوماً بالدخول اليها واذا بها تقرأ في سورة البقرة وقد بلغت الآية « فان
 لم يصيبها وابل فطل » و ارادت ان تقول « فطل » فقالت « فالذي نهى عنه امير
 المؤمنين » فضحك وقال لها « ولا كل هذا »

هكذا روى القيرواني واما الاصمعياني فقال انه عند ما سمع الرشيد منها ذلك وهما
 الغلام بعد ان قبل رأسها وقال لها « لست امنعك بعد اليوم من شيء تريدنه » وعندنا
 ان الرواية الاولى ادنى الى الصحة على ما عهد من غير الرشيد وانقله كيف لا
 وهو الهاشمي الابي العزوف النفس واقد روي عن لسان عليه انما قالت « لاغفر
 الله لي فاحشة ارتكبتها فط » ولا اقول في شعري الا عيباً « وهي التي تقول « ما حرم الله
 شيئاً الا وقد جعل فيما حله منه عوضاً فباي شيء يحتاج عاصيه » وبالجملة لو لم يكن حبها
 للجمال مقصوراً على القيل والقال لما اكثرت من شعرها من ذكرى الحجر والوحشة والشوق
 فما نظمت بيتاً في التشيب والغزل الا كاد ينطق بعفتها وادبها بغير لسان ويعرب عن
 نزاهتها وتصونها كافصح ترجمان لان النار لاتنبعث عن فؤاد اخمدته الشهوات
 واطفاً جذوة الذات وما احلى قولها تشكو وتألّم ودوم من مهبل الشعر

نام عذالي ولم انم واشتني الواشون من سقي

واذا ماقلت بي الم شك من اهواه في المي

ولو شئنا ان نأتي على جميع اخبارها ومنظوماتها وما ذكر الرواة من بدائعها ونكاتها
 لضايق بنا المقام وادرك القاري الملل فلم نر بداً من الاختصار على ما اوردنا تبصرة
 للرجال وتذكراً لمن اغفل العلم ولم يعتن بالفضل من ربات الحجال خاتمين
 هذا الفصل ببيتين « اعلمية » لا يخلوان من الحكمة والعبرة لمن يكثر الزيارة واللييب تغنيه
 الاشارة

اني كشرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول اذا كثرا

ورابتي منه اني لا ازال ارى في طرفه قصراً عني اذا نظرا

سليم عنخوري

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن

ثمة ماورد في الجزء الماضي

﴿ اقوال متقدمي فلاسفة الاسلام في الجن ﴾

« ابن سينا والفارابي »

قال ابن سينا رحمه الله في كتاب الحدود : الجن حيوان هوائي ناطق مشف الجرم من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة (قال) وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه اه قال ابو البقاء في كلياته : اي هذا بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوماً في الخارج او موجوداً ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمي لا يكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية في الذهن (ثم قال ابو البقاء) وجهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضاً .

وفي رسالة للعالم الثاني ابي نصر محمد الفارابي في جواب مسائل سئل عنها ماثله : (سئل) فيما رآه بعض العوام في معنى الجن وسأله عن ماهيته (فقال) : الجن حي غير ناطق غير مائت وذلك على ما توجه القسمه التي يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس اعني الحي الناطق المائت ، وذلك ان الحي منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم ، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن : فقال السائل : الذي في القرآن منافض لهذا وهو قوله « استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجبا » والذي هو غير ناطق كيف يسمع وكيف يقول : فقال : ليس ذلك بمنافض وذلك ان السمع والقول يمكن ان يوجد للحي من حيث هو حي لان القول والتلفظ غير التمييز الذي هو النطق ، وترى كثيراً من البهائم لا قول لها وهي حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هوله طبيعي من حيث هو حي بهذا النوع كما ان صوت كل نوع من انواع الحي لا يشبه صوت غيره من الانواع كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التي للانسان مخالف لاصوات غيره من انواع الحيوان ، واما قولنا : غير مائت فالقرآن يدل بذلك في قوله تعالى « رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك

من المنظرين » اه

« ابو طالب المكي »

قال في قوت القلوب في الفصل الثلاثين في تفصيل خواطر القلوب ما مثاله بعدمرد آيات وقال تعالى « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك » وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقال « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم ادوات الظاهر واعراض الباطن وهي حواس الجسم والقلب . فادوات الجسم هي الصفات الظاهرة . واعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مثبته وقومها اتقاناً بصنعة . واحكاماً بصنعه (اولها) النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى (ومنها) غرضان متمكنان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكيمين في ميثنة حاكم وهما التوفيق والاغواء (ومنها) نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه ادوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب في وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدي اليه او كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيها ما ويقدر فيه فيجدها

(ثم قال) فاذا اراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب فاثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما حدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه . فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس ، والملك مجبول على حب الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المصيبة فيأتي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدر خراطره بأمر بتقييد ذلك ويحسسه له ويحس به عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد

(ثم قال) ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل اسمائها ، فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو (الهام)

وما وقع من عمل الشر فهو (وسواس)

وما وقع في القلب من المخاوف فهو (الحساس)

وما كان من تقدير الخير وتأمله فهو (نية)

وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو (امنية وامل)

وما كان من تذكرة الآخرة والوعيد والوعيد فهو « تذكر وتفكير »

وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو « مشاهدة »

وما كان من تحدث النفس بملامحتها وتصريف أحوالها فهو « م »

وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو « لم »

ويسمى جميع ذلك « خواطر » لأنه خَطُور همه نفس أو خطور عدوّه بحسد أو خَطُور

ملك بهمس اه ملخصا

« الغزالي »

قال في المصنوع الكبير: الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق
اختلافاً يكون بين الأنواع مثال ذلك القدرة فإنها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما
مخالفا للون واللون والقدرة والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان
والجن اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن
والملك فلا يدري اهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والانسان أو
الاختلاف في الاعراض كالاختلاف بين الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف
بين الملك والشيطان وهوان يكون النوع واحداً والاختلاف واقعاً في العوارض كالاختلاف
بين الخير والشرير والاختلاف بين النبي والولي ، والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم
عند الله تعالى ، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم اعني ان محل العلم بالله تعالى واحد
لا ينقسم فان العلم الواحد لا يحل الا في محل واحد وحقيقة الانسان كذلك فالعلم والجهل
بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحليين غير متضادين واما ان هذا الجوهر
غير منقسم وهل هو متخير ام لا فهذا الكلام عائد الى معرفة الجزء الذي يتجزأ فالت
استحال الجزء الذي لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متخير وان لم يستحل الجزء
الذي لا يتجزأ فيمكن ان يكون هذا الجوهر متخيلاً — وقد قل قوم لا يجوز ان يكون
غير منقسم ولا متخير فان الله تعالى غير منقسم ولا متخير فما الذي يفصل هذا من ذلك
وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتخير
والامور المكانية وتلك سلوب والاعتبار بالحقائق لان ما سبب عن الحقائق كالمرصين
المختلفين بالحدّة والحقيقة الحاليين في محل واحد فان ايجاب احتياجهما الى المحل وكونهما
في المحل لا يفيد تماثلها فكذلك سبب الاحتياج الى المحل والممكن لا يفيد اشتراك الشئيين
ويمكن ان تشاهد هذه الجواهر اعني الملائكة وان كانت غير محسوسة وهذه
المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثيل كقوله تعالى « فتأمل لها بشراً سوياً وما كان

التي عليه الصلاة والسلام يرى جبريل في صورة دحية الكلبي^(١) والقسم الثاني ان يكون لبعض الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً على اشراق نور النبوة كما ان محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس وكذا في الجن والشياطين اهـ

وقال الغزالي في الاحياء في بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس بعد تهديد مقبدة ما مثاله : فبدأ الاعمال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاماً والخطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواساً ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب ، فهما استنارت حيطان البيت بنور النار واطلم سقفه واسود بالمدخن علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى (ملكاً) وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى (شيطانا)^(٢) والمطوف الذي يتهيا به القلب لقبول الهام الخير يسمى (توفيقاً) والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا) فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة . و (الملك) عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك . (واليطن) عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالقبح ، والتخويف عند الهام بالخير بالفقر . فالوسوسة سيف مقابلة

- (١) وقال الغزالي قبل ذلك في بحث الرؤية : وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤدياً عن جبريل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » اهـ
- (٢) يؤيده آية من شر الوسواس (والوسواس) حقيقة في المصدر الذي هو الوسوسة . ويشبه ما للغزالي هنا قول من قال ان الشيطان قوة من جملة القوى الانسانية وهكذا قال الراغب : كل قوة ذميمة للانسان فهو شيطان .

الالهام . والشيطان في مقابلة الملك . والتوفيق في مقابلة الخلدان . واليه الاشارة بقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين)

« ابن حزم »

قال رحمه الله في كتابه الفصل في الكلام على الجن ووسوسة الشيطان ونعله في المصروع :
لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضا بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لانهاية لما هو عز وجل يخلق ما يشاء ، ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الارض والهواء والماء — وبين ان يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء ويمكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى علي ابداهم من المعجزات الخفية للظبايع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلفهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم امة عاقلة مميزة مشبعة موعودة متوعدة متناصلة يموتون واجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى « انه يراكم هو وقيله من حيث لا ترونهم » فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل « الا ابليس كان من الجن » ، واذا اخبرنا الله عز وجل اننا لانراهم فن ادعى انه يراهم او رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك محجة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة اخي سليمان ولولا ذلك لاصبح موثنا يراه اهل المدينة او كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن ابي هريرة الذي رأى انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جنني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات او عمن لاخير فيه

وهم اجسام رفاق صافية هوائية لا الوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » والنار والهواء عنصران لا الوان لها وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لا متزاها برطوبات ماتتعل فيه من الحطب والكثبان والادهم ان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولولم يكونوا اجساما صافية رفاقا هوائية لادر كاهم بحاسة اللمس

وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا ان الله عز وجل جعل لهم قوة

يتوصلون بها الى قذف ما يوسوسون به في النفوس ، برهان ذلك قول الله تعالى « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتبدل اعراضه وصورته واخلاقه وتثور نار به ، ويرى من يجب فيثور له حال اخرى ويتهيج وينبسط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال اخرى من صفة ورعثة وضعف نفس ، ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طباؤه فيغضبه مرة ويحججه اخرى ويقرعه ثالثة ويرضيه رابعة ، وكذلك يحيلها ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلما ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها الى تغيير النفوس والتذنب فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(واما الصرع) فان الله عز وجل قال « كالذي يتخبطه الشيطان من المس » فذكر عز وجل تأثير الشيطان في الصرع انما هو بالماسة فلا يجوز لاحد ان يزبد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل « ولا تنف ما ليس لك به علم » وهذه الامور لا يمكن ان تعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلمه الله عليه ما كما جاء في القرآن يثير به من طباؤه السوداء والابجرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل ممرضوع بالاخلاق منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجه المشاهدة وما زاد على هذا تخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى تنأيد كلام ابن حزم

« الفخر الرازي »

قال في مباحث الاستعاذة من اوائل تفسيره : اطبق الكل على انه ليس الجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجب وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الاول) انها اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة (والقول الثاني) ان كثيرا من الناس اثبتوا انها موجودات غير متحيزة ولا حالة في التحيز وزعموا انها موجودات مجردة عن الجسمية (قالوا) وهذه الارواح قد تكون مشرقة الهية خيرة سعيدة وهي المساة بالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفلية شريرة وهي المدماة بالشياطين (ثم قال)

واعلم ان قوما من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا ان المجرد يتمتع عليه ادراك الجزئيات والمجردات يتمتع كونها فاعلة للافعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين (الاول) انه يمكن ان نجحكم على هذا الشخص المعين بانه انسان وليس بفرس والقاضي على الشئتين لا بد وان يحضره المقتضي عليهما فهنا شيء واحد هو مدرك للسكبي وهو النفس فيلزم ان يكون المدرك للجزئي هو النفس (الثاني) هب ان النفس المجردة لاتقوى على ادراك الجزئيات ابتداء لكن لاتزاع انه يمكنها ان تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لا يجوز ان يقال ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الاثير ومن كرة الزهر بر ثم انها بواسطة تلك الآلات الجسمانية تقوى على ادراك الجزئيات وعلى التصرف في هذه الابدان

واما الذين زعموا ان الجن اجسام هوائية او نارية فقالوا الاجسام متساوية في الحجمية والمقدار وهذان المعنيان اعراض فالاجسام متساوية في قبول هذه الاعراض ، والاشياء المختلفة بالمهية لا يمنع اشتراكها في بعض اللوازم فلم لا يجوز ان يقال الاجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وما هيئاتها المعينة وان كانت مشتركة في قبول الحجمية والمقدار واذ ثبت هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال احد انواع الاجسام اجسام لطيفة نفاذة حية لذواتها عاقلة لذواتها قادرة على الاعمال الشاقة لذواتها وهي غير قابلة للتفرق والتفرق واذا كان الامر كذلك فتلك الاجسام تكون قادرة على تشكيل انفسها باشكال مختلفة ثم ان الرياح المعاصرة لاتمزقها والاجسام الكثيفة لاتفرقها ، اليس ان الفلاسفة قالوا ان النار التي تفصل عن الصواعق تنفذ في الاحتظة اللطيفة في بواطن الاجسام والحديد وتخرج من الجانب الآخر فلم لا يفعل مثله في هذه الصورة ، وعلى هذا التقدير فان الجن تكون قادرة على النفوذ في بواطن الناس وعلى التصرف فيها وانها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد الى الاجل المعين والوقت المعين ، فكل هذه الاحوال احتمالات ظاهرة والدليل لم يبق على ابطالها فلم يحز المصير الى القول بابطالها

(ثم قال الرازي) اعلم ان الانسان اذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فربما صار بحيث كانه يسمع في داخل قلبه ودماغه اصواتا خفية وحروفا خفية فكأن متكلما يتكلم معه ومخاطبا يخاطبه فهذا امر وجداني يجده كل احد من نفسه . ثم اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة ان تلك الاشياء ليست حروفا ولا اصواتا وانما هي تحيلات الحروف والاصوات وتجليل الشيء عبارة عن حضور اسمه ومثاله في الخيال

وهذا كما انا اذا تخيلنا صور الجبال والبحار والاشخاص فاعيان تلك الاشياء غير موجودة في العقل والقلب بل الموجود في العقل والقلب صورها وامثلتها ورسومها وهي تلي سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة فانا اذا احسنا في المرآة صورة الفلك والشمس والقمر فليس ذلك لاجل انه حفرت ذوات هذه الاشياء في المرآة فان ذلك محال وانما الحاصل في المرآة رسوم هذه الاشياء وامثلتها وصورها ، واذا عرفت هذا في تخيل المبصرات فاعلم ان الحال في تخيل الحروف والكلمات المسموعة كذلك فهذا قول جمهور الفلاسفة ،

ولقائل ان يقول هذا الذي سميته بتخيل الحروف والكلمات هل هو مساو للحرف والكلمة في الماهية اولاً فان حصلت المساواة فقد عاد الكلام الى ان الحاصل في الخيال حقائق الحروف والاصوات والى ان الحاصل في الخيال عند تخيل البحر والسماء حقيقة البحر والسماء — وان كان الحق هو الثاني وهو ان الحاصل في الخيال شيء آخر يخالف للمبصرات والمسموعات فحينئذ يعود السؤال وهو ان كيف نجد من انفسنا صور هذه المراتب وكيف نجد في انفسنا هذه الكلمة والعبارة وجداناً لاشك انها حروف متوالية على العقل والفاظ متعاقبة على الذهن فهذا منتهى الكلام في كلام الفلاسفة اما الجمهور الاعظم من اهل العلم فانهم سلموا ان هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف واصوات حقيقية

واعلم ان القائمين بهذا القول قالوا فاعل هذه الحروف والاصوات اما ذلك الانسان او انسان آخر ، اما شيء آخر روحاني مابين يكمه لقاء هذه الحروف والاصوات الى هذا الانسان سواء قيل ان ذلك المتكلم هو الجن والشیاطین او الملك واما ان يقال خالق تلك الحروف والاصوات هو الله تعالى (اما القسم الاول) هو ان فاعل هذه الحروف والاصوات هو ذلك الانسان فهذا قول باطل لان الذي يحصل باختيار الانسان قادراً على تركه فلو كان حصول هذه الخواطر بفعل الانسان لكان الانسان اذا اراد دفعها وتركها لتقدر عليه ومعلوم انه لا يقدر على دفعها فانه سواء حاول فعلها او حاول تركها فتلك الخواطر تتوارد على طبعه وتنبه اقرب على ذهنه بغير اختياره

(واما القسم الثاني) وهو انها حصلت بفعل انسان آخر فهو ظاهر الفساد ، وبما بطل هذان القسمان بقي (الثالث) وهي انها من فعل الجن او الملك او من فعل الله تعالى (اما الذين قالوا) ان الله تعالى لا يجوز ان يفعل القبايح فاللائق بمنزلة ان يقولوا ان هذه

الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى فبقي انها من احاديث الجن والشياطين ، واما الذين قالوا انه لا يتبع من الله شيء فليس في مذهبهم مانع يمنعهم من اسناد هذه الخواطر الى الله تعالى اه

« الماوردي »

قال في كتابه اعلام النبوة : الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون ، واشخاصهم محجوبة عن الابصار ، وان تميزوا بافعال وآثار ، الا ان يخص الله برويتهم من يشاء ، وانما عرفهم الانس من انكتب الالهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ، (ثم قال) : واختلفوا في الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق منهم الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون الى انهم كابليس لا يموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون ، فان انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية فهرتهم براهين العتول وحجج القياس (ثم اسهب في ذلك رحمه الله)

« القاشاني »

قال في تفسير آية « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن » في سورة الاحقاف مأماله : الجن نفوس رضية تجسد في ابدان لطيفة مركبة من اطائف العنادر سماها حكماء الفرس (الصور المعلقة) ولكونها ارضية متجسدة في ابدان عنصرية ومشاركتها الانس في ذلك سيما ثقلين وكما امكن الناس التهدي بالقرآن امكنهم وحكاياتهم من المحققين وغيرهم اكثر من ان يمكن رد الجميع ووضح من ان يقبل التأويل :

وقال في تفسير سورة الجن : قد مر ان في الوجود نفوسا ارضية قوية لافي غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكشافتها وقلة ادراكها ولا عي هيات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية — ولا سيف صفاء النور المجردة ولطافتها لتصل بالهالم العلوي وتنفرد او تلتقي ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية والنارية والداخلية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء (الصور المعلقة) ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ، ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوي امكها ان تلتقي من عالمها بعض الغيب فلا تسبعد ان ترتقي الى اقصى السماء فتسبرق السمع من كلام الملائكة اي

النفوس المجردة — ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ، ولا تترك ان تشتمل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتحترق وتهلك وتزجر من الارتقاء الى الافق السماوي فتستفل فانما امور ليست بخارجة عن الامكان اه
« القاضي ابو يعلى بن الفراء »

نقل عنه السفاريني انه قال : الجن اجسام مؤلفة واشخاص ممثلة ويجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في قولهم انهم اجسام رقيقة ولزقتها لانزها (قال) : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلم الله ضرباً من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على امر اذا فعله نقله الله عن صورة الى صورة اخرى لجري العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقص البنية وتفريق الاجزاء ، واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها (قال) والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك (وسيأتي في اول الخاتمة بحث تمثل الروحاني مفصلاً)

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

نقل عنه السفاريني انه قال : لم يخالف احد من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواتر معلوماً بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة (قال) ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوم ، (وقال) ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما امروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركون في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتعريم لا نزاع اعلمه بن العلماء : (وقال في تفسير سورة الاخلاص) ان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام فاسر جداول في تحليل كثير وانما يتكلمون جيداً في الامور الحسية الطبيعية وفي كتاباتها فكلامهم فيها في الغالب جيد ، واما الغيب الذي تجر به الانبياء والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها وتنقسم الموجودات قسمه صحيحة فلا يعرفونها البتة فان هذا لا يكون الا ممن احاط بانواع الموجودات وهم لا يعرفون الا قليلاً من الموجودات وما لا يشهده الآديون من الموجودات اعظم قدراً وصفة مما يشهدونه بكثير ، ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ما عرفته الفلاسفة اذا سمعوا

اخبار الانبياء بالملائكة والعرش والكروبي والجنة والنار وهم يظنون ان لا موجود الا ما علموه هم والفلاسفة يهيمون حائرين ما اوان كلام الانبياء على ما عرفوه وان كانت هذا لا دليل عليه وليس لهم بهذا النبي علم فان عدم العلم ليس علما بالعدم لكن تقويم هذا كفي الطيب للجن لانه ليس في صنعة الطب ما يدل على ثبوت الجن والا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن وهكذا تجد من عرو نوع من العلم وانما ناز به على العامة الذي لا يعرفونه فيبقى بجهلهم نافيا لما لا يعلمونه ، ولو سلموا ذلك صلاهم مما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما اشتهروا وصفوه ، قال تعالى : **لَا يَخْبِرُوكَ بِمَا يَكْتُمُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** ، وقد اسهب رحمه الله في كتابه **معرفة** - **المطبوع** - فيما يتعلق بالجن والشياطين فراجع

« ابن القيم »

قال رحمه الله في زبدة المعاد في علاج الصرع ما مثاله : الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارسية - وصرع من الاخلاط الردية - والثاني هو الذي ينكلم فيه الاربعة في صرع وعلاجه - وان صرع الارواح فائتهم وعقلاتهم يعترفون بان علاجه بمقالة الارواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الارواح الشريرة الخبيثة فتدفع نارها وتعرض فمها وتبسطها - وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج صرع وقال : هذا مما ينفع من الصرع الذي سببه الاخلاط والمادة واما الصرع الذي يكون من الارواح فلا ينفع فيه هذا العلاج : واما جهلة الاطباء فينكرون صرع الارواح ولا يترون بابا تؤثر في بدن المصروع وليس معهم الا الجهل والا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك والحس والوجد شاهد به ، واحلثهم ذلك على غلبة بعض الاخلاط هو صادق في بعض اقسامه لافي كلها ، وقدما : الاطباء يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا : انه من الارواح ، واما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا : انما سموها بالمرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فنفسر بالجزء الالهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ : وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الارواح واحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الاطباء فلم يثبتوا الا صرع الاخلاط وحده ، ومن له عقل ومعرفة بهذه الارواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء الاطباء وضعف عقولهم

(ثم قال ابن القيم) هذا ولو كشف النظار لرأيت اكثر النفوس البشرية صرعى

مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاناة فمنك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح الى الايمان بما جاء به الرسل عليهم السلام « الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده »

قال في تفسير قوله تعالى « الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » الموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا يعرفهم وانما نجد في انفسنا اثرا ينسب اليهم ، ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر يحدث منها في نفسه خواطر السوء :

وقال في موضع آخر : ^(١) ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم وقد اسندنا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى الهاما وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين اذن ارواح تتصل بارواح الناس . فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتأثيل الجثمانية المعروفة لنا لان هذه لو اتصلت بارواحنا فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لانحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فادن هي من عالم غير عالم الابدان قطعا

(ثم قال) يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهيم بامر فيه وجه للحق او للخير ، ووجه للباطل او للشر ، بان في نفسه تنازعا كان الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ونسبته قوة وفكرا - وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتشفه حقيقة

لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكا ويسمي اسبابه ملائكة او ملاء من الاسماء فار التسمية لا تجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع اه وسبق في كلام الغزالي نحوه وسيأتي في الخاتمة عن الراغب الاصفهاني ما يؤيده

* خاتمة *

« في فوائد متفرقات من شوارد هذه المسألة »

(أ) للباحثين في تمثّل الارواح آراء عديدة وانظار متنوعة نذكر منها طرفا قال في الخلاصة : اعتقاد قدماء اليهود مجاهية الارواح المنية انها انا هواه خالص او لهاب نار (ثم قال) فعلى هذا فالملائكة اجسام هوائية لطيفة لا ترى مالم تمثل كالهواء الذي تنفسه فانه جسم لكنه غير مبصر انا (ثم قال) واقرّب شاهد للتمثّل هو الهواء فانه وان لم يقبل في حال تخلّله شكلا ولالونا الا انه متى تكاثف امكن تشكّله وتلوّنه كما يتّبع في السحاب وعلى هذا النمط يجوز ان تتكشف اجسام الملائكة بالقدرة الربانية على قدر ما يلزم لتكوين الجسم المراد اتخاذه وبقدره بعد التجسّد ان يفعلوا افعال حيوية اه وقدمنا عن القاضي ابي يعلى انه قال : لاقدرة للشياطين على تغيير خلقتهم والانتقال في الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله ضربا من ضروب الافعال اذا فعله نقله الله من صورة الى صورة الخ : ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن امام الحرمين ان تمثّل جبريل معناه ان الله افنى الزائد من خلقه او ازاله عنه ثم يعيده اليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقرر ذلك بانه لا يلزم ان يكون انتقالها موجبا لموته بل يجوز ان يبقى الجسد حيا لان موت الجسد بفارقة الروح ليس بواجب عقلا بل بمادة اجراها الله تعالى في بعض خلقه ونظيره انتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر تسرح في الجنة ، وقال شيخنا شيخ الاسلام — زكريا الانصاري — ما ذكره امام الحرمين لا ينحصر الحال فيه بل يجوز ان يكون الآتي هو جبريل بشكّله الاصلي الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد ان كان منتقشا فانه بالنفث يحصل له صورة كبيرة وذاته لم تغير وهذا على سبيل التقريب والحق ان تمثّل الملك رجلا ليس بمعناه ان ذاته انقلبت رجلا بل بمعناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ايضا ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الراي فقط والله اعلم اه كلام الحافظ كله مبني على حمل الاطلاق في موارد على الحقيقة فليتأمل وقال — الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله — في رسالة التوحيد : اما وجود بعض الارواح العالية — وهم الملائكة المكرمون — وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية (الانبياء عليهم السلام) فما للاستحالة

فيه بعد ما عرفنا من انفسنا وأرشدنا اليه العلم قديم وحديثه من اشتغال الوجود على ما هو
الطف من المادة وان غيب عنا فاي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف
مشرقاً لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراق عليه فاذا جاء به الخبر
الصادق حملنا على الأذعان بحسنه ، اما تمثل الصوت واشباح تلك الارواح في حس
من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء ما لا يبعد عنه في بعض الصبيح
بامراض خاصة على ذعهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يمثل في خيالهم ويصل الى
درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله ان يرى ويسمع بل يجالد وبصارع ولا شيء
من ذلك في الحقيقة بواقع فان جاز التمثيل في الصور المعقولة ولا منشأ لها الا في النفس
وان ذلك يكون عند عروض عارض على الخلق فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفس
العالية وان يكون ذلك لها عند ما تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظار القدس ، وتكون
تلك الحال من لواحق صحة العقل في اهل تلك الدرجة لا خصص مزاجهم بما لا يوجد
في مزاج غيرهم ؟ وغاية ما يلزم عنه ان يكون له علاقة ارواحهم باذنه انهم شأن غير معروف
في تلك العلاقة من سواهم وهو ما يدل على قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضاً غير
الشؤون المألوفة وهذه المغالرة من اهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم ، والدليل
على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه ان امراض النوب تأتي بدوائهم وان ضعف
العزائم والعتول تبدل بالقوة في اهمهم التي تأخذ بمقابلهم ، ومن المنكر في البدئية ان يصدر
الصحيح من معزل ، ويستقيم النظام بمختل اه وقد ناعن الغزالي كلمة في تمثيل الملك فتذكره
(ب) شاع وصف الجن « بالارواح » في المأثور وفي كلام الحكماء قال ابن
الاثير في حديث : اني اعالج من هذه الارواح : الارواح هنا كناية عن الجن سموا
ارواحاً لكونهم لا يرون فهم بمنزلة الارواح : الا انه غلب لفظ « روح » مفرداً فيه
التنزيل الكريم على الملك قال في الخلاصة : ان كلمة « روح » التي يوصف بها الملائكة
تتضمن معنى يدل على ما هيتهم وهو انهم مجردون عن كثافة الاجسام فليسوا مثلنا
(قال) لان اصل معنى الروح في العبراني واليوناني كما في الربى ريج اي هراء متحرك
وكأن لغة البشر تضرع التعبير بتمام الكثرة والحقيقة فاكتفى باللفظ بوضع الحقيقة وان
لم يجعلها تمام الجلاء اه وقال ابن الاثير في حديث (الملائكة الروحانيون) يروى بضم
الراء وفتحها كانه نسبة الى الروح او الروح وهو نسيم الريح والالف والنون من زيادات
النسب ويريد به انهم اجسام لطيفة لا يدركها البصر اه

وفي كليات ابي البقاء : الروح بالفهم هو الرّيح المتّردّد في مخارق الانسان ومناقذه
واسم للنفس الخ وفي الحاج عن الفراء قال : سمعت ابا الهيثم يقول : الروح انما هو النفس
الذي يتنفسه الانسان وهو جار في جميع الجسد فاذا خرج لم يتنفس بعد خروجه : وفي
نقد المحمل للطومسي : الفلاسفة يفرقون بين النفوس والارواح فان النفوس عندهم
جواهر بسيطة مجردة متعلقة بالابدان ، والارواح اجسام مركبة من الايغرة والادخنة
المرتفعة من الدم المحتبس في العروق : وروى ابن جرير عن قتادة في تفسير آية « ويسئلونك
عن الروح » قال الروح هو جبريل قال قتادة : وكان ابن عباس يكتنه ثم اسند الى
ابن عباس ان الروح ملك وكذا عن علي رضي الله عنه انه قال : هو ملك من الملائكة :
(ج) جاء في معجم لاروس : ان سقراط كان يزعم ان له شيطاناً خاصاً يوحى اليه
مقاصده وجميع مبادئ فلسفته وحكمته . فادعى بعضهم ان ذلك كان روحاً او عاملاً
فوق قوة البشر وطلق آخرون هذا الاسم على معنى ادبي لطيف وحاسة طبيعية رائقة
سريعة الادراك انتهت تجارب طويلة وهم على ما يرون ان شيطان سقراط لم يكن غير
الهامة باطنة تعرض لقلبه وعقله موقفة عند تصور الخي مطالب الفلسفة فمعي استشارة
سقراط لشيطانها الخاص هو ان يستشير الهامة الداخلي وعقله وحكمته التي لا يراها فتحة
ونعمة بل هي منبعثة عن الالهية وهي جزء منها . ورأى آخرون ان هذا الزعم كان من
سقراط حيلة يريد ان يتوصل بها الى تحقيق اصلاح سياسي كبير . والظاهر ان سقراط
قد فتح بصحة ما وقع في نفسه فلم يخالفه ولا تلاذبه اذ في شك في مدعاه وكان ذلك من
أكد الاسباب في الحكم عليه بالموت .

وجاء فيه ايضاً في مادة جني : ان الجن في الاساطير الرومانية اشارة الى الشيطان
عند اليونان وهي عبارة عن الروح او المبدأ الحيوي فكانوا يذهبون الى ان كل عمل
يعمله الانسان عليه عليه شيطانه الخاص . فالظاهر انه كان من تأثيرات الزندقة الطبيعية
ان توهم عامة اللاتين بان للشر شيطانين وذلك ليحلوا كما يشاؤون مسألة الخير والشر فشيطان
الخير يوحى الافكار الصالحة النافعة وشيطان الشر يلهم الاعمال الشريرة والحوادث المكدره
وهكذا رأى القائدان بروتوس وكاسيوس عند ما كتبت الهزيمة على اعلامهما شيطانهما
الشريرين

وكان القوم في رومية يعبدون الشياطين الخاصة والشياطين المحلية فاذا ولد لهم ولد
يقومون باحتفال اكراما لشيطانهم وكثيراً ما تقدم فاكهة وتغار لشياطين المكاتب وعلى

عهد الامبراطورية كان شيطان الامبراطور يعبد عبادة خاصة اكراماً واحتراماً اه
(د) جاء في دائرة المعارف البريطانية ما تعري به :

ان كلمة الشيطان هي اسم وضع في الانجيل والمذهب النصراني على شرير كبير يظن انه يرأس مملكة من الارواح الخبيثة وهو الملك فيها وانه عدو لله دائماً واللفظة العبرية وهي الشيطان الدالة على معنى المعاكسة ايضاً تستعمل لهذا الشرير الكبير اوملك مملكة الشر ومما لاشك فيه ان روحاً خبيثة كهذه كثيراً ما استعملت في العهد الجديد وقد سمي باسماء متعددة غير ما ذكر مثل كلمة المحتن ، بعل زبوب ، ملك الشياطين ، القوى ، الشرير الخاطي ، العدو الالد ، وهذه الاسماء استعملت مترادفة في الانجيل وحيثما استعملت تدل على نفس القوة المتحركة الشريرة الخارجة عن الانسان والمؤثرة فيه اوالتي لها سلطة عليه ومن المائل ما هو مبلغ اعتقاد المسيح نفسه في وجود مثل هذه القوة الخبيثة لانه مما لاشك فيه ان قوة كهذه كان مترفاً بها في معتقدات اليهود في ابامه ومن الحق ايضاً ان هذا الاعتقاد بين اليهود لم يبق دفعة واحدة بل نشأ على مهل ولا يتأثر المطالع في العهد القديم بوضوح كما نجد واضحاً في العهد الجديد وفي الحقيقة ان كلمة الشيطان لا توجد في التوراة الا في خمس مواضع وفي آثار الانبياء العبريين الاولى لا يوجد اعتراف بروح شريرة تقاوم ارادة الله والصورة التي صورت بها هذه الروح الشريرة في آثار متأخرهم تختلف كثيراً عن الصورة التي صورها متأخرو علماء اللاهوت . اذاً ما هو اصل الاعتقاد بالشيطان من حيث انه روح خبيثة مطرودة « فالجواب » الذي يذكره المنقحون من المعاصرين ان هذا الاعتقاد نشأ من اختلاط اليهود بالفرس لما كانوا منفين في بلاد فارس فالاعتقاد الفارسي يقسم الدنيا بين الهين موجودين مختلفين الواحد خير والاخر شر الا ان كليهما له حصّة في الخلق والانسان . فاهر مزده كان مقدساً صادقاً يجب له العبادة والاحترام واما اهر من روح الظلام ذو العقل الشرير فلم يكن اقل قدرة وكان يدعي الحق بمساواة اهر مزده من حيث اطاعة الانسان له « وفي القرون الوسطى » كان الاعتقاد بالشيطان عظيماً فالقدسيون كانوا يحبون انفسهم وغيرهم بخصاص دائم معه ومن الصعب علينا الآن ان ننصور مقدار التأثير لهذا الاعتقاد في معيشة الناس حينئذ فانه كان الفكر الثابت في رأس كل انسان خصوصاً من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وهي مدة يمكننا ان نعد هذه الحرفة بلغت فيها منتهاها ومن الحق ان هذه العقيدة لم تنقص الا قليلاً في

القرن الخامس عشر بل حتى في القرن السادس عشر او السابع عشر ، ولوثيروس كان يشمر دائماً بتماس الروح الشريرة ، ومعاً كستها في مكتبته وفي فراشه و حجره ، كان الشيطان يتداخل في اشغاله او راحته ولما كان يبشر درسه سمع صوتاً عرفه حالا انه صادر من عدوه « الشيطان » « قال » فيما وجدت انه يريد ان يعود مرة ثانية الى عمله جمعت كتيبي وذهبت الى فراشي وسمعتة مرة ثانية في الليل ماشيا في الرواق لكنني لما كنت اعلم انه الشيطان لم اهتم به بل غرقت في نومي وكذلك يقول لوثيروس ولما افقت في هذا الصباح باكرا جاءني الشرير وابتداً يجادلني فقال لي انت مذهب عظيم واجبه الا يمكنك ان تأتيني بنبأ جديد بالشيطان . ولما تقدم المعتول في القرن الثامن عشر تناقص هذا الاعتقاد بانتشار التأثيرات الشيطانية والشعور بما فوق الطبيعة تضال من جميع جهاته ولا سيما الاعتقاد القديم بسلطة الشيطان المطابقة كلى مصير الانسان ومع ان الشعور الديني ازداد كثيراً منذ ذلك الحين فلا يمكن ان يقال بان الاعتقاد القديم بالشيطان ، اعماله تجدد ومن الممكن ان يكون اعتقاد النصرانية اليوم ان هنالك قوة شريرة في العالم تماكس ارادة الله ولكن هل هذه القوة هي شخص وماهو فعلها في ارادة الانسان وايضا هل هنالك مملكة ارضية للشياطين يرأسها ملك وماهي علاقة هذه المملكة الشيطانية بمصير الانسان ؟ كل ذلك مسائل لم تقرر بعد او مشكوك بها في اي مذهب من مذاهب الكنيسة . ووظيفة ان نلاحظ هذا التغير في اعتقاد النصراني من غير ان نبين منافع او غير ذلك ومن المحقق ان الاعتقاد بالشيطان لا يشغل مكاناً عظيماً في تصورات النصراني اليوم كما كان من ذي قبل وانه ليس لسلطته الآن الاثر الذي كان له في الانسان واختباره اه كلام دائرة المعارف البريطانية ولم نورد مع كلام المعجم قبلها الا ليم للواقف على هذه المسألة الاطلاع على آراء بقية المفكرين من الملل الاخرى فيها (٥) تزعم الفرس ان الجن يسكنون في بلاد تحى جذبات ويسمى بها شر او هم ارض العقارب والجنيت ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية ومنهم من يقول ان مقرهم في جزيرة الحيات في بحر الهند ويصورونهم بهيئة مخيفة بقرون طويلة واذناب وعيون مشقوقة طولا وشعر واقف كذا في دائرة المعارف (و) قال ولي الدين : يدعي بعض شيوخ الضلالة ورسل البهتان ان لهم تعازيم يستحضرون بها الجن ويجعلونهم تحت تصرفهم ولا يزال لهذه الاضاليل اثر يذكر يتناقله الناس ويعتقدون بصحته اه

(ز) قال الرازي في مقدمة تفسيره في بحث الاستعاذة : هؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم اذا تابوا من الاكاذيب يعترفون بانهم قط ماشاهدوا اثرا من هذا الجنس « قال الرازي » وذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الاشياء « قال » وسعت واحداً ممن تاب عن تلك الصنعة قال : اني واخايت على العزيمة الفلانية كذا من الايام وما تركت دقيقة من المفاتيح الا اتيت بها ثم اني ماشاهدت من تلك الاحوال المذكورة اثرا ولا خبرا اه

(ح) ذكر بعض المحققين ان ابليس علم جنس للشيطان معرب ذياقوليس باليونانية وممنه موقع الخلاف او مبطني او مبعدا الانسان عن سبيله ، ويتضمن اسمه معنى آخر في كتب الوحي وهو رئيس الارواح الشريرة « قال » وكان شعرا ، الفرس الذين ينظمون في الخرافات يصفونه بلون اسود وعينين نقذفان نارا ورائحة كبريته وقروون وذهب واظانتر معوجة وحافرين مشتوقين اه

(ط) لفظ شيطان عبراني بمعنى مخاصم او مضاد ثم اطلق على روح شريرة غير مربية تدعو الى المعاصي والآثام « كذا في المرشد » قال الراغب عن ابي عبيدة : الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات « قال » وقد يسمى كل خلق ذمير للانسان شيطانا اه ونقله السيد الزبيدي عنه في تاج العروس شرح القاموس

(ي) قال بعض الافاضل : من الاعتقادات الشائعة ان الجن تسكن بعض الاماكن ولا سيما الخربات والقبور والعيون والآبار والبيوت لمهجورة حتى العامرة ايضا فيجتاح اهلها الى الخروج منها وكانوا في الجاهلية اذا ارادوا سكنى دار ذبحوا للجن ذبيحة حتى لا تضرم وهذا الاعتقاد انتقام العهد لم يزل باقيا الى الآن في اماكن كثيرة ورماروى بعض العلامة مرآئي واساطير من هذا القبيل ، وما ذلك الا اوهام وتصورات تنبع من الخيلة المنطبعة فيها من جري اكثر الاخبار ، آثار لامتجى الابدان من الايام ، وانتشار الوية العلم في كل الاقطار بحيث تفتقر حجب الاوهام ، وتأخذ الحقائق مكانها في افكار الانام ، سهل الله سلوك سبيل العلم والعرفان انه الكريم العلام

جمال الدين القاسمي



الاتكال الشرقي

أصحية غربي

قليل في القارئ من لم يسمعو باسم المستر روزفلت "رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الذي خدّم بلاده حل خدّة فعد العالم الاجتماعي الاقتصادي والشكك العظيم سياسي لاساني وعظ معوك عصره ورؤساء الجمهوريات بلا نزاع

صل هذا الرجل هولندي نزل اجداده الولايات المتحدة منذ مائتي سنة وتخرّج هو في كلية هارفرد الجامعة وكان قبيل الحرب الاميركية الاسبانية مساعد امين سر وزارة البحرية فلما نشبت الحرب استقال وتطوع في الجيش حتى اذا عاد طافراً عينته الحكومة وياً نقي نيو يورك ثم معاوناً للرئيس ماكلي فلما قتل هذا القنصل الامه رئيساً عليها في اربعه مما كان يكيد له بعض منافيه في السياسة ثم اعيد انتخابه بعد اربع سنين وهي لمدة التساوية لكل رئيس جمهورية • ضرب روزفلت نقي ايدي رجال الاحتكار في الغرب وضامناً لافوله رؤوس ملوك الفولاذ والبترول وغيرهم من الاميركان وحسن المستضعفين والفقراء وهله اجتماع الثروة في ايدي افراد وحرمان سائر الامة منها فقام يضرب على المحتكرين الرسوم الفاحشة ويداوي الاجسام والجيوب بانعاله كايديوي لاروح والعقول باقواله وله عدة تآليف اجتماعية سياسية ومقالات كثيرة في اشكلات واجرائد وهو الذي الف بين جمهوريات الجنوب وجمهوريات الشمال وجعل بلاده مقاماً سامياً في السياسة الخارجية وحل العضلة التي كانت استحكمت بين روسيا واربابان فاستحق نقي عمله جائزة السلام انوبل وعينه مجمع العلوم السياسية والاخلاقية في باريز عضواً مراسلاً له دلالة نقي اعتبار اوربا لاعماله

ولما لم يرض المستر روزفلت ان يعاد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثالثة عملاً بالتقليد المأثور عن الرئيس واشنطن وجفرسون رأى ان يهجر البلاد مدة ليخلو الجو للرئيس تافت الجديد فرحل الى افريقية الشرقية ليكمل نفسه في العلم والتجارب ويفيد امته من رحلته حتى اذا عاد الى نيو يورك بوسمه اليه تحرير مجلة الاوتلوك الاسبوعية

وهكذا يرجع الرئيس من زعامة خمسة وثلاثين مليوناً من البشر الراقي الى رئاسة تحرير مجلة • وناهيك بمنصب العلم من منصب

خطب المستر روزفلت في الخرطوم قاعدة ال • ودان جماعة من طلبة المصريين والسوريين في دار احد مرسلي الاميركان في شهر ربيع الاول ١٣٢٨ - آذار ١٩١٠ وانتقد مايرمي اليه كثير من الشبان في اوربا واميركا وافريقية من الرغبة في التوظيف وخدمة الحكومة فارادهم على ترك الاتكال والعمل في اعمال المعاش على طريق الاستقلال قال : « فتي قلت لكم انه يجب عليكم ان تؤيدوا الحكومة لاريد أن يخطر لكم انني اريد من قولي هذا انكم مضطرون الى السعي وراء احراز الوظائف فيها (ذحك) بل ان الامر على عكس ذلك • وارجو باحضرة الدكتور جفن (رئيس الارسالية الاميركية في السودان) ان الاعمال التي فتم بها هنا والتي تقوم بها سائر المعاهد العلمية التي لكم صلة بها ستدري الى تلك الغاية • فنذكرون دائما ان اعظم الناس خدمة ونفعاً للحكومة هو الرجل الذي يأبى في كل حال ان يشغل وظائفها

أنا أنا فلا أريد أن أرى كلية من كليات الارسالية موجهة سعيها الاول وجاعلة غايتها الرئيسة من التعليم مجرد تخريج طلبة لاحراز الوظائف في مناصب الحكومة • بل أريد أن أرى المتخرج مستعداً للعمل باستقلال وبدون اقل اهتمام بأية مساعدة يتلها من راتب يتقاضاه من الحكومة • فان افضل الوطنيين شأناً هو من برع في الهندسة والصناعة والزراعة ومن سوء الحظ ان يقع في الازهان سواء في اميركا واوربا وافريقية ان الرجل المتعلم يجب ان يجعل غايته الوحيدة اتخاذ وظيفة في خدمة الحكومة • انني ارجو ان يتخرج من هذا المعهد العلمي واثله عدد من افاضل الموظفين لخدمة الحكومة في اعمالها العسكرية والمالية ولكن اذا وافقت الاحوال فان مرغفي الحكومة بين ملكيين وعسكريين يكونون دائماً بالعدد الاقل من المتخرجين • لان الغاية العظمى التي يجب ان ترمي اليها المعاهد العلمية هي تخريج رجال يستطيعون العمل بدون مساعدة ويستطيعون ايضا مساعدة انفسهم وغيرهم على استقلال تام بدون أن تكون لهم اقل علاقة بالحكومة • وهذه مسألة اهتم بها كثيراً هنا اهتمامي بها في اميركا بالذات

وفي الختام اقول لائقوا في الخطأ الذي يقع فيه الشبان منكم فتظنوا ان ثلكم قد انتهى بخروجكم من المدرسة او الكلية • بل اعملوا انكم انما انجزتم نصف العلم فأنا الآن

في الخمسين من عمري ولو اني توقفت عن تحسين حالتي وزيادة معارفي لشعرت ان قد اوشك ان ينتهي نفعي للجمهور

فعلى كل واحد منكم متى خرج من مدرسته ان لا يقول « الآن قد انتهت تعليمي فني وسعي ان اكسل » بل اريد ان نقولوا « قد سهلوا لي وضع اساس قوي للتعليم الناضج وفيما انا اقوم باعماله ساء واصل تمرين نفسي وتعليمها فبدلاً من ان تمر في الاتوام وانا واقف في مكاني ارا في التقدم واصير أكثر كفاءة للعمل واوفر مقدرة على انجاز الاعمال الحسنة »

هذا مقالته في هذه الخطبة وهو كما راه يدعو الى الاستقلال في التربية وقال في خطبة له في القاهرة الناهية في الجامعة المصرية ابتدائها بالاسف لانه ليس من اهل العلم ليتكلم بالعربية ولو كان منهم لما تكلم الابهة :

« اجتنبوا الباطل والادناء الفارغ كما يجتنبون العصب الديني والجنسي والسياسي . ان في كليات اوربا وكليات بلادنا اموراً كثيرة لا تفيدون منها ولكن فيها ايضاً اموراً كثيرة يجب اجتنابها . فاقبضوا على ما كان حسناً ولكن انتقدوه قبل اقتباسه حتى تنقوا بأنفسكم انما نقبسون ما هو الافضل والاصح لكم »

واهم من اجتناب التقصيرات التعليمية اجتناب التقصيرات الادبية . فانكم ترسلون الطلبة الى اوربا لكي يدرسوا فيها ويستعدوا لان يصيروا اساتذة . وهذا الاستعداد لازم اذ من الامور الجوهرية ان تكون الجامعة مظامة على احسن ما يجري في ، اعداد اوربا ، ويركا العلمية ولكن ليعتن الشبان الذين يرسلون باقتباس كل ما هو حسن وحميد وواجب لارقي انواع التقدم الحديث وليجتنبوا كل ما كان غير ضروري في تمدن هذا العصر ولا سيما رذائل الامم المتدنة الحديثة ولكن اذهابهم مفتوحة اذ من الخطأ العظيم ان تأبوا اقتباس ما رقي به الغرب في مرقاة التمدن والعدل والعيشة الطاهرة وان تنفروا به حاجاتكم ولكن من الخطأ العظيم ايضاً ان تقبضوا ما كان رخيصة او مبتذلاً او رديئاً . ليعلم الذين يرسلون الى اوربا ان فيها اشياء كثيرة يجب ان يتعلموها واخرى يجب ان يجتنبوها ويرفضوها فليأخذوا الحسن وليبتذوا التبيح .

واعلموا ايها الخللان اني ان كان عندي شيء اقوله لكم فذلك الشيء هو ان الاخلاق اهم من العقول بكثير وانه يجب على كل جامعة عظيمة بالفعل ان تسعى في تربية الصفات التي تكون منها الاخلاق اكثر من تربية الصفات التي تقوم بها العقول المثقفة . نعم انه

ما من رجل يبلغ الطبقة العليا بين الرجال اذا لم يكن عاقلاً ذكياً بنفسه ولم يكن مثقفاً بعقل وذكاه اذ التثقيف لازم كالذكاء. ولكن الذكاء وحده لا يجدي مالم يسترشد بقلب مستقيم ومالم تكن وراءه قوة وشجاعة . فالآداب والخشمة والعيشة الطاهرة والشجاعة والمروءة . احترام الانسان لنفسه كلها صفات ام في تربية الامم من ذكاء العقول فاجعلوا هذه الجامعة بحيث تساعد اممكم على الارتقاء دوماً .

واحدروا خصوصاً من تقص واحد في التربية التربية فقد كثر الميل في مدارس الغرب العالية الى تعليم الشبان حتى يكونوا رجال علم وادب ورجال صناعات وموظفين في وظائف رسمية كأن لا تربية حقيقية غير التربية العلمية ولذلك سررت غاية السرور بانكم شرعتم في انشاء المدارس الصناعية والزراعية في مصر اذ التربية العلمية نوع واحد من انواع التربية المختلفة وليس من الحكمة ان يقتصر عليها وحدها سوى جزء قليل من اهل كل البلاد . اما بقية الامة فيجب ان تستبدل ما ينفذها وتقرن على اعمال أخرى . ان سمو الخديوي في اعماله الكثيرة التي تتناول جميع وجوه العيشة المصرية اظهر حكمة عالية وبعد نظر وادرك حاجات بلاده بما ينظره من الاهتمام بترقية زراعتها وتحسين الزرع والضرع .

فهذه البلاد كسائر البلدان تحتاج الى عدد معين من الرجال تؤهلهم تربيتهم للاقطاع الى العلم او التعليم في المدارس او تقلد مناصب الحكومة . ولكن ليس من مصلحة بلاد ما ان ينصرف الى هذه الامور سوى جزء صغير من ذوي العقول الكبيرة فيها .

ويجب ايضاً ترقية الميل الى الصنائع وتزوين الاهالي حتى يحسنوا الزراعة وينبغوا فيها كما ينبغ امهر المحامين والموظفين وحتى يخرج منهم المهندسون والتجار واصحاب الاعمال الاخرى التي لا غنى عنها في بلاد عظيمة متمدنة .

ان وجود سيلمي شجاع مستقيم بعيد النظر مفيد في كل بلاد ولكن قائدة تنوقف خصوصاً على اسـ . مطاعته التعبير عن مشيئة امه وللسياسي النصيب الاصغر في قيامها وللناجر والزارع والمهندس واهل الفنون الاخرى النصيب الاوفر . بل امة لا يكون لها من القادة الا الكثبة والسامة والمحامون لم تدرك شأواً يستحق الذكر . فأساس الحياة الصحيحة في كل بلاد واجتماع انما هو الرجال الذين يعملون الاعمال المختلفة من حراثة وصناعة وتجارة ولا فرق بين ان يشتغلوا بايديهم او بعقولهم . وخير للانسان

ان يثقل برأسه ويديه معاً فهو لاهم الذين يعملون الاعمال الكبرى في حياة المجموع وما المشتغلون بالعلوم والمعارف والسياسة والتقانون وموظفو الحكومة سوى مكلين لم .
على ان الامر المهم ان يقوم العمل على الامانة والكفاءة مهما يكن مركز العامل من اكبر كبير الى احق حقير . وما اقوله هذا على ضفاف النيل هو نفس ماقلته على ضفاف
انهر الهندسون والمسيحي والكونوليا .

واذكروا دائماً انه لا الفرد ولا الشعب يريان التربية الجهورية بمجرد فعل يفعلاته
وانما يريان بطريقة تتعاقب فيها الافعال كطريقة النمو فانك لا تجعل الانسان مترياً
ومتعلماً تعليماً حقيقياً بمجرد اعطائه دروساً معينة وكذلك لا تجعل امة صالحة لان عظم
تقدمها بنفسها بمجرد اعطائها دستوراً على الورق . بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً
للعمل في العالم تستغرقان اعواماً طويلة وهكذا تربية الامة واعداها حتى تنجح في قضاء
واجبات الحكومة القائمة لايتان في عشر سنوات او عشرين بل يلزمها اجيال متعاقبة .
وخطب ايضاً تليذات كليات البنات الاميركية في القاهرة فقال :

« لانقوم امة في العالم ابداً اذا لم تكن فيها المرأة قادرة على التيا . يعملها بمجدارة واملية
مثل الرجل وانه من العدل ان تقوم وهي في حداثة السن في مدرستها وتعلم كيف يجب
ان تنشأ وترتقي كما يرتقي الرجل ومن الواجب ان لا تعلم العلوم فقط بل ان تعرف كل اينة
كيف تؤدي اعمالها واشغالها

اني افتخر بكل مدرسة لا تقتصر على تلقين العلوم بل تعلم العمل ولا أشك في ان
تليذات هذه المدرسة متى صرن صاحبات بيوت يعرفن على اقتدارهن على ان يقمن في
بيوتهن كما تقوم نساء الارسالية في بيوت رجلهن

يسرفني جداً في هذه المدرسة انها تعمل على قاعدة التسامح الديني . يسرفني جداً
ماعلمته من ان ثلث تليذات هذه المدرسة مسلمات والثلاثين مسيحيات وامرائليات ومن
طوائف اخرى

اود الآن ان اتكلم عن المدارس عامة لما جئت الى مصر من زمن بعيد لم تكن الحالة
كما هي الآن انني لا اقدر ان اصفها تماماً ولكن اتذكر منها مايجعلني مع المقاومة ارى الآن
الانجاح والتقدم العظيم . انني شاهدت الآن بيوتاً وترنيكاً ومعيشة لم اشاهدها حينئذ .
رأيت في بيوت عديدة مادلتني على ان الزوجات والامهات اللواتي فيها قد كن تليذات
في مثل هذه المدرسة او انهن عاشرن معلماتها والمتعلات فيها

انني في كلامي عن المدارس لا أخصص جنساً منها بل امتدح كل المدارس على اختلاف نزعاتها وصفاتها والقائمين بالعمل فيها ولا أقول انه توجد مناخرة بين هذه المدارس او انني اكبر المناخرة في هذا السبيل بل أقول انني ارجو الخير لجميعها اذا كانت تعمل وهي ولا شك تعمل لخير المسيرين»

هذا ما قاله العلامة المشار اليه وهو كما تراه يرمي الى الاستقلال وبغفر الناس عن الاتكال اذ قد عز عليه ان يرى شبان الشرق يقلدون بعض شبان الغرب في مكاسمهم ومعاشهم فيصبحون عالة على الحكومات برزقون من خزائنها مختارين في عملهم الراحة على السعي والكسل على القضاء والتضييق على الانطلاق والاتكال على الاستقلال فتعرب البلاد باثمال ابنائها لما ويفتحون ابواب بيوتهم للدخلاء والغرباء وتترك خيرات الارض لمن يقوم على تعهدها واستثمارها واستثمارها

من طبيعة المرء ان يحب العيش المضمون المريح وليس احسن من الوظائف في هذا الباب تضمن هاش الانسان في حياته وبمدمته فيتدرج في سلسلة المراتب ولا سيما اذا كان على شيء من المعرفة المكتسبة والخبرة والدهاء ومعرفة المدخل والمخرج في نيل رضى رؤسائه بحيث يكون كالألة في ايدي محركها ولا يطلب من الألة الانتظام سيرها فان نطقت هي وسألت عن السبب كان الموظف ولا سيما اذا كان صغيراً ان يسأل عنه • يكني في مضار الموظف في الحكومات انها تسلب الارادة ومن سلبت ارادته فبليت نفسه ومن فليت نفسه كان كالميت لا يتحرك الا اذا حركه • وان الله يرضى نوابغ ارباب الذكاء فيها لانفسهم ان يكونوا بلا ارادة ولا شخصية ولا استقلال جذيرة بالضة والملق والفقر والخول واذا حاز النباه هذه الصفات السبئية فالولى ان يكون حظ الخاملين انفس • ولا رجاء لعامة خصف خاصيتها عن تعهد امرها •

من اكبر الدواعي في تراجع عمران البلاد العثمانية والمصرية انه وقبر في النفوس مع الزمن ان من لم يخدم الحكومة لا يعد من الاشراف ولا من ارباب المكنة والرأي والوجاهة • وان كل مروءة وحكمة وعقل وعلم ورفعة وقف على الموظفين ومن لم يحثك بالحكومة سكان وضيعاً مهما رفعه مقامه وشرف آباءه وجدوده وجده ومضاوئه وحكمته ودرسته ومعرفته وثروته،

هذا الخلق من طبيعة الحكم الاستبدادي وكما رأينا بيوتاً خربت لان اربابها عز عليهم الا ان يماروا بيوتاً اخرى كانت منافسة لهم في التسابق الى دواوين الحكومة

فقلوا عن تجارهم وزراعتهم المشروعة المعقولة وتعلقوا بالثافيات من خدمة ارباب الحكم فما استفادوا بقديمهم ولا احسنوا تلقف حديثهم . واكثر ما يكون هذا الخلق ظهوراً الآن في سكان العواصم مثل الاستانة والقاهرة ودمشق وحلب فترى كثيرين من اهلها كالحلمة الطفيلية ينتظرون نقل احدهم واستقالته او موته حتى يخلفوه في مكانه ان اقوال المستر روزفلت حرية بان يجعلها اهل هذه البلاد رائداً بين ايدي اعمالهم ومهمازاً لهم في اقوالهم وافعالهم . ان انصراف وجوه الناس كلهم نحو التوظيف قد عطل في بلادنا القوى المعنوية والمادية وغادر القوم كالعجائز نخل خاوية تركوا موارد الثروة الحقيقية وراحوا زرافات يطرقون ابواب الحكومة وما هي بمغنية رعاياها كلهم وهم هم مادة حياتها وبنفاهم تغنى وبشقايتهم تشقى .

لا يتعلم المتعلم منا من اهل الطبقة العالية والوسطى الدنيا الا ليكون ضابطاً او قائماً مقاماً او موظفاً في الاقلام او من رجال القضاء وقليل جداً من يريدون ان يتعلموا ليستعدوا لانجاح تجاريتهم وزراعتهم وصناعتهم ولا سيما من اهل الاسلام الذين حصروا آمالهم في الحكومة في كل دور من ادوارهم ولذا قلنا رأينا ابن تاجر منا علمه ابوه على الاسلوب الجديد حتى يكون كشجار الافرنج بتعليمه وتجاربه ويعود عليه القرش قرشين بدل ان يعود قرشه بيارة .

طف مخازن القاهرة والاستانة وازمير وسلاطيك والاسكندرية وبيروت واسأل عن تراجع اربابها واجناسهم فهل ترى فيهم الا افرنجاً او غير مسلمين من اهل البلاد . واذا وقع لك ان صادفت تاجراً مسلماً فيكون في الاكثر غريباً عن تلك المدينة او انه احوج الى التعلم في عمله من اصغر تاجر من اولئك التجار ارباب الاموال الطائلة والمعرفة الواسعة .

تجول في القرى والحصى المزارع هل تجد لمسلم وطني مزرعة نجحت بنسجه كما نجحت مستعمرات الالمان في فلسطين والفرنسيين في البقاع ومستعمرات الطايان والروم والارمن في مصر واذا رأيت مسلماً اخضبت ترابه على سبيل الاتفاق فابحث عن السبب تراه اهتدى الى استخدام اناس ممن تربوا على غير طريقته وعرفوا في الامور الدنيوية من اين تؤكل الكتف . .

وابحث عن صناعات البلاد هل تراها كل يوم الا ترجع القهري لان اربابها جمدوا على ماتعلموه من آباءهم ولم يتحدثهم انفسهم في تقليد الراغبين من صناع الالبيدي ولانك

لا تجد في الالف منهم واحداً يعرف ما يقتضي لنجاحه من الاسباب واي الطرق سلكها الغربيون حتى يزوا بمصنوعاتهم مصنوعاتنا ويوشكون ان يقضوا عليها قضاءً ابدياً . كل هذا نتيجة الكسل والاعتماد على الحكومة في الرزق والبلاد لا ترتقي الا بالمسلمين في المملكة العثمانية لانهم الجمهور الاعظم من السكان ومنهم جل رجال القضاء والادارة وارباب الاملاك والاراضي ولا سبيل الى ارتقائها الا اذا ارتقوا هم انفسهم ان لم يكن اكثر من مواطنيهم فلا اقل من ان يكونوا على مستواهم . ونظن هذا التصريح جارحاً ولكنها هي الحقيقة لا تدليس فيها ولا دهان .

ان كل ما كان الموظفون يجمعونه من دماء الامة لم يثر لهم الثمرة الجنية لانه مال حرام اتاى من غير طريقه المشروعة من كد واقتصاد فلم نثر ثروة تأسست في اعقاب الموظفين الى جيلين الا نادراً وكثيراً ما كان يفتقر الموظفون في حياتهم ولولا رواتب التقاعد لرأيت اعظم الموظفين في السنة التي يضطرون فيها الى ترك وظائفهم فارغة ايديهم من مال يعتاشون به ولو كانت مشاهراتهم تعد بعشرات الليرات .

هذا من حيث المال اما عن سلب حرية الموظفين فحدث ما شئت ان تحدث ولولا ان العادة تسهل الاشياء لقضي على اكثر الموظفين في سن الكهولة لكثرة ما يلقون من عنت رؤسائهم وتضييق وجداناتهم وكم من ذكاء ذهب سدى لان صاحبه لم يستعمله بل حصره في دائرة ضيقة من عمل اصبح له شيئاً معروفاً في بضعة اشهر وقضى عمره وهو ببيض ويسود ويحاسب في موضوع لا يكاد يتعداه .

ان التوظف عمل من اعمال الناس لا يصح ان يترك والا فم يدير شؤون البلاد ولكن لا يجب التهاك فيه كما نراه يتزايد اليوم بعد اليوم فالام التي كانت تفرح ابنها فيما غبر وتقول له ان شاء الله اراك باشا ينبغي لها ان تربيته مع ابيه على ان يكون بعد اليوم ممثلاً في حرفة من الحرف او صناعة من الصناعات فقد جربت الامة ورأت من افلاسها ما لا ينكره عاقل لانه لم يتعلم منها احد الا ليكون من المستخدمين . كان خيرات الارض والماء لا تغدق الا على من ينصب نفسه وجسمه للجري على ارادة غيره لينال بزعيمه رزقه هيناً ايها .

انا والله مع احترامنا لكل موظف امين يخدم الامة بصدق ويقبض راتبه بعرق جبينه لنفضل عليه من يتجر بالسادة لعمره بالارض ومن يخرج الحجارة من المقالع ويعتمد على خالقه وعمله في معاشه على فرد ينسى كل شيء ويتجرد عن كل شيء ليقال عنه انه موظف .

نزل مصر بعض المعلمين من السورين منذ عهد الخديوي اسمعيل وقبله واخذوا بما فيهم من النشاط والقوة والمعرفة يتولون الوظائف وينافسون فيها المصريين في بلدهم فبقيت ارزاقهم محدودة ولم يخرجوا عن كونهم مستخدمين. يصفون في آخر شهرهم كل ما قبضوه في اوله . ولما صعبت الحكومة المصرية وصول غير المصري الى تولي الوظائف بالقانون الذي سنته على عهد الوزارة الرياضية حول السورين وجعلهم مسيحيون وبسببهم الى التجارة والزراعة فإذا كان من اثر ذلك عليهم ؟

كان منه ان اصبحوا يشكلون على عملهم وكدم وابتاعوا الاطيان البائرة في القطر المصري فبهر ونها بنشاط ومعرفة ويتجرون بمصنوعات البلاد ومصنوعات اوربا ويتفرون على تنمية اموالهم بطرق اقتصادية حتى لم يمض عقد او عقدان من السنين الا وقد اصبح ابناء سورية النازلون في مصر اغنياء بعد الحاجة موسعا عليهم غب الضيق يملكون النذور الباذخة ويمتعون بالعيش الخفضال حتى قدر احد العارفين ثروة السورين في مصر بخمسين مليون جنيه اي بعشر مجموع ثروة مصر . ولو ظلوا راضين كلهم بالدون من المعاش لما جمعوا واحداً من مئة من هذه الثروة الطائلة ولا يكون ما يجمعونه الا من التقدير والتشج وكذلك فعل المسيحيون في البلاد العثمانية لما قطعوا آمالهم من الحكومة فباتت اعمال المعاش المهمة كما تقدم بايديهم ودرت عليهم اخلاف السعادة ولو قد هم سائر العثمانيين في هذه الخطة الشريفة خلصنا من الاشكال الذي لم نبلغ اية من الامم في سالف القرون والاجيال

قال الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان : وهذا الكلام لا يبع من خشوة اتباع السلطان فاما عليتهم ومصاصهم وذو البصائر والتميز منهم ومن فيقته النقطة وارهقه التأديب وارهقه طول التفكير وجرى فيه الحياء واحكمته التجارب فعرف العواقب واحكم التفصيل وينطق (?) غوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنون حالم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون انهم اروع الناس ابداً واهناهم عيشاً وامنهم سرباً لانهم في افئتهم كالمالوك الى ان يرتبهم يرغب اليهم اهل الحاجات ويزرع اليهم متمسو البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا تستعبدهم الضرع لمعاملتهم وليس هكذا من لا لبس السلطان بنفسه وقاربه بخدمة فان اولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملائق وقلوبهم من هم لم خول مملوءة قد لبسها الرعب والفها الذل وصحبها تقرب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتككيل صاحب وتغيير الدول

واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيراً ماتحل فنهايك بهم مرحومين يرق لهم الاعداء فضلاً عن الاولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والمدة وسلم من البوائق مع كثرة الاثراء وقضاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتد بها وكم بين من هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنعة وطوق عنقه الامتنان واستمرهن بتحمل الشكر انخ

ملك الانكليز وامبراطور الهند (١)

اذا كان فراق هذه الدنيا تزداد صعوبة بزيادة اقبال الحظ وسعادة الطالع نل المرء فالملك ادوارد السابع اولي الخلق بكراهة الموت وحب البقاء . وان كانت بلوغ الاماني وحصول الرغائب وازعاً للمرء عن التثبت بحبال الحياة ومفضياً به الى التنازع من الدنيا والاكتفاء من لذائذها وحب الرحيل عنها فهذا العاهل الكبير اجدر الناس نل الاطلاق بالملل من العمر والازدراء باطياب الحياة .

وذلك لانه عاش عمراً مفعماً بالحوادث العظيمة ومملوءاً بكل ما اشتتهته نفسه وطاب به قلبه وتمتع بجميع ما تتطلبه الاميال البشرية وتمناً به النفوس . فقد كان قبل ان ارتقى الى الرش البريطاني في ٢٢ كانون الثاني ١٩٠١ منصرفاً الى مايلذه من السياحات والمذاكرات والمشاغل الخاصة غير متحمل عناء السياسة ولا معرض الى ما لا يعنيه من شؤونها فكان يكثر من مخالطة العلماء ومفاوضتهم في الفنون التي اولع بها ويحضر الحفلات العلمية ويسمع الخطب ويقرأ المقالات في العلوم الطبيعية ويطلع الجرائد السياسية ويقف على آراء الزعماء ومطالب الاحزاب واغراضهم ويعي ذلك في صدره لينتفع به عند الحاجة ويتلشى بالخروج الى الصيد في اوقات الفراغ والسياحة في اوربا وقد كان مولعاً بمدينة باريس جعلها موضع طاربه ومقر صفائه واكثر من اتياها واللبو فيها حتى اتهمه الناس بالمجون والطيش وحسبوا انهما في الملهيات وقيامه على صفاء العيش وخلو الدفن من المشاكل يجعله ضميماً في ادارة الشؤون السياسية قاصراً عن النهوض باعباء الملك عند انتدائه اليه .

درس العلوم العالية في جامعة كبريدج وجامعة اكسفورد ونال منهما رتبة دكتور في

الشرائع ووجهت اليه درجات عليية سامية من المدارس الكبرى في بريطانيا ومستعمراتها وعين قائداً في الجيش البري واميرالاً في البحرية الانكليزية وانتخبه الماسون رئيساً اعظم للمحفل الانكليزي وكان غيوراً على هذه الجمعية مؤيداً لمبادئها حافظاً لقوانينها حتى صار له في العالم الماسوني مقام جليل ومنزلة سامية . وقد زار سورية سنة ١٨٦٢ وجال في مدائنها وتفقد آثارها كما ساح في غيرها من بلاد الشرق والغرب مثل الهند ومصر وكندا والولايات المتحدة وغيرها وتعرف بأكثر ملوك الدنيا قبل وصوله الى العرش واضطلع بالسياسة الخارجية ودرس طبائع الاقاليم والشعوب وكان يتوب عن والدته الملكة فيكتوريا في اكثر الاحتفالات الدولية والجمعيات العلمية والخييرية .

افضى اليه صولجان الملك بعد وفاة والدته فطرح اللهم جاذبا وثقل من دور التأهب الى دور العمل وقد كان عندئذ الاضطراب سائداً والتلبك مستولياً في دوائر انكلترا السياسية بسبب الحرب الناشئة في جنوبي افريقية مع الترانسفال وان كان النصر قد انبلج للانكليز وتوثقوا من استيساق الامر لهم في تلك الناحية فعمد الى سياسة اللين والرفق وغير خطة العنف التي كانت تنوبها حكومته مع ذلك الشعب فباح لهم الامن والاستقرار في منازلهم ووزع عليهم الارزاق والحقوق حتى اخلدوا الى السكينة والهدوء ورتبت الشؤون في بلاد الراس على اسلوب مهد لانكلترا ثبوت القدم على نصف قارة افريقية من جهة الجنوب واقامة دولة انكليزية في تلك الاقاليم تضارع دولتها في الهند ثم فكر بوسيلة للاطمئنان من جهة هذه الدولة الضخمة وايصالها من منابع النيل الى مصبه ومازال يدبر ويمهد حتى وفق الى عقد الاتفاق الودادي مع فرنسا واطلق يد انكلترا في وادي النيل فاصبح البأس الانكليزي مشتملاً على القسم الاعظم من قارة افريقية من الاسكندرية الى رأس الرجاء الصالح . وهذا الاتفاق الذي الف به ادوارد السابع بين الانكليز والفرنسيين هو اعظم عمل قام به في حياته واحسن ما استفادت به انكلترا في القرن الماضي خصوصاً وقد كان عتده في اثناء الحرب اليابانية في الشرق الاقصى عند ما كان يخشى من ان تسعى فرنسا بتأليف حزب كبير في اوروبا المناصرة لروسيا واضاعة انتصارات اليابان

في ايامه شذبت اليابان قتادة الروس في الشرق الاقصى وكف فكفوا غائلتهم الى الوراء في منشوريا وبلغت السياسة الانكليزية في ذلك اوجها الاعلى بانكسار شوكة روسيا والطمأنينة من تعاطفها وتعالفها في الشرق فامت على الهند منها وتحققت ان هذا القلق

قد خدمت جهرته وبردت ثأرته فلا يتحرك قبل اواسط القرن العشرين .
 ونوز السياسة الانكليزية في الشرق الاقصى اتفق اوربا فاطمة ان انكلترا هي صاحبة
 الكعب الاعلى والمقام الاول وهي الخضم الذي لا ينزع والقرن الذي لا يدافع فتزلفوا
 اليها بالمودعة وتلففوا بخطبة مودتها والتقرب . حتى ان روسيا نفسها التي تحملت الضربة
 الكبرى اشغرت لها الذنب وتناست مالا لانكليز من اليد في تعزيز شأن اليابان ومعاذتهم
 في تلك الحرب ومالت الى مصانعتهم واسترضائهم والفضل الاكبر في هذا النفوذ كان
 للملك ادوارد الذي ادار دفة السياسة بيده واهتم بتدبير الامور على هذا النوال .

ومن غرائب الاتفاق ان السنوات التسع التي كانت فيها هذا العاهل على العرش
 البريطاني لم يظاهر في اثائها رجال بين ساسة الانكليز مثل الذين ظهروا على عهد والدته
 بالافتقار والحنكة والدرية فلم يكن لديه مثل غلادستون وساليسوري وبيت وبكسفيلد
 وبلمرستون وغيرهم فكان الحمل عليه ثقيلاً والثبة عظيمة واخذ على عاتقه استبطاط
 الاساليب واختراع المذاهب السياسية ومال الى سياسة اللم والرفق فزار اكثر ملوك
 اوربا ورؤساء حكوماتها والف بين القلوب واصفى الود لاعدائه وعقد معهم عهود المودة
 والاخلاص وصارت انكلترا التي كانت بالتقاليد الاوربية القديمة متهمه بالاعتزال
 والانفراد والكبرياء ومكرهه من الشعوب اقرب الاقوام مودة واعلنهم بقلوب الامم .
 فهو اول ملك انكليزي زار قياصرة الروس في عاصمتهم واول من انتزع سخائم البغض
 والعداوة الراسخة بين الانكليز والفرنسيين . وقد تعاضى عليه استعجاب ابن اخته
 امبراطور المانيا باللين والصدافة فألب عليه جيرانه وكاد يخرج ايطاليا من الحفاقة الثلاثية
 وبفرد الدولة الالمانية وحدها بين الممالك الاوربية

اما علاقة الملك ادوارد بدولتنا وسلطاننا فقد كانت في دور الاستبداد اقرب الى
 العداة منها الى الصداقة وقد صرح مراراً في مفاوضاته السياسية انه يتبنى الخير للدولة
 العلية غير انه يائس من اصلاحها ويحسبها عضواً فاسداً في العالم المتمدن ولذلك لم يكن
 نصيراً للدولة الحميدة في نكباتها ولا اعانها في ويلاتها الكثيرة بل ربما شذت في بعض
 مآزقها ومهد السبيل الى تدور بعض الولايات عنها فكانت له اليد الطولى في استقلال
 كريت وورغ في اخراج مكدونيا من الوحدة العثمانية متبعاً بذلك سياسة غلادستون
 الذي كان يرعى الحزم بتقسيم الدولة العثمانية الى ممالك صغيرة حرصاً على السلم العام
 وصفاء بال العناصر من المشاكل الحميدة

ثم لما تبين الرشد من الغي وانتصر الحق على الباطل بظهور الاحرار على الاشرار واعلان الدستور في البلاد المجانية كان الملك ادوارد اشد الاغضب فرحاً بهذا الانقلاب واكثرهم مظاهرة لحكومةنا الجديدة الحرة فوقف في وجه المانيا وعرقل دسائسها في البلقان وصرف نفوذ وقوة دولته العاتية في استمالة الرأي العام سيفاً اوروباً لجهتنا وتسكين الفلاقل في الروم ابلي وحال دون امنية الاعداء الذين حاولوا الحاق جزيرة كريت بحكومة اليونان وقد أثر عنه كلام كثير في مواقف متعددة نشط فيه حركتنا الدستورية وتمنى لنا الخير والاقبال وتوسم فينا التقدم والصلاح وكان اول من اقر بين الملوك على خلق عبد الحميد بما هنا به السلطان محمد رشاد من عبارات الود والاخلاص وقد اشادت عزائم احرارنا بمظاهرة لهم ونصر يحه بالسروور والاستبشار بما قاموا به من النجدة والحية واهتم ايضاً بحل مشاكل بيننا وبين ايران وحمل روسيا على ممالآته لتوطيد العدل واعلان الدستور في بلاد فارس

هذه اهم الاعمال السياسية التي قام بها الملك ادوارد السابع مدة ملكه القصيرة وجميعها عائدة على امته بالخير والنجاح وعلى العالم بالفضل والاصلاح حتى لقبه الاوربيون بصانع السلام واعترفوا انه رئيس السلم والداعي الى الوئام والودق وحامي الحرية والعدل ينضوي تحت رايته نحو مئة مليون من المسلمين في الهند وجزائرها وجنوبي افريقية والسودان والصومال وغيرها وقد كان يحب هؤلاء المسلمين من رعاياه وبعدهم اخلص الشعوب لعرشه واعلمهم به حباً وقد اسفوا على موته وحفظوا له ذكراً حميداً

لا يجادل احد في ان الملك ادوارد كان ارحب الملوك صدراً واوسعهم فضلاً ومن اكثرهم علماً واعرضهم جاهاً واسلمهم قلباً واصفاً ودأباً وقد اشد حزن شعبه عليه ولم يجد سبيلاً للزلاء سوى ما يؤملونه من ان ابنه وولي عهده ينسج على منواله ويحذو حذوه في السياسة بهذه الايام التي يشكو فيها الانكليز من قحط الرجال في عواصمهم . ولد ابنه الملك جورج في ٣ حزيران سنة ١٨٦٥ فهو اليوم في الخامسة والاربعين من عمره وتبوأ تحت الانكليزي منذ اسبوع وليس له من الشهرة وسعة الاطلاع ما كان لوالده قبل بلوغ الملك فهو اقرب الى العلم منه الى العروش واشد ولعاً بالمطالعة والدرس منه بالترسبات السياسية وقد صرف معظم حياته الماضية بين الكتب وفي الاندية العلمية وملاحظة المعاهد الخيرية . على ان القوم بثقة ون منه اعمالاً عظيمة ويحسبون ان عقله الكبير الذي اجاد في مجال العلم والتفكير لا يقصر في ميدان السياسة والتدبير فارس الخوري

مصطلحات آلات الطرب واغاني العرب

كل من طالع كتاب الاغاني وبعض كتب الادب القديمة التي تذكر الغناء وانواعه وآلات الطرب وملاهيه يقع على الفاظ علمية اصطلاحية اذا نقر عنها في دواوين اللغة ومعاجمها المطولة لا يرجع عنها الا بما رجع به حنين . ولقد حاول المستشرقون غير مرة البحث عنها في الكتب الادبية التي ألقت في الصدر الاول من عصر زهو اللغة فلم يعثروا على ضالهم كالم يعثر عليها ادباء الشرق وعلاؤه . وقد وفق العاجز في هذه الآونة الى وجود الصالة نهياً في كتاب مخطوط كت قد وصفته في المتنبرس ٢: ٣٨٣-٣٨٦ وعنوان البحث في كتابنا المذكور هو : « العود ومصطلحاته » وما نحن اولا ننقل الى الادباء قراء المتنبرس الاغراض اجاء من البحث لعميماً للفائدة وثقاً لشوكة الجبل الناشئة في اذهاننا من هذا القبيل . قال صاحب الكتاب : « العود ومصطلحاته » في الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها

كثيراً ما كنت اطالع في كتاب الاغاني الفاظاً في مصطلح الغناء وما كنت اتوصل الى فهمها حتى ظفرت اخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبي الخائف المرافي المشهور بعلم الالحان فاخذت عنه ما يتعلق بفتح مغاني الكلام الخاص بهذا العلم فانقول :

اعلم ان الالفاظ الواردة في كتاب الاغاني تتعلق كلها بالعود العربي فاذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما شكل عليك من مصطلحاتها فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرة ونصفاً وغورها كنصف عرضها وعنقها كربع طولها في الراحة وثخن الورقة من خشب خفيف ووجها أصب وتعد عليه اربعة اوتار اغلظها اليم بحيث يكون غلظه مثل الثلث الذي يليه مرة وثلاثاً . والمثلث الى المثني كذلك . والمثلث مثل الزير كذلك وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب ان يكون اليم اربعاً وستين حافة . والمثلث ثمانياً واربعين والمثني ستاً وثلاثين . والزير سبعة وعشرين . ويجعل رؤوسها من جهة العنق في ملاء والاخرى كشط فتساوى اطوالها . ثم يقسم الوتر اربعة اقسام طولاً ويشد على ثلاثة ارباعه مما يلي العنق وهذا دستان الخنصر . ثم ينقسم الآخر ثلثة ويشد على تسعة مما يلي العنق وهذا دستان السبابة . ثم يقسم ماتحت دستان السبابة الى المنشط أساناً متساوية ويشد على التسع مما يلي المنشط ويسمى دستان البنصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان

السبابة • ثم يقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلي المشط ثمانية اقسام وضعف اليها جزءاً مثل احدها ما بقي من الوتر وشده فهو دستان الوسطى ويكون وقوعه بين السبابة والبصر • فهذه الاصطلاحات هي المتحججة للنسب فاذا جذب وتر منها الى غاية معلومة سمي الزير فيجذب المثني على نسبة تليه سبب الانحطاط وهذا مع الجنس بالخنصر والضرب حتى يقع النساي •

فالزير كخنصر النار في الطبع والتأثير • والمثني كالهواء والمثالث كالماء والميم كالغراب • فانطبق على الاخلاط والامزجة افراداً وتركيباً • ويقوى ما يكون على الاخلاط من سجايا وامراض وامكة وازمنة حتى قيل ان لطف النار مثل لطف الهواء مرة وثلاثاً • وهكذا الهواء بالنسبة الى الماء والماء الى التراب كما في الاوتار واما وضعهم هذه الاوتار حتى جعلوها ثمانية فلما مر بك من انها اول مكعب مجذور لان الارض كذلك فشاكلوا بذلك مزاجها • وقد قيل ان هذه النسبة مستمرة الى الفلك • فان قطر الارض ثمانية والهواء تسعة والقمر اثنا عشر وعطارد ثلاثة عشر والزهرة ستة عشر والشمس ثمانية عشر والمريخ احد وعشرون ونصف والمشتري اربعة وعشرون وزحل سبعة وعشرون واربعة اسباع والثوابت اثلاثون ولان الثمين داخل في اشياء كثيرة منها تضاعف المزاج والطباع وبالجملة قد اختلف ميل طوائف العالم الى مراتب الاعداد كما عشت الصوفية الواحد فطوت الاشياء فيه والمجوس الاثني والنصارى الثلاثة واهل الطبائع الاربعة واهل الاوفان الخمسة والهندسة الستة والحكماء الفلكيون السبعة فالذهن من حيث هو • يسمى النسب حتى اذا برزت الى الخارج زادت النفس بسطاً فان الكتابة تحسن بنسبة حروفها استقامة وتدويراً وغلظاً ورقة واستدارة ولو مجرد الانحناء فقد قيل ان الحروف كلها وان اختلفت بحسب الام لا تخرج عن خط مستقيم ومقوس ومركب منهما •

ثم قوانين الغناء لا تخرج عن ثمانية • (ثقل اول) ورسمه :

تن تن تن • تن تن تن

وهو مركب من تسع نقرات هي ثلاث متواليات وواحدة كالكون فخمس مطوية

الاول • (وثني ثلث) وهذا رسمه :

تن تن تن • تن تن تن

وهو مركب من احدى عشرة وهي ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فتثنية فاربع

مطوية الاول (وخفيف الثقيل الثاني) ويسمى

وخامسها الدودي وهو موجي ضعفت حركته بإسهال ان طال . والا فالخفيف .
 داخل كاخذ نحو الانيون وما يكشف المزاج الى فساد الرطوبات وقد يقع في الجارية
 لنقص الرطوبات ويكون ابتداءه عن الموجي كما في النبضة .
 وسادسها المنشاري وهو ما اختلفت اجزائه تواتراً وسرعة وصلابته وعكسها وكا
 قرعه للاصابع متفاوت التساوي كاسنان المنشار ويدل على فرط اليبس ويختص بهذا
 الجنب والديلات والاورام .
 وسابعها المرتعش ويدل على الرعشة ونحوها من امراض العصب بحسب مواز
 اجزائه كما مر .

وثالثه الشنخ ودلالته كالمنشاري مطلقاً في غير ما يختص اي ذات الجنب به
 هذا واعلم ان اللحن يسمى مطلقاً اذا لم يكن مقيداً بلفظة تدل على وصف كالثقيف
 والخفيف وخفيف الخفيف . ويذكر بعد اللحن موقع الاصبع الذي يبدأ به ليشتد
 الى قراره فيقال مثلاً ثاني ثقيل مطلق او ثاني ثقيل بالوسطى او بالخنصر في مجرى البصر
 او خفيف رمل بالبصر او خفيف ثقيل اول بالبصر الى غير ذلك وهو المعروف عند
 اصحاب هذا الفن بمواقع الاصابع من الدساتين . والله الموفق . اه نقله بحرفه
 بغداد : سائسا

مخطوطات ومطبوعات

الدخيرة لابن بسام

في مكتبة الامة بباريز الجزء الاول من كتاب الدخيرة لان بسام وهو مخط من
 ناقص ورقة من اوله وآخر هذا الجزء ترجمة الوزير ابي عامر بن مسلمة وهو في ٢٦٣ ورقة
 من القطع الكبير حديثاً خط فيما يظهر . وفيها السفر الثاني من كتاب الدخيرة منسوخ
 عن نسخة مكتبة اكسفورد وقد ذكر فيها ان الخط المنقولة عنه ردي جداً ولقد
 جاءت فيها اغلاط قد لا يهتدى اليها واوله فصل في ذكر الاعيان المشاهير ارباب صناع
 المنظوم والمنثور بحضرة اشيلية ونواحيها وما يصاقبها ويدانها من بلاد ساحل البحر
 المحيط الرومي وهو الجانب الغربي من جزيرة الاندلس ويراد ما بقني من غرر اشعارهم
 ومستظرف اخبارهم مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها .

قال ابن بسام: وحضرة الشيبيلة إلى قدم الدهر كانت قاعدة هذا الجانب الغربي من الجزيرة وقرارة الرملة (٢) ومركز الدول المتداولة ومنها شهدت البلاد وأثبت الجهاد عليها الفرسان كأنها العقاب وبهذا الأفق نزل جند حمص من المشرق وسميت حمص ولما كانت دار الأمانة والأكابر نابت فيها الخواطر ودارت مجعاً لصوب المقتول ودرب العلوم وميداني فرسان المنثور والمنظوم لاسيما من أول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه وغلب كل رأس على ما في يديه بعد الدولة الحامدية فاضحت أقطاب الجزيرة يومئذ كبني الأعيان وأهلها كما قال آخر بني عدوان

عذيري الحبيبي من عدوا ن كانوا حية الأرض

بكي بعضهم بعضاً فلم تبق على البعض

فاشتمل هذا القطر الغربي لأول تلك المدة على بيتي حسب وجمهور في أدب مملكتنا من نظم ونحيب حصرنا بلاده وأكثر تارواده فأتاه العلم من كل فج عميق وتبادره العلماء من بين سابق ومسبق وكل ما نشأ من هذين البيتين أمير وان إلى العلم اطلب وفي أهله أرغب والسultan مسوق يجاب إليه ما ينفق لديه حتى اجتمع في الجانب الغربي على ضيق أكتافه وتحيف الحذر قصه الله لأطرافه ما باعى الأقاليم العراقية وانسى بلغاء الدولة الديلمية فقل ما رأيت فيه شاعراً غير قاهر دعوا حر الكلام فلبى وأرادوه فما تأبى وطربتهم في الشعر الطريفة المثلث التي هي على طريقة البحراني في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة وأنا أورد في هذا القسم بعض ما انتهى إلي من خير كلامهم في نثرهم ونظامهم مؤباً ذلك كله بفنون فوائد ومعارف من أخبار يحسن الوقوف عليها على أن الذي بلغني من شعر قطر ثماد من بحر ونقطة من قطر ولقد فاني كثير من الكتاب من أعيان الشعراء ممن كان في ذلك التاريخ منهم من لم اسمع بذكره ومنهم من لم تسمح نفسي بإثبات ما بلغني من شعره وربما جريت ذكر أحدهم غير مؤب عليه ولا مشيراً إليه أما لشيء أجاد فيه وأما أن يتعلق ذكره بذكر من أجريه وقد أبدى بذكر الرجل لمكانه من الاحسان لا تقدمه من الزمان أو لبعض ما يدعوه إليه القول من نسق خبر أو موجب نظر بآول ما ابتدأت به من أهل حمص آل عباد لثباته ذكرهم مع جودة شعرهم اهـ

وهو أورد ابن بسام ترجمة القاضي أبي القاسم محمد بن عباد ثم أورد ترجمة المختص بالله عباد بن ذي الوزارتين القاضي أبي القاسم محمد بن عباد قال فيه :

ثم افضى الامر الى عباد ابنه سنة ٣٣ وتسمي اولاً بفخر للدولة ثم بالمتضد قطب
رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم عليه قريب
ولا بعيد جبار ابرم الامور وهو متنافض واسد فرس الطلق وهو رايس متهور
تخاماه الدهات وجهان (?) لانأمنه الككة متأسف اهتدى ومنبت قطع فما انبى ثار والناس
حرب وكل شيء عايب الب فكفى اقارنه وهم غير واحد وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى
طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده افتتح امره بقتل وزير ابيه حبيب المذكور
طعنه سيف ثغرة الايام ملك بها كفه وجباراً من جبابرة الانام شرده به من خلعه
فاستمر يفري ويخافى واخذ يجمع ويفرق له في كل ناحية ميدان وعكلى كل راية خوان
ضربه سم لا يخطي ومهم لا يخطي وسلمه شر غير مأمون ومتاع الى ادنى حين ٠٠٠
وقد اطال في ترجمته وما وقع له من المحنة وما قاله وقيل فيه من الاشعار ثم اورد
باباً يشتمل على طائفة من الوزراء والاعيان ممن كان في دولة المتضد من ارباب هذا
الشأن واجتلاب مالح وطرف لشعراء كانوا بذلك الاوان مع ما يتعلق بها وبذكر كتبها
قد ترجم ابا حفص عمر بن الحسن الهوزني . و ابا الوليد الباجي و ابا عامر بن مسلة و ابا
الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب و ابا الحسن علي بن حصن الاشيلي و ابا عمرو
ابن الباجي و اتي على جملة من شعر ابي الاصمغ بن عبد العزيز وترجم الوزير ابا العلاء
زهر بن عبد الملك بن زهر الابدسي . والوزير ابا عبيدة البكري و ذا الوزارتين
الفقيه الكاتب ابا بكر محمد بن ساجان المعروف بابن القصيرة وقال فيه . وهو في وثقا
جمهورية البراعة وبقية ائمة الصنعة وعذبة اللسان العربي وسرياء قلب هذا الاقليم
الغربي بحر علم لا يبرح وجبل حلم لا يزحزح من بعض كور اشبيلية نشأ في دولة المتضد
شهر بالعرفان فلزمه ويسر للعلم فعلمه وعلمه وكانت له نفس تأبى الا مزاحمة الاعلام
والخروج على الايام وهو دائماً بغض عدائهما فتجمع ويطن من غلاشها فتتطاول وتطمح متمماً
من خدمة السلطان قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الاعيان بين عفة تزده
وهيبة من المتضد تقعده حتى فطن له ذو الوزارتين بن زيدون فلم يزل يصرح قذى
العطالة عن مائه ويعلي رماد تلك الهيبة عن نار ذكائه الى ان نبه عليه المتضد آخر
دولته فتصرف فيها قليلاً على تقية من تلك البقية . وتقشف من ذلك التعفف الى
ان افضى الامر الى المعتمد واخيه وقد كان في ايام ابيه من بعض من بداخله ويصافيه
لحياء من علاه بهصب وسقاء من نداه بهجر لا بد نوب وانفضه الى منى الوزارة واكثر

ما عول عليه في السفارة فسر غير ماهرة بينه وبين خلفاء من ملوك الطوائف بافقي(?) حتى انصرفت وجوه آمالهم الى امير المسلمين وناصر الدين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين رحمه الله فسر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثير صوابه واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه واضطر المعتمد اليه قريباً من آخر دوله فاعظمت حاله واتسع مجاله واشتهر على الدولة استيلاءه لا قصر عنه اشكاله الى ان كان من خلفه ما كان فكان ذو الوزارتين احد من حرب وفي جملة من نكب واقام على تلك الحال نحواً من ثلثة احوال حتى تذكره امير المسلمين بما كان عهد من حسن خليفته وسراء طريقته وقد حدثت ان سبب ذلك الذكر كتاب كان ورد من صاحب مصر لم يكن به من الجواب ثابته والانصاف منه وتفقد يومئذ اعلام المشاهير فكان ذو الوزرتين اقرب مذكور فاستدعاه لحينه وولاه كسبة دواوينه حتى انساه زمانه اهـ

ثم ترجم الوزير الفقيه الكاتب ابا القاسم محمد بن عبد الله بن الجذ والوزير الكاتب ابا محمد عبد النفور وذو الوزارتين ابا بكر محمد بن عمار والوزير الكاتب ابا الوليد بن المصبي والوزير الادب ابا القاسم بن مرزقان والوزير الكاتب ابا الحسين بن محمد ابن الجذ والادب ابا الحسن البكري والكاتب ابا الحسن صالح بن صالح الشنمري والوزير ابا الحاكم عمرو بن مدحج و ابا الوليد بن عمه ابي حزم والادب ابا بكر بن يحيى بن بكي

ثم اورد فصلاً يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء والاعيان الادباء الشعراء ممن نشأ في الدولة المورخة بحضرة بطليوس وسائر بلاد البحر المحيط الرومي والاندرلس وذكر منهم المظفر ابا بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس والوزير الكاتب ابا عبد الله محمد بن ائين والوزير الكاتب ابا محمد عبد المجيد بن عبدون والادب ابا جعفر احمد عبد الله بن هررة القيسي الاعشى القسطلبي والوزير الكاتب ابا بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي والوزير الكاتب ابا بكر بن قومان والادب ابا زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوبي والشيخ ابا الحسن علي بن اسماعيل القوشى الاشبوبي والادب ابا عبد الله محمد بن الفيق وذو الوزارتين ابا محمد بن هود والشيخ الادب ابن عمر بن فتح بن زلوحنة والادب ابا عمر يوسف بن كوثر الشتريني والادب ابا الوليد المعروف بالنحلي والوزير الكاتب ابا بكر محمد بن سوار الاشبوبي والادب ابا محمد عبد الله بن صارة الشتريني

وهذا الجزء في ٢٦٥ ورقة والجزء الثالث من هذا السفر منقول عن نسخة مغربية محفوظة في مكتبة غوتا وأوله في ذكر الجانب الشرقي من جزيرة الاندلس وتسميته من نجم في أفقه من رجال النظم والنثر والرياسة بدأه بتوجه أبي عمر القسطلي ثم ذكر ذا الوزارتين أبي عبد الله الطاهر وذا الوزارتين أبي عامر بن الفرج وذا الوزارتين القائماني عيسى ابن لبون وذا الرياستين أبا مروان عبد الملك بن رزين والوزير الكاتب أبا أحمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النخعي والوزير الكاتب أبا غامر بن التاكرقي والوزير الكاتب أبا المظفر عبد الرحمن بن ساحر المعروف بأبي الدباج والأديب أبا الربيع سليمان بن مهران السرقسطي والأديب الأستاذ النخعي أبا عبد الله بن خصة الضرير والأديب أبا مروان بن غصن الحجاري والأديب أبا علي أدريس بن أبي ليلى والوزير الكاتب أبا الأصمعي بن أرقم والكاتب أبا المظفر بن مثنى وهو عبد الرحمن بن أحمد ابن صيعون والوزير الكاتب أبا عمر بن الفلاس والوزير الكاتب أبا جعفر بن جرح والوزير الكاتب أبا الفضل بن حداي الأسلامي والأديب الكاتب أبا الربيع سليمان بن أحمد القضاعي والأديب أبا عامر البهاري والأديب أبا اسحاق بن خفاجة والأديب أبا حاتم الحجاري والأديب أبا بكر محمد بن عيسى الداني والأديب أبا جعفر أحمد بن الدودين البلسني والكاتب أبا جعفر بن أحمد مردانية والوزير الكاتب أبا الخطاب عمر بن أحمد بن عبد الله بن غيطون النخعي الطليطلي وذا الوزارتين الكاتب أبا عبد الله ابن أبي الخصال قال فيه : حامل لواء النباهة بالروية والبداهة مع منظر ووفار وشيم كصفو العتار ومقول أمضى من ذي الفتار وله أدب بحره يزخر ومذهب يباهي ويفخر وهو وإن كان حامل المنشأ نازله لم تنزله منازل ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتخبر من جنسه والذي الحقه بالمجد وأوقعه بالمكان التجدد ذكاه طبع عليه طبعه ونجم في سرية النباهة

ثم ذكر الكاتب أبا عبد الله محمد بن أبي الخصال والوزير أبا أحمد بن القاسم والأديب أبا تمام غالب الملقب بالحجام وهنا انتهت الجزء الثالث وهو في ٢٣٣ ورقة وجاء في آخره أنه يتلو في أول السفر الذي يليه في ذكر الحديث أبو عامر بن الأصيل . وفي هذه الأجزاء من الشعر الغريب والنثر المطرب ما هو ديوان الأدب وناهيك بسجعات ابن بسام التي هي أبهى من سجع الحمام بل وناهيك بما يقع عليه اختياره من نظم الكلام ونثاره ومن هذه الأجزاء يؤخذ ديوان أنشاء في السلطانيات والأخوانيات والتهنئات والتعزيات

والشغاف والوسائل والجهاد وفي مقاصد شتى

فيا حبذا لو تصدى لطبعه احدا ثمة علماء المشرقيات في الغرب ليخدم بذلك التاريخ والادب العربي . وفي مكتبة هذه المجلة النصف الاول من هذا الكتاب وهو بخط مغربي يقع في المعارضة اذا كتب الطبع للكتاب ونحن نقدمه ان يصدى لطبعه مع الشكر وقد اقتبسنا منه عدة تراجم في مجلدات المقتبس الماضية مع بعض الصعوبة لئلا يفتقر اليه

ديوان احمد نسيم

اهدانا هذا الشاعر المصري الجزئين الاولين من ديوانه وفيهما قصائد في اغراض شتى وبعضها اجتماعي وهما نموذجان من شعره قال في الشرق ومصر :

تداعت رواسي الشرق فأنهال جأزه	وماسم حتى افقدته نوابه
تجاربه الاعداء من كل جانب	ولم يكفهم ان الزمان يحاربه
تحد على هاماته شفراته	وترهف فوق الناصيات فواضه
وحبك ان الشرق في كل امة	مآثره مشهورة ومنافقه
تخرج منه الفاتحون لارضه	فاجت به الطحناؤه وسباسه
وكان عربيا لانضمام ليوثه	وكان كناسا لانهان ربابه
وكان قديما مهيظا لنجد والعلی	ومصعد غطريف ترجى مواهبه
وكان طليقا ازهر اللون وجهه	وللغرب وجه اصفر اللون شاحبه
له النصر والتأييد في كل غارة	اذا زحفت يوم الصدام كتابه
وكم بات مختالا بكل مملك	تسير على هام العباد مواكبه
وكم صال والهجاه فان نجيها	بكل صقيل لانفل مضاربه
اذا ما جرى وثبا الى مطلع النهى	فلا من يحاربه ولا من يواثبه
فيا شرق تأساء اذا ناخ كل كل	من الغرب اذ مدت اليك مخالبه
تقدمك الغرب المحمد فلم يدع	مكائنا تدانيه العلى وتقاربه
هرمت فلم تقدر على الدأب فأنشئ	يشاطرك الدنيا وما طر شاربه
ومن عجب طفل على الثدي مرضع	يطاول شيخا حنكته تجاربه
جنبت الى حب الخمول ولم نصر	على سنن يرجو الهداية جائبه

صدقتك ما في الشرق الا شرادم
وما فيهم الا مضل مموه
وتفي كل يوم يتلي بـناهض
تغير على عرش الملوك عصائبه
تخور خوار الثور آذاه ضاربه
على القوم حتى اخطأ الرأي صائبه

اعتب قومي والعقاب تودد
الى م ضياع العمر في غير عائد
يصاب الفتى بالحادثات تحيطه
مائب لا تحصي اذا ما عددها
خمول ولهو وانحطاط وذلة
وكم ما كر ينساب ارقم مكره
يمينك فانظر نظرة المرء خلسة
ارى ناظر الشرقي يرنو من الالى
ومما يزيد النفس بوساً وحسرة
وما الشرق الا موطن عبث به
اضاعوا حى يجري النضار بارضه
كذا الشرق في اطواره طول عمره
اذا لم اجد بين الورى من اعابه
يحدوى ولم يرجع من العمر ذاهبه
واول من بسى اليها اقراره
ورحم الفتى ان لاتعد معابه
وعذر ووعد لا يؤنب كاذره
وأخر مشاء تدب عقارب
تجد بالساملى على الضيم غاربه
رنو امرى ضاقت عليه مذاهبه
تربصها خطباً تبت تراقبه
على غرة ابنائه واجانبه
وتهمي عليه بالخبين محائبه
غرائب ماتنقضي وعجائبه

رثيتك يارض الفراعنة الا الى
ورثت بفضل العلم عزاً متمعاً
ولا خير في عرش من الغرب ربه
أفبقي فما في الجهل الا مذلة
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله
ولا تقنطي من رحمة الله مرة
امتلي ترين الغرب بقطان شاخصاً
وددت بلادي ان تسود بنفسها

وقال من قصيدة :

بعض الشيوخ ولا أقول جميعهم
تخذوا البغيت والعناد لزاماً

رثت عواطفهم وبات ضميرهم
 القوا الجمود وكل شئج همه
 يمشون فوق الارض اعرض اهلها
 فروا من العلم الحديث وحسبهم
 حب الجبان النفس خلفه لقي
 وهم الذين اذا تضاقر جمعهم
 والله لو شهروا سلاح علومهم
 ولربما غلب الضعيف بعلمه
 قد حرموا علم الحساب وساءهم
 فنعوا بتجويد القراءة واكتفوا
 سلمهم عن الاهرام تسمع قولهم
 سلمهم عن اليايات تعرف انها
 سلمهم عن الميكاد تعرف انه
 سلمهم عن الامزون تعرف انه
 الى ان قال :

يانصف أميين كيف قرأتم
 هل في اللغات نقيصة ان شئتم
 وهم الذين كما نراهم اتفقوا
 مستشرق حفظ الكتاب وآخر
 يكتي رجال الغرب كل عجيبة
 بلغوا المطار وسوف تسمع انهم
 عابوا جمود المسلمين وصرخوا
 عشقوا الحياة وما عشقنا بعدهم
 غنا وياتوا ساهدين وفاتنا
 متعنتين على الدخيل فان يضي
 حتى يظن الدين دين تعنت

ونسيت ان تعملوا الاقلاما
 ان تفحموا اربابها الاعجاما
 لغة النبي كتابة وكلاما
 اخذ الشرائع عنه والاحكاما
 تعي الظنون وتعجز الالهاما
 جازوا الهواء وخطبوا الاجراما
 ان لانعد مع الانام انا
 الاجوداً يشبه الاعداما
 حب الجمود على الضلال نياما
 نخرج اليه من الضياء ظلاما
 او دين قوم اشبهوا الانعاما

نقريه المجمع العلمى السميثونى عن سنة ١٩٠٧

**ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN
INSTITUTION 1907**

من اهم الجمعيات العلمية فى امريكا الشمالية هذه الجمعية التى جعلت مقرها فى واشنطن
وامامنا الان نقريه السنوي عن سنة ١٩٠٧ وقد وقع فى ٧٢٦ صفحة وفيه عدة مقالات
وابحاث مفيدة بالانكليزية فى الفلك وطبقات الارض والظواهر الجوية والطبيعات
والكيمياء والمعادن والتعدين والنبات والحيوان وعلم البشر حوت ٣٧ بحثا فى الاغراض
المشار اليها مع بعض الصور والرسوم الانيقة فقالة فى آلة التوربين البخارية على اليابسة
والماء ومقالة فى ارتفاع التركيب الميكانيكي فى الطباعة وفى بعض حقائق عن الكمياء
وابحاث جديدة فى التلغراف اللاسلكي وخصايات الانوار الكهربائية المتنوعة وتقدم
صناعة التعدين الكهربائية وتقدم جديد فى التصوير الشمسي الملون والبرق فى افرقية
الجنوبية قبل نزول الاوربيين فيها وآلة رخيصة الثمن لتحصيل علم الفلك وعلم طبقات داخل
الارض وبحر سلطون والطرق المائية فى البلاد وارتفاع علم الظواهر الجوية مثالب
لارتفاع العلم العام ومنزلة علم النبات القديم فى وقتنا الحاضر وحدائق الحيوانات سيغ
بريطانيا والبلجيكي وهولاندة وعلم الحيوان الاصلي تقدمه وغايته والتاريخ العام لقوات
الشيدي البحرية وشعوب اقليم البحر المتوسط واليابان قبل التاريخ واصل الحضارة المصرية
والمضخة النارية واصل المجدبة الكنعانيين ومسألة تسمية الالوان ومقالة فى الدرن واخرى
فى ترجمة مارسلن بيرثيون وغير ذلك . والتقريرات كالتقريرات السابقة فى الغاية من حيث
الطبع والوضع فتى يكون للشرق العربي مثل هذه الجمعية التى تحيى العلوم المادية وتخلص
من دور الادبيات والخيالات

نقريه المجمع العلمى السميثونى عن سنة ١٩٠٨

**ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN
INSTITUTION 1908**

هذا التقرير اكبر من التقرير السابق حجماً واغزر مادة يدو عليه النمو الغربى
وتبين منه ارتفاع هذه الجمعية الراقية ومباحثه تدور كطريدة على العلوم المادية والطبيعية فمن
مقالاته الموقعة بتواقع اهل هذا الشأن مقالة فى المناطيد الحربية واخرى فى التلغراف
اللاسلكي وفى التصوير الشمسي والحلأكي (الفونوغراف) والمادة والاثير وارتفاع الكيمياء
الامة والطبيعة فى الاربعين سنة الاخيرة وارتفاع الفوائد فى عشرين سنة ومباحث

حديثه في تكوين الكون وتغيرات المناخ واسبابها واورنوس علم طبقات الارض وسيف
معارفنا الحاضرة عن الارض ورحلات الى القطب الجنوبي من سنة ١٨٨٩ وبعض
مناظر جيولوجية من النيل وفي الوراثة وفصائل النبات وصبار المكسيك وسمك انكار
وانواعه وطيور الهند ونشوء الفيل والحمة الدورية في اليونان وكارل فون لينني احد علماء
الجيولوجيا وترجمة اللورد كلفن واعمال هنري ركويرل . وجميع هذه المقالات في الغاية
من التحقيق وبدخل هذا المجلد في ٨٠٠ صفحة جمعت فلوحت وفيه مجلدات النين
السابقة قائمة اعمال الجمعية والغرض منها ودخلها وخرجها لازال التوفيق حليف الجامع
العلمية على اختلاف لغاتها واغراضها

الريحانيات

طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

قليل في كتابنا من خلصوا من ربة التلمذ وقليل فيهم من يكتب ليفيد . وامين
افندي ريحاني صاحب كتاب الريحانيات هو من امثل كتابنا وشـمرانا نجما من
التقاليد ووقف نفسه على نشر ما يفيد واشتهر بانه العربي الذي فاق الانكليزي في البيان
الانكليزي فيكتب وينظم كافضل ادبائهم ومصنفه رباعيات ابي العلاء الذي ترجمه
شعرا الى الانكليزية ومقالاته في الجملات الابريكية والانكليزية ادل دليل على تبريزه
ولكنه على هذه المزية الممدوحة في منافسة افاضل الانكليز لم تفته منافسة كتاب العربية
فكتب ونشر عدة مقالات وابحاث في الجرائد العربية في اميركا ومصر والشام كما طبع
من قلمه كتابين احدهما المحالفة الثلاثية والآخر المكاري والكاهن وجميع ما كتبه كتبه
لا ليقال انه كتب بل لنفع قراء العربية وقد طبع هذه الآونة الجزء الاول من مقالانه
التي نشرها في الجرائد من قلمه

صدء كتابه بشذرة من خطه جاء فيها وهو ما يمين على الغرض من نشر الكتاب
« جرد نفسك ولو بضع ساعات من اظمار الاجيال وتعال نخب معاً . ومتى وصلت الى
كعبة الحقيقة وانت في مئزر الحج تجد هناك اثوابك الموروثة واثواباً اخرى جديدة
الى جانبها فاما انك تعود الى ما كنت عليه تتلبس ما لفته وتسير في سبيلك واما انك
تعتاضه بثوب ليس بفخيم ولكن من الرقع والفتوق سليم . وفي كل حال لا انسى
انك آكلت من جفنتي وشربت من ابريقي ونمت في خيمتي »
في الكتاب عدة مقالات اكثرها مما كتبه تحت سما اميركا فرشحت الكتابه من

افكار محيطها وصدرت كأنها غريبة لاشرقية وأكثرها من نمط الشعر المنشور كمقالة وادي
 الفريكة التي وصف فيها الكاتب قريته وما فيها من مظاهر الطبيعة البهجة فاجاد من
 وراء الغاية ومقالات « الكتاب » « انوار الافكار » « مناهج الحياة » « الصلوة »
 « جهل الانسان لحكمة الخالق » « عظة رأس السنة » « من على جسر بروكن » « فوق
 سطوح نوورك » « الفقر وبنوه » « التمدن الحديث » « الضجيج والضوضاء » « روح
 هذا الزمان » « شهداء العلم » « الحرب التي تهمني » « الخيانة والخاس » « خطاب
 المسيح » « بين اللاهوتيين والعلماء » « ماهي السعادة » « بيتان للتنبؤ » « مكروب
 السعادة » « المصيبة في التعزية والتعزية في المصيبة » « الرداء الاسود » « فلتز
 « جان جاك روسو » « ولیم غارسون » « تولستوي » « ابن سهل الاندلسي » « الثورة
 الافرنسية » « بذور للزراعين » وغيرها

والكتاب تندفق حرية الفكر من اطرافه ورقة الاحساس من سطوره وبعد النظر
 من مراميه ومعانيه وكله معان فلسفية في قوالب عصرية وروح شفاقة في شعور جديد
 ولقد قرأنا مرات بعض المقالات ونحن الآن نحب ان نعيد تلاوتها اذ قل في ارباب
 الاقلام مثل هذا النفس في اصلاح الافكار والتلطف في ابلاغ العقول الجامدة
 محاسن الحضارة المدهشة والتجديد المفيد

وما أحلى قول الكاتب من مقالة في جسر بروكن وهو جسر نوورك يخاطب تمثال
 الحرية قائلاً : « متى ياترى تصير الحرية مثل هذا القمر فتوقد مصباحها لا في الغرب
 فقط بل في الشرق وفي الجنوب وفي الشمال — في العالم بأسره . متى تحولين وجهك
 نحو الشرق ابتها الحرية ؟ متى يمتزج نورك بنور هذا البدر الباهر فيدور معه حول الارض
 وبضيئ ظلمات كل شعب مظلوم ؟ ابتأق ان يرى المستقبل تمثالاً للحرية بجانب الاهرام ؟
 يمكن ان ترى لك في بحر الروم مثيلاً ؟ اممكن ان يولد لك اخوات في الدردنيل وفي
 بحر الهند وفي خليج الصين ؟ ابتها الحرية متى تدورين مع البدر حول الارض لتنتيري
 ظلمات الشعوب القيدة والام المستعبدة

« وابتها البواخر المقلدة الى اوربا ومصر وعذن والهند منسوجات » « نواكلند »
 « وقطن » « فرجينيا » « وحديد » « بنسلفانيا » « وقمح » « تكساس » « وخشب » « فرمنت » « خذي
 معك الى بحر الروم وبحر الهند والبحر الاحمر والبحر المتوسط بعض موجات من هذه
 الامواج التي تغسل ابدانتمثال الحرية . خذي معك ولو زجاجة صغيرة من الماء المقدس -

ورثي منها سواحل مصر وسورية وفلسطين وارمينيا والافانول وكل جزيرة قبرين بها
وكل بلاد تقصديها وكل شعب تحيي سواريك قباب كنائسه وماذن جوامعه .

« احمل سلام هذه الآلهة التي تنير الآن طريقك في الخروج من العالم الجديد
وتوكل بها ملها في الساء من شقيقات باهرات . احمل الى الشرق شيئاً من نشاط الغرب
وعودي الى الغرب بشيء من تقاعد الشرق . احمل الى الهند بالة من حكمة الاميركان
العملية وعودي الى نيويورك ببضعة اكياس من بذور الفلسفة الهندية افذي على مصر
وسورية بفيض من ثمار العلوم الهندسية واقفلي الى هذه البلاد بفيض من المكارم العربية .
ايتها البواخر الآية حيي عن جسر بروكلن خرائب تدمر وقلعة بعلبك وأقراي اهرام
مصر سلام هذه المعالم الشاهقة المشعشة بالكهرباء . سيرى ابتها الدفن بسلام وارجمي
بسلام

وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا اقدر ان اناها حياتي . لا اتناساها
لانها عندي اشبه بزموزجيلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث هي مراحل في رحلتي
الفكرية التي باشرتها منذ خمس سنين — او من حين ولدت . نعم اني طفل في العالم
الروحي اني سائح في مروج النفس واوديتها امامي مسافة طويلة يجب ان اجتازها وتحيي
هوة هائلة يجب ان اسبر غورها وفوق فضاء غير متناه فينبغي لي ان اتمتع بجباله وحولي
من المروج والجبال والانهر والبحار مايشغل اعظم وقتي لو عشت الف عام .

اما المناظر الثلاثة التي تتمتع بها طرفي حتى الآن فقد تركت اثراً عظيماً في نفسي فهي
لبنان وسواحله من ذروة جبل صنين وباريز من على برج ابفل ونويرك من الليل في
منتصف جسر بروكلن فالأول انما هو رمز الطبيعة والثاني رمز النون الجميلة والثالث
رمز الكد والاجتهاد وهذي هي دعائم الحياة الروحية الثلاث فالمنظر الاول صنعة الله
والمنظران الآخران صنعة الانسان المنظر الاول او الطبيعة هو منبع النفعات الالهية
والالهامات الروحية والمنظر الثاني او باريز هو منبع التفنن في الصناعة على الاطلاق والمنظر
الثالث المنبسط امامي الآن انما هو عنوان الجهاد والجلد والثبات والنجاح

فاذا كنت ايتها القاري شاعراً أو مصوراً أو كاتباً بل لو كنت صانعاً أو دناناً أو اسكافاً
وجه نظرك الى الطبيعة ولا تستمد منها الالهام الالهي وعنهما تقتبس الالوان البديعة
والمناظر الجميلة والاشكال الانيقة والنفعات السماوية وعرج على باريز ثانياً نتمتع فيها
دقة الصناعة ولطافة الاسلوب وجمال الفنون وغرابة الابداع وسر الابتكار وانزل على

نوريك ثالثاً تأخذ منها الاجتهاد والجلادة وتعلم من اهلها الاستقلال في العمل والثبات بعد الفشل . الطيبة - التفنن - الاجتهاد - هذي هي اساس الاعمال الفكرية هذي هي دعائم الحياة الروحية . لبنان - باريز - نوريك - في الاولى روجي وفي الثانية قلبي وفي الثالثة الآن جسدي »

والكاتب ليس من الملاحدة كما يتهمه اعداؤه بل هو ملحد باكثر ما يشرخص به المتحرصون من الشروح على المتن ومن قرأ مقالته في « فلتير » الفيلسوف الفرنسي ينجلي له من اي نحلة كان ان الحرية ان لا تراعي اخاك ولا اباك فيما تعتقد صحته . قال : الاتحاد مضر بالصحة فهو لاشك ينفخ الصدر ولكنه يضعف القلب و يصغر الرئتين . اقول هذا عن اختبار ولا اقول اكثر من ذلك ليعلم القاري ، فكره . اذا الاتحاد مضر بالصحة ومهما قلتم لا اوضح . اختبروا لانفسكم ان شئتم ولكن اياكم والتطوح واذا كنتم لاتعرفون الحدود فالاجدر بكم ان لاتجربوا لئلا تملك فيكم جرائم المرض واذا كانت معدنكم ضعيفة فايكم وقلتم .

وبعد ان افاض في مزاييا هذا الفيلسوف ومآتيه ومنازعه آخذه على روايته التعصب التي طعن فيها على الاسلام واهداها الى البابا فقبها هذا بكل سرور وبث الى فلتير كتاباً لطيفاً اثني فيه على غيرته (بنج بخ) وانتقد بعض آيات في الرواية الشعرية فاجابه فلتير متجامللاً على عادته في مثل هذه الامور انك لاشك معصوم عن الغلط في المسائل الادبية ايضاً (زه ثم زه) هكذا تبادل الاثنان عواطف الولاء الكاذب وانتصر فلتير على اعدائه اليسوعيين وانصارهم ولا يخفى على القاري اللبيب ما في هذا العمل من السياسة والحيلة والمكر ناهيك بان الكاتب اخطأ في انتقاده الدين الاسلامي وفي تجملله المنكر على مؤسسه العظيم . . . »

وهذه التبرذجات كافية في بيان فضل هذا التأليف النفيس ومنزلة ابي عذره من سلامة الفطرة و بعد النور والظفر فله منا الشكر على ما التحف به عالم الآداب من هذا السفر الجديد في وضعه وطبعه

ارشاد الاريت الى معرفة الاديب

المعروف بجميع الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي

نشر الاستاذ مرجيولت استاذ اللغة العربية في كلية اكفورد القسم الاول من الجزء الثالث من هذا السفر النفيس الذي يطبع على نفقة أسرة جيب الانكليزية . في هذا

الجزء ٤٤ ترجمة من حرف الحاء وفيه من الاعلام ترجمة السرياني وابن رشيق وإبي هلال العسكري والاسكافي وابن مقلة وغيرهم وطرف من اخبارهم ومنثورهم ومنظومهم واكثره مما لم ينتشر بالطبع حتى الآن فسد بذلك فراغاً مهماً في آداب العربية . وانا لشكر شكري للاستاذ مرجليوث اغبرته على آدابنا اكثر من غيرتنا انفسنا ونرجوا ان يوفق الى اتمامه على ما يجب ويجب عشاق العلم المولعون باحياء آثار السلف كتب متفرقة

مبادي العلوم السياسية والتاريخ الدستوري — الفه مصطفى افندي صبري فيه كلام مفيد في المجالس النيابية ونظام الحكومات ولاسيما العثمانية والمصرية والانقلابات السياسية والاقطاعات يطلب من مؤلفه في مصر

غرائب الاعتراب ونزهة الالباب — هو رحلة للسيد محمود الآلومي صاحب التأليف المهمة وفيه وصف رحلته من بغداد الى الاسكندرية ومن لقيهم في عهده من المشاهير والبلاد التي حلها طبع في بغداد في مطبعة الشاندر

الخلاصة العراقية في تاريخ ادب اللغة العربية — هو كتاب في تاريخ العربية وتراجم الكتاب والشعراء الاقدمين من اهلها تأليف احمد افندي حسن الزيات في القاهرة . فهرس مقتنيات الآثار العربية — تأليف مكس هراس بك رئيس مهندسي دار الآثار العربية بمصر وتعريب علي بك بهجت وكيها وفيه تاريخ هذه الدار والغاية من انشائها

المجموعة العلمية — مجموعة رسائل في الرياضيات والطبيعات وضها عبد الواحد افندي حمدي في مصر

فلسفة التشو والارتقاء — او مجموعة الدكتور شبلي شميل وفيها كثير من كتابات هذا المفكر الكبير في مجلدين ظهرا منها حتى الآن وتطلب من القاهرة

مشاهد الممالك — فيه وصف مسهب لبلاد اوربا واميركا وكثير من افريقية وآسيا وكلها مما ساه فيه المؤلف ادوار بك الياس في القاهرة

نصائح للامهات — عربي الدكتور فريد عبدالله في مصر وهو نصائح لربات البيوت

العناية باطفالهن عند غيبة الطبيب

المقدمة

درس على كتاب الدارس في المدارس^(١)

أيها السادة :

ان تاريخ كل أمة سواء كان مجيداً او غير مجيد قد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه
لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تقترب عليها نهضة الامم احياناً
وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بان تسرع بخطا الشعوب الى مراقي الصعود
ومعناه انه اذا كان ماضي الامة عظيماً محترماً في التاريخ تحوّل الى ان يكون اعظم احتراماً
في حاضرها او على ان تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئاً منه . واذا كان ماضيها
سيئاً غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه وتطاب لنفسها حاضراً أسعد منه .
فالتجربة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟
تحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخاً فتدرسه وماضياً فتبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا
كان تاريخاً مجيداً له آثار معروفة في الوجود واثراً محققاً في الاجتماع . والامة كالفرس
نفخورة بالماضي الجميل اذا تمثل لها نفع فيها من روحه فلا لها نشاطاً ودفعها الى الامام
اشواطاً

وان امة لاتعرف تاريخها أحربها ان يتكرها الزمان وتزدي بها الشعوب لجهلها
بماضي التاريخ وتكرها الانسانية وتكرها السماء والارض
ان المدنية الاسلامية التي رفع منارها اسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض

^(١) محاضرة القاها رفيق بك العظيم في منتدى القوتلي في دمشق يوم ١٤ شعبان

سنة ١٣٢٨

ومجرى الاجتماع كان لمدنكم هذه حظ وفير منها لاسيما في التوفر على اثناء معاهد العلم ودور التربية والتثديف

هذا ايها السادة مدعائي لان افق ينكم خطيباً افق صحيفة من ماضي التاريخ فيما يتعلق باملافكم الغابرين ومدنكم الفجاء وفيها ذكرى للذاكرين « وذكرفان الذكرى تنفع المؤمنين »

ان هذه الذكرى ما ترونه في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الـ ثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (المدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعمي وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العبزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعا وثمانين لو وزعت المدارس منها على السنين منذ اثناء اول مدرسة في القرن الخامس الى سنة احدى وتسعين واربعمئة الى عهد المؤلف في اواخر القرن التاسع لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تنشأ او دار للعبزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما انشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نثلو عليكم بعضا من اسماء المدارس التي جاءت فيه ولا اطيل خوفا من ضيق الوقت

اما تراخي اثناء هذه المدارس بالضبط والاقواق التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها او نبغوا فيها من علماء الشريعة يمثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن قيمه صاحب التآليف الكثيرة وقاضي النضاه صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير والعلماد ابن كثير والنووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزي واشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل الرؤساء ابن ابي أصيعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين اللبودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين البخاراز وعماد الدين الدنيسري واضراهم

ومن علماء العقلات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن ابي الحكم الباهلي وعن الدين السويدي وابي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب البيارستان الثوري القائم الى اليوم من عمل يده واضراهم

وها انا اترأ لكم مثالا واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاستمعوا ما قال تاريخ المدارس هذا في ترجمة افضل الدين ابن ابى الحكم نفعاً عن الصندي
 (محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو افضل الدين ابو المجد بن ابى الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً حاذقاً وله يد طويلة في الهندسة والنجوم (اي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل اورغناً وبالغ في اتقائه وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نور الدين بن الشهيد ولما عمر البجارسن والمستشفى النوري بدمشق جعل امر الطب فيه الى آخر ما قال
 هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من اهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس او تخرجوا الى رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمؤلفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب الكواكب لابن عروة الحنبلي في اكثر من مائة مجلد وتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلداً وهم موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليها ما ألفه علماء تلك الزون الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالهندسة والحساب وغير ذلك من العلوم علم مقدار مالهذه المدارس ومؤسسيها من الفضل على الامة وما للناشرين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتجوير وما عاونه من النصب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم وما قولكم في ان عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكيمة كما ذكر ذلك ابن ابى أصيدعة في ترجمة الموما اليه

ولا يظنن بعضهم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطالبتهم من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها كلا فان فيها مدارس لغير العلوم الشرعية كالطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخوازية والدينيسرية والبودية كما سترون ذلك فيما يأتي من الكلام ان شاء الله

ولقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعة بين طلابه من كل فن وان الطبيب او الفلكي مثلاً كان يلقي دروسه في اي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة

بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس على شكلها المهود اي قبل القرن الرابع اشبه بمدارس للعلم بل هي المدارس بعينها وما زالت كذلك معاهد للعلم والعبادة معاً الى اليوم كما تعلمون
واذكر لكم مثالا واحداً على ان المدارس كانت مشاعة لطلاب كل علم ما نقاه ابن ابي أصبغة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال :

« وكان مقما في دمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للشتغلين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئا من العلوم الحكيمية »
واعلموا ايها السادة ان كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خريجي هذه المدارس بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثالا للباقيين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ما جاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلاً عن ابن كثير

(الجمال المحقق احمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي) اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وافني واعاد وكان فاضلاً في الطب وقد ولي مشيخة الدخاوية (مدرسة طيبة) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرفى بالبيمارستان النوري على قاعدة الاطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية ومعيداً بعدة مدارس الى آخر ما قال

هذا يدلكم على ان العلوم كانت مشاعة بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالماً بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ والاجتماع في اوروبا كدري ومونتسكيو وكوستاف لوبيون وافردوا المدنية الاسلامية كتباً خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركته هذه الحضارة من آثار الترقى والعلم التي يجملها اهل هذا العهد باللاسف والعار

نحن الآن ايها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة تلك المدنية الاسلامية التي اخنى عليها الزمان واذا سمعتم لي فاني اختم كلامي ببذرة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب الدارس هذا ان شاء الله

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور المحزة التي انشئت في دمشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وانفق من ماله على طلابها اهي الحكومة او الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم اتكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة او يطلب من الحكومة اليوم

ولهذا فان كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما انشأه الافراد وقام بال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لحض الخير و ارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين

لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذو السلطة كما قد يتوهم بعضهم كلال بل كان الافراد من كل الطبقات من اهل اليسار يتسابقون الى اقامة المعاهد العلمية حسبة لله وحبا بعمل الخير واستبقاء للذكر الصالح في الوجود

فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسوا هذه المدارس كل مدرسة بوساسها شخص بمفرده وبجس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها بل اقول لكم والحق بكاد يمنعني من التكلم والخرن يوشك ان يعتقد اني ان العبدان —عبدان اسلافكم ايها السادة — شيدوا باموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فيا للفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين تحط السادة الى منزلة العبدان

ان العبدان كانوا ارفع نفوسا واحسن كفونا منا الآن بالحق بل والحسرات ان الكلام وحده لا يغني عن البرهان وانكم تنتظرون مني الدليل بعد هذا البيان واليك امثلة من عمل العلماء . والتجار . والسيدات . والعبدان قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب

(المدرسة الطيبة الدخوازية «الدخوارية») المدرسة الدخوازية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي انشأها مذهب الدين عبد المتعم بن علي بن حامد المعروف بالدخوازي في سنة احدى وعشرين وستمائة بالصاغة العتيقة كما تقدم واول من درس فيها واقنها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدينسري وهو بها الى الآن

(المدرسة الدنيسرية) غربي البيارستان النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبلة قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وستائة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربيعي » الرئيس الطبيب ولد بدنيسر سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وقفته للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب به وصنف الى ان قال نقلا عن الاسدي : العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيارستان نور الدين الشهيد الخ .

(المدرسة البودية) البودية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وستائة : الى ان قال نقلا عن ابن ابي أصيبعة . كان علامة وقته وافضل اهل زمانه في العلوم الحكيمة الخ

هذه امثلة من عمل العلماء : واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير لاخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخالص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبعائة وكان ابيه ابره ايانا ادركه جماعة وهو يباشر ملبنة عند جامع يلبغا فنشأ ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفرة سافرها كسب فيها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة وانشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار اتفق علي عمارها ما يزيد على مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثرية الحسنة وعين الحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام والشمع والزيت في كل عام الى آخر ما قال

وهذا مثال لتاجر غيره ايضا : (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدويلة وقبلتي السيفية الحبلية : قال ابن شعدة باتمها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه المبرر في

من مات سنة اثنتين وعشرين ومائة والزي بن راحة هبة الله بن محمد الانصاري
التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق واخرى بجلب الخ
ومن امثلة عمل النساء : (المدرسة العالية) العالية شرقي الرباط الناصري غربي
سفيح قاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشحنة الصالحة العالمة للطبفة بنت الشيخ الناصح
الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشيعية بانها الشيخ ابو
عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين
ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة الصاحية بقاسيون على
الخطابة الخ

ومن امثلة عمل العبدان والطواشية (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بابي النصر
والجالية قبلي العذراوية بشرق قال القاضي عز الدين بنابها صارم الدين ازبك مملوك
قايماز النجفي ورأيت مرسوما بعبثتها ما صورته

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا انكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر
عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحما الله تعالى الخ
ارأيت ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبين وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا
يحملون مالا يعملهم الجماعات منكم اليوم

ان الافراد هم الذين ينهضون بالام وان المدنية الاسلامية التي تلوت عليكم حلقة
من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشييد بنيانها
تعلمون ايها السادة ما كان لترجمة كتب اهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى
العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء
العباسيين وقد يتوهم بعضهم ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم
واخصهم امير المؤمنين المأمون والحال ان لكثير من الافراد ورجال الفضل والتبيل
من الامة بدأ لا تنكر في هذا السبيل .

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن
عملهم مجتمعين

ولذا فلا بالغ اذا قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بدكانهم وعلمهم المدنية وشيدوا

أركانها الرفيعة إنما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل أهل السخاء والجود من محبي العلم والترقي وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية إلى اللغة العربية

ومن هؤلاء الأفاضل الأجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من أموالهم على المترجمين لكتب العلم في تلك العصور : علي بن عيسى العباسي : ومحمد بن موسى بن شاذان الرياضي الشهير : وعلي بن يحيى الكاتب : وابن المدر الكاتب : وثاوري الأسقف : ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير : وبختيشوع الطيب : وبوحنا بن ماسويه الطيب : والعديد الكثير من أمثالهم المولعين بالترقي والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم أموالاً طائلة على نقله العلوم إلى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن أبي أصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات أنه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين ألف دينار . قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا المقصد

إننا والله نتمنى أن تجمع هذه الألف دينار في كل شهر من ألف غني من أغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من أبناء الأوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضوا ابتائهم أضعافاً مضاعفة في الغد . بل لو فعل ذلك أهل كل ولاية عثمانية لأصبحت المملكة العثمانية بعد عشر سنين جنة قطوفها العلم رسياجها القوة والحياة . ولنعد إلى ما كنا بصدده فنقول :

يمثل هذا البذل على نقل كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر أركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التمدن الإسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاذان المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وبني عثمان الدمشقي وابن كرتيب وبني عدي المتطقي وبني الفرج الطيب وبني الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وبني نصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة إبان الحضارة الإسلامية

ومثل بني زهر وبني يحيى بن السيمينة وبني القاسم المرحيطي أمام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمع الفرناطي المهندس وسعيد بن عبد ربه وبني جعفر الترحالي وبني الوليد ابن رشد وابنيه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والبشر
ابن فائق وعلي بن رضوان وتلميذه افرائيم بن الزفان والشيخ السدبد رئيس الاطباء
وشمس الرياسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين ابي حليقة واشافم من ظهوروا في مصر
كل هو لاء من ثناء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من
العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة من ظهوروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد
ومصر وفارس والمغرب والروم اي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار ونهضوا بالامة
واعاوا ذكر المدينة الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة
قدروا قدر العلم فشيّدوا معاهد وترجموا كتبهم واكرموا اهلهم بتكوين من عمل اولئك
وهو لاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدينة العظيمة التي فقدناها وقد لم نستطع
الحاق باباء القمدين الحديث لاعراضنا عن العلم وشغفنا عن تحذير الامم الرائية وقبض
اكفنا عن امداد معاهد العلوم وانشاء دورها مع اتقاد بطلب منا الآن ونحن حمايات
فلا نحب ما كانت يعملها الافراد من اسلافنا من تلقاء انفسهم وبحض رغبتهم بالعلم
والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم .

وبالجملّة ايها السادة انامة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا اسلافنا درساً
لا يمحوه الزمان ونقش في كل زاوية من المشرق ومكان فلن يبلغ بنا ضعف النظر
اوضف القلوب والهم اوفساد الاخلاق واستحقاق الدم الى ان تاساه ولا تفرأ مصحفه
الزاهية التي يدعوننا كل سطر منها الى التذكر والتفكير والسعي الحثيث الى الذي الذي
مناطه العلم والعلم يحتاج الى المال . فالمال المال الكرم الكرم الانتباه الانتباه والا قضي
علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا اسلافنا الطاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله مادام
فيما انكرام الغيورون والرجال المفكرون والامام عليكم



اغنيانا

قال لنا منذ مدة احد اعيان دمشق اني اضطرت لضائقة اصابتني ان ابيع عقارين
من عقاراتي افتدري من كان يزيد فيهما ؟ قلنا لاندرى . قال كان يزيد فيهما اناس
لا يتصور العقل ان عندهم قوت شهر واحد اناس يلبسون خلق الثياب ولا نعدم من كبار
السوقة بل من صفار المرتزقة اما من كانت يظن انهم سيتلقفون ذنبك العتارين فلم

يسامونا عليهما بفلس واحد لانهم لا نقد ننقدم وربما كان نقد ير الناس لاموالهم هو دون الحقيقة بمراحل .

واجتمعنا من المساء بمجلس غاص بالمفكرين وارباب التجارب فقص علينا احدهم ان المزرعة الفلانية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهت ثمنها الى عشرين الف ليرة علي رجل لم يكن يظن انه يملك عشر معشارها من الثروة حتى قال انه يدفع قيمتها حواله علي المصرف دفعة واحدة ثم اجتمعت آراء الحضور علي ان ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الاخيرة زيادة محدودة بداعي الاموال الطائلة التي بذرتها فيها ادارة السكة الحجازية وهي لا تقل عن مليوني ليرة وادارة الترامواي الكهر بائي الذي انفق نحو مائتي الف ليرة وما عقب قرب المواصلات من ورود السائحين والحاجين الى دمشق ذاهبين منها ورجائين وماتقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فتقدر ماحملته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الف طن والطن اربعة قناطير دمشقية وثمنها يناهز المليون ليرة وما تقلته سكة حديد حماة بخمسة واربعين الف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الاخرى وحمل علي متون الدواب والجمال من الغلات والثمار حتى عمرت بذلك قرى حوران وكانت خرابا يابا منذ بضع سنين وغدا الحوران في اليوم يلعب بالذرات كما يلعب جاره الفلاح المصري بالخبضات هذا في اقليم واحد من اقاليم بلاد الشام وفي فلسطين وولاية بيروت وحلب وسورية مقاطعات لا تقل في خصبها وامراءتها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها واصبح اهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيد كلما زادتهم الحكومة امنا ووفرت لهم مرافق الحياة .

قالوا وعذبة النهضة الاقتصادية في دمشق خاصة لانها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى لها وبواب الكعبة ومقر الفيلق ومركز الولاية قد استمتع بخيراتنا المقاولون والتجارون والحديدون والبنائون والحجارون والجمالون والعملة والتجار وارباب الفنادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والدنانير الى جيوب ارباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغتنى كثيرون وارتاشوا حتى ان كثيرين من بائعي الفول المدمس لا يرضون من الربح في يومهم باقل من ليرة

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا ان لا يمر بنادون ان تدبر مسره الاقتصادي والاجتماعي فالسرفيه ان كثيرين من الاعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة ارناءا عن آلائهم او بفضل سعيهم ولا تقول كيف حازوها والطرق التي سلكوها فتمهم من كانت

ثروته ثمة الكدح المشروع من تجارة وزراعة وهم فلائيل يمدون كأي الاصابع . ومنهم من اغتصوا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً أرضاً او عقاراً قضت الاحوال بارتفاع اسعاره فاصبح ما يبيع بالف يساوي عشرة آلاف وعددهم محدود ايضاً ومنهم اثروا بما كانت لهم اولاجداهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون بأنوسهم باكين شاكين طالبين اليهم ان يرفعوا عنهم ظلم الحكومة او المتزمين او عرب البادية يأخذوا قريبتهم حلالاً زللاً وهم يكتبون منهم بالحماية ويدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ما تبت الارض . ومنهم من تيسر لهم ان يحرزوا وفقاً عظيماً لمدرسة او لمدارس فعمروا ارضه ورباعه فاخصب وعلائمه مع الزمن فاغتصوا به اولادهم ومنهم من وسدت اليهم الوظائف فباعوا ذممهم ونفقوا بطونهم لاكل الرشي واضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال انشوا به الحوانيت وعمروا الدور واستثمروا المزارع والساكن . ومنهم من جرأوا كأي استغلال الربا ايام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في اكثر منية ان يفترض الفرش بقرشين وكانت للرايين والصيارف فحة وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير كوزاً كبيرة في برهة وجيزة ومنهم من لم يستكفوا من ظلم الفلاح فاكلوا لحمه وعرقوا عظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في اغفاءة الذن من اغفاءة الصبح نائمة عن رعاياها ان جمعوا ما جمعوا سحتاً بحتاً وحرماً لا يجوز عقل من عقول البشر ولا شريعة من الشرائع السابوة والارضية .

هكذا قام اكثر ما شاهدته من اثروات وكأي هذه الاسس قامت ابنية الاجهاد والتقتير رائد اصحابها والامساك طريقهم الى الجمع . ومن اتاه قرش فصرف بعضه واحسن استخداه ما جمع لابد ان يأتي عليه يوم يحوز الغنى وكيف لا تنسب بعض الاغنياء الى كرازة الايدي ونحن نراهم لا يسمعون حتى بتعليم اولادهم مع ان تعليمهم باتفاق آراء العقلاء يعادل اطعامهم لقوام اجسامهم وتغذية الارواح مفضلة عند الكثيرين كأي تغذية الاشباح

لو تعلم اولاد الاغنياء التعليم العصري المطاوب وربوا كأي الاخلاق الفاضلة اخلاق العمل والحساب لما خيف على ثروات آبائهم من التبدد ونورثوا النسب كما يتوارث الثوب كابرأ عن كابر فتتسلل الوجهة في بيوتهم اجيل بعد الجيل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولا يشكون سقوط منزلة . واصدق مثال يصح الاستشهاد به كل حين ما يراه كل انسان من الفروق في حالة المسيحيين والمسلمين وهم ابناءه وامن واحد لا يختلفون

في طائفتهم ولا في عاداتهم وهم قد فاقوا المسلمين بمياديه يتعلمونها من اللغات والعلوم وطاب عيش الفتيان منهم أكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ما تعلموه من حسن الترية والحساب للمستقبل وعدم الاتكال على الحكومة واعمالها بل على لكفاء واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش .

وعقد ابن خلدون فصلاً في ان نهاية الحزب في العتب الواحد أربعة آباء فقال : « ان باقي المجد عالم في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لآبائه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك نقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حفظه الافتناء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني نقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واستقرها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بعلماء ولا تكف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة مجرد اتساعهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من القلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها وتوهم انه النسب فقط فيربأ بنفسه عن اهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما روي فيه من استتباعهم وجهلاً بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بجماع قلوبهم فيحقرهم بذلك فيغصون عليه ويحتقرونه ويدبلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعهم في غير ذلك العقب الاذنان اعصيتهم بعد الوثوق بما يرضون من خلاله فتمت فروع هذا وتذوي فروع الاول ويدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل الصفة اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

« واشتراط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يثرب البيت من دون الاربعة ويتلانى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وزعاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بانه مباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الاية من المجد في التوراة ما ناه الله ربك طائفي غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب اه

وبعد فان من سنن الكون ان لا يظل الفتي غنياً ولا الفقير فقيراً وان من رأيتهم اغتوا في العهد الاخير بالنسبة لمجموع ثروة الامة هم الذين سعوا الى الرزق من ابراهه ومعظمهم يؤثرون حتى بعد ان اغتوا ان يعيشوا عيش البساطة فدخل احدهم فائض كثيراً عن خرجه ولا يبعد ان يجي يوم يتولى اوامرك الذين لا تعرفهم الآن ولا تريد ان تعرفهم ازمة الامور ويصبحون هم اعيان البلاد خصوصاً اذا داووا ارواحهم وارواح ذراتهم بترياق التعليم وبلسم التربية النديشة ولبعوا أسرارهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الاعمال . ربهم ليكونوا اعضاء عاملة في المجتمع البشري لا ليكونوا فقط آمريين ومأمورين . ربهم يعرفوا قدر المال وخلق كسبه من الوجوه المشروعة المعقولة لا بالاحتياال والنصب وخبث الطعمة وسوء النالة . ربهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ اشدّه بقلته يرضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل معونة مالية لا كما يربي الفرنسي ولده فيعلمه ما اراد فاذا شب لا ينفك عنه فيروجه ويعطيه وربما حرم بناته حتى يختلف قدراً اكثر لبنيه



التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحرص عليه الامم حرمها على حياتها . والتعليم الوطني هو ارق انواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن على اشد ما يكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون لا يشتمزون من الالمان والنسوين والروسين الا لان كلا من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصبغ البولونيين بصبغتها . والجزائريون لا يتأفون من فرنسا الا لانها تنوي القضاء على جنسيتهم ولغتهم ودينهم بقليتهم المبادي الافرنسية واللغة الافرنسية . والكوريون لا يفضون على اليابانيين الا لان هؤلاء يحبون ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطعمونهم على مناحيهم . واهل الازناس والورين لا يكونون من الالمان الا لانهم يرمون الى تربيتهم على الاسلوب الالمانى وتلقينهم اللسان الالمانى لينسوا مع الزمن اسانهم وقوميتهم كما نسي اهل شلزيك هولشتاين الدانيمركيون لغتهم بانفصامهم الى بروسيا . والجاويون لا يثأهون من هولاندة الاسغيا في نفسيتهم على مناحيها .

والهنديون اعظم مايقومون، على الانكليز تلقينهم الناس حب انكليزها وعظمتها ولغتها وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لمواطف المغلوبين على امرهم وهكذا لو استقر بنا تاريخ الانسان الى اليوم والى مابعد اليوم نجد عبارة عن سلسلة ظلمات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف ويطبعه على منازعه لاعتقاده بانه اهل منه كعباً واكثر علماً وادباً وارحح عقلاً وانجح ميعاشاً العالم مع الجاهل يريد ان لا تمر به ساعة الا ويعلمه شيئاً ليقربه منه ويحسن الانتفاع به ولكن ما كل قوي يكون اعلم من ضعيف ولا غالب اعقل من مغلوب وندري في الناس والامم من يقر بارجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك اوضح من فلق الصباح .

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما اعرق البلاد العربية في الحضارة والتعلم على اضعف ما يكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لا انتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كاد يصحح كله بالانكليزية لابد ان يحفظ على المصريين لغتهم واخلاقهم ونفاليدهم اكثر مما يحفظها على السوريين مثلاً . فقد عبثت بالاوربيين دواعي التفريق في الوطنية ونزعت ملكتهم فيهم بقوة المدارس الغير الوطنية في ديارهم . فان كانت هذه المدارس قد نفعت سورية بما ادخلته اليها من النور الثاقب فقد استرتها بالخلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وافسدت . اصلحت بثلقين من تخرجوا فيها شيئاً من معارف الغرب واضعفت في نفوسهم حب الوطن بتجنيبها اليهم اوطاناً غير اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساواتها في اعينهم الامم . والعاقلة من حرص على نفع امته قبل كل نفع وانفع بما عنده قبل ان يتظال الى ما عند غيره

راينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيين والاميركان والروس في ادوار مختلفة فلم نشهد فيهم الا التآدر من يغار على وطنه، كما يغار على حرمه، فكذلك اذا حدثناهم بما تصير اليه حالة لغتهم وولائيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا واتقصت ايام سعدهم ومن يضمن لنا ان نعيش اذا تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتحدن اكثر فائدة . اما حالتهم في انحلال عقدة الوطنية فادعى وامرؤ . ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرباً بالزهد في وطنه ووطنيتيه . واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد .

شهدنا اناساً قيل عنهم انهم حاملون للشهادات العالية من مدارس الاجانب فكنا

نشأ لهم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امتهم وبلادهم فما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان ايسر ما يجيبنا به احدهم انه يعرف تاريخ روسيا او اميركا او انككترا او فرنسا لمعرفة جيدة ويوردون لنا ايام تلك الام واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلقوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يبادروا ببلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركا وغيرها واختاروها موطناً لهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لا ترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة فخرجت اقرب الى العجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية ما برحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليماً صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وانا لتخجل ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوم او اكثر من الموظفين لا يعرفون من اللغة العربية الا ان يتكلموا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بالفاظ تركية لا يفهمها ابن العرب ويعتذرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يتدرون منهم الى الكتابة الصحيحة بلغتهم فافراد يعدون على الاصابع لملوها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . ولتخرجون في مدارس الحكومة لا يحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلاً عن تاريخ العرب واجداد اسلافهم .

جنت مدارس الاجانب والحكومة على هذه البلاد اعظم جنابة لان التخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حق النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها قترام ضعافاً في حبيهم اوطانهم فاران ينتقلوا في الوظائف وامان ينقلوا من البلاد جملة فخرهم منهم الامة التي اولستهم والسماء التي اظلتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لا تعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل في الامثال « قتل ارضاً علمها » وهل اعلم بها من ابناها .

ابحث عن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجددم الا قليلاً جداً وقفوا انفسهم على تقع غيرهم واحترروا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المحقرين لها في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يمتنعون باحتكاكهم بالاجانب مبلغ تقافي هو لاء في انهاض امهم وحبيهم لغتها وثقالبدها ولغارهم عناية

بالعربية اكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيف الرأس لا ينطلي عليه محال من علمونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيرة كثير منهم وهو لا يعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهاً . وهل غير القوي بدافع عن حوزة . وغير العاقل يحفظ بعاداته ولغته والقوة لانتشاً بالاعلم والثريية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع . استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الأكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأة واعظم في المغبة اثرأ وهل يناس سارق الاموال يسارق الاطفال والرجال اوليست الارواح اثمن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لاغنى لافراد منهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجائعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ماشاءوا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابية وخطابية حتى لا يسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم وبيهموم من اقوام اخر بالمجان على امل التوظيف في وظائف الحكومة او الاحتكاك بالاجانب احتكاكاً يؤدي في الاكثر الى ارتحال المتخرج بهم عن بلده وزهده في وطنه زهداً ابدياً .

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل ؟ ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فتدوها هلكوا وانحل امرهم واضوا عبثاً ثقيلاً على البلاد لا ينتفعون بها ولا هي تنتفع منهم . فالواجب اذا انشاء مدارس لاجياء التعليم الوطني لتحيا مجيئاته البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر . وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لا يستفيد منه . قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه .

ان جماعق الاتراك عن فهم امرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعلمها فظلت أكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها الا قلائل من الاتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناؤد والاكراد والالاز والفاخين والبوشاقيين والبلغاريين • ولو تخرج في مدارس الحكومة اناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلنتهم كما يحسنونها باللغة الطارئة عليهم لتكنوا على الاقل من نقل هذه القوانين الى العربية وعرف العثمانيون ما لهم وما عليهم وافادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى •

ان مما يبكي ان يسن ابن الاستانة قانوناً يحاول تطبيقه على ابن حوران وهلا كان الاختلاف في الحاجيات طبيعياً بين تركي وعربي واورني وآسيوي • ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا اثر فيها لتعليم العربية الا ان يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية يتلى فيها بلا فهم ولا علم

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة ببلابع البلاد انها اسست مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسماً فيه للعلوم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفاً الى تلقين التركية حتى لا يعلم الاسانذة الجدد الا مما تعلموه وبكثير عدد العارفين بالتركية والمحلين من لغتهم فلا يأتي من خصوصاً متى اصبح التعليم الابتدائي اجبارياً الا وقد اعمل العرب لغتهم بآناً

صرحنا بهذا وان كان فيه غضاضة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حربة الدستور حتى الآن وينشؤوا على الاقل كتابات منظمة لتلقين لغتهم من اسر الطرق حتى ينفعوا بعد الآن باولادهم حتى تنفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس الاجانب فتتحل وطنيتهم وتضعف لغتهم • اما مؤسسو تلك المدارس اجنبية كانت او اميرية فانهم يعذرون للسبب الذي اوردها آنفاً وهو ان القوي يريد ان يشغوق الضعيف سنة من سنن الكون • ولم يبلغ البشر درجة راقية من التمدن حتى تتساوى في عيونهم اللغات والعناصر كلها وتجرد امة فتفنى لحياء غيرها وتقتل جنسها لتزيد سواد آخر ولا تهمها دارها وتريد هدها لتعمر بانقاضها دار جارها والسلام •



جبل الدروز وفتنتهم

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلا منها كورة واسعة مخصصة الرباع اسمها حوران فيها نحو ستمائة قرية وفي شرقي تلك الكورة اقليم ممرع فيه السهل والجبل الا انه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال الحماة وهي ارض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر مترامي الاطراف بتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي النقرة والقررة سهل جيد التربة في وسط حوران

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب انطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد حوران وغوطه دمشق والبقاع العزير وربما كانت احسن منها وفيه ١٠٨ قرى ويقدر نفوسها على التخمين بخمسين الف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف ومنهم الذين يشنون الغارات ويقتلون الارباب ويسلبون المارة واقلبيهم هو الاقليم الوحيد في سورية باسمها الذي زعمت فيه الفوضى واحب اهله على قريهم من الحوائر ووفرة غلاتهم ان يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يودون من خالفهم من مجاورهم ويطيلون ايدي اعتدائهم على ابناء السبيل ويناثون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يودون الضرائب الاميرية والخراج ولا يخدمون الجندية واذا لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به يقتتلون بينهم كأنهم يتعبدون باهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد .

واخر عمل فظيع قاموا به انهم غنوا جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم وسكانهم مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلا وامرأة وجرحوا ثلاثة وبين القتل اربع نساء بينهم والدة شيخ معربة وزوجة واخته ونهبوا القسم الاعظم من السهوية وجيزة وسماقية وطيسة من بلاد السهل فطرح كاس الصبر منهم ولم تر الدولة بدا من ارسال حملة عليهم توذبت عصائهم وتضرب على ايدي الفوضويين والعديميين منهم وتوائف شاردتهم وتو من خائفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الافراد العثمانيين

ولعل كثيرين يتساءلون عن تاريخ عمران هذا الجبل وتزول الدروز فيه فالمعروف من حاله انه كان في الدول القديمة تابعا لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى

اليوم في بعض امهات قراء مثل السويداء^(١) قاعدته القديمة وصرخد وقنوت فان الكتابات اليونانية واللاتينية والنبطية والعربية المكتوبة بخط سباء تدل على انه كان عامراً للغاية

وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل على ما انتابها من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية^(٢) مثل القنأة والمعبود المسلة التي يظن انها من القرن الرابع والخامس لميلاد والجامع الحرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية واخران الكبير لجمع الماء الذي انشي على اكمة تشرف على السويداء وعلى طرق قرية القنوت جسر مهم للغاية جعل على عمدها حائل يظن انه من القرن الاول وانه كان ناووساً

والظاهر من عايدات قنوت انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من نوادي الازلام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجلب الانظار ذاك المسرح «التياترو» الجبل الذي قام على عتق الوادي واكثره منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله على متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو ممل على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شاقق آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج اصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويسدل من الابنية السفلى ان تاريخها يرد الى ما قبل عهد الرومان وعلى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارتمجة وبعض قطع من هياكل وتمائيل وملاعب

^(١) قال ياقوت في المشته السويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا اربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها ابو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دغش الحوراني السويداني كان شجاعاً خبيراً تفقه ببغداد على ابي حامد النعماني وسمع الحديث من ابي الحسن ابن الطيبوري سمع منه الحافظ ابو القاسم العمشقي واثني عليه خيراً ومات في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على ليلتين من المدينة من جهة الشام والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحوران من نواحي ديار مصر بالفساد النجمة واهلها ارمن نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص^(٢) دليل سورية وفلسطين ليديكر

وإلى ثلاثة أرباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من أهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الأسود والغزلان والخيول المرسجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلب . وهناك أيضاً مذبح في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة العالساء ومن الآثار المهمة آثار شهابا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون أوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة أمتار وستين سنتياً .

وليس في الأبيدي ما يستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الإسلام منازل قبائل بني سنان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع لميلاد قصرأ في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد ^{١١} صخرة الآلات التي عبدها الأنباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على أنها نصبت لآدي الشمرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي موسى)

والغالب أن صرخد حازت في الإسلام مكانة أعظم من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحصين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد أن استولى على أنكر ك والشوبك وغيرهما من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن أيوب وولى أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب عليها وأصبح لثينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت أنكر ك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك أصبحت بعد قرى حقيرة في القرون الأخيرة لغلبة الجبل على الحكومات التي تعاورتها وافتلة الأمن وانتباب النارات والزلازل والابوثة التي اجتاحت سكانها .

ويؤخذ مما رواه أبو الفداء صاحب حماة أن بلاد صرخد وما والاها وبجارة أخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده أي في القرن الثامن بمجبل بني هلال قال :

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصحاري والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق إلا البرية ومن

شرقها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخند وبغداد عشرة ايام

وقلعة صرخند شهادة ابد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات اضخم واهم من قلعة حلب اه

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس^(١) فيها جدد من المصانع في بلاده ما تهدم من قلعة صرخند وجامعها وساجدها وكذلك فعل ببصري وعجلون والسات وكانت لعلنا كوكب وعجلون^(٢) لعز الدين بن أسامة وكن هذا ملك صرخند سنة ثمان وسئائة للهجرة وقال ابن خلدكان : انه ملك صرخند سنة احدى عشرة وسئائة قال لان استاذة الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل بي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخند من صاحبها ابن قردجه واعطاه مملوكه ايبك والظاهر ان الاول اصح واستمرت في يد ايبك الى سنة اربع واربعين وسئائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ايبك المذكور . ومن تلك صرخند اقوش الا فرم احد امراء بني ايوب .

ومن الادلة على استعمار العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي^(٣) من اهل القرن السابع كان عالما عملا ويونس بن ابراهيم ابن سليمان الصرخدي النحوي الغوري ٦٩٨ و ابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخند مات فيها سنة ٦١٢ وبدر الدين الساخني قاضي غرة نسبة الى صرخند ايضا وبعضهم يقول صلخد وسلخة والاصح صرخند فيما نرى والروايات الثانية تحريف طرا مثله على بلدان كثيرة في سورية مثل عربيل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهاهم النطق بالنون اكثر من اللام

قال ابن ابي أصيبعة : « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمر اوي وشرف الدين المثاني وقرا رمتان هما قربان من قرى صرخند قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمة وتميزا واشتهر فضلهما وكنا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جآ الى الموصل قصد الشيخ كمال الدين بن يونس (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فلما وقعا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلمنا في ذلك وبحثا في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماء فاكرمهما الشيخ وادناهما ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتابا له كان قد الفه في الحكمة

(١) فوات الوفيات (٢) تاريخ ابي الفداء (٣) تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة

وفيه لفز فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد احداً يقدر على حله وانا ضنين به فقالوا له : نحن قوم غريباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن باثثون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبانغداة يأخذ مولانا وتلطفاً له حتى انعم لها واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يميل على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابله ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لها حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظهر لها حل شيء منه من آخره واتضح اولاً فاولاً حتى انحل لها اللغز وعرفاه تحملاً الكتاب الى الشيخ وهو في المدرس جلسا وقالوا : يا مولانا ما علمنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي بعمر حله واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولاً حتى اسمع فتقدم النجم القمر اوي وتبعه الآخر واوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرنا حل اللغز بعارة حذنة فصيحة فعجب منهما وقال : من اين تكونان قالا : من الشام قال : من اي موضع منه قالا : من حوران فقال : لاشك ان احدهما النجم القمر اوي والآخر الشرف المثاني قالا : نعم فقاء لها الشيخ واضائهما عندهوا كرههما غاية الا كرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا ٠ » وهذه الرواية تدل على الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى وامتان بلد شرف الدين المثاني قرية موجودة الى اليوم اما قراؤها في قرية حربة واقعة الى الجنوب من صرخد على مسافة ساعتين ومنها ^(١) الفقيه موسى التمر اوي اديب مناظر حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره

لما تبدى بالسواد حسبه بدراً بدا في ليلة ظمأ
لولا خلافتي على اهل الهوى لم يشتهر بلباس الخلفاء
ومن قرى صرخد العرمان بتشديد الراء وفقها والعاملة اليوم تحفها قل يافوت :
انشدني ابو الفضل محمد بن عباس العرمانى من ناحية صرخد من عمل حوران من
اعمال دمشق لنفسه

يعادي فلان الدين (?) قوم لو انهم
ولكنهم لم يذكروا فتمعدوا
واشدني ايضاً لنفسه

^(١) يافوت في المعجم

ولما اكتسى بالشعر توربد خده وما حاله الا نزول الى حال
وقفت عليه ثم قلت مسلماً الا انا صيحاها ايها الطفل البالي
وانشدني ايضاً نفسه يمدح صدقه موسى القمراوي وقرى قرية من قرى حوران
ايضاً قرية من العرمان

اصبحت علامة الدنيا باجمعها تشد نخوك من افطارها النجب
بان على كبد الجوزاء منزلة تحفها من جلال حولها الشهب
مانال ما نلت من فضل ومن شرف سراة قوم وان جدوا وان طلبوا

وفي الجبل الى اليوم قرى ثمان باسم نجران قال بقوت ان نجران موضع بحوران من
نواحي دمشق وهي يعة عظيمة عامرة حسنة مبنية على المعبد الرخاء منقصة بالفساء
وهو موضع مبارك ينزله المسلمون والنصارى ولندور هذا الموضع قوم يورون في البلدان
ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل والمسلطان عليهم قطيعة وافرة يودونها
اليه في كل عام . وقال مثل ذلك في دير نجران ايضاً وما ندري ان كانت نجران هذه
هي نجران جبل حوران ام هي واقعة في السهل من قرى بصرا الحاريري

وتبين مما تقدم ان العمران قديم في هذا الجبل وليس في الايدي نصيرس يركن اليها
الليهم الا اذا كان شيء في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالمرض ولم نهد الى معرفته وقد
كان سكانه يسمونهم برك انفس المسلمين ومسيحيين ولم ينزله الدروز الا في القرون المتأخرة
ويتول احداهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة ايام ابتداء قوم
من دروز لبنان يهاجرون واولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها التتار بخيول امراء لبنان
ومنذ ذلك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية والبينية في لبنان ومن غلبه
الدمر يذابه او غضب عليه الحاكم يرحل الى ذلك الجبل ثم انضم اليهم الناس من دروز
وادي التيم وصفد وجبل الاعلى والتنيطرة وجوار دمشق

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون فقراء وما زالوا يطردون الخفافين لهم من سكان البلاد
الاصليين بالقوة ويستصفون املاكهم ومنها ما هو الى اليوم لبعض ارباب البيوتات في
دمشق وبايديهم صكوك بملكيتهم لها حتى كاد الجبل الا قليلاً جداً يكون لطائفة الدروز
وزعمائهم بنو الاطرش وبنو الحلبي والمنغوش وعامر ونامر والعزام توزعوا على القرى
ومن اكبر زعمائهم بنو الاطرش وبينهم وبين بني مقداد المسلمين سكان بصري وهاجورها
طوائل قديمة يترصد كل منهم بجواره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشا

مقداد هم الحائل دون تقدمهم حدود جبالهم ولولاهم لامتد سلطانهم على سهول حوران
فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل

و اول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت بها لهم الغلبة وقمة هزرت بينهم وبين
ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ء في جنوب الجيزة كتبت فيها لهم قصة تلي العشرين وقتل
منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادد وفي سنة ١٨٣٨ انفذ ابراهيم باشا احد رجاله
شريف باشا في اربعة فارس الى قرية الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء تلي
نحو خمس ساعات عن السويداء لتجديد الدروز وقتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن
آخرهم ولم يبق الا تلي تقدمهم . وكذلك جرى لمحمد باشا القبرصي فلم يظفر بهم .

ومنذ ذلك العهد اعتصموا بجبالهم وشأنهم شي من الاستقلال عن الحكومة وابتغوا
بانها تخاف بأسهم وتخش لم الف حساب وزاد حوادد وقوتهم في حادثة الستين
وقد هاجر اليهم من لبنان كثير من ابناء مذاهبهم فاعتزلوا بهم خصوصاً بعد ان ثبت ان
الدروز هم الذين اوتدوا زارقة النصاري منذ سنة ١٨٢٥م وانتهت بتتل وصلب مئات
من اهل دمشق المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يسألوا عما ارتكبه في تلك الفترة
الاهلية من الفظائع

وما يرحوا لفتحون التل والسلب والتخريب منذ اذ ثلث سنة الستين لان الحكومة استعملتهم
اذ ذلك او استعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لتقصدي تربيده على ما يروى كد العارفون .
ولقد قتلوا من جنود الدولة والاهالي المساكين ما لو احصي لبلغ مقداره نحو نصف سكان
الجبل اليوم . ووقائعهم في قرية ام ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبعمر الحريري
وبصرى اسكي شام وجوارها وقرية الخيحات ومع شرب العجل وعرب السرحان وعرب
الخريشة وعرب ولدعلي وغيرهم مشهورة الى الان تلي الاسنادع عنك نحو عشرين قرية
اغتصبها الدروز من الحوارة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء صرخد وهي
اقضية الجبل اليوم التابعة لمركز البواء الذي كان اول امس شيخ سعد فاصبح امس شيخ
مسكين واليوم غدا درعا

نعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف باحوالهم منذ اربعين سنة الا اقل القليل
من سكانه فالجبل الجنوبية اي قرى صرخد وجوارها كانت بايدي المسلمين والمسيحيين
من اهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد جمولة الزعية من حوران الى ان اعتاد اشقياء
دروز جبل لبنان وحاصبيا وراشيا اي وادي التيم وعكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق

والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرت عليهم الإقامة في بلادهم ان يتصموا في هذا الجبل فضاقت عليهم اراهم الاصلية فجعلوا الحوارنة عن بلادهم واصبح جبلهم ملجأ الاشقياء.

اما وقائهم المشهورة فالوها كان سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين اهالي بصر الحريري فساقت الدولة عليهم قوة الى موقع القراصة ولما لم تحسن الادارة زاد الدورز جرأة الى ان كانت سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قريتي الكرك واه ولد وذبحوا سكانها عن بكرة ابيهم حتى الاطفال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعتين ثم سبقت عليهم قوة بقيادة المشير حسين فوزي باشا اسفرت عن ربط دية شرعية متوسطة على الدورز وتأسيس قائم مقامية جبل الدورز وجعلها ثمانى نواح وتعيين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم

وما يروحوا يشغلون الحكومة فترسل عليهم الحملات كل مدة ويراوحون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرشى وتارة يتحد اشقياء المفرن التبلي مع عرب السردوبة فيغزون قبائل بني صخر والحويطات والسرخان وقرى حوران الجنوبية وينضم اشقياء المفرن الشرقي الى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور واشقياء المفرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قرى جبل قلون والنبيك وحمص ويتحد بعضهم مع عرب الحجة يسابون قرى سفوح جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمثلون بالسكر ولا يدفعون الاموال وينهبون التجار حتى ارسلت عليهم الحكومة حملة مبهمة سنة ١٣١١ رومية فضررتهم ضربة لو وضعت بعدها الاصلاحات الادارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الامر ولم يعودوا الى سالف احوالهم حتى صيف هذه السنة

احل^(١) اشقياء الدورز في حوران قتل من خائفهم والاعتداء على مجاورهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين افطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الاقاليم المجاورة وخر بواجباً عظيماً من القرى والمزارع واخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى التجأ اليهم كل من عصا الدولة من العسكر الفار من الجندية ومن الاشقياء وخربت باعمالهم كثير من القرى والمزارع واصبحوا بفعلاتهم يحولون دون امتداد العمران في اطراف هذه الولاية ولولاهم لاستفاض عمرانها ولا سيما من جهة الشرق والجنوب عمراتاً تزيد مساحتها على ولاية عظمى من الارض المبنية ولكفت لا بين من المهاجرين واهل البادية

^(١) خليل رفعت افندي الحوراني في جريدة المقتبس

اما القوائد التي تنتج من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل قري الملح الى الجوف فينتفع بمائها من المياه المعطلة ويمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام . وتدمر هي المعروفة بشاريها المجيد . ويتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب . ولعل هذا المبحث لا يصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم اساماً راسخاً في الاصلاح لا يتمكن احد من نقض عروته ويعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد ويشترط هذا الجرح النفا بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بمشراط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة فلها به في هذه المهمة فيصبح جبلهم مثاب المصطفين كما اصبح جبل لبنان من قبل فجبل حوران ليس دون جبل النيمخ وجبل قلمون وجبل اللكام وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا وبقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره ينابيع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقي بل تروى بماء السماء كسائر بلاد حوران وحدث ماشئت ان تحدث عن خصب التربة فان الجيوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاثجار في الهملايا الكرم والتين وبعض السديان والزان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويداء وسهوة الخضسر وسهوة بلاطة ومياماس وايي زريق وساله وقنوات وعتيل في ذروة الجبل اي في اطراف قليب حوران ولم يبق الا اشجار معدودات بين قنوات والجبل والله اعلم



اصل الدروز^(١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكيم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة شتكنين الدرزي والدرزي بالفتح معناه اغياط فارسي معرب والعلامة تضم الدال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . اما الحاكيم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لم

(١) ملخص من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاساتذنا سليم افندي الجفاري

من علماء دمشق وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الحاكم بامر الله وكنته ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله تزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن عبيد الله المهدي . واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد الكاظم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقاروا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن دبعان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبد الله القداح بن ميمون وهذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقه كان يظهر التشيع لآل البيت وأنشأ لميمون عبد الله وكان يعالج الميوسن التي نزل اليها الماه بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من ابيه ميمون الحيل واطلعه امره على امرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلمية من اهمال سورية يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح ونفذ ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام مقامه ابنه محمد ثم جاء بعده ابنه الحسين وكان بغداد فسار الى سلمية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبد الله القداح وكان يدعي انه الوحي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكتاتونه ويرسلونه وانفق انه جرى بحضوره حديث النساء بسلية فوصفوا له امره فدخل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحزن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من النبي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلّم العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهممة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعمره امرار الدعوة من قول وفعل واعطاه الاموال والاعلامات فدعا له الدعاة .

قال ابن خلدون : نولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بساجماسة بالقبض على عبيد الله لما سار الى المنرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

ما قامني على البواب وعدي مقبول صارم وانق حمي
اليس الدل في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
 اناء عرقي بعرقه سيداك اس جميعاً محمد وعلي
 ان ذلي بذلك الجدد عز وأوامي بذلك الربع رب
 شاهد بصحة نسبهم واما المخضر الذي ثبت ببيغداد ايام القادر بالفتح سيف نسبهم
 وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع .

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع
 وستين وخمسة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس
 واقتدى بهم غيرهم وافدت عتائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بغور الشام
 كالنصيرية والدرزية . والحشيشية نوع منهم

وكانت احوال الحاكم بامر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعالم وانتقام منهم
 وميل الى اهل الصلاح وتكلمهم وسخاؤه ويدخل بالقبائل . لقب نفسه الحاكم بامر الله ولما
 زاد ظله عن له ان بدعي الالوهية اقتداء بفرعون فاحذ يهد لذلك المقدمات فلقب نفسه
 الحاكم بامر الله واصر الخطاب بان يقرأ بدل البسملة (باسم الله الحاكم الحمي المهي)
 وصار بدعي علم الغيبات باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده
 من دعائه رجلان عجميان من دعاة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي
 وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع
 واربعائة ودخل في خدمة الحاكم ووافته نكي اثبات دعوته بالالوهية وصنف له كتاباً
 كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقصصة
 من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة
 فبهج الناس على مؤلفه ليقنلوه ففر منهم وسدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت
 الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سرّاً الى بر الشام فنزل بوادي التيم
 بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالوهية الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين
 قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولتلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي
 فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدرور . وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع الترسنة
 احدي عشرة واربعائة .

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده ثقلهم
 مكانه ودعا بلوهية الحاكم فاجابه البعض واتخذ مبعداً سريعاً لعبادة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين
 وحجة القائم وغير ذلك . وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون التسمية باسمه
 لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزة ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة
 من كتبهم . ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدروز انه خرج في ليلة منفرد الى
 البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مخفياً عن ابن الناصر . وكتب حمزة بعد وفاة
 الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول انت الحاكم
 اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم
 وتوحيده وعبادته ويجمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت
 عليهم المسلمون ونظروا بهم وطردوهم وفروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من
 الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل
 الشوف والآخر الى وادي النعم ولم يزالوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدروز عادات قديمة توارثوها منها ان لم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية
 الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة
 الموروثة فلا يسوغ لاحد منهم مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من
 ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب يده . واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق
 الارث عن آبائه واجدادهم فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة
 والاصول والفروع متساويان فيه فللورثة استحقاق في تقسيم هذا المال .

ومنها ان المرأة لا تراث شيئاً من دار ابها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاورهم في
 الجبل من بقية الطوائف . وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لم في ذلك اصول
 خاصة ولا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها
 وتطلق المرأة بادنى سبب ولا يجوز عندهم رد الماطقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين
 بالاسلام ويتزيون بزي اهلهم والآخرى ان تدل انهم يتظاهرون بالبيعة لمن يكونون
 تبعاً له . واما في الباطن فانهم يتكرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجبل وانهم
 كانوا بشيرون الى توحيد العدم وماعرفوا المولى وبشعرون بالظن على جميع ارباب
 الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحققة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لا يجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ملتهم

و يقرأون القرآن ويؤدونه بأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وان الميت حين موته تنقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتقبل في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعبياً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويزعمون ان القرآن قد أوحى حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لثمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يا بني اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر » هو خطاب سليمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونسائهم ايضاً ينقسمن قسمين عاقلات وجعالات فيقال للماكلة جوبدة ولالجاهلة غير جوبدة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انما حصلت على تمام المعرفة بأسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية وابنا وجد هؤلاء العقال تنخذ هناك معابد للعبادة يسمونها بالخلوة وهي حجرة فحين حجر وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويجتمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة النقياء يقال لهم المتزهرون وهم مثابرون تلى العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل شيئاً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولم زيادة احتياط في التورع حتى انهم لا يذوقون شيئاً من بيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدامهم حتى ولا من طعام حملاتك دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمة بذهبن به الى احد التجار

فيستبدلون منه وينزهون الساتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحصر الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعين عن مرامهم في كثير من رسائلهم بطريق الرمز والكناية وبذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لا يعتقدون التناسخ وهو التقمص يزعمون ان اذ مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون ولا يتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قلب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويمتدنون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والانس والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف سنة « اربعة ملايين » وتسعة الف سنة فيكون قد مضى من مبداء الخلق الى دور الحاكم ثلاثمائة الف سنة وثلاثة واربعون الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور المالك وهو دور القيامة ويثبتون اكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاً وسبعة اوصياء وسبعة مائة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين نطقاً والاصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هر الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر سنة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع ممتدة في مدة دعوة الناطق السادس واول العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير والاولا كانوا خمسة لاغير لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء وفي المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبدالله القداح) ومنتظرون ظهور بأجوج وأجوج من داخل الصين ويحتمونه ويقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بانبياءهم راية النور راية النور العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بالمره من ركن البيت اليباني ويهدد الناس بدين مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهرايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها ويستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها واسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فريضة منها عشر مقامات

ربانية وهم النبي والبار وابوزكريا وعلي والعل والتسائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلهم اله واحد . ومنها اربع تظاهرات الباركية بها وهي الهيئته والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجالس والسجلات التي يشكل بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر منه كتحرير الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضاً وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والتمر وغير ذلك من الامور التي ذكروها معجزات له سيفي كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرى الزمان وغيرهما .

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباركي وتتميزه عن جميع المخلوقات الثانية معرفة الامام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم وان قائم الزمان اولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لآمره ونهيه الرابع صون الانسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة التبرؤ من الابالة الثامنة التوحيد للمولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعاله العاشرة التسليم لآمره وهي المذكورة في رساله ميثاق النساء ورسالة البلاغ والاباية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لهم في نفاسهم واعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة الرابعة اجبوا دعوتهم الخامسة اقضوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة بروا ضعفاءهم العاشرة انصروهم ولا تخذلوهم وهي في رسالة التذير والتنبيه .

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسمي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي القل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليّ امره الخامسة واطلني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في اوائل رسالة التذير والتنبيه

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجبائين الثانية حد الجرمانيين
الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة
هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستقيمة
واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجبال
ان يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجاب رضى الموحدين
بتقديم الوسائل التعطفية مدة لا تقل عن سنتين يلبس منهم قبضة واحدة في جماعتهم
واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه تلّي الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره
بتحرير العهد الواجب تحريره اذ لا يكون موحداً خالصاً بدون تحرير العهد تلّي نفسه
فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المسطور تحت
العنوان الآتي :

ميشق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد احمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن
فلان اقراراً اوجبه على نفسه واشهد به على روحه في صحة من عقله وبدنه وجواز امره
طائعاً غير مكره ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمثالات والاديان والاعتقادات
كلها على اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره
والطاعة هي العبادة وانه لا يسرك في عبادته احداً مخفي او خسر او يأنظر وانه قد سلم
روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه
له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله سواء ذلك ام سره ومنى رجوع عن دين
مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه او اشار به الى غيره
او اخاف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرّم الافادة من جميع الحدود
واستحق العتوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السيادة معبود ولا في
الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب
في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكة حمزة بن
علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره
وشدة سلطانه وحده اه

السجل المعلق

من المخطوطات المضمونة بها عند العروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي
المستحيين وكان سبباً لثورة الأفكار في مصر حتى هرب منها ونزل سورة ونشر بها العقيدة
الدرزية وهو أكبر القائلين بالوهمية الحاكم وهاك بعض فصول منه تفيد مطالعتها في تمثيل حالة
هذا القوم ونشرها بجرفها . وهذا السجل هو مقالات متنوعة في أغراض شتى فمن مقالاته
مقالة : « خير اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين
صلى الله عليه عن شيء من امر دينهم باعتراض اعترضوه فيه وانكار انكروه عليه
والجواب على ذلك بما اختصمهم من القول واسكتهم وانصرفوا مقهورين والحمد لله
رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدث من تلقى به ونسكن الى قوله مع اشهار الحديث
في ذلك الوقت انه حضر في موقف من مواقب الدهر وصاحب العصر مولانا الامام
الحاكم بامر الله امير المؤمنين سلام الله عليه اذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تعرف
بقباب الطير نفر فسلموا عليه فوقف عليهم حسب ما كان يقف على من سلم عليه فذكروا
انهم من اهل الامة وان لم حاجة وانهم يهود ونصارى فقال عليه السلام قولوا حاجتكم
فقال نسأل حاجتنا اذا امتننا على نفوسنا فقال ان طلبه الحاجات لاحتياج الى امان فقالوا هي
حاجة صعبة رسول عظيم فقال عليه السلام اسألوا فيما عسى ان تسألوا ولو كان
في الملك .

قالوا : يا امير المؤمنين ما هو شيء يتعلق بامر الدنيا وانما هو شيء يتعلق بامر الدين
وخطر عظيم فان امتننا على انفسنا ذكرنا وسألناك عنه وان لم تأمننا سألناك العفو وانصرفنا
آمنين فذلك وامنك قدماً الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق .
قال عليه السلام : اسألوا عما اردتم وانتم آمنون بامان الله تعالى وامان جدنا محمد واماننا
لا منكوث عليكم في ذلك ولا متأول . قالوا : يا امير المؤمنين ان الذي نسالك عنه خطر
عظيم وامر جسيم وانت صاحب السيف والملك ولا نسالك في امانك ولكننا نخشى من
سفهاء الامة . قال عليه السلام : قولوا وانتم آمنون من جميع الناس والامة . قالوا :
يا امير المؤمنين انت تعلم ان صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبد الله الرسول المبعوث
الى العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته الى تلك السنة
التي خاطبوه فيها انه حين بعث الى العرب وجاهد سائر الامم لم يسمننا الدخول في شريعته

الا ان اخترنا ذلك بلا اكراه او اداء الجزية ولم يكلفنا الا هذا وكذلك كل واحد من ائمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقي شريعته لم يستأ ماستأ انت اياه من هذه بيتنا وادياننا ونزير بق كتبنا المنزلة على رسائنا من عند ربنا فيها حكمة بالحلل والحرام والقصاص حتى انك اجبت التوراة والانجيل يشهد فيها الملوك والصابون وتباع في الاسواق بسحر القراطيس الفارغة .

د اخبر صاحب الملة والشرعية عن ربه فيما نزل عليه ان التوراة فيها حكم الله ثم انه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم امر رسائنا والافاضل من تياهم مثلما هو موجود في كتبنا كثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى ويوشع واستعمل واسحق ويعقوب ويوسف وذكرا ويحيى وهؤلاء كلهم انبيائنا وائمة شرائعنا مثلما ذكرنا في الفضلاء مما مثل بتايا موسى وحواري عيسى وما حكمه ايضا في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسنا ورهبانا قوله ان فيهم قسا ورهبانا اذا سمعوا ما انزل الى الرسول تفيض اعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ماجاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسائنا وتفخيم كتبنا لكان اكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من خلفاء الملة وائمة الشرعية من الممويين والذمومين اعدائهم واعدائك مثل يحيى أمية وني العباس ممن عتا في الارض وملكوها طولا وعرضا (؟) مع اساع ملكهم وعظم سلطانهم وكان يخطب لهم في كل بقعة بلغت اليها دعوة رسولهم وصاحب شريعته ولم يتحدث علينا رساما ولا نقضوا لنا شرطا اقتداء منهم بصاحب ملتنا وشرعتنا المذكورة نلى لسان فيهم . فمن اين جاز لك انت يا امير المؤمنين ان تعزدي حكم صاحب الملة والشرعية وتعل اخلفاء والائمة الذين ملكوا قبلك البلاد والامانة وليس انت صاحب الشرعة بل انت احد ائمة صاحب الشرعة واحد خلفائه والقم في شريعته لتتمها وتشد اركانها وبنينها وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من واثقك التي خاطبت بها واشهر ذلك عنك اقرب الناس اليك من اوليائك وانت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق معنا ولا احد من ائمة وخلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي سالناها وامرنا الذي قصدناه وظلنا الايمان عليه ونريد الجواب عنه فان يكن حقا وعدلا آمانه وصدقنا وان يكن متعلقا بالملك والدولة والسلطان بقينا على ادياننا غير شاكين في مذهبنا وازلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من اهل ملتنا وواجبتناك الا مستضعفين غير شاكين في عدلك ورحمتك وانصافك ونلى هذا اخذنا امانك وقد قلنا الذي عندنا واخرجناه من اعقابنا

كما تقتضي ادبنا والامر اليك فان نقل لنا سمعنا واطعنا واجبنا وان اذنت لنا ولم نقل
انصرفنا ونحن آمنون بامانك الذي امننا فقال عليه السلام : اما الامان فباق هو عليكم
واما سوءكم فما سألتم الا عما يجب بخلقكم ان يسأل عن مثله واما نحن فتجييبكم ان شاء
الله ولكن امضوا وعودوا اليّ داهنا ليلة غد . وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود
والنصارى بافته من يقدر عليه من اهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام
عليهم

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلموا وقالوا قد اتينا من
طايه امير المؤمنين منا وقد موا احد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم امير المؤمنين
صلوات الله عليهم : هؤلاء اخترتم ولم تقدمتم قالوا باجمعهم : نعم يا امير المؤمنين قال
للتفر : وانتم رضيتم ان تكونوا متكلمين عن اهل ملتكم نائبين عنهم قالوا : نعم قال : فهل
تعلون في هذه البلدة من اهل ملتكم من هو افته منكم قالوا : لا قال عليه السلام : وانتم
تحنظون التوراة والانجيل واخبار الانبياء قالوا : نعم قل عليه السلام : (انتم) عارفون
بمبعث صاحب الشريعة الذي انا قائم بانه وذاب عن شريعته وسيرته واخباره وما جرى
بينه وبين رؤساء ملتكم ومنقدمكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل
والاحتجاجات ومن سلم لامره منهم ومن لم يسلم من مبعثه الى حين وفاته . قالوا : لم
نخط بذلك كله بل احطنا بالكثير مما يلزمنا حفظه وعلمنا ما جرى بينه وبين علمائنا
تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه احبارنا واحبار
عن الاولين من قبلنا حتى وصل ذلك الينا ويتصل بغيرنا كما وصل الينا الى ان يرث
الله الارض ومن عليها .

قال عليه السلام : ان اصحابكم سألوني البارحة عن سؤال بعد ان اخذوا امامي على
نفوسهم ووعدتهم ان اجيبهم عن سؤالهم اذا احضروا علماءهم وقد حضرتم واعترفوا
لكم بالعلم والفضل وصدقتموه انتم على ذلك واعترفتم عندي به لما قلت لكم اتعرفون في
هذه البلدة من هو اعلم منكم من اهل ملتكم باخبار صاحب شريعة الاسلام ونسبه وشيعته
وعلمه وشريعته قلتم : لا . وانا اسألكم وفي آخر السؤال اجيبكم واخبركم بما سألوني عنه
اصحابكم واماني باق عليكم وعليهم على شرط وهو اني كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم
وشريعتم ومذهب صاحب ملة الاسلام وشريعته فتجييبوني عنه بما هو مأثور في كتبكم
الماثلة على انبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم واحباركم وما لم يكن عندكم ولا تعرفونه

ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسل فردوه علي وادفعوه بمحببكم التي عسى ان تدفعوا بها سواي وما عرفتوه وفهموه فلا تتكروني اياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا : نعم قال لهم ان صدقتم فلما في حكمكم وان كذبتكم انفسخ امانتي عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء لكذبكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم قال : ابلاغكم انه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الاسلام اتاه رؤساء شريعتكم وعلمائكم من الملمتين اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وسمى لهم رجالاً من احبارهم ورجالهم وامسك . قالوا : نعم يا امير المؤمنين وفلان وفلان وفلان وسموا له بقية اسماء الرجال حتى اتوا على آخرهم . قال عليه السلام . قد صح عندي انكم صدقتم لما تمتم اسماء الرجال الباقيين الذين بدأت انا بذكرهم في ذلك عندكم شك تشكون فيه او ريبة ترابون بها قالوا : لا قال لهم : لما استحضروهم ماثال لهم : قالوا : يقول امير المؤمنين فنه القول ونحن سامعون فما عرفناه اقررنا به وسلمنا فيه . وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لامير المؤمنين . قال عليه السلام : قال لهم صاحب الملة والشريعة : الم تكونوا منتظرين لزماني متوقعين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فبا ان ظهرت فيكم واعلنت دعوتي وشهرت امر ربي كذبوني وجحدتموني وناقضتم علي فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جوارحي حسداً لي وبغضة حسبا تمقله الامم الباغية في الازمان المتقدمة اذا ظهر مثلي سنة سنتها الظالمون اولهم ابليس اللعين مع آدم انكرهم قبل كان ذلك منه اليهم قالوا : نعم قال : فاذا علم ان ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامه قالوا : قد قلنا اولي لامير المؤمنين ان يقول ولنا ان نسمع ونحن محمولين على الشرط الاول الذي شرطه امير المؤمنين علينا اما ما عرفناه اقررنا به وما لم نعرفه انكرناه فترج في ذلك سلامة ادبائنا بالتصديق بالحق وسلامة انفسنا من القتل بالتزام الشرط

قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم انهم قالوا : ما انت الذي كنت منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره قال لهم : ما دليكم على صحة ذلك اني ما انا هو قالوا : ما هو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشهرت به انبيائنا لا مهم قال لهم : ما هو بينوه قالوا : ثلث خصال احدها ليس اسمك كاسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لاصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فنه آخذناك لما قلت ما حكيتك عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضرركم والاغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما انت المسمى اذ

اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق منا وملك اسمه احمد والثانية مدته قد بقي لها اربعائة سنة من يوم مبعثك الى حين ظهور هذا المنتظر فقد خالفته ايضا في الاسم والمدة والثالثة المنتظر انما يدعوا الى توحيد ربه بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كثرة لتحق نفوسنا حسبا ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الجبائث ووضعه عنا خرنا والاغلال التي كانت علينا فاي حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر يقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته فقد خالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل واذا كنت انما تدعون الى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا آثر وخير لنا

وصفة المنتظر عندنا رفع الشكفيات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وان لا يتجاوز في عصره كافر ولا منافق وانت اكثر اصحابك يظهرون النفاق عليك وانما بغلبة سيفك عليهم سلوا لامرك واذا كان ذلك كذلك فلم تلونا على قتالك وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك . ثم قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : اكذبا كان قالوا : نعم كذلك كان وكل قولك حق وصدق . قال : فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام قالوا : يقول امير المؤمنين حسبا جرت به العادة ونسمع ونطيع بالجواب اذا ثمانا ونكره اذا جهانا قال لهم عليه السلام : اما اذا عرفتم ذلك وعلمتم . فلا شك انكم تعرفون صفة الحال كما جرت ان شاء الله . ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابه لهم لا قاتلكم على الدخول في ملتي والتمسك بي والصدوف عن امري لانكم اصحاب شرايع وكتب وتمعن بامرهم ناطقون وليس اقاتل من هذه صفة . ولا انا رافع الشرايع ولا ذلك كله الي بل كلما ملكت بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الاوثان والتمناذر فلي ان الزمهم الدخول في ملتي واقتلهم ومن كان في البلدة معكم عرضت عليه اما الدخول في ملتي واتباع امري وشريعتي او اداء الجزية فاذا كره الوطن الذي ملككم وبسيفي فتحته فمن وزن الجزية منهم اقرته في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منهم على مثل ذلك قاتلته وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا : لك ذلك فما قلت الا حقاً ولا نرى منك الا صدقاً قال لهم : اذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم علي ورفعت منازلي وفضلتي الذي قد اتاني من عند ربي وزعمتم ان الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من مبعثي الى حين ظهور هذا المنتظر بقي له اربعائة سنة فاكتبوا بيني وبينكم مواضعة تنضم كل ذلك وذكره وعلى انكم تدفعون الي الجزية طول تلك المدة التي ذكرتم ان المبعوث اليكم فيها يأتي غيري فان كنت من جملة المحرصين الكذابين فانتهم تكفون موثقي ويرجع اليكم

الملك اذا ظهر من تنتظرونه وان لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم
 بأنكم في هذه المدة من تنتظرونه فلصاحب بيتي والقائم بدعوتي والامام الذي يكون
 في ذلك العصر ان يدعوكم الى مادعوتكم اليه اليوم فان اجتمعوه وسلمتم وان ابيتكم عليه كما
 ابيتكم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم فله ان يأخذكم بالشرط الذي شرطه على انفسكم
 ويقابلكم فان تاملتموه قتلكم ولا يقبل لكم عذراً ويستريح ملككم ويهدم شريعتكم يهدم
 لبيعكم ويعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحجبون به ولا محال تركنون اليه ولا ابليس
 تعملون عليه وهو المنصور عليكم يتقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نص المواضعة
 اعكذا هو قالوا : نعم قال امير المؤمنين عليه السلام : والمواضعة لم تزل تنقل من بعد
 صاحب الشريعة والملة من وصي صادق الى امام فاضل حتى وصلت اليّ فهي عندي
 فلم يكن عليه السلام ان ينقض شرطاً اسمه وحكايته وهو معروف وقت ان نشأ في
 الجاهلية محمد الامين فكيف ينقض ما انعم به عليكم ولم يجوز لاحد من ائمة دينه وخلفاءه
 شريعته ان ينقض ما امر به من قبل انقضاء المدة اتباعاً وتسليماً لحكمه فلا وصل الامر اليّ
 وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في نصري وعند تمامها امرني اخذت منكم
 بحقه ودعوتكم الى شرطكم وشرطه حسب مقتضيه الامانة وحكم المعاهدة كذلك بل كنتم
 انه صفة الحال قالوا : نعم كذلك كان قال : فاي حجة بتيث لكم عليه وعليّ بعدما اوضحناه
 واي امر تعديت فيه بزيادكم عليكم اذ كنتم بشرطكم اخذتكم وما كنتم تنتظرونه ائمة
 عليكم وقد اوسعتمكم حل رعد لا اذ اقيمت نفوسكم على اجسامكم ونعمكم عليها امها (؟) لا لتفتيروا
 بعد الغفلة وتسلبوا بعد المعاهدة فاي حجة لكم بعدما رخصناه واي حق معكم بعد ما قلناه
 واي عذر يقوه لكم بعد ما شرحناه قولوا واسألوا تجابوا وتنصفوا ولا يكون لكم قول ولا حجة
 فانصرفوا محجوجين كاذبين ناديين شاكين خائبين فقال : ماذا تقولون قالوا باجمهم
 هذا والله كله حتى وصدت لانشك فيه ولا ترتاب به قد سمعنا وفهمنا والله الحجة البالغة
 رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله الطاهرين . تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده وبه نستعين . اهـ

وسننشر في الجزء التالي تمثلاً من هذا الخطوط ايضاً جلاءً لخقيقة المناضعة



اللاما وعابدوه

عرف المظالمون من مواطنينا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن انه لم يخطر لعافل منهم ببال انه يوجد حتى اليوم امم عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعبدانساناً حياً، ثلهم وتقدم له من انواع التكرمة والتجليل والاعظام ما لا ينبغي تقديمه الا للاله الحي الازلي القوي فان اللاما وما ادراك ما اللاما ان هو الا بشر كسائر الناس يأكل ويشرب ويضحك ويبكي ويخزي ويصيب ومع ذلك فللمايين من الصينيين والهنود والمغول يولون تأليهاً يبذلون له من ضرور العبادات ما يقضي بالخير والاستغراب وتسمول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لا يخلو من الفائدة لمن تتبع تاريخ واحول وشؤون الالم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات رأينا ان نطرحهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الايجاز والوضوح فنقول:

ان الدين اللاماي قديم جداً مر عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاده ساند منتشر في مساحة من المعمور تقرب من سبعمائة الف ميل شدة من ينبوع نهر «الاندوس» الى حدود الصين ومن تخوم الهند الى قفر «كوبي» وتسمى هذه المملكة «تيبة» او «تبت» وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لجبال حملايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد ان هذا الدين لم ينحصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعاليمه ايضاً منذ عصور متطاولة الى قبائل ونصائل كثيرة من امة التتر المتجولة بين ضفاف نهر «الولكا» و«كوريا» بجوار بحر اليابان والى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون ان الذين يدينون بهذا الدين لا يتقصون عن مئة مليون اكثرهم ممن لهم اقدم راسخة في المدينة الشرقية وعراق تامة في الحضارة بين اصحاب اللوت الاصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى ومقر عرش هذا المعبود «استغفر الله» انما هو قصر يسمى «باتولي» مبني في ذروة جبل علي مقربة من شاطي «بارامبوتر» بينه وبين «لاسا» عاصمة البلاد سبعة اميال وفي حضيض ذلك الجبل يتيم نحو عشرين الفا من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد منازلهم وقربها من عرش «اللاما» معبودهم الاكبر وهم يعتقدون انه ازلي لا يموت يحيط بكل الامور جامع لانواع الفضائل ويسمونه

«اب السماوات» وهو لا يرى الا في مكان مري في قصره يجلس فيه الاربعاء بين مئات من المصاييح الذهبية وعليه من الخلي وانواع الجواهر النفيسة ما يقصر عنه الوصف فيمقاطرون الى زيارته من كل صوب واوب وحذب في موسم معلوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد اذرع وتلي الذين يتلون شرف الدخول الى مقدسه ان يطرحوا انفسهم الى الارض ركعاً سجدوا وهم بعيدون عنه مرمي النظر اجلالاً له وتكرماً ولا يخص بهذه النخبة السامية الا الملوك وعظماء الامراء وزعماء القبائل فيرونه عن بعد من طرف خفي دون ان يخاطبوه او ينس لم ينبت شفة

وهذه الزيارة تكفي عندهم لغفرة كل ما جترحوه ويجتروحونه من الآثام والكبائر مدى الحياة ومن العجب انهم يأخذون من رجبهم ما يذخرونه في اوعية صغيرة ذهبية ثم يعلنونه كالتائم والعاو يذ في اعتناقهم واعضادهم يستشفون بها من الامراض ويدفعون ككيد الالبسة وتزغات الشياطين وهم يشترون تلك الذخائر الرجسة بالوف مؤلفة من المال ومن حصل على مثقال منها فقد نال بزعيمه سعادة الدارين وجمع بين الحسينيين وقد يدخلون الى مطاعهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي واكن هيئات ان ينال ذلك منهم الاكل رفيع القدر نافذ الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث بشياً له ان يجمع بين «المفرزين» معاً فهو بين الاقطاب الاعلام امجد من الاسكندر في عصره او فرعون في عصره فيالله مما تخط الى مدارك البشر

وللاما سلطان سياسي فضلاً عن سلطانه الديني ومع ان بلاده تحسب منذ القديم تابعة للامبراطورية الصينية وتوذيها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسمونهم «خانات» وامن مدافع وله في «باكين» وغيرها من العواصم في الشرق الاقصى سفراء وامبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كمعبود ولا عوانه الكثيرين الذين يسمونهم «اللامو بين الصغار» انفذ سلطة واسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجيئون الهدايا ويجمعون النذور من جميع بلاد المغول وثيبة والهند الغربية وغيرها باسم «اللاما العظيم» ومع كونهم فاسدي الاخلاق قبيحي السيرة منغمسين في الملاذ البهيمية يحترمونهم الناس اعظم احترام ولم جميعاً من الثروات الطائلة ما صارهم في المقام الاول بين ممثولي تلك الاصقاع ومومريها

وعندهم ان «اللاما» متى ادركه الهرم او مات بسبب آخر من اسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتجل في مسكن اقوى وامن فتنتقل تلك الروح الى جسد

طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل « آيس » عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامويين الصغار حتى اذا تحققوا وجودها في اي طفل كان قالوا — هذا هو اللاما — فالتجذوه خلفاً لسلف قبله واقاموا عنه نواباً منهم حتى يبلغ اشده وعلى هذا لا يكون ذلك في زعمهم موتاً طبيعياً بل هو من قبيل الانتقال العادي من موئل الى آخر

وهم يؤمنون بأنّه واحد يثلاثون اقلية كما يثلاث الهنود « برهما » ويزعمون انه ظهر اول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متعبد يموت في الظاهر ولكنه في الحقيقة ينتقل كما ذكرنا من مسكن الى آخر مع انه ازلي حي سرمدى لا يموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذي يسميه الصينيون « هونغو » اي الاله الحي ثم يؤمنون بخلود النفس والثواب والعقاب ولهم صلوات واصوام وذبائح وقرابين وكهنة ذات فروض ونذور ومشارك وصوامع واديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين ألفاً وكلهم يلبس البسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف اشكالها واوضاعها باختلاف رتبهم الدينية ولهؤلاء الكهنة مدارس تلقنهم فروض الدين ونواميس وتعاليم وشيئا من الطب وعلم الهيئة وضرورياً من الشعوذة والتدجيل يخرقون بها على العامة المخدوعة باساليبهم السحرية غير ان دهاء الانكليز الذين يستسهل امرهم بعض متهمومي الكسبة ذوي الاماني والاسلام لم يدع هذه لزمرة الفضلة وانهاها الدجل لثمتعون بما توارثوه عن اباؤهم منذ آلاف اعوام من المجد السامي والمكانة العليا بل ما برحوا منذ بعض قرون فاتياً يثثون دعائهم ورسائلهم وينصبون شبكاتهم واحاطيلهم بين اللامويين مثيرين بكل وسيلة من وسائلهم الفعالة لسط نفوذهم وتمثين دعائهم في تلك الاقطار حتى الجأوا اللاما واشياعه بعد حمائم سالت فيها الدماء سيل الماء الى مواليتهم والدخول في حمايتهم وتحت سيطرتهم الى غير ذلك مما كشف التنافع عن بصائر الصينيين وامات ثقتهم وصدق يقيتهم بذلك المعبود الكاذب فنهضوا عليه نهضة رجل واحد واجلوه عن مقدسه قضى هارباً صاعراً مدحوراً لا يلوي على شيء يلتمس من مواليه الانكليز حماية روحه وماله الى غير ما هنالك مما فاضت ببيانها صحف الاخبار وجاء منطقاً على ما يريد الانكليز خلافاً لما يتوهمه البعض من ينظرون الى المراي السياسية بعين الاحول فسيحان مصرف الامور بحكمته ومقلب الاحوال بقدرته ان له لايات تترى تبدو من خلال تعاقب الليل والنهار

ومن غرائب هذه البلاد ان الهماء فيها مع ارتفاعها المنتهى عن سطح البحر ومحاورها
لاعظم جبال آسيا انما هو بارئ جاف لا مطر فيه صلات حتى ان الثلج قلما يروى في تلك
الاصقاع والخشب هالك لا يبلى بل يصير صلباً حتى يضاع الصوان ويبقى مع الدهر
كذلك اللحم اذا عرّضته للهواء يجف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كاللحم
وهكذا يفعلون

ومع انه لا يثبت فيها شجر بري قط تجد في اوديتها اشجوبة عن الزعانج والاعاء
اشجاراً مثمرة كثيرة كالنخيل والتين والكره والزبان والجز وهناك بزرع الارز والحد
والشعير وما يماثله من انواع الحبوب فتكون غلاته جيدة بخلاف نجادها المرتفعة المنحدر
للرياح فانها لاتصلح للزراعة الا شذوذاً

وهي غنية بمعادنها الثمينة فان الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالزبرجد والمال
توجد هناك بكثرة كما يوجد ايضاً الرصاص والزنبق والحديد والبورق والملح
واهلها على غربة دينهم وخشونة شعاره لينو العريكة دمشق خلق خفيف الروح
شجاعه وكرم وامانة وصرورة ينزعون الى الحرية والاستقامة والصدق في معاشرتهم ومعاملاتهم
ولهم كاهالي فينيقية الاقدمين اشد النولع بالتجارة تلى اختلاف مناحيها واكثرهم ز
في الزراعة لعقم اراضيهم وقلها ولكنهم يشتغلون باستخراج المناجم والتعدين ولهم ح
عجيب بتثقيف الحجارة الكريمة واصلاحها واظهار رونقها ولعائنها

ولفتهم وان كنت من ذوات المقطع الواحد اذا انها واسعة يعبر بها عن اعالي القل
والندنية مبها كانت دقيقة غامضة بسهولة وجلاء وهم يكتبون بها من الشمال الى ال
كما يكتب النود باللغة السانسكريتية ومكتبهم غنية في آدابها واكثرها الماشيد و
بشروع متقدمة من كتب البوذيين المقدسة

ويذهب اكثر علماء (البيولوجيا) ان اصل هذه الامة مغولي ويقع بين ظهر
قليل من المسلمين ومعظمهم من اهالي كشمير ويوجد هناك ايضاً بضعة آلاف
الكاثوليك

ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال بامرأة واحدة كاهالي جزيرة سي
وهي عادة مستفيضة في كل امة او بلاد تكثر نساؤها ويكثر رجالها

واند اختلاف الكتابة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمن يد
(غنية) ومنهم من يسميها (تيت) وبعضهم من قال انها (تت) وقد ضبطها يا

أنه ي بالباء المشددة اما الاوربيون فيسمونها هكذا (Phibets) واول سائح استقرأ تلك البلاد هو (توماس ماتي) وذلك سنة ١٨١٣ للميلاد ثم وليه النفس (هوك) سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ وانما استقراؤهما اياها لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر اما سائر اقسام المملكة ولا سيما الشرقية والشالية فهي ما برحت حتى اليوم ستفمده احوالها في سحاب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الارض

هذا مجمل ما امكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتنقيب عن احوال تلك المملكة الغربية في دياناتها وعبادتها في اقليمها وبيئاتها في طبائع اهلها وعاداتهم اخذناه بمحصول عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم اطرفنا به المتنبس تفككة لقارئيه وباصرة وذكرى
دمشق
سليم نخوري



قانون تكليف العقارات

الفصل الأول

في العقارات التي عليها تكاليف

المادة الأولى — يفرض على العقارات في كل قضاء تكليف واحد بنسبة دخلها ويكون هذا بدل التكاليف الخاضرة وهي الخراج « و يركو » وحصة المعارف والتجهيزات وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتخمين ايرادها وفقاً لاحكام هذا القانون ويجوز ضم شيء على اصل هذا التكليف للمعارف والامور النافعة لاهل ذلك القضاء بشرط ان يعين الحد الاعظم لهذه الضمايم في قانون الميزانية كل سنة .
تعتبر كل دائرة بلدية في الاستانة والبلاد الثلاثة « بك اوغلي ، اسكدار ، ايوب » قضاء عند تطبيق هذا القانون

المادة الثانية — العرصات المستعملة مخازن وتعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وان لم يكن فيها بناء وسقف

المادة الثالثة — تعتبر افنية العقارات وحدائقها من ممتلكات الابنية ويفرض عليها مع الابنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظمات خاصة . اما الزائد من

الافقية والحدائق عن النسبة المذكورة اذا لم يستعمل للتجارة والصناعة كما هو محرز في المادة الثانية فيتبع قانون تكليف الاراضي والعرضات . والعرضات المنصلة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تعد من مشتملاتها وتعتبر مثلها من حيث التكليف المادة الرابعة — الاستثناء يكون امدائماً او مؤقتاً . اما المستثنيات دائمة هي :

١ — عقارات الدولة

٢ — عقارات الحضرة السلطانية سوى ما هو للاستغلال منها

٣ — عتارات البيت السلطاني المحررة اسمائهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني على شرط ان يسكنوها .

٤ — عقارات البلديات والتصبات والقرى التي يستعملها الناس ولا ايراد لها .

٥ — التكايا والزوايا المصدق عليها في الدوائر الرسمية وبيوت العبادة والاديار وثمانها التي في حريمها (يشترط في هذه ان لا تكون مستأجرة)

٦ — العقارات المخصصة لاقامة الخدمة والمناياخ والمتولين المصرح بها في الوقفيات اذا لم تؤجر او تستأجر

٧ — العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير اذا لم تؤجر او تستأجر

٨ — الدور التي يسكنها الفلاح والمزارع اللذان يحرثان ويزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والاراضي والحراج والحلات المعدة لايواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والادوات الزراعية (ان جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروط بها ان تكون خاصة باستثمار اراضي القرية او المزرعة وان لا تكون مفرزة من الاراضي المعدة للزراعة ومؤجرة)

٩ — الحظائر والزرائب والمحال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير .

المادة الخامسة — تبقى العقارات المعفاة من التكليف بموجب معاهدات وقرامين او وثائق اشترطتها الحكومة على نفسها مستثناة من التكليف كما كانت وبعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة الا بقانون مخصوص

المادة السادسة — تعين الادارة المركزية نوع العتارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الاولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة

المادة السابعة — المستثنيات مؤقتة هي :

١ — الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الانشاء
٢ — المساكن التي أُنشئت لاسكان العشار السيار والمهاجرين الاولى لعشر سنوات
مالية والثانية لخمس سنوات مالية ترم بعد السنة التي تم فيها الانشاء سواء أُنشئت هذه
المساكن من قبل الحكومة او من قبل العشار او المهاجرين انفسهم .

٣ — الابنية الجديدة الحجرية والخشبية الاولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة
تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري او الخشي . يجب على اصحاب البناء ان يعطوا في
خلال شهرين من مباشرتهم البناء ، مأموري المالية في ذلك القضاء بياناً يتضمن موقع الابنية
ونوعها وجهة استعمالها . فاذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف
العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الانشاء . متى اجر البناء كله او جزء منه
اوصار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه بعد انشاؤه تاماً

المادة الثامنة — الابنية الآتي بيانها تعد من الابنية الجديدة

١ — العلوات التي تضم على الابنية الموجودة

٢ — العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون .

٣ — ما جعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل

المادة التاسعة — العقارات التي عليها تكليف اذا دخلت في عداد المستثنيات يجري
عليها حكم هذا الاستثناء من اول السنة المالية التي تلي السنة المستدعي بها من قبل المكلف
المادة العاشرة — العقارات التي احترقت وخربت اوصارت من الخراب الى حال
لا يمكن الانتفاع به واخير صاحبها موظفي المالية عنها على الاحول وثبت ذلك لديهم
باتحقيق يرفع عنها التكاليف اعتباراً من التقسيط الذي يلي التقسيط المصادف تاريخ
مراجعة صاحبها واخباره اما عرصتها فيجري عليها قانون تكليف الاراضي

المادة الحادية عشرة — المطاحن والمعامل ودور الصناعات اذا لم تشغل مدة سنة
كاملة على الاقل بدون فاصلة يكون لاصحابها الحق بالعفو الموقت عن ثلاثة ارباع
التكليف في المدة التي لم تشغل بها . وعلى اصحاب هذه العقارات ان يرفعوا الى الحكومة
بيانين احدهما في اول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة . ويكون حكم
العفو الموقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة . واذا لم يخبر اصحاب العقارات
في مدة شهر واحد باستثناءها العمل ببيان يقدمونه الى الحكومة يحرمون من التمتع بالعفو

في غضون تلك السنة . اذا استمرت المظلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة على الصورة المذكورة

❖ الفصل الثاني ❖

في نسبة التكليف

المادة الثانية عشرة — ان نسبة التكليف هي اثنا عشر في المئة عن الواردات غير الصافية وانما يزداد على هذه النسبة في ميزانية المعارف ما يعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة

يطرح التكليف على الطواحين والمعامل ودور الصناعات والدور الخشبية المعدة للسكنى بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية . العقارات المحتوية على الآلات والادوات المخصوصة والمعدة لاجراء صناعة تعد معملاً او دار صناعة . الابنية المنشأة بجدران من الخشب او الواح خشبية او ما يسمونه بقدادى تعتبر خشبية (ولو كان اساسها قائماً على الحجر الى ارتفاع مترين من وجه الارض) الابنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الابنية الخشبية .

المادة الثالثة عشرة — تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشاً فاقل والمعدة لسكنى صاحبها من التكليف جملة . والدور التي ايرادها اكثر من مئتين وخمسين قرشاً وقل من الف بصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشاً من ايرادها

المادة الرابعة عشرة — تجوز تخمين العقارات بحسب الايجارات غير الصافية المتعارفة في محلها عامة وبحسب ايراد الابنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد ادواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي انشيت منها وبحسب حاله الحاضرة من حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه . وعند تخمين الايراد غير الصافي للطواحين والمعامل ودور الصناعات ينظر الى ما فيها من الوسائط الصناعية النابتة

المادة الخامسة عشرة — اذا لم يوجد وسائط كافية تخمين واردات البناء التبرصانية تعين قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته ايراداً غير صاف اذا كانت طاحونا او معملاً او دار صناعة او داراً خشبية لسكنى صاحبها ورثة في المئة اذا كان من

العقارات الاخرى

❖ الفصل الثالث ❖

في تحرير العقارات وتقدير دخلها

المادة السادسة عشرة — تكتب جميع العقارات وتقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون .
يعين مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الاسنانة والولايات ومن المتصرفين في
الولاية المستقلة

المادة السابعة عشرة — تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة اشخاص
تعينهم الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان يلحق بها وكلاء المكلفين برئاسة
احد المأمورين الثلاثة المار ذكرهم

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تنتخبهم مجالس البلدية في التصابات التي فيها دوائر بلدية
ومجالس الادارة في التصابات التي ليس فيها دوائر بلدية من اناس لم املك داخل البلدة
وفي القرى تنتخبهم مجالس القرى . اصحب العقارات مكلفون باراءتها هذه اللجان
واعطائهم المعلومات الكافية عن احوالها العامة وعن جهة اسمائها ومقدار اجرتها ويؤخذ
من يمتنع عن ذلك او يخبر بخلاف الحقيقة عن عمد عشرون قرشاً الى مئة قرش جزاء
تقديراً بحكم المحكمة .

المادة الثامنة عشرة — اذا كان العقار منقسماً ومفترقاً بين اصحابه بصورة رسمية
يضمن ايراد كل قسم على حدة واذا لم يكن مفترقاً بل كان مشاعاً بينهم يخمن ايراده كله
من حيث المجموع

المادة التاسعة عشرة — عند تمام تخمين القرية او الحى في المدن من قبل اللجنة
التي ذكرت آنفاً يعان اكمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخمين ايرادها ليطالعه
المكلفون ويعينوا فيه نظرم مدة شهر واحد ثم يبلغ كل مكلف على الانفراد ورقة اخبارية
تضمن مقدار الأيراد الذي ضمن عقاره ولكل مكلف الحق بالاعتراض في مدة شهرين
من تاريخ تبليغ الاخبارية لمأمور مال القضاء لينظر به في لجنة التخمين

وللمأمور مال أيضاً الحق بالاعتراض على تقدير اللجنة وتخمينها في مدة شهرين
من بعد ارسال الجدول المذكور اليهم . وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضهم هذا
مع اسبابه الموجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار لتقدير الذي لا يعترض
عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً

المادة العشرون — على اللجنة ان تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسمع اعتراض

المعترضين شفاهاً اذا طلبوا او وجد لزوم لذلك وان تشاهد العقارت مرة ثانية وتحقق احوالها عند الايجاب تعطي قراراً مدة شهرين على الكثير ويبلغ هذا القرار الى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء

المادة الحادية والعشرون — للمكلفين ان يستأنفوا قرار لجنة التخمين في خلال شهر واحد من تاريخ تبليغه لدى لجنة تؤلف في كل لواء باعتراض يقدمونه لمأموري المال حاوي للدلائل الكافية

تؤلف هذه اللجنة برئاسة الوالي او المتصرف هكذا: الدفتردار او المحاسب ومأمور منتخبه الحكومة وثلاثة اعضاء يقترح عليهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية البلدية في الاستانة اذا لم يكن المجلس العمومي فيها ملئاً من بين ستة من اصحاب الاملاك يبعث بهم اللواء

ولمأموري المال ايضاً ان يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط ان تبلغ مراجعتهم هذه للمكلف . وعلى لجنة الاستئناف ان تعطي قرارها في خلال شهرين

المادة الثانية والعشرون — اذا ادعي بان قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فللمكلفين ومأموري المال ان يراجعوا في خلال شهر واحد من بعد تبليغ القرار على الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي تؤلف في نظارة المالية بانتخاب الناظر من رئيس وستة اعضاء . وهذه اللجنة لا تبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الايراد

المادة الثالثة والعشرون — للمكلفين ان يعترضوا في خلال شهرين من بعد اعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الاحوال الآتية وفقاً للطريقة المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما يليها من المواد

١ — اذا وجد سهو وامتنعت الحكومة عن تصحيحه .

٢ — اذا لم يجر التبليغ المحرر في المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ او جرى بصورة

مخالفة للقانون

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء اعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكاليف التي تجر لأول مرة في ختام التعديلات .

المادة الرابعة والعشرون — الاعتراضات الواقعة على مقدار التكليف المدخل في جدول التكاليف لا تؤخر تحصيله ولكن اذا تقرر ان الاعتراض محق يرد المقدار الزائد الى المكلف حالا .

المادة الخامسة والعشرون — مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالاكثرية على شرط ان لا يكون عدد الاعضاء اقل من النصف فاذا تساوت الآراء يرجع الطرف الذي فيه الرئيس

❦ الفصل الرابع ❦

في دفتر امهات التكليف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون — الجداول التي تحرر بمعرفة اللجان المار ذكرها طوية تحرير العقارات وتقدير ايرادها والتعديلات المالية التي تجري بموجب هذا القانون يتألف منها دفتر الامهات .

دفتر الامهات يكون مأخذا جداول التكاليف السنوية المحررة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الاموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ اغسطس سنة ١٣٢٥

المادة السابعة والعشرون — في كل عشر سنوات تجري تعديلات عمومية لتقدير ايراد العقارات وفقاً لاحكام هذا القانون .

المادة الثامنة والعشرون — اذا نقص ايراد العقار او زاد مقدار الثلث لبعض الاسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب من صاحب العقار او مأمور المال عدا عن التعديلات العمومية التي تجري في كل عشر سنوات . تطلب التعديلات وفقاً للفقرة السابقة في السنة الاشهر الاولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية .

المادة التاسعة والعشرون — يتقضى على اصحاب الاملاك بيان الخصوصات الآتية الى قلم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء ويعطى لهم علم وخبر بمقابلة ذلك .

١ — العلوات التي تضم على الابنية الجديدة الموجودة .

٢ — العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون .

التعديلات التي تحصل في جهة استعمال الابنية بصورة تدعو الى انتقطاع الاستثناء

المستور بهذا القانون والتحولات التي تغير نسبة التكليف المعينة في المادة الثانية عشرة .

تعطى البيانات المذكورة في خلال شهرين اعتباراً من استعمال الاملاك على الوجه المذكور او من حدوث التحولات فيها واذا لم تعط البيانات في المدة المذكورة يضم على التكليف المتقضي اخذه على حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة واحدة

المادة الثلاثون — اصحاب الاملاك التي نسبت في التحرير العام ولم تكتب يقضي عليهم انتهاء امرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تلي ختام اعمال التحرير وانما لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم على اصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من القيمة تطبيق هذا القانون في ذلك المحل الى آخر السنة التي يطلع بها على النسيان .

المادة الحادية والثلاثون — تجري المعاملات المتعلقة بتعديلات دفتر الاملاك وفقاً للقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وانما تؤلف اللجنة التي تنظر في هذه المعاملات من اربعة اعضاء اثنان منهم ينتخبان من اعضاء مجلس الادارة واثنان من اعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال . ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكفون او مأمور المال المحليون على قرار هذه اللجان في لمدة المحررة في المواد السابعة في مجالس الادارة المحلية . يكون قرار مجالس الادارة قطعياً على شرط ان يبقى حتى المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوظاً في الاحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين .

❖ الفصل الخامس ❖

في المكلفين الملزمين بأداء التكليف

المادة الثانية والثلاثون — اصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكفون بدفع التكليف المرتب عليها واذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها .

المادة الثالثة والثلاثون — المتصرفون في العقار مشاعاً يكفون بنسبة حصصهم الشائعة . العقار المقيّد على شخص متوفى يعتبر غير متوفى وتجري بحقه المعاملة وفقاً للفقرة الأولى هذا اذا لم يتسم ويقيد في ادارة الطابو واذا لم يستطع الورثة حقوقهم الارثية كلها او بعضها .

❖ احكام عمومية ❖

المادة الرابعة والثلاثون — يحرم ناظر المالية نظاماً يتضمن كيفية تنفيذ هذا القانون

وبعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة ينفذ بأرادة سلطانية .
المادة الخامسة والثلاثون — تعتبر الاحكام التي كانت مرعية قبلا في تكليف العقارات
لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء واكمل التحرير العام والمباشرة في
تحصيل التكليف .

المادة السادسة والثلاثون — عقارات الحرمين الشريفين مستثناة من احكام
هذا القانون .

المادة السابعة والثلاثون — ناظر المالية مأور بتنفيذ هذا القانون .

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الاقتصادية

تأليف المسبؤلثاناليه

La position économique de l'Islam, par M. A.
Le chatelier

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة ان يربنا كل يوم اثرًا من آثار علمه واطلاعه
ودليلاً من ادلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الاكبر في احوال الاسلام والمسلمين
ومن اعظم ائمة الزريبين الواقفين على منزلة الشرقيين ورسالته هذه كسائر ماخطته براعته
اوصدر تحت رعايته مملوءة بحسن الظن بمستقبل المسلمين افتتحها بقوله ان العالم الانكليزي
السكسوني الذي ذهب بفضل التقدم في اعماله الاقتصادية ليس هو من حيث العدد
والانصف العالم الاسلامي فهو عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العظمى والولايات
المتحدة وكندا واوستراليا وافر بقية الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي ينزلها
العنصر الانكليزي اما الاسلام فجميع كلمته من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليون من البشر
ويمتد سلطانه من الصحاري النجدية في ايرتيش واوهيو الى مدن افر بقية الجنوبية من
الارخبيل الهندي الى شواطئ الاندلاتيك مع فروع في اوروبا تصل الى ليتوانيا
وبولونيا كي ينتشر من وراء البحر المحيط الى اميركا واوستراليا . والمسلمون كالسكسونيين
تجدهم تارة مجتمعين في بلاد اسلامية خاصة بهم واخرى متفرقين بين من لا يدينون
بدينهم فمركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم .

والسواد الاعظم من المسلمين في آسيا فهو فيها عبارة عن ١٧٠ مليون مسلم اي مثل مجموع سكان اميركا الشمالية والجنوبية واسيانيا والبرتغال ٠ في الهند الانكليزية ٢٨٤ مليوناً من السكان منهم ٦٢ مليون مسلم وفي الهند الهولندية ٣٠ مليوناً وليس معدل السكان واحداً في كل بلد بل ان نسبة المسلمين في الهند الصينية الى سائر السكان نسبة ١٠٠ — ٥ من مجموع السكان ومعدلهم في الصين من ٥ الى ٦ في المئة وفي الافغان ٥ — ٩٩ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلوچستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس وينزل معدلهم كما تقدمت نحو الغرب فيينا تجددهم ٩٨ في المئة ببلاد العرب ينزل معدلهم الى ٨٦ في المئة بين النهرين والى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٢٠ في المئة ويبلغ في افريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون افريقي وينزل معدل نفوسهم من الشمال الى الجنوب ويكون سوادهم الاعظم في الشمال اي في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر واصل سكان افريقية الشرقية من جالية العرب والهنود ينزلون في رودوسيا والترنسفال والنااتال والراس ومدغسكر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي الف ولا يكثر عدد المسلمين في اوربا الا في بلاد روسيا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البلقان اجناساً من الاتراك والارناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين ايضاً اما سائر بلاد اوربا فليس فيها الا عدد قليل لا يتجاوز الالف من المسلمين المختلفين في اجناسهم وليس هو ثابتاً ٠ واذا اضفنا الى اوستراليا وتوابعها نحو ٤٠ الى ٥٠ الف افغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في اميركا باسرها من الاتراك والعرب والصينيين والزنج جاء معنا لائحة صحيحة في الجملة من العالم الاسلامي

وبعد ان افاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداتهم قال ان لسان القرآن الالهي يحدث صلة اخرى بين اعضاء الاسرة الاسلامية الكبرى فاذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليوناً من الآسيويين والافريقيين من نهر الفرات الى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الاسلامية من بلاد الصين الى افريقية الجنوبية من جزائر الفيلبين الى مراکش وتستعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم ٠ وان الشعوب الاسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل الى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازمة تكتب بحروف عربية ولغة

الاردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول والبري في افريقية

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الاسلامية بايجاز فقال مع ان تاريخها يرد الى سنة ١٨٢٨ ايام انشاء محمد علي الوقائع المصرية أصبحت الآن منتشرة ولا سيما في مصر على عهدنا الاخير والبلاد العثمانية بعد الحرية وقددر الصحف الاسلامية في الارض باربعائة منها ١٥٠ باللغة العربية اكثرها في مصر والشام وتونس . وافاض في المشاريع الصناعية والتجارية التي اخذ المليون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها ويرزون كغيرهم من الشعوب الراقية واحسن ظنه بنهضة المرأة التركية وكيف يحاول المجددون في الاسلام اليوم ان يدخلوا العلوم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيين في جامع الزيتونة والمصريون في الازهر وذكر مثلاً من السكك الحديدية واعمال الكهرباء والبخار ولا سيما في البلاد العربية فقال ان المدينة المنورة مع انها في فقر بين البدو تثار بالكهربائية كما ان بنبع تشرب من ماء مقطر بالبخار والامام يحيى في اليمن يطلب تمديد سكة حديدية من الحديد الى صنعاء

ثم قال ان المفكرين من السياسيين الغربيين ينظرون وحق لم ان ينظروا الى هذه النهضة الحديثة في الاسلام لا من حيث الدعوة الى الجامعة الاسلامية ولا من حيث الجامعة الوطنية بل الواجب ان ينظروا الى مايتوقع امره في القريب العاجل من قيام مدنية اسلامية متماسكة تقصد الى توطيد اسباب التكافل الاقتصادي بين اجزائها وقال ان السياسة الحميدة اخفقت في دعوتها للجامعة الاسلامية فانقضت عرى تلك الدعوة يوم ظفر احرار سلانيك باعادة الحرية الى المملكة العثمانية وقال ان السياسة العثمانية الاسلامية الالمانية تهيئ السلطنة للتقسيم (كنا) والعقول لا تنصور كيف تُخلص من الانقسامات الجنسية لايجاد فكرة الوطنية

فالفكرة الاقتصادية هي التي تهيم العالم الاسلامي اكثر وهي بها اليوم يطالب المتغلبون كما تطالب مصر انكثرا بقرها منافع متر يجب ان تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريون بعد سبعين سنة من استيلاءفرنسا عليهم فقاموا وهم لا يخافون بأس القوة يطالبون باراضيهم التي استصفيت فعلى اوربا ان تتأكد قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية مما هو مائل للعيان من حال ايران فان اهلها يريدون ان يقاطعوا كل من هو غير ايراني وان يطبقوا القواعد المدنية والاقتصادية على الاسلام لتكون بلادهم لهم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا

قال المؤلف بان على اوروبا ان تنظر المسلمين وجرائدهم التي تنفخ فيهم روح النهوض
لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حاكم جميعاً بلاد الاسلام للمسلمين
ونحن نقول اذا صححت هذه الاحلام والالهام آمين

منطق المشرقيين

والقصيدة المزودة في المنطق للرئيس ابي علي بن سينا

« عنت بتصححه المكتبة السلفية بالقاهرة ص ٨٣ »

احسنت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس على اسلوب راق شأنها في كل ما نشرته
حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن اصح المصادر فجاءت الترجمة
في ٣٨ صفحة وهي من احفل تراجم الرئيس . اما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية
من السلاسة والوضوح بحيث يسهل على من لم يدرس هذا الفن على اصوله ان يتلقفه
بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام . وهالك ما قاله
المؤلف « في ذكر العلوم » نقله نموذجاً لم يسعده الخط بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس
وعنواناً على كيفية تقسيمهم العلوم في عهده قال : « ان العلوم كثيرة والشهوات لها
مختلفة ولكنها تنقسم اول ما تنقسم قسمين : علوم لا يصلح ان تجري احكامها الدهر
كله بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها او تكون مقفولاً عن الحاجة اليها باعيانها
برهة من الدهر ثم يدل عليها من بعد . وعلوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر
وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى « حكمة »

وهذه منها (اصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هنا هو في الاصول وهذه التي
سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم وصنائع اخرى
لا حاجة بنا الى ذكرها

وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لا يخلو اما ان ينتفع به في امور
العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعلقه
يتوصل بها الى علوم هي (علوم امور العالم وما قبله) . واما ان ينتفع به من حيث يصير
آلة لطالبه فيما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم وآبله

والعلم الذي يطلب ليكون آلة — تد جرت العادة في هذا الزمان وفي هذه البلدان
ان يسمى (علم المنطق) ولعل له عند قوم آخر بن اسماً آخر لكننا نؤثر ان نسميه الآن
بهذا الاسم المشهور

وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم — لانه يكون علماً منبهاً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من المعلوم باستعماله للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تضل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك . فهذا هو احد قسمي العلوم

واما القسم الآخر — فهو ينقسم ايضاً اول ما ينقسم قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تركية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط واما ان تكون الغاية ليس ذلك فقط بل وان يعمل الشيء الذي انتقشت صورته في النفس

فيكون الاول تنعاطي : الموجودات لا من حيث هي افعالنا واحوالنا لتعرف احوال وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني يافقت فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا لتعرف احوال وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا

والمشهود من اهل الزمان اهم يسمون الاول (علماً نظرياً) لان غايته التصوي نظر ويسمون الثاني منها (عملياً) لان غايته عمل .

واقسام (العلم النظري) اربعة : وذلك لان الامور اما مخالطة للمادة المعينة حدّاً وتوأمّاً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعتل الا في مادة معينة مثل الانسانية والعظمية وان كانت بحيث لا يمتنع الذهن في اول نظره عن ان يحلها كل مادة — فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب ان يتصرف عن هذا التجويز ويعلم ان ذلك المعنى لا يحل مادة الا اذا حصل معنى زائد يهبئها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والامور .

واما امور مخالطة ايضاً كذلك والذهن وان كان يوجب في صحة تصور كثير منها الى الصاق بما هو مادة او جار مجرى المادة — فليس يمتنع عنده وعند الوجود ان لا يتعين له مادة وكل مادة تصلح لان تخالط . ما يمنع مانع وليس يحتاج في الصلوح له الى ممد يخصه به مثل الثلاثية والثنائية من حيث هي مشكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والتربيع وجميع ما لا يفترق وجوده ولا تصوره الى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الامور والموجودات

واما امور مبادئة للادة والحركة اصلا فلا تصلح لان تخلط بالمادة ولا في التصور
العقلي الحق مثل اخلاق الاول تعالى ومثل ضرب من الملائكة وهذا قبيل ثالث
من الموجودات

واما امور ومعان قد تخلط المادة وقد لا تخلطها فتكون في جملة ما يخالط وفي جملة
ما لا يخالط مثل الوحدة والكثرة والكلّي والجزئي والعلة والمعلول .
كذلك اقسام العلوم النظرية اربعة لكل قبيل علم .

وقد جرت العادة بان يسمى العلم بالنسم الاول (علماً طبيعياً) وبالقسم الثاني
(رياضياً) وبالقسم الثالث (آلياً) وبالنسم الرابع (كلياً) وان لم يكن هذا التفصيل
متعارفاً فهذا هو العلم النظري

واما (العلم العملي) فانه ما يعلم كيفية ما يجب ان يكون عليه الانسان في نفسه
واحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصون هذا باسم
علم الاخلاق

ومنه ما يعلم كيف يجب ان يجري عليه امر المشاركات الانسانية لغيره حتى يكون
على نظام فاضل — اما في المشاركة الجزئية واما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي
التي تكون في منزل واحد والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة

وكل مشاركة فلما تم بقانون مشروع وبمثول لذلك القانون المشروع يراعيه ويعمل
عليه ويحفظه ولا يجوز ان يكون المتولي لحفظ القانون في الامرين جميعاً انسان واحد
فانه لا يجوز ان يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدير ولكل منزل
مدير آخر . ولذلك يحسن ان يفرد (تدبير المنزل) بحسب المتولي باباً مفرداً و (تدبير
المدينة) بحسب المتولي باباً مفرداً ولا يحسن ان يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة
كل على حدة بل الاحسن ان يكون القانون لما يجب ان يراعى في خاصة كل شخص وفي
المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة (الهي)

واما المتولي للتدبير وكيف يجب ان يتولى فالاحسن ان لا تدخل به في بعض
وان جعلت كل تقنين ايضاً باباً آخر فقلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الاحسن ان
يفرد العلم بالاخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وان تجعل
الصناعة الشارعة ما ينبغي ان تكون عليه امراً مفرداً

وليس قولنا « وما ينبغي ان تكون عليه » مشيراً الى انها صناعة ملفقة مخترعة ليست

من عند الله ولكل انسان ذي عقل ان يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل انسان
 ذي عقل ان يتولاها ولا حرج علينا اذا نظرنا في اشياء كثيرة مما يكون من عند الله انها
 كيف ينبغي ان تكون
 فلتكن هذه العلوم الاربعة اقسام العلم العملي كما كانت تلك الاربعة اقسام
 العلم النظري اهـ»

الهيئة والاسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨
 ص ٣١٤

ذكر المؤلف ان الاسلام يوافق آراء الفلاسفة الحديثة اكثر مما يوافق القديمة
 خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشككة والروايات المعضلة قال : « ففي
 الناس اناس يزعمون سلوك الشارع في ابواب الفلكيات مسلك الحكماء وان الهيئة القديمة
 هي الموافقة للشريعة القديمة فلاجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغابرة
 تزل اقدامهم ويضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فتصدت من تصنيف هذا
 الكتاب بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطليموسية وموافقته للآراء المكتشفة
 في الهيئة الجديدة فينبغي ان يكون تصديقهم للعلوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد
 الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الامي والائمة من اهل بيته » والمؤلف
 مشهور بسعة الاطلاع فاشكروه على تحفته

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض اشاهده وعرفه صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر اولاً في بعض اجزاء
 هذه السنة والسنة الماضية وجردناه على حدة وهذه مقدمته وهي تم عن الغرض من نشره :
 « هذه فصول ومقالات بل آفات وذوهارات كتبها في وصف معالم الغرب وما لظيته
 فيه وثقته عند ونا تكي مثل اليقين بانها لا تحمل في مطاوعها من تلك المذنية الساحرة الا
 بقدر ما تصل اليه يد غابر سبيل وينفطن له فكر النزول والخيال راجعاً من كرمه تعالى
 ان ينفع بها قراء العربية ومنه استمد العيون والتبصر نعم المولى ونعم النصير »

رسائل البائية

نشر البارون روزن الرومسي المتوفي ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله

المصلح الثاني في المذهب الباطني . والعربية منها كما نال احد الناظرين في هذه الرسائل وان كانت تبدو في صورة وحى فرائي لا تخرج عن كونها كتبت لتقوية الباطنيين على تحمل المصائب في سبيل ايمانهم والعمل بما توحى به . حقيقة الكفاية والرسالة المشروطة منها المسماة « سورة الملوك » عبارة عن شكوى صاحب المذهب واتباعه من بعض ما يتألم من الموظفين الذين اضطهدوا من اتبعوا مذهب الباب . ولئن كان البهلاء يتصور فيها منحنى القرآن في الانشاء فيعترض بها بعضهم لاول وهلة الا ان من يحسن كتابة نصه لا يلبث ان يرى اغلاطاً عربية واكثرها في التركيب

معيان الفتاوى

نشر المسيو اميل امار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوى فقيه المغرب الي العباس احمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ في مجلدين وترجمها الى الفرنسية مع تعليق الشروح اللازمة لها . وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفتاى اترقية اي تونس وولايات قسنطينة والجزائر وعلماء الاندلس والمغرب الاقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراکش وكانت طبع هذا الكتاب بمصر على الحجر في فاس في ١١ مجلداً تدخل في ٤١٢٣ صفحة قد بقي الناشر هذه الفتاوى حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع اليه

ثلاث مجلات جديدة

الحقائق — مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراني يحررها نخبة من اهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ريال واحد وفي البلاد العثمانية ريال وربع وفي الاقطار الاجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر الندي — مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية لمنشئها شاكرا افندي عون ويعاونه بانسائها بعض اصحاب الاعلام قيمة اشتراكها في بيروت ريالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر

توير الافكار — مجلة دينية ادبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ومديرها نعمان افندي الاعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربع وعشرة فرنكات في الخارج

كتب متفرقة

معنى الحياة — عربي عن الانكليزية وديع افندي البستاني وهو تأليف اللورد افيري

المههور وفيه نصائح للنشأة في قوة الارادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد
يطلب من مكبة المعارف في مصر

تقرير السرالدين غورست سنة ١٩٠٩ — هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد
انكتر في مصر عن الحركة الادارية والسياسية والعلمية فيها صدر بالعربية والانكليزية
والفرنسية وفيه كلام طويل على المعارف المصرية ونمو الحركة للتعليم وازدياد عدد
الشباب والكتاتيب والعناية بتعلم العلوم باللسان العربي المبين ويطلب من مطبعة
الماقطم بالقاهرة

القطار السريع في علم البدیع — مختصر في علم البدیع الخفي بك ناصف من شيرخ
الادب في مصر وهو شرح بدیعية لني الدين

العلم والاجتماع

الشعري الهائية Sirius

قرأت في المقتبس رسالة من بغداد تبحث في الشعري العبور فشكرت عناية الكاتب
بهذا البحث النافع وارجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيداني وجدت فيها
هفوة لعلها من النقل او النشر وهو قوله : « ان العلامة شارل نوردمان يقول بان الشعري
تبعد عنا نجراً من خمسين مرة بعد الشمس عنا » والصحيح انها تبعد عنا زهاء خمسمائة
الف وثلاثة وعشرين الف مرة بعد الشمس عنا وتبأني معرفة ذلك من رصد اختلافها
السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي يقابلها قطر فلك الارض وهي اصغر من ان
تقاس الابدق الآلات لان فلك الارض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متحدة
بنور الشمس المشع نكباً في غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو
بحسب قائمة اورمان ٠١٣٩ من الثانية فيقتضي لوصول نورها اليها ثلثي سنين وثلث سنة
تقريباً وبالتدقيق ٨١٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس
فتكون قوة الجذب فيها شد من قوة الجذب في الشمس وتواضعها معاً (السيارات واقمارها)
فلو وجدت على بعد خمسمائة مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس اليها ثم اسرعت
نحوها مضطرة لشدة التجاذب (لان الجاذبية تتغير بالقلب كمرجع البعد) اما للدوران

حوها اولالاندماج فيها والواقع ان الشعري اليمانية من النجوم المتباعدة عنا وان شئنا (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالترب من الجاثي واستتبع بعض الراصدين ان قرب «الكوفي» انور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشمس) التي تتألف منها عقود البروج كافة وهذا الرأي الاخير لم يجزم بصحته حتى الآن والشعري اليمانية محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بانها تدور حول جرم مظلم اعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً

ثم ذكر ان « الشعري اليمانية هي الينا اقرب هذه الكواكب المنششرة على اسطحجرة » والمعلوم عنها حتى الآن انها الرابعة في البعد عنا بين الثوابت لانه عرف لثلاثة كواكب اختلاف سنوي اكثر واقربهم الينا « Centauri » قنطوروس « اختلافه السنوي ١٠٧٥ اي ثلاثة ارباع الثانية فيكون بعده ١٠ قرابة ٢٥٢ الف مرة بعد الشمس عنا ويقضي لوصول نوره الينا اربع سنين ويظن بعض علماء الهيئة ان بين النجوم الضئيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها اقرب الينا من قنطوروس

لفرض للاستعانة على تصور قدر الشمس الهائل وبعدها عنا ولاجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة ان كرة قطرها قدما ن مثل الشمس فتكون الارض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً عنها وتكون اقرب الثوابت الينا على بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي يبتنا بين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها الى الارض في ٨ دقائق و ١٩ ثانية

ويلى الشعري اليمانية في البعد عدد لا يحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لتناهيا في البعد اولوغلها في قلب المجرة واقاصيها وثرها باشعاع نورها وليس بذات جرمها لان زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول الى اقرب الثوابت بمسافات بعيدة واقوى النظارات في وقتنا الحاضر لا ترينا قرصاً للثوابت واذ اقبل بأن النور يجتاز عرض المجرة بمدة عشرين الف او ثلاثين الف سنة فبعض السدام على رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول نوره الينا سبعائة الف سنة واقوى النظارات لم تحله الى نجوم مفردة او عناقيد ومن المحتمل ان يكون مجرة بعيدة كالمجرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وانظمتها منها وفيها على ان الرأي القائل بان وراء هذه المجرة المحيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وانظمة

الى مالا نهاية لما يتأكد والآلات الخائفة لاتمكننا من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدام انور من خطوط الهيدروجين لاتدلى على عنصر معروف في الارض اوفي الشمس حتى الآن فمن المحتمل ان يكون ذلك دليلاً على وجود عنصر ايسط او اوطاً رتبة من الهيدروجين

هذا ماجال في الخاطر جداني اليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لانتفاء اثره واقتباس منار علمه في هذا المسلك الذي قد لانبج بسلوكة من العثور فالرجوع الى ما يدونه علماء العصر احق والبحث في انواع العلوم الطبيعية انور للبصيرة فتكسب المرء قدرة التصرف بالاعمال العظيمة المقيدة فان اكثر الناس تجهل حقيقة هذا العلم وتخيّل في السماء اموراً سخيفة اشركتها في م تقدّمها وتسكت في باطلها وظلت عليها القرون والاحقاب حتى رسخت تلك الاوهام الفاسدة في العقول وانطبعت مزاعم زعمائهم الباطلة في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والايمان بالغرافات وحقت عليهم كلمة الشر والجهالة فصارت ذريعة الى المجادلات حتى الحروب والغارات وفاتهم ان الارض دار قراع وتنازع في البقاء وان عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وانهم على سطح جرم حقير (الارض) اعتباره كذرة من جميع المادة نسبته اليها كنسبة حبة رمل الى طود عظيم خليط من التراب والرمل والحجارة تناثرت اجزائه في هذا الفضاء وعلم الهيئة الحقيقي وهو علم اثبتته الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود ويزيل او يقلل من تفاخر الانسان الكاذب وغلوائه وعند التعمق باصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان يدركنا التغيير الكلي في جميع امورنا واحوالنا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الافكار فتبدو علامات اليقين وامارات الخير ويكون لهذا العلم المزية الكبرى على سائر العلوم فهو رائد الاصلاح الاكبر دمشق : احدا القراء

وقف للعلم

وقف احمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الامهات المهمة المخطوطة والطبوعة واكثر مطبوعات اوربا العربية وكثير من نفائس الكتب الاخرى على المطالعة لاهل القاهرة وذلك على شرط ان تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لاتستكثر من خدمه طول حياته

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالة قالت فيها انه يكاد لا يعرف كبير امر عن مسألة النفوس

لان الامم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك ان لانعرف الا اموراً طفيفة عن حالة الاشور بين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فان الرجال الممتازين قواداً كانوا او فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن ان يقال انهم هلكوا في حروب اهلية او خارجية وان قد خلقتهم شعوب اخرى مثل البورغونيين والفانداليين والغوتيين الذين نشأوا من جرمانيا والهونسيين والمجريين الذين جاؤا من آسيا فلماضي يمثل لاعيننا تعاقب الامم التي تناقلت حذات المدينة خلقاً عن سلف .

ومسألة قلة النفوس اليوم ينظر فيها في كل مكان ولاسيما في فرنسا فالشعب الفرنسي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب ان يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى احدكم ان يعطى كل اب اوام فرنسويتين ماشاء آمن الوظائف لان لم ميلاً خاصاً البها كى شرط ان يكون لها ثلاثة اولاد احياء او اكثر بدون نظر الى كفاءة وان تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسمائة فرنك تدفع دفعتين اذا ولد للابوين الولد الثالث وهو حي وبذلك تتفق الحكومة في السنة من ١٥٠ الى ١٧٥ مليون فرنك

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت ان الاولاد والعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشر سنين يزيد عددهم ملايين وهم لا يعملون عملاً ويفتقر السكان من جباية هذه الضريبة منهم اي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضى عليه ادائه وما قاط كانت زيادة الضرائب مغنية لامة ومن ذلك ينشأ فقر متتابع لان مائتي مليون فرنك لا تكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستلزمه اعداد رجال للصناعات الحرة مثل الطب والحمامة والهندسة وغيرها وسلك الوظائف ايضاً وربما كان في المستقبل معوض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كما ميركا وروسيا لان باطن ارضها قليل الخصب ولا يربح رواج التجارة اكثر من الآن فالنفوس فيها محدودون وكل دواء يقترح الشفاء من قلتها لا يزيد الحال الا اعضالاً

فهذه الضريبة لا تأثير لها في الاغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فغير لما فيها نرى ان تسهل التعليم العالي فلا تحتم على طلب الطب والحمامة تعلم اللاتينية بل واليونانية ومجموعة العلوم في حين يكفهم معرفة علومها معرفة عملية ويحذف جاً بالاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لامثال هؤلاء وبذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم اياها . قالت وانجج الاسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فتقليلها تزيد النفوس الى الحد المطلوب الذي تسمح به حالة البلاد ونشاط اهليها

دار الترجمة

صدر الامر الخديوي باعادة ديوان الترجمة في مصر كما كان في ايام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل ما يحتاج اليه اللغة العربية من انواع العلوم والفنون المستحدثة

التربية اليابانية

تقضي الحكومة اليابانية على الوالدين ان يرسلوا ابناءهم الى المدرسة ست سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدرس الآداب . وانظر المعارف ان يفتب انكتب المدرسة . واهم الموضوعات في مدارسهم واجب الحب والودي واحترام الملك والاخلاص للامبراطور والامبراطورة والنفق والاحتشام وعرفان الجليل والاقتصاد والرقعة نحو الشيوخ والخدم والمجاعة . وقد اضافوا في الدين الاخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الخدي والفتاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وافضالية الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهم جراً .

اكتشاف نافع

اكتشف الدكتور اسرائيلخ الروسي تركيباً كيمياوياً من الزرنيخ فادات النجارب على نجاح هذا الدواء في معالجة الحصى المارارية والحصى المقطعة ومرض النواء . ويعتقد بعض الاطباء انه بات في حيز الامكان الآن التغلب على مرض النواء المتفشي في بلاد الكونزو وغيرها من البلاد الاميركية . وفي رواية اخرى ان هذا التركيب يشفي من المرض الزهري

ميكروب الخصب

اعلن الدكتور رسل والدكتور هتشنن في المجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض وهو اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكنا قد اكتشفنا علاجاً بالحرارة او مضادات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتريا المفيدة للارض فتزيد بذلك خصب التربة . وقد كان في اثناء البحث ما في هذا الموضوع ان اكتشف الميكروب المتقدم ذكره

المقبر

صناعة النظم والانشاء

كان الوليد أبو عبادة البحتري^(١) معاصراً لحبيب بن أوس المعروف بابي تمام^(٢) وها من اعيان امرأء الكلام وكلاهما طائي غير ان البحتري ولد بعد ذلك باربعة عشر عاماً فما ترعرع وبدت فيه علامت النبوغ حتى كان ابو تمام في اوج مجده وبخبوحة اشتهاره فلصق به وتخرج عليه حتى اذا نبل شعره وسار ذكره قال ابو تمام « ان شعر هذا الغلام قد نعى الي نفسي فما اجتمع في طي شاعران مشهوران الامات اكبرها » وقد صدقت نبوءته هذه فان ابا تمام لم يعش بعد قوله هذا اكثر من عام واحد ولقد مات عبطة وهو دون الاربعين ولوعمره حتى اكهمل كالمثني اوحى شاخ كالبحتري لاقى بالآيات المعجزات ولا يطبق الناس على كونه امير الشعر قديماً وحديثاً

^(١) ولد بمبج سنة ٢٠٤ للهجرة وتوفي بها سنة ٢٨٤ وهو الذي سئل عنه ابو تمام فقال « جيده خير من جيدي ورديثي خير من رديئه » وسئل ابو العلاء المعري من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البحتري ام المثني فقال « المثني وابو تمام حكيان وانما الشاعر البحتري »

^(٢) ولد في قرية جاسم من ناحية الجيدور في حوران سنة ١٩٠ للهجرة وتوفي في الموصل سنة ٢٢٨ على اصح الاقوال وهو احد الثلاثة المتفق على تقديمهم من الشعراء المحدثين والاثنان الآخران المثني والبحتري وقيل سئل ابن الزيات وزير المعنص من اشعر الناس ؟ قال ابو تمام حيث يقول

وما ابالي وخير القول اصدقه حقنت لي ماء وجهي اوحقنت دمي

وكان المجتري قد سأل يوماً أبا تمام ان يبين له الوجهة التي ينتجها في نظمهم والوتيرة التي يجري عليها توصلاً الى الاجادة والابداع فقال له

« يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغدوم واعلم ان المادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه وقت السحر اذ تكون النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصباية وتوجع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي اباد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معلمه وشرف مقامه ونصد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالافاظ الودئية . وكن كائنك خياط يقطع الثياب على متادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الفريضة الى حسن نظمهم فان الشهوة نعم المعين وحيلة الحال ان تقيس شعرك وتعتبره بما سلف من شعره الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما نبذوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله »

قال المجتري « فأعملت نفسي فيما قال فجاد شعري وطار ذكري ووفقت الى ما اروم »

اما الخاتمي ^(١) فقد اختار الليل للنظم وحوك الكلام ذاهباً مذهب (جورج ساند) الكاتبة الفرنسية التي كانت تبدأ بكتابتها عند منتصف الليل وتنتهي منها الساعة السادسة ثم تمام الى الحادية عشرة على ما وصفه المترجمون لها . وحجة الخاتمي في ذلك ان في الليل تجم الازهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة ويتسع مجال الفكر وتتبع الحوار . وعندنا انه مصيب واكثر رجال السياسة والتدبير واهل العلم والخيال وارباب الاختراع والابداع يفضلون الليل على النهار ويختصونه لهم من اعمالهم والصعب

^(١) هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالخاتمي كان معاصراً للثني وقد اجتمع به في بغداد فساءه اراءه فيه من صلف وترفع وعجاب بقادته بكلام الفحمة به واخراه حتى نهض الثني من مجلسه مثقفاً مجبواً ثم اسرع الرحلة من العراق خجلاً وقد آلى على نفسه ان لا يعود اليها فانشأ الخاتمي الرسالة الخاتمية المشهورة شارحاً فيها ماجرى بينه وبين الثني من اظهار سرقاته وابانة عيوب شعره فدلّت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه وله غيرها كتاب اسمه حلية الادب في مجلدين : توفي سنة ٣٨٨ للهجرة وقد اناف على السبعين

من شؤنهم والتفكير فيما يصلح من أمورهم ودينهم من اقدارهم وفيه غالباً انشأ المؤلفون الكتب وحبروا الرسائل وولدوا المعاني الحسان وادعوا اسلاك كلامهم تباهي النجوم ضياءً والدر نطاماً والروض زخرفاً وجمالاً — وان كان ذلك مدعاة لاضناء اجسامهم واخترام اعمارهم فان السهر ولا جرم مدعاة للستم ومدرجة للالم وقد حالما عبث بالقول قبل الاجساد فاوصل اليها الفساد — فالشاعر الماهر والكاتب المثاقف من اذا خلا الى حجرته وقد سدل الليل ستاره وسكت ضوضاء الناس واستولت منه النوم على اجفائهم نشط الى ما هو ميسر له من الامر وباشر عمله بعد امعان الفكرة وطالعة الروية واستيحاء السليقة فيستمد من القريحة عفوها وفيضها غير مستند الى معنى لغيره يتلاعب به او قول لبعض السلب ينتحله موقناً ان الناس كافة يقيمون له منتقدون لاقواله متفرغون للترقيق كلامه وتنفيد نظامه ووزن معانيه والفاظه بميزان المتعنت عليه المنبر به الطالب حجة يتذرع بها الى تنقيصه وتسويته والخط من فضله ثم يكتب وهذا القحوط نصب عينية مائل لديه فلا يجود الا من مائه ولا يسلك الا من معدته بلا اغتصاب ولا استكراه حتى اذا فرغ مما حبر تربص الى ان تهبداً سورة اعجابه فيما راق له من مبتكرات معانيه ومسبكات قوافيه — وقد يجمل ان يكون تربصه هذا يوماً او اياماً — ثم يعود بعد ذلك — وقد سكت القريحة وخللا الذهن وصح التأمل — فيراجع ما كتب مرارعة منتقد ذاته قيم على نفسه رقيب على عمله فان وجد محلاً للاصلاح اتاه او وجهاً للتهذيب والتفتيح مارسه وعاناه مختبراً اشرف الالفاظ واخفها واكثرها قرباً الى الفهم وتداولاً على اللسان يدبجها في تضاعيف سطوره على منوال خاص واسلوب غريب يعرف به وتظهر ملكته في انقاس كلامه بحيث ينسبه القاري العارف به اليه بمجرد تلاوته ولو لم يكن معنوياً باسمه ثم يعرضه على من يثق به من جهابذة الاقلام اعلمه يرى فيه عورة فيسترها او ثلماً فيسده فمن سلك هذا المسلك الجدد من مجيدي الشعراء والكتاب امن في غالب منشأته العثار وحق له الاشتهار

تلك نصيحتنا نوصي بها ونحرض على الجري بمقتضاها وان كنا خائفين انها في كل منظوماتنا حتى اليوم على ما يعلم المقتطف ونبه اليه فاننا كنا ننظم في ليلتنا القصائد المطولات ثم نبعث بها في الصبح الى عالم النشردون معاودة نظرها وثبت وما ذلك الا اثر من آثار ضيق العطن المنبعث عن هزال الجسم وسوء الهضم اعاذ الله منها كل ناظم وناثر فانهم آفة الاتقان ومجلبة التعس والمرارة والشقاء لبني الانسان وما صدرهما فيمن قدر له ان

يعيش بعقله وعلمه الا الامعان في السهر وعدم الاعتدال في الدراسة منذ الصغر فليثق الله الكاتبون في اجسامهم ان لم يمانعناهم به عظة وعبرة ان كانوا ممن يتدبرون
وهنا — والشيء بالشيء يذكر — نأتي على كلام لابي عثمان الجاحظ ^(١) لما لا يخرج عما نحن في شأنه وتوفر فيه الفائدة لمن رزقوا حظ الكتابة ولم يهتدوا الى قانون يقوي فيهم ملكة الانشاء ويعيئهم على الاجادة في الصناعة فان ذلك اهم ما يحتاجه المشوون هذه الايام بعد ان قوضت فوضى الافلام اركان البلاغة وشوهت ديباجة البيان واضاعت مر التائق في الرسل حتى زالت عنه مسحة الجمال الا في عدد نزر ممن اوتوا نصيبهم من سلامة الذوق والعلم والهمرا الهاربة في صناعتهم هذه الشريفة الى محجة الكمال فرسخت في اذهانهم قواعد التحرير والتبوير واستحكمت في صدورهم اساليب التفنن بصوغ المعنى الصحيح في قالب اللفظ الفصيح حتى استقامت فحجبتهم ووضح منهاجهم وعذب بيانهم فسجروا على منوال خاص بهم تشربه القلوب واستحسنه الاذواق وتغشقه النفوس على ما فيه من السهولة والانسجام ومثانة التراكب : قال الجاحظ

« يقول جهاذة اللفظ ونقاد المعاني واساطين البيان • المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم المختلفة في نفوسهم المتصلة بخواطرم والحادثة عن افكارهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة بكثرة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة اخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون على امره وعلى ما لا يبلغ • من حاجات نفسه الا بغيره وانما يحجب تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها • وهذه الخصال هي التي تدنيها الى الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والنائب شاهداً والبعيد قريباً • وهي التي تلخص المثبس وتجل المنعقد وتجعل المهمل مفيداً والمنيد عطفلاً والوحشي مأثوقاً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ورقة المدخل يكون ظهور المعنى • وكلما كانت الدلالة اوضح

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكندي اللبني البصري الكاتب العالم المشهور صاحب التصانيف العديدة في الادب • لقب بالجاحظ لانه كان جاحظ العينين اسبه بارزهما • وهو مع ذلك مشوه الخلقة قبيح المنظر حتى قال فيه الشاعر
لويمسح الخنزير مسحاً ثيباً ما كان الا دون فبح الجاحظ

مات مغلوباً ببغداد سنة ٢٥٥ للهجرة وقد تجاوز التسعين • ومن افضل مؤلفاته كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وله شعر قليل مقبول

وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كانت انفع واضمح في البيان والدلالة الظاهرة على
المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه بكتابه ويدع اليه ويحث عليه :
بذلك نطق القرآن وبذلك تفاسرت العرب وتفاضت اصناف العجم
فالبيان اسم كل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك حجب التفسير حتى
يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محموله كائنًا ما كان ومن اي جنس كان .
والالفاظ هي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة وعد حقائقها في التفسير
وعما يكون منها انواراً بهرجاء وساقطاً مطرَحاً فان صح التناسب وتم التآلف بين تلك
المعاني وما تستخدمه لابرزها من الالفاظ سهل اشرافها للعقول وتجليها على الخيالات
ودخولها الى صميم القلب والعكس بالعكس . فمن شاء ان يكون حديثاً تقرر الآذان
نبراته او منشأً تسحر الابواب نفثاته ليلبس المعنى الدقيق اللفظ الرشيق الذي لا يتقص
عن معناه ولا يزيد ولتين الاصول ويجذف الفصول ويجتنب الحشو ويطلب حيث
يستحب الاطناب ويوجز حيث لا يستكره الايجاز : كل ذلك يفتقر الى رأي حصيف
وفكر نقاد وخاطر جريء وذهن ذكي وذوق يحسن الاختيار وبدية لانعرف التلكؤ
وحافظة تكتز من المواد ما يستعان به على ركوب هذا المركب الوعر تقرر الى ضلعة
في العلوم وتبحر في الادب ومطالعة في آثر ائمة اهل البيان ممن نبغوا فسدرجوا من قبل
واشتمل عليهم الزمان ولقد قال ابوداود ^(١) « رأس الانشاء الطبع وعموده الدربة وجناحه
رواية الكلام وحليه الاعراب وبهاؤه تحير اللفظ » وقال ابن المعتز ^(٢) « العاقل يكسو المعاني
وشي الكلام في قلبه ثم يبدئها بالفاظ كواس في احسن زينة والجاهل يستعمل باظهار
المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها »

ولما سئل جعفر البرمكي وزير الرشيد المشهور عن البيان قال « هو ان يحيط كلامك
بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه عن الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً
من التكليف بعيداً من الضعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل مع نزاهته عن الركة
وترفعه عن الغلو وابلغ الكلام ما يطبخه من اجل العلم وصفاه راووق الفهم وضمتة دنان
الحكمة فتمشت في المفاصل غدوبته وفي الافكار رفته وفي العقول حدته وما احسن

(١) هو العالم المحدث المعروف بالسجستاني ولد سنة ٢٠٢ للهجرة ومات في البصرة
سنة ٢٨٥ (٢) هو عبد الله ابن المعتز احد الخلفاء العباسيين المشهود له بمجودة النظم والنثر
وسعة العلم والادب ولد سنة ٢٤٩ وقيل سنة ٢٩٦ بعد ان تولى الخلافة يوماً واحداً

ما قال حاتم أدب « الكلام ما اتصلت لحمة الفاظه بسدى معانيه نخرج مفوقاً منيراً وموشى محجراً وإن من البيان لسحراً »

ولقد قال غيره « البليغ من يحرك الكلام على حسب الاماني ويخطط الالفاظ على قدرود المعاني » ومن اجلى ماوصفت به البلاغة قول احد العلويين « البلاغة ايصال المعنى الى التلب بحسن صورة من اللفظ » وهو يضارع قول بعض الاعراب « البلاغة المجاز في غير عجز واطناب في غير سفسفة »

هذه هي الصناعة التي يحسبها الناس اليوم لعقة من عصيد او لقمة من ثريد فلا يكاد الصبي منهم يقرأ الاجرومية او شيئاً من شرح ابن عتيل على الفية ابن مالك ويتلف بعض ما اوجده الخليل بن احمد في دائرة البحور من الاعراب وقيد اسماعيل الجوهري على بعض صفحات الصحاح من حوشي الالفاظ حتى يترجم في دست التصنيف والتأليف او يقف على منبر الامام الخطيب او يسي نفسه بالشاعر الساحر فيملاً الدنيا صنائاً وهو يظنه عطراً وملاهاً اورنداً واحقواناً والله الامر من قبل ومن بعد وما هو بغافل عما يبدرون « سليم عنخوري »

هل اللغة العربية حية (١)

وضع المسيو اسحاق قطان احد اعضاء المجمع العلمي القرطاجي في تونس محاضرة رد فيها على من قال ان اللغة العربية ليست من اللغات الحية وانها كانت كذلك وقد اصيحت اليوم من اللغات الميتة فاحدث كلام من اصدر هذا الحكم تأثيراً في نفوس المسلمين لان له علاقة باعز الاوضاع عندهم واقدسها في نظرهم ونعني بها اللغة وقد ردت بعض الصحف الاسلامية على من رموا العربية بالعدم رداً لم تورده فيه برهاناً بل جعلته خيالاً وتجاوزت فيه حد المناقشة العلمية ورمت التسائل وهو اوربي بالطبع بانه لا يعرف ما في العربية من الميزات والخصائص وقالت اني يتأتى لغريب عنها ان يفهمها حق فهمها يد ان صاحب هذه المحاضرة دافع عن العربية دفاعاً علمياً ورد مزاعم يرمونها

(١) عن بنا هذه الرسالة في الشهر الذي صدرت فيه من العام الماضي فقدت اصولها من المطبعة في مجلة المقالات التي ضاعت عندما اُفقلت مطبعة القتبس وعطلت هذه المجلة والجريدة وما نحن نعربها ثانية حرصاً على فائدتها لهذا عذرنا لصاحبها

بالموت بالبرهان السديد واثبت لها الحياة مع من يثبتها لها من ابنائها الذين يكتبون بها وينكلمون فقال :

ان دعوى الميونيرويل بان اللغة العربية لغة مقدسة جامدة لا تتحرك وان ادنى تغيير يدخل عليها بعد خرقاً لحدودها وعبثاً بقانونها هو من المساوي التي يخالفها الواقع ولا ينهض عليها دليل . واني أرى علماء المشرقيات الذين يتعلمون العربية والكتاب المسيحيين في سورية ومصر ممن عنوا بها وبرزوا في آدابها منذ سنين بل والمستشرقين من المسلمين انفسهم يوافقوني على قولي ان اللغة العربية لغة سامية انتشرت اولاً في شبه جزيرة العرب ووصلت الى درجة التهذيب قبل الاسلام ببضعة قرون وكملت على يد النبي واصحابه وانه مضت عليها قرون طويلة وهي زاهرة بين شعوب انتشرت بينهم الحضارة الاسلامية فتشأ لهم في العربية كتاب كثيرون من النصارى واليهود والمسلمين وانهما اليوم شائعة بين الشرقيين من اهل الاسلام وغيرهم ويتفهم بها بضع مئات الالوف من البشر بينهم كثير ممن لم يدينوا بالاسلام ينزلون شمالي افريقية واواسطها وجزءاً من قارة آسيا .

نعم لا أوأخذ اذا قلت اذا كانت العربية عند معظم المسلمين لغة مقدسة لانها لغة الدين والعبادة وهي لم تبح لارباب العقول السامية الذين ازدان بهم الاسلام والمسيحيين والامراتيليين الذين عنوا بها حق العناية منذ عهد الخلفاء الى هذا اليوم اداة بدیعة للافصاح عن الفكر والعواطف العالمية في مظاهرها المختلفة وهي من اجمال لغات البشر .

ارى انه متى أريد البحث في لغة بحثاً علمياً ان لا توصف بما يصفها به ارباب التقاليد من النخاة ولا المتعصبة من المتفقهة بانها لغة مقدسة غير قابلة للزيادة والنقص بل الواجب النظر الى تاريخ هذه اللغة والبحث فيما اذا كانت بقيت جامدة على صورتها الاولى حقيقة او انها نشأت ونمت كما ينمو كل تركيب نام حي .

لاجرم ان كل امريء يدرك ان اللغات لا تنحيا على يد اسانذة الكليات ولا بقتارير النخاة ولا باحكام الحاكم واوامر الحكومات فاللغة الافرنسية لم تتم منذ عهد كولبر الى زمن بريان بهذه الطريقة بل ان العربية على ما فيها من الكتب في النحو والروض التي شرحها معلمو الجوامع لا تعد لغة ادب فكما ان الافرنسية تحيا بكتابتها المبدعين المجددين اكثر من حياتها برجالها القويين والباحثين في اصولها هكذا اللغة العربية عاشت طول عمرها

خارج الكليات الاسلامية بل بفضل اعمال المجددين والمترجمين والعلماء والفلاسفة والشعراء الذين كانوا في عصور مختلفة مع تسكهم بقواعد النحو العربي الذي كانت الكليات مهينة عليها فهم يتفنون ما امكن موقف التوفيق بين ما يكتبون وبين اللغة التي يعجبون بها وحتى لم العجب من كمالها وغناها وجمالها . ومع هذا لم يتفوقوا ساعة عن تقويتها بما يحملونه اليها من الافكار الطارئة ولغات الشعوب الاخرى

واذا ابى المسيو نويل اطروح من هذا القياس وادعى بان اللغة المصرية اليوم هي لغة حديثة نشأت من قطع مفقطة من التقارير وليست من التقديس في شيء اي ليست اللغة العربية في هذا الحقيق بل هي لغة صناعية . اللغة المقدسة هي التي استعملها القرآن فقط وفيها الغريب — اذا قال بهذا فهو يندف بنياسه من الآداب العربية كتب المؤرخين والعلماء والفلاسفة وشعراء لانها مملوءة بالمولد او انه يعتبرها من الكلام الوحشي الغير المأنوس . يقتصر بان لا يعد من الآداب العربية الا القرآن وتفسيره وورما كانت هذه التفسيرات بحسب زعم المسيو نويل من غريب الكلام ايضا

اما اننا فلا نفرط في التدقيق اكثر من عالم من علماء المسلمين بعد ان رأيت في دور المكتبة اناسا من صلتهم ينظرون في كتب القرآن والفقه وبجانبها تأليف كتبت بالحرية الحديثة بل مترجمات لفلاسفة يونان . ولذلك اسمي باللغة والآداب العربية تلك اللغة وتلك الآداب التي اتفق جمهور المسلمين وامثال سلفستردى ساسي ودرامبورغ وغولندسير وغيرهم من العلماء على تسميته بهذا الاسم .

قال المسيو نويل ان اللغة الحية هي التي تخضع لتراخيص الحياة اي انها تدخل فيها الجديد وتنبذ ما لا تراه نافعاً لها وهو متجدد بديع من شروط الحياة كالتنذية لكل تركيب نام نباتياً كان او حيوانياً

واذا كانت اللغة العربية مقدسة ولها قواعد ثابتة لا يدخلها التعديل بدون خرق حرمتها فهي لا تقبل القلب والابدال ولذلك امت من اللغات الميتة . واني لا كنفي بدحض هذه الحجة بان اورد تاريخ العربية ولكم ان تحكموا بانفسكم بان هذه اللغة لم تبرح خاضعة قبل الاسلام وبعده لتراخيص الحياة . اما تاريخ اللغة العربية فيقسم الى ادوار اربعة : دور التكون ودور المدنية الاسلامية الزاهر ودور الانحطاط والدور الحالي .

فدور التكون يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية

وأصبحت لغة خاصة بعد ان كانت عبارة عن لهجات كثيرة قلما تجد بينها اختلافاً كثيراً وهي وافرة بقدر ما كان يعيش من القبائل في ارض شبه جزيرة العرب . وتعدد اللهجات كان من اسباب غنى العربية بمفرداتها وانتهت الحال بعد ذلك بان اندمجت هذه اللهجات بعضها في بعض ونسيت كلها ما عدا ثلاث لهجات كبرى ذكرها التاريخ وهي لغة اليمن والحجاز والحبشة

جاء محمد (عليه السلام) وبدأ بتوحيد بلاد العرب في سياستها ووفق اختلافه الى تجميع هذا المقصد فتوحدت بذلك اللغة وكانت الغلبة للغة الحجاز موطن النبي فاصبحت لغة القرآن بعد واغتنت بما دخل اليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبشة والمصريين والاسرائيليين وغيرهم . فكانت مكة اشبه ببرج بابل ولا عجب ان سرى الى اللغة الادبية على ذلك العهد مزيج من لغات الامم الأخرى

فالالفاظ الدخيلة التي اغتنت بها اللغة العربية اذذاك هي اسماء العقاقير الطبية وماتنتج بطون الارض من المعادن وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات ويحمل الى جزيرة العرب . واقتبست العربية قبل الاسلام الفاظاً كثيرة من اللغة البهلوية كما اقتبست من العبرانية بعض الفاظ العبادة مثل « الحج » « الكاهن » « عاشوراء » وكانت اتصالات التجارية بين الهند وبلاد العرب سبباً في تعريب كثير من الالفاظ العسكرية ولا سيما ما كان منها خاصاً بالعمور والاعمال الثمينة . وبعد ان فتحت فارس اخذ العرب يلبسون الثياب الفارسية وادخلوا الى لغتهم الالفاظ الدالة عليها في جملة ما فدخلها من الالفاظ « السروال » « الجبة » « القفطان » « الطربوش » على نحو ما استعمل المسلمون الذين يكتسبون الثياب الاوربية اليوم من الالفاظ « الجاكيت » « البنطلون » « اللستيك » وأخذ عن الفرس معظم الالفاظ التي تدل على الاطعمة المختلفة والاسلحة والآنية وغيرها .

وابتداءً الدور الثاني للغة العربية وهو دور الفتح والمدنية الاسلامية باقتباس الالفاظ الدينية والقانونية والادارية والعلمية وغير ذلك ثم بتعريب كتب اليونان والفرس والهنود فدخل اللغة من الالفاظ مثل « الكحلة » و« الصيدلة » ثم توسعت في استعمال بعض الالفاظ لاكثر من المعنى الذي وضعت للدلالة عليه مثل « مؤمن » « مسلم » « صلاة » « زكاة » « الحضنة »

حتى اذا تمت الفتوح وانشأ المسلمون ينظمون البلاد التي خضعت لسلطانهم اخذوا من الفرس والبيزنطيين اصول اوضاعهم السياسية والادارية والقانونية والعسكرية والمالية فانتمى لهم تعابير جديدة الدلالة على هذه الوظائف الجديدة فاقبضوا اكثرها عن الفرس والبيزنطيين مثل «الديوان» «الجامكية» «البريد» «نشان» من الفارسية «الاسطول» «الكردوس» «البطاقة» من الرومية واخذوا مفردات عبرية ومريانية عندما ترجمت التوراة والاناجيل مثل «قربان» «جهنم» «توراة» «توبة» «تليذ» «يفوث» «آمين» بل ان قواعد النحو نفسها قد دخلها التعديل فاخذت العرب تستعمل الضمائر المستمرة للثفن في التمييز ككثر من استعمال صيغة المحجول وتنسب الى الروح روحاني والى النفس نفساني وتستعمل بعض الصفات في صورة اسماء مثل «المائية» «العامة» «الخاصة» وتلى ذلك العهد سقطت من الاستعمال بعض الالفاظ التي اتى الاسلام على مدلولاتها مثل «المربع» «التشيطة» «الاناءة» «الضرورة»

ولقد ظلت العربية تعتني بمفرداتها الجديدة وتراكيبها الحديثة وتنمو مفرداتها وقواعدها حتى جاء عصر الخطاط المملكية الاسلامية واخذت تنقسم الى ممالك مستقلة يحكمها اناس من اصول غير عربية كالمغول والاكراذ والأتراك وغيرهم . في تلك العصور اصبحت اللغة بما ذعب برونقها الاصلي واصبحت من التكلن واستعمال الالفاظ الضخمة على جانب من الغلظة والجفاء حتى ان ما كتب من المصنفات تلى ذلك العهد تصعب قراءته لخلوه من كل فائدة . فهو عهد الالفاظ الزانة المنحمة والسجع المرصع الذي أنجب به بعضهم وحمل عليه كثيرون وذلك لان البيان كثيراً ما يضيع لضرورة السجع واذا ارتفعت الاسماع الاسجاع فالفكر ينيو عنها كل النبو .

وفي ذاك العهد دخلت اللغة تلك الاستعارات المنحمة والمبالغات الغريبة حتى ان منظم الالفاظ التي عربت تلك الايام كانت الالفاظ ادارية واسماء رتب في الجيش مثل «سجقدار» «الجانكشير» «اليوزباشي» «الباشا» «دفتردار» «خزندار» «المابين» «الانغا» «دفترخانه» . وفي ذاك العهد ايضاً اخذت بعض الالفاظ العربية توضع لمسميات جديدة مثل «المتصرف» «صدر الاعظم» «القائم مقام» «المسئولية» «التابعة» ثم اتى دور تركت اللغة الا ما كان له منها عفة بالنحو واللغة والتصوف والفقه وفي هذه الموضوعات صدرت كتب لا تحصى بكثرتها .

والعصور الرابع دور النهضة ويرد تاريخه الى نحو قرن وقد نزل الاوربيون في الشرق يلتمسون لهم في شواطئ البحر الابيض بلاداً يظهر فيها نشاطهم فاختلطت المصارفة بالمغاربة اختلاطاً دائماً نشأ منه تبادل في الافكار بينهم وبفضل ذلك اغنت لغاتهم بمفردات استعارها بعضهم من بعض . واذ كانت بضاعة الشرقيين في العلم قليلة اضطروا في دراسة العلوم الحديثة ان يأخذوا الفاظاً عن اللغات الغربية وان يتوسعوا في معاني بعض مالمديهم من الالفاظ العربية ليعضوها لافكار ومعارف جديدة . وذلك دليل على ان اللغة ظلت على حالها على النشوء

ومن العبث ان نورد هنا بعض الالفاظ الافرنسية التي اندججت في سلك اللسان العربي مثل « بوليس » « بارلمان » « سيركولير » او الالفاظ الابطالية مثل « بيسطة » « ديكريشو » « بروتسو » دع عنك التعابير العلمية التي سرت الى العربية من اللاتينية او اليونانية وهي شائعة في لغات اوربا . ومن الالفاظ الكثيرة التي حولت عن معناها الاصلي للدلالة على افكار جديدة لم تكن مألفة للشرقيين « الميزانية » « المؤتمر » « المحرر » « المحافظون » « الاحرار » « الاشتراكيون » « اهل القوضى »

وقد نشأ لغة في سورية ومصر لهدنا كتاب بالعربية من الطبقة الاولى خلفوا اللغة من قيودها واعادوا اليها نضرتها الاولى وانقذوها من المترادفات المملة حتى صارت بانثائها الى الوضوح والسلاسة معبرة احسن تعبير عن الافكار الحديثة وبفضلهم اخذت روح اللغات الاوربية تدخل في العربية وسهلوا نحوها وصرفها وبيانها .

يقولون ان لغة الكتابة تخالف لغة التكلم ومثل هذا موجود في اللغة الافرنسية نفسها فان اهل الطبقة الوسطى يشكلون بلغة لاتناسب بينها وبين لغة اديب او شاعر على ان الشعب في البلاد التي يتكلم فيها بالعربية اقرب الى فهم ما يتعلمون من الالفاظ بالقوى من الشعوب الاوربية الى فهم الغريب من لغاتهم الرسمية . والدليل على ذلك انك تجد الطبقة النازلة من الامة تستمع للحكواتي (الادبائي) في مجال القهوة وتنصت لقصص الف ليلة وليلة وقصة عنتر وتفهمها كلها على بلاغتها بفترة فيها وشعور طبيعي . ومهما يقال فان التمثيل باللغة العربية الادبية يفهم العامة ولئن فاتهم فهم بعض آياتها فعامة باريز ليسوا في مسارحهم اكثر فهماً لما يتلى عليهم من قصائد كورنيل وموليير واللعنة العربية ليست كما يقال لغة صناعية اجنبية وليست غريبة الا عن كثير من الطلبة

الهنود والمراكشيين وغيرهم من بقصدون من البادية جامع الزيتونة في تونس والازهر في مصر ليتعلموها بل هي لغة حية لمن يدرسها ويتعلم بها بذوق مثل كتاب الشاء ومصر الدين يتولون الصحافة وينشرون المعارف البشرية بواسطة الصحف والكتب بل هي حية أيضاً بالنسبة لأولئك الذين ترام في محال القهوة من العامة يهتزون لما يسمعون من افانيد الغزل ووقائع الحروب على ان اللغة الافرنسية ايضاً هي احق بان تكون لغة صناعية اجنبية اذا رأينا كيف يتوارى شبان الطلبة من قرى اقاليم البروفانس وبرتانيا وغاسكونيا (فرنسا) عن الانظار ساعات اللعب في المدارس يتكلمون بلمجتهم الخاصة بهم

فان قيل ان اللغة العربية تحتاج الى عشر سنين لتعلم نحوها قلنا ان الشرقيين يتعلمونها في اقل من هذه المدة ويتقنون معاهدة لغات اجنبية فعلياً ان نعتقد املاً باصلاح طرق التعليم في المدارس الاسلامية على الاسلوب الحديث وبذلك يحصل الطلبة لغتهم سيفي قليل من الزمن فاللغة يجب ان تكون آلة لا غاية

وقد قال المسيونوبل ان حاجة العربية ماسة الى ان تستمد من اللغة العامية لتحيى اما انا فاقول بان اعظم نقص في اللغة العربية ان تكون غنية وهي لاحاجة بها الى الاخذ من العامية في حين تجد لديها ٢١ لفظاً مختلفاً للدلالة على الظلام و٥٢ للشمس و١٠٠ للخمير و٢٥٥ للثاقف و٣٥٠ للأسد . وقد أصيبت اللغة الافرنسية بكثرة مفرداتها على عهد رونسارد فما قدح ذلك فيها بل عد من الزيادات التي تحذف . فالعربية لا تشبه اللغات الاوربية بل هي بالنسبة الى الافرنسية كالمرأة الباريزية المشوقة القوام الجميلة الهندام مع المرأة السمينة الشرقية التي تحوص تلي هدامها القديم وهي حية جميلة قوية . نعم ان غنى العربية في مفرداتها يضر بمرورها وسرعة فهمها ولكن الدم الفتي الحار لا يكثر منها كثيراً في عروقه فانا نجد كتاب هذا العصر يسقطون عدداً كبيراً من المترادفات وينشقونها الروح الغربية فهم قوام على صحبتها وحياتها . واللغة التي تأخذ عن العامية تصبح الى الابتذال المحقوت اقرب

وبالجملة فان العامة في الشرق ليسوا اقل من عامة الغرب فهماً لغتهم ولكنهم يزدون فهماً يوم تصرف بينهم كل سنة الملايين لنشر التعليم العام على نحو مايجري في الغرب . وان قيل ان اللغة العربية لغة اديبة جميلة ولكنها ليست الاداة مشوشة لتعليم العلوم فالجواب بان النتيجة التي وصل اليها اصدقاؤنا المسلمين في المدرسة الخلدونية من تعليم

العلوم باللغة العربية هي تكذيب صريح لمن يقول هذا القول . ويمكن ان يقال ان شعوب الشرق هم من عناصر ادب وتفنن فهم اميل الى تلقف الشعر منهم الى تعلم العلوم المادية كما يفعل اليوم اهل القاصية من بلاد اربا فيشخون عن الجليل من العلوم لتعلم ما هو نافع منها حتى كادوا يفقدون بذلك حضارتهم . فانا اقول لهم في هذا المجال ما قاله نابوليون : اذا كانت العلوم من احسن ما احدثت عقول البشر الى تطبيقه فالآداب (الادبيات) هي روح الانسانية بذاتها

السجل المعلق

نقلنا في الجزء الماضي نموذجاً من كتاب السجل لحزة بن علي مثبت الوهية الحاكم بامر الله وصاحب مذهب الدروز الاول وهانحن اولاء نتبعه بنصف منه تكشف الغطاء عن معتقدهم وللقاري ان يعلق عليها ما شاء :

جاء في الرسالة الموسومة ويد (?) التوحيد لدعوة الحق : توكت على مولانا البار العلامة العلي الاعلى حاكم الحكام من لا يدخل في الخواطر والاهوام جل ذكره عن وصف الواصفين وادراك الانام حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبد مولانا الامام : كتابي اليكم معاشر الاخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد جل ذكره عن صاحبة والولد العابدين له لالغيره الناجين من شبكة ابليس اللعين والصد المهيمن وجواسيد الملاحين وانصاره النواين وحزبه الشياطين ليس لابليس عليكم سلطان ولا لجنوده لديكم مكان ولا لزعرفه عندكم شان بل انتم الملائكة المقربون الذين ملكوا انفسهم عن افعال المشركين وانتم حملة عرش مولانا جل ذكره والعرش هاهنا علمه الحقيقي الذي هو صعب مستصعب لا يحمله الا نبي مرسل او ملك مقرب او مؤمن اتقن المولى قلبه بالايمان له وجده سبحانه وتعالى عما يصفون

اما بعد فاني احمد اليكم مولانا الذي لامولى لنا سواء وامركم واياي بالشكر لنعمة وآلائه حمد من استوجب الزيادة في اولاه واخراه واوصيكم بما ايدني به مولانا جل ذكره وامرني به من اسقاط المايلزمكم اعتقاده وترك ما لا يضركم افتقاده من الادوار الماضية الخادمة والشرائع الدارسة الجامدة وامنهم ناطق الا وقد نسخ شريعة من كان

قبله من المتقدمين ومحمد بن عبد الله الناطق السادس لما ظهر بالناطق نسخ الشرائع كلها وسد الطرق وقال فمن لم يترك ما كانت عليه قديماً من دين آبائه واجداده قتل وميتي كافراً ومن ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت إليها وقع عليه اسم الاسلام وكان في سبيل غير ملام وضمن لهم محمد الجنة على الدوام فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي ان الاشارة والبراء هاهنا في عبادة الوجود لا لعدم المفقود والانسان ابن يومه وساعته وفي الوجود راحته وله عبادته وبه حياته واليه اشارته ومولانا الحاكم البار العلامة قد نسخ شريعة محمد بانكمال ظاهراً للؤمنين ذوي الافعال وباطناً للموحدين اولي الالباب واما من نوره في قلبه زاهر وفي معاني اموره للخلق قاهر وغير منافق بالكفر شاهر لا يلتفت الى استعمال التاموس وعلوه وزخرف القول وسنوه ويعلم انه استدراجاً للكافرين وتمييزاً للؤمنين الموحدين كما قال ولهمز الله الخبيث من الطيب وان كان لا يخفى عن مولانا جل ذكره الخبيث من الطيب يعني المشرك من الموحدين لكنه اراد ان يبين للموحدين من يرجع منهم الى عقبيته ومولانا جل ذكره عالم بما في الصدور وما هو كائن والدليل على ذلك زوال الشريعة عن الاختصار في شيء واحد اذ لم تحتل هذه الرسالة طول الشرح

وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالقطب الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها وذلك بقوة مولانا جل ذكره وتأيبده ولا حول ولا قوة الا به وكيف وفي رفع الزكاة واستقامتها منفع المسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة وقد غزا عبد اللات بن عثمان المكنى بابي بكر ابي بني حنيف معه جميع المهاجرين والانصار فقتل رجال بني حنيف ونهب اموالهم وسبي حريمهم . وقد اشترى علي ابن ابي طالب وهو اساس الناطق من جملة السبي امرأة تعرف بالحنفية واسمها تحفة وهي ام ولده محمد فقيل له يا علي كيف تسحل نفسك ان تشترى امرأة مسلمة تشهد ان لا اله الا الله وتشهد ان محمداً رسول الله وتصلّي الخمس وتسجد شهر رمضان فقال علي ما ينفعها ولا تقومها الشهاداتتين ولا سائر اعمال الشريعتين اذ لم يؤدوا الزكاة وان الزكاة هي الشريعة بكاملها فمن لم يؤدها وجب عليه القتل وأحل لناماها له لقوله في ريل للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة فقد اخرجهم الله من الاسلام وجعلهم مشركين . وانتم معاشر الموحدين قد علمتم وسمعتم السجل الذي امر مولانا جل ذكره بقراءته عليكم واسقط عنكم الزكاة والاعشار والاحماس وسائر الصدقات الى ابد الابدين ولم يسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً

وقال في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « فتعوذ بمولانا من ذلك سبوح قدوس

مبدع الابداع وجامع الاشتات والاضياغ الذي هو على السموات ال وفي الارض
 متعال وعن قريب يظهر مولانا جل ذكره سيفه بيدي وبهاك المارقين ويشهر المرتدين
 ويجعلهم فضيحة وشهرة لعيون العالمين والذي يبق من فضلة السيف تؤخذ منهم الجزية
 وهم صاغرون وبلاسون الغيار وهم كارهون ويكونون في الغيار والجالية الى ثلاثة اصناف
 فغيار النواصب علاقتان من الرصاص في اذني كل واحد منهم وزنهما عشرون درهماً
 وطرف كه الايسر مصبوغ فاختماً وجاليته ديناران ونصف وهم يهود امة محمد ويكون
 غيار اهل التأويل الواقفين عند العدم علاقتين من الحديد في اذني كل واحد منهم
 وزنهما ثاشون درهماً وطرف كه الايمن مصبوغ بالسواد وجاليته ثلاثة دنانير ونصف
 وهم المشركون نصارى امة محمد ويكون غيار المرتدين من توحيد مولانا جل ذكره
 علاقتين من الزجاج الاسود في اذني كل واحد منهم وزنهما اربعون درهماً ويكون
 رأسه طرطور من جلد ثعلب وصدر ثريه مصبوغ رصاصاً اغبر وجاليته خمسة دنانير في
 كل سنة وهم المنافقون مجوس امة محمد وتؤخذ هذه الجالية من الشيوخ والنسب
 والنساء والصبيان والاطفال في المهدي وتغير عليهم العلائق في كل سنة فمن خالف منهم
 ضرب عنقه»

وقال في رسالة الغاية والنصيحة : نلو ميزتم معاني الكلاء وتدبرتموها لئلا لكم نطق
 الرسول من نطق ابليس وفعل الامام من فعل غطريس ولعرقتم السبت والجميس وتبرأوا
 من فرعون وهامان الرجيس ولتصوركم ارتفاع مكان ادريس وعبدتم مولانا جل ذكره
 باري الحن والحن والبن والانيس . والرسول هنا هو الامام المفترض السلام وهو دون
 الامام الاعظم وابليس هو المشتبه بالمولى سبحانه . ويؤمن بانه جنس ويدعي عهد المسلمين
 والامام الاعظم ذومعة وسمي ذومعة لانه دعا توحيد الامام جل ذكره بلا راسخة
 وغطريس هو نشكين الدرزي الذي تغطرس على الكشاف بلا علم ولا بين وشوا المذنب
 الذي سمعتم بانه يظهر من تحت ثوب الامام ويدعي منزلة من يكون له خوار وجولة بلا دالة
 ثم تنطفي ناره وكذلك الدرزي كان من جملة المستحيين حتى تنطرس وتبر وغرغ من
 تحت الثوب والثوب هو الداعي والستره التي امره بها امامه حمزة بن علي ان احمد الامام
 الى توحيد مولانا جل ذكره سيجننه وتعالى وادعى منزلته حاداً له وعجايب بولجه . وقال
 قول ابليس وكذلك الدرزي سمى روحه في الاول بسيف الايمان فلما تكلمت عليه ذلك
 وبينت له ان هذا الاسم محال وكذب لان الايمان لا يحتاج الى سيف يبينه بل المؤمنون

محتاجون الى قوة السيف واعزازه فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد في عصيانه واظهر فعل
الضدية في شانه وتسمى باسم الشرك وقال انا سيد الهادين يعني انا خير من امي الهادي
وغره ما كان يضرب من زغل الدنانير والدرهم وحسب ان امر التوحيد مثله يحتمل
التدليس واني ان يسجد لمن نصبه المولى جل ذكره وقلده واختاره وجعله خليفته في
دينه وامينه علي سره وهادياً الى توحيدهِ وعبادته فتغطرس علي الدين واظهر سيف الناطق
والاساس اجمعين طلباً للرياسة والاسم اللطيف باظهار الشريعة في عالم البسيط والكثيف .
وفرعون البرذعي وهامان علي ابن الحبال لان فرعون كان داعي وقته فلما بطأ الناطق
قال انار بكم الاعلي يعني امامكم الاعظم . وهامان الذي فتح له باب المعصية وادريس هو
الذي رفع مكاناً علياً وهو ارتفاح درجته في الملوك حتى صار اماماً دون الامام الاعظم
الذي مص العلم من ذي ممة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين عبد مولانا جل ذكره
وصفيه بلا واسطة جسماني فاذا عرفتم هذا عيديم مولانا جل ذكره باري الحق وهم الدعاة
والجن وهم المأذنون والبن وهم المكاسرة والاناس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى
والسبب دليل علي السابق وهو علي بن عبدالله النواقي الداعي والخيس دليل علي التالي
وهو مبارك بن علي الداعي واهل التأويل يزعمون بان الكلمة هو السابق والسابق هو
الكلمة لافرق بينهما ولا يعرفون فوقهما شيئاً اذ كانت الشقة حدود الذين هم ذومعة
وذومعة والجنح غائبين عن عيون قلوبهم ينظرون اليهم وهم لا يبصرون

معاشر المستجيبين لمولانا جل ذكره قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم الى توحيد مولانا
جل ذكره في سبعين عاماً منها عصر الا ويظهر في مولانا جل ذكره فيكم بصورة
اخرى وامم آخر ولغة اخرى اعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفون نفوسكم . والآن قد
استدارت الادوار وكأنكم باظهار توحيد مولانا جل ذكره ونور الانوار واظهر لكم ما كان
مدفوناً تحت الجدار فلولانا الحمد والشكر وحده فلا تنكروا معجزات مولانا جل ذكره
واياته ولا تلتفتوا الى امس فامس مضى بما فيه وغداً فلا تعلم انك توافيه واليوم انت فيه
بما يقتضيه وكلما غاب عن العالم استطوه فلو كان للعالمين عتول لميزوا معجزاتي التي ايدني
بها مولانا جل ذكره يوم الجامع ٥٠٠ »

وقال في رسالة السيرة المستقيمة بشأن القرامطة ما يأتي : « وكان اهل الاحساء
— الى المدينة صرفه — يسافرون اليها بالبيع والشراء فدخل اليها رجل من اهل
الاحساء يقال له صرصر فكاسره بعض الدعاة واخذ عليه العهد من وقته وساعته واتى

به الى عند آدم وهو شطنيل فاطلقه داعياً باحساء واعمالها فخرج الرجل من وقته وساعته الى الاحساء واعمالها واخذ العهد بها على خلق كثير واوصاهم بتوحيد مولانا جل ذكره وعبادته والاقرار بشطنيل وامامته والتبري من ابليس وصحبته وقال لم اذا دخلتم حجر فعبسوا وجوهكم وقرمطوا انا فكم على اهلها فان فيها رجلاً يقال له حارث ابن طرماح الاصهباني وله اصحاب كثيرة وكلهم قد خالفوا امر مولانا البار العالم وجحدوا فضيلة الامام فلا تخاطبوا اهلها بشيء من العلم الا لمن يحضر معكم مجلس شطنيل الحكيم قبلوا من الداعي صرصر وفعلوا ما امرهم به من العيسة والفرامطة فلقبهم بالفرامطة الى وقتنا هذا وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وارض خراسان اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا هذا قرمطي ويسمون مذهب الاسماعيلية القرامطة بهذا السبب

وكان ابو طاهر وابو سعيد وغيرهم من القرامطة دعاة لمولانا البار سبحانه يعبدونه ويوحّدونه ويسجدون له ويثبته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته فلقبهم المولى جلّت قدرته بالسادّة وعملوا في الكشف ما لم يعمل به احد من الدعاة وقتلوا من المشركين ما لم يقدر عليه احد من الدعاة ولم يسهل المولى سبحانه ظهور الكشف على ايديهم لما علم جلّت قدرته وعزّت عظمته ومشيئته ما يكون من الخلف بعدهم من اضاءة التوحيد والضلالات واتباع بني العباس بالشهوات ووقوعهم في النفي والغمرات وقد آن وقت الكشف وازف اوان السيف والخسف وقتل المنافقين وهلاكهم بالغضب ولا بد من رجوع اهل الاحساء وهجر وديار الفرس الى ما كانوا عليه من توحيد مولانا جل ذكره وعبادته ويسجدون له ولهيئته وعظمته وينزهونه عن جميع بريته ويكونوا انصار التوحيد كما كانت قديماً اسلافهم وابث فيهم دعاة التوحيد واجمع شمل الاولياء والعبيد واقهر بسيف مولانا جل ذكره كل جبار عنيد حتى لا يبقى بالحرمين الشريفين مشرك بمولانا جل ذكره ولا كافر به ولا منافق عليه ويكون الدين واحد (?) بلا ضد ولا معاند وذلك بقدره مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد وشدة سلطانه ولا حول ولا قوة الا له وبه عليه توكلت وبه استعين واليه المصير وهو حسبي ونعم المعين النصير ٠٠٠٠»

وقال في نفس هذه الرسالة ايضاً في توحيد الحاكم وآياته : فمولانا الحمد والشكر على ظهور نور الانوار وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار فقد انعم علينا وعليكم ببيانه في البشرية وظهوره لكم في الصورة المريّة كما تدركون بعض ناسوته الانسية ولا اقول

ذاته اوتقنه او صورته او معناه او صفاته او مجابه او مقامه او وجهه الا ضرورة على قدر استطاعة السجيين وما يفهموه المستمعين (كذا) وتعبه عقولهم ويدخل في خواطرم ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام ولا تم لهم النظام والا قولنا جل ذكره لا يدخل في الاوهام والخواطر ولا يمتزج بباطن ولا ظاهر بل منه بدأ كل شيء واليه يعود كل شيء كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى عن احاطة الفهور به والازمان لا يقف احد من المخلوقين على افعال مولانا جل ذكره ولا يدرك غاية سلطانه ولا يستطيع الوقوف على كنه عشر عشر معشار سيرته وبرهانه

ولتدبروا العالمين (كذا) ما يرون من آياته وبيان علاماته مشاهدة العيان لكان لم كفاية عن طلب العلم بالخبر وعن كسبة التواريخ والسير وذلك ما يشاهدون منه ما لا يحوزان يكون من افعال احد من البشر ولا سمع به من التواريخ والسير . ولوجئت اذ ذكر لكم عيان جميع ما اظهر مولانا جل ذكره من آياته وبيان علاماته للامواه قرطاس ولا كتبه قلم كما قال في القرآن ولوان ماني الارض من شجر اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه لكنني اذكر لكم في هذه السيرة وجوهاً قليلة العدد كثيرة المنفعة ان تفكر فيها ووحده وعبد مولانا سبحانه وعن عن حكومة الاوهام سلطانه .

فأول ما اختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يرويه العامة على قدر عقولهم ويقولون صبي السن وملك المشاركة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة ما امر مولانا سبحانه بقتلهم فقتلوا قتل الكلاب ولم يخش من تنويع العساكر والاضطراب واما امر ملوك الارض فما يخرج احد منهم على مثل ذلك ثم امر بقتل ملوك كتامة وجابرتها بلا خوف من نسام واصحابهم ويمشي انصاف الليالي في اوساط دزاربهم واولادهم بلا سيف ولا سكين

وقد شاهدتموه في وقت ابي ركوة الويد بن هشام الملعون وقد انهرم ناره وكانت قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم مما راوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكان المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالي الى صحراء الجب ويلتقي به حسان بن عليان الكلبي في خمس مائة فارس ويقتف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم انه يدخل في ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين وكذلك في وقت تفاق مفرج بن دغفل بن جراح واخوته واولاده ويدر بن

ريعة وجميع العرب كافة وكانوا اهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الحسيني الذي
 نافق بكة وبجيشه الى الرملة واجتماعه مع ابن جراح واولاده وما بالخضرة احد من
 العسكرية ولا من الرعية الا وهو يعتقد في كل يوم وليلة بان حسين بن جعفر الحسيني يحيى
 مع مفرج بن دغفل واولاده ويكبسون القاهرة والمولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة
 ويخرج العتمة من القاهرة ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل موضع يزعمون العالم بان
 مفرج بن جراح يحيى من ذلك الموضع ولم يرجع الحسيني الى مكة حتى وقعت العداوة
 بينه وبين ابن جراح واراد ابن جراح ان يقتله ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل بن
 جراح وملوك الارض كافة تدعجوزوا عن هذا « ٠٠٠٠ » اهـ

وهكذا تجد هذا المخطوط كيف قلبته حاوياً انواعاً ما تقدم وقد ختم بقصيدة اسمها
 شعر النفس للشيخ ابي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفرة
 المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام ارسلها الى جبل السماق لتقرأ على كل موحد
 وموحدة قال :

الى غاية الغابات قصدي وبغيتي	الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور عوجوا ويموا	فليس فتى التوحيد فيه بنادم
هو الحاكم الفرد الذي جل اسمه	وليس له شبه بقاس بمحام
حكيم عليم قادر مالك الورى	يؤانس بالاسم المشاع بمحام
غدا السابق السامي اليه وتاله	مع الجدد والفتح الخيال الملاوم
عبيداً لمولانا خضوعاً لامره	وكل فتى في الدين عبد لآدم
هو الواحد العالي على كل علة	وما غيره الا كعبد وخدام
هو الحاكم المولى بناسوته يرى	ولا هوته يأتي بكل العظام
الى الحاكم المولى فيهموا واقبلوا	فتوحيدكم صدق على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب	فوحده بين الملم بين العوالم
تسعى اماماً والامام فعبد	ليقظ ولا تصغي الى كل نائم
وقد ظهر المولى فآسى عبيده	بافسافهم انساً بمحكمة حاكم
ظهوراً بافعال العيد وشكلهم	ويؤنسهم والخلق شبه البهائم
اذا بشنا التوحيد طاشت عقولهم	وراموا انتباهاً مثل نهش الارام

سقطهم عظم احتجاج مقاتلنا
هو الحق ماقلنا شواهد ات
تقوم رجال الحق عند قيامهم
يفادون رغماً لا يجاب مالم
يتادهم الهادي هلموا الى الذي
هلموا الى المعنى الخفي وحسبكم
وقاتم بناويل المعاني ديانة
ظنتم بان الطفل يبقى لصغره
واشركتم والشرك كنه انطقكم
سيطاق سيف الحق فيكم لجهلكم
وتحويكم اهل الاجابة والتقى
ويظهر سيف للتمييز مشهراً
وماصفوة المستجيبين تارك
وتسفي غيلاً في الصدور مكناً
وتمشون جهراً بالغيار خلفكم
سيحكم هذا الشعر كل منافق

على عظمهم قطعاً كقطع الصوارم
تحر مقال القوم جز الغلام
بقوة عنزم في انتهاء العزائم
حفاة ساري في اكف الضرايم
جهلهم من التوحيد من كل عالم
شواهد ما يدي لكم في الدعائم
على غير ماقد قيل من كل قائم
وانسبتم حشد البلاغ المكائم
وامواج بحر الشرك بين الثلاثم
وبصدكم كالزراع من غير راحم
وتوحيدهم يربو على كل غائم
على جمعكم والفعل من غير آثم
جهادكم من غير خوف ولا لم
ونأقي على انسابكم والتراجم
وتلقون كل الدل من غير راحم
ويزداد كظاً فرق كظم الاكظم

حال الهند الانكليزية

(معرفة عن مجلة الديبا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب
زائد . لاجرم انه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة
تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً
وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات
تساعد الحكومة على توطيد دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكون والهدوء . غير ان
الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أخرى وسيظلون محاربين لهم ابداً بها وهي :
الجراند . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهنديون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم .
الا وان بين سكان آسيا على اختلاف ملهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم وبين
اهل اوروبا تفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعهم .
واليك ماقاله كيبلينك في هذا الصدد : (Kipling) من كتاب الانكليز
ولد في بومباي سنة ١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فحما خدان لا بأتلغان .
ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق وبين ابن المغرب ألفة حقيقية او مودة
ثابتة او ثقة تامة . فانهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابدأ
ان يتفاعلا . وعدد اللفة وقلة الوثام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين
على مدى الايام . . . »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكثرا ما يربو على
خمين الف تلميذ هندي قسعة اعشار هؤلاء غدا كتابا وادباء ومحامين . اما الاطباء
والمهندسون والكيماويون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف
ويخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهؤلاء يأتون
بلادهم حاملين شهاداتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعلمين زيادة مستمرة

وان يكن قد خصص لهؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم
فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر على السخول او يرغب في دخول
سلك المعلمين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون سخرية وهزواً يضم صوته
لاصوات الجرائد ورجال السياسة المبهجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو ويقوى
على الدوام . . .

فاتمريه الاوربية جعلت الهنديين غير راضين وصيرتهم حائقين ناقلين ! ينشأ الهندي
من المدارس العالية على ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميل للتجارة او الصناعات فيدخل
في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حائق على حكومة وادارة قد غرست فيه آمالا
كبيرة ومنته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ
كان يرى نفسه على مستوى من يحكمون عليه مساوياً لم في المعرفة والادراك لافرق
بينه وبينهم في شيء لا يلبث ان يشمئ ان يشمئ امام عينه ذلك الظلم المين الذي سجل عليه
حياة بائسة تحت ربة اناس دخلاء اجانب غرباء مع ان في مكنته ان يقوم مقامهم

في تولي الامور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد بفضلهم ويمتاز عنهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها ، خبير بأمزجتها وعاداتها ، واقف على معتقداتها وتصوراتها ...

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز في ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة ويقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادئ الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية *Self government* كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم ويعلمها حق العلم ولكنه متى جاء ليطبق احكامها على بلاده واوطانها ، يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التاميس ليس كذلك على ضفاف

الغاي ١

وهذا القول يصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يقنعه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحقد .

يريد الهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بانفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون ويمجرون بالقول غير مباليين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لاجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها ، وادام الانكليز في بلاد الهند فصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة فحراً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وجباً بالوصول اليها على اكل وجودها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الاطراف الوسيعة الجوانب ويدبرون امورها .

ربما ساء للانكليز ان يقولوا انهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بأنشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقي الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب المجاعات وتخفيف ويلاتها . ولكن هذه المواد النافعة لم تأت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

العظمى التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل
استثمار البلاد واخذ نتاجها وغلتها ... -

وقصارى القول : ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهنود الكجلاء
ولمنفعة الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها ...

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على صنعها هذا . ولكن اليس من البديهي
ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهنود : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية .

فبنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

وان الهنود الدارسين في اوروبا يعلمون هذا الفرق ويدركونه وهم لا ينفكون من

الغلات انظار ابناء وطنهم اليه مشوباً بالاعظام والمباغة . رأى الهنود المتعلمون وعرفوا اذا

حدث وجري في جزيرة ايرلاندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجري في الممالك الاخرى

فأقتدوا به . ونسجوا على منوالهم وحذوا حذرهم وقلدوا الايرلنديين والاجتماعيين والعلميين

(سوسياليست وآنارشيست) في اعمالهم .

خذ مثلاً لذلك حادثة غليببر سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندرا سنة ١٩٠٩ (وهي ارب

دنكرا الهندي قتل السير كرزون وبلي والدكتور لانكاسنة ١٩٠٩) وغيرهما ...

فالمتهمجون والكتاب والصحافيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات

وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الانكليز يدعون الناس فيها

الى طلب الاستقلال في الادارة (اوتونومي وبالهندية سوراجا) ويشوقونهم

لمقاطعة البضائع الانكليزية (بيكوتاج وبالهندية سوادشي) كما صنع الايرلنديون

في جزيرتهم .

واضافوا على ذلك عمل الفوضويين اي القتل والفتك والتبريع والقاء القنابل والاجزاء

الفرقة والمواد النارية المتفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل للوقوف امام تياره الهائل ؟

لم تعتمد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا الى طريقتين : الاولى العزم والرصانة .

الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وهم

البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنود الذين نشأوا نشأة افريقية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راض عن الانكليز وحكم الانكليز . بيد انهم قليلون جداً لا يتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية .

اما جيش الكتاب الصحافيين العرمرء ، جيش الناقمين الحاققين ، جيش المعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فأنهم يوثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة .

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء النحسين والى اين يصل وماذا حصل منه . ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب وبنگاله وغيرهما من الاقطار وما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات متخالفات (كاست . Caste) وهذه الطبقات لا رابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة .

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية . وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بعض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سلبي لا يفيد في شيء ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار . فهذا لا اثر له في الهند . او لم يوجد بعد . ويختار الهنود بعضهم عن بعض كما يخالف سكان البلاد المتفرقة في اوربا .

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راض عن حكومة الانكليز لانه هر ايضاً اجني . ومن المحقق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثائة مليون الهنود يخضعون المسلمين بقدر بعضهم الا فرنج تقياً وزد على ذلك فان مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود .

فينتج من ذلك ان الحالة في الهند وفي بعض اياالاتها (كبنجاب وبنگاله وغيرهما) . . . ليست على خير وان كان لا ينبغي اعظامها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الاجناس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز . وانكسرتا لانتشى الا من ان ثور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها . خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المركز خرج على كل حال .

عن نهر الذهب : عبد الوهاب



آفة الاخبار

مسألة تصحيح السند في الاخبار من المسائل المعول عليها كثيراً في الاسلام حتى عد ذلك من خصائصه وبه حفظت السنة بحالها وطرحت منها الزوائد ولم يبق مجال للوضاعين والتقصاضين على شدة احتيالم في بث ما اخترعوه ووضعوه ولاجل هذا الغرض ألفت المصنفات الكثيرة في الطبقات ليعرف كل امريء بترجمته فلا يعتز انسان بقوله مها بلغ من زخرفه : فمن طبقات للمفسرين واخرى للمحدثين واخرى للفقهاء وغيرها للمؤرخين وغيرها للنحويين والحكماء والادباء والفلاسفة والاطباء لتظهر على الدهر صفات من انتسب لعلم او ضرب في المعارف بهم

ولذلك كان من السهل التمييز بين اقوال المؤلفين على عهد رواج بضاعة العلوم في هذه الديار ايام كانت ملكة النقد ترجع الى قواعد مقررّة وضوابط محررة فلا يغتر بالخاصة بنقل نقله مؤلف هو في الحقيقة من العامة بمجرد ما يروى مكتوباً على الورق منشوراً في سفر مجلد .

ولقد كان ولا يزال بعض من يعانون صناعة التأليف يسقطون الحين بعد الآخر في مسائل فيخطون فيها على الاغلب ومنشأ ذلك على ما يعرف المحققون عدم تصحيح السند والنقل واخذ القول على عواهنه بدون تقيص حتى لم تكد تخلو كتابة الكثيرين من المغامز يتبين منها عوارها ويتجلى ضعفها .

مثال ذلك اختلاف بعضهم في امر الخلفاء وما كانوا عليه من المنازع والاخلاق فكان بعضهم يقدح في سيرتهم حتى يسقطونهم كل الاسقاط وبعضهم يرفعونهم حتى يبلغوا بهم مراتب الملائكة وكلا الامرين افراط وتفریط . فقد رأينا بعض الوضاعين وارباب المجون اتهموا بعض بني العباس كالرشيد والمأمون مثلاً بالتبذل والاسترسال في الخلالة ولم نرم مؤرخاً واحداً من ثقات المؤرخين صحح هذه الاخبار فكان مدون تلك الهنات يحاول الصاقها بمخضمه لغرض سياسي او ان ينقلها بعض ارباب المقالات والاهواء — واكثرها نشأت ايضاً من نزغات سياسية — ويقصد منها غرضاً من الاغراض او يعتز بها الابله وما اكثر البله في المؤلفين . ومن الحكايات المدخولة للاغراض المتوه بها مارواه بعض لم يصححوا النقل في السبب الذي حمل الرشيد على نكبة البرامكة من قصة العباس اخذه مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه

بمكانهما من معاقرة وياهما الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة وان العباسة تحيل عليه في التماس الخلوة لما شغفها من حبه فحملت ووئي بذلك الرشيد فغضب ونكب البرامكة

وقد رد ابن خلدون على هذه التهمة الشعاء احسن رد معقول فدفع هذه القربة عن ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول قربة من عهد البداوة وسداجة الدين وما هذه التهمة الا بما وضعه الوضعون يقصدون التوصل منه الى النيل من اولئك الخلفاء بهذه الطرق السافلة واغراء الناس على اتيان المنكرات ليقول العامة اذا كان مثل الرشيد يعاقر الخمر ويقدم في مروءته في مسألة تزويج اخته فالويل بنا ان لانتشدد في قيود الدين والآداب ونحن يسعنا ما يسعهم وقد قال الطبري وهو من ثقات المؤرخين والمحدثين ان الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . اما الشراب الذي يرمي بنو العباس بتناوله فكان عصير التمر وقد افتي بحله الفقهاء .

وانا اذا اتقنا في اخبارنا على مثل كتاب اعلام الناس ونزهة المجالس وشمس المعارف وغيرها من كتب الموضوعات واعتقدنا صحة اقوال بعض ارباب الاهواء من المؤرخين لا يكاد يبقى لنا بقية يعتد بها من الخلفاء والائمة ما كانت الامة بهم تبقى الى اليوم محافظة بعض الشيء على آدابها واخلاقها . ومن ذلك ما وقع مؤخراً لصاحب مقالة تعليم النساء ^(١) فنقل ما قاله الادباء واكثرهم من المخالفين لبني العباس في مذهبهم الديني والسياسي — في علية - حفيدة المنصور و بنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم ابن المهدي والرشيد والعباسة واسماء وعممة الامين والمأمون والمعتمد وانها كانت تشب ببنات ملوك اورشاليم وورشا وان الرشيد لما آتس منها ميلا الى طل وهبها اياه وقبل رأسها وقال لها لست امنعك بعد اليوم من شيء تربدينه !

وئن رجح الكتاب الرواية الثانية لما عرف من انفة الرشيد وغيرته ولكنه كان عليه طرح هذه الرواية المدخولة لادنى نظر قياساً على نظائرها مما روي عن ارباب الخلاعة من الماجنين من الشعراء والوضاعين من اهل الاهواء ممن يريدون الاعتذار عن سيئاتهم باتهام العظاماء بهذه التهم الشعاء ليكون الناس في الخزي والبذاء كالسنان

المشط في الاستواء ولطالما ود صاحب الكبائر لو كانت الناس كلهم شركاءهم
فيما يقتربون .

وانا اذا وضعت هذه الرواية على محك الروية لتجلى لنا لاول نظر بانها لاتصدر عن
 عامة الناس في عصر الرشيد والمأمون وناهيك به من عصر بلغ الغاية في الآداب والعلم
 والصيانة فكيف يعقل صدور ذلك من خليفة وابنة خليفة واخت خليفة ولو وجد عقلاء
 عصره ورجال دولته اقل نقد عليه لما سكثوا عنه ولو اغمضوا عيونهم لما خفي امره على
 الطالبين القائلين بالدعوة الى اهل البيت وهل احسن لهم ذريعة في اسقاط الرشيد
 والمأمون من نسبتهم الى امور لو ثبتت اقلها لكانت نقصيهما عن منصب الخلافة ولو كان
 اهل الارض ظهراءها

ان اخلاق السوقة تأتي لعمر الحق الرضى بما نقله اهل المجون عن الرشيد وسماه
 لاخته به شوقها وقوله لها انه لا يصدقها عن اتيان ما تريد اذا كان فيه هوى نفسها !
 وان نسبة تلك الاشعار في النسب والتشبيب الى امرأة كعامة من فضليات النساء لا يرضى
 به السوقة دع عنك الخلفاء بعد الذي علمناه من ان العرب كانوا يقتلون من بناتهم من
 تشبيب وتفحش في غزلها فكيف بعد هذا تثق برواية القيرواني في علية وهو أموي
 والاصفهاني وهو علوي ومعادة العلويين والامويين ابني العباس معلومة مشهورة وبطل
 الادباء والموسيقين للاغراب لادهاش الناس معروف موصوف ومقي كانت تؤخذ
 حقيقة علية من ادب اوفضيلة اخلاقية عن شاعر .

وعندنا ان كل ما اتهم به الوضعون واهل الخلاعة بعض الخلفاء الاول من بني
 العباس انما اتى من تكتم العباسيين في اسرار دولتهم ولانهم اعطوا الامة حرية أمست
 فيها فلم يربعض ارباء الفطرة اقرب الى العبث بقول العامة من نشر تلك الموضوعات
 والمجونيات بين العامة والخاصة كما اشاعوا سوء القالة عن العباسية وعليه والناس اميل
 الى التبر منهم الى الظير والى كسر النيوذ أكثر من الاحتفاظ بها والى افاصيص الهزل
 واساطير المهر أكثر من روايات الجد وتلقف الحقائق . وكل شيء يحتاج الى تمحيص
 وحاجتنا اليه في التأليف والمؤلفين أكثر حتى لا نغترر بكل قول ولا نصحح كل نقل

قانون حق التأليف

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى «حق التأليف» .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والجسيمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والجسيمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر او افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواظع والخطب والمسامرات التي تلي لاجل التعليم والتربية او الفكاهة . اما الخطب التي تلي في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقفة اذا كانت مقيمة بعبارة مثل «حقها محفوظ» «ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها» فحقها محفوظ . ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيمة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف علي شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل احد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

المادة السادسة — يعود حق التأليف للمؤلف في حياته وبعده وفاته يعود اولاً لاولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانياً لابائهم وامهاتهم . ثالثاً للاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات او ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها او ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والجسيمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة

هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والناظمات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشرح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المرحر تبشدي اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لا يجوز تمثيل رواية منشورة او منظومة او تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنشورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا المقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف
المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من اي اثر كان لضرورة او لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لا تنشر المكاتب الابرخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً او من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد او اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .
المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية غائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقالة فحق التأليف او الترجمة غائد اليهم كافة على التداوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادة من الاقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقولة مخصصة بين الشركاء فيجري حكم المقالة تماماً واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — اذا لم يبق لكتاب صاحب ما كائن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطع الورثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك التأليف وترجمته .
المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل احد ان يطبع المؤلفات المطبوعة قبلا والتي لاصحاب لها وفقاً للمادة السابقة واما الذين يودون طبع مصنف لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لغير صاحب الامتياز او ورثته طبع هذا الكتاب في خلال هذه المدة وانما اذا لم يباشر طبع المؤلف في مدة سنة او عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتمدة التي يرجى منها فائدة للناس ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف او اهمالهم او عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ول مديرية المعارف في الخارج ويقيده وي سجلوه ليحفظوا بذلك حق تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الصورة واحدة كالالواح والنماثيل والاعاليق (الانواط او المداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدتير المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومدير ياتها لحق التأليف ماعية المؤلف واسم كتابه وموضوعه وتاريخه ويحمل طبعه وعدد صحائفه ويوضع لرقم بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الكتاب او وكيله الرسمي .
المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليرة عثمانيه فقط خرجاً للقيد والتسجيل ويعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف او مدير ياتها علم وخبر يعثر به بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقفة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لاتسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعان في آخر السنة الكتب التي قيدت وسجلت في غضون السنة واسماء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا او يتركوا في خلال المدة النظامية حق التأليف او الامتياز تماما او موقعا او بتعيين عدد النسخ لآخر بموجب مقابلة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفا في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقابلة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيد ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف المخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حق تأليفهم اذا لم يوجد مقابلة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الكتاب بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الكتاب بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منشورة او منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية واستنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالقوط غراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب لآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النيفسية لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم واخر عبارات كتاب وانا شيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واستندها لنفسه يعد بحكم الانتحال .

المادة الحادية والثلاثون — الانتقادات والشروح والحواشي لاتعد انتحالا وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وقرات من كتاب آخر لمصنفه ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الكتب التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية، منشورة او منظومة يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا ويجبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الاسفار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه المصنفات في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمسة ليرات عثمانية الى خمسة وعشرين ليرة جزاء نقديا .

المادة الثالثة والثلاثون — اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب انكتاب المنتسب يعطى بحتها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقابلة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خافوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ماباعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الكتاب .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي يحق للمقلدين على المنتحلين ايضا .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الكتاب المشتركين يرجعوا المحكمة على الانفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدائنين حجز كتب المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيرا بعرضها للبيع ووقاية اصحابها من الغدر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ١٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ١٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — على من طبعوا اثرأ قبل هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحب او ورثته مراجعة صاحبه او ورثته واستحصل رضاه واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى اصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكابة شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او
بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه
المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية مأثوران باجراء هذا القانون .
في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ وفي ٦ آذار سنة ١٣٢٦



عبث المشيب

ظلم الرجال نساءهم وتمسقوا	هل للنساء بمصر من انصار
بامعشر الكتاب اين بلاؤكم	اين البيان وصائب الافكار
أهمكم عبث وليس يهمكم	بنیان اخلاق بغير جدار
عندي علي ضيم الحرائر بينكم	نبأ يثير ضمائر الاحرار
مما رأيت وما علمت مسافراً	والعلم بعض فوائد الاسفار
فيه مجال للكلام ومذهب	لبراع (باحثة) (وست الدار ^(١))

كثرت على دار السعادة زهرة	من مصر اهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتمهم	لا صاحبات بغي ولا بشرار
شاطرهم نعم الصبا وسقينهم	دهراً بكأس للسور عقار
الوالدات بنيمهم وبناتهم	الحائطات العرض كالاسوار
الصابرات لضرة ومضرة	المحييات الليل بالاذكار

من كل ذي سبعين يكتم شبيه	والشيب في فوديه ضوء نهار
يأبى له في الشيب غير سفاهة	قلب صغير الهم والاورطار
ماحله عطف ولا رفق ولا	برئ لاهل او هوى لذيار
كم ناهد في الالاعات صغيرة	ألمته عن حقد بمصر صفار
مهاغدا او راح في جولانه	دفعته خاطبة الى ممسار

(١) ها كاتبتان مصريتان تكتبان في الصحف المصرية مقالات وحواراً في النساء

شغل المشايخ بالكتاب وشغله
 في كل عام همه في طفلة
 يرشو عليها والدين ثلاثة
 المال حل كل غير محل
 سحر القلوب قرب- ام قلبها
 دفعت بنيتها لاشأم مضجع
 وتملت بالشرع قلت كذبه
 مازوجت تلك الفتاة وانما
 بعض الزواج مذم ما بالزنا
 قتلت لم أر في الزواج كفاءة

أسفي على تلك الحاسن كلما
 ان الحجاب على (فروق) جنة
 وعلى وجوه كالأهلة روعت
 وعلى الدواب وثبمسك خولطت
 وعلى الشفاه الخفيات أمانها
 وعلى المجالس فوق كل خميلة
 تدنو الزوارق منه تنزل جو ذراً
 يرفلن في أزر الحرير تنوعت
 الطاهرات اللحظاء مثال المعى
 الراحة اللآعبات أو انسا
 الدهر فرق شملهن فربه

نقلت من (اليالي^(١)) الى الدوار
 وحجاب مصرور يفها من نار
 بعد السفور ببرقع وخمار
 عند العناق بمثل ذوب القار
 ربح الشيوخ يهب في الاسجار
 بين الجبال وشاطيء محجار
 بقلادة او شادناً بسوار
 ألوانه كالزهر في آذار
 الناطقات الخرس كالآوتار
 يربى (بيوكدره) وشاطيء^(٢) (صارى)
 يارب تجمعه يد المقدار

مصر احمد شوقي

(١) اليالي لفظة تركية معناه المصيف على شاطيء البحر^(٢) «بيوك دره» اي
 الوادي الاعظم و«صارى بر» اي الارض الصفراء من متنزهات الاستانة على الخليج

الابر

كثيراً ما قلنا في كتاب دائرة المعارف العربية للسباني عن بعض أمم الشرق وادياتها فلم تعد بطائل . ومن جملة هذه الاجيال « الأبر » فلا نجد لم ذكرأ في هذا الكتاب . مع ان جغرافي العرب ذكروهم في مؤلفاتهم وان لم يذكروا لنا التفصيل التي تنطال الي معرفتها . فقد جاء في كتاب ابن الفقيه المسمى بكتاب البلدان ص ٨٣ من طبعه دي كوي مانه : « ويرجل وبلدان الصقال والأبر شمالي الاندلس » وقد نقل هذه العبارة بعينها وحرفها ابن خردادبة في كتابه المسالك والممالك . وقال ابن رسته في الاعلاق النقية ص ٩٨ عن بلاد هؤلاء الاقوام مانه : « ولما ساروا هذه الاقاليم (الاقاليم السبعة) الى تمام الموضع المكون القدي عرفناه فانه يبتعد من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغرغز وارض الترك ثم لي بلاد اللان ثم على الابر ثم على برجان والصقالية وينتهي الى بحر المغرب » اه بحرفه وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٢ « وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى الرض الروم مما يلي البحر الى ترافية وبلال برجان والصقالية والابر الى حد ارض ياجوج والاصح الى حد الاقليم الرابع مما يلي نصيبين اطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة » اه . وفي موضع آخر ص ١٨٤ من كتاب المسعودي المذكور ذكر الابر من سكن بلاد تجاور جبل النبق (قوقاس اوقفاسية) قال : « وقرب من هذا الجبل من الام كاللان والسرير والحزر ٠٠٠ والابر وبرجان والروس والبرغر ٠٠٠ » وذكرهم مرة ثالثة في ص ١٩١ قال : « ومن جاورهم (ابي الروم) من المالك من برجان والابر والبرغر والصقالية والحزر وغيرهم ٠ »

ولم نجد لم ذكرأ في سائر كتب مؤرخي العرب وواصفي البلدان عنهم فلا الطبري ذكرهم ولا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولا غيرهم من كبار المؤرخين . ومن بعد ان بحثنا عنهم وجدناهم انهم هم الذين يسميهم الافرنج Leo Alvarez وبننا لخص عنهم ما كتبوا انما للفائدة وسداً للثلمة الموجودة في كتبنا التاريخية والجغرافية .

الابر جيل من الناس منذأره في بلاد التتروم فروع من فروع قبيلة الهونة . وكانوا قد ضربوا خيامهم بعد ان هجروا بلادهم الاصلية في نواحي جبال الاطائي . ثم طرأت

عليهم طارئة من الصينيين سنة ٥٥٢ م فطردتهم من مقرهم وافنت جماعات منهم .
ومن نجا منهم فرعوا الى جهات بلاد اوربا فقطعوا نهري الاثل والدون سنة ٥٥٧ ثم
خيموا بعد برهة على شطوط الطونة . وما عثموا ان ناووا ملوك الروم وقياصرتهم ونشلاوا
منهم سنة ٥٨٢ داقية وفنونية ومن هناك انتشروا ولا انتشار الجراد في بلاد جرمانية في
شمالي الطونة حتى بلغوا ايطاليا . واول ما خضت شوكتهم كانت سنة ٦٢٦ تحت
أسوار القسطنطينية فان هرقل الملك كسر شيخهم « بيان » وكان حليفاً لكسرى . ثم
دوخهم كل التدويج شرلمان من سنة ٧٩١ الى سنة ٧٩٩ وحينئذ دانوا بالצרانية . وكان
الابر طوبلي النجاد محبين للحروب وقد اشتروا بالمر والكر والخذعة في الفر والكر .
واما مساكنهم فانهم لم يأووا الى غير الخيم والمضارب . ولم يعرفوا من المدن الا الاحوية
جمع حواء وهي جماعة ييوت الابر المندانية وكانوا يقيمون على هيئة دوائر عظيمة
وتسمى عندهم « دنك » اي جمع حلق حلق لا استدارتها . وكان يسمى شيخهم باسم
« الخان او الخاقان »

اما حدود بلاد الابر فقد اختلفت باختلاف العصور في عهد معظم انتشارها اي من
سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٣٠ كانت مملكتهم تشمل فلوات شمالي الطونة من لوزاقا الى
ماوراء الدون . وعند افول شمس القرن السابع للمسيح تقلصت حواشيها حتى كان في
شمالي بلادهم وغربها ديار اللاه والوند والجيك (اي بلاد برلونية وسيلسية وبرندبرج
وبوهمية على التسمية الحديثة في عهدنا هذا) وفي شرقها كان الخزر وكان موطنهم
يومئذ بين البوك ودينير .

وبعد ان خرب شرلمان ديارهم سنة ٧٩٩ لم يبق منها الا الصقع الغربي بين نهري
« التيس والان » وهذا ايضا جعله مقاطعة لدولة الافرنك باسم « أبرية » . واما ما بقي من
تلك الربوع فقد احتلها المجر اي الهنكار يون . وفي بلاد الجركس في عهدنا هذا بقية
من الابر تقيم على منحدر كوه قاف الشمالي بين الاكسائي وشرداغ وبلغ عدد بيوتهم
اليوم ١٢٠٠٠ وكلهم يدينون لخان كبير خاص بهم . ومعيشتهم من الصيد والغزو
والنهب والسلب . وهم يرجعون في الحكم الي قيصر روسية — هذا ما اردنا ايضا
وفوق كل ذي علم عليم
بغداد : سانسنا

نظرة في النظرات

أخرج هذا الكتاب للناس في هذا العهد والامة في براز دائم بين القديم والحديث يريد بها الاول نكى البقاء على الرثيث من تالدها مما ورثته بحكم الطبع أو التطوع ويضطرها الثاني إلى التجرد عما يأخذ بخلافها من العادات والتقاليد العتيقة التي آخى عليها الدهر والاخذ بالجديد المفيد المنطبق على حاجات العصر اليوم .

وهنا نحن اولاء نرى بين علماء الدين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن من يتساءلون عما إذا كان تعليم العلوم المادية الطبيعية والثوفر على دراستها حراماً أو حلالاً بيننا نرى بعض المفكرين من الباحثين العالمين يشبهون على اولئك حرباً عواناً تدبر رحاها الافلام مصرحين انهم لا يبدئون بسوى القوة والمادة اللتين هما من مظاهر الطبيعة ويضربون بكل علم عرض الحائط اذا لم يكن من العلوم المادية الطبيعية أو منطقيّاً على نواحيها الصحيحة أو موصلاً إليها متمماً لها ففريق يبالغ في اعظام الخيال ويغالي في البحث فيما وراء المادة وفريق لا يعرف غير الحقيقة المادية مذهبا .

ألا وان هذا البراز الحيوي لم يكن مقصوراً على العلم فقط بل تناول عامة شؤون الحياة وفروع الفنون الاخرى فكان للأدب النصيب الاوفر منه فانما مالزالوا ولا تزال نرى بعضهم لا يرى للشعر من المسكنة العالية الا اذا كان قائلاً كاللها زهير وابن معنوق والشاب الظريف ويحسبون أن الكلام الطريف هو ما جاء في «ريحانة الادب» وأشباهها غير معتدين بما عداها من الكتب الممعة مثل «نهج البلاغة» و «الدرة البتية» و «كلىة ودمنة» وما جرى على أسلات السنة الشعراء المتقدمين كالشريف الرضي والمتنبي والمعري وغيرهم من المتأخرين ممن جمعوا إلى التراكيب العربية الفصيحة الافكار الغريبة الصحيحة كما انهم لا يعدونها شيئاً مذكوراً .

في كل حركة تقوم بين ظهراني هذه الامة المبسطة ظلالها في هذه المملكة المتناثية الاطراف نشهد مثلاً مجسماً من مبلغ تأثير تنازع البقاء ونقرأ فيه التجدد نقياً لا يشوبه شوب القديم فتسندل منه على تقدم الامة في أفكارها وآرائها وأن ما يناله القائلون بالتجديد من خصومهم الاعداء اللدء المكابرين لا بد من وقوعه مادامت الامة جاهلة خاملة وما دام من كتب لم العلم والنباهة أفذاذ لا يزال تأثيرهم من الضوؤل والحوؤل بحيث يتراجع لاقول ربح نصف .

وبعد فلا بدع إذا بودي الاستاذ المنفلوطي صاحب هذا الكتاب لاول وهلة بما قاله من معارضية من بداعة اللسان والتسفيه في القول مانجمله عنه لانها سنة في المجددين منذ القديم . فهذا غثاف فلوير الكاتب الفرنسي المعروف كان يحقره معاصروه ويهزؤون بكتابات وأرائه حتى يحمله ذلك على البكاء كالأطفال الصغار ويشرع يخاطب زملاءه زولا وكونكور ودوده بقوله : « بربكم أنبئوني لم تنل هذه المؤلفات الاستحسان الذي أتطلبه » فتأخذهم رعدة الكتابة والحزن فيكون جميعاً — هذا الرجل الذي كان في عصره بهذه المثابة ولم يكتب لآثاره أن يرتاح لها الرأي العام أصبح القوم اليوم يبعدونها ويجدونها ويسبحون بحمدها .

أما الآن هذا الكتاب انظر إلى الصفحة الأخيرة منه بعد ان كنت قرأت معظم فصوله في الصحف وكانت نظرتي اليه في المرة الثانية ومقالاته مجموعة في سفر خاص غيرها في الاولى . اذ كنت أطالعها وأنا أعلق عليه في مفكرتي بعض ما أخذت به من شأنه ورأيت ما يجدد ان ينبه عليه مثله على اني قرأت ما كتب عليه في الجرائد والمجلات فأذا به لا يبل غليلاً ولا يغني فيلما بما دل على ان باب « التقرىظ والانتقاد » لم يفتح عندنا كل الفتح ونخشى ان طال علينا الامد ان يصيبه ما اصاب باب « الاجتهاد » . وقد افردت لكل من « أسلوبه » و « موضوع » و « آرائه » و « لغته » و « وصفه » بحثاً خاصاً سأتكلم على كل واحد منه على حدة واقفيه بالاماع الى شذرة من « روح المؤلف » ، وذلك بشدر ما كنتني الفرصة من القيام به وهدي اليه البحث والنظر .

أسلوبه

ما كتبه « المنفلوطي » في مؤلفه هذا قصص حجة كانت هي الباعثة لي على الخوض في غمار هذا الموضوع ولذا فأنا انظر اليه في هذا البحث نظري الى قصصي أريد ان أبين طريقته في الانشاء وأحاول ان اردما الى مذهب خاص مما اشأه ادباء المأربة في تاريخ آدابهم . اذ لكل كتاب ادبي قصصي اسلوب خاص ينهج فيه مؤلفه المنهج الذي يراه انه امتع وانفع ووافق طبعه في الغالب او يتبع في ذلك سنة الارثقاء :

قامت في اوربا مذاهب شتى ^(١) في الادب القصصي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وكلها حلقات من سلسلة تاريخ الآداب عند الغربيين . فمن هذه المذاهب مذهب

(١) مغرب عن فصول من كتاب « المصنفون والمصنفات »

يرى زعماءه ان الغاية من الصناعة هو اصلاح الانسان وتعزيتة لتخفيف آلامه عند حلول المصائب والنواب . فتجدهم يضعون قلوبهم وافكارهم في كتبهم بدعوى انهم يتأثرون بهم هذه تثار ثائرة القراء . وان ذوق كاتب القصة الشخصي لتمثل في تصايف كتابه قتره يخلق اشخاص الوقائع ليصف شعوره الذاتي وشوقه المبرح به نابذاً العناية ببث العواطف في ابطال الرواية ظهرياً . من اجل هذا ندر ما استفاد التاريخ وعلم الاجتماع من امثال هذه المؤلفات .

وما يحلمهم على ذلك الا مشيهم مع شعور القراء وتنزلم من عقول العامة لان هؤلاء اعتادوا ان يعيشوا مجردين عن الحقائق العادية وانهم ليشدرون من مطالعة صفحات حياة الانسان كما هي . ولذا كانت خطتهم في الروايات ان يجعلوا الوقائع والاشخاص على هيئة خيالية « Ideal » يوم كان يستفيض على الالسنه انه من اللازم اللازم الاختلاق في الروايات وكانت القصص السامية والاشعار الرقيقة الخافلة بالشعور ليس لها كلمة عالية . وقد سمي هذا المذهب

(Méthode idéalisme مذهب الفكرين)

وهناك مذهب آخر في الانشاء يدعي « Romantisme — مذهب الخياليين » وهو كما عرفه سماندال هوب : عبارة عن « صناعة تمثل نتائجها الادبية ما يلائم معتقدات الاقوام واطوارهم وعاداتهم في الحال الحاضرة مما يبعث في نفوسهم سروراً وانشاءً » بل هو كما يقول النقاد الشهير بروتير : هو « ان لا يعرف الصانع سوى ذوقه وتهوساته وخيالاته قاعدة واصلا » بل كما قال اميل فاكي : « ان روح الرومانتيزم الحقيقية هو الخذر من الحقيقة وان يكن لها الصانع في صدره موجد ونفوزاً » قالوا : وهذا الخذر يتم باستسلام المفكرة للخيالة كل الاستسلام وليس في هذا المذهب مشاهدة ولا تحقيق ولا ترصد كما انه ليس ثمة معقول ولا محاكمة ولا منطق لان هؤلاء كلها امور تدن للحقيقة المادية — هذا هو اصل الرومانتيزم .

ومن المذاهب التي نشأت وشاعت المذهب التاريخي الذي كان زعماءه يعنون بوضعه في الروايات التاريخية فيعرفون الحقائق التاريخية عن مواضعها ومن التزوير والافتئات بحيث كانوا يطبقون قوام الخيالة وعامة ما يبتدعون من الافكار على الوقائع والحداث . فالتاريخ عندهم كما قال اسكندر دومائيس « مسمار يستعينون به على تضديد الواهم » فليس لهم من ثم فكرة سوى انهم يعملون على ادخال البشر والارتياع في نفس القاري . بيد ان لجمال

الاسلوب ورقة الوصف عندهم مكاناً من العناية . وامثل نموذج لهذه المؤلفات التاريخية واحفلها كتاب « خمسة آذار » لالفريد دوفيني و « نوتردام دو باريس » لفكتور هوغو .

وقد نشأ مذهب جديد يدعى بمذهب الطبيعيين « Naturalisme » ومن اخص ميزاته هو ان زعماءه وسعوا دائرة القصص واخذوا يبحثون عن ملجأ تلوذ به اشخاص القصة خشية ان تخوض عباب الوقائع الغريبة التي تعملها بعض الكتاب لتكون النتيجة اما الانتحار او الزواج واصحاب هذا المذهب ينظرون الى ذلك الضرب من القصص نظرم الى العوبة تلهي بها الفتيان والفتيات . والذي يعنون به اليوم هو صفحات التبع فشان القصة عندهم بنسبة مانع من صحيح الوصف وحديث الوقائع .

ومن انصار هذا المذهب من القصصيين ممن جردوا الروايات من شوائب الكذب والاختلاق بعد فلوير اميل زولا وموباسان الكاتبان الفرنسيان المعروفان ونشأ عن هذا مذهب آخر يدعى « Impressionnisme » امبرسيونيزم . والفرق بين هذا ومذهب الطبيعيين هو ان زعماء المذهب الاول يعنون ببلاغ العواطف وآثار ما ولدته فيهم الحقيقة وهم يرون ان « الحقيقة واسطة » : اما انصار الثاني فانهم مستثقلون عن الذاتية وما همهم الا تتبع الحقيقة كما هي على حين يترجم زعماء الامبرسيونيزم الطبيعة اكثر من ان يعيدوها مرة اخرى . وعلى هذا كان ولاجرم مذهب الطبيعيين امنين وارصن وقصصهم اعظم مهابة ووقارا .

وهناك مذهب جديد وضعه الكاتب الفرنسي الشهير « بالزاك » وانضوى تحت لوائه كبار المتأدبين ممن اثروا اثرأ محموداً في نهضة الآداب الفرنسية الا وهو « مذهب الحقيقيين Realisme » وقد اتهم وضعه فلوير بمصنف له سماه « مدام بوفاري » وقد سبق هذا الرجل بالزاك وستاندال ومريمي فاذاقوا الفرنسيون بمصنفاتهم طعم الحقيقة ولكنهم لم يكسروا سورة شهرتهم باسمها ولم يتعد تأثيرهم في نفوس القراء ايقاظ الحقيقة فيهم . ولكن مصنف « مدام بوفاري » علم الناس اجمع ماهو مذهب الحقيقيين بما تري في تضاعيفه من وصف الحياة بما فيها من اضطراب وضوضاء باجلى تعبير واوضح بيان .

وطريقة « بالزاك » في قصصه هو انه يبدأ أولاً في تعريف الاشخاص ويأتي على

تصوير المكان الذي فيه يعيشون والبيئة (المحيط) التي في ارجائها يجولون وما يحوي المكان من اثاث ورياش ثم يذكر الخلق واجسامهم وما يلبسون ويكتسبون من اريدة حتى انه يرسم خطوطهم الجسمية واخيراً ينفخ فيهم من روح الحقيقة فينطقون ويتحركون .

هذه هي « الطريقة العلمية » التي يتحونها العلماء والعقلاء من كتاب اوروبا في التاريخ والادب ولا يهمهم مما يكتبون سوى انهم يمثلون الحقيقة للنراء عارية بائع واشنع مظاهرها غير هيايين ولا وجليين . وثمة من المذاهب ما كتبت اودان آتي على ذكره هنا لولا اني توخيت في هذه « النظرة » الانحياز مثل المذهب الرمزي (سبوليزم) والمذهب الفني (كلاسيسيم) وغيره من المذاهب .

وبعد فلم تقدم بين يدي القاري هذه المقدمة التي نرجو ان نكون المهنأ فيها بطرف من مذاهب الكتاب الا ان استطع ان نحكم على بعض فصول « النظرات » القصصية ونضعها في الحل الذي يجب ان تحل فيه بين هذه المذاهب كلها .

لاجزم ان الناظر في هذا السفر والمطلع على هذه المذاهب يعلم ان المنفلوطي جرى في كتاباته مجرى الخياليين وانه يجمع بين هؤلاء ومذهب الفكرين في الاحايين . فبهذه مقالته الكأس الاولى ^(١) و « عبرة الدهر » ^(٢) يتجلى فيها الخيال باخفل مظاهره . فقد سمع صوت المؤلف في الاولى عند قوله : « وما كان له وهو يهيم الخ . . . » وكذلك عند قوله فيها : « والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن » . وقد اورد على لسان الشخص المريض الشاخص بصره الى السماء — ذلك الرجل الذي لم يبق منه الا اهاب ممزق — حديثاً لا قدرة لاصحاء الاجسام على ايراده في مثل تلك الحال وقصد المنفلوطي ان يبين سبب الادمان على الخمر فجعل ذلك بلسان المريض ذاكرة ان كل كأس شربها جرمتها عليه الكأس الاولى وان لبس الباعث على ذلك غير قصور عقله عن ادراك خداع الخلطاء وبين « ان الخونة الكاذبين خدعوه عن نفسه خداعاً ليسكنوا باضمائه اليهم لتتهم التي لاتتم الا بقراع الكؤوس وضوء الاجتماع » ثم عاد المنفلوطي واظهر شخصيته فقال : « ولو علمت كيف خدعوه وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه واي ذريعة تذرعوها بها الى ذلك لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاءه وضعيف الى الغاية من الضعف » وقد حكم عليه بالبلاهة ولم يذكر عن تربيته

ما يفهم منه انه على غرارة وسذاجة بل الذي تبين انه كان صديق المؤلف وارتباطه بالصدافة يقضي بان يكون فيما احسب على غير ما ذكر .

وفي مقالة عبرة الدهر دليل آخر على مذهب الخياليين وهو ذكره (صاحب القصر) بانه فاسد الاخلاق واغفاله البحث في ان يذكر عن نشأته الاولى شيئاً تبين منه ان بين جنيته نفساً ملوئها الرذائل . وكان عليه ان يصف (بلالا) الخادم الذي جعله في موقف الحكم الحكيم وانه من المبادئ العالية ماهو كبت وكيت وان يذكر طرفاً من حق زوجته وتلفها على زوجها الذي كان يقضي الليالي الطوال وهو يداء ازواج المحارم بمثل ما يداعب غيره زوجته . وهذا نقص كبير وخطأ فادح في الاسلوب . ولكن المنفلوطي كما اسلفنا لم يهتم في الحقيقة اهتمامه الزائد في ان تكون قصته جامعة للجمال الاسلوب الخيالي الذي ضمنه حكماً بالغة وعواطف شريفة بدون ان يتبين المواقف التي يقف فيها الرجل النر الغمر موقف المرشد الحكيم .

ومما يستدل فيه ايضاً على تنكبه جانب الحقيقة سؤال (صاحب القصر) (بلالا) في اي ساعة نحن من ساعات الليل فاجابه في الساعة الاولى ثم ذكر المؤلف ان الخادم لم يصل من الحديث الى حد معين « حتى فصل خضاب الليل واشتعل المبيض في مسوده » على ان ذلك الحديث يذكر في بضع دقائق ليس الا . . .

هذا نموذج مما ذكره المنفلوطي من الفصول القصصية ومن تشریح اسلوبه يعلم انه احتذى مثال (الخياليين) في انشائه . وكل من تتبع الحركة الادبية في المشرق يعلم انها مسوقة نحو الكمال بحكم ناموس « النشوء والارتقاء » وان كتاب المنفلوطي هذا هي احدى الحلقات من سلاسل الآداب التي لا يتم البحث بدونها .

وانا نودع باستقباله وما ضمنه من اسلوب جديد وتشبيه رائع واستعارات نفحة ذلك الاسلوب الخيالي المحض في كتاب « كليله ودمية » وهو من تاريخ آداب المشرق بمثابة « لافوتتين » من آداب المغرب كما ان غيرنا ودع بما عر به عبد الله بن المنفع كتاب « الف ليلة وليلة » واقاصيص « عنتره » الممزوجة بالابطال الخياليين بما كان بهواً بامثالها يدغمه تنال ادبية القصصية كما كانت « الايامدة » باكورة نهضة الغرب في الآداب وفاتحة رقيهم وتقدمهم .

وجدير بكبار ادبائنا العاملين وهم يرون الغرب كل يوم يخطو خطوات واسعة نحو

الحقائق ان يقتفوا آثار مذهب الحقيقين بطراحهم مذهب الخياليين جانباً وان يطيلوا الفكر والتدقيق فيستبدلوا الاحياء بالاموات ويستعضوا بالارواح عن الاشباح وكفى

٣

موضوعه

قسم المنفلوطي كتابه الى عشرة فصول : (١) الرسائل العلمية (٢) الرسائل الادبية (٣) الرسائل الاخلاقية (٤) الرسائل الاجتماعية (٥) الرسائل السياسية (٦) الرسائل الدينية (٧) الدهريات (٨) التسائيات (٩) الروايات (١٠) انراسلات^١ . ويجب ان نذكر هنا قبل كل شيء ان المنفلوطي لم يحسن تبويب الكتاب فقد ذكر مقالة « افندك قومك » في الرسائل « الاخلاقية » وكان الاولى ان تكون في « الرسائل الاجتماعية » كما انه ذكر مقالة « مدرسة الغرام »^(١) وفي « سبيل الاحسان »^(٢) في الثانية في حين يقتضي ان تكون من موضوعات الاولى . وانت اذا اردت ان تنزل هذا الكتاب المنزلة الخلق بها من حيث علاقته بالعلم والاجتماع والسياسة والاخلاق رأيت بضرب سيفه الاخير منها بسهم وافر ويجري منه على عرق .

تقرأ روح الاخلاق في مقالة الكأس الاولى و« ابن الفضيلة » و« الغني والفقير » و« عبرة الدهر » و« مدينة السعادة » و« الرحمة » و« الصدق والكذب » و« الانصاف » وتراه ايضاً يتعرض لموضوعات الاجتماعية فلا يلجأ بالبحث فيها من عامة اطرافها على حين تتدعي درماً يسلب المرء فيه قراره ليستط الناظر فيها على حقيقة ناصعة او علم جم او فكر جديد .

يدللك على هذا بحثه عن المجرم في مقالة « افندك قومك »^(٣) فانا لانكر عليه انه ذكر فيه ما يفهم منه . انه يحمل الذنب على المجتمع البشري وعلى التربية الاولى وعلى القانون ولا غير ذلك شأن كثيرين ممن قاموا اليوم في اوربا يحامون عن المجرمين ويعفونهم كالبائسين يستحقون الرحمة ويطلبون تعديل القانون الجائر لتخفيف ما ينزل بهم من الويل والاثبور . ولو كان المنفلوطي من كتاب الحقائق لتوسع في هذا البحث وقرأ ما كتبه الاطباء في هذه المسألة لتتم الفائدة

ثبت مؤخراً بعد الفحص الطبي^(٤) ان الجنة من نقص ملكتهم المادية والادوية استعداداً لما يوقعونه من الجنائيات منذ زمن مديد . وقد فحص « بنديكت » احد

مشهوري اطباء فينا ادمغة كثيرين ممن يقتفرون الجنائيات الكبرى فوجدها بأسرها مؤثفة غير تامة التركيب ، وهذا الرجل بعد الجنون والجنافية صنوان . ويرى رأيه هذا الدكتور « بوردي » الفرنسي وقد بحث في ادمغة ستة وثلاثين جانباً حكم عليهم بالاعدام فرأى الناحية الجنبية مصابة والناحية الجدارية واسعة جداً . وهذا يدل على نقص القوة العاقلة والشعور والميل الى الخلق والتزق . وقد نظر « غاروفالو » احد مشاهير علماء الجزاء في ايطاليا في الجنة فلم يجد واحداً . منهم خلواً من امارات مادية وادبية تحكي الانسان الاول .

وما ظهر من الحقائق الجديدة من امثال هذا الاستقراء والاستقصاء هو موضوع الرأي العام في اوربا في شأن تنظيم الجزاء . حتى نشأ عن هذه التجارب الطيبة علم جديد يسمى « علم الجرائم البشرية » - أتروبولوجي كرمينيل « وكان للاطباء البدين الطولي في خدمة هذا الفن الجليل

نال المفلولطي من المدنية الغربية في كلامه عليها ما لا ارضاه ولا يرضاه له كل من درسها حتى دراستها وبحث فيها بحث العالم المجرد عن الموثرات الدينية كانت او قومية لاجت خطيب او اديب او شاعر او واعظ مرشد داع الى وطنية او اخلاق . ورد في قوله هذا كلام ثلث من حملة الاعلام ممن لهم من اخلاقهم عصبية قومية او عنصرية شرقية وسواء عتيدي كان قولهم هذا بدافع الوطنية او الدعوة الى احياء آثار مجد لتأثيرت معالمها او الاحتفاظ بما ابقى لنا اباؤنا من تراث عاداتنا خشية ان يخالطها الضعف او تمازجها لوثثة من لوثت الفساد فينشأ ناشئهم وقد انحل من وطنيته كما انحل من دينه وداخل الفساد اخلاقه كما اصاب عاده ومنازعه

واني اشاركه في كل ما جاء في تلك المقالة الا في قوله : « ان دعوانا الى الحضارة فلتضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفينيقية لايبارس وروم ، وسويسرا ونيويورك ، وان دعوانا الى مكرمة فانسرد عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء المشرق وكماله لاآيات روسو وباكون ونيوتون وسبنسر ، وان دعوانا الى حرب في تاريخ خالد بن الوليد وسعد ابن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين مايعطينا عن تاريخ نابوليون ووليجتون وواشنطن ونلسون وبلوشتر (بلوخر) ، وفي وقائع القادسية وافر بقة والحروب الصليبية مايعطينا عن وقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين » هذا ماكتبه المتفولطي الى ابناء القرن العشرين من المشاركة وهو يريد ان يربوا

تربية مدنية عملية يصدون بها غارات الاجانب التي دشنتها عليهم من كل صوب وأوب وهذا هو السلاح الذي يحمل الشبيبة المصرية على ان يتسلحوا به ليقاتلوا اعداء الوطنية ويخرجوا من ديارهم من ابتزوا اموالهم وغلبهم على امريهم وكل يوم يربشونهم بسهام التعصب والطيش من الحكمة ان يدعو الثائم بالاصلاح الى قومية او وطنية لكن بدون ان يزدريه مدنية الامم الاخرى الفاضلة ويعمل على الحط منها وهم الذين بها وطدوا دعائم استقلالهم ورفعوا منار مجدهم وسوددهم

وما ادري كيف نقوم لنا نحن معشر المشاركة فائمة اذا اقتصرنا على ما ورثناه من المناحي والمنازع واقبلنا على الاخذ بما بقاه لنا اباؤنا الاولون من الآثار فقط بدون ان نمعن النظر في آداب رجال الغرب واخلاقهم وعاداتهم وتاريخهم وبالجملة نفق على سر تقديمهم ولا اعلم لاي غرض نعتي بارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية وننادي على رؤوس الاشهاد ان هذا هو الذي يحمي لنا الامل في المستقبل اذا لم يكن المقصد منه درس تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطن ونيلسون وبلوخ ووقائع واترلو وترافالغار واوسترليتز والسبعين او انشبل حتى نزوي من آداب روسو وباكون وزولا والفريد دوموسه او ان تبطن اسرار فلسفة ديكارت وباكون ونيوتن وسبنسر وغيرهم .

ويجب ان لا يغرب عن الاذهان ان ما توفر لقواد المغاربة من الاسباب والوسائل في بيئتهم وبين بني جنسهم وما كان يحول في خواطرهم من الاماني التي كانت المصالح تدفعها للانبعث الى حيز الوجود غير ما توفر لقواد المشاركة من العرب وغيرهم على اقتحام غمرات الردى في سبيل الدفاع عن الحى وهذا ما يدعو لاختلال التوازن في الدهاء السيامي في الفريقين بما يتذرع به من الحيل الحربية والدسائس في مثل هذه الاحوال للنظر في كتاب الغيب وقراءة مستقبل الامم فيه مما ينجم عنه ما نراه من الاختلاف في نتائج الحروب والمعارك نصراً كان او خذلاً

وسواء صححت نظرية من زعموا ان من دواعي سقوط الدولة العربية جهل الامة بتاريخ اليونان والرومان ولم تصح فان فيها حقيقة لا اخلاها تخفى على امثال الاستاذ المنفلوطي . واذا اتخذنا هذه النظرية اصلاً جاز لنا ان نبشر مساعينا بالاختفاق والحبوط ونحكم على حياتنا الاجتماعية والسياسية بالانحلال والاختلال في مستقبل الايام اذا قدانا الجهل الى ان نحرم على انفسنا الوقوف على سر استبحار عمرائهم وانبساط ظلال مدينتهم في طول البلاد وعرضها فنحرم من الاستمتاع بعلومهم وآدابهم .

ولو كان قوله هذا درساً بليغاً، على صغار العتول من الطلبة الاطفال ليطلعهم بطابع حب الوطن وينشأوا وهم يفادون في سبيله بالنفس والنفيس لما أخذ بقدر ما يؤخذ وهو في موقف ودع فيه — كما قال عن نفسه — « الخيال والشعر وداع من يعلم ان الاخر اعظم شأنًا واجل خطراً من ان يعث به العاث بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبه منها بالجد، والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه، لا في مواطن جده وعمله »

الا فليعلم الكاتب ان في الغربيين من العادات ما هو خليق بنا نحن الشرقيين ان نغضب به وتأخذ بالنافع الراجع منه، والرجاء ان لا يظن باننا بما نكتبه الآن نخدع الامة عن نفسها او نفسد عليها شريعتها بتزييننا لها هذه المدنية تزينا يجمع الى استقلالها النفسي استقلالها الشخصي فلشد وايم الحق ما نكون محفظين بعاداتنا العربية الشرقية وآدابنا ولكن ما نراه من تيار المدنية الغربية يريدنا على مجاراتها شئنا ام ايننا فان لم نعد لها عدتها ولم نسر معها جنباً الى جنب دحرنا وربما اوردتنا موارد الهلكة غير حافلة بنا ولا آسفة علينا .

وما انكره عليه ايضاً تعرضه في مقالة الحساب ^(١) لولي عقله واستاذه رجل الاسلام الشيخ محمد عبده ورجل المرأة قائم بك امين . ولو اقتصر على ذكر (الحسن) وذلك الرجل الذي كان في حياته يتخذ في اعماله ما يسمونه (الحيل الشرعية) وذلك (القطب) الذي كان اكبر تاجر من تجار الدين — لواقتمس على هواءه لكان احسن صنماً . وجل ما أخذ به الاول هو انه « فاجاً جهالة المسلمين بما لا يفهمون من المبادئ الدينية الصحيحة والاغراض الشريفة فأرادوا غير ما اراد وفهموا غير ما فهم . وهذا ما دعا الى الحادهم (١) ومروهم من الدين (!) بعد ان كانوا محرفين وانه اول لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى اولوا الملك والسيطان والجنة وبين لهم حكم العبادات واسرارها وسفه لهم رأيهم في الاخذ بقشورها دون لبابها فتركوها وانه قال لهم ان الولي آله بالحل والله آله حق فأذكروا الالهية حقها وباطلها »

« يتبع »

دمشق : صلاح الدين القاسمي

اخبار العلماء باخبار الحكماء

من الكتب الحيدة في التراجم هذا الكتاب للوزير جمال الدين ابي الحسن علي القفطي من اهل القرن السابع طبع اولاً في ليمسيك واعيد طبعه في القاهرة فتداوله الابدني وعم الانتفاع منه كما عم من قبل بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء^(١) لموفق الدين ابي العباس احمد المعروف بابن ابي أصبغة من اصل ذلك القرن الا ان كتاب اخبار الحكماء مال فيه صاحبه الى الاختصار حتى جاء في نحو نصف طبقات الاطباء وان كان زاد عليه بضع تراجم لان المترجمين في كلا السفرين النفسين تجاوزوا الاربعائة

سرد ابن القفطي اسماء مترجميه على حروف المعجم بحسب تقادم عهدهم بخلاف ابن ابي أصبغة الذي اتى بالتراجم بحسب الاقطار ثم بحسب سني ولاداتهم ولم يشع الاول الكلام الا في بعض الاشخاص وربما اوجز في الاحايين ايجازاً لا يكاد يقع فيه ابن ابي أصبغة الا نادراً والغالب ان هذا وقف في جملة ما وقف عليه من الكتب كتاب القفطي فاستعان به وزاد عليه لان هذا توفي سنة ٦٤٦ في حلب وابن ابي أصبغة توفي سنة ٦٦٨ في صرخد من بلاد الشام ولا يعقل ان يكون رجلاً من متعاصرين ولا يطالع احدهما على ما يكتبه الآخر فقد نرى بعض التراجم بالحرف الواحد في الكتابين ولعل المصادر التي اخذ عنها المؤلفان كانت واحدة فجات بعض تراجم مترجمهم بعبارة واحدة

ومع ان ابن القفطي اشتهر بانه من كبار غلاة الكتب^(٢) وهو ذو ثروة واسعة وفي منصب الوزارة ترى ابن ابي أصبغة وهو من طبقة الاطباء في عصره يهدي كتابه الى احد وزراء دمشق ومع هذا نقرأ فيه سعة المادة المدهشة ولكن المتأخر قد يفوق المتقدم ولا عبرة بتقادم الميلاذ كما لا عبرة باختلاف البلاد اذا كان الترفي فيها علماً وهذا لا بأس بابراد طلف من ترجمة صاحب اخبار الحكماء زيادة في البيان فهو

علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى وزير حلب القاضي الاكرم^(٣) الوزير جمال الدين ابو الحسن بن القفطي احد الكتاب المشهورين وكان ابو القفادي الاشرف كاتباً ايضاً ولد بقطف من الصعيد الالى بالديار المصرية واتم بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والفقه والحديث وعلوم القرآن والاصول والمنطق والفن والهندسة

والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست وأربعين وستائة
وكان صدراً محتشاً كامل السؤدد وجمع من الكتب إلا يؤصفه وقد صد بها من الآفاق
وكان لا يجب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب
حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو
أخو المؤيد ابن القفطي ومن شعره

ضدان عندى قصرهما متي وجه خبي ولسان وقاح
ان رمت امرأ خاتني ذراخيا ومقول يطعمني في النجاح
فانثني من حيرة منيها لي مغالب ماض ومالي جناح
شبه جباب فر من معرك خوتنا وفي يناه غضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب الفصاد والنظاء وهو ما شربه في اللفظ واختلف في المعنى
واخط . كتاب الدر الثمين في اخبار المتيين . كتاب من الوات الايام عليه فرغته ثم الوت
عليه فوضعت . كتاب اخبار المصنفين وما صنعوه . كتاب اخبار النعمانيين كبير كتاب اخبار
مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين ست مجلدات كتاب اخبار المغرب كتاب تاريخ
اليمن كتاب المحلى في استيعاب وجوه كلام . كتاب اصلاح خل صحاح الجوهرى كتاب
الكلام على الموطا لم يتم كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتم تاريخ محمود بن
سبكتكين وبقية كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الاستئناس في اخبار آل مرداس
كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة تاج الدين الكندي كتاب نهضة
الخطار ونزهة الناظر في احاسن من ظهور الكتب اه .

وعلى ماتوخى ابن القفطي من الاختصار في الزاج تسقط فيه على امور كثيرة وفوائد
غريبة خصوصاً وان من الرجال من ترجمهم هو وحده ومنهم من تفرد به ، ابن ابي أصيبعة
ومنهم وهم الاكثر من اشتركاً معاً في ترجمتهما مثل الذي نقله عن الخطيب امين الدولة
ابوالحسن علي الاباني العثماني الاموي القفطي صاحب القاضي الاكرم قال : « وكان من اجمل
من رأيت نباهة وفضلاً وبلاغة ومشاركة قال ادركت جلة المشايخ من اجلاء بلادنا
وهم مجمعون على ان الذي اردم اراضي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها
من قرية الى قرية في زمن النيل هو ارشيدس فعل ذلك لبعض الملوكها وسببه ان اكثر
القرى بمصر كان اهلها اذا جاء النيل تركوها وصعدوا الى الجبال المقابلة لها فاقاموا بها

الى ان يذهب النيل خوفاً من الغرق واذا اخذ النيل في القصر نزل كل قوم الى اراضيهم وشرعوا في الزرع فكان ما تظلم من الارض بينهم ما انجس فيه من الماء عن الوصول الى اعلا فلا يوصل اليه الا بعد جفافه فلا يمكن زرعه فيذهب بذلك فعل كثير ولما علم ارشيدس بذلك في زمنه قاس اراضي اكثر القرى على ما يكون من النيل واردم ردوماً وبني عليها القرى وعمل الجسورة مما بين النرس وفي اوساط الجسورة قناطر ينفذ الماء منها من ارض قرية الى اخرى فزرع كل واحد منهم الزرع في وقته من غير فوات ووقف من كل ضيعة ارضاً معينة يصرف مغلماً في كل سنة الى اصلاح هذه الجسورة فهي الى الآن معلومة وفادبوان منرد بمصر يعرف بدبوان مدن الجسورة وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة واعرف وانا طفل وقد اضيفت هذه الجهة بالاعمال الشرقية من جوف مصر الى والدي رحمه الله نظراً وله نواب وضمان ومشدون وكان العمل فيها اتعب من جميع الاعمال اهـ

ومثل قوله في ترجمة جالينوس الحكيم بان انطونيوس قيصر ملك اثني عشرة سنة وبنى مدينة ايليوبوليس وهي مدينة بعلبك اي اصلحها وقد قال في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الخرافي مانعه : « وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع اليه في سنة كثرت فيها الامراض والابواب توقيعاً نسخة : فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء في امراضهم فيبغى اكرمك الله ان تقرد لم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليه من المزورات وتتقدم اليهم بان يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عليهم فيما يصفونه لم ان شاء الله تعالى . ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر : فكرت فيمن بالسواد من اهله وانه لا يخلو من ان يكون فيه مرضي لا يشرف متطبب عليهم خلوا السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون فيه ثم ينقلون الى غيره . ففعل سنان ذلك وانتهى اصحابه الى سورا والغالب على اهله اليهود فكاتب سنان الى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب اصحابه عليه من السواد بان اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم

والانصراف عنهم الى غيرهم وانه لا يعلم بما يحجبهم به اذ كان لا يعرف رأيه في اهل الذمة
ومثله ان الرسم في بيارستان الحضرة قد جبر على اللي والتدبير فوق الوزير توقيعاً
نسخته : فهمت ما كتبت به اكرمك الله وليس ينتاخذ في ان معالجة اهل الذمة والبهائم
صواب ولكن الذم يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل
اهل الذمة فاذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل
اكرمك الله كآتي ذلك واكتب الى اصحابك به ووصي بالتمتع في القرى والمواضع التي
فيها الارباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يجدوا بذرة توقفوا عن السير حتى يصح
لم الطريق ويصلح السبيل فانهم اذا فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله تعالى اهـ

وفي هذه الرسائل الثلاث نموذج مهم من الكتابة الرسمية في اوائل مدة العباسيين
ودليل على ما بلغته الحضرة في عهدهم ايام كان الطب من جملة ما يعني به حتى ان سنان
ابن ثابت احصى الاطباء في بغداد ولم يرخص لاحد من اطبيب الا اذا اخذ شهادة بكفاءته
وكذلك فعلوا مع الصيادلة حتى لا تؤذي الامة من جهة طب ابدانها كما حاذر الخلفاء ان
لا تؤذي من قبل اديانها .

وكما تجدد المحاسن ماثلة في اخبار الحكماء ترى المساوي كذلك كالذم في ذكره في
ترجمة عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المعروف بالركن قال : « كان عبد السلام هذا
قد قرأ علوم الاوائل واجادها واقتنى كتباً كثيرة في هذا النوع واشتهر بهذا الشأن
شهرة تامة وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية وحصل له بتقدمه حـد من ارباب
الشرف فقلبه احدهم بانه معطل وان يرجع الى اقوال اهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن
فاوقعت الحفظه عليه وآتي كتبه فوجد فيها الكثير من علوم القوم وبرزت الاوامر
الناصرية باخراجها الى موضع بغداد يعرف بالرحبة وان تحرق بحضور الجمع الجم منها
ففعل ذلك واحضر لها عبيد الله التيمي البكري المدرووف بان المرستانية وجعل له منبر
صعد عليه وخطب خطبة له فيها الفلاسفة ومن يقول بقرنهم وذكر الركن عبد السلام
هـ هذا بشر وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه ويبالغ في ذمه وذم
مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه في النار اهـ

ومثلاً نقله من الفقرة في ترجمة موسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي لما نادى عبد
المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها باخراج النصارى
منها وقدر لهم مدة وشرط ابن اسلم منهم بموضعه على اسباب ارتزاقه للمسلمين وعليه ما

عليهم ومن بقي على رأي اهل ملته فاما ان يخرج قبل الاجل الذي اجله واما ان يكون بعد الاجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال

ومما ذكره وهو ما يدل على اتساع ثروة العرب^(١) في ترجمة بني موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن من ان محمدا صار بالعلم من وجوه القواد الى ان غلب الاتراك على الدولة وذهبت دولة اهل خراسان وانتقلت الى العراق فعلت منزلته واتسع حاله الى ان كان مدخوله في كل سنة بالخرصة وفارس ودمشق ونحوها نحو اربعمائة الف دينار ومدخول احمد اخيه نحو سبعين الف دينار . فأمل مبلغ هذه الثروة

ومما نقتبسه من هذا الكتاب انموذجا على درجة الحضارة في القرن الخامس ما نقله من كتاب كتبه المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم الطيب البغدادي المعروف بابن بطلان من نصارى كرخ بغداد الى الرئيس غلال بن الحسن بن ابراهيم ونسبه : « بسم الله الرحمن الرحيم . انا لما اعتقدته من خدمة سيدنا ائيد الاجل اطال الله بقاءه وكبت اعداءه دانيا وقاصيا واقترضه من طاعته مقيما وظاعنا اضمرت عند وداعي حضرته العالية وقد ودعت منها الفضل والسؤود والمجد والفخر والمحتد ان اتقرب اليها واجدد ذكرى عندها بالمطاعة مما استطرفه من اخبار البلاد التي اطرقها واستغربه من غرائب الاصقاع التي املاكها خدمة للكتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر وديوان المعاني والمآثر ليودع ادام الله تمكينه منها ما يراه ويلحق ما يستوقفه ويرضاه وعلى ذكره فمأرب . احدا بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه وكل رئيس في هذه الديار متوق الىه متذوق ولوصوله مترتب متوقع ولو وصلت منه نسخة لبلغ الجالب لها أمنية في رجبها ونفعها والى الله تعالى ارجب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بمجوده . وكنت خرجت من بغداد وبدأت بلفاء مشايخ البلاد وخواصها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها فذكر لي اخبار مستطرفة وعجائب غريبة واقطاع من الشعر رائقة ولضييق الرقت ومصرعة الرسول اضربت عن اكثره واقتصرت على اقله وكنت خرجت على اسم الله تعالى وبركته مستهل شهر رمضان سنة اربعين واربعائة مسددا في شهر عيسى على الانبار ووصلت الى الرحبة بعد تسع عشرة رحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع القواكه ما لا يحصى وبها تسعة عشر نوعا من الاعناب وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام ورحلتا

من الرصافة الى حلب في اربع رحلات وهي بلد مسور بالحجر الابيض فيه ستة ابواب
وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيسة وفي احدهما مكان المذبح الذي كان
يقرب عليه ابراهيم عليه السلام وفي اسفل القلعة مغارة كان يجنأ فيها غنمه واذا حلبها
اضاف بلبنها الناس فكانوا يقولون حلب ام لا ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسميت
حلب وفي البلد جامع وست بيع وبيارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية
وشرب اهل البلد من صهاريج وعلى بابهم يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف
وفي وسط البلد علوة صاحبة البحيري وهو قليل الفاكهة والبقول والنبذ الا ما يأتيه من
الروم (الاناضول) وما يحلب موضع خراب ومنه خرجنا من حلب طابئين انطاكية
وبين حلب وبينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تعرف بم فيها عين جارية يصاد منها
السمك ويدور عليها رجا وفيها من الخناير والنساء العواشر والزنا والنجور امر عظيم
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سرّاً والمسافة التي بين حلب وانطاكية ارض ما فيها
خراب اصلا الا ارض زرع للحنطة والشعير يجنب شجر الزيتون وقراها متصلة ورياضها
مزهرة ومياها متفجرة وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفيصل لسوره ثلثائة وستون
برجاً يطوف عليها نبوة اربعة آلاف حارس ينفذون من التسلطينية من حضرة الملك
فيضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها
يتصل بجبل والسور يصعد من الجبل الى قلته ويستقم دائرة وفي رأس الجبل داخل
السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة وهذا الجبل يستريح عنها الشمس فلا تطلع عليها
الا في الساعة الثانية وللور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها قلعة القسياني
وكانت دار قسيان الملك الذي احيا ولده بطرس رئيس الحوار بين وهو هيك كل طوله مائة
خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة
للحكومة ومعلمو النحو واللغة وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فجان الساعات يعمل ليلاً
ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات
في الخامسة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة وتخرج منها المياه وهناك من
الكنائس ما لا يحصى كثرة كلها معمولة بالقص المذهب والزجاج الملون والبلاط المجزع وفي
البلد بيارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه وفي المدينة من الحمامات ما لا يوجد
مثله في مدينة من اللذاذة والطيبة فان وقودها من الآس وماؤها سيج وفي ظاهر البلد

نهر يعرف بالملقوب يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المجتازون يقال ان دخله في السنين بعائت الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهاد والسياح وضرب النواقيس في الاسحار والحن الصلوات ما يتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بابي نصر بن العطار فاذني التضاة فيها ليد في العلوم مليح الحديث والافهام وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية ولها ميناء وملعب وميدان للخيول مدور وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي رابطة البحر وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد ان المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة ويتادي على كل واحدة منهم وبتزايد الفسقة فيهن ليلتها تلك ويؤخذن الى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء بعد ان تأخذ كل واحدة منهن خاتماً هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فانه متى وجد خاطباً مع خاطبة بغير ختم المطران الزمه جنابة . وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم اه . »

وبعد فان تاريخ القفطي من الكتب التي اجاد فيها مصنفها حري بان يستفيد منه كل مثأذب ومتمتع ويرجع اليه كل عالم ومؤرخ سلس العبارة جميل المأني يتنقل الامور على علائها في الاكثر بدون تقيص لها او ابداء رأي فيها وابن ابي أصيبعة يفوقه في رد كل قول الى قائله وضبط الاعلام والتدقيق في التواريخ واخبار الرجال وذكر شذور من شعرهم ونثرهم والكتابان كفرنسي رهان او كالسلسلة المفرغة لاندري اين طرفاها



الصحف والنجاح

النجاح في الاعمال اسباب كثيرة منها ماهو مادي ومنها ماهو معنوي اذا اختل احدها تعمدر النهوض بالشق الآخر . وانشاء الجرائد والمجلات لا يخرج عن هذا الحد المقرر وهل في الارض عمل لا يحتاج الى علم وتجارب ومال واستعداد . ولطالما رأينا مصر في الثلاثين سنة الاخيرة والشام في عهدها الدستوري الجديد وغيرهما من الاقطار والامصار التي يتكلم اهلها بالعربية تجرأ على اصدار الصحف بدون حساب ولا روية وادر كما العامة اجراً من الخاصة على اقتحام هذا المركب الصعب وليس لديهم في الاغلب من وسائل النجاح كبير امر فلا يلبث مايتشئون ان يظهر الى الوجود حتى يخفني اضطراباً لا اختياراً . وهذا هو السبب في تعدد الجرائد وقصر اعمارها واشتمزاز الناس منها اذ توهموها بما تمثل لهم من حال بعض من اقدموا عليها آلة للتكسب والتدجيل لا اداة للوعظ والارشاد والتعليم مارأينا صناعة من الصناعات استسهل الناس امرها كالصحافة فلم يهد معلم في التجارة او الحداثة او البناء او الهندسة يحترف هذه الحرف بدون سابق ممارسة وبتصبر للاعتياش منها وهو لا يعرف من اسرارها سرراً ولكن فن الصحافة في هذه الديار الذي يتوقف النجاح فيه على اسباب كثيرة اهمها العلم والتجربة والمال قد رأينا انساناً من الاغمار يدعونه بدون خشية واكثرهم لا يعرفون قراءة الجرائد والمجلات دع عنك تأليفها واصدارها كان جمهور الناس الى عهد قريب يشارك الاطباء في طبهم قترى الكبير والصغير اذا عرض لها مريض من خاضتهما ومارفهما لا يتوقفان في وصف علاج يشفيه مدعين ان ذلك من مجرباتهما او مجربات اصحابهما ولما كثر الاطباء واستنارت الامة بعض الشيء خفت هذه العادة في التعدي على الاطباء في طبهم الا عند الطبقة الجاهلة اما الصحافة فيدخل فيها بالفعل اناس ليسوا منها وليست منهم ويصفون للامة ادوية تقيها الاسواء والارزاء والادواء ويعترضون على العالمين والحاكمين والسلاطين بالاشية ولاحياء كأن طب الارواح ليس اصعب من طب الاشباح او كأن الصحافة من العلوم الدنية لا الكسبية يتعلمها المرء بالدوق وتوحى اليه ايجاء .

من اجل هذا احتقرت الامة الصحافة لما رأت من ضعف كثير من ادعيائها في اخلاقهم ومارفهم ممن شاتوا اسمها وعينوا بحماها تذرغاً الى مطمع ينالونه وصيت بالبال يحصلونه ومقام تأل ينزلونه . نعم لم نشهد العطار يطاراً ولا الاسكاف نجاراً

ولا الخطاب رساماً ولا الفحام نظاماً ولا الجوهر يه حجاجاً ولكن شهدنا الفلاح صحافياً والمتشدق مؤلفاً والثرثار محامياً والمكثار خطيباً كما نشهد الاغنياء قد يحاولون بلوغ درجات الازكيا، والفقراء يقلدون الاغنياء.

بيد ان سنن القطرة التي لاتغالب ونظام هذا الكون البديع الذي قلما اختل يعاقبان المعتدي علي ما لا يعلم بما جنته يداه كما قيل سيف الامثال الافرنجية كل خطأ يحمل عقوبته فيه . وندر جداً في الناجحين من تيسر لهم الوصول الى ماوصلوا اليه الا بالتخاذ الذرائع المنبجحة ونسج حلل مجدهم بايديهم

رائنا كثيراً ولاسيما في مصر والشام التصقوا بالصحافة وانفقوا ثرواتهم في سبيلها فلم ينجحوا في مساعهم ورجعوا بعد العناء الطويل وخسارة المالك صفر الابدني خائبين لان مائدة العلم لا يجلس اليها طفيلي ولان التمويه ان صعب في عمل فهو في الاعمال العلمية اصعب .

من ذلك رجالان اثنان صرف احدهما في تأسيس الجرائد بضعة الوف من الجنيهات والاخر بضع مئات من الليرات وبعد العمل سنين ومحاولة النجح ولو بالتلون في المبادي وقلب الحقائق وتقييع ما يستحسن واستحسان ما يستهجن والظهور في مظهر المصلحين الغيورين بعد كل هذا اضطرا الى الرجوع ادراجهما ولو كانا صرفا ربيع مابذلاه في هذا السبيل على درس فن الصحافة على اصوله وتلقاه كما تلتقن الصناعات المهمة ويدرب عليها المشتغلون بها لكان النجاح مضموناً لا محالة .

ولقد شاهدنا عياناً ان معظم الصحف التي كتب لها البقاء في هذين القطرين الشقيقتين خاصة هي التي قام باعبائها اناس متعلمون تخرجوا في الكتابة وتدرّبوا في السيامة وتذوقوا لمناظرة من العلوم التي لايسع صاحب جريدة ومجلة جهلها . ومعظم من لم يخادتهم ماسمونه بالتوفيق اخفقوا لاسباب ناشئة من ضعفهم وقلة معارفهم في صناعة يلزمها ما يلزم لكل صانع من الادوات ان لم نقل انها تتوقف على ادوات اكثر .

وهنا مجال لان ننصح للشبان المتهوسين في الكتابة الراغبين في الشهرة ان لا يقدموا على الدخول في مهنة الصحافة والسياسة والا داب قبل ان يستموا ادواتهم ويستعدوا لها ويتخرجوا بها مدة فالاجادة في مقالة يكتبها كاتبها في ايام وربما عاونه غيره في تلقين موضوعها وتقويم اصولها وفروعها لا يتأتى منه الاجادة في كل موضوع ودعوى كل علم . والنشر

والطبع مما ترغب فيه النفس والنفس غالباً تميل الى نيل المحمدة والذهاب بفضل الشهرة والعامل على اى حال من اهتم نفسه وحاسبها ولو يسيراً حتى لا يكون كل من يخط مسطرين مغروراً بهما كمن هو بابه ويشعره مفتون . وبعد فان قانون المطبوعات العثمانية الجديد يقضي تأني من يصدر جريدة او مجلة ان يحسن الكتابة باللغة التي يصدر بها صحيفته ليعلم ما يكتب فيها ولو كان قومنا بياغون في انتقاء الرجال للاعمال لوضع في قانوننا بند يلزم كل من تصدر لمعانة صناعة القلم ان يمتحن في الفن الذي يخوض عبابه كما يمتحن المتطربون والصيدالة فانشاء الصحف ان لم يكن احق بالناية من معرفة الامراض والهلل والعقاقير فلا اقل من ان يكون على مستواها فكم من جاهل قتل نفساً زكية ومن صحافي جرع قراء السم الزعاف على حين ينتظر منه الترياق النافع

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الجرائد في سلاتيك

يكي عصر — جريدة تركية يومية تصدر بعد النهر أسست قبل خمس عشرة سنة وكانت تسمى «عصر» الى ان جاءت الحربه فزادت كلمة يكي بمعنى جديد فصارت يكي عصر . تباع في يومها مقدار ثلاثة آلاف نسخة
روم ابلي — جريدة تركية يومية أسست هذه السنة ولها من المشتركين مقدار ستمائة وتباع خمسمائة تقريباً فيكون ماتصرفه مقدار الف ومائة ولسوف تروج سوقها لاسباب لاتزيد ذكرها

زمان — جريدة تركية يومية أسست بعد اعلان الدستور بقليل ثم عطلت ثم نشرت قبل ايام قلائل ولذلك لاتعلم مقدار ماتصرفه على اني ولو عرفته فلا يتخذ مقياساً لانها بنت عشرة ايام .

سلاح — جريدة تركية تصدر الاثنين والاربعاء والسبت ثلاث مرات في الاسبوع ولا يبعد ان تصير يومية يباع منها في البلدة مقدار الف نسخة ويرسل الى مشربكيها الف وخمسمائة فيكون مجموع ما تطبعه (٢٥٠٠)

مأمورين — جريدة تركية تصدر في الاسبوع مرتين تخص المأمورين فقط كما يظهر من اسمها

بانجه (جنينة) — مجلة سياسية ادبية اجتماعية تنشر بالتركية في كل نصف شهر مرة
وتمنھا قرش واحد . قليلة الفائدة قليلة الراغب تحتوي على ١٦ صفحة
حسن وشعر — مجلة تركية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة لاطلاوة لآدابها الا
ماقل و تمنھا قرش واحد

وطنداش — جريدة تركية تنشرها جمعية الاتحاد والترقي ترسلها الى اهل القرى مجاناً
تصدر كلما اقتضى الحال . وهذه الجريدة تبحث عن الاتحاد والترقي خاصة بلسان يفهمه
القروي وفيها من المواد ماينفع القروي في حقله وزرعه .
فاروس تيس ثساو نيكيس (منار سلايك) — جريدة رومية يومية أسست سنة
١٨٧٤ ميلادية تباع في سلايك مقدار ستمائة نسخة ولها من المشتركين مقدار سبعمائة
فيكون المجموع ١٣٠٠

آستير (النجم) — جريدة رومية يومية أسست هذه السنة تباع الفاً في سلايك
وترسل لمشتريها الفاً فيكون المجموع (٢٠٠٠)

قونوي (البرغش) — جريدة رومية اسبوعية نصفها منظوم وهو القسم الاول حتى
العنوان وشرايط الاشتراك ونصفها منثور وكلها هنزل أسست قبل سنة ويبيع منها
الف نسخة

نهآ اليثيا (الحقيقة الجديدة) — جريدة رومية يومية أسست سنة ١٩٠٣ ميلادية
باسم اليثيا (حقيقة) ثم بعد الدستور ضم لها نهآ (جديد) .

يباع منها في سلايك الف وخمسمائة مع مشتركيها في هذه البلدة ويرسل لمشتريها
في الاطراف الفان وخمسمائة فيكون ما تصرفه ٤٠٠٠

بهلوس (ب بدل هـ) (سهم) — جريدة رومية اسبوعية هنزلية أسست هذه السنة
تباع مقدار الف نسخة

ايوكا (زمان) — جريدة يهودية (*) يومية أسست سنة ١٨٧٣ ميلادية ولها من
المشاركين في سلايك ستمائة وتباع فيها مقدار الف وخمسمائة ومشتريها في الاطراف
سبعمائة فيكون مجموع ما تصرفه ٢٨٠٠

(*) لسان اليهود في سلايك لسان الاسبانين وحروفهم قريبة من العبرانية

ولست هي .

الامبريال l'impartial — جريدة امرائيلية يومية . أسست سنة ١٩٠٨ ميلادية تباع مقدار الف نسخة
قرباج (سوط) — جريدة يهودية اسبوعية هنزية أسست هذه السنة فتالت رغبة
الناس جميعهم ولذلك تباع مقدار ستة آلاف نسخة
الآونير (المستقبل) — جريدة يهودية تصدر يوم الاثنين والاربعاء والجمعة تباع
مقدار الف نسخة . أنشئت قبل ثلاث سنوات
ره ويانا بوبولار (مجلة العوام) — مجلة يهودية .وعية تنشر في ادارة ماقبلها وترسل
معا يوم الجمعة .
ويرقوزيكو (شيطان) — جريدة يهودية اسبوعية هنزية لم تتل الرغبة مثل
اختها قرباج
لانايسون (الامة) — الاسم افرنسي ولكنها جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار
الف نسخة
لاتريبونالير (المحكمة الحرة) — جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف
نسخة
جورنال دوسالونيك (جريدة سالانيك) — جريدة افرنسية محررها امرائيلي
أسست قبل ١٥ سنة تصدر الاحد والثلاثاء والخميس تباع في سالانيك الف نسخة ولها
فيها سبعمائة مشترك ولها في الاطراف اربعمائة مشترك فيكون مجموع مانسرة ٢١٠٠ نسخة
بروغره دوسالونيك (رقي سالانيك) — جريدة افرنسية يومية محررها من اهل
سالانيك أسست قبل ١١ سنة يباع منها مقدار الف نسخة
كان للبغار ثلاث جرائد قل مشروها فخرت فتمطت جميعها
واما اهل سالانيك فلا يزيدون عن مائة وخمسين ألفا وقد كنت احب ان اقايس
اهل الشام وجرائد اهل سالانيك وجرائد اهل الشام وحيهم المطاعة لاسيا وياتيهم كل يوم
من جرائد استانبول مثل طنين واقدام وصباح ويكي غزته مالا يمكن حصره ولكن لاعلم
لي بمقدار اهل الشام ولا بجرائد اهل سالانيك ولا بمقدار ما يصرف منها فهل لاحد الفضلاء ممن
يعرف ذلك ان يتخذ هذه العجالة اساسا ويتحفنا بالمقايسة ؟ سالانيك ر . ب

التربية العقلية

وضع احد اساتذة المدارس الجامعة في فيرنسا كتاباً في التربية العقلية قال فيه بشأن تعلم الانشاء ان افضل طريقة يشخذها المعلم في تعليم تلامذته ان لا يقترح عليهم كتابة موضوع بدون ان يدلم علي الطريق التي يجب عليهم سلوكها لان الافضل في نظره ان تتدارك اغلاطهم قبل وقوعها من ان تصلح بعد كتابتها فان نقد الاغاليط عقيم في الاكثر ولا يخلو دائماً من الضرب على سندان واحد فلاجل الفائدة من التصليح يجب ان يكون في « الوظيفة » والفرص بعض الميزات الابتدائية والاجدر ان تقرأ لتعلم قطع من اقوال الغير في الموضوع الذي يقضى عليه كتابته . قال ان من الصعب تعليم الاولاد ان يكتبوا او يحكموا كتابة صحيحة وحكماً صحيحاً ولكن من الممكن لتلتيهم كلهم معنى النظام وحسن السياق وذلك بتأقي بدرس ما كتبه الكتّابن حق دراسة وتحليله وبيان مزاياه ومثاته تراكمياً . ومضى ثم لمرء ان يعرف ماحوت كتابه كبار الكتاب من الحقائق يوشك ان يقبض على سر الانشاء

المدرسة والاخلاق

وضع احد علماء الالمان كتاباً في التربية الاخلاقية قال فيه ان الواجب في تعليم الاطفال ان يدربوا انفسهم بانفسهم وان يعلمهم معلوم كيفية التوفيق بين شخصيتهم الروحية وشخصيتهم الحسنة فيباحثوهم في موضوعات في الاخلاق الشخصية والاجتماعية ذات ارتباط كلي بحياة التلامذة انفسهم وان يعودوا في المدارس الى القول بعدم المركزية اي الحكومة المستقلة بحيث يعدون الطفل للديمقراطية العملية ويكون ذلك للتقدمين من التلامذة

غاية التربية

قال استاذ التربية والتعليم في كلية برلين ان غاية التربية ثقوية حواس الشخص ما يمكن مع احترام انخلق الطبيعي وشخصية الافراد فالواجب ان نحكم فيه قوة الانتباه والتفكير والذاكرة ولا نعجل في استثمار عقله . وهو يشدد كثيراً في تربية الارادة لانها اهم من كل شرح وتفصيل في تربية اخلاق المرء

آثار عربية

ظفر البارون ماكس فون اوبنهايم اثناء سياحته في الشرق على عدة كتابات استخرج بعضها ودفنها الى علماء الآثار ليحلوها ومن جملتها ١٩٦ اثرأ عربياً عنها السيوريثم

ونشرها في كتاب خاص ومعظمها لم يعرف وهي ماعثر عليه السائح الالماني من جنوبى بحيرة حمص الى دمشق ماراً بقلعة الحصن ومصبات وحماة وقنسرين وحلب والزها (اورفه) وماردين وديار بكر والبيرة وعينتاب وآذنة وطرسوس وقرهمان وقونية ويرد تاريخ معظمها الى عصر استيلاء المماليك على مصر ومنها ست كتابات من عهد الخليفة المنصور في ديار بكر تاريخها سنة ٣٩٧ من الهجرة وبعضها من عهد سيف الدولة ابن حمدان في حلب من سنة ٣٥٤ ومنها اثر وجد في دمشق من عهد السلطان طوطش السلجوقي (٤٨٠) وآخر في سبيلية من عهد الامير خلف ٤٨١

علم نفس الطفل

الف احد علماء سويسرا كتاباً في تربية الاطفال وتعليمهم قال فيه : ان الطفولية يجب ان ينظر اليها بانها باب للاستعداد للحياة وتختلف مدة الطفولية بحسب درجة كمال النوع فكلما اعتبر تاماً اي حافلاً غنياً بالمتانومات يطول طور الطفولية وعبثاً يريد المرء اختصار هذا الطول لان الفطرة حمت هذا الدور من نقص التركيب بالث واسطة وكلما كانت الطفولية قصيرة يكون ترقى الطفل قاصراً . وتكلم على لعب الطفل فقال انه بالنسبة للطفل من اهم المعدات لاستقبال الحياة فاننا نرى اللعب حتى في الحيوانات سارياً بحسب قواعم الطبيعية فالهرة الصغيرة تلعب بكرة من الورق كما تلعب بفأرة والجدي يتظاهر بأنه يتناطح في حين ليس له قرون وكذلك الحال في الطفل فان الالعب على اختلاف ضرورها هي استعداد للعمل القانوني الذي يعمل به يوم يبلغ اشده فمن كتب له ان يكون صالحاً في طفولته يكون رجلاً تام الادوات في رجولته والطفل الذي رزق السلامة في اعضائه والعمل لما بعد جسمه للشاق افضل واقدر في جهاد الحياة ممن يحملون الشهادات العالية التي تنبئ بدرسهم واستغفارهم فاللاعب باعث قوي في نمو الحواس بمد كل ما نشأ من النشاط وهو يشترك مع الفكر القوي في سن الفتوة فالواجب ان يترك هذا التصور يأخذ مأخذه كما يشاء . ويضاف الى ذلك رغبة الطفل في النظر والسؤال فينبغي ان لا يرضى الابوان بالجواب على اسئلة يسألها الابن هذا في سن الطفولية اما في سن البلوغ فان التقليد من اكبر ادوات الارثقاء فالبالغ يقلد عند الاقتضاء ليسهل التوفيق بينه وبين المطالب العالية والطفل يقلد في لعبه وهذا اللعب مما يفيد . والمهم في ذلك ان يطبق اعماله على محيطه وان بقوي قواه ويتعلم معلومات جديدة ونفعو على الدوام نمواً طبيعياً واخلاقياً وهو يرتقي هذا الترقى اذا قابل بنفسه المصاعب

التي يجب عليه التغلب عليها وتناول بنفسه المعارف اللازمة والاسرار التي يقضى عليه كشفها وسبر غورها . وقال ان علم التربية والتعليم (بيداكوجيا) هو علم معرفة درجات النشوء الطبيعي في الطفل واستخدام كفاءاته الفطرية لتربيتها .

سن تعليم القراءة

يبدأ الاولاد بتعلم القراءة في انكلترا في السنة الثالثة وفي سويسرا بين الخامسة الى السابعة بحسب المقاطعات وقد بدأ « اميل » روسو في الخامسة عشرة . وبحسب احدهم بحسباً دقيقاً فحين له ان الطفل يتعلم القراءة في الاكثر بسرعة بين السابعة والثامنة ونقل السرعة بين السادسة والسابعة وان الاظهر في هذه الحال ان يبدأ في سن السادسة بتعلم القراءة . وأكدت مديرة مدارس الامهات في فرنسا ان تعليم الولد قبل السادسة يضر جداً به ولكنها سمحت بان يتراً الاولاد بين الخامسة والسادسة من اعمارهم نحو عشرين دقيقة فقط وقالت ينبغي ان يدل الطفل على الكلمات التي يقرأها ولا يكتب في تكرارها فقط اذ تشغل في تلك الحال ذاكرته فقط وان يقرأ بصوته العادي بدون ان يرفعه وان تستعمل له الالفاظ المستعملة نفسها بدون الفاظ مجعولة

انتظام التجارة

ثبت ان التكافل النامي في المصالح المادية بين البشر واضطرار كل بلدة ان تطلب المواد الاولية والمواد التي تفرغ في قالب آخر وتبحث عن مصرف لبضائعها وحاصلاتها في البلدان الاخرى كان منه ان عدل النظام التجاري العام تعديلاً كبيراً لاسيما وقد اصبح اليوم طول سكك حديد الارض مليون كيلومتر وكان سنة ١٨٧٠ مائتي الف كيلومتر فقط واصبحت السفن تحمل اليوم ٣٠ مليون طن وكانت سنة ١٨٧٥ لاتحمل غير ٣٠٧٠٠٠٠٠ طن وعدد الاسلاك البرقية البحرية ١٤٠٠ ولم يكن سنة ١٨٦٦ سوى سلك واحد فكيف تكون الحال ياترى عندماتملا البحور والبرور بالسفن والسكك والاجواء بالطيارات

التربية المشتركة

كتب احد العارفين في مجلة « الاسبوع الادبي » في جنيف مقالاً في معنى تربية البنين والبنات في مدرسة واحدة فاورد عدة امثلة تثبت افضلية هذا النوع من التعليم ولاسيما لما شوهد من نتائج الحسنة في انكلترا وقال ان تربية الجنسين معاً ولاسيما في المدارس الداخلية (كذا) اقل خطراً من تربية كل جنس مع ابناؤه جنسه . ومن شروط

النجاح في ذلك ان يؤخذ الاولاد صغار السن جداً ويتركون يعيشون ابدًا معاً ويطرحون العناصر التي لا يمكن التوفيق بينها فيربي الاولاد والشبان في مدارس القلاة حيث تسلم الحياة من الشوائب واخلاق الجدة تكون احسن اثرًا وان يسلّموا الى مربين تخرجوا على اصول الحديثة في علم النفس فيربي كل جنس بحسب طبيعته وما ينتظره في حياته من الواجبات

الولادات ولوفيات

كانت الولادات ازيد من الوفيات سنة ١٩٠٨ في اكثر ممالك اوربا نبغت الولادات في المانيا ٨٧٩،٥٦٢ والوفيات ٧٩٥،١٠٧ وفي النمسا ٣١٣،٦١٦ و٩٣٦،٣٠١ وفي المجر ٢٣٩،٧٦٠ و٢٢٨،٣٣٨ وفي البلجيكي ٦٤،٨٣٧ و٦٧٣،٠٥٠ وفي انكلترا وغاليا ٤١٩،٩٢١ و٣٤٦،٨٤٧ وفي بلاد القاع او هولاندة ٨٤٤،٩٢٦ و٧٥،٩١١ وفي ايطاليا ٣٦٨،٦٦٧ و٣٨٥،١٦٥ وفي نروج ٢٧،٦٠٠ و٣٠٤،٥٠٠ وفي السويد ٤٤٤،٢٠٤ و٥٨٤،٠٧

الهند البريطانية

وضع احد علماء فرنسا كتابًا في الهند بعد درس عشرين سنة فقسّمها قسمين قسم مساحتها مليونان وستائة الف كيلومتر مربع وسكانها ٢٣٢ مليون نسمة وهذا القسم تحكم عليه انكلترا مباشرة وقسم مساحتها مليون وسبعائة وخمسون الف كيلومتر مربع سكانها ٦٢ مليونًا ونصف مليون وهذا القسم يحكمه راجات الهند والزماء الوطنيون المحالفون للعرش البريطاني ولم يستشارون انكليز . ومناخ البلاد بالطبع مختلف باختلاف الاصقاع فانقليم راجبوتانا رمال تبعث الحرارة المدهشة في الصيف وتجلد المياه في الشتاء . ومسألة المياه اهم مافي الهند من المسائل وقد اقام الانكليز في اقليم بنجاب اعظم آلات الري في العالم ويتدرون عدد من ميهلك كل سنة في الالف ٣١ منهم ١٩ بالجمي . والسكان طوائف فكل طائفة تخرج منها اناسًا ولكن لا تدخل اليها ابدًا وكان عددهم منذ نحو خمسين سنة لا يتجاوز المئتين فاصبح اليوم ٢٣٧٨ تقسم بين ٤٣ عنصراً وتابعة . ومنها اربع طوائف يتألف منها ١٦ في المئة من الشعب الهندي وهي طبقة البراهمة وعدد اعضائها ١٤،٨٠٠،٠٠٠ والساواريين ١١ مليوناً وكل واحدة من الراجاوتيين والآخرين ١٠ ملايين والتليقات الكبيرة تسحق الصغيرة . والظاهر ان المناخ مؤثر جداً في السكان حتى اصبحوا الى الكسل اقرب منهم الى

حياة العمل وكل واحد يريد ان يعمل له وهو مستريح فنجد في كل خمسة رجال يعملون بحسب الظاهر واحداً لا يعمل شيئاً اصلاً واحداً يستريح وآخر يناظر وآخر ماون فالارض تؤجر من كبير الى اصغر وتتعاورها الايدي بالايجار . وكثرة الديانات تزيد الاعياد وايام الراحة والناس لا يرحمون ولا ينظرون في المستقبل والفائض فاجش جداً عندهم ولذلك ترى المرايين في خطر ابدأ من السلب والقتل على ان الفلاح اقرب الى الاتفاق مع المرائي من جباة الاموال لان الضرائب ثابتة لا تتغير بحسب جودة المواسم وعندها ولها اوقات معينة لامتناس من ادائها فيها ولذلك تراه عند الضائقة يعتمد الى المرائي فيستدين منه بفائض كبير وقد كان ثلث الفلاحين منذ ثلاثين سنة مدبرين على مل ان يخلصوا من ديونهم والثلثان الآخرون لا امل لها بالخلاص حتى اضطرت الحكومة الانكليزية في بنجاب ان تسن قانون سنة ١٩٠٠ تنضي فيه على الفلاح ان لا يبيع ارضه الا من فلاح ولكن المرائين كلهم اصحاب زراعات ولذلك لم يقلل بيع الاراضي ولا رهايا . ولم تنفذ الحكومة هذا القانون في البلاد الاخرى . وقوة الحكومة البريطانية في الهند ناشئة من كون انكلترا تحكم عناصر مختلفة من السيخيين والمسلمين والمهاراتيين والهنود والبرمانيين وكلهم يتحاسدون بينهم ويتفصل بعضهم عن بعض في الجنس والعادات والاديان ولذلك كان من الصعب انراهم كلهم في منافع الادارة على قدم المساواة وعدد المسلمين هناك ٦٢ مليوناً والهنود ٢٠٧ ملايين وكان المساحون حكام البلاد مدة قرون لذلك يحفرون المسابقات التي تجري للدخول في الوظائف اما البراشمة فيتسابقون اليها

تربية العقل

ألف الدكتور تولوز الفرنسي كتاباً في هذا المعنى قال فيه ان النظر افيد للمرء من البحث والدرس في خزائن الكتب والتمرن على الحكم في الامور الواقعة خير من املأه التهن بتعارف ميته لا يحصل لها والعمل خير من التصور والحركة افضل من التخيل وتكلم فيه على ضرورة العمل الانسان فقال يجب ان يعمل المرء ليعيش لا ان يعيش ليعمل وان اراحة الحقيقة هي في الانتطاع بغية اسابيع عن العمل كل الانتطاع بعد قضاء زمن في الجهاد والجد لا في تعديله العمل وتخفيفه.

جلسة الاولاد

تبين ان السبب في تشويه اجسام الاولاد استعدادهم الكلي للجلوس على مقاعد

كيفما اتفق وان البحث قد اثبت بان في كل خمسة ملايين طالب يخرج ٥٧٠ ألفاً مشوهين في اجسامهم واحسن واسطة لانقاذ ذلك اجلاسهم على مناضد عالية بحيث لا يكادون يقعدون الا منتصبه قاماتهم وارجلهم تمس الارض وبذلك يتوى هيكلهم العظمي على طبيعته ويتنفسون تنفساً حسناً

الخطوط الحديدية في الارض

ظهر من احصاء اخير ان طول السكك الحديدية في القارات الخمس زاد في السنة الماضية ٢٥ الف كيلومتر فتجاوز طولها المليون كيلومتر منها اربعمائة الف في الولايات المتحدة وكندا ومئة الف في اميركا الجنوبية وستون الفاً في المانيا ومثلها في روسيا وخمسون الفاً في فرنسا وثلاثة واربعون الفاً في النمسا وثمانية وثلاثون الفاً في انكلترا وجميع الخطوط الحديدية في آسيا لا تتجاوز الخمسة والتسعين الف كيلومتر وفي افريقية احد وثلاثين الفاً وفي اوستراليا تسعة وعشرين الفاً

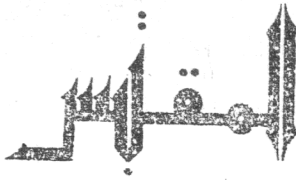
صحة المدارس

تكلم احد الخطباء في مؤتمر الفنون في المدرسة في نانسي احدى حواضر فرنسا في موضوع صحة المدارس فقال ان للنور دخلاً كبيراً في القراءة وان الواجب ان تكون حروف المطبعة ضخمة في الجملة وان يعنى باختيار الالوان المفرحة في الجدران والحوائط ويستغنى عن الالوان الباهتة القذرة كلون الشوكولا والالوان الحجرية السوداء والالوان البيضاء الجافية التي تجعل صفوف المدارس كأنها غرف مستشفيات بل الواجب تنويع الالوان والادهان على الطريقة المقبولة للاولاد فاللون الاحمر والازرق والبرتقالي مما ينفع النفس والنظر في الايام الممطرة الغائمة وتكون للنفس بمثابة شعاع الشمس قال والواجب الاكثر في المدارس من الزهور والورد تزرع كيفما اتفق في الافنية والمائمي ويعلم الصبي احترامها حتى لا يقطفها بمجرد وقوع نظره عليها كما يعلم مراعاة الحيوان

الاولاد المدخنون

حقق اساتذة هولانديون تأثير التدخين في الاولاد ثبت لم مضاره في عقولهم واخلاقيهم والمدخنون هم كسالى وناسدو الامزجة والتراكيب ويزيد عدل المدخنين من الاولاد بالنسبة لحالة اهليهم من الرفاهية وعدمها





أبو الأعلى المعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء.

أ = موطنه وأسرته

الى جنوبي حلب عكّى بعد ثمانى عشرة ساعة عنها بلدة معتدلة الهواء قديمة عرفها الرومانيون باسم (خالس) ثم لقبت بعدهم بذات القصور وهي اليوم قضاء من أعمال حلب يعرف بقضاء معرة النعمان نسبة الى المعرة قصبة ولفظة المعرة سريانية بمعنى المغارة وليست في شيء من التفاسير التي عددها ياقوت الحموي في معجم البلدان ولقد زعم بعض المؤرخين انها سميت بمعرة النعمان نسبة الى النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص الذي مرّ بها فمات له ولد ودفنه فيها فنسبت اليه وقد توفى النعمان سنة ٦٥ هـ (٦٨٤ م) . وعندى ان رأي ياقوت في معجمه اقرب الى الصحة وهو انها ذببت الى احد اجداد المعري وهو النعمان الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله وهو تنوخ بن اسد بن دبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرات بن الحاف ابن قضاة .

فتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب اجتمعت هذه القبائل مع غيرها في البحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخاً وتنوخ بمعنى الاقامة فتكون تنوخ حياً من بني قضاة من عرب اليمن (وقيل من الازد) خرجوا من مدينة مأرب الى البحرين عند سيل العرم^(١) ثم تفرقوا في نواحي العراق والشام ونزل منهم نعمان زعيم قبيلته واميرها بالمعرة فنسبت اليه وهو اوجه الاقوال وامثله

(١) راجع كتابي دواني القطوف صفحة ٦٢

فكرة النعمان كانت حصينة منيعة فتحيا المسلمون في صدر الاسلام ثم استولى عليها
الافرنج الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) واعادها المسلمون الى ايديهم سنة ٥٢٩ هـ
(١١٣٤ م) وزارها ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما من السياح وقالوا انها كانت لعهدهما
من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً وبساتينها ممتدة الى مسافة يومين وفيها الزيتون
والتين والفسق وأنواع الفواكه .

ولاشأن نفستهما اليوم ولكن فيها الزيتون والتين والزبيب والعسل وأنواع الحبوب
والقطن وفيها صناعة النسيج والدباغة . وتوجد قرى كثيرة باسمها منها معرة مصرين
قرب حلب ومعرة باش من قضاء النيك في جبل القملون ومعرة حميدنايا من أعمال دومة
وغيرها . والى المعرة ينسب كثير من العلماء اشهرهم أبو العلاء هذا وكذلك كانت
موطن أمم مشهورة مثل الامراء الارسلانيين التنوخيين في لبنان وآل الجندي في
حمص وغيرهم

وقد نشأ من التنوخيين في معرة النعمان سليمان بن محمد بن سليمان من سلالة النعمان
ابن عدي المنتهية نسبة الى الحالف بن قضاة التنوخي الشهير وهو جد المعري لايه كان
قاصياً في بلده ومن العلماء الاعلام في وقته وترعرع ولده عبدالله والد المعري على
الادب وكلف بالعلم وتزوج امرأة من آل سبيكة مواطيه الذين عرفوا بأدائهم وخدم
الادب والمعارف الى ان رزق ولده ابا العلاء هذا فكان صفوة هذا البيت وخلاصة
ذكائه ومخض زبدة آدابه

٢ = نشأته

ولد أبو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي في معرة
النعمان في بيت عرف بالادب والفضل ومن والدين من سلالة العلماء يوم الجمعة في ٣ ربيع
الاول سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) وما انفتحت عيناه لنور العالم ومشاهدة جمال الطبيعة حتى
مني بالجدري في اول سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) فأطفا نورهما وردته الى قلبه فتوقد
ذكاء وقد ارتحل شعراً ما عيَّره بذلك عبدالله الخوارزمي وهو قوله :

قالوا العمى منظرٌ قبيحٌ قلت بفقدك لكم بهون
والله ما في الوجود شيءٌ تأمى على فقدك العيون

وكثيراً ما كان يقول احمد الله على العمى كما يحمد غيري على البصر . ولقد كانت
له اسوة بكثير من كبار الشعراء والعلماء الذين أصيبوا بالعمى مثل هوميروس اليوناني

وبشار بن برد العربي وغيرها والذي يظهر من شاهده انه كان في اول امره قد غشي
بمبنى حدقيه بياض وذهبت اليسرى جملة فكانت احدى عينيه بارزة والاخرى غائرة
جداً وذلك يخالف مذهب اليه بعضهم من انه كان أكمه . وكان يقول : لأعرف
من الالوان الا الاحمر لاني ألست في الجدرى ثوباً معصراً . وكانت في وجهه ندوب
الجدرى وهو نحيف الجسم عصبي المزاج حاذق الذهن قوي الحافظة

قرأ النحو واللغة على ابيه ثم رحل الى حلب وقرأ على محمد بن عبد الله بن السعد
النحوي فتمكن من آداب اللغة وطالع كثيراً من المؤلفات لوفرة المكاتب في حلب وقتها
في بلده ونظم الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ولم يتكسب به بل نظم : شارحاً فيه
اغراض نفسه ومعبراً عن شواعره وواصفاً عجائب الكون ولاسيا الافلاك . وفسراً
غرائب الاجتماع وحاذقاً على الزهد والاعتزال . ومعناً في فلسفة الوجود . ومتشككاً من
من مناواة الايام ومساورة المصائب . وتلى الجملة فانه ابلغ شاعر قام في الاسلام ذاهباً
في شعره مذهب الفلسفة وحرية الفكر والنظر الى الكون بعين العقل وكان مولعاً بمطالعة
التنبي وتحمدي افكاره فنظم على مثواله غير متتيد بالصناعة اللغزية .

واتقن العلوم ابن عشرين سنة فصار مرجع الادباء ومحط رحال البلغاء فنخرج عليه
كثير من علماء عصره من اشرهم ابو القاسم علي بن الحسن التنوخي . وابوزكرياء الخطيب
الديرزي شارح الحماسة

وقد رحل في تفقد المكاتب والتوسع بالمعارف الى طرابلس الشام المشهورة بمكبتها
العظيمة اذ ذاك وصار الى اللاذقية فنزل ديراً فيها وسمع من احد الرهبان بعض العلوم
واعلمه على مذهبي اليهود والمسيحيين وكذلك قصد دمشق وحلب وبنّاد وغيرهما
وكان يرتزق من وقف يحصل منه ثلاثين درهماً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

(١) «المقتبس» سألتنا صديقنا احمد بك تيمور من علماء القاهرة عن القدر الذي
كان يرزقه المعري فكتب الينا مانصه

راجعت رسائل ابي العلاء الى داعي الدعاة وظفرت باقترة التي وعدتكم بها فكتبتها
لكم على علايتها وهي (ومما حثني على ترك الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون
ديناراً اذا اخذ خادمي بعض ما يجب بقي لي ما لا يعجب فاقتصرت على فول وبلسن
وما لا يعذب على الاسن فلما الآن فاذا صار الى من يخدمني كبير عندي وعنده هين
فما حظي الا اليسير المتعين ولست اريد في رزقي زيادة ولا اوترسقمي عيادة والسلام)

فغورض في رزقه فذهب الى بغداد . تنظماً ممن عارضه سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) ثم عاد اليها ثانية سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) واقام فيها سنة وسبعة اشهر فتفقد مكاتبتها وتعرف بعلماتها ودرس عليه كثير منهم قال ابو القاسم التنوخي : لما ورد المعري ببغداد قرأت عليه شعره وذكر انه دخل عليه وهو في بغداد علي بن عيسى الربيعي ليقراً عليه شيئاً من النحو فقال له الربيعي : ليصعد الاصطبل فخرج مغضباً ولم يعد اليه . و يروى انه دخل يوماً مجلس المرتضى فثر يانسان فقال له : من هذا الكلب فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وله اخبار كثيرة لا محل لاستيفائها ومن أشعاره في غربته يحن الى وطنه قوله :

فيأبرق ليس الكرخ داري وانما رماني اليها الدهر منذ ليل
فهل فيك من ماء المرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال
وقوله :

ياماء دجلة ما اراك تلذلي شوقاً كماء معرة النعمان
وعاد ابو العلاء من بغداد الى المرة سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ولزم بيته وشرع في التصنيف والتدريس فتقاطر اليه الادباء من كل صوب مقتبسين من آثاره وكتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار فانقطع الى خدمة الآداب وسمى نفسه رهين المحبين للزوم بيته ولتغاب عينيه كما صرح في ذلك بقوله :

اراني في الثلاثة من سجنوني فلا تسأل عن اخبر النيبث
للقديب ناظر بي ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث
وكان يلعب الشطرنج والرد (الطاولة) . ويملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلم وولع بالعلوم الرياضية واتفقنا وله كثير من الايات الرياضية مثل قوله :
طرق العلى بمجھونة فكأنها صم العوائد مالها أجدار
والعقل أنذرنا بما هو كائن في الدهر ثم تشعب الانذار
وعلى الجملة فان المعري كان غزير الفضل وافر الادب عالماً باللغة ضليعاً من آدابها
حسن الشعر جزل الكلام قوي الذاكرة شعيد الذكاء

٣ = حافظه ونوادره ووفاته

اشتهر ابو العلاء بقوة الحافظة اشتهاراً عظيماً فاق فيه بديع الزمان الهمذاني وغيره

وربما زاده حفظاً المعنى فإنه يجمع الذهن ويقوي الخيلة . ومما يروى عنه أنه جرب حساب طويل بين رجلين في مكان تشرف عليه غرفته فسمع الحساب وحفظه . ثم ضاعت الأوراق بعد أيام فأملأها عليهما ووجدت الأوراق بعد ذلك فكانت طبقاً لملأه .

وأعجب من هذا أنه كان يوماً عند يهودي فأتاه يهودي آخر واستودعه صرة . ثم جاء يطلبها بعد سنة فأنكرها فرافعه إلى القاضي ولم يكن بينهما شهود إلا المعري فاستقدمه القاضي وسأله . فقال : انني رجل أعمى لم أبصر ما كان بينهما . ولكنني سمعت كلاماً بالعبرانية أذكر لفظه ولا أعرف معناه . فدعا القاضي يهودياً خالي الذهن من القصة وأعاد عليه الشيخ ذلك الكلام فإذا هو يؤذن بصحة الدعوى وأنشده مرة أبو نصر المنازي قوله :

وقانا لفحة الرضاء واد	سقاء مضاعف الغيث العميم
نزنا دوحه فحنا علينا	حنو المرصعات على الفطيم
وأرشفنا على غماء زلالاً	الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا	فيحجبها وبأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى	فثلث جانب العقد التنظيم

فقال له أبو العلاء : انت اشعر من بالشام . وطوبت الايام على قوله هذا فلما رحل الى بغداد انشده المنازي فيها :

لقد عرض الحمام لنا بدجع	إذا أصفى له ركب تلاحي
شجى قلب الخلي فقييل غنى	وبرح بالشجي فقييل نأحا
وكم للشوق في احشاء صب	إذا اندملت اجدها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى	وسكران القواد وان تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة	كأحدائق المهي مرضى صحاحا

فقال له أبو العلاء . ومن بالعراق عطفاً على قوله قبلاً (انت اشعر من بالشام) الى غير ذلك وكان يقصده كثير من العلماء للتعارف به ومن نزل بالمرّة القاضي عبد الوهاب البغدادي فمدحه المعري (راجع ابن خلكان ١ : ٤٣١)

ومن نوادره ان الوزير أبا الفضل التميمي الدارمي البغدادى اجتمع بابي العلاء هذا في بلدته المرة لما بعثه القائم بأمر الله العباسي من بغداد رسولا الى صاحب افریقیة

المعز بن باديس وانشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال لله
أنت من ناظم
ولقي يوماً غلاماً فسأله عن الطريق فدلّه • فسأله الغلام عن اسمه فعرفه به فقال له
أأنت القائل :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تسطعه الأوائل
قال : نعم • قال : إن الأوائل وضعوا ٢٩ حرفاً للهجاء فهل لك أن تزيد عليها حرفاً
فسكت وقال لرفيقه : إن هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهنه وهكذا كان
ويبقى اليف الأديب منقطعاً إلى التدريس حتى مرض ثلاثه أيام ومات في الرابع
منها ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث من مرضه : اكتبوا عني • فتناولوا
الدوي والاقلام فأمل عليهم غير الصواب فقال القاضي ابو محمد عبدالله التنوخي :
أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت • فمات يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ٤٤٩ هـ
(١٠٥٨ م) بالمرّة • وفي طبقات ابن الانباري انه توفي سنة ٤٩٩ • وهو خطأ •
وقبره في ساحة من دور اهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو مهمل وقد اوصى ان
يكتب على قبره •

هذا جناد ابي علي (م) وما جئيت على احد

والمشهور انه مكتوب على قبره :

قد كان صاحب هذا النبرجوهرة مكنونة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيره منه الى الصدف
وقري على قبره سبعون مرثية وورثه نحو ١٨٠ شاعراً
٤ = اخلاقه ومعتقده

كان المعري حاد الذهن عصبي المزاج فضاق خلقاً في آخر ايامه لان العمى يورث
الضجر وكثرت مصائبه فاختر العزلة واكثر الشكوى وسوء ظنه بالناس بدليل قوله :

من عاش غير مداح من بعائره اساء عشرة اصحاب واخذان
كم صاحب يتنى لو نعت له وان تشكى راعاني وفداني
وقوله : توحد فان الله ربك واحد ولا ترغب في عشرة الرؤساء
بقل الاذى والعيب في ساحة الفتى وان هو اكدى قلة الجلساء

وكان حر الضمير تدل سريره على ظاهره ولذلك قال :
 وأردتموني ان أكون مدلساً هيهات غيري أثر التدليس
 وربما تظاهر بما ليس من خلقه تلبية لقوانين المعاشرة كقوله :
 ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل
 فواجباً كم يدعي الفضل ناقص ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل
 وكان متواضعاً بمقت الكبرياء فلذلك قال :

دعيت ابا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح أبو النزول
 وبقي نحو ٤٥ سنة منقطعاً عن اكل اللحوم والبيض واللبن مقتصراً على المأكول
 النباتية لانه كان يذهب مذهب من تقدمه من الفلاسفة الذين لا يعذبون الحيوانات
 بالذبح وقال ابن الانباري : انه كان برهيمياً ولذلك لما وصف له فروج وهو مريض لم
 يأكله بل خاطبه بقوله : استضعفوك فوصفوك . والى ذلك اشار تلميذه ابو الحسن
 علي بن همام في مرثيته له بقوله :

ان كنت لم ترق السماء زهاداً فلقد أرقّت اليوم من عيني دما
 وكان يذهب مذهب الهند ايضا في احراق جثة الميت كما جرى لسنسر وكوخ في
 عصرنا بدليل قوله :

حرق الهند من يموت فماذا (م) روه في روعة ولا تبكير
 واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً . وسواء المنكر ونكير
 وقوله :

اذا حرق الهندية بالنار نفس فلم يبق غض للتراب ولا عظم
 فهل هو خاش من نكير ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم
 ومن قواعده السياسية التي يصدع بها عظماء سادتنا في هذه الايام قوله :
 يقول لك العقل الذي بين الهدى اذا انت لم تدراً عدواً فداره
 فقبل يد الجاني الذي لست واصلاً الى قطعها وانظر سقوط جداره
 ومن مذهبه الشورى بدليل قوله :

مُلِّ المقام فكم اعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
 ظلوا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ومنه كرهه للمدح ولذلك قال :

إذا اثني على المرء يوماً بخير ليس في فذاك هاجي
وخفي ابن اساء بما افتراه فلو لم من غريزي ابتهاجي
ومن مبادئه التثبت عند حلول النوائب كما قال :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قيد س بصوت البشير في كل نادٍ
ابكت تلمح الحمامة أم غنت على فرع غصنها مباد

وذهب مذهب القائلين أن وجود الولد جنابة فلم يتزوج بدليل ما أوصى أن يكتب
على قبره وبدليل أقوال له كثيرة منها :

على الولد يبجي والدولوانهم ولالة على امصارهم خطباء
وربما كان متردداً في البعث والمعاد والخلود ولكن اعتقاده بها أكثر من إنكاره لها
ومن قوله :

أيها الملحد لاتعصي النبي فلقصد صح قياس واستمر
أن تعد في الجسم يوماً روحه فهو كالربع خلا ثم عمر

ولذلك ألف بعضهم كتاباً في الدفاع عنه سماه (دفع المعرة عن شيخ المعرة) وألف
كمال الدين بن العديم كتاب (دفع التجري عن المعري) وكتب مقالات كثيرة في
تبرئته مما نسب إليه من الزندقة

° = شعره

يكفي في وصف شعر المعري أن يقال في ناظمه أنه فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة
وقد تصرف فيه تصرفاً غريباً ومسرحة خياله في العوالم العلوية والسفلية فمثلها أحسن
تمثيل وحرص الناس على شعره فجمع في ثلاثة دواوين (لزوم مالا يلزم) (وسقط
الزند) (وضوء السقط) وقد قلت فيها مورياً

سبدرق نظر اللغيفة جاءني والنار قربى بالثقباب يضرم
مذ قال هذا ضوء سقط الزند قال مات له أراه لزوم مالا يلزم
ومنها انتخب الآن ما يدل على مسرحة خيال المعري وحسن وصفه ودقة فكره وقوة
بصيرته فمن أقواله يصف السهر والليل من قصيدة :

باتت عرس النوم من عيني محاللة وبات كوري على الوجناء مشدودا

كأن جفني سقطا نافر فزع
ظن الدجى فظة الاظفار كاسرة
تناعس البرق اي لا استطيع سرى
كأنه غار منا ان نصاحبه
من يخبر الليل اذ جنت حنادسه
اني أراح لاصوات الحداة به
كأن غروب ملوها تعب
ومن حماسياته قوله من قصيدة :

ينهل منهم النجيع الاحمر
لا يعرفون سوى التقدم آسياً
من كل من لولا تهر بأسه
يدكي تلب ذهنه اوقاته
وضحيج طفلهم الحسام وان ثوى
فكأنهم يرجون لقيا ربهم
لنا من اقام الحرف وهي كأنها
وقال من قصيدة أخرى في الغنى والفقر :

وان الغنى والفقر في مذهب النبی
ومانت مالا قط الا ومال بي
لك الخير قد انفذت ما هو المبسبي
ولو انه اضعاف اضعاف مثله
واهون به في راحة اريحية
فمني تقصير ومنك تفضل
فلو كنت شعراً كنت احسن منشداً
وقال ايضاً من قصيدة أخرى :

نقول ظباء الحزم والسمع ناظم
لقد حرمتنا اثقل الحلي أختنا
فان صلحت للتاظمين دموعنا

جهلتن أن اللؤلؤ الذوب عندنا
ولو كان حقاً ما ظننتن لا غدت
وقال في نار القرى :

الموقدي نار القرى إلا صال والا
حمرء ساطعة النوائب في الدجى
وقال في خلاء الفكر للنظم والنثر :

ولولا ما تكلفنا الليالي
ولكن القريض له مغاف
وقال في التوجيه البدعي :

فدونكم خفض الحياة فأنما
وقال أيضاً :

حروف سرى جاءت لمعنى اردة،
وقال : ولو جرت التباهة في طريق الـ
وقال : فصرفني فغيرني زماني
وقال من قصيدة :

ولملا تلحق الأهوال فيه
إذا سئموا الرحيل فكل غر
كأن جفونه عقدت برضوى
لو أن حصى المناخ مدى حداد
وجاز اليّ إيراديه هجير
يرد معاطس الفتيان سفحاً
إذا الحرباء أظهر دين كسرى
واذدنت الجناذب في ضحاها
وقال : وكذلك من أب وسم الليالي
مضى وتعرف الأعلام فيه
وقال : لقط كأن معاني السكر تسكنه

رخيص وأن الجمادات غوالي
مسافة هذا البر سيف أوال^(١)

سحار بالاهضام والاشعاف
ترمي بكل شرارة كطراف

لطاب القول واتصل الروي
وأولاهها به الفكر الخلي

نصبت المطايا في الفلاة على القطع

برتني أسماء لمن وافعال
خمول اليّ لاخترت الخولا
سيعقبي بمحذف وادغام

بنفود الشيخ ناصية الغلام
يرى صرعته خلص اغتنام
فما يرفعن من سكر المنام
أزرتها الفخور من السام
يجوز من القرباب الى الحسام
وان ثني اللثام عن اللثام
فصلى والنهار اخو الصيام
إذا أنا غير منتظر الامام
على جبهاتها سمة اللثام
غني الوسم عن الف ولا م
فمن تحفظ بيتاً منه لم يفق

قربت النظم ترتيب الحلي على
 الجبل^(١) للرجل والتاج المثيف لما
 فان توافق في معنى بنو زمن
 قد يبعد الشيء من شيء يشابهه
 وقال : ارى المجد سيفاً والقريض نجاده
 وخير حملات السيوف حمالة
 وقال : كأن كل جواب انت ذاكره
 وقال : وكلامك المرأة تصدق في الذي
 وقال : فيا قبر وامر من تراك ليناً
 لا طبقت إطباق الحارة فاحتفظ
 وقال : وليلة سمرت فيها وابن مزننها
 كأنما هي اذ لاحت كواكبها
 كأنما النسر قد قصت قوادمه
 والبدر يبحث نحر النرب أبقه
 ومنهل ترد الجوزاء غمره
 وردته ونجوم الليل وانية
 وقال : وأرى ابا الخطاب نال من الحبي
 لا يطلبن كلامه متشبه
 أثبت وخاف من ارتحال ثباته
 كلم كدنام العتد يحسن تحته
 قد توفت شوقاً الى نغماته
 والنخل ماعكفت عليه طيوره
 ردت لطائفه وحده ذهنه
 والنخل يجني المرء من نور الربى
 وقال ملفزاً في الابرّة
 سعت ذات سم في قميعي فغادرت

به اثرأ والله يشني من السم

كست قيصرًا ثوب الجبال وتبعًا وكسرى وعادت وهي عارية الجسم
وقال وقد ابدع في تشبيه الليل والبرق :

كما أغشى الفتى ليدوق غمضًا فصادف جفنه جفناً قريبًا
إذا ما احتاج احمر مستطيرًا حسببت الليل زنجيًا جريحًا

وقال وقد ابدع :

باسعد اخبية الذين تحملوا غادرتي كبشات نعش ثابتًا
وقال : لا تطلبن بألة لك حاجة سكن السما كان السماء كلاهما
وقال : ولا تجلس الى اهل الدنيا فان خلائق السفهاء تعدي

وقال يصف انعكاس صورة السماء ونجومها في مرآة الماء

فأطمعن في اشباههن سواقطًا على الماء حتى كدن يلقطن باليد
فدت الى مثل السماء رقابها وعبت قليلًا بين نسر وفرقد
وقال : أطرق كأنك في الدنيا بلا نظر واسمت كأنك مخلوق بغير فم
وان همت بمين فاتخذ لقمًا^(١) مضاعفات لنثني اللفظ باللفم

وقال في ذم الدنيا من ايات :

وقد نطقت باصناف العظاات لنا وأنت فيما يظن النوم خرساء
يموج بمحرك والاهواء غالبية لراكبيه فهل للسفن إرساء
إذا تعظفت يومًا كنت قاسية وان نظرت بعين فهي شوساء
وقال : ان الاعلاء ان كانوا ذوي رشد بما يعانون من داء اطباء
وما شفاك من الاشياء تطلبها الا الألباء لو تلقى الألباء
تقر من شرب كأس وهي تشبعا كأننا لمسايانا أحباء

وقال يصف الشباب : ان الشبية نار ان اردت بها أمراً فبادره ان الدهر مطفئها
وقال : اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء

وقال في النساء :

علمهن الغزل والنسج والردن وخلصوا كتابة وقراءه

(١) اللفم بالقاء اللقام وهو ما علي طرف الانف من النقب

فصلاة الفتى بالحمد والاحلاص
تمتلك الستر بالجلوس أمام الستر
تجزية عن بونس وبراءه
ان غنت القيان وراءه
وقال في ادب الاخلاق :

اذا صاحبت في ابام بؤس
ومن يعدم اخوه على غناه
فلا تنس المودة في الرضاء
فما دى الحقيقة في الاضاء
فليس بعارف طرق السخاء
وقال :

القلب كلامه والاهواء طاقية
منه تمت^(١) وبأقي ماغيرها
عليه مثل حباب الماء في الماء
فيخلف العهد من هند واسماء
والناس كالدهر من نور وظلاء
وقال :

بنافي ابن آدم حال الفصور
تغير حناؤه وشييه
فهايتك أجنت^(٢) وهذا جنى^(٣)
فهل غير الظهر لما انحنى^(٤)
وقال: ان تستقيم امور الناس في عصر
ولا يقوم على حق بنو زمن
ولااستقامت فذا أمنا وذارعبا
من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا
وقال: يقدو على خله الانسان يظلمه
كالذيب يأكل عند الغرة الذيبا
وقال: تقادم عمر الدهر حتى كأنما
نجوم الليالي شيب هذي الغياهب
وقال في المنام :

وانك ان اهدبت لي عيب واحد
وقال في الرياء :

واخل كلامه بيدي لي ضمائره
وقال في فساد الناس :

عرفتكم بني حواء قدما
ومانيكم على الاحسان جاز
فكلكم أخوضفن مكور
ولامنكم على النعمي شكور

(١) ظهرت (٢) ادركت ونضجت (٣) اي اثما ونحوه (٤) وهو بمعنى قول الآخر

يامن يدلس بالخضاب مشييه
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجاً
ان المدلس لايزال مرييا
أبعود عرجون القوام قضيا

وقال: صدف الطيب عن الطعا
كل باطيب ولا خلا
وقال: مثل الفتي عند التغرب والنوى
ان صادفت ارضاً أرتك خمودها
وقال: وان اقتنع النفس من احسن الفتي
وقال: وما الوقت الا طائر يأخذ المدة
رأتك البرايا ظالماً ياأبن آدم
وقال: اضرب وليدك تأدياً علي رشد
فرب شق برأس جر منفعة
وقال: النفس عند فراقها جثائها
كحماة صيدت فثنت جيدها
ولقد نهب بعضهم الي الكفر لقوله:

ضحكنا وكان الضحك مناسفاة
تخططنا الايام حتى كأننا
ولكنه قال أيضاً في محل آخر:

خلق الناس للمعاد فضلت
انما يتقلب من دار اعمال
وقال ايضاً:

فاني وجدت النفس تبدي ندامة
وان صددت ارواحنا في جـومنا
وقد لوم في قوله ايضاً:

تاه الناصري والخليفة ما اعتدت
قسم الوري قسمين هذا غاقل
والمرجح انه كان متردداً في مذهبه وربما كان اقراره بالدين في اخريات ايامه كيف
لا وهو القائل:

عجي للطيب بلحد في الخناق
ولقد علم النجم ما يو
من بعد درسه التشريجا
جب للدين ان يكون صريحا

رب روح كطائر الفقص المسجون ترجو بموتها التسريحاً
ومن ذلك قوله :

اذكر الهك ان هبت من الكرى واذا هممت لهجمة ورقاد
واحذر مجيئك في الحساب يزائف فآله ربك انقد النقاد
تغشى جهنم دمة من نائب فتبوخ^(١) وهي شديدة الايقاد
وقوله : ازول وليس في الخلاق شك فلا تبكوا علي ولا تبكوا
وقوله : لا يأسن من الثواب مراقب لله في الايراد والاصدار
قترى بدائع انبات متحداً ان الجزاء بغير هذيه العار

وشعره كله على هذا النمط من حرية الفكر والشكوى وله من القصائد الفخرية المشهورة وغيرها ما نختزى^٢ عن ذكره الآن ومن نوادر قصائده ما نشرته مجلة المقتبس (٩٧:٤ و ٦٦:٢) . وعلى الجملة فان المعري دقيق التصور حتى يمثل لك أحياناً أموراً لا يستطيع تمثيلها البصير وهاك الآن من فلكياته ما يدل على سمو مخيلته فمن قوله في الفجر :

كأن سنا الفجرين لما تواليا دم الاخوين زعفران وايدع
اناض علي تاليهما الصبح ماء فغير من اشراق احمر مشبع
وقوله : كأن الليل حاربها ففيه هلال مثلاً انعطف السنان
ومن ام النجوم عليه دبر يحاذر ان يزعقها الطعان
وقد بسطت الى الغرب الثريا يداً غلقت بالتملأ الزهات
كأن يمينها سرقتك شيئاً ومتطوع على السرق البنات
وقوله يغرن علي الليل اذ كل غارة يكون لها عند الصباح توالي
ولاح هلال مثل نون ابادها بجاري النصار الكاتب ابن هلال

ولقد اعتنى كثير من الغربيين بجمع اشعاره وترجمتها الى لغاتهم مثل كارليل (Carlyle) المستشرق الانكليزي استاذ العربية في جامعة كمبرج في اواخر القرن الثامن عشر فانه ترجم بعض ابيات باللاتينية والانكليزية . وهكذا فعل المستشرق النمساوي فيون كريمير (Von Krmir) فانه نشر مقالات كثيرة في (المجلة الجرمانية الآسيوية) عن ابي العلاء وافكاره وشعره نظماً سنة ١٨٧٧م ثم الف كتاباً

بعنوان (اشعار ابي العلاء المعري الفلسفية) طبع في فينا سنة ١٨٨٨ نقل فيه ثراً
أكثر من مائتي بيت من شعر المعري . ثم ترجم رباعياته بالانكليزية نظماً صديقي امين
انندي الرمياني اللباني بكتاب انتخبه من دواوينه الثلاثة وطبع في نيويورك سنة
١٩٠٣ في ٤٤ صفحة صدره بمقدمة بحث فيها عن ابي العلاء وسيرته ومن رأيه ان عمر
الخيام الشاعر الفارسي قد تحداها وها متعاصران . واختار موسى انندي يكييف من
افاضل قازان (روسيا) منتخبات من لزوميات المعري ونقلها الى التركية في نحو مائتي
صفحة مطبوعة في اورنبرغ سنة ١٩٠٨ م . واعتنى كثير من القدماء بدواوينه فان
عبد الله بن السيد البطلوموسي النحوي الاندلسي شرح سقط الزند شرحاً استوفى فيه
المقاصد وهو اوجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان المسمى بضوء السقط . وكذلك
التبريزي خريج المعري شرح سقط الزند .

وكان حسين بن الجزري شاعر بني سيف امرأ طرابلس الشام مغرباً بالمعري فكتب
على ديوانه لزوم مالا يلزم

ان كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب رب العالمين المرهم
او كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سبل الهدى فلزوم مالا يلزم

ودواوينه الثلاثة مطبوعة في مصر وسورية . وقد قابلت مجلة المتخلف الغراء
بينه وبين ملتون الشاعر الانكليزي الضمير صاحب (الفردوس الضائع) راجع السنة
العاشرة صفحة ٤٤٩ ومجلة الهلال النراء ترجمته في السنة الخامسة عشرة صفحة ١٩٥ .
وترجمه رضاه الدين انندي بن نحر الدين من علماء اورنبرغ في روسية بالتركية القترية
في ٧٢ صفحة طبعت في المدينة المذكورة سنة ١٩٠٨ . وغيرهم

ولقد كان المعري والمنيني وابن هاني ممن اختطوا خطة جديدة في الشعر لم ترق
في عيون المحققين على الاسلوب القديم فلذلك لم يسمحوا للمترشحين للنظم ان يتحدوهم
كما في مقدمة ابن خلدون وغيرها فالمعري اشبه بفكتورهيكو عند الافرنسيين وكذلك
صنوا

٦ = شره وكتبه

اهم ما وصل الينا من نثر المعري رسائله التي نشرت في بيروت سنة ١٨٩٤ مشروحة
بمعلم الاستاذ شاهين عطية اللباني في ٢٤٠ صفحة . وفيها تكلف غريب وإغراب في
النثر لم تألفه العامة واليك الآن أمثلة منها تعرفه عند القراء :

فمن ثمره قوله من رسالة « ان كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع .
وللذكاء نار تشرق وتلغ . فقد فغمنا على بعد الدار أرج أدبه . ومحا الليل عنا ذكأوه
بتلبيه . وخول الاسماع شوقاً غير ذاهبة . واطلع في سويداوات القلوب كواكب
ليست بغاربة . » ومما كتبه الى صديق له سأله ان ينقصه في ترتيب المكتبة « وقد
أيقنت ان رسل نصيحته ليس بسمار . وان صواب رأيه عن غيرائنا . ولم اكتب في
امر ابي فلان الا متشكراً ثم نثيت باسترفاد المعونة مذكراً . اذ كان ادام الله عنه لا يثير .
لسائله الى الرفد البعيد . ولا يضرب لراجيه رؤوس المواعيد » وكتب الى ابي القاسم
المعري جواباً عن فصل كتبه اليه وهو برته « كلما هم خبري بالهمود . واشرفت على
الجمود . نعثني الله بسلام يرد من حضرته يجعل اثره كالروضة الخزنية . والبارقة المزنية .
ولو كنت عن نفسي راضياً . لشرفتها بزيارة حضرة . ولكنني عنها غير راض . وما افريني
الى انقراض . وانما انا قضيض التمراد . ومتخلف المراد . قد عدت في اناس قيل فيهم
تهلك امة قد خلت لها ما كبت ولكم ما كبتهم ولا تسألون . عما كانوا يعملون . فان
نعمت اوشقيت . فدعائي ينصل بحضرته مابقيت اه » وكتب من رسالة « لو اتصلت
كتب مولاي كاتصال الامطار وتوالت توالي الانفاس لكنت بوليها . أمرني بوسمها .
والى مستأنفها . أشوقني الى سالفها . وما يكتب الا في بر . ولا يبحث على غير المصلحة
في الجهر والسر . وما دري ما قول في السعادة التي قد رزقتها عنده حتى غطت معايي .
وسترت الاسدة التي أضرت بي . فما انكر بعدها ان تعد نطفات الدر لأم الادراض .
وان تصاغ مناعق الذهب للرباح . وان يدعى المدعون ان ريش ابن انقد سهام صائبة .
او قنوات يزنه . . . » وقد اطال في بعض رسائله حتى ان المطالع يمل مطالعها ولا
يتجدد ليم قراءتها واخصر رسائله باختصارها بقوله
« كانت كتبي اليه كبراح الأروى تكون في الدهر مرة . والآن صارت كسوانح
الغربان وبوارح الظباء

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد
ومن الحف فدواؤه ما قال بشار . وليس للحف مثل الرد . وعليه سلام لو كان يوماً
لكان يوم عرفة . اوشهرأ لكان نائفاً اي شهر رمضان والسلام وحبي الله وحده » وقد
عني بطبع رسائل المعري هذه الاستاذ مرغليوث وترجمها بالانكليزية معلناً عليها شروحات
مفيدة من اديبة وتاريخية مصدره بترجمة المؤلف للجورخ شمس الدين الذهبي معتمداً على

نسخة في مكتبة ليدن قابلها على نسخة بيروت المشار إليها وقال إنها ينقصها تسع رسائل وبعض العاشرة .

ومن ثمره القدي بين أيدينا الآن (رسالة الغفران) وهي التي وصفها شمس الدين الذهبي في ترجمة المعري بقوله « له رسالة الغفران في مجلدة قد احتوت على مزدكة واستخفاف وله رسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك النموذج » أرسلها إلى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ^(١) صدرها باشواق وتحيات ثم أشار إلى وصول رسالته إليه . وأثنى عليها ثم استطراد إلى وصف الجنة ونعيمها ومن دخلها من الشعراء والملائكة على أسلوب أشبه بالشعر القصصي الروائي عند الأفرنج اليوم فجاء بعده بأكثر من قرنين دانتى شاعر الإيطاليين ونسج على منهاها (الرواية الإلهية) وملتون شاعر الإنكليز (الفردوس الضائع) وغيرها ولكنهما لم يفرجا باللغة مثله . وقد طبعت رسالة الغفران مصححة بقلم الشيخ إبراهيم اليازجي اللبناني في مصر سنة ١٩٠٧ م في ٢١٣ صفحة . ولها نسختان مخطوطتان أحدهما في المكتبة الخديوية بمصر والثانية في مكتبة الكوبريلي في الامستام . ولأبأس أن نلخب منها لأن قوله في الشعر صفحة ٥٥ : « فتال وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة . فقلت الاشعار جمع شعر . والشعر كلامٌ موزون تقبله الغريزة على شرائط ان زاد ونقص ابانة الحس . وكان اهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات فجت بشي منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب » ومن قوله في اللغة صفحة ٩٣

« والباب فيما كان مضاعفاً متعدياً ان يجي بالضم كقولك عدت اعد ورددت ارد وقد جاءت اشياء نوادر كقولهم شددت الحبل اشد واشد ونمت الحديث انم وانم وعلت القوم اعل واعل . واذا كان غير متعد فالباب الكسر كقولهم حل عليه الدين يحل وجل الامر يحل . والضم في غير المتعدي اكثر من الكسر فيما كان متعدياً كقولهم شح يشح ويشح وشب الفرس يشب ويشب وصح الامر يصح ويصح ونحت الحية تقح وتقع وجم الماء يجم ويجم وجد في الامر يجد ويجد في حروف كثيرة اه »
وللمعري مؤلفات كثيرة غير ما ذكر المع إليها الحاج خليفة في كشف الظنون أهمها ظهر المصري في النحو . والفصول والغايات . واقليد الغايات . وكتاب الفصول . وكتاب

(١) وقد اراني صاحب مجلة المقتبس نسخة من رسالة ابن القارح هذه سينشرها

السادر • وقاضي الحق • والقائف على مثال كلبية ودمنة وتفير منار القائف • ومهيج
الامرار • وملتي السيل في المواعظ • والمواعظ السنية ونظم السور • والحقير النافع
في النحر • وخطب الخيل عن السنتها • ورسائل المعونة • والصامل والساجع • وزجر
النائح يتعلق بلزوم مالا يلزم • والسجعات العشر في الوعظ • وسجع الحمام • والسجع
السلطاني في مخاطبات الملوك والوزراء • وسجع الفقيه • وسجع المضطرين عمله لرجل
تاجر يستعين به على دنياه • وشرف السلف عمله لامير الجيوش • واهم مؤلفاته الايتك
والنصون او الهمة والردف لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب
الا احصاها يقع في الف ومائتي كراس وربما بلغ اربعين مجلداً من كتبنا اليوم • الى
غير ذلك مما يغني قلبه عن كثيره

فهذا شيخ المعرة وفيلسوف الثمراء وشاعر الفلاسفة وهذه آثاره التي خلفها لنارحمه
الله تشد قول ابي الفتح حصينة المعري فيه :

وعجت ان تسع المعرة قبره ويضيق بطن الارض عنه الاوسع
لو فاضت المهبجات يوم وفاته ما استكثرت فيه فكيف الادمع
زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

نظرة في النظرات

تقمة ماورد في الجزء الماضي

اراد المتفولطي في كلامه هذا ان يخطيء الامام بأن مادعا اليه من المباديء الدينية
لم يحن بعد وقتها وان سواد هذه الامة لم يتأهلوا لقبول هذه المباديء جاعلاً ذلك علة
العلل في الحادهم ومروقهم من الدين وهو قياس منطقي أعيد المتفولطي عن ان يحشو فكره
بمثله من الاوهام والخيالات التي ابان فيها عن فكر ليس له حظ من التجربة والاختبار •
لا يستطيع صاحب النظرات فيما علم ان ينكر ان جل الله عين ان لم اقل كلهم انهم
الدمر وولستهم العصور في اوقات كانت فيها الافكار حيرى يقارع بعضها بعضاً في ميدان
الحياة • ومن هنا نعلم الحاجة الماسة الى المرشدين في مثل هذه الاحوال الحرجة والمآزق
الضيقة وانهم متى قابلوا بفكرة اصلاحية لا بد ان يلاقوا في طريقهم من عثرات الفريق
الخالف ما يستهدفون معه انسروب الابداء فيقومون بين مثالب الطعن والنقد حتى تنسرب

الفكرة الى بعض من يعمل على نشرها في سحرهم وجهرهم ليقوا من سعيهم هذا خميرة حيوية في المجتمع الانساني لمن يأتي بعدهم من تجد لها من عقولهم مائة فتتأصل في نفوسهم فيستفيدون اذ ذاك ويفيدون بما يدعون اليه ويسعون وراء اشرايه النفوس ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

بمثل هذا قامت المذاهب والاديان وتأيدت الآراء العلمية والنظريات الفلسفية . واذا لم يكن الامر كذلك فلiddel لنا المنفلوطي برهاناً يبين مصلحاً قام بفكرة جديدة ولم يبق في وجهه في يثته حتى من بني جلدته من يعمل على محاربة او ناعضته بكل ما فيه من قوة وقدرة .

ويا لله كيف جازله ان يحكم على ان المبادي، السامية التي دعا اليها الشيخ محمد عبده كانت مدعاة للالحاد والمروق من الدين بدعوى ان دعوته لم يكن بعد وقتها او انه يوجد ثمة من يقيمتها ويبندها او انها نشرت بين فئة اتخذوا من هداها ضلالاً ومن نورها دجى حالكا . وهؤلاء تلامذته مصريهم وشاميهم وعراقيهم وحجازيهم في عامة الاقطار يتناغون في مبادئه ويندارسون كتبه، لم ينظر اليهم الاستاذ المنفلوطي ونظر الى فئة ضالة مضلة لا بد من وجودها في كل عصر ومصر

وكان الواجب على من لم يفهم ما اراد الاستاذ الامام واشتبه عليه بأن يسأل عنه اهل العلم فقد قال احد شيوخ العلم : « يستحيل في نظر العقل ان يدعو الحق الى الباطل والهدى الى الالحاد وأصول الدين الصحيح الى المروق منه ، بل ما يبطل مبطل ولا الحد ملحد ولا مرق مارق الا بجهل بالاصول الصحيحة وبنده التلم السديد وسلوك جواده القويمة »

ولو كان من شروط الدعوة فقد المتأولين خشية مناهضتهم ومحاربتهم لما قام نبي بدعوة ولا علم بأرشاد وتعليم ولكانت الفكرة الاصلاحية التي قوبلت وشاعت بالمناهضة ثوت في الرمس قبل ان يلحد القائم بها ولما كما رأينا كتاباً منزلاً ولا ادباً غصاً ولا علماً صحيحاً وبالجملة ما كانت للام مدينة زاهرة ولا عمران زاخر .

ولا وجه لانكاره على هذا الامام التأويل لان اتخاذ التأويل قاعدة مما لانكران فيه في كل تأويل جرى اللسان في مثله ووسعته اللغة وهي ثروتها وغزارة مادتها وسعت من المجاز ما يربو على الحقيقة حتى صرح أئمة البيان بأن المجاز اكثر من الحقيقة . ولو اعار نظره الى من سبق ذلك الامام في مسألة اللجن والملك كحجة الاسلام الغزالي والراغب

الاصفهاني والقاشاني ونحوهم لما اكبر هذه المسألة وقد اوضح ذلك الاستاذ الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه «مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن» وافاض في هذه المسألة بما لا يبق معه ريباً لارتاب فلا يرجع اليه من شاء ^(١)

واما مقام الامام من بيان اسرار الدين وحكمه فذاك فن قد يم عني به ائمة الاسلام وفلاسفته كالائمة الذين تقدم ذكرهم واضرابهم وهو عندهم من اجل الفنون التي يجب درسها والتوسع فيها . وقد اخذوا على انفسهم ان يفهموا الامة ان الدين مواءم للعقل مؤازر للحكمة ليس فيه ما يعلو عن العقل او ينبو عن الفهم وجمتهم في ذلك ان القرآن الكريم هو الذي مهد السبيل للتعليل وصرح بذلك — فآيات لا تحصى كما اوضحه الامام ابن القيم في كتاب «التعليل» وقد حذا حذوه من المتأخرين حتى برع في هذا العلم — علم الحكم والاسرار — الامام ولي الله الدهلوي فآلف كتابه المشهور «حجة الله البالغة» وافترغ جهده في استنباط الاسرار في العبادات والمعاملات حتى جاء في مجلدين كاملين حافلين . ولقد سفه المنفلوطي رأيي قاسم بك امين ايضاً وانحى عليه لانه دعا المرأة وقد رآها في احط دركات الجبل الى ان تلم بمعرفة ما يلزمها في جهاد الحياة وجلادها من تربية وتعليم لتكون امرأة صالحة لهذا المجتمع فتدير شؤون منزلها او تضرب في الارض لترتق ان عضها ناب الفقر ونجعت بموت من يعولها ويكفلها وهو لم يدعها الى ذلك — كما يعلم المنفلوطي — الا خشية ان يمزق الحجاب وهي من الجهل المريع بمكان .

وما ذنب قاسم بك ان بين رأيه ولم يأبه لكيد الكائدين من تجار الادب والدين «والمرأة اخذت بالاسهل من رأيه والاصق بنفسها من نصيحته فتبرجت ورفعت برقعها قبل ان ننسج لها برقعاً من الادب والحياء»

ومما لامشاحة فيه ان رجل المرأة قاسم بك قام بدعوته احسن قيام فوصف الدواء بعد ان شخص الداء ولو كان في البلاد الاوربية لاقبمت له النصب والدمى — وان كان صاحب النظرات لا يقول بالتمثيل — احتفاء به واعترافاً ببيض ايديه وسابقة فضله عليهم او لو كان المنفلوطي بقدر عمل العامل وفضل الفاضل لما جرأ على ان يقول فيه : «مارأيت باطلاً اشبه بالحق من باطله» ^(٢)

(١) طبع في الاعداد الثلاثة من المجلد الخامس من هذه المجلة ثم افرد منها كتاب

خاص علي حدة (٢) مقالة طبقات الكتاب ص — ٤٢٢

— ٣٧ —

آراءه

ذهب الاستاذ المنفلوطي في طائفة من آرائه مذهب فريق من فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر في اوربا حتى قابله بعضهم بروسو من حيث نظره الى المجتمع الانساني وما قالوه : ان ما كتبه روسو في فن التربية والتعليم قائلا : « ايها الرجال ، لا تهرقوا الدماء الصغار على ان يفكروا كما تفكرون ويعتقدوا ما تعتقدون ولا تحاولوا افساد ملكاتهم بهذه الفضيلة الموهومة والخرية المطلية التي هي في مذهب 'عقل غاية العبودية' ومنتهى الاسترقاق الخ ٠٠٠ » — ان مقالته روسو تعرض للمنفلوطي في فصل له عنوانه « مدينة السعادة »^(١) « واغرب مالفت نظري اني لم ار في تلك المدينة ذات التمايز الذي اعرفه في مدائننا بين الناس في منازلهم ومراكبهم وازياتهم كأن جميع سكانها سواء في حالة المعيشة ودرجة الثروة »

وفي المنفلوطي نزعة اشتراكية تجلي على اشدها في هذا الفصل في قوله : « وحسب الرجل من البشر بيت يؤويه ومزرعة صغيرة يقات منها ودابة تحمل اثقاله ثم لاشأن له فيما سوى ذلك »

وقالوا : يرى روسو ان الدور العالية التي شيدتها الحكومات للتعليم هي التي تفرس مبادئ الجلالة في النفوس وتبعد الانسان عن عقله وفطرته^(٢) والمنفلوطي يقول : « واي حاجة الى المدارس في مثل هذا المجتمع وليس بأمر بآباءنا منا فنحن الذين نتولى تعليمهم وتهذيب نفوسهم ونقرئهم على العمل النافع فلا مدارس عندنا غير المصانع والمزارع تعلمهم كيف يرمون البذور وكيف يستقبتونها وكيف يصنعون الآلات الزراعية وكيف يستعملونها الخ ٠٠٠ »

وبالجملة فن رأي الشيخ المنفلوطي ان لا يكون في هذا المجتمع سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير ولا حاكم ولا محكوم فالخطر الاكبر من الفلسفة التي يتبنى اثرها هي فلسفة خيالية لا تأثير لها في ابناء القرن العشرين لا بقدر ما للاساطير من التأثير في العلوم الرياضية . وهي ان جاز ان يكون لها انصار قبل مائتي سنة او يزيد فلن تجد لها قبا احسب من هذا الجيل الجديد النائي عن افكار داروين وهبكل وهكسلي وسبنسر ورائكي ومومسن وبالزك وزولا نصيراً وظهيراً لانها مخالفة لسنن الطبيعة والحياة العملية .

وقد ذهب مذهب (اسكندر دومافيس) ولغيف من مفكري المتأدبين الغربيين في مقالته «غرفة الاحزان»^(١) في المرأة المحرمة من حيث انهم يهدون لها الاعذار ويرون الرجل اجدر باللائمة منها لانها ضعيفة مفرطة الشعور ولانه هو الذي هم بها فراودها عن نفسها واراد ان ينزل بها السوء فخذعها اذ عاهدتها ان تكون له زوجة ويكون لها بهلا فسلمها قلبها وشرفها وعفتها وغادرها حين علم ان في احشائها جنينا يضرب وبين جنبها ناراً تضطرم وكان سبب شقاؤها حتى اصيبت حزينة ذليلة تقض الموت على عيش لا تستطيع معه ان تكون زوجة لرجل او أمّاً لولد واخذ المجتمع البشري يتهكم بها ويبعث مما زادها حزناً واكتئاباً .

وقد مثل لنا هذه البغي وقد تركت وراءها مآثرها من النعمة الواسعة والعيش الرغد في ذلك القصر الذي كانت متمتعاً فيه بعشرة امها وابيها الى منزل حقير في حي مهجور لا يعرفه احد ولا يطرقه طارق لتتضي فيه البقية الباقية من حياتها .

ولم يكف بيان هذه الجناية وحدها بل جعل ان امها واباها قضيا حزناً لفقدتها ويأساً لان لقاءها وختم الحادثة بان اضاف على تلك الجنايات جنابة اخرى وهي هلاك المرأة المحرمة بعد ان اودع نفسها من العواطف الشريفة ما شعرت معه بمصيتها حتى ساورتها الهوم وبانت منها مبلغاً اودى بحياتها وهكذا ضاعب الجرم على الرجل وجعله كاذباً وخادعاً ولصاً وقتلاً وختم المقالة وهو يحض الرجال القاسية قلوبهم النصح للرفق بضعيفات النفوس من النساء .

والظاهر ان الاستاذ المفلوطي كان لا ينظر الى الحقيقة من حيث هي بل كان قلته حين يأتي على وصف حادثة يختلف باختلاف المظاهر والمؤثرات فيبنا نرى صفحات مقالته هذه مكنته بما يملأ النفوس شفقة ورحمة وعطفًا وحناناً على العاهرات اذ به يرضن عليها بجندي يقف ليخفروها من يريد ان يسلبها من الحقوق ما لم يبق لها منها الا النداء ويستكثر عليها ذلك في موقف هي خليقة بالشفقة والعناية اكثر من كل المواقف .

ولقد رأينا وهو يتكلم على «المرقص» في الازبكية يحمل على الحكومة المصرية حملة منكرة ويحدم غيظاً وحنقاً لان هذه الحكومة المدنية النادبة (على رأيه) التي هي مسؤولة امام القانون عن استقرار الامن واستنابها تبعث بجندي يحمي ابواب العاهرات لتلا يبعث المشاغبون بالامن والسكينة او يعيشوا في الارض فساداً .

ومما قال : ^(١) « ان العين لا تكاد تملك مدامعها سحاً وتذرافاً كلما ابصرت هذا الجندي الشريف واتفقاً هذا الموقف الدليل يسمع قراع الدفوف ، لاقراع البوف ويرى حمرة الصبأ لاحمرة الدماء ويحس الفسق والفجور لالقلاع والثغور . وما اعجب شيء عجبي لهذه الحكومة التي تضن بجنديها ان يشتمه شاتم او يلتمسه لابس فتغضب له غضبة مضرية تترأى فيها الشهامة والحمية والعزة والنخوة ثم لا تضن ان تؤجره نائمة في الجنازء او قوادة في المراقض »

هذا ما قاله المنفلوطي وما يحذره الى هذا الا انه ود ان يكون في طليعة من يعمل بالدرس الذي اتقاه على الرجال القاسية قلوبهم ليعلمهم فيه الشفقة والرحمة والاحسان !!! وما اراه في مبداء هذا الاكتوستوي الفيلسوف الروسي الشهير الذي يبيع هائج على الحكومة الروسية ويصحبها بالمعرة والدعارة لانها تبث بالطباء الى المواخير العامة وتعهد اليهم ان يعنوا بتطهيرها خيفة ان تنتقل جراثيم الادواء الدوية من هؤلاء البغيات الباغيات فتم الشعب بأسره وتراه يرمي اطباء بكل مكرره بدعوى انهم يدعون وراء اشاعة الموبقات وتسهيل اسباب الفسق والفجور ^(٢)

ويقضي علينا الاخذ برأي هذا المصلح الاخلاقي الروسي ان نهمل تعهد اما كن الفسق والمواخير وان ندع الجراثيم تفتك بمن ملكت عليهم امرهم لتسري العدوى في الآخرين وتنتشر الامراض الوبيئة الويلة في الامة حتى تهلك عن آخرها بدعوى صون اخلاق الشعب كيلا يتطرق اليها الفساد واخلل .

وقد رحم السيد المنفلوطي المرأة البغي في غير هذا الموضع ايضاً وحض على التزوج بها ^(٣) ليرد اليها عرضها وزعم ان ذلك من اعظم القربات وعد الرجل الذي يرد العرض الضال الى صاحبه المفجوع فيه اشرف ممن يمنح الحياة فاقدها . على شرط ان يكون الباعث على الزواج الرحمة والرأفة والحنان والشفقة لينظر في اصلاح قلبها ويحاول ان يفرج من جنبها ملكة الفساد الراسخة في نفسها ويدخلها مداخلة المؤدب المهذب الذي يصور في نظرها معيشة الفساد بصورة تنفر منها وتسمئز لها .

ومما قال : « ليت الرجال يأثمرون جميعاً على ان يستقذروا بهذه الوسيلة الشريفة (الزواج) كل امرأة ساقها فقرها وعدمها او فقد عالمها الى البقاء »

(١) ص ١٥٢ (٢) رواية البعث لتولستويج (٣) مقالة الاجسان في الزواج

وقد صرح في هذه المقالة ان « بقاء البني شقاء ما جئناه عليها الا الرجل فجدير به ان يفرم ما اتلف ويصلح ما افسد » وتعرض للراءة ايضا في مقالة التوبة ^(١) فكان بين جنبيه جذوة نار من الحقد والمؤجدة تنقد على الرجل لانه قتلها وعلى المجتمع الانساني لانه لا يعاقب القاتل على جرمه ولا يسلكه في سلسلة المجرمين .

والغالب ان ثقتهم بالجرائد المصرية ضعيفة جداً فهو يراها نادياً من اندية القمار والكتاب جماعة اللاعبين والروؤوس المصرية موضوعة على مائدة الالعب كما توضع الاكر على طاولة « منضدة » (البلياردو)

والسيد وطني سلمي معتدل يفضل اتفاق الاحزاب السياسية على اختلافها وتعارفها على تناكرها مادامت الغاية من تأليفها « تحرير الوطن من رق العبودية »

ومن رأيه ان العلماء والجهلاء سواء ^(٢) وليس بين الفريقين من الفرق الا ان هؤلاء لا يعرفون كيف يعبرون عن آرائهم وانكارهم واولئك امرز منهم في كيفية افشاء الحكمة اليهم وسعيهم وراء وعظهم وارشادهم وان ما ينطق به الحكيم العالم من جوامع الكلم هو نفس ما يأتي به الجاهل من الامثال لولا ان كلام الاول في اسلوب مجود ومقال الثاني في تعبير مبثذل .

يقول قوله هذا ثم يكتف في مقالة « موت العظاء » مانصه : ^(٣) « ليست هذه العشرة ملايين (يعني المصريين) التي نراها الاطفالا رضع ، وسواهم رقع لولا علماؤها واذكيائها الذين يقودونها الى الخير يأخذون بيدها في ظلمات الحياة »

فلست شعري اذا كان العلماء والجهلاء في مستوى واحد من العلم والتربية فلماذا ينحي على أمة ، وابناء دياره وينزلهم منزلة الحيوانات العجم وفيهم العالم والجاهل . واذا كان المنفلوطي قد وجد في معاجم اللغة ان مادتي العلم والجهل من الالفاظ المترادفة فيكون كلامه ، حينئذ جامعاً لمتناقض الاحكام .



لم ارفيا رأيت من الكتب الممتعة التي وعنت نتاج قرائح اهل الادب في هذا العصر كالريحاني وامثاله افصح لغة ولا اصح تركيباً من كتاب « النظرات » فانك ترى على فصوله مسحة العربية الاولى وقد خلت في الغالب من ركازات الكتاب

الجدد والمبدوء من تراكيبيهم وجلهم المتعاطلة التي اعتورتها العامة حقبة من الزمن
انسلخت فيه عن العربية الخالصة حتى أصبحت الى الاعجمي اقرب منها الى اللسان
العربي المبين .

بيد اننا نرى من الواجب ان لاثمت القلم في نقد مارأيناه من سقطاته في جمل
نزلت منزلة اقوال العامة والفاظ لغوية كأن الاجدر بكتاب ادبي مثل هذا ان يكون
مصوناً عنها .

فما نأخذه به استعماله فعل (ازدرى) متعدياً بالباء والعرب لا يعرفونه الا متعدياً
بنفسه في قوله في مقالة « التبوغ » « من العجزان يزدرى المرة بنفسه » واستعماله
(الوظيفية) بمعنى (المنصب) وقوله : « خرج في المنطق عن الحيوانية والناطقية »
والصواب ان يقال : « من الحيوانية والناطقية » وقوله « جداً عجيب » والاولى ان
يقال « عجيب جداً » لان « جداً » اذا قدمت اضيفت الى ما بعدها ونسبت « بدئية »
على « بديهي » وكان عليه ان يقال (بدهي) كما يقول سيف « ببيلية (ببلي) واستعماله
(تلاثم) بمعنى التأم في قوله في منالة الجبال « غير متناسبة ولا متلائمة » وقوله : « ويحبس عليها
اناسها » فان حبس هنا لا تعدى الا بـ « عن » فاذا تعدت بـ « على » كانت بمعنى
« الوقف » واستعماله « البسيط » بمعنى « الساذج » وقوله « ودققت النظر » والعرب
تقول . « دقق الشيء اذا تعمق دقه » واستعماله « تري » بدل « ربي » وجمعه لفظة
« مثل » على « امثلة » والاسم « امثال » وقوله « في السنة العامة » والصواب « على
السنة العامة » واستعماله « الاعواج » بدل « الاعوجاج » و « تعرج » عوضاً عن
« تعوج » و « احتجز » بمعنى « منع » وقوله « لاتسلم الا الحياة » وهي غايية والافصح
« ولاتفادي الا بالحياة » ودخاله وار الحال على المانسي بعد الا كما انها لاتدخل على
المضارع المثبت في قوله « فما رأيت سطوراً متطوعة الا واسط متشابهة الاطراف الا
وقرأتها » وقوا « نهش في اصبعه » والصواب « نهش اصبعه » واستعماله « الاعراض »
بمعنى « العلامات » وقوله « يودعه الله في فطرة الانسان » والصواب « يودعه الله
فطرة » الخ

هذا مارأيناه ان تنبه على ماورد في كتاب النظرات من الالفاظ والجل مما لا عهد للعرب
به كما ان ثمة الفاظاً اغفلنا ذكرها كاستعماله لفظة (المراسح) بدل (المسارح)

و (البالونات) عوضاً عن (المتايليد) و (الميكروبات) بدلاً من (الجراثيم) و (الطاولة) بدل (المنضدة)

والعقل يقتصر له هذه البهتات اليسيرة اذا عرف ان الكاتب بين ظهراني امة معظم صحافييها وادباؤها وكتابها يرون ان في هذه اللغة التي يكتبون بها الغناء والكفاء عن ان يتحدثوا العرب العربية في مناحي اساليبهم واقوالهم ولله في خلقه شؤون .

— ٥ —

وصفه

وهب السيد المتفولوجي ملكة خارقة في الوصف تكاد تكون فيه طبعاً وسليقة . واني لاقرأ له القطعة الادبية فيجئني من شبرها ان تنفتح من فلم « هيكو » مهب علي فلا تكاد اتم قراءتها حتى اعم باعادتها المرة بعد الاخرى واحمد الله اني ان وجدت في هذا النص من يفتح هذا الهيكل البالي من الادب روحاً جديدة ليحيي حياة رغد وهناء :

قال في مقالة الغد : « الغد بحر خضم زاخر يعب عبابه وتصليخ امواجها يدريك ان كان يحمل في جوفه الدر والجوهر او الموت الاحمر »
« ولقد غمض الغد عن العتول ودق شخصه عن الابصار حتى لو ان انساناً رفع قدمه ليضعها لا يدري ايضاً ما على عتبة النصر او على حافة الفتر »

« الغد صدر مملوء بالاسرار الغزار تقوم حوله البصائر ، وتسقطه العتول ، وتندرجه الانظار فلا يروح بسر من اسراره الا اذا جادت الصخرة باناء الزلال »

« كأنني بالغد وهو كامن في مكته وايش في محشيه ، متلفع بفضل ازاره ينظر الى ما لنا وامانا نظرات البرؤ والسخرية ، ويسهم ابتسامات الاستخفاف والازدراء »

« يقول في نفسه : لو علم هذا الجماع انه يجمع الوارث وهذا الباني انه يبني للخراب ، وهذا الوالد انه يلد الموت ما جمع الجماع ولا بني الباني ولا ولد الوالد »

اني ان قال : « ايها الشيخ المنتم بلثاء الغيب ، هل لك ان ترفع عن وجهك هذا اللثاء ، قايلاً لئلا ترى لحمة واحدة من لحات وجهك . اولاً فانه لا يستطيع ان تكتشف خيالك . وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت قلوبنا حولك ، وذابت اكيادنا وجداً عليك »

« ايها الغد ، ان لنا آمالاً كباراً وصغاراً ، واملئنا حساناً وغير حسان . فحدثنا عن

أما الذين مكانها منك ، وخبرنا عن أمانينا ماذا صنعت بها أأذلتها واهنتها . أم كنت لها من المكرمين . لا لا ، صن سرك سيفي صدرك وابق لثامك كي وجهك ولا تحدثنا حديثاً واحداً عن أماننا وأمانينا حتى لا تنفجنا فيها فتفجعنا في أرواحنا ونفوسنا فأنتما نحن أحياء بالأمال وأن كانت باطلة ، وسعداء بالأمانى وإن كانت كاذبة .

وحسبنا هذه القطعة الذهبية التي أوردناها هنا دلالة على مكانة الكاتب من ملكة الوصف ومبلغ ما وهب من القوة الطبيعية في النثر الشعري أو الشعر المنشور .

وللفنولوجي في بعض فصول كتابه تشابه جميلة واستعارات جديدة ربما غمضت على عقول من اعتادوا تعجيد القديم من المتأديبين أو تعامى عنها بعض من يرى « المعاصرة حرمان » فلم يرفعوا لها شأنًا ولم يقيسوا لها وزناً كقوله : « فنتشت عن الفضيلة في قصور الاغنياء فرأيت الغني أما شحيحاً أو متلافاً . أما الاول فلو كان جاراً لبيت فاطمة (رضي الله عنها) وسمع في جوف الليل انديها وانين ولديها من الجوع ما مد اصبعيه الى اذنيه ثقة منه ان قلبه (المتحجر) لا تنفذ اليه عاطفة الرحمة ، ولا تمر بين طياته نسمات الاحسان » وربما انكروا عليه وصفه القلب بالتحجر وعد جعله الاحسان نسمات اغراقاً منه في المجاز ومبالغة في الاستعارة ولكن الحقيقة في غير ما يزعمون .

ومثل قوله : « فقد عقد رياء الناس امام عيني سمائة سوداء اظلم لها بصري حتى ما اجد في صفحة السماء نجماً لا دعا ولا كركباً سادها » وقوله « درع وسوجة من نجيع » وقوله : « بهذه الصواعق التي يطرر منها علينا من سماء الصحف » ومن جملة الجميلة قوله : « وما نشر الظلام اجنحته السوداء في الافق حتى رأيتني احير من دعة وجد في مقلة عاشق يدفعها الحب ويمنعها الحياء . لا اعلم هل انا سر كامن في باطن الظلماء ، او حوت مضطرب في اعماق الماء » وقوله ايضاً : « وهماك احسست بسلسبيل بارد من الامل يتسرب الى قلبي فينتقع غلته ويطن في لوعته » وقوله في مقالة يخاطب بها الحزبون : « انت حزين لان نجماً زاهراً من الامل كان يترأى لك في سماء حياتك فيملاً عينك نوراً وقلبك سروراً ، وما هي الاكر الطرف ان افنته فواجده » وقوله : « ابتسامة هادئة » الخ . . .

وقد اجاد الشيخ في مقالة « غرفة الاحزان »^(١) ايما اجادة حتى ان قارئ القصة ليجد اثرها في نفسه بعد قراءته لها في دعة تترقق في جفنه فتتم عن عواطفه وشعوره . وما هي

لوعلت الا جائزة التلب الى اليراع الذي خط تلك انطور باسلوب يتدفق شعراً وشعوراً .
ولا يسه الا ان يكبر ذلك الوصف الذي الم بعمامة اطراف الحادثة اكبراً فكان جامعاً
لما تشعر به النفس من ديب الآلام واعياً لما يصدر عن النفس الساعية من
شريف العواطف .

٦ -

روح المؤلف

اذا صححت النظرية القائلة بان « الكتابة صورة الكاتب » جاز لنا ان نحكم على المنفلوطي
انه من جماعة المثائين *Pessimistes* ولكن لا في مذهب من المذاهب
الفلسفية او التاريخية او السياسية بل هو من يرون ان لاسعادة في الحياة ولاهنا وان
من العيب ان ياتي المرء بنفسه الى التهلكة في معترك الحياة مادامت الرذائل آخذة
من النفوس مأخذها وان مانسميه فضيلة ليس الا خداعاً ورياء وتفاقاً دعيت بالفضيلة
وهي ليس لما ظل في هذا الوجود .

هو ينظر الى المجتمع نظر الخائق الناقم لانه يعتقد انه « مصاب بالقم في فهمه
والاضطراب في تصوره فلا عبرة بحكمه ولا ثقة بوزنه وثقديره اذ هو يسمي الفقير
سافلاً وطيب القلب مغفلاً وظاهر السريرة بليداً والحليم عاجزاً »^(١)
وانك لتري في مقالته « ابن الفضيلة » روح اليأس مجسمة ودا يتخيله او يفكر به هو
قد مر بخاطر كثيرين من أدباء المشاركة والمغاربة وكثيراً ما اجهد الكاتب من هؤلاء نفسه
ليضع قصة يأتي بها على شرور العالم ومفاسده وكنت كلما مررت بسطر من سطوره تصب
اللعتات على هذه الحياة التي تراها مثال الشقاء وتمثل آتئذ بقول الشاعر العربي الحكيم :

انما نحن بين ظفر وناب من خطوب اسودهن خرا
نتمنى وفي المني قصر العمر فنغدو بما نسر نسا
صححة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نفتديه نموت ونجيا أقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كما نت ولا كان اخذها والعطاء
من فساد يحويه للعالم الكون ن فإ للنفوس منه انقضاء
قاتل الله لذة لاذنا نالها الامهات والآباء

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فأيجادنا علينا بلاء — الخ ...
 بذلك على هذا أيضاً ما نقرأ له في مقالة « الشعر البيضاء »^(١) ويعني بها شجرة
 المشيب التي رأينا تلوح في فوده نفاً بها مؤبداً ايها انما تدني له الموت وياغ في تأنيها
 وتعنيفها ، وأغرق في عتيا ولومها ثم رجع بعد ذلك لنفسه وكأنه ندم على ما فرط منه
 بجنبها واخذ يخاطبها قائلاً : « ما الذي يحمله في صدره لك من اخذ والموجدة
 رجل لم يعم بشبابه ، فيحزن على ذهابه ، ولم يذق حلاوة الحياة فيبزغ لمرارة المات ولم
 يشتق نسيات السعادة غصاً رطباً فيأمنى عليها عوداً يابساً »

« ما الذي ينقمه عليك من الشؤن رجل يعلم انك وحي الامل الذي يشبهه بقرب
 النجاة من حياة ليس فيها من السعادة والهناء الا لحظات قليلة بكدرها ما يحيط بها من الهموم
 والاكدار كما تكدر انقاس الحزن الحارة صفحة المرأة »

« اليس كل ما اعده عليك من الذنوب انك طليعة الموت الذي يخلصني من منظر
 هذا العالم المملوء بالشؤر والآثام ، الخافل بالآلام والاسقام ، الذي لا أغمض عيني
 فيه الا لاقتحها على صديق يغدر صديقه واخ يخون اخاه وعشير يحدد انيابه ! يمضغ
 عشيره ، وغني يضن على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى بلغة الموت
 فلا يظفر بامنية وملك لا يفرق بين رعيته وامشيته ، ومملوك لا يميز بين ملك الملك
 وروبيته ونفوس تنفاني قتلاً على لون حائل ، وظل زائل ، وغرض سافل ، وعيش باطل
 وعقول تنهالك وجداً على نار تحرقها ، وانباب تمزقها وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر
 ولا ترى شيئاً مما حولها ، وتلمع ولا تكاد تبصر ما تحتها »

هكذا رأينا المنطوي يرمي هذا العالم بنظرات كلها شؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين
 في عامة شؤنهم واطوارهم واحوالهم . ولولا انه « لا يقول الا ما يعتقد ولا يعتقد الا
 ما يسمع صده من جوانب نفسه »^(٢) لقلنا انها خطرات شاعر وجدت لها من سماء
 مخيلة مطاغم ما لبثت ان ادر كها القروب . اما وان هذا الكلام هو صورة من صور
 نفسه فلا جرم انها حالة نفسية كثيراً ما تمر من يميلون الى التجرد عن المادة ويرون
 في سكون الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرغد والسرور ! ..

صلاح الدين القاسمي

دمشق:

(١)
الى العرب

يامعشر العرب الكرام تحية شغف التسم بها فبات عليلا
رقت فلولاً الشعر يجبس ذوبها وجدت لها بين السطور ميلا
من شاعر لولا هواه بقومه ما كان يرضى بالبراع خليلا
باتوا يلوموني وبات القلب عن لوم الوشاة مجهم مشغولا
زادوا ولوعاً باللام واسرفوا فيه فزدت تغورهم تقييلا
حلت الثغور بذكر من احببتهم فرشفت من برد اللى معسولا
اني لاهفو ان ادرت حديثهم حتى كأنك قد ادرت شمولا
ماذا علي اذا عدت هراهم دينا وغيره عده تضييلا
والناس مختلفون في اهوائهم متباينون مشارباً وميولا
ولرب محسوس تركه آثاره ليست لي كل النفوس شكولا
سبح الحمايم يستفز احا الهوى طرباً ويحسبه الحزين عويلا

قومي وانتم خير من فوق الثرى واجاهم يوم الفخار اصولا
ردوا على الشرق القديم شبايه فالامر بات لعزمكم موكولا
تخصت لواحظه اليكم يتقي نيل الرجاء فختقوا المأمولا
وانضوا العزائم للرقى وحسبكم يوم الطلاب تواكلاً وخمولا
لانيأسوا فايأس كم جرّ الردى وغدا على صر النفوس دليلا
واخو العلى من لا يزال طلابه ابدأ باسباب الرجا موصولا
فالروض يزهو بالنضارة بعدما نهكته عادية الهجير ذبولا
واذا انى امتنعت وعن منالها كان الثبات بنيلهن كفيلا

فاهشوا الى كبد العلاء بهمة تذر الجبال الشاخات سهولا
وتقحموا الغمرات واصطبروا لها فالمرء ان يجبن يعش مرذولا

(١) القيم في احدى الحفلات

والمجد مطلب شديد فاخلقوا عزماً يذل عبه تذليلاً

واستشهدوا التاريخ اصدق مني
ايام تبدر الجياد شوازيماً
يحملن ابطال الجزيرة طلعا
من كل اروع مثلما تهوى العلى
تلقاه بوثران يموت مكرماً
فحقوا البلاد وغادرت اميا فيهم
بيض اذا انتضيت ليوم كريمة
كتبوا بها في الدهر آية سودد

ذودوا عن اللغة التي وردت بها
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم
وحياتكم باقوم فاحفظوا بها
آية الكتاب وانزلت تنزيلاً

لا تحبوا الدستور يسعدكم اذا
واذا الصباح بدا ولم نجف الكرى
فاستردشوا بالعلم وانصرفوا له
وابنوا المدارس في البلاد كأنها
وهي الكفيلة حين يعمر ربها
وتكافؤوا في السعي لاتخاذوا
وتعهدوا الاخلاق فهي اذا الثوت
ما كان نحرير الرقاب بنافع
لم تسلكوه للرفي سبيلاً
لم يمدنا فلق الصباح فتيلاً
وتدارسوا المعقول والمنقول
زهى تزيج من الظلام سدولاً
انا نالك من الزمان السولاً
فييت كل خاذلاً مخذولاً
تركت ممردة الصروح طولاً
ان لم نحرر انفساً وعقولاً
دمشق: جرجي الحداد

الكتابة والكتب ودورها^(١)

افرايم المصريين الاقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفي بطون المغارات وعلى ابحار البرابي والاهرام والمسلات ؟
 ام هل اتاكم حديث الاشوريين ؟ فقد اكتشف النقابون في هذه الايام مصاحفهم مرقومة على اللبن ، وهو الطوب المشوي او المطبوخ . وذلك لان ارض ما بين النهرين مكونة من طمي دجلة والفرات فليس فيها جبل ولا حجر . ولكن ذلك لم يقف حجر عثرة في سبيل الغرام بالكتب . فصاروا يرقون بالمسار على الطين وهو نبي ثم يطبخونه في النار ، استبقاء لكتابهم على عمر الادهار والاعصار
 ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم وطم ، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة ، واحسوا بما في النقش على الاحجار من الصعوبة ، فعادوا الى الطبيعة ، وهي الهادي الاكبر للبشر ، أخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحاً للكتابة ، وها هي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة ، واكثرها في متاحف اوربا ، واما الصين والهند ، فقد كفتهم دودة القز هذه المؤونة ، في القيام بما يدعوه اليه الولوع بالكتب والكتابة ، واذا نظرت الى بني الاصفر وأعني بهم اليونان والرومان تجددهم قد استعانوا بالحيوان ، فعالجوا الجلود وصنعوا منها ما نسجية بالرقوق

واول من استنبط ذلك الاغارقة من اهل فرغامة ، وهي مدينة بآسيا الصغرى تسمى عندهم برجامة Pergame فصار اسمها علماً على هذا المصنوع من الرقوق ، ولا يزال باقياً عند جميع الافرنج الى الآن ، فان اهل ايطاليا يسمون الرق (بفتح الراء) برجامينو Pergamino اي الفرغامي لان العرب نقلت الباء الفارسية الى الفاء لقرب المخرج كما قالوا في Platon افلاطون وهكذا . واما الاسم العربي فهو مأخوذ من ترقيق الجلد بعد دبغه .

اما العرب فبلادهم جرداء فقلاء فلم ينقشوا على الاحجار ، ولم يطبخوا الطين على النار ، ولم يهتدوا الى صناعة الترقيق . ولكن ذلك لم يكن حائلاً دون غرامهم بالكتابة والكتب . فكانوا قبل الاسلام في عصر النبوة يكتبون على عسيب النخل اي قحوف

(١) من محاضرة لاحد بك زكي احد الباحثين العالمين في مصر القاها في ناديه
 موعظي الحكومة في الاسكندرية في شهر رمضان الماضي

الجريد لكثرة هذه الشجرة المباركة في بلادهم . ويكتبون على الواح العظام (وكثيرها ناشئة عن ذبح الاضاحي) ويكتبون على نوع من الاججار المصقولة التي يلتقطونها من فيافيهم وبوادعهم .

وتقف بالكلام على العرب دون سواهم من الامم الاخرى . فانهم ما لبثوا في خلافة الصديق ومن جاء بعده من الخلفاء ، ان انتشروا في الارض فاخذوا على اهلها اساليب الحضارة . ثم احتاجوا الى التبسط في الكتابة ، لاتساع الملك واستبحار العمرات فكتبوا في العراق على الحرير وسموه بالمهراق . وكتبوا في مصر على البردي ولا تزال آثاره باقية في اوربا وبعضها في القاهرة في دار الكتب الخديوية . وكانوا يكتبون على هذا البردي باللغة العربية وحدها تارة ، ومصحوبة بالترجمة الرومية او القبطية تارة اخرى . ولا تزال هذه سنة مطردة في ديارنا ، اعني بها سنة الاحتياج الى لغتين مثال ذلك : الاجار واوراق البردي في عهد اليونان ، نراها مكتوبة بلغتهم وباللسان المصري القديم ، وفي عهد الرومان حل اللسان اللاتيني محل اليوناني . حتى جاء العرب فكان من شأنهم ماذكرنا . ثم انقضت مدة طويلة من ايام المؤمنين الى آخر الدولة الايوبية استقل فيها اللسان العربي . حتى جاءت دولتا المليك البحرية والجركية فاندجحت في اللغة العربية بعض الفاظ واصطلاحات دخيلة من التركية . ثم جاءت دولة العثمانيين فكانت السيادة في مصر للمالك الاتراك حينئذ طاب بحر اللغة التركية وصارت تراجم لغة البلاد . واستمر الحال على ذلك بعد جئوس الفرد الفذ العظيم « محمد علي » نابعة العصر الجديد الى ايام سعيد وبعد ذلك بدأت الفرنسية تحل قليلا قليلا محل التركية . وهاهي الآن تأخر في الميدان امام اللغة الانكليزية . والحق يقال ان لغة البلاد اخذت في الانتشاش كثيرا بفضل خديويتنا المحبوب عباس الثاني وبفضل حكومته الرشيدة السعيدة . وبفضل الحكام والجرائد وسميتون مما تليل حسنة جليلة من اكبر محاسن الحكومة الخائرة يرتفع بها منار هذا النسان وتنبذ معها آداب العرب وعلمهم .

نرجع الى الكتابة والكتب فنقول ان العرب ما عتموا ان اسـتخدموا الجلود بعد ترقيتها وكان من مزايها عندئذ انهم كانوا يغسلونها ويجددون الكتابة عليها . فأروا ان ذلك ان كان صالحا في بعض المعاملات الوقتية ففيه ضرر كبير على العلم كما رأوا من جهة اخرى ان الحرير يدعو الى مؤونة كبيرة مع ان الحاجة ماسة الى الاكثار منه ومن الرق بل رأوا في ايام هارون الرشيد انهم كانوا مقلدين لغيرهم من الامم وان ما وصلوا

الى من الحضارة والرجحان يوجب عليهم الاخذ باسباب الاختراع والاستنباط .
فكانوا اولا — من اصناف الورق على هذا الشكل الباقي الى ايامنا هذه وحسبهم ذلك
نخاراً . وقد سموه بالكاعد ^(١) ثم بالقرطاس ثم شاع اسم الورق وانتشرت معامل الورق
من الحفرة اي من الكهنة في سمرقند وبغداد والقاهرة ودمياط ثم انتقل الى بلاد الغرب
فكان لهذه الصناعة شأن كبير في بلاد الاندلس واشتهرت مدينة ساطبة بمعاملها
ومصنوعاتها التي فاقت في الجودة والاحسان والافتان واربت على ما بلغه اهل المشرق
من هذا الباب ومن شاذية كان الكاغد يحمل الى سائر بلاد الاندلس . ومن هناك
انقل الى افريقية (فرنسا) ثم الى بقية ديار اوربا وقد ابلغه القوم في هذه الايام الى
نهايات ما يحظر بالاحلام ونوا في ذلك بالجب العجاف حتى صاروا يصنعونه من
الاخشاب وانعدمت هذه الصناعة من ديار الشرق كلها انصارا على غيره فيها وفي غيرها
حينئذ توفرت عند العرب الاسباب المادية والعقلية فابدعوا في التصنيف واغروا
في التأليف وتهيأتوا الى جمع الكتب وتطلب ما يتوي في ذلك السلطان والسوقة والخاصة
والعاملة والرجال والنساء وجميع الطبقات حتى كثرت دور الكتب في القاهرة وامهات

(١) اما الكاغد فهو لفظ فارسي وقد كن هذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية
ايام العباسيين لان الفرس هم الذين رفعوا قواعدا وشادوا دعائمها وكان رجالهم هم
المديرون لامرها في اول قيامها ثم في ايام الخليفة السابع وهو المأمون بن هرون . وفي ايامه
اخذوا ايضا عن الروم علومهم ومعارفهم فنقلوا لفظة *Carta* اليونانية وعربوها وهي
بشيعة الجمع فقالوا قرطاس والغريب في هذا الموضوع ان ائمة اللغة نصوا على ان القرطاس
يقال بضم القاف او بكسرهما واجمعوا على ان الفتح لا يقل به احد . وهو امر غريب
فان الفتح اقرب على اللسان واقرّب الى الاصل . وهذه اللفظة عربيها المصريون في ايام
محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالوا خريطة محاكاة للتلفظ على الطريقة اليونانية
للدلالة على المنصورات الجغرافية التي يسميها ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بلوح
الرسم والتي ورد اسمها في بعض نسخ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشرىف الادريسي
هكذا (لوح الترسيم) وانا اظن كثيرا ان هذه اللفظة من تحريف النساخ او المساخ وان
صحتها بلوح الرسم كما رأيت في موسوعات ابن فضل التي ذكرتها لكم . ثم ان المتعربين في
اللغة حرفوا لفظة خريطة فقالوا خريطة وخرائط وما دروا ان ذلك الاسم موضوع لجمعية
الراعي ولكن قد كان ما كان

المدائن المصرية بدرجة لا تتصورها الآن لان بلادنا أصبحت خلواً منها بالمرّة لولا تلك الصياغة القليلة الباقية في دار الكتب الخديوية وفي الازهر الشريف تتلوها المكتبة الحديثة التي انشأها البلدية في الاسكندرية . اما البيوتات فقد أصبح عددها اقل من اصابع اليد الواحدة واولها بيت السادات يتلوه بيت البكري فيبت المرحوم رفاعة وعبد الله فكري . واما الافراد فقد قلبت النظر فلم ار غير المرحوم لطيف باشا سليم وبعده الفاضل احمد بك تيمور

وقد اردت ان اجري على هذا النوال وان كانت خطواتي صغيرة وبدي قصيرة ولكنني خشيت ان تذهب مجموعتي من بعدي للعطار والزيات والبقال او تنفرق شذرمذر كما حصل للمجموعة النفيسة التي كانت تزاد بها دار المرحوم علي مبارك باشا في حياته . لذلك جعلتها من الآن خاصة بالامة ولا ازال دائماً الى آخر ساعة من حياتي على توسيع نطاقها وزيادة فيها

اذا رجعنا بيصرنا الى التاريخ رأيتنا يحدثنا عن دور الكتب في القاهرة فتأخذنا لوعة لمجرد هذا الوصف ونبكي على ذهاب العين والاثار

فدور الكتب التي اسماها الفواطم يحدثنا المقريري عنها بما يثير الاشجان ويستعطر السمع من الآماق . فقد كان في قصر خلافة وحده اربعون خزانة كانت فيها النوارد والفخائر فاخذ معظمها بعض الموظفين وبعض الاجناد الاتراك بدل مرتباتهم في ايام الشدة التي وقعت للخليفة المستنصر

وقد نهبت عرب لواتة شيئاً كثيراً منها اغرب المقريري في وصفه ثم قال : ان عبيدهم واماءهم اخذوا جلودها يرسم عمل ما يلبسونه في ارجلهم واحرقوا ورقها تأولاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصاره وان فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار بلالاً باقية الى اليوم بناحية آثار تعرف بثلال الكتب

هذا عدا خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها احد وعدا خزائن دار العلم بالقاهرة « وهي ماثلة لما نسميه الآن اكاديميا او كما يقول صاحب كشف الظنون وابن ابي اصيبعة قبله : (اقاذيميا) » وسوى خزانة المارستان العتيق وقد بقيت الى ان بيعت في ايام صلاح الدين فاشتري للقاضي الفاضل وحده منها مائة الف كتاب مجلد واودعها في المدرسة التي انشأها بالقاهرة . وفضل القاضي الفاضل ومكانته في الدولة الايوبية

يدلان على انه اختار افضل الكتب واحسنها ولكنها ذهبت بها الايام ايضاً فان الغلاء لما وقع بارض مصر في سنة ٦٩٤ صار طلبة هذه المدرسة يبيعون كل مجلد برغيف من الخبز . وبقيت منها بقية تداولتها ايدى الفقهاء بالعارة فتفرقت وكان فيها مصحف اشتره القاضي الفاضل بنيف وثلاثين الف دينار على انه مصحف الخليفة عثمان وكان في خزانة مفردة له غربي المحراب . وهذا القاضي الفاضل كان يكتني الكتب من كل فن ويحتلها من كل جهة وله نسخ لا يفترقون ومجلدون لا يطلون . وقد بلغ مجموع كتبه قبل موته بعشرين سنة ١٢٤٠٠٠ مجلد طلب ابنه مرة ان يقرأ ديوان الحماسة وتوصل الى ذلك ببعض المقرئين لديه فامر الثاني القاضي الفاضل فاحضر له خازنه ٣٥ نسخة فصار ينفضها واحدة واحدة ويقول هذا بخط فلان وهذه بخط فلان حتى اتي على الجميع ثم قال: ليس عندي ما يصلح للصبيان وامر بشراء نسخة بدينار لولده وقد احضرت مجموعة رسائله في جملة ما احضرته من الكتب

وقد بقي بعض الكتب من آثار الفاطميين في مصر وزاد عليها المالك وجعلوها خزانة عمومية ولكنها احترقت في سنة ٦٩١ فثلف بها من الكتب في الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شي كثير جداً كان من ذخائر الملوك . والذي نجا من النار انتبه العلماء وابعوه بالبحس الاثمان فلما فر الناس منها بصحائف محروقة فيها نفائس غريبة

ولم تكن هذه المدرسة هي الوحيدة في القاهرة فقد كانت خزائن الكتب في المساجد والجامع والمدارس فضلاً عن القصور والمنازل . وحسبي الاشارة الى بعض المدارس التي امتازت بمجمع الكتب النادرة فمنها المدرسة التي انشأها بمصر القديمة في سنة ٦٥٤ الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا (بكسر الحاء المهمل) وتشديد النون المفتوحة كما ضبط الثقات من المؤرخين) فقد كانت فيها خزانة جليلة من الكتب النادرة ثم نقلها بقيت عنده حتى مات فتفرقت في ايدى الناس وكذلك الملك الظاهر يبرس البندقداري جعل في مدرسته الظاهرية خزانة كتب تشتمل على امهات الكتب في عامة العلوم

فلما تولى السلطان قلاوون جعل في قبة البديعة خزانة الكتب في جميع انواع العلوم ولكن معظمها تفرق في ايدي الناس واقتدى به ابنه محمد فانشأ خزانة كتب بمدرسته التي شادها بجوار هذه القبة في الجهة المعروفة الآن بالنحاسين

• وأما أسماء الأمراء والأفراد فهي كثيرة جداً مثل الأمير متكوثر سيف الدين الحسامي والحاج سيف الدين آل ملك والأمير سيف الدين الجاي والطواشي سابق الدين مثقال والطواشي سعد الدين بشير الحمدار • وأهم الكل الأمير جمال الدين محمود الاستادار

ولا انتقل من هذا الموضوع قبل أن أذكر لكم أن نساء مصر كان لهن مشاركة في هذه المأثرة وحصة كبيرة في الغرام بالكتب واكتفي الآن باسم الست عاشوراء بنت ساروج الاسدي وكانت عاتشة في أيام صلاح الدين والست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت الملك العادل الايوبي وكانت من فضليات اهل العلم واشتهرت بالبراعة في الفصاحة وفنون الادب والسيدة الجليلة الكبرى خوندتتر الحجازية بنت السلطان الناصر محمد بن قلاوون والست بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان والست ايديكين زوجة الامير سيف الدين بكجا الناصري

وقد يبدد الزمن آثار تلك السيدات الكريمات فلم اقف على كتاب من تلك الخزانة الكثيرة وظاية الامر ان في دار الكتب الاهلية بباريس تحت نمرة ٢٧٥١ كتاباً في علم تعبير الرؤيا وهو مرتب على حروف الهجاء بشكل معجم ومكتوب سنة ٨٣٣ هجرية برسم خزانة اميرة من اميرات مصر (احدى البرنسات) وهي بنت السلطان الملك الظاهر جقمق

• كان هذا الغرام عاماً في مصر وفي جميع بلاد الشرق • وخصوصاً في الممالك الخاضعة لصولجان صاحب التاج في القاهرة • التي كانت عاصمة للإمبراطورية المصرية • والشواهد كثيرة على هذا الولوع وحسبي أن أذكر لكم اسماً واحداً من باب التذليل • وهو ابو الفدا سلطان حماد وصاحب التاريخ المشهور بالمختصر في اخبار البشر وصاحب الجغرافيا المسماة بتقويم البلدان الذي طبع وترجم في باريس تد جمع في خزائنه من الكتب ما لا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمجتمين والفلاسفة والكتبة

ولو اردت أن استقصي ما اعرفه عن الكتب وغرام المولعين بها أيام كانت الحضارة الاسلامية زاهية زاهرة لطال المقام ولم تكفي الايام لتلوها الايام وقبل الختام اذكر لكم قضية وقعت بمصر وهي من اغرب غرائب طرقت سجلات القضاء

وقفت على كتاب اسمه كنز الدرر وجامع العبر لابي بكر بن عبدالله بن اييك الموادار وهو في تسعة اجزاء ثلثها بمكتبة ايا صوفيا والثلث الباقي بمكتبة طوب قبو بالقسطنطينية وهو في تاريخ مصر وفيه تفصيل غريب وبيان واف لانواه في التواريخ التي وقعت اليانا . وليس هذا محل الشرح عن هذا السفر الجامع النافع . وقد كانت هذا الكتاب موقوفاً على احدى المدارس بالقاهرة فاغتصبه بعض الاكابر . واقفه على مدرسته وفقاً صحيحاً شرعياً مرعياً فقيمت عليه قضية . بمجلس الحكم وحصلت المرافعة والمدافعة ثم اصدر القضاة حكمهم بطلان الوقف الثاني واعادة الكتاب الى مقره الاول باسم واقفه الاول . وتد قفت الايام ببطلان هذين الوقفين وبانقسام الكتاب الى شطرين في خزانتين ولكن في غير مصر

ان العرب في اجتماع اهل الفضل والعلم في دور الكتب كانوا مقلدين لليونانيين في ائنة والرومانيين في رومية وكل منهما قد نهج على سنة اجدادنا المصريين

اول من مدح الكتب على ما انبأنا به التاريخ الصحيح هو اول من اسس داراً خصوصية بديار مصر وجعل منفعتها عمومية

انا لا اجاري بعض الغلاة من العرب ومن اربى عليهم من انتهوسين المالميين الذين قالوا بوجود دور الكتب قبل حدوث الطوفان واخذوا بتصيدون الافاويل من هنا ومن هناك ويقيمون الدلائل على غير ظائل محتجبين على ذلك بتعليم آدم الاسماء والاعمدة التي تشبه ايث وبالصحف التي نزلت على ادريس ويكفيانا ان نتفق بما هو وراء ذلك وهو تدبير بل قدوس حتى لا نخوض بحور الخيال ونهيم في اودية الاوهام . حينئذ ان نرجع الى ما هو قبل اليوم بأكثر من ٣٢٠٠ سنة فهناك نصل الى التاريخ الثابت المنقوش على الاحجار وهو مما لا جدال فيه ولا مرأ . فتناك الاخلال الماثلة الى الآن في سعيد مصر تنطق باللسان غير وظيفي . بين وتقول ان اوسماندياس فرعون مصر الذي ماله اليونان سيزوستريس ورمسيس الثاني هو اول من اسس دار الكتب في مدينة حية بالسميد وهو اول من مدح الكتب بعبارة وصلت اليانا . وذلك انه نقش على باب تلك المناركتين اثنتين جعلهما رمزاً عليها وتلخيصاً لكل انبياءها

﴿ شفاء الارواح ﴾

وعمرى ان هاتين الكلمتين هما ابلغ من كل ما بادرت به القرائع بعده في شرق البلاد وغربها وما هو مأثور عن عجم الام وعربها

وعن المصريين اقتبس اليونان علومهم ومعارفهم ونظاماتهم ولكنهم لما جاء الدور لهم لم يتيسر لهم انشاء مكتبة عمومية الا بعد الفرعون المصري بربوات من السنين لانتقل عن الخمسة القرون وذلك ان طاعية بيسترات هو اول من احدث بمدينة اثينس (أي اثينا) داراً من هذا القبيل لاستفادة الخاص والعام وكان ذلك قبل القرن السادس للميلاد وجمع فيها اشعار اوميروس بعد ان تلقفها من افواه الرواة كما كان شأن العرب من بعده باثني عشر قرناً في ايام بني امية وبني العباس . وما لبثت هذه البور ان انتشرت بارض اليونان كما يشهد بذلك بيت قاله شاعرهم ارسطوفان

وفي يد كل انسان كتاب يلتقنه افانين العلوم

وتولع اليونان بجمع الكتب والحث عليها لدرجة لاتكاد تكون محمودة : دخل حاكم الى مدرسة النحوبائينا فطلب من الاساذ نسخة من ديوان اوميروس . فاعلمه المعلم بعدم وجودها فما كان من الحاكم في هذا الاهل الا ان صفعه وخرجه . ثم تهوس القوم بجمع الكتب من غير استفادة او افادة حتى رأى اديبه لوسيان الشميشاطي ان يكتب رسالة باليفة في هجو رجل جمع من الكتب طائفة وفيرة لمجرد الاشتهار بانه جماع للكتب . قال ذلك الاديب مخاطب ذلك المذموم بما ترجمته

« في وسعك ان تعبر الكتب لغيتك فتكسب اجراً وفيراً ولكن ليس في طاقتك ان تستفيد منها فتيلاً ولا قطعياً . على انك ما اعرت منها احداً شيئاً مذكوراً فكان مثلك كالكلاب التي تنام في اسطبل الدواب فهي لاتقدر على اكل ما فيه من الشعير ولكنها تمنع منها الخيل وهي قديرة على الانتفاع باكله »

ولو تأخر هذا الاديب المجيد لخر ساجداً اذا سمع قول الكتاب المجيد « مثلهم كالحمار يحمل اسفاراً » فانظروا بارعاًكم الله الى حسن الديباجة والى هاتيك الاجادة : واما قول لوسيان فما اشبهه بقول الجاحظ ولكن في ذم الخصيان ولا ازيد على هذا البيان بغير الاشارة عليكم بمراجعة كتاب الحيوان واليكم مثلاً مما قاله العرب في ذم من يجمع الكتب وهو لا يدري بما فيها

زوامل للاخبار لاعلم عندهم بحجدها الا كعلم الاباعر

لعمركم ما يدري البعير اذا غدا باحماله او راح مافي الغرائر

فلما جاء دور الرومان انشأ الامبراطور يوليان المنبوز بالمرتد وفي كتب العرب بالمرق

دار كتب في القسطنطينية واراد ان يتشبه بفرعون مصر ولكنه لم يبلغ شأوه فكتب علي بابها هذه العبارة .

« لبعض الناس صباة باخيل وبعضهم ولع بالطير ولاخرين غرام بالوحش واما انا فقد تدلمت منذ نعومة اظفاري بسرائر الكتب واقتنائها »

ومما امتازت به مدينة القسطنطينية انها في ايام النصرانية حفظت في كنائسها علوم الاقدمين حتى جاء العرب فاستفادوا منها ونشروها من قبورها وكان لهم بهذه الوسيلة القدح المعلي في ترقية الحضارة وبني الانسان وكذلك امتازت في ايام الاسلام بحفظ ما جادت به قرائح العرب الكرام في مساجدها وما علينا سوى اقتفاء اثرهم واتباع سنتهم . وقد فتحت لكم الباب وحسي ذلك نغراً

جاء العرب في ايام العباسيين فانتمت اليهم كلمة عن سقراط فكانت محرقة لعزائمهم وجعلتهم ائمة الامم وقادة الافكار

قيل لهذا الفيلسوف : اما تحشى علي غينيك من ادامة النظر في الكتب فقال : اذا سلمت البصيرة لم احفل بسقام البصر

وفي هذا المقام لا يصح اغفال ذكر المأمون فهو اول من اسس دار كتب عامة في الاسلام وسماها بيت الحكمة كما انه اول من اسس مجمعا للعلوم (اقاذيميا) ومياه دار العلم . هذا فضلا عن خزانه كتبه الخصوصية التي يروي لنا عنها ابن النديم كل معجب ومطرب

كان بمدينة الاسكندرية حاكم يسمى خليل ابن شاهين الظاهري اشتهر بتأليفين احدهما في عالم اليقظة والآخر في عالم المنام فاما الاول فهو كتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ثم اختصره وسماه زبدة كشف الممالك وهو كتاب مفيد في وصف بلادنا واعمالها ودواوينها ووظائفها ونظاماتها وغير ذلك من محاسن هذه المملكة مع سرد ابيات مما نظمهم بعض ملوكها وسلطانيتها الى غير ذاك من النوادر والقوائد ولا حاجة لي بان اقول لكم انه لا يوجد من هذا الاثر النفيس ولا نسخة واحدة مخطوطة بديار مصر كلها وهي وطن مؤلفه بل هي موضوعه ومدار مباحثه .

اما الكتاب الثاني فقد سماه « الاشارات في علم العبارات » والعبارة هي تعبير الروايات وتفسير الاحلام واسم العلم بالفرنسوية مأخوذ عن اليونانية

قال صاحب كشف الظنون : « كانت العرب في صدر الاسلام لاتعتني بشي من العلوم الا بلغتها ومعرفة احكام شريعتهما وبصناعة الطب فانها كانت موجودة عند افراد منهم لحاجة الناس طراً اليها . وذلك منهم صوتاً لقواعد الاسلام وعقائد اهله عن تطرق الخلل من علوم الاوائل قبل الرسوخ والاحكام » واقول ان الشارع هو الذي دعاهم الى تقييد العلم على اطلاقه فقد جاء في الحديث الشريف :

العلم صيد والكتابة قيد . قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة

اخذ الشاعر قول الشارع فصاعاً في بيت سائر ونظم بارع

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالجمال الواثقه

ثم مدحوا الكتب كما مدحها فرعون مصر وقياصرة الروم من قبلهم فقال العتابي

وهو من اجلاء عصر الامين والمأمون

لنا ندماء لانمل حديثهم	امينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ماضى	ورأياً وتأديباً وامراً مسددا
بلا علة تحشى ولا خوف ريبة	ولا نتقي منهم بتاناً ولا يدا
فان قلت هم احياء لست بكاذب	وان قلت هم موتى فليست مفندا

ومدحها ابن طباطبا العلوي

لله اخوان افادوا مفخرا	فبوصلهم ووفائهم انكسر
هم ناطقون بغير اللمة تركه	ثم فاحصون عن السرائر تضرع
ان ابغ من عرب ومن عجم معاً	علماً مضى فيه الدفاتر تحير
حتى كآني شاهد لزمانها	ولقد مضت من دون ذلك اعصر
خطباء ان ابغ الخطابة يرتقوا	كفي كفي الدفاتر منير
كم قد بلوت بهما الرجال وانما	عقل الفتى بكتاب علم يسير
كم قد شربت بها جليساً مبرماً	لا يستطيع له الهزيمة عسير

وهو ينظر بقوله الآخر الى جواب الجالينوس فقد قيل له : لم كان الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل فقال لان ثقله على القلب دون الجوارح ، والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه

وفي ذلك المعنى الذي اشار اليه ابن طباطبا وهو في مصر قول لمونتسكيو (ابن

خلدون فرنسا) وهو في باريس قال ماترجمته : ماحل بي جيش الهدوم الا بد
بساعة واحدة من القراءة

ومدح العرب للكتب كثير جداً اكتفى منه بكلمة واحدة منشورة : اهدى بعد
الكتاب الى صديق له دقيراً وكتب اليه : هديتي هذه اعزك الله تزكو نلى الافة
وتربو على الكد . لا تفسدها العواري ولا تخلفها كثرة التقلب . وهي انس في الا
والنهار والسفر والخضر وتصلح للدنيا والآخرة . وتؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة
مسامر مطواع ونديم صديق .

وقال آخر : الكتب بساتين العلماء

ولكن كل هذه الاقوال وما شابهها مما نرويه عن المتقدمين والمتأخرين لاتعنا
الكلمتين اللتين قالهما فرعون مصر عن الكتب
شفاه الارواح

ولقد قام رجل من مشاهير الانكليز في اوائل القرن التاسع عشر وهو بلوريش
فاشار بمطالعة الكتب لازالة انواع الامراض قال ماخلاصته : لقد اختلف في ضمير
ان انظم دور الكتب لكي نسق جديد مفيد فبدلاً من ان يكون مكتوباً على الخوا
والعوايب والرفوف هذه الكلمات . لغة . علوم طبيعية . فن القريض ونحو ذلك اذ
باستبدال هذه الكلمات بأسماء الامراض التي تنشب الجسم والروح مما يمكن مداوا
بأدوية الموجودة فيها من داء النقطة الى اخف النزلات فهذا النوع الاخير من
الاستقاء يصلح له قراءة الكتب الخزلية مع منقوع الاعبر في قليل من اللبن الحليب
فاذا غشي النفس من الحمى التي يمكن ازالتها مثل عدم تحقق الاماني او معاكه
الاخو ان مماندة الزمان في هذه الحال يحسن بالمصاب ان يتلو تراجم الاعيان والافر
فيتسلى بما احياهم من البلايا ويزول مرضه باذن الله . فاذا ما علم الموم وعم الغم فالروايد
انجع دواء لهذا السقم . ولكن اذا حلت بالانسان مصيبة فادحة وجب عليه ان
يشترق كل عقله ولبه وقلبه في عمل من الاعمال الخيرية التي تجعله ينسى نفسه
وما حل به من الازراء

واستشهد المستنيط لهذا الطب الجديد العريب بما حل بشاعر الالماني (جيته
فانه حينما مات ولده تفرغ لدراسة علم جديد وقيل انه اكل فصول بعض روايات
البديعة فجات في نهاية البلاغة والاعجاز

فانظروا الآن الى ماصنعه الاسكندر الاكبر حينما هنرم دارا ملك الفرس فانه ظفر في جملة التنايم الملكية بصندوق بديع الصنعة فقال للمقربين اليه : لاي شيء يصلح هذا الصندوق ؟ فاجاب كل منهم بما رآه . ولكن سيد الفاتحين لم يعجبه قولهم وقال انما يليق هذا الصندوق لحفظ اليادة اوميروس

وفي ايام الاسلام ظفر الحجاج بن يوسف عامل بني مروان بصندوق عجيب من ذخائر الفرس فامر بفتحها فوجدوا صندوقاً آخر ففتحوا فوجدوا صندوقاً آخر ثم رابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً فقال الامير : لعل فيه حماة من حماقات الفرس . ففتحوا واذا فيه بطاقة مكتوب عليها هذه العبارة : من مشط لحيته في كل يوم طالت : ونحن لم نخرج عن الموضوع لان هذه الوصية كانت مكتوبة على قطعة من الحرير وانني اقلب الطرف يمنة وشمالاً فلا اجد من اوصيه بها لنخبرنا بصحتها بعد العمل بها

ولا يخفى عليكم ان عرب الشرق هم الذين احيوا علوم العرب ونشروها وهاهم يحجم الغرب يعملون على هذه السنة الآن في المانيا وفرنسا واكتلرا وايطاليا وروسيا واسبانيا والروسيا وسائر بلاد اوربا واميركا ولا امل لي الا ان ارى اهل مصر يشاركونهم فهم احق بتراث اجدادهم ولا يكون ذلك ولن يكون الا بالعناية بالكتب

هل اتاكم حديث فرنسا وناهيكم بها في العلم والحضارة والعرفان ؟

انبا مدينة لمصر الاسلامية بدتين عظيمين في انشاء دور الكتب العمومية اولها يرجع الى ايام الحروب الصليبية . فان الملك القديس لويس وهو التاسع بهذا الاسم شن الغارة على مصر في اول دولة الممالك البحرية ثم عاد ادراجها مهزوماً ولكنه رجع ظافراً بفكرة حميدة ومأثرة جميلة . وهي انه اقتبس عن اجدادنا فكرة جمع الكتب بعضها مع بعض في دار واحدة وفتحها في وجه الجمهور لينتفع بها الخاصة والعامة اترك الكلام لكاتب سيرته وامامه في صلواته فتد قال ما خلاصته :

« ان الملك التقي الورع القديس لويس وصل الى سمعه وهو فيا وراء البحار ان سلطانتان من سلاطين الشرقيين يبذل عنايته في البحث عن الكتب المختلفة الانواع وفي استنساخها على نفقته ثم يضعها في دار عمومية ليسفيد من مراجعتها علماء بلاده فانه كان يجعل هذه الجوامع تحت تصرف جميع الطالبين . فاراد القديس لويس ان يتشبه بهذا السلطان وعزم على بذل المال بمجرد عودته الى فرنسا لتسخ الاسفار النافعة

وصحاح الكتب المقدسة التي بئأى له العثور عليها في الادبار ليتمكن هو ورعاياه العاكفون على علوم الادب من درسها وحرثها للانفعا بها وافادة الجار والقريب بمعارفهم وقد انجز هذا القصد فامر باعداد مكان لائق امين في باريس جمع فيه كثيراً من تصانيف القديس اغسطينوس وامبرواز وجيروم وغريغوار وبقية ائمة المذهب الارثوذكسي . وكان يذهب في اوقات الفراغ للقراءة في هذا المكان ويسمح لغيره عن طيبة خاطر بمشاركته في مناجاة الموءلفين . وكان يوترأستساخ الكتب على شراء اصولها لان ذلك في رأيه من شأنه ان يزيد في عدد الكتب المقدسة ويجعلها اكثر فائدة . وكان حينما يقرأ في تلك الكتب بمحضر من خدمه وحشمه الذين لا يفهمون اللاطينية يترجم لهم بالفرنسية ما لا يدركونه من العبارات »

غير انه في آخر عمره اصابه دخل في عقله فبدد شمل تلك المجموعة وامر في وصيته بتوزيع الباقي على الادبار

واما الدين الثاني الذي لنا على فرنسا فيرجع الى عهد قريب منا وبيان ذلك ان القائد بونابرت عند هجمته على مصر في فجر القرن الماضي على التاريخ الميلادي نهب كثيراً من بقايا الكتب النفيسة التي كان اجدادنا اخفوها او وجدوها بعد الفتح العثماني . وكل من ذهب الى باريس واطلع على فهرس دار الكتب الاهلية فيها يأخذ العجب العجائب ان لم تساوره الاشجان والاحزان . فلقد اصبحنا اذا احتجنا الى شيء من مؤلفات المصريين الخاصة بمصر لانرى منها شيئاً في بلادنا ولا بد لنا من الرحلة والتغرب لسطبها في بلاد الغرب

ولقد ادرك محمد علي ذلك عند ما اراد ان يجدد العلم في ربوع مصر فارسل نفراً من نابغي الازهر الشريف فعادوا وافادوا جدد الله عهدهم . ورافع رايتهم هو المرحوم رفاعة بك فطالما انشأ واشتد رصنف والف وترجم وعرب وكنا عيال عليه وعلى اولاده اعلموا ان للعرب وللاسلام سرّاً عجيباً في تاريخ الحضارة والعمران . فالعرب اينما حلوا انتشرت لغتهم قليلاً قليلاً ثم سادت رويداً رويداً ثم انتهت امرها بالانفراد والاستقلال . كذلك الاسلام اينما انتشرت رايته استهوى العقول والالباب . ولكن الغريب ان العجم هم الذين ينشرون علوم العرب ودين العرب حتى لقد قال الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك : « عجبت لهذه الاعاجم ملكت الدهر فلم تنجح الى العرب وملك العرب فلم تستغن عنهم » وماذا كان يقول هذا الخليفة ودولته أموية عربية

محضة : وماذا كان يقول لعاش حتى رأى عصر العباسيين او لوبعث من قبره هذه الايام ورأى حاجة العرب الى الاعاجم في كل شيء من مرافق الحياة وحاجتهم اليهم حتى في احياء آثارهم واثافت على اقتناء آثارهم
ماذا كان يقول لو علم بالقصة الآتية ؟

تعلون ان الثثار هم الذين خربوا دولة العرب ودكرو معالم الاسلام ومع ذلك فمن اغرب الغرائب واعجب العجائب انهم مالبثوا ان دانوا بدين العرب المغلوبين وتشبهوا بملوكهم البائدين في احياء العلوم وتوسيع نطاق العمران . سر من اسرار الطبيعة لانواه الا في شؤون العرب ومعارفهم . فبعد ان هلك هلاكو وبعد ان مارت الارض بتيور فادخلته في تاملورها جاء احفادها فدخلوا في دين الله افواجهم واقوا بهم وارتفع بهم مناره في بلاد آسيا الوسطى وفي بلاد الهند الى اوائل الجليل المائي ومن اشهرهم في العلم والعلماء الغ بك واسمه محمد بن شاهر روخ اعتنى هذا الرجل بعلم الفلك والف فيه زيجاً باللغة الفارسية ترجمه الى العربية بعض افاضل المصريين والترجمة في خزني بصرو جمع هذا الرجل خزانة من الكتب النفيسة رأيت من بعض بناباها كتاب الصور السائية لعبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي ويسمى بالي الحنين ويعرف بكتاب صور الكواكب وبكتاب الكواكب الثابتة وهو الذي اريد ان احدثكم عنه في هذه الساعة

هذا الكتاب لا ابالغ في فضله ولا اذكر شيئاً من محاسنه وانما اقول لكم ان الروس عرفوا قدره فطبعوه في بلادهم ثم اوعزوا الى احد علماء الفرنسيين فترجمه الى اللغة الفرنسية وطبعوا هذه الترجمة ايضاً في بطرسبرج . وهذا الصنيع المزدوج يدلكم على فضل الكتاب وفائدة . واذا بحثتم في ارض مصر من التلال الى الاشاييم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد اس طاقية الاختفاء وظاير في الفضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيا وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لمراجعته وجب عليهم ان يتلقوا احدى هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استنفر الله بل ستاً لان السادسة هي التي سأحكم عليها . في سنة ١٨٩١ عثر يوسف بك خلاط على نسخة ملوكية

من هذا الكتاب مكتوبة على ورق الحرير بالوان مخالفة بالنسخ والثالث وقد بلغ الكتاب فيهما نهاية الاجادة والانتقال وازدانت بصور ملونة باهية يتدفق فيها الذهب واللازورد على احسن شكل واجمل مثال .

وفوق هذه المزايا التي تجعل للنسخة قيمة يتنافس فيها المتنافسون ويتعشقها العارفون فانها حوت اثرأ آخر يزيدها قيمة لدى اهل الدراية . ولكن اين هم في ديارنا وذلك انها مكتوبة برسم خزانة الملك العالم المؤلف (الغ بك) وعليها اسمه بخطه فصارت بذلك نادرة النادر وذخيرة الدخائر .

عرضها يوسف بك على دار الكتب اخذ بوقية فقومتها اني لاسمعي من ذكر القيمة ولكن اقولها لكم تعلموا مقدار تفریطنا . قومتها بخمسة عشر جنيهاً مصرياً . وظننت ان ذلك شيء كبير . وكيف لا وهذا المبلغ يساوي الى الالف ونصف الالف من القروش او خمسة عشر الف مليم : توجه صاحب الجوهرة الى الغازي مختار باشا فزاده الربع . توجه الى الارسالية العلمية الفرنسية بالقاهرة الكائنة الآن بجوار دار ناظر المعارف الحالي فضاغت له الثمن اربع مرات ووعدته فوق هذه المساومة بوسام المجمع العلمي الفرنسي . فقبض اثنانين جنيهاً ولا ادري اذا كان احرز النشان ولكنه اشترط ان يكتب اسمه ببنائه على تلك النسخة فقبل القوم شرطه وارسل الكتاب الى باريس تكميلاً لنصف الدسمة واصبحت نسخهم ستاً .

روى صاحب كتاب الفهرست ان ابا زكريا يحيى بن عدي النصراني المتوفي ببغداد سنة ٣٦٤ قال انه رأى في تركة ابراهيم بن عبد الله النافل النصراني كتاب السماع الطبيعى كله وكتاب البرهان لأرسطو مشروحين بتلم الاسكندر الافروديسي وعندى قطعة واحدة من (كتاب البرهان) وانهما عرضا عليه بمائة دينار وعشرين ديناراً ففضى يحمّل في الدنانير ثم ناد فامسأب القوم قد باعوا الشرطين في جملة كتب على رجل خراساني (اعجمي من الفرس) بثلاثة آلاف دينار وكانت هذه الكتب مما يحمل في الكم

قل القاضي الاكرم الوزير القفطلي المصري بهذه المناسبة في كتابه المترجم بترجم الحكماء المطبوع في لبيك من اعمال المانيا مانص :
« فأنذر الى شمة الناس في تحصيل الحرام والاجتهاد في حفظها والله لو حضرت هذه

الكتب المشار اليها في زمننا هذا وعرضت على مدعي علمها ما ادوا فيها عشر معشار

ماذكر» وما ذا كان يقول لوسمع الحكاية التي رويتها لكم عن كتاب الصوفي . نعم ان الخراساني اشترى الكتب بثلاثين ضِعْفًا واما الفرنسيون فاشترتوا كتاب الصوفي باربعة اضعاف لانهم لم يجدوا في مصر من يراهم كما جرى في بغداد
واقول لكم ان يحيى بن عدي النصراني المذكور كان من اكبر المؤلفين والمترجمين ومحققى الفلاسفة وكان من المغربين بجمع الكتب ونسخها بيده وكان اوحد دهره ومذهبه من مذاهب النصراني يعقوبية . رآه ابن النديم في سوق الوراقين فعاتبه على كثرة نسخه فقال : « من اي شيء تعجب في هذا الوقت . من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولهمدي بنفسي وانا اكتب في اليوم واللييلة مائة ورقة . »

ونحن نعلم ان النويري المصري صاحب كتاب نهاية الارب في فنون الادب كان يكتب في اليوم واللييلة ثلاثة كراريس اي ستين ورقة . فلم يبلغ شأو هذا المتقدم مع ان جميع المؤرخين يعجبون بابن وطناء الذي سترون اثره الجامع لكل العلوم والمعارف في السنة المقبلة ان شاء الله

كل هذه الاعمال وهي قطرة من بحر تدلكم على مقدار الغرام بالكتب وانه اذا استولى على العقل فلا يجد المدنف العاشت لفة في شيء آخر . وهذا الزنار ليس قاصرا على الشرق او على الغرب بل هو داء مستحكم في نفوس الناس على اختلاف الاوطان والاديان والاجناس

نرجع الى ذكر السرقات في الكتب واروي لكم حادثتين وقعت احدهما لرجل من افاضل الاسكندرية وكان للثانية شأن كبير بالجامع الازهر في القاهرة
فمن الرجال الذين يحق للاسكندرية ان تفتخر بانها انجبتهم ابو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي الجفرافي الف كتابا فيما اختلف واثلف من اسماء البقاع وقد ضبطه وافنى في تحصيله وتحقيقه عمره فاحسن فيه كل الاحسان فجاء ابو بكر زين الدين محمد بن موسى الهمداني المشهور بالخازمي المتوفى سنة ٥٨٤ فسطا عليه برزته وادعاه واستجمل الرواة فرواه به على ذلك ياقوت الحموي في صدر معجم البلدان بقوله « . ولقد كنت عند وقوفي على كتابه ارفع قدره من علمه وارى ان مرماه بقصر عن سهمه الى ان كشف الله من خبيثته ونحس الحض عن زبدته » اقول انه رغمًا عن هذا التنبيه مازال الكتاب مشهوراً باسم السارق فان صاحب كشف الظنون لم يذكر

غيره وسماه كتاب ما اتفق لفظه واختلف سماه في الاماكن والبلدان المشبهة في الخط .
وعلى كل حال فالكتاب لم يصل الينا

واما الحادثة الثانية فقد وقعت بالقاهرة في ختام القرن التاسع للهجرة . وذلك ان
الامام شهاب الدين ابا العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ الف
في السيرة النبوية كتابه المشهور المتداول بيننا الآن وهو « المواهب اللدنية بالمنح
المحمدية » فمراعه بعد ان فرغ من تبليغه في سنة ٨٩٩ الا وقد رفع جلال الدين
السيوطي دعوى عليه امام شيخ الاسلام زكريا الانصاري . وهالك بعض ماورد في
صحيفة الدعوى « انه يسرق من كتبه ويستمد منها وينسب النقل الى نفسه » طالبه
شيخ الاسلام ببيان ما ادعاه . فقال انه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات فلينكر انه
نقله عنه . ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله وكان الواجب عليه ان يقول نقل
السيوطي عنه

ماذا كانت النتيجة ؟ انظروا واعجبوا

صدر الحكم على القسطلاني بالترضية اللازمة للسيوطي وازالة ما في خاطره
كيف كان التنفيذ ؟

مشى القسطلاني من القاهرة الى الروضة (جزيرة المنيل) وكان السيوطي معتزلا
عن الناس بها فوصل الى باب ودقه فقبل له من انت ؟ فقال انا القسطلاني جئت اليك
خافياً ليطلب خاطرك . فقال له : قد طاب . ولم يفتح له الباب

فأين اين ذلك الزمان مما نحن فيه الآن ؟ افرايتم لورفع المجني عليهم قضاياهم من
هذا القبيل على السارقين الذين فاقوا القسطلاني قولوا لي بربكم هل كانت تكفيها
الحاكم الشريعة والبطريركية والاهلية والمختلطة والنفصيلة ولجان النفي الاداري ؟
لعمري ان تجار الاحذية كانوا يفلسون كلهم في يوم واحد لو اقتدى السراق بما
فعله القسطلاني !! ولكن التبجح وانتهاك الحرمات وصلا في زماننا الى درجة لامزيد
عليها خصوصاً وان انتشار الطباعة ساعد على نمو هذا الطبع

وتلك الصناعة قد كان لها اصل عند العرب في مصر والاندلس وان كان الاثر
الناطق بذلك قد ذهب من بلادنا ولكن الافرنج حفظوه لنا اناهم الله عنا خير الثواب
ووقفنا الى اقتفاء خطواتهم في النافع بدلا من تهاكنا على تقليدكم في كل ضار

اخبرني الاستاذ الفاضل حفي بك ناصف انه رأى خشبة محفوظة بمكتبة ويثا

عاصمة النمسا في جملة ما ازدادت به من آثار العرب وثمرات عتولهم وهذه الخشبة منقوشة عليها بالتجويد كتابة عربية مقلوبة على الطريقة المألوفة في اصطناع الاختم ولها كلك مستعملة لطبع الاوامر العسكرية وتوزعها على الجنود كما هو الشأن في ايامنا هذه في «الغازات العسكرية» وذلك يستفاد من العبارات المنقوشة عليها وهذه الخشبة يرجع عهدا للفواطم وربما نشر صورتها عن قريب بعض علماء المستشرقين فتكون برهاناً على تولد هذا الفن بديار مصر

واما الاندلس فقد ترفت الى ما وراء هذه الخطوة الاولى فقد كان للاندلس في

هذا الباب ثلاث خطوات

الاولى انهم قلدوا مصر في عهد الفواطم ولكن اثرهم لا يزال باقياً في ديارهم وما انا اطرفكم بصورة فتوغرافية منه كهديّة للعبد السعيد وهي صورة الطابع الذي كان يستعمله اهل الاندلس في مدينة المرية عثروا عليه في اطلالها وخرائبها وهو مصنوع من الخشب والكتابة التي عليه تدل على انه كان مستعملاً في قيسارية المرية ولقطة قيسارية تدل على السوق ولا تزال مستعملة بهذا المعنى في القاهرة وفي كثير من مدائن الشرق واصلاً مشتمل من اسم قيصر كما انه اسم موضوع للدلالة على مدائن كثيرة بآسيا الصغرى منسوبة الى قيصر ولا شك ان هذا الطابع كان مستعملاً بصفة الدفعة (التمعة) التي كانت مستعملة في مصر الى عهد قريب لوضعها على الاقمشة والزرايط في نظير تأدية الرسوم المطلوبة لخزينة الحكومة

كذلك كان ذلك الطابع يوضع على الاقنعة والطرود التي يجب دفع الرسوم عليها قبل دخولها الى السوق اي القيسارية في تلك المدينة مدينة المرية كما يستفاد من الكلمات المكتوبة فيه وهي:

واما الخطوة الثانية فهي ان الاشراف على دار الطباعة كانت من خطط الدولة . بدلكم على ذلك النص العربي الذي به اليه العلامة جايانبرس الاسباني وهذا النص وارد في كتاب (الحلل السيرا) لابن البار الاندلسي المشهور وقد طبع العلامة دوزي الهولاندي قطعة وافرة من هذا الكتاب الثمين في مدينة ليدن من سنة ١٨٤٧ الى ١٨٥١ . وانتم تعلمون ان ابن البار هو الذي ارسله صاحب الاندلس ليستجد بصاحب تونس . وهو ذلك الرسول الذي وقف بجحزة ملك تونس وانشده تلك القصيدة الطنانة الزانة التي تستفز الجبان وبلين لها قلب الجماد . قال في مطلعها :

ادرك بخيالك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

ومحل الشاهد ان ابن الابار يقول في كتابه المذكور ان عبد الرحمن الناصر الخليفة الاكبر (ولى بدر بن احمد الوزارة والحجابة والقيادة والخليل والبردد وكان ينفرد اي بدر) بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يعثها للطابع فتبايع وتخرج اليه فتبث العمال وينفذون على يديه . نعم ان هذا النص سقيم ويحتاج الى تقويم ولا بد من مراجعة الاصل ونقوبته بنصوص اخرى . وربما كان المراد وضع الطابع عليها . ولكن هذا الغرض بعيد لان الطابع على ما نفهم لا يصح وجوده بيد غير الوزير كما هو معهود في الدول الاسلامية حتى الى الآن في الباب العالي . والظاهر ان ذلك يشير الى اخراج نسخ متعددة من مطبعة حجرية لتبليغها الى اهل الولايات ورؤوس الواحات

اما الخطوة الثالثة النهائية فلنا عليها دليل مما اورده لسان الدين ابن الخطيب في كتابه المنرج بالاحاطة في اخبار غرناطة قال في ترجمة الشيخ ابي بكر القدسي مانصه :

والف كتاب الدرة المكنونة في محاسن اسبطون، والف تأليفاً حسناً في ترحيل الشمس ومتوسطات البحر ومعرفة الاوقات بالاقدام ونظم ارجوزة في شرح ملاحن ابن دويدار وارجوزة في شرح كتاب الفصح ورفع الوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه)

هذه العبارة اكتشفها اثنان من علماء الافرنج تمكننا منها بشرح طويل في جرنال آسيا سنة ١٨٥٢ فأنتم ترون فضل عجم اوربا في البحث والتفتيق عن مآثر العرب . نعم انهما ارادا تصحيح العبارة العربية من حيث استقامة الكلام وتصورا ان فيها بعض الالتباس والاهام . فأخذ احدها يصحح الجملة الاخيرة بما ليس له محل من الاعراب فقال (كتاب باقي خواص وصنعة وآلة طبع الكتب كتاباً غريباً في معناه) ولا يصح اما بان نهزأ بهم بسبب هذا التصحيح العليل السقيم ومافاته من الاعراض اما الجوهر فهو انهما اكتشفا هذا البرهان الدال على ان هذه الصناعة وجدت في ايام العرب ولو من باب النظريات العلمية اذ لم تجد لها الاثر عملياً عموساً ومن المعلوم ان الامدة (جمع مداد) تحتاج لتركيب مخصوص لكي تخرج منها نسخاً متعددة فلذلك كان المؤلف الاندلسي بين صنعتها وبين طبع الكتاب . ولما كان هذا الاستنباط البديع الغريب لم يسبق له مثال بالاندلس رأى صاحب الاحاطة وجوب التنبيه على فضل الكتاب فقال: غريب في معناه

فأين ابن ذلك الكتاب الذي الفه القديسي ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بأنه غريب في معناه

لاشك انه ذهب طعمة للنار حيثما عثت كلمة الاسبانيين وطرردوا المسلمين من تلك الديار فانهم كانوا كلما وقع لم كتاب مكتوب بحروف عربية قالوا هذا قرآن وبادروا لطلب الغفران باحراقه بالنيران وبهذه الكتابة احرقوا تسعة اعشار ونصف وثلاث وربع وخمس وسدس وسبع وثمان وتسع الكتب العربية فلم يكدر يخلص اليها منها واحد في الالف وكانوا يتهافتون بارتياح وثقوى الى ارتكاب هذه الجريمة الكبرى وهم يظنون انهم يحسنون صنعا حتى ان احد كرادلتهم احرق في يوم واحد بمدينة غرناطة نحو الف الف كتاب . وكان هذا الصنيع بعمل الايمان

جمهورية البرتغال

من الانقلابات السياسية الاخيرة مناداة الاحرار في مملكة البرتغال بالجمهورية والقضاء على الملكية فاصبحت هذه الجمهورية ثاني جمهورية في اوربا ومنذ سنين لم يبايع بجمهورية مهمة في ممالك الارض الا في برازيل فكأن هذه المملكة وكانت في القديم تحت حكم البرتغاليين بدأت بنزع الملكية فاجبت أمها الاصلية ان لا تنصر عنها في المطالبة بالحرية .

نعم تغلب الاحرار أو الحزب الجمهوري على المحافظين بعد اضطرابات دامت سنين اوت الى مقتل الملك كارلوس منذ نحو سنين وعين ابنه عمانويل خلفا له وها قد هاجر بلاده في الفتنة الى جبل طارق مخافة ان تتناوله الايدي باذى كما تناولت من قبل اياه . ولما كانت للبرتغال صلة قديمة بممالك الشرق الاسلامي وحكومات العرب وكان هذا الانقلاب من الانقلابات التي لها علاقة كبرى بالتاريخ والاجتماع رأينا ان نأتي ببندة قليلة من احوالها السياسية والطبيعية عسى تكون منها بعض فائدة فنقول :

البرتغال مملكة في الجنوب الغربي من اوربا يحدها من الجنوب والغرب البحر المحيط الا تلاتينيكي او بحر الظلمات ومن الشرق والشمال مملكة اسبانيا ومنها ومن هذه المملكة تتألف شبه جزيرة ايبيريا وتبلغ مساحتها السطحية ما عدا جزائر آ-ور ومادير ٨٨٩٥٤ كيلومتراً مربعاً وسكانها نحو ستة ملايين وعاصمتها لشبونة

ولا تنفصلها عن اسبانيا تحوم طبيعية كاكثير الممالك وفيها انهار جارية وحبال عالية واعلى قممها الجبل المسمى رياسكا يبلغ ارتفاعه ١٥٧٨ متراً وحرارة البلاد معتدلة تتجاوز في الصيف في مدينة قلربة « قويمبرا » ٢١ درجة وامطارها غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وانهارها حسنة جارية في الجملة واعظمها ما ينبع من ارض اسبانيا ومنها ما يجري في ارض البرتغال

واصول سكان هذه البلاد مزيج من عناصر وشعوب كثيرة فمنهم سلبتون وابيريون ولاتينيون وضويقيون وفريغوتيون وكثير من المغاربة والاسرائيليين وبعض الزوج في لشبونة والكراف تقرأ الى الآن في سجنات البرتغاليين السواد مما يستدل به على كثرة من كانوا يحملون من الزوج الى لشبونة خلال القرن السادس عشر (١٠ الى ١٢ الف زنجي كل سنة) وكثير من اهل برازيل . والدين الرسمي في البلاد الكشكة اما سائر الاديان فالظاهر انها حرة يتسامح مع اهلها

وتعد مملكة برتغال من الممالك الدستورية وهي وراثية يتناوب الملك فيها ذكورها واناثها وقد نشر دستورها الاول في سنة ١٨٢٦ ثم عدل سنة ١٨٥٢ والقوة التشريعية هي لمجلس الكورتس او مجلس النواب والشيوخ والملك يصدق على ما يقرره ويتألف مجلس الامة من مجلس اعيان ومجلس نواب وعددا لاعيان ٥٢ عضواً وراثياً و١٣ قسيساً و٩٠ عضواً يعينون مدة حياتهم وفي مجلس النواب ١٣٨ منهم سبعة عن المستعمرات ينتخبون من الشعب مباشرة من الاشخاص الذين حصلوا على بعض الرتب او الالقاب العلمية او ممن لهم دخل سنوي يربو على الفى فرنك . وللكل ان يدعو هذا المجلس او يحله وهو يعين رئيس الاعيان ويصدق على تعيين رئيس النواب . والامة تنتخب نوابها مباشرة ولا يسوغ للملك ان يتغيب عن المملكة اكثر من ثلاثة اشهر بدون ان يأذن له المجلس والوزارة مؤلفة من وزير الداخلية ووزير المعارف والفنون الجميلة ووزير المالية والعدل والمذاهب والحربية والبحرية والمستعمرات والخارجية والاشغال العمومية والتجارة والصناعة . وتنقسم البلاد الى احد وعشرين مقاطعة ولكل واحدة عامل يعينه الملك ولكل ولاية مجلس عام انتخابي ولجنة اجرائية .

وهذه البلاد زراعة وارضها موزعة كثيراً في الشمال وليست كذلك في الجنوب على ان عدم النظام في تقسيم الاراضي وهجرة السكان اضرت بالبلاد ضرراً بالغا . وام

غلات البلاد الكرم تكاد تكون زراعته عامة ومنه يخرج الخمر الجيد والحبوب تكثر في الشمال كما تكثر الغابات والأشجار المثمرة في الجنوب . وتكثر فيها تربية الماشية ودود الحرير والنحل . ولها موارد عظيمة من الصيد

ومعادن البلاد كثيرة في الجبل ومنها الثمين إلا أن الفحم الحجري لا أثر له فيها ويكثر الملح في شواطئها البحرية وفيها عدة ينابيع معدنية يستفاد منها أكثر مما تستثمر مناجمها . والسواحل هي المراكز الصناعية في البلاد ومنها أعمال الحديد والآلات الحديدية وصنع السكاكين والمدى والنسيج والفزل واللباغة والنجارة ومعامل التفافيز (الكفوف) والاحذية والدانتلة والملابس والبنج وغيره والخدمة العسكرية فيها إجبارية تكون ٢٥ سنة منها ثلاث سنين في الجيش العامل وخمس في الرديف الأول يخدم فيها الجندي شهراً واحداً كل سنة ليتعلم . وقدرت واردات الحكومة في السنة الماضية بنحو ٥٠٨٥٥٠٠٠٠ جنيه ونفقاتها بنحو ١٦٤١٥٧٦٠٠٠ ويبلغ دينها ٢١٤٦٠٠٠٠٠٠ جنيه و وارداتها زهاء خمسة عشر مليون جنيه وصادراتها نحو نصف ذلك والتعليم الابتدائي إجباري فيها لكنه كما هو في المملكة العثمانية اسم بلا جسم حتى بلغ عدد الأميين فيها منذ عشر سنين ٨٧ في المئة وهو مالا نظيره في مملكة أوربية صغرى وفيها مدارس عالية كثيرة متنوعة وعدد جيشها العامل ٣٠ ألفاً وتستطيع أن تجند ٢٥٠ ألفاً أيام الحرب ولها بحرية فيها ٦٠٠٠ ضابط وعسكري

وللبرتغال مستعمرات عظيمة لكنها جزء من مستعمراتها القديمة وكانت البرازيل من جملتها أيام كان للبرتغال القديح المعلى في استعمار إفريقيا وجنوبي آسيا . ويبلغ مجموع مساحة مستعمرات البرتغاليين الآن ٣٠٨٥٠٠٠٠ كيلومتر مربع فيها نحو عشرين مليون ساكن . فلها جزائر أسور ومادير في المحيط الأطلنطي وجزائر الرأس الأخضر وسنغامبيا البرتغالية وغينيا والقديس توما وجزيرة الأمير في إفريقيا الغربية ولانكانا وكابندا ثم أنكولا وبنكولا وموساميدس . ولها في إفريقيا الشرقية مملكة موزانبيق وسوفا لا وغيرهما ولها في آسيا من المستعمرات كواو والسبت ودامو وديو وأعمالها وماكو ونصف تيمور وكامبنج مما يدل على أن جزائر السوند كان يملكها الملاحون الأول من البرتغاليين وكانت هذه المملكة في القديم جزءاً من لوزيتانيا استعمر الفينيقيون شواطئها ثم استولى عليها الرومان خمسة قرون ونصفاً ونقلت بها الحال حتى أوائل القرن الثامن

لثيلاذ فاستولى عليها المسلمون وضموها الى مملكة الخلافة ولم يلبث ملوك النصارى في استوريا ان توسعوا في فتوحهم الى جنوبي الجبال وطردهوا المغاربة الى غاليسيا واحتلوا لشبونة سنة ١٠٩٥٣ ومن ذلك العهد نشأ امم برتقال نسبة لمقاطعة بورتو واشترك البرتغاليون في محاربة المسلمين واجلائهم عن الاندلس وهزموا المسلمين كما يقول لاروس في معجمه في معركة سانتارم (١١٨٤) وساعدوا اهل قشتالة في حرب لاس نافادي تولوزا (١٢١٢) وسالادو (١٣٤٠)

ونشأ البرتغاليين بفضل عقول امراءها بحرية عظيمة وقام منها سياح عظام منهم الذين اكتشفوا جزائر مادير وكناريار والرأس الاخضر والكونفو ورأس الرجاء الصالح كما وصلوا الى جزائر مالابار والصين والهند واليابان وتجارة العطور والابازير والافاوية اغنت البرتغال قديماً في الزمن الذي اخذت تفتت في ايدى آداب والصناعات وقد كان لديوان التفتيش الديني فيها كما كان في اسبانيا شأن بذكر وأسس فيها سنة ١٥٢٦ وكان من وفاة ملكها الدون سباستيان في وقعة القصر الكبير ان دخلت المملكة في يد فيليب الثاني ملك اسبانيا الا انها حاولت ان تخلص منه اما هو فجعل بلادهم خديوية قشتالية ومنعهم من الاتجار مع شذاد الآفاق من اهل بلاد القاع (هولاندة) فاخذ هؤلاء يجلبون الابازير والافاوية تراء من بلاد الشرق وانكسر الاستول البرتغالي سنة ١٦٠١ في بانتم من اعمال جاوة واستولى الهولنديون على جزائر السوند وبنوا باتاوا وحلوا في سيام وسيلان واليابان وعلى شواطئ غينة وغويان

وفي سنة ١٦٤٠ انتقض اقليم كاتالونيا على صاحب اسبانيا فزعت البرتغال يدها من الحكم الاسباني وبايعت دوك بارا كنس ملكاً عليها فلما لم تملك المملكة البرتغالية شعنها حاربت اسبانيا خمساً وعشرين سنة واستعادت بعض مستعمراتها الا انها تركت بومباي للانكليز سنة ١٦٦١ وفي الربع الاول من القرن التاسع عشر انفصلت برازيل عنها واذ مات برتغال الى انكلترا اكثر من فرنسا لم تساعداهذه في ازماتها السياسية وقد قامت في القرن الماضي باصلاحات اقتصادية مهمة منها وضع اصول «الكاداستر» على الاراضي والغاء الرقيق من المستعمرات وابتيع املاك الرعبان وتمديد الخطوط الحديدية واصلاح اصول المالية

والدليل على ان المسلمين حكموا تلك البلاد مدة سريان الفاظ كثيرة الى لغتهم من العربية وهي اقل مما في لغة اهل قشتالة وقد ألف دوزي المستشرق الهولندي كتاباً في

الالفاظ التي اخذتها البرتغالية والاسبانية من اللغة العربية ويبلغ عدد المتكلمين بالبرتغالية في برتغال وبرازيل وجزائر الرأس الاخضر وغيرها من المستعمرات البرتغالية في المحيطين والهند الصينية نحو عشرين مليون

وكانت هذه البلاد جزءاً من الاندلس ويطلق عليها اسم البرتغال "Portugal" وهذا هو اسمها في كتب العرب لابورنغال او بغير واو وعاصمتها Lisbonne التي يذكرها العرب باسم لشبونة واشبونة والاشبونة^(١) ولا تزال في مدينة شنترة Cintra حصون العرب على قمم الجبال وبجانب بعضها مسجد باقية آثاره الى الآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم عظاماً وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين او للنصارى فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال والقسم الذي كانت تسكنه العرب في لشبونة يعرف عندهم باسم الحمة لابتشديد الميم ويسميه البرتغاليون الآن من باب التعريف الفاعل ومنظر هذه المدينة يشبه المدائن الشرقية

ومن امهات مدن البرتغال مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط المعارف في بلاد البرتغال . ومنها مدينة بورتو Porto واسمها في كتب العرب برتغال وبها يسمى هذا القطر برتغال كما نقول نحن الآن طرابلس وحاصرتها طرابلس وتونس وحاصرتها تونس وكما نقول بني سويف وبندرها بني سويف والقيوم وبندرها القيوم والمنيا وبندرها المنيا وهكذا في اسبوطوقا

وفي مدينة البرتغال هذه آثار كثيرة ولكن العرب لم يخلفوا فيها شيئاً يذكر لانهم كانوا يبحثونها فاتحين ثم يميزونها الى غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم وقد تألف التجار على انشاء دار البورصة على الطراز العربي ونقشوا اكبر جهو فيها بحسب الاسلوب العربي وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسوماتها البديعة اشعاراً عربية وفي جميع الطرازات هذه العبارة (عن لانا السلطنة مریم ٢) يريدون عن مولانا السلطنة مریم الثانية اه .

(١) السفر الى المؤمر لاحمد بك زكي (٢) قال المقرئ في نفح الطيب واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن اعمال اشبيلية شريش والخضره ولبله وغيرها ومن اعمال ماردة بطليوس وبابرة وغيرها ومن اعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن اعمال شلب شنت رية وغيرها

اما القول بان العرب كانوا يحيثون البلاد فاتحين ثم يجوزونها الى غيرها فمسألة فيها نظر بعد ان قال ياقوت ان شذرة ملكها الافرنج (اي من المسلمين) سنة ٥٤٣ ونسب اليها قوم من اهل العلم ولا يخرج من دولة علماء الا اذا رسمت اقدام حكومتها في البلاد . وقال في شذرين انها مدينة متصلة الاعمال باعمال باجة في غربي الاندلس ثم غربي قرطبة وتلك نهر تاجه قريب من انصابه في البحر المحيط وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة اربعة ايام وهي الآن للافرنج ملكت سنة ٥٤٣ وقال في قلرية « بضم اوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء » مدينة بالاندلس وهي اليوم بيد الافرنج . وفي لشبونة ويقال لها الاشبونة بالالف وهي مدينة بالاندلس بمصل عملها باعمال شذرين وهي مدينة قديمة قريبة من البحر غربي قرطبة وفي جبالها البزاة الخالص ولعلها فضل على كل عدل الذي بالاندلس يسمى اللادزني يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقه فلا يلوثها وهي مبنية على نهر تاجه والبحر قريب منها وبها معدن التبر الخالص ويوجد بساحلها العرب الفائق وقد ملكها الافرنج في سنة ٥٧٣ وهي فيما احسب في ايديهم الى الآن .

واصرح من هذا ما قاله المراكشي ^(١) قال وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشرط ووبذ وابلة وشقوية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتالة وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلا مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشنكة والسبطاط وقلرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالبيوج وتسمى هذه الجهة ليون وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشذرين وباجة وشذرة وشنيافو ومدينة يابرة ومدن كثيرة ذهبت عني اسمائها يملكها رجل يعرف بابن الريق

وذكر في سيرة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن انه خرج سنة ٥٧٩ قاصداً غزو الاندلس قال : فقص مدينة شذرين اعادها الله للمسلمين وهذه المدينة اعني شذرين بمغرب الاندلس وهي من امنع المدائن يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ملك من ملوك النصارى يعرف بابن الريق وقد فصل ماوقع بينهما من الهزائم وكيف خرج ابو يعقوب وحمل في محفة وكيف هرب ابو الحسن المالقي الذي كان سبب هزيمة

المسلمين الى مملكة ابن الرقيق فأواه صاحبها وأكرمه الى ان بدا له من سوء رأيه ان يكتب كتابا الى الموحدين يستعطفهم وادرج في ضمن ذلك فصلا يذكر فيه ضعف المدينة فاطلع الرجل الموكل به وكان يعرف العربية سرّاً فقبض عليه فشاور ابن الرقيق قسيسه في امره فاشاروا عليه باخراجه فخرقه

وذكر المراكشي انه كان يملك الثغر الذي من الجهة الشمالية من الاندلس (بعد انقطاع الدعوة الأموية عنها) وبعض المدن المجاورة للبحر الاعظم ابن الافطس المتلقب بالمظفر ثم كان له ابن اسمه عمر يكنى ابا محمد تلقب بالموكل على الله كان يملك بطليوس واعمالها وبائرة وشنترين والاشبونة قال : اتصلت مملكته الى ان قتل المراتبون اصحاب يوسف بن تاشفين ابنه المتوكل في غرة سنة ٤٨٥ وكانت ايام بني المظفر بغرب الاندلس اعياداً ومواسم وكانوا ماجاً لاهل الآداب وفيهم يقول ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون من اهل مدينة بائرة قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الدهر يجمع بعد العين بالآثر فما البكاء على الاشباح والصور

وبهذا علمت ان العرب استولوا على برنقال مدة لانقل عن مائة وخمسين سنة فنجح فيها رجال منهم وخلقوا آثاراً لا تزال شاهدة بنضل تقدمهم في العمران وان هذه المملكة التي انقطعت الآن بينها وبيننا انواع الصلات كانت من جملة ممالك الشرق وان كانت غريبة وان لسانها اقتبس من لساننا وان التعصب الدميم الذي تم على يد القساوسة منذ القديم كان من المعجلات في نزع الملكية وقيام الجمهورية الآن

وقد كان اول عمل للجمهوريين طرد جماعة اليسوعيين من بلادهم واستضافة الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانهم لم ينسوا بعد مسعى رجال الدين في مقتل فرر رجل الاسبان الحر في العام المنصرم قتلوه بواسطة الحكومة على اشبع صورة عرفت في عصر التور والمدنية فلما ظفر الاحرار بالمحافظين قضوا القضاء المبرم عليهم وعلى نقاليدهم ليعرفوهم ويعرفوا الحكومات التي تعتمد الى الشدة في معاملة امتها ان الناس لا يحكمون الا باسماثة القلوب وان القوة اذا خيف منها زمتا فقد يأتي آخر يستهين بها اهله فيستمتون ويستبدلون

والضغط لا يزيد النفوس الاية الامضاء . وهكذا أهين رجال الدين ولا سبوا اليسوعيون وطردوا او كادوا من البرتغال كما طردوا من فرنسا من قبل وحرّم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم ان تنزع ايضاً في اسبانيا لما تحتجها ارض برنقال واذا صححت

عزيمة البلادين المتجاورين على انشاء مملكة واحدة كما هو فكر بعض الخاصة هناك تصبح جمهورية اسبانيا والبرتغال واحدها ان تسمى جمهورية ابيريا من الحكومات القوية ذات الشأن العظيم ، وربك يفعل مايشاء ، ويختار

رحلة الى قلمون الاسفل^(١)

على اربع ساعات من شمالي دمشق واد منبسط بين جبلين متسامتين طوله من مشح ثنية العقاب الى مزرعة الناصرية لا يقل عن ست ساعات وعرضه ساعتان تربته يضاء ورباعه مخصصة ومياهه ، وفورة بحيث لو حفرت عشرة اذرع او اكثر ينبط الماء غزيراً مع ان الجبلين المتناولين من شمال الوادي وجنوبه لاشجر فيهما ولاغاية تزيينهما . ولو كانا مغروسين بالسنديان والزان والبلوط والشوح لكان هذا الوادي بمطاره الفزيرة وره المتواصل اشبه باخصب السهول السندسية ولذا كان جبل قلمون ضعيفاً بربه وان لم يكن كذلك بزكاء تربه . والعالي والاسفل او التحتاني منه متساويان وان كانت سهوله اخصب من آكامه وتلعاته ومياه الاعالي اعذب من مياه الاسفل . وفي قلمون الاسفل من القرى الامهات ما يطلق على امثاله في ديار الغرب اسم بلدة وذلك مثل الرحبية وجبرود والمظمية والقطفية وضمير وكلها ذات تاريخ قديم وعمران طيب وهي بكثرة نفوسها يزيد عمرانها اليوم كلما انبسط ظل السلام فيها وامن اهلها على مواشهم من غارات اشيقاء الصفا وجبل الدروز المجاورين لهم من جهة الجنوب والجنوب الشرقي على مسيرة يوم من هذه البلاد

ولقد كان عرب الصفا واللاجة وجبل حوران يفزون منذ سنين اهل قرى قلمون الاسفل في عقر دارهم ويرعون زروعهم وينهبون ناطقهم وصامتهم ولذلك ضعف عمران تلك الديار حتى على قيد غلوة من القصبات والدساكر فاصبحت الاقليل مزارع حقيرة ومدامر . وقلت الاشجار فيها حتى في ضواحي القرى وعلى شواطئ الجداول والانهار لان الفلاح اصبح لا يفكر الا في رزق سنته فاذا نجح عامه من شرور النهب فهو سعيد آمن والا فيقضي عليه ان يعيش في فقر ليس بعده فقر وذلة هي الموت يجتئها او يهيم على وجهه الى اقليم آخر يكون اقرب الى الامن والامان يطلب معاشه بالعمل مأجوراً وكان

يستطيع ان يعيش معيماً من ارض اورثه اياها آباءه واجداده لو كان له حكومة تفكر فيه وتدفع عنه بوائق الفهر وعواديته وتعرف ان مانتقاضه اياه من الضرائب والالتاوت ليس الاتحديه

ومن الغريب ان الامن ما كاد يرفع رواقه في هذه الديار وتنظم اصول الادارة بالنسبة لما كانت عليه في القرن الماضي مثلاً حتى سرت الى الاهلين هنا نعمة الهجرة الى اميركا فندا هذا الجبل بن هجرة شقيماً وكان يسعد بهم لو توفروا على خدمة ارضه واستثمار شجره واستحيات غلاته وتعدين مناجمه والعمل لاستبحار عمرانه ولا يقل عدد المهاجرين من هذا الوادي عن خمسمائة من اصل نحو عشرين الف نسمة وكل يوم يزيد نازحهم وقلاً يعود احد منهم . يذهب الثبان الاقوياء ويبقى في الاكثر الاطفال والكحول والشيوخ حتى كادت تسوء الظنون في مستقبل هذه البلاد وهي اذا لم توفى الى النهوض بنشاط شبانها هيئات ان تعمر بتكاسل شيوخها وكهولها وخمولهم .

قلنا تعدين مناجمها لان جبلاً من مثل هذه لا تخلو من مناجم فاذا كانت بقعة واحدة وهي جيروود^(١) وما إليها تحتوي في جملة ما تحتوي من الغلات والثمرات على اربعة اصناف من العناصر التي نفل او لا توجد في غيرها فبالك لو بحث في قرى هذا الجبل وحده عما يكثر صدره من الخيرات الطبيعية .

نعم في جوار جيروود على مسافة ساعة منها المملحة التي يصدر منها الملح الجيد للطعام وتكفي الوف القناطر التي يمكن استخراجها من سورية باجمعها ولذلك يكتفى باستخراج كمية قليلة منه لان في جوار تدمر وحماة وصفد مملحات اخرى ينفع بملحها دع عنك ما في سائر الاقطار العثمانية من هذا الجزء المفيد

وبالقرب من المملحة معدن الجبس او الجبصين يتبشونه من الارض قطعاً مستطيلة بطول شبر او شبرين وغرض ثلاثة اصابع وشحن اصبعين يستخرج العامل القنطار الشامي منه بسبعة قروش وقد لا يستخرج قنطاراً منه في اليوم الواحد فيأخذه ضامنه من ادارة الغابات والمعادن ويجهله في تنوير كبير يحرقه وعندها يستحيل الى جبس يدخل في الابنية والتبليط والتوافد وغير ذلك

هذان هما المعدنان اما النباتات فهملذات القلي او الاشنان بقطعونه ويجهلونه في

(١) في معجم البلدان جرود بدون ياء وقال انها من اقليم معلولا من اعمال غوطة دمشق ولعلها كانت تابعة للغوطة

حفر بوقدون فيها النار فيستحيل الى قلي . ومن شواطئ الملاحه التي لا يقل طولها عن ساعتين وعرضها عن ساعه يبت السل او قش الحصر وهذا القش يخرج في بقاع اخرى ولكن احسن القش ماخرج من جيروود ولذلك ترى كل حصري في دمشق يحصر على ان ينسج حصره من قش جيروود لثانته وروائه

فبلاد هذا بعض مغلها الطبيعي خست بزكاء المنبت وجمال الطبيعة تخرج منها الحبوب على انواعها والثمار على اختلاف اشكالها ثم يظل اهله في جهالة على قريهم من دمشق ام المدن السورية بل عاصمة هذه البلاد العربية وذلك لفلة المواصلات بينهم وبينها ولان الحكومة لا يهتمها الا ان تأخذ من اهله حقوقها ولا تقوم بما يجب عليها لهم من الحقوق

ولو كان الاهالي في قلمون والمرج والغوطة يفكرون في مستقبل بلادهم حق التفكير ويحبون ان يبق اولادهم لهم لا ان يربوهم لينزحوا الى امير كلو بتشتوا في البلاد لطلبوا من الحكومة امتياز سكة حديدية ضيقة كالمعروفة في مصر بالسكك الحديدية الزراعية وبذلك تصدر الصادرات على ابسروجه وتنساوى في الابعاد القرى القاصية والدانية .

بالسكك الزراعية أحيي موات مصر وقربت مسافاتهما والتحمت اجزائها واذا كان يتعذر الآن ربط دمشق ببغداد بسكة حديدية تتجاوز الغوطة والمرج وقلمون والقريتين وتدمر الى العراق لاختلاف المصالح السياسية فلا اقل من ان يقوم اغنياء دمشق وهذه الاقاليم ينشئون سكة ضيقة تصل بين هذه القصباب بوصلة العمران في الغوطة من امهات القرى مثل دومة وعربيل وجوبر وسقبا وفي المرج مثل ضمير وعنتبة وعذراء وفي قلمون مثل يبرود ودير عطية وقارة والنبك وجيروود والحبيبة والنظيفه وغيرها مايجدز بارباب الاموال ان تدبروه ويضموا اشتمات هذه الاجزاء المتفرقة التي لا تجد بينها طريقا معبداً ولا يريداً ولا سلكاً برقياً ولا طبياً ولا صيدلياً ولا كاتباً ولا حاسباً بل تجد فيها الناس يعيشون بعيدين عن محيطهم لا يعرفون عنه اكثر مما يعرف ابن السودان عن سكانه راكش في حين ترى المسافات قريية وابعد قرية عن الفيحاء لا تبعد مائة كيلومتر او يوماً وبعض يوم على ظهور المظايا

مثال ذلك اننا قصدنا الى هذا الجبل يوم وقفة عيد الصغير فكان الفلاحون يسألوننا كلما وقفنا لترجح مراتنا فيما اذا كان ذلك اليوم من رمضان او انه روي هلال العيد

وثبت في دمشق اما من كنا نسألهم عن نشأة جبل الدروز فكانوا لا يعرفون من امرها الا ان الحكومة جيشت جيشاً عليهم ولا يعرفون ماتبع ذلك من تأديب الدروز على حين هم احق الناس بالفرح بهزيمة الاشقياء لانتشار ظل الامن في تلك الربوع ولانهم طملاً تأذوا بهم ونهبت مواشيهم وقتل رعاتهم وزراعتهم .

ولاسبيل الى عمران هذه البلاد الا بالان والعلم فمن جملة اسباب الامن مد الخطوط الحديدية الزراعية التي نقل نفقاتها وتكثرت فوائدها المادية والمعنوية فتضاعف اثار الاراضي هنا كما يتضاعف دخلها وتكثر اشجارها ومواشيها والعلم لا ينتشر الا اذا هب اعيان البلاد وعقلواوها الى انشاء مدارس لابنائهم خاصة تجرّيه على غير الخطة التي يسيرها عليها ديوان المعارف . تسير في التعليم على طريقة يتعلم بها الفلاحون لغتهم فقط بحيث يقرأون ويكتبون فيها في الجملة ويعرفون المبادئ الاولى من الحساب والطبيعة والنبات والحيوان وشيئاً من تربية المواشي وحفظ الصحة والرياضة البدنية واصول الدين . يعامون كل ذلك بالعمل اكثر من النظر .

فلوقامت في كل قرية من قرى قلمون مدرسة ابتدائية كالتي انشأها في جبرود كبيرها محمد باشا الجبرودي ووقف عليها بستاناً فيه صنوف الثمار لا يقل ريعه السنوي عن عشرة آلاف قرش لاصبح قلمون بعد عشرين سنة ارقى جبال سورية لما فطر عليه اهله من الذكاء والنشاط .

نعم استحق الزعيم المنوه به كل شكر لانه جرى على غير سنة كبرائنا في السخاء فكان فيما نظن ثاني رجل في هذا القرن الرابع عشر وقف على العلم في سورية مثل هذا الملك الذي لا يقل ثمنه الآن عن ثلاثة آلاف ليرة . والرجل الاول هو فيما نذكر محمد باشا المحمد من امراء عكار ووقف على مدرسة دينية هناك ما يكفيها . اما سائر اعياننا واغنيائنا فلم يوفقوا الا قليلا الى وقف ما يوليهم في دنياهم واخراهم نفراً وذخراً واهل اعيان هذه البلاد من الاسر العربية في الجدد تقدم بعد الآن بين يدي نجواها من البذل للعلم ما تقربه العين فيخزون في ذلك حذوا اغنياء الاقاليم في مصر الذي نهضوا بها وما انشؤا لفلاحهم من الكتاتيب في بضع سنين مالا تنهض به امة تنتظر من حكومتها ان تعلمها في قرن او قرنين . وليت شعري متى تنبعث من دمشق نفحة من تلك الروح التي انبعثت في القاهرة ففاضت على اقاليم مصر فاحيتها حتى يكون حظ المصريين واحداً في النهوض اليوم كما كان كذلك في القرون الوسطى .

فِي خُطُوبِ ابْنِ أَبِي طَبِيْبٍ

كتاب المثني

قال ابن ساعد^(١) : ان علم اللغة هو نقل الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه وتفصيل مايدل فيه على القدوات مما يدل على الاحداث وما يدل على الادوات وبيان مايدل على اجناس الاشياء وانواعها واصنافها مما يدل على الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة . ومنفعة الاحاطة بهذه المعلومات خيراً طلاقة العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة .

ولقد طبعت كتب كثيرة في اللغة ولا يزال يظهر باشياء لم يكشب لها الظهور وبموقع الينا من مكتبة احد علماء هذه الحاضرة نسخة من كتاب المثني تأليف حجة العرب ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الذي ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال انه عبد الواحد علي ابو الطيب اللغوي الحلبي الامام الاوحد .

قال في البلغة له التصانيف الجليلة منها مراتب النحو بين ، اطياف الاتباع ، الابدال ، شجر الدر ، وقد ضاع اكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه مناقشة مات بعد الخمسين وثلاثمائة . وقال الصفدي : احد العلماء المبرزين المقتنين لعلمي اللغة والعربية اخذ عن ابي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي واصله من عسكر مكرم قدم حلب واقام بها الى ان قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

وكتابه هذا في ١٣٠ ورقة اكبر من الربع عليه حواش وتعليقات مفيدة كتب علي الحاشية ان اكثرها بقلم ابن الشحنة وابن مكشوم القيسي تليد ابي حيان وفيه نقص من وسطه ونقص قليل من آخره الا انه لا يحول دون الانتفاع منه لان النسخة قديمة على ما يظهر وهي حسنة الخط بالشكل الكامل والصحة غالبه عليها بحيث يسهل تمثيلها بالطبع دون الرجوع الى الامهات لتصحيح الفاظها واثبات الروايات المعتمدة في ضبطها وليس في الكتاب تاريخ نسخه ويرجح انها ما كتبت في القرن السابع او الثامن .

جاء في مقدمته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد النبي وعلى آل

(١) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى

سنة ٧٤٩ صاحب كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

محمد . قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي : انه ليس شي من كتبنا وان قصرت ابوابه وقلت اوراقه وضمير حجمه وصغر جسمه باقل فائدة في معناه للتعلم ولا انزاع عائدة في مغزاه على المتفهم من غيره وان اسهبنا فيه واغرقنا في معانيه حتى طارت اصوله وانشرحت فصوله بل كل واحد بمحمد الله على غاية ما يمكننا من الكمال فيما اقتصرنا به عليه ونهاية التمام فيما انتهينا به اليه وما من شي توخينا من ذلك ولا نعمدنا الا لغرض في الافهام تحريته وحرص على الاعلام الذي اردناه وكل من الله سبحانه وبه . فاذا كانت بغيتنا فيما نعانيه وارادتنا فيما نعيده ونبيده معونة اللحن المستفيد والتقريب على ذي النهم البعيد والحق الكهام البليد بالذكي الحديد وكان ذلك لوجه الله خالصاً موفوراً لانريد به جزاء ولا شكوراً فانا غير قانطين من تفضله جل اسماء علينا بالارشاد وتوفيقه ايانا للسداد والله عندن عبيده وكافل لمن استرشده برشده ولا قوة الا بالله . ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ماورد من كلام العرب مثني في الاستعمال ثنية لازمة وهبتدوون بشرح وجوهه وتقصيصها وذكر ضروب توسعهم فيها فنقول ان جميع ماورد على ذلك من الاسماء عشرة اصناف الاثنان غلب احدهما على اسم صاحبه الاثنان جمعهما في الثنية اتفاق اسميهما الاثنان غلب نعت احدهما على نعت صاحبه الاثنان جمعاً في الثنية لاتفاق نعتيهما الاثنان غلب عليهما لقب واحد منهما الاثنان يجمعهما لقب واحد الاثنان ثنيا باسم اب او جد او احدهما ابن الآخر فغلب اسم الاب الاثنان اللذان لا يفردان من لفظهما الاثنان في اللفظ يراد بهما واحد الاثنان يثنيان وان اكتني باحدهما لم ينقص المعنى واما ماورد من ذلك من الافعال فصنفان من الفعل المبني على صيغة التثنية والمراد به تكرير الفعل . الفعل يجي لفظه لاثنتين ومعناه واحد ونحن نبوب هذه الابواب ونأتي على ما فيها او جمهوره ان شاء الله .

« هذا باب الاثنين غلب اسم احدهما على اسم صاحبه قال الاعصمي وابو عبيدة قولهم سار في الناس سيرة العمرين انما يريدون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الفراء نحو ذلك وسمع معاذاً الهراء يقول لقد قيل سنة العمرين قبل عمر بن عبد العزيز وجاء في حديث انهم قالوا لعثمان رضي الله عنه نطلب منك سيرة العمرين فهذا يدل على صحة ماقلنا »

وهنا اخذ المؤلف بورد الامثلة في هذا الباب مثل الخنثفان والزهدمان والمجبران والعتبان والعبدان والحيدان والعقمان والنافعان والشريفان والعشاء آن والامقسان

والقربان والقمران والمربدان والطلحيتان وابانان والثيران والمنرقان والضمران
والدحرضان والكيران والموصلان والصباحن والبصرتان والغدوان والمطران . وشرحها
شرحاً موجزاً واستشهد لها بكلام العرب وأورد في باب الثنية لاتفاق اسميهما السعدان
لسعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن ملك بن زيد مناة بن تميم والمروان لمرو الأشجيان
ومرو الروذ . والفرقدان والقطبان والناظران والوريدان والاجدلان والذراعان
والمسجدان قال بعد الامثلة الكثيرة وهذا باب يفوت الاحصاء ويدخل فيه الاذنان
والعينان والجبيتان والحاجبان والخذان والوجنتان واللحيان والعارضان وما اشبه ذلك
وقال في باب الاثنين غالب نعت احدهما على نعت صاحبه مثل الاسمران الخبز والماء
والاسودان التمر والماء والاخضران البحر والليل والايضان الخبز والماء والباكران الصبح
والمساء ويقال لها الرأحان والايضان الشحم . الشاب . وقال في باب الاثنين جمعاً في الثنية
وأورد لفظ الاقبيان الفيل والجاموس الاحمران الخمر والمخم والاصفران والاسودان
والازهران والايهمان والاعميان والاطيبان والاخبثان الخ .

وانى على هذا النحو من تفصيل الابواب تفتيلاً حسناً وشرحاً احسن
وقال في الاتباع الذي اوله الالف : قال ابومالك تقول العرب في صفة انثى بالشدة
انه لشديد اديد وهو من الاد وألأد القوة الا ان الاديد لا يفرد قال الراجز
نضوت عني شرة وادا من بعد ما كنت حملاً نهدا
ويقال جئ به من عيصك وآيصك اين من حيث كان ولم يكن فالعيص الاصل
والايص اتباع الخ

وقال في الاتباع الذي اوله الباء يقال انه الحسن بسن وانه لكثير بشير وانه لقليل
بليل الخ وقال في التوكيد الذي اوله الباء : يقال فروله بصيص واصيص وبصيص
من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف ويقال انه لغض بض وغاض باض وهي النضاضة
والبضاضة قال ابو زيد والبضاضة رقة البشرة وقال الاصمعي هي رقة البشرة والبياض
وقال ابو زيد قد يكون الاسم بضاً ويقال انه لسرير يسار بار وانهم لسارون بارون
وسرون برون قال الشاعر

اخوة مائت سرور برون فان غبت فالذئاب الجياع

وهكذا اتى بباب الاتباع على حروف المعجم فاستوفاه ولم نعر في شيء من كتب اللغة
المطبوعة على أكثر استيفاء لهذا البحث من هنا . وفي آخر هذا الفصل البديع انتهى

يحسب الظاهر الكتاب . وجاءت بعده قطعة اخرى في اللغة على تلك الشاكلة ولكنها تكاد تتجاوز ثلاثة ارباع الكتاب فمن امثله : الباء والشين يقال ارب على القوم وارش عليهم اذا حمل عليهم ووشى بهم وهو يورب على القوم تأريبا ويورش تأريشا ويقال غلام بلبل وشلشل اذا كان خفيفا ظريفا . وقال في الباء والفاء : ابو زيد يقال خذه بابانه وخذه بافاته اي بزمانه وحينه وانشد

فهلا بافان وفي الدهر غرة تزور وفي الايام عنك عقول
وعلى هذه الصورة كانت سياقة هذه الابواب المفيدة ولها نظائر من كتب اللغة المطبوعة

وهاك نموذجا آخر : الجيم والفاء قال الاصمعي : يقال لكل ذي حانوت كرج وكركبي والكرج والكركبي ايضا اسم الحانوت وهو فارسي معرب وسئل عن كثير فقال كان كرجيا قال ابو حاتم يعني صاحب حانوت ويقال هلم الفالودج والفالودج واعطاني من الشعير او الحنطة كيلجة وكيلنة . ابو عمرو يقال انه احسن الجسم وحسن القسم يعني واحد والقسم هو الجسم بعينه وانشد

طبيخ نحاز او طبيخ امية دقيق العظام بي القسم املط
ويقال انابت عليهم باجمة من الدهر وانابت عليهم باجمة وهي البوايج والبوايق اي الشدائد والدواهي قال الشاعر وهو الشماخ يرثي عمر رضي الله عنه
قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوايج في اكمامها لم تفتق
وفي الحديث ان يؤمن عبد حتى يأمن جاره بواقه اي دواهيته قال ابن احرر
اخاف بوايقا تسري الينا من الاشياء سرا اوجهارا

ومن الامثلة الكثيرة ماورد في « العين والنون » الاصمعي يقال اعطيه . اعطاء وانطيته أنطيه . انطاء بمعنى واحد ومنه قول الاعشى

جياذك في القيط في نعمة تصان الجلال وتنطا الشعيرا

والدعفس والدعفس من الرجال الزري المنظر القمي ويقال غسل الذئب يغسل عسلانا ونسل ينسل نسلانا وهو ضرب من المشي تضطرب فيه متناه وفي التنزيل : فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وشكا عمرو بن معديكرب الى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه المعص فقال : كذب عليك العسل اي عليك بالعدو قال الشاعر :
عسلان الذئب امسى قارباً برد الليل عليه فنسل

وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره سلسلة فوائد اغوية حرة بالتدبر والاستظهار ولوائس المجال لاكثرنا من الامثلة وفيماوردناه مقنع فحسب ان تصح عنيزة بعض الطابعين والمؤلفين على نشره ليضاف الى المجموعة اللطيفة التي طبعت مؤخراً من كتب اللغة مثل كتاب فقه اللغة للشعالبي والالفاظ النكتانية للهمداني وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والنوادر لابني زيد والاضداد لابن بشار الانباري والفصيح لشعلب وذيله للبغدادي وفصيح اللغة للهروي وفعلت وأفعلت للزجاج ومبادئ اللغة للاسكافي واساس البلاغة للزنجشيري والمقصود والممدود لابن ولاد وغير ذلك من المختصرات والمطولات كرسائل الدارات للاصمعي ورأس تلك الكتب الممنعة المخصص لابن سيدة المطبوع والمحم له الذي يرجى طبعه، عما قرب

اعمال الاعلام

فيم ببيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجز ذلك من شجون الكلام تأليف
لسان الدين ابن الخطيب طبع في بلرم صقلية سنة ١٩١٠ ص ٦٨
احتفل علماء الطليان في المشرقيات بمرور مئة سنة على مولد ميشل آماري المستشرق
الايطالي الذي صرف حياته كلها في درس التاريخ الاسلامي ولا سيما ما كان متعلقاً منه
بجزيرة صقلية التي دانت للمسلمين زمناً طويلاً فوضعوا لذلك كتاباً اتى كل واحد بنبذة
تاريخية واجتماعية نشرها . ومن جملة ما نشر هذا الجزء . من تاريخ ابن الخطيب . نشره
حسن حسني افندي عبد الوهاب استاذ التاريخ في المدرسة الخلدونية بتونس بدعوة من
صديقه الاستاذ ناليو الايطالي ومكافأة لذكرى من خدم الاسلام والمسلمين في اوربا
طول حياته وقد علق الناشر بالافرنسية شروحا وحواشي على هذا الجزء تدل على بهد
غوره وتدقيقه على اسلوب الادريين . وللكتاب مناسبة كبرى بتاريخ شمالي افريقية
وصقلية والاندرلس وفيه ذكر من ولي الملك بصقلية قال لسان الدين في وصفها : قال
ابو محمد الرشاطي : صقلية جزيرة كبيرة وصقلية اسم لاحدى مدنها الكثيرة وقلاعها
الاثيرة وطولها مسيرة خمسة ايام وهي في البحر الشامي ، وازية لبعض بلاد افريقية واقرب
المواضع اليها من بلاد افريقية رأس اذار بينهما مجرى يوم وتوازي من الجهة
الاخري ارض الروم الكبيرة وافتحت في اثني عشرة ومائتين وكانوا قبل
ذلك معاهدين ولا تنتاحها خبر شهير . وقال ابو الحسن ابن جبير
في رحلته : بصف مدينة مسينة واخبار ملوكها : هذه المدينة ، ومم تجار الكفار ومقصدها حواري

البحر من جميع الاقطار كثيرة الارفاق برضاء الاسعار مظلة بالكفر لا بقر فيها للمسلمين
 قرار اسواقها دافقة حافلة وارزاقها واسعة بارغاد العيش كقافلة لا تزال بها ليلك
 ونهارك في امان وان كنت غريب الوجه واليد واللسان وذكر بعد مدينة مسينة المدينة
 المعروفة بيلارمة فقال فيها سكنى الحضرم من المسلمين ولم فيها المساجد والاسواق المختصة
 بهم والارباض وسائر المسلمين بضياءها وجميع قراها ومدنها كسرقوسة وغيرها وهذه المدينة
 سكنى ملكها غلام وشأنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين وهو كثير الثقة بهم
 وسأكن اليهم في احواله والمهم من اشغاله ومنه وزراءه وحجابه وهم اهل دولته المرتسمون
 بخاصته وعليهم يلوح رونق مملكته لانهم في الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة ولهذا
 الملك القصور المشيدة والبساتين الانيقة وهو كثير الاتخاذ للتيان والجواري وليس
 في جميع ملوك الرومية اشرف منه في الملك ولا انعم ولا ارفع وهو يتشبه في نعمه
 بالملك وترتيب قوانينه ونسب مراتب رجاله وتفخيم ابيهته واظهار زينتة بملوك المسلمين .
 وملكه عظيم جداً وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم شديد الحرص
 عليهم . ومن عجيب شأنه انه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته الحمد لله حق حمده وكانت
 علامة ابيه الحمد لله شكراً لانعمه . وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن . وذكر
 لنا ان الانرجية من الصرايات تقع في قصره فعمود مسلمة يعيدها الجواري المسلمات .
 وذكر مدينة شيلود فقال هي مدينة ساحلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة
 الاشجار والاعناب مرتبة الاسواق يسكنها طائفة من المسلمين وذكر مدينة ثرمة فقال
 هي احسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة تركب البحر وتشرف عليه وللمسلمين
 فيها ربح كبير لم فيه مساجد وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية وذكر
 المدينة التي هي حاضرة صقلية فقال هي ام الحضارة والجامعة بين الحسينين غضارة
 ونضارة فاشتت بها من جمال مخبر ومنظر وموارد عيش اخضر عتيقة انيقة مشرقة
 موقفة تتطلع بمرأى فنان وتخاليل بين ساحات وبساتين كلها بسستان فسيحة السكك
 والشوارع تروق الابصار بحسن موضعها البارع عجيبة الشأن قرطبية البنيان قد زخرت
 فيها للملكا دنياه تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحر الكواعب وتقلب في بساتينها
 وميادينها بين تزهة ولعاب فكم له فيها لاعمرت من مقاصر ومصانع ومناظر ومطالع
 وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها وديارات قد زخرف ببنائها وللمسلمين
 بهذه المدينة رسم باق من الاسلام يعمرون اكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة باذان

مسموع ولم ارباض قد انفردوا بها باسمائهم وبسكنائهم ولم فيها قاض وجامع يجتمعون
للصلاة فيه ويحتفلون في وقوده واما المساجد فكثيرة لا تحصر واكثرها محاضر لمعلي
الثران واطنب في شهبها بمدينة قرطبة . وذكر مدينة طرابش واطنب في ذكر الجميع
بما لامرغب في اطالته اذ يحير التفجع ويثير التوجع اعانها الله دار ايمان بتقدرته اهـ

وذكر من ولي على هذه الجزيرة من الملوك الى ان تغلب عليها الروم واستولى عليها رجار
ملك النصارى في زمن المرابطين على عهد الاموي المسموع من ملوك الشيعة بمصر
غداة استولت الروم على بيت المقدس والجزائر اوقبل ذلك يدبر وتداول هذه الجزيرة
امراء الى ان انقطع عنهم امداد المسلمين لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفن فكان
استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين واربعائة وذكر المؤلف من خرج من هذه
الجزيرة من المحدثين والعلاء والفقهاء والشعراء والكتاب مثل ابن حمديس الصقلي
قدم على المعتد بن عباد عند الجلاء لحادثتها فكان اثيراً لديه وهو القائل بما الم في
بذكر صقلية

قضت للصباء النفس اوطارها	وابلغها الشيب انذارها
نم واجالت قداح الهوى	عليها فقسمن اعشارها
وما غرس الدهر في تربة	غراساً ولم يجن اثمارها
فاقنيت في الحرب آلائها	واعدوت للسلم اوزارها
كيتاً لها مرح بالفنى	اذا حث بالهوى ادوارها
تناولها الكوب من دنها	فحسبه كان مضارها
وساقية زررت كنفها	على عنق الظي ازوارها
تدير بياقوتة درة	فتغمس في مائها نارها
وفتيان صدق كزهر النجوم	كرام التجار احرارها
يدبرون راحات فيض الكؤوس	على ظلم الليل انوارها
كان لها من نسيج الحباب	شباكاً تعقل طيارها
وراهبة اطلقت ديرها	فكنا مع الليل زوارها
حدانا اليها شذا قهوة	تذيع لانفك اسرارها
فما فاز بالسك الا فنى	نيم دارين او دارها
كان نواجذ عندها	دنات مضينة قارها

طرحت بميزانها درهمي	فسيل في الكاس دينارها
خطبنا بنات لها اربعا	ليفترع اللهو ابكارها
من اللاء اعصار زهر النجوم	تكاد تطاول اعمارها
ترك عرائسها ابديا	طوالا تصافح اخصارها
تفرس في شمسها طيها	مجدد الفراسة واختارها
ففي دارس الخمر حتى درى	عصير الخمر واعصارها
بعد لما شئت من قهوة	سنيها وبعرف خمارها
وعدنا الى هالة اطلعت	على قضب البان افكارها
يرى ملك اللهو فيها الهموم	تثور فيقتل ثوارها
وقد سكنت حركات الاسي	قيام تحرك اوتارها
فهذي تعانق عودا لها	وتلك تقبل مزمارها
ورافضة لقطت رجلها	حساب يد تقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة	ترك من النار نوارها
كان لها عمدا صففت	وقد وزن العدل اقطارها
تقل الدياجي على هامها	فتنهك بالنور استارها
كأنا نسلط آجالها	عليها فتتحقق اعمارها
ذكرت عقلية والاسي	هيج للنفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جذة	فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا	حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة	بكيت ابن ستمين اوزارها
فلا تعظمن عليك الذنوب	اذا كان ربك غفارها

وقد اجاد الناشر في التعليق على الرسالة بعض ما فات المؤلف من رجال عقلية
او هاجروا منها الى افريقية وذكر اناسا منهم فنشكره على تحفته

درس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط . القسم الثاني طبع في نفقة المكتبة الاهلية في

المطبعة العصرية ببيروت ص ٨٧

اجاد مؤلف هذا التاريخ بتسهيل مطالبه وتنسيق عباراته بحيث يتناوله التلميذ على

ايسروجه بعبارة لطيفة وهذا الجزء يشتمل على تاريخ دولة الخلفاء الراشدين وماحدث من الاحداث الاولى في الاسلام . وكنا نود لو صحت غزمية المؤلف على شكل مواضع الاشكال من عباراته حتى نقوى ملكة الفصيح او التلاوة العربية في التليذ وان يعلق شرحاً خفيفاً في الهامش على بعض الاعلام ولاسيما الجغرافية فيكون التليذ على بصيرة من مواقع البلاد التي تعرض له ويجتمع له منها مجموعة معجم صغير للبلدان التي فتحت للصدر الاول . وذلك مثل الجابية والبناء و بصرى والعربة واليرموك و قيسارية وعمواس وسبطية والرها وبرقة والقادسية وجلولاء والاهواز وقرقيسيا والجزيرة وكذلك بعض اعلام فارسية مثل مكران وطخارستان وماسبذان واييورد وطوس فان التليذ لا يقتضيه ان نقول له مكران من بلاد فارس خصوصاً وان كثيراً من اسماء هذه البلاد قد تغير الآن عن اصله اودثرت برمتها . ثم انا لاحظنا ايجازاً في العبارات كاد يكون مخللاً في بعض المحال مثل اقتضاب الجملة التي قالها هرقل لمسار من الشام الى القسطنطينية بانساً والثقت الى الشام وقال : « السلام عليك يا سوريا سلاماً لاجتماع بعده » وقد كتب التاريخ انه قال هكذا : « السلام عليك يا سورية سلام لاجتماع بعده ولا يعود اليك رومي ابداً الا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم وباليته لا يولد فما احلي نعله وامر فنتمه على الروم »

المهاجر السوري

تأليف جميل افندي بطرس حلوة طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيوبورك ص ١٥٤

من انفع الكتب الاجتماعية والاقتصادية التي نشرت بالعربية هذه الآونة هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه من مهاجرة السوريين في اميركا الشمالية لفائدة المهاجر السوري الى ارض خريستوف كولمبس فقد بحث بحثاً مستوفياً فيما ينبغي للمهاجر عمله حتى ينجح بدأه بلحة من تاريخ مهاجرة السوريين ونشوتها ومؤسساتها وعدد السوريين في الولايات المتحدة واعمالهم وقد قال في ذلك ان الاحوال قد تحوت والشؤون تبدلت واميركا اليوم غير ما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة وذلك ليكون المتخلفون في الوطن على بصيرة وانتباه ولاسيما ان السياسة قد بشرت بالترقي والتحسين والحرية بالتقوى والتمسك وسورية غنية بمناجمها وآكامها وريائها ومائها وهوائها ولا ينقصها الا البذل الاموال عليها وتوجيه العزائم اليها حتى يفيض منها اللبن والعسل .

وذكر ان الهجرة لا ترجع الى ابعدهن خمسين عاماً كان الباعث عليها اختلال المجاري

الاقتصادية في السلطنة العثمانية . وقد أنكرنا عليه قوله ان الصواعق في عهد الحكومة الحميدية كانت تقع على رؤوس نصارى الشرق دون سواهم وعلى فلوسهم يعيش الجاسوس والمناقبى لما ثبت لدى العارفين ان المسيحيين ان لم يكونوا سواء واخوانهم المسلمين في المعاملة فقد كانت حقوقهم مرعية اكثر وقولنا هذا في مسيحي سورية لاني غيرها خصوصاً وان اكثر المهاجرين من لبنان ولبنان باستقلال ادارته كان اكثر دعة من غيره من الولايات

وقال انه هاجر الى الولايات المتحدة فقط من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ خمسة آلاف نسمة وكلما نجح افراد زادت الهجرة وفي الولايات المتحدة من السوريين الآن عدد يبلغ الثلاثة الف اذا حسبنا تكاثرم على سبيل التوالد وقد تكلم المؤلف بحرية فقال ان البعض من المتجولين على تقدير انهم في بلاد غربة وعلى زعم ان لاراقبة عليهم ولا معاينة خلعوا عنهم تبعه الاستقامة والصدق والامانة جارين بذلك على انفسهم نقمة الوطنيين ولعنة المواطنين واجاد في كلامه على المرأة السورية المهاجرة و اشار الى ما تعرض له من الخوان و ثلم الشرف بالتجارها و اشار بان تعنى من هذه المذلة فالمال لا يكون شريفاً تحصيله من هذه السبل وعقد فصولا كثيرة في المهاجرة والدولة والمهاجرة ومتضياتها واستئصال النخاسة وحماية العمال والخطر الاصفر وتفرق المهاجرين في الولايات عوضاً عن تجمعهم وضريبة الدخول على النفوس والفحص ومراقبة الحكومة وما ينبغي للمهاجر ان يكون له من المال ويكون عليه من الصحة والمندام . وتكلم على عمران الولايات المتحدة واجاد فقال بكفي ان يقال عن مساحة الولايات المتحدة ان ولاية تكسس فقط منها تسع انكترا وجرمانيا وفرنسا وايطاليا مجموعات ! واورد دستور الولايات المتحدة وحقوق الرعية فيها ورئاسة جمهوريتها وتذاكر الجنس بالجنسية الاميركية وغير ذلك من القوانين النافعة لتصور حالة تلك البلاد وهو ما ينفع المهاجرين وغيرهم فنشكر للمؤلف ثمته التي نفع بها ابناء وطنه

كتب متفرقة

نقد الاصائح الكافية — تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وفيه تعديل معاوية وقبول مرويه ومروي الصحابة الذي كانوا معه وبيان الاعتدال والانصاف كما هو مذهب الاثمة وفلاسفة الاسلام وهو في ٤٤ صفحة طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ومن احسن

ماراقنا فيه الفصل المعنون ببيان ان كتب الحديث مشتركة بين الامة يرويها الشيعي عن السني وبالعكس وان عادة السلف الرواية عن المخالفين في المذهب وان كتب الحديث هي ايمانية محمدية لاشافعية ولا غيرها والكتاب جيد كسائر ماخطته براعة الاستاذ الاخلاق — هو كتاب عربي عن الانكليزية محمد افندي الصادق حسين صدر الجزآن الاولان منه ومؤلفه سموئيل سميلز من مشاهير الانكليز ويطلب من مكاتب القاهرة الصحة من السعادة — تأليف الطبيب مصطفى السعادة صدر الجزء الاول منه في ١٦٦ صفحة وفيه كثير من القوانين الصحية والتدابير الالهية يطلب من مؤلفه في بيروت

ديوان الانشاء — هو مختصر في المراسلات العصرية تأليف محمد عمر افندي نجبا في بيروت في ٢٢٤ صفحة وفيه كثير من الفوائد والرسائل التجارية يطلب من مؤلفه ومن مكاتب بيروت

الاسلام حافظ الدم في ما بين الام — تأليف عبد الوهاب افندي سليم التنير من افاضل بيروت وفيه رد على بعض قسس البراستانت الذين تناولوا الاسلام بما حط من شأنه آخذاً من كتب الافرنج ومنشوراتهم وتوار يخم غير مغفل ماورد في الاسلام نفسه وهو في ٤١ صفحة

الدرر — اعادت المطبعة الادبية في بيروت طبع « الدرر » لاديب بك اسحق من كتاب الطبقة الاولى من الصحافيين في القرن الماضي وفيه مقالاته وقصصه وخطبه وآثاره ومراثيه وكل مايتعلق بذلك وهو من جمع شقيقه عوني افندي اسحق وقد وقع في ٦١٦ صفحة

مجلتان جديدتان

مجلة الاقتصاد — هي زراعية صناعية تجارية مصورة لمنشئها انبال افندي ايبالا تصدر في بيروت مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشترائها في العام خمسة بشالك ما عدا اجرة البريد وفيها عدة مقالات نافعة منها مقالة في بلجيكا واقتصادياتها جاء فيها ان مساحة انكلترا ٣١٥ الف كيلومتر مربع وسكانها ٤٠ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٢٦ والديون العمومية ١٧ ملياراً والتجارة ١٧ ملياراً وطول سككها الحديدية ٣٥ الف كيلومتر ومساحة البلجيكيك ٢٩،٤٥٠ وسكانها ٧ ملايين ومعدل سكانها ٢٢٤ وديونها ٢٤٠ مليار وبجارتها ٣٠ مليار وطول سككها ٤٥٠٠ ومساحة النمسا والمجر ٦٢٥

الف كيلومتر وسكانها ٤٤ مليوناً ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٦٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ٤٤ مليون وسككها ٢٥ الف كيلومتر ومساحة المانيا ٥٤٠ الف كيلومتر مربع وسكانها ٥٣ مليوناً ومعدل الساكن في كل كيلومتر ٩٧ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ١٠٤ وسككها الحديدية ٤٩ الف كيلومتر ومساحة روسيا ٥٤٣٠٠٠٠٠ وسكانها ١٠٦ ملايين ومعدل السكان ١٩ وديونها ١٦ ملياراً وتجاريتها ٤ مليارات وطول سككها ٤٠ الف كيلومتر ومساحة ايطاليا ٢٩٠ الف كيلومتر وسكانها ٣٢ مليوناً ومعدل سكانها في كل كيلومتر ١٠٩ وتجاريتها ٣ مليارات وسككها ١٦ الف كيلومتر ومساحة فرنسا ٥٣٦ الف كيلومتر وسكانها ٣٨ ومعدل السكان ٧٢ ساكناً في كل كيلومتر وديونها ٣٥ ملياراً وتجاريتها ٧٠ وسككها الحديدية ٤٢ الف كيلومتر اما البلاد العثمانية فمساحتها ٤ ملايين كيلومتر مربع وسكانها ٣٨ مليوناً ومعدل السكان في كل كيلومتر ١٠ اشخاص وديونها ٥ مليارات وتجاريتها ١٠ مليارات وسككها الحديدية ٥٠٠٠ كيلومتراً فيه طريق الحجاز

العالم الجديد — مجلة شهرية تصدر بالعمرية في نيويورك وتبحث في شؤون اجتماعية واقتصادية ولغوية وفكرية وتاريخية اطلعنا على العدد السابع والثامن منها فراءناهما حافلين بالموضوعات والمباحث النافعة لمنشأها سلوم افندي مكرزل وقيمة اشترائها دولاران ونصف وهي في عشرين صفحة كبيرة

سير العلم والاجتماع

مدارس الصحافة

حاول الغربيون ان يعلموا فن الصحافة في المدارس فأنشئت في باريز سنة ١٨٩٩ مدرسة للصحافة فلم تلبث ان أصبحت منتدى تقرأ فيه محاضرات ومسامرات وخطب في موضوعات لها علاقة بالصحافة . وفي ايل نام اوجين تافرنيه سنة ١٨٩٦ فالتقى عدة محاضرات في وظائف الصحفي وفي لندن انشأ ويليام روث مدرسة للصحافة يدرس فيها علاوه على كيفية كتابة المقالات اصول طبع الجريدة وفي اميركا ولا سيما في الولايات المتحدة انشأ عدة صفوف في المدارس الكلية لتعليم الصحافة ولا سيما في فيلادلفيا

وشيكافغو واضافوا في ولاية كنساس الى دروس التحرير والانشاء درساً في كيفية جلب الاخبار وامتازت سويسرا والمانيا في هذا الشأن فاشتركت برن وزورنخ وجنيف وهابلدبرغ وبرلين في تعليم فن الصحافة . قالت احدى المجلات الافرنجية بعد ايراد ما تقدم : وباليث شعري هل اثمرت هذه الاعمال ما كان يتوقع منها وهل دخل الاصلاح في الصحافة من هذا التعليم ؟ فالجواب بالايجاب صعب . فينبغي للصحافي مع ما يجب لصناعته من المعارف الفنية كفاءات متنوعة ومزايا طبيعية وصفات في انشبات والارادة ويصعب تعليمه هذه المهنة بدونها مهما اجلسناه على دكات المدارس على انه لا ينكر ان التعليم العالي يجب ان يعنى بعد الآن بالمسائل المهمة التي تخوض الصحافة عليها وان مدارس الصحافة التي هي متممة للدروس العالية تخدم خدمة نافعة في هذا الشأن

الساحات للصحة

قال الفيلسوف جان جاك روسو : ان نفس الانسان مضر بالناس . ولكن هذه القاعدة لم تطبق في المدن ولذلك كثرت فيها الامراض فقد تبين بالاستقراء ان المدن التي تكون ساحاتها العامة اكثر والهواء والشمس يخالطها تفل فيها الوفيات بالسل وان في لندن يقل عدد الموتي بالسل الى ثلث عدد من مهابكون به في باريز لان ساحات لندن اكبر من ساحات باريز بثلاث مرات تصرف عليها الملايين لاعتقادها النفع منها للناس . قلنا فاين ساحاتنا في المدن الكبرى وحدائق النزهة .

مكاتب الشعب

قدم قيم مكتبة مدينة بلنفا الروسية الى مؤتمر الكتب والمستندات في بروكسل تقريراً في خزان كتب الشعب في بلغاريا فقال انه يعصدها جمعيات مؤلفة اعضاءها من ارباب الحرف المختلفة فلكل مكتبة محل فيه خزانة الكتب وغرفة المطالعة التي تعرض فيها المجلات والجرائد السياسية والمصيرة . وقال ان مدينة بلنفا كانت فيها سنة ١٨٨٨ — ٨٠ مجاداً فاصبح فيها الآن ١١ الفاً وانه عول ان يجري على طريقة مجمع الكتب الدولي الذي عقد في بروكسل وهر ان تصف الكتب بحسب موادها وتجهل لها فهرس بذلك

يابان الاقتصادية

نشرت يابان احصاء بالخالق الاقتصادية في بلادها خلال سنة ١٩١٠ فبلغت مساحتها السطحية ٤٤٨٢٤٣ كيلومتراً مربعاً يدخل في ذلك جزائر فرموز وبسكادور وصتاين

وكان سكانها سنة ١٩٠٩ — ٥٣٠٢٧٤٠٩٨٠ منهم ٥١٦٩٠٥٨١ في البلاد الاصلية وقد زاد السكان منذ سنة ١٨٩١ عشرة ملايين فيكون بذلك ١٣٣ ساكنًا في كل كيلومتر مربع . وقد نظمت يابان ماليتها بعد الحرب الروسية اليابانية وسنت قواعد في الميزانية ملوأة بالحكمة وحددت الخرج والدخل السنوي بحيث تقام عقد قروض جديدة وان تسارع الى وفاء ما عليها من الديون فلا تمل الى ان تطلب اموالاً جديدة بل قلت ما يمكن ما كانت وضعته من الاعتمادات لبعض المشاريع وارجأت دفع النفقات اللازمة لبعض الاعمال العامة وضربت لها مددًا متطاولة لتخفف السنة بعد السنة

وعزمت هذه الحكومة ان تدفع كل سنة خمسين مليون يان او ١٢٩٠١٥٠٠٠٠ فرنك كل سنة لوفاء الديون العمومية وازمعت ان تزيد هذا القدر حتى تستهلك جميع الديون التي عليها ومع كل هذا فهي تزيد في ميزانيتها العادية وميزانيتها فوق العادية فكانت هذه السنة ٤٠٢٠٨٦٠٠٠٠ يان للاولى و١١٤٦١٩٩٧٨ يانًا للثانية وام النفقات التي زادوا فيها مخصصات الامبراطور وزيادة رواتب الموظفين والضباط والتوسعة على الجند واكثر النفقات فوق العادة بذلت في استهلاك دين الامبراطورية . وبداعي النظام الجديد في الجباية نزلت الضرائب على العقارات والسكر احد عشر مليون ونصف مليون يان وزادت من جهة اخرى واردات الحكومة العادية بتحسين بعض الضرائب الاخرى وحاصلات الطوابع والبريد واحتكار الملح والكافور والتبغ . وقلت النفقات الغير العادية مليونين ونصف مليون يان . هذا وقد كانت الميزانية منذ خمس سنين ٢٧٧ مليون يان فارتقت على حين فجأة ابان الحرب الروسية اليابانية الى ٤٢٠ مليونًا

وبلغت تجارة يابان الخارجية سنة ١٩٠٩ — ٨٠٧٠٣١١٠٣٥٤ يانًا منها ٤١٣١١٣٠٠٠ من الصادرات و٣٩٤٠١٩٩٠٠٠ في الواردات واكثر صلات يابان التجارية مع الصين والولايات المتحدة ثم تحي فرنسا فللمانيا فانكثرت . وطول خطوطها الحديدية ٥٠٢٠ ميلًا منها ٤٥٤٢ ملك الحكومة و٤٧٧ تستثمرها شركات كلفت ٥٣٥ مليون يان ومع ان معدل دخل سكك الحكومة اكثر من دخل سكك الشركات فالحكومة تريد ان تجعل محاسبة خطوطها على صورة تجارية

فوائد التالفون

نشر احد الالمانيين كتابًا في الفوائد التي نجمت في التجارة من التالفون جاء فيه

ان ما انفتحه المانيا الى آخر سنة ١٩٠٤ ١٥٢٠٠ مليون مارك لاثاء السكك الحديدية و ٢٦٤ مليون مارك لاثاء الاسلاك التلفونية . وكانت الولايات المتحدة انفتحت الى سنة ١٩٠٢ — ١٨٢٣ مليون مارك وان النظام الاقتصادي الحديث قائم اليوم على اساس نقل الاخبار بسرعة في الاسلاك التلفونية مبادلة للمفاوضات الشفاهية في بقعة واسعة من الارض ولا تزال المسافات بين الاسلاك تبعد كما كل الفن وتم العلم والتلفون افضل من التلغراف ولكنه لا يقوم مقامه واستعمال التلفون يستلزم اقتصاداً عظيماً في الوقت وبه سهل تكاثر الصلات التجارية وكان يتمرد بدونها دوامها وساعد على اعتدال الاسعار وتحكم التجار فيها والتلفون اداة نافعة في تقسيم العمل وتوزيعه فالواجب تنزيل اسعاره حتى يشترك في منافعه الفقير والغني على السواء

التجّاح الالماني

كان من نتيجة آخر احصاء قامت به المانيا منذ ثلاث سنين ان كان عدد سكان المانيا ٦٢٠٣٦٠٠٠ اخذت افادات كافية عن ٦١٠٧٢١٠٠٠ ساكن وقد صرفت المانيا على هذا الاحصاء الاخير وحده زهاء ستة ملايين مارك فكان عدد الاشخاص العاملين في الصناعات الرئيسة ومنهم الخدمة ومن لاموطن لهم والاشخاص المستقلون بلا عمل ٣٠٠٠ مليون وفي المانيا ٢٦٣ مليون ارباب الاملاك وموظفين فاذا حذف عدد الاشخاص المستقلين وهم بلا صناعة تجد عدد العاملين ٢٦٨ مليون اي زهاء ٤٣ في المئة من مجموع السكان وكان سنة ١٨٨٢ ١٧ في المئة فقط . ونقسم هذه الصناعات والحرف الى ثلاثة اقسام رئيسة وهي الزراعة ويدخل فيها البستنة وتربية المواشي والغابات والصيد . والصناعات الصغرى والكبرى والتجارة والنقل وقد زاد عدد العاملين في كل فرع من فروعها وقل عدد المشتغلين بالزراعة على نسبة معتدلة فكان عدد العاملين في الزراعة سنة ١٩٠٧ ٣٢ مليوناً على حين بلغ عدد هذا العدد ٤٣ مليوناً سنة ١٨٨٢ وبلغ عدد من يتعاطون الزراعة مباشرة في سنة ١٩٠٧ — ١٧ مليوناً وعدد المشتغلين بالصناعات ١١ مليوناً وزاد عدد السكان سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٧ نحو عشرة ملايين التهمت الصناعة منهم ثلاثة اقسامهم وربعم انصرف الى التجارة والنقل وهكذا كان بحسب الاحصاء الاخير ٢٠١٤٠٠٠ شخص من مديري الزراعات و ٧٠٢٨٣٠٠٠ من العملة و ٩٩٠٠٠ من المستخدمين و ١٠٩٧٧٠٠٠ مدير في الصناعة و ٦٨٦٠٠٠ مستخدم و ٨٠٥٩٣٠٠٠ عامل و ١٠١٢٠٠٠ مدير في التجارة و ٥٠٠٠٠٠٠ مستخدم

و ١٤٩٦٠٠٠٠٠ عامل ٠ وزاد عدد الاشخاص العاملين بكثرة سرعة من عدد المعامل وكثر انضمام المعامل بعضها الى بعض واحتفظت الزراعة بالقسم اللازم لها من السكان ونبتت الآخر للعمل في التجارة والصناعة

مطالعات

قال ابو العلاء المعري واجاد ماشاء :

مثل الفقى عند التغرب والنوى مثل الشرارة ان تفارق نارها
ان صادفت ارضاً ارتك نخودها او وافقت اكلاً ارتك منارها

وقال الآخر وقد ابدع :

وكم قاتل مالي رأيتك راجلاً فقلت له من اجل انك فارس
وقال التجري ولم يبق مجالاً لقاتل :

الجاهلان اثنان من دون الوري فافطن أخى وان لما لم يفتنا
من قال ما بالناس عني من غنى من جهله اوقال بي عنهم غنى

فضائل الهند ثلاثة وضع كتاب كليلة ودمنة المشهور والشطرنج والارقام التسعة الهندية قال يونس النحوي : الايدي ثلاث يده بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء هي الابداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف واليد السوداء هي المن بالمعروف

كتب رجل من العلماء الى يزيد بن حاتم يستوصله فيبعث اليه ثلاثين الف درهم وكتب اليه (اما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفاً لا أكثرها امتناناً ولا أقلها تجبراً ولا استئيبك عليها ثناء ولا اقطع لك بها رجاء والسلام)

عيسى اسكندر المعالوف

احصاء الحيوانات

قدم الاستاذ سبيلي الى مجمع ترقية العلوم البريطانية احصاء في انواع الحيوانات قال فيه لقد كثرت منذ نحو نصف قرن الحيوانات ذوات الثديين كثرة زائدة فبعد ان كانت ١٢٠٠ نوع اصبحت ٢٣٠٠ وبعد ان كانت اجناس الطيور ٣٦٠٠ ارتفعت الى ١١٠٠٠ وكان عدد الدبابات ٣٤٣ فصارت ٣٤٠٠ وعدد الاسماك ٣٥٠٠ فاصبحت ١١٠٠٠ والحيوانات التي لا تقار لها كذات الصدف ١١٠٠٠ انعد منها ٣٣٠٠٠ والحيوانات ذوات القشر من ١٢٩٠ الى ٧٥٠٠ والعناكب من ١٠٤٨ الى ٣٠٧٠ والهوام من ٤٩١٠

الى ٢٢٠١٥٠ واجراء البحر ونجومها من ٢٣٠ الى ١٨٠٤٣ والديدان من ٣٧٢ الى ٦٠٧٠ وكان مجموع الانواع المعروفة سنة ١٨٤٠ — ٧٣٥٨٨ فاصبحت سنة ١٨٨١ ٣١١٦٥٣ ومازالت في ازدياد سنة عن سنة .

انكلترا والاقتصاديات

نشرت الحكومة الانكليزية احصاء مهماً في الوفيات والولادات قالت فيه ان عدد الوفيات سنة ١٩٠٨ كان ١٥ في الالف في انكلترا و ١٦ في الالف في البلجيك و ١٨ في بروسيا و ٢٠ في فرنسا وان من يموتون من الاطفال في روسيا فاحش جداً فقد بلغ ٢٦٨ في الالف وقد تبين من هذا الاحصاء نجاح انكلترا كثيراً في الامور الاجتماعية منذ خمسين سنة وقلة المواليد فيها فقد كان معدل الولادات فيها سنة ١٨٥٠ — ٣٣ في الالف فنزل سنة ١٩٠٥ — الى ٢٧ في الالف وان الفقراء يكثرون عن ذي قبل وكذلك يكثرا يداع الناس اموالهم في صناديق التوفير وتتسع دور العملة بفضل المجالس البلدية وتقل الامراض المعدية وتزبد مسافة الانفراج بين غلاء المعيشة والمياومات وان مايشغل بال انكلترا هو في الحقيقة مسألة العطلة الاسبوعية

حماية الاطفال

في اميركا انشئت اول جمعية لحماية الاولاد سنة ١٨٧٦ وفيها اليوم ٣٥٠ جمعية تتوخى هذا الغرض واهم هذه الجمعيات هي في مدينة نيويورك في بنابة عظيمة ذات ثماني طبقات خدمت الانسانية خدمة تذكر فمساعدتها ابطل اكراه الاولاد على الشحادة او بيع الزهر في الليل ومنع الموسيقيون السيارون والباعة وغيرهم ان يستخدموا صغار الاطفال فاذا وصل اليها طفل تفحصه فحاصاً طبيباً فان رأته فيه تشويهاً في بعض اجزاء جسمه تختار له عملاً بوافق مزاجه وبذلك انقذت منذ تاريخ تأسيسها ١٦٠٩٧٧ طفلاً

الهواء الطلق

وضع احد علماء كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك طريقة جديدة في الاستشفاء فارتأى ان يسير المرء مكشوف الرأس حافي القدمين ويتجرد ابداً من الثياب فلا يكثر منها اذا امكن وبنام بدون قميص وبفضل السير راجلاً على ركوب المركبات والتزاموايات والدراجات وقد اخترع نوع من القنقاب ليلبس في الارجل بدل الاحذية المتعارفة حتى يتخلل الهواء الرجل على نحو الطريقة التي اخترعها الخوري كتيب في الاستحمام

للاستشفاء بالماء البارد . اما الجوارب فقد حظر لبسها في الارجل قال ولا بأس بوضع قماش مسرد على الساقين وقال ان النزلة الصدرية كادت تسطو عليه منذ وضع سنين فرأى ان يداوئها في الحال بالشي السريع فتصب جسمه عرقاً ونجماً من الاصابة بها . وقد احدثت هذه الطريقة الجديدة في الصحة اخذاً ورداً بين الباحثين والعالمين في الغرب فكان واضعها يريد ان يعود بالانسان الى العيش الطبيعي

الخط المائل والمستقيم

اتفق جمهور من الاطباء في جلسة لم في باريز على ان الخط المستقيم لا يتأق معه للولد ان يجلس جلسة طبيعية بسبب التنقل الدائم في بدء الجنى فان حركة ذراعه تحدث تعباً في الاعصاب فيكون هذا الخط متمباً جداً وبطيئاً جداً وتزاد هذه اخطار الاولاد المستعدين لتشويه الجسم والكرزاز (الشنج) الذي يصيب انكساب اما الخط المائل فانه يكتب على صورة اسهل من المستقيم ولذلك يتل اعتبار للولد وتكون به جلسته اكثر انضباطاً وهذه الطريقة هي التي يفضل تعليمها في المدارس وان الخط المستقيم لا يحول دون حصر البصر كالخط المائل او المنحني

نصائح للمعلمين والمتعلمين

كتب احد المثقلين بتربية العقول يقول ان التربية المدرسية يجب ان لا تختلف عن التربية البيتية فيفرض على التلامذة ان يعنوا باسباب الحشمة والحرية والارادة والنظر والتعقل وهكذا يتعلمون مايجب بانفسهم ولاانفسهم قال وياك ايها التلميذ ان تحاول الرجم بالغيب فالتكبن هو صورة من صور الكذب . والتفت الكاتب الى الاساتذة فنصح لم ان يحترموا شخصية تلامذتهم كل الاحترام وان يدركوا معنى التبعة التي تنوء عليهم ويقولوا في انفسهم ان المدرسة اذا لم تسر سيراً حسناً فذلك ناشئ من المعلمين لا المتعلمين فعلى الاستاذ ان يحذر الغفلة والتوسع في الرحمة كالتوسع في الشدة وان تكون مطالبهم من المتعلمين بحسب سنهم فيجب ان لا يخافهم التلميذ ولكن لا يبعضهم وان تكون تربيتهم استقلالية لا اتكالية اي لا كاتالة الموظف مع سيده . وهنا وجه كلامه الى المديرين فقال عليكم ان لاتنسوا ان الواجب ان يعامل الناس باكثر مما يستحقون



المقابر

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة « المقتبس » الغراء ما حاك بروده وطرزت بنوده براعة صديقنا
الابر الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بتيمة اعلام دمشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد
في اسفار الدين واشعار النابغين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الخاكية
عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن العبوي ودقة النقل وبراعة اللمجة
ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ماهو مشهود من
فضل الشيخ اعظم الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحجير مقالة موجزة تكون لها
كالكلية تأتي على ما عند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد .
وهو موضوع بكر لم يتصور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يحم حوله فلم شرقي علي ما
اتصلت اليه مطالعانا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواد المستترة في ثنايا الصحف والمبعثرة في
زوايا المطولات وتخييراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالتنا — على
مانعده بذاتنا من الضعف — طرفه يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احراها ان تكون
مع رسالة الشيخ سفرًا مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن
وادبائه فان اتبتم علي هذه البغية كتم من المحسنين

تمهيد

كثير عداد من يزعمون ان العرب هم المنفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن
اعتقاداً دينياً سداً الى ماورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثاً لما جاء في اقصيص الجاهلية مما دونه الثقات
واقبته المؤرخون واتي على يباه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل . وفي ذلك الزعم
من الخطأ والوهم ما لا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيضة
وجنس ومذهب لرأيت في تضاعيفها ما يؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منتشرًا بين
البشر مستفيضًا في كل قبيلة وفصيلة وشعب من اهل بهم المعمور من الارض شرقًا وغربًا
شمالًا وجنوبًا بادية وحضرًا لا يستثنى منه قوم ولا تبرا منه أمة ولكن علي تبين في الآراء
واختلاف ببعض الفروع

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاقرار بوجود آلهة يرجى خيرها
انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لا حميد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده
العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيف مجتاز في حكم هذا الوجود والا فبال الام
على تباعد انجائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمل على هذا الامر
اجماعًا باتًا كأن افرادها متواطون عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول بالله
يثيب وشيطان يكيد وجن تخيف ونفس بين ذلك تتنازعها عوامل اليأس والرجاء
ويدولها انبا بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي ثقلها الغبراء وتظلمها الساء ويتعشا
الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكومًا على هيو لاها المركب بالانحلال
وشخصها المتحركة بالجمود ثم الفناء

على هذا نأت الناس وتلى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحيوة والموت الوقا موافقة من
السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون
من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — يجلسون على منصات
القاهرة والاساطين ويشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ما جاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار

ويقولون مع ابي العلاء

ومهما عشت في دنياك هذي فما تخليك من قر وشمس

تخطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك
وانه لاشيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتاورها التركيب والتحليل ويتداولها
الدور والتمثيل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدوير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من
اوهام الواهين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن ماء وطنين
ولا يحينا ويمينا الا الدهر !! -

فاين هذا من ذاك ؟ وما هذا الانقلاب العجيب والانعكاس الغريب ؟ واية منفعة
من قول جعل العامة من الناس - وهم تسعة اعشارهم بل يزبدون - في اودية من الخبرة
يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخطون لا يرون لانفسهم مما القوم في مهاويهم
مخرجاً ولا هم يهتدون .

رويدك ابهذا العصر عصر الحضارة والنور . وكلي رسلكم بامعاشر العلماء . ارباب
الحصافة والذكاء . وحنانيكم يا من اكثروا من التعمق والتبحر . واسترسلوا في الاستقراء
والاستنتاج . وبجثوا في الجرائم والذرات . وتكلموا عن الحويصلات والنفائيات .
وبرهنوا على كون السديم اصل الكائنات . والانسان سليل نوع من القردة او ما يشاكلها
من ذوات الفقرات . ورحماكم يا اصحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياع « ميجنر »
وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كافرشيا » وحكيم « وادي الفريكة »
ومتهموسو « وادي النيل ^(١) » ابنا ايم الله لسنا من يقف في سيديكم فيما تستوحون اسرارهم
من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاءه من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقينه
عليكم الطبيعة أممكم وأماناً من الدروس والامثولات طبق ما تبعثكم اليه ميولكم واهواؤكم .
ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا نداولها بيننا همساً ونهجس بها سرا فان
اصحتم اليها سمعاً واستوعيتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عددناكم كراماً وقلنا
سلاماً والافما على من استحكمت الابطوخاندر يا في معدته واستوات السوداء على دماغه
من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل . ومن اراح لامن اتعب
فياحبذا - يا اصحابنا - الجبالة انما خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى
نقض الاديان وثقوب اركان العقائد وتمتين دعائم التعطيل والجحود قبل ان تتضح
آراؤكم وتجمعموا على ما اليه ترمون وعليه تنهافتون من بث بذور الكفر في القلوب وتعيدكم
للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها ومن اولتم علومها اعان بها من جنود يونانير بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها

(صفحة ١٠١٢ و ١٠١٣)

اولئك الذين كانوا لكثرة اصطحابهم لها ونهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بها يسمونها باحب الاسماء اليهم ويعانقونها وبقبولها كأنها من الغائيات الفاتنات وكذلك انتم الآن فان توفركم نكي تلك الدراسة وانصرفكم الى استيحاء دقائق الهيولي مستحكين الصامت من قواها وعناصرها غير منفكين عن مناجاتها ومباغمتها آناء الليل واطراف النهار قد استهويكم واستدرجكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها شيء اوقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا منذ الآن من كل معاجم الارض ما حوته من الالفاظ الدالة على الخلق والابداع والصدانية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم فيا اسفاً على الهمجية اذا كان مأناكم هذا من نتاج المدنية وباحسرة على الجهالة ان كان ذلك من مستلزمات العلم . افتركون الفأ وستمائة مليون من الناس حائرين بالترين لا يدرون بهم يعتقدون واية وجهة يلتخون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون !!؟؟ تالله اننا معكم لفي صفقة مغبون وما انتم الا غادرون والافا هذا التغير الذي يجعل كلا من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق متسترأ ويثلب مخفياً ويقتل متوارياً وينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا سيف الآخرة على زعمه من نكير !!!

لعمرك ان العامي الذي لا يتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولا يرجو عن حسناته ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاضمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحياة الدنيا كالنبات الفطري حتى اذا مات لم يعد شيئاً مذكوراً . لا يلبث ان يكون لعنة على الارض وسخطاً من السماء لا يحفل بالمحظور والمباح ولا يبالي بالاحلال والحرام بل يقضم الاخضر واليابس ويمتص العاصم والغاصم وهو يقول « على الدنيا السلام »

فالعالم الحريص على منفعة بني نوعه الدائب على خير قومه وبلاده من اشتغل بما يريد من انواع العلوم ما يشاء على ما يشاء وان يعتقد لنفسه بنفسه ما احب كيفما يحب لكن على شريطة ان ينشط لثنتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تزجها عما لحقها من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات ناركاً للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات ورادعاً من ضميره ينكبه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين لا يكلفه الشلط ولا يعنته بكثرة التكاليف وقد اباحه من طريق الحلال كل ما منعه

عن طريق الحرام فلا يقبل في وجوه ملاذه وامانيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل ويرضى به الصواب

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما
او على الاقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحلها يتحارسها زعمائها ويصونها ائمتها
وعلاؤها — فلا يتعرض لها ولم في اقواله ومنشوراته بما يعث باليقين ويولد الشكوك
ويبعث على الحيرة او المروق من نزغات ومعاريض وثرهات وادلة وبراهين واقاصيص
لاقوام لها حتى اليوم الا التزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد
بالشهرة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقاً وتواطأت على وجوبه العقول وان
كان صحيحاً غير مفكر بما يجم عن اضاليه وسفاسفه من تشويش النظام وضياح الاحكام
وانتشار الفوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤنا يزارعون برابرة
الاقويانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلقاً واوضاعاً • متصيداً باحليله
الابليسية وبهتان المزخرف مافي حقائق بعض من أوتوا مالاً ولم يرزقوا عقلاً من دينار
مكوز ثم ينفقه على تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع على الناس
— ولا سيما الناشئة الادبية منهم — مجاناً قصد اشراب قلوبهم تلك المبادي الفاسدة
وابداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة التماساً للشهرة على ما المأنا من طرق التعميم
في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحج الطبيعة —
هذه الايام ففعلت نفثاته السامة في ادمغة البعض ما لا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة
الشهوات وانتلال عروش الآداب وتقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية
الى غير ذلك من بواعث الهلكة والانقراض والموار لولا ان بأى الله الا ان بعيد كيده
الى نحره بان قبض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر
اهل الغرور بما يرمهم عياناً زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح • والباطل
لجلج فضاح وان كره الماكرون

بقول المتعنتون من هؤلاء الملاحدة المتخلفين — سنداً على ما سجله التاريخ من انباء
حروب وقتن واضطهادات ^(١) كانت منشأها الظاهري التباين في المذاهب
والاختلاف في الدين

(١) يريدون بذلك مناوآت القياصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره
وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وقتن الخلافة في

ان الديانات ألقت يدينا إحنًا وعلمتنا أفانين العداوات

فالدين أذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لاطهيره !!!

نحن لاننكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات أثبتت باسم الدين ونسبت على حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلا الشاذ — انما هو شهوات الملوك ولبنات اولي الحكومات ونزوات ارباب السلطات والزعامات الذين من دأبهم — ولا سيما في تلك العصور المظلمة — التذرع باية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني او المذهبي — لاثارة الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يثبها لهم من جرائمها تمكين السلطة والتوسع في البسطة والاستفحال في الملك تلبية لدواعي اطماعهم اللانهائية واشباعاً لنهماتهم اميالهم النفسانية فالمرء لا تنتفضي آرايه ابداً اذا انقضى ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ما ينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ???
لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً جمّة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع بالدين احداها وقد لا يكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا قد يسيئون في امورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون: فما بالنا نلصق بالدين — الذي هو من الله — ما ينجم باسمه وعلى حسابه من مساوي الناس ؟
أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطاعم اصحاب العروش وتحالف العناصر وتباين الاجناس وطوح الام التي توفرت لها القوّة الى التلب على المستضعفين ونزوعها الى الشكاثر والاستزادة سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمري الحق — في كل آن وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلّة العدوان ومنشأ الحروب التي ما برحت مرافقة حيوة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً وامماً وجماعات حتى الآن وهي لا تبرح ولن تبرح ملازمة لهم — ولكن على تباين بانكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى

صدر الاسلام ومذبة القديس برتلاوس في فرنسا والتمفّيش الديني في اسبانيا وناهضة منكري تكريم الايقونات في الشرق والغرب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي نثبت اولاً واخيراً باسم العقائد والبعد والمذاهب والدين

منتهى الدوران . ومن ماراني في ذلك اثبتته من أثوال قهارمة التاريخ واقطاب العمران وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان .

لتسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور النصب والغاوة والجهل كانت الديانات جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن مكين !! لأبأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التساهل والكياسة والعلم عصر الحضارة والتمدن والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولتقف متسائلين هل خلت أممه الاعرق حضارة والاىلى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تصلى واطماع تسود وشروع تنفام ؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب بروسيا مع النمسا (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) او حرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروسيا مع اليابان والبلغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن العشرين ؟؟ كلا ثم كلا

فليصمت اذن اولئك الذين يظنون بتلك السفاف والترهات تغريراً بالسذج وتمويجاً على الاغبياء ولعلوا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يميز بينه وبينه وبثيب مع الاحتفاظ بتعادله « من دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر الآداب ومظهر انوار والتحاب : فكيف لا يبقى الله اولو الالاباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبنية على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو وتنزهها عن الخرافات واللغو وترفع اوليائها عن التشيع الثائن والنصب الضار والتحامل الذميم يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا يقول المعري

أترك هاهنا الصبياء عمداً لما وعدوه من غسل وخمر

فموت ثم بعث ثم حشر حديث خرافة يام عمرو

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر الضريع يررشين الحبسين — حبس العمى وحبس البيت — بعد ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد والريب فقال متوجساً لعقابه حاسباً حساب أخراه

في القدس قامت ضحية ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس يدق — وذا بماذنة يصيح

كل يؤيد دينه باليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الاعلى دين آبائه كما حقق الثقات من معاصره خلافاً لمن يتخذون اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويدعونها بين الناطقين بالضاد هدام الله ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كجأ لجأح من ملأ والديناز ياطأ تشيعاً لاصحاب تلك الاضاليل من يتوهمون السراب شراً والحبة قبة وما اهون ما تخدعهم الخراف والاباطيل ان ربك للبرصاد وهيئات ان يفلح حزب الفساد مادام للصلاح فئة من اعلام يعملون هم في الظلمات مشكاة وفي الجاهل والمعاثر هداة وما على منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل
« عود على بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجنان قلما خلت منه امة في غابر الازمان ومصادقاً لذلك نقول الآن

ورد في فيثولوجيا الهندوان ارواحاً شريرة اسمها « رقصاشة » ومعنى هذا الاسم الجبارة خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقابر وتلهي باثارة الموتى من اجدانهم والقرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة واشكالاً متباينة ثم هي لاتزال حاضرة عند مقدمة القرايين وذبح الضحايا للالهة لكي تفسد على الناس شعائرهم وتفري المعبودات برد تلك القرايين ورذل مقدميها : من اجل ذلك يعدها الهنود اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريتيه القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى العاصي باتباع « برهما » و « بوذا » من ذوي الجنس الاصفر ان النساء وخدمة الدين طالما استعبدوا القوى العلوية لاجابة من ضرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لا يزال يزيد نمواً وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون مني الائمة اصحاب الكبار لان ارواح هؤلاء تكون الى زمن من نوع « الرقصاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المنقسمة الى فرق ومراتب انما هي « رافانا »

وليتك تدري ما « رافانا » انما هي روح شريرة زائدة القحة والجراة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائبه ومآربه ونزعاته فتجاذى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياناً حتى أنَّت من حيفة الارض وشكت ظلماً الافلاك واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملوك في عروشهم وكان موطن هذا الجني الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساءً « وشنو » ^(١) العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينتقد الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماتشندرابين داسرتاملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد على زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخليص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهند الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه رام ذو الفأس فجذ في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحميا اناتهم ليتزوجن البراهمة فيجيبهن نسل الحريين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انتاذا المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذ ذاك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغاية منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « رام » واتخذ رايته الحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راماً هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » ويزعم بعض علماء الانكليز ان « رام » في تجسدهات الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان الاتحاد مع ملك القروء الوارد في المتن ايماء الى اتفاق مع سكان الهند الجنوبية المشوحشين على فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القروء وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كانت مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعاث وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتواتق مع ملك متوحشي الهند على قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « رام » مدونة في قصيدة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دوييت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوربا

وبعد ان اتحد مع «سوغريفا»^(١) ملك طائفة القروء على الايقاع برافانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة سيلان والبر والقيأ هنالك جسراً من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باثرا القتال مع «رافانا» فلم يثبت اخيبت امام المعبود المتجسد وحليفه !!! فسقط بين ايديهما هاتكاً غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها «اريسيا» على مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء «ايجيريا» وان احد ملوكهم «تومابومبيليوس» اتخذها له زوجة فكانت تساعده على قهر الامم المتوحشة وادخالها في ربة الطاعة له والانصواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات . فلما مات زوجها جزعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعاً سخية بلا انقطاع فاحزن حالها «ديانا» الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاجة لا ينضب ينبوعها فسميت عنده «عذراء العيون» وشيد بحوارها هياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بندورهن الثينة في مواسم معلومة متخذات لها اعياداً يحتفلن بها احتفالاً كبيراً لأنها كانت تحفظن عند الولادات وتصون واليدهن من سائر الجن . ولمدينة رومية جني خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرومانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان ليلاه جناً يطلق عليها اسم «اليفنة» ويدعوها الانكليز «مرميده» واهل شمالي اوروباً «نكسن»

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر على شكل اخيل على مقربة من تغور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للترفة والسمر في تلك الشواطئ وكثيراً ما اخافتهم . اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر «البي» وانها اطرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احياناً من الماء في ليالي الشتاء وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتسند فيها . وقد طالما نظرت هنالك هيئة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لمن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل على اكتافهن . وقد بعشق بعض الرجاى فيخلصن الحب لمن كان وفياً منهم ويساعدنه في مبادئ الحرب ويقين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تنفك احداهن مواءة بمن تهوى مرافقة له ساعرة على مصلحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب التأخرون من العلماء ان هذا هو نفس «بعلوس» المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت . ولكن اذا خانها ولومرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبه بمنتهى قوتها الى اللجة فتيته غرقاً !!! وهي عي مايقولون ذات صوت غريد مطرب هو - تيفي زعمهم - مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يؤنس الحزين ويسلي الغريب وكان القدماء من اهالي اوروبا الشمالية اذا ارادوا استماله تلك الجن طرحوا في البحار والانهار ثماراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا في بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كانت يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوه الحيوان »

ومن اغرب ما رواه المؤرخون ان « سيبون » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ما وزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها وقد تحقق ان الغاليين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشد حق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سالباً حلين وكوزهن كما ألعننا و ربما كان هن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها نبل

اما السكندريانيون وهم اهل « اسوج » او السويد و « نروج » و « هولاندة » او الفلمنك و « الهانبارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لبدة ذكية عالة وتقسم عندهم الى فئتين

احداها تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار او جن النور تنعم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مرآة للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزفت ذات منظر كره ونقاطيع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل النور المتوسطه من سكان هذه الممالك السكندرية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تختطف اطفالاً من اسرتها واذا احبت احداهم ارجلاً ذهبت به الى موطنها تتلذذ به داعية ولا تدع له سبيلا الى تركها والعود الى بلاده : وهم يفتنون كل اليقين ان ملكهم خطف السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها ومجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي على ما يرتأون لطيفة المعاني حسنة الطامة تنسج لها اقصة وحللا من نور القمر وتعم بعامة في اعلاها جرس وتحتذي برجلها الكافور بين زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح على حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى على العشب نال من التي قد بدته كل ما يتمناه

وهي تشو غالباً في كهوف الجبال تمش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار واناشيد الآلهة وكتب التاريخ وبطريق الذهب والفضة والاحبار عن مستقبلات الشوون متخذة لها حلياً من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي . ومتى بدت تبشير الربيع تزايد تلك الكهوف والمغاور متجولة في جوانب الجبال استنشاقاً للهواء العطر والنسيم الابليل . وقد تسلى الاشجار للتطف منها الازهار والثار اولتراف من يمر على مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحقول متماسكات بالايدي كالحلقة التي تولفها نساءنا ليجلون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالمها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الالة » غير منظورة فالمولودون ايام الاحاد يمكنهم ان يروها . وهي على تخافتها وجلالها ولطف بنيتها لها من القوة ما يمكنها من حمل اثقل الصخور واكبرها حجماً ماشية به مسافات طويلة واذا لمست شيئاً هنته وزعزعته من اسمها ولوشاءت حملت بيدها رجلاً وسارت به ركضاً ولا تبالي . وهي تحب غالباً شجر البلسان والزيزفون والهمير الرومي فمن احب ان يراها من مواليده يوم الاحد بقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سدرج الجبال يجدها تفني على قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك ومملكة وكانت جزيرتا « سترن » و « روجن » في بحر البلطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يوماً في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله في مملكته المترامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدثها اعوانه في طيقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولت له « اوروبا »^(١) فتشأت ذات جمال فتان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبه طمعاً بلين قياده فاسرع وهي على منته نحو

(١) معناه النتيجة وبها ميّت احدى القارات الخمس على مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسحبها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم ابدنوا مدناً وانشأوا قبائل وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يشيرون ليلاً من المدافن . متفرقين على منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماءهم .
وان « الديموفوي » جني البيوت يترأى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فوريانوي » وفي الغابات ابالسمة اسمها « الياسنك » والسلافيون يدعون ابن للجن الهاً خاصاً يسمونه « وتشرنوبوخ » اسمه الاله الاسود للبشر الهاً آخر اسمه « بياليوخ » اي الاله الابيض

واهل جبال « البريتي » او « البرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في النوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولم فيها افاصيص طويلة وروايات غريبة لا يحتمل المقام سردها واستيفاءها
واهالي جزائر « ملدب » يقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالقناديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكرةً يتكونها في بيت الاصنام ثم يصيحون فيجدونها مهشوة ميتة فاتفق ان زار مدبنتهم رجل صالح يدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيئ الجن اخذت النساء يبكين وبندين فسلطن عن السبب فقالت له تجوز منهن ان لها بنتاً وحيدة بارعة في الجمال اصابها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجن فيقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام مخفياً واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجني تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه على اولئك الوثنيين واليونانيون يشبهون ان عذارى من الجن اعتنيت بترية « جو بتر » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهن وهم يسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » باللسان الروماني القديم وهو شخص « زفس » او « جو بتر » وهي تنقسم الى ثلث اوقبائل منها « البانة » و « الفونة » و « السانيرة » و « النيفة »

والرتبة الثانية توابع كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتدنون ان موافقي هذه الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوقا من السنين والرتبة الثالثة توابع كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون في جميع احوالهم من معاشهم وعواطفهم وحوادثهم وامراضهم . وللساء توابع خاصة يسمونهم « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعا من الجن احدها يرشده الى مآبه الخير والاخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تتحول بعد نجاتها بالموت من هيولاها الى الجن فان كانت حية صاحبها سالحة دخلت في عداد الجن الانيس وبقيت في البيت لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفة » اي غريبة او جنيا خبيثا فلا تستقر في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتحويل والقاء الرعب بين البشر والوسوسة والتزعج في الصدور امالة باربابها الى الاضرار والافساد وار تكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها تائهة في جوانب المعمور تستخدمها الالهة للانتصاص من الائمة الظالمين ولتزيين الشر في اعين الصالحاء المتقين وهي اصناف منها « لارفة » و « مائة » و « ليمورة » ويراد بها كلها ارواح الموق الاشرار وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح بهيئة الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميمهم ولذلك قال احد العرافين لانتونيوس — عاشق كليوباترا المشهور واحد قواد اسكندر الكبير ومقتسمي ملكه — ان تابعه يخشى بأس تابع او غسطنوس بقصر فهو لا يجرأ على الاضرار باوغوستوس مادام تابعه يحميه ويدود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابيهم يقدمون في اعياد مواليدهم نذوراً للصالحين من تابعيهم زهراً وبخوراً وخمراً يضعونها على ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في الغابات تكرمه وزلني ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامتين في اعصرهما الخرافية مما يتعلق بموضوعنا لطال بنا المطال وضافت عن استيعابه الرسائل يدان فيما ذكرناه عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاصمان احدهما صالح وهو

«أورمزد» والآخر شير ياسمه «أهرمن» وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد على الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والظلام والليل والنهار في كل يوم. وما الجن الا خدمة «أهرمن» وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة أنبياء بفلول جيوش «أهرمن» ويثقلون أعماله فلا يبقى جني على الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد ويعيشون متحدين على نمط واحد ووتيرة واحدة وهو لا، الثلاثة أنبياء سيولدون من «نطفة محفوظة في بئير ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد»

وهذا الاعتقاد الثنائي مستفيض في الشرق منذ القدم حتى انه يظهر بالتبع والاستقراء التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد مرى الى عدة شيع ونحل وبدع في القرون الاولى واصبح ركنًا بني عليه مذهب «ماني» الموسوس الفارسي كما لا يغرب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامة

وقد زعم الفرس ايضا ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم «جنستان» اي بلاد الجن ويتولون انها واقعة في الطرف الغربي من افريقية وقد طالما سماها بعض شعرائهم بارض المردة والعقارب : اما العبرانيون والفيثيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتلبس باشكل الحيوانات وتستخدمها السحرة والعرافون للأنبياء بهينات مختلفة حتى انها تلبس باشكل الحيوانات وتستخدمها السحرة والعرافون للأنبياء بالمغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقريظة والتابعة وانكهانة والسحرة ومن يرجع الى تواريخهم يجدوها طافحة باخبار واقاصيص تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء،

اما المصريون فقد كانوا مهيبون جني نهر النيل في كل عام عرسا وحسنا من فنياتهم استرضاء له واستمداداً لانيضه ويعملون الحيات والحررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل «آيس» اعظم معبود لهم بناء على كون الزراعة ركن معاشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بانفض انواع العبادات ليد الثيران من سائر بني جنسه بقوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلا في تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علما ومدنية وتهدنيا كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالا اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلادم واستيلاً وهم طيار راحاً من الدهر اذ قد اذيف ما عند هؤلاء من مضحكات
العقائد وبكائيات الى ما عندهم من احتى اصيحت مزيجاً جامعاً ما لم تجعه امة قبل ولا بعد
هذا مجمل ماورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — برهاناً
على كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعفاريت والمردة انما هو مرافق حيرة البشر
في قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على النحاء مضاربة ووجوه
متباينة واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبائعها وتحديد ماهيتها ومراتب
تأثيرها في اعمال الخلق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يتبع عليه الاجماع التام بين شعب
وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع وبين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور
النايرة قائلين بما يتوله اليوم اكثر علماء الغربيين وبعض الشرقيين من ان هذه
الارواح — الضارة — لا وجود لها الا في مخيلات الناس واوهامهم بيعتهم على تصورهما
والجزم بوجودهما ما ينعورهم من الاماني والخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم
من احوال هذه الحياة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضاعفاً الى ذلك ما يثوارونه
من عقائد الآباء ويتناقضونه خلفاً عن سلف من ترهات وعجائزات قد اعان على تيجينها
في اذهانهم ما سده الجبل على بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات والاسيا
اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة
عن اطاع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فابداً يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني على التثبت والاستقراء
الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع ظل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر باني الانسان
متداخلة في امورهم ومصايرهم فاعلة في شواعرهم وهو اجسهم ضاغطة على حركاتهم
وسكاتهم في معاشهم ومرتفاتهم وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا
اشرف محيا القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى ان في العالم
المحبوب قوة تناوي ارادة الله وتناهض عباداه كما يزعم الثنائيون من الامم ومعظم
المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايماننا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن
قد لا يبقى على وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل

« سليم غمخوري »

دمشق

وهو سبحانه اعلم بما يخضرون



حمة^(١) ابي رباح

لم يكتب احد من المتقدمين من علماء العرب وغيرهم في تاريخ هذه الحمة او موقعها او وصفها وصفاً علمياً مع المالحا من المكانة في التاريخ والطبيعة كما انه ليس للباحثين المتأخرين من الغربيين والسوربين مقال في هذا الباب يرجع اليه او شرح يستند عليه ولقد كان بودي ان افق على كلمة من هذا القبيل لتكون لي دليلاً في سبيل ما اريد تسطيره وحجة تؤيد ما اعلمه في هذا الموضوع واروم تمييزه الا انني لم اجد كتاباً يذكر ما اردت ونبهني بما رمت فما وسعني الا ان اعود الى ما اعلمه عن هذه الحمة بالاختصار مجدداً في تطبيقه على الفن الحديث ومستنداً على تاريخه بما عثرت عليه فيها من الابنية والآثار القديمة بقدر الامكان .

مركزها الجغرافي — ابر رباح جبل من كورة حمص من عمل ناحية القريتين يبعد عن الاولى اربعين ميلاً الى جهة الشرق وعن الثانية تسعة اميال الى الشمال الغربي يشرف على ضفة يقال لها الغنتر من املاك عبد الحميد آغا سويدان مدير ناحية حسيه (ايكي قبولي) الحالي ورئيس اسرة سويدان المعروفة ويحده من الشمال اراضي (الشومرية) وهي جبال قل فيها المنبسط ذات تربة جيدة وارض خصبة منتمة وفيها بعض القرى المستحدثة وكانت من املاك السلطان السابق ويسمونها الآن (الاملاك المدورة) ومن شمالها ايضاً البلعاس وهي كورة من كور حمص^(٢) فيها حرج من شجر البطم يبلغ طوله تسعين ميلاً من الغرب الى الشرق ويحده من الشرق طريق القوافل بين الشام وتدمر ثم الجبأة وهي مزرعة لنا ذات مياه وقد اوقع سيف الدولة فيها بقائلاً البادية وذكرها المتنبّي بقصيدة يمدح بها المشار اليه حيث قال :

ومروا بالجبأة يضم فيها كلا الجيشين من تقع ازار^(٣)

ومن الجنوب الغنتر والجبأة المار ذكرها ومن الغرب الشومرية والقرقلس وهي قرية من الاملاك المدورة ذكرها ياقوت الحموي فقال انها اسم مياه قرب سمية بالتام والاصح انها اقرب الى حمص من سمية .

(١) الحمة في اللغة العين الحارة التي يستشفى بها الاعلاء والمرضى فاهل القرى المجاورة لهذا المكان يسمونه الحمة واهل المدن كدمشق وحمص وحماة وغيرها يسمونها حمام ابي رباح وابو رباح اسم مستحدث على ما اظن (٢) معجم البلدان (٣) معجم البلدان

مركرها الطبيعي — ان هذا الجبل بركان لا ثائر ولا منطفي لأنه لو كان ثائراً لاهلك القرى والبلدان المجاورة له وقضى على الارواح والاجساد مما يقذفه من الحجارة والحجم ولو كان منطفئاً لما صعد منه البخار الذي يراه الناظر من مسافة بعيدة متفرقاً في الجو .
وه معلوم ان الارض كانت جسماً يكاد يكون سيالاً يتلفى قبل وجود الانسان والحيوان والنبات على ظهرها ثم برد سطحها وبقي جوفها شديد الحرارة والسبب في ثوران البراكين هو هذه الحرارة والماء والمواد المعدنية الحارة في جوف الارض فاذا ما اختلط الماء بالمواد المعدنية الحارة تمدد ورفع ما فوقه ثم يزداد الضغط عليه من الحرارة وثقل الارض وعندما يشتد دفعه بنفجر ويقذف الحمم والصخور والبخار ويجعل الصعيد المستوي جبلاً راسياً مما يرمي به تلك الاجسام ولكن اذا فقدت المواد المعدنية وظل الماء جاريّاً تسخنه حرارة باطن الارض الطبيعية البالغة التي درجة او اكثر وكانت الارض بركانية من قبل لا يصعد منها فواها غير البخار كما يشاهد في البحر رباح هذا اذ يسمع الانسان الواقف عند فوهته صوتاً كهدير البحر ويرى البخار يتصاعد منها كبخار الماء الغلي في المرجل فمن هذا يتبين لنا ان ابار رباح كان بركاناً ثائراً في العصور الخالية ودام ثورانه رديحاً من الزمن الى ان انتهت ما في جوفه من المواد المعدنية وبقي الماء والحرارة الطبيعية المسببان لصعود بخاره الحار

نظرة تاريخية — اتضح مما قدمنا ان هذه الحمة بركان نفدت موادها المعدنية الحارة منذ الوف من السنين وصارت الى ما هي عليه اليوم عبارة عن فوهة وسط جبل يتصاعد منها بخار مائي ليس الا . ثم جاء الاقدمون وبنوا فوق هذه الفوهة حماماً يستشفون به من الاستقام والامراض ولكن من هؤلاء الاقدمين الذين شهدوا هذا المعهد الكبير النافع ؟ ..

سؤال نقف عنده اذ ليس لدينا من الادلة التاريخية الا الآثار الموجودة التي سنستنبط منها ما يكون موافقاً للاحكام التاريخية فنقول : سكن هذه البلاد كما روى التاريخ من الامم ذات الحضارة والمدنية والسلطة الكنعانيون والاراميون واليونانيون السلوقيون والتدمريون والرومانيون والمسلمون فالامم الاربع الاولى هم سكان البلاد الاصليون والاثنتان الباقيتان هم الفاتحون الذين قطنوها بعد الفتح فاي امة من هذه

الام قامت بتشيد هذا الحبل ياترى ؟ المسلمون ؟ .. لا لأن الآثار الموجودة ليست من اياهم بل هي اقدم منهم بقرون عديدة كما انها ليست من اعمالهم ولو كان ذلك لدونوها في كتبهم وكذلك الرومانيون لم يكونوا الا امة فتوح واستعمار لا امة علم وفن ولم يبرزوا الا في بناء المعقل والحصون في الصحاري لصد صدمات المهاجمين وقتما تنفع دولة مستعمراتها كما تفيد ممالكها الاصلية ومع كل ذلك نرى اثرًا من تلك الآثار المتباعدة في طراز هندستها وقدمها على نسق الابنية الرومانية ذات العقود والقناطر قائمًا على شين الحمة بمسافة عشرات من الخطوات وهو احدث الآثار الباقية المتداعية الاركان .

واذا امننا النظر في هذه الآثار ندرك ان ليس للمكنعانيين والاراميين من صنعة فيها وربما اقاموا في ذلك المكان حينًا من الدهر حتى داهمهم الحلم الصادرة عن جوف الارض ابان ثورانها فازهقت نفوسهم ودفنت مساكنهم اذ يبصر المرء هنالك آثارًا طامسة تغشاها الحلم والانقراض الدالة على الثوران في غير الازمان .

وهنا لم يبق لدينا سوى تينك الامتين السلوقية والتدمرية ولا مناص من ذمجة هذا الحلم وما يجاوره من الانقراض الى احداهما او الى كليهما لان الامة السلوقية كانت ربة علم وفلسفة لا يفوتها استخدام مثل هذا البخار للمنافع الصحية وكذلك الامة التدمرية على ما نعرفه ويعرفه الخاص والعام فان لنا في مدينتها العظمى شاهداً عدلاً على ما بلغت من الاتقان في الصناعات والترقي في الفنون وناهيك باعمدها الباسقة التي كانت تجوي من فوقها الانهار فامة مثل هذه لا يعوقها جعل بركان قريب اعاصمتها ^(١) حماماً يزيل ما في الابدان من الاوجاع والاصاب .

فكلنا الامتين كان لهما في حلبة المعارف افكار سامية وفي مضمار الرقي عقول نيرة ثم دالت دولتهما وما بنشدان :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اي لعمر الحق انها لا تار تدل على ما كان لهم من اليد الطولى في الفنون الجميلة والصناعات البديعة كما ان قيام هذا الحلم ليس عن عبث او سرائفة طبيعية بل عن علم صحيح وعقل رجيح فانك اذا حققت النظر في مآثيه الخربة وجدت انها كانت في عهدها الزائل مستوفاة الشروط الطبية داخلاً وخارجاً ما نعجز نحن ابناء القرن العشرين عن الافتكار بمثله ولو بعد حين .

(١) المسافة بين تدمر وابي رباح ستون ميلاً

وفوق كل هذا انني ارجح نسبة هذه الآثار الى التدمريين لمشابهة انقاضها لانقاض مدينة تدمر وقربها منها ولما يتواتر على السنة الاهلين في تلك الانحاء من ان هنالك ساقية قديمة تنتهي الى المدينة المذكورة .

نبذة صحية — لو كنت طبيباً لفحصت هذا الحمام من وجهته الطبية والكيمائية فحسباً دقيقاً وعلمت ماهية بخاره ومقدار درجة حرارته ونتيجة تحليله ولكنني لا اطيق التطفل على موائد الطب فاقصر على ما اعلمه من شفاؤه للمصابين بالامراض العصبية عامة وتيبس الاعضاء والتشنج خاصة .

وفاننا ذكر ما هنالك من المناظر غير الفوهة التي بني عليها الحمام ومنها منفذات احدها يتداوى به الصم بوضع آذانهم على فيه والثاني يؤمه العقبات من النساء لرفع الاسباب المانعة من حملهن بقعودهن القرفصاء عليه ولا اخال الاطباء يقولون بخرافة هذه الطريقة لان البخار اذا ما دخل الاذن وبيت الولادة يطهر ما فيهما من الاوساخ ان كان ثمت ذلك والله اعلم .

لمحة ادارية اقتصادية — ليس من ينكر ان مثل هذه المعاهد اذا عني باصلاحها تأتي بدخل عظيم ولكننا امة قدر لها ان تكون في العصر الماضية خاملة كسلى لا تهتدي الى طرق غناها ولا تدرك مقر ثروتها التي هي تحت تصرفها وفي حوزتها قرى المال الذي في جبالها متروكا والمزوج بترية سهلها منسياً ومن جملة المهملات هذا المكان الذي نحن بصدده وهو لم يزل خراباً يباباً يلجأ اليه لصوص الاعراب وجناتهم فلو لحظ بطرف الاهتمام قليلاً وارسل اليه طبيب كيمياوي يحلل بخاره ويشسرح فوائده الصحية بتقرير شرحاً وافياً ومهندس يخطط لاعتباره مصوراً كافياً ثم تنشأ فيه اما كن منظمة تسر القاصدين من المرفى وغيرهم بعد بناء مخففة للجند تمتع المعتدين من اهل البادية وتلزمه الحكومة الى شركة او ممول لقاء مبلغ من المال لكنت تستفيد منه وتفيد فتشر الامن في تلك الربوع وعساها فاعلة عن قريب وعسى اهل العلم لا يرضون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمامات البخارية فارس فياض



مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الجميلة بأسلوبها وجمال انشائها ما جرى بين متى بن يونس القنائي وبين ابي سعيد السيرافي نقتبسها من الجزء الثالث من معجم الادباء لياقوت الذي صدر مؤخراً ليطلع القراء على افكار فيلسوف وافكار نحوي وها نحن نقدم قبل ايراد المناظرة مختصر ترجمة المناظرين وناقل كلامهما ليكون القاري على بينة من ينلو كلامه

اما متى ^(١) بن يونس او يونان ابو بشر وهو من اهل دير قتي فهو من نشأ في اسكول مرماري قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي وعلى ابي احمد بن كرنب وله تفسير من السيرافي الى العربي واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره وكان نصرانياً وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ولبى من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا كتاب المتابيس الشرطية شرح كتاب ايساغوجي لفرفور يوس

واما ابو سعيد الحسن السيرافي فيتاخص مما قاله ياقوت في معجم الادباء ان سيراف يلمد على ساحل البحر من فارس كان ابو مجوسياً اسمه بهزاد فسماه ابو سعيد عبدالله وقال ابو حيان في كتابه الذي الفه في تقيظ عمرو بن بحر وقد ذكر جماعة من الائمة كانوا يقدمون الجاحظ وفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليمانى فما جراه فيه احد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله ومات سنة ٣٦٨

هذا اما ابو حيان التوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب البصائر والاشارات وغيرهما وكتاب المقابسات ^(٢) وكان اماماً ^(٣) في النحو واللغة والتصريف فقيهاً مؤرخاً وصفه ابن النجار بانه كان فقيراً صابراً متديناً وانه كان صحيح العقيدة الا ان بعض المؤرخين رموه بالكذب وقلة الدين والمجاهرة بالبهتان وانه تعرض لامور حسام

(١) تاريخ الاطباء (٢) المقتبس م ١٠١ ص ٣٠٢ (٣) طبقات الشافعية الكبرى

والقدح في الشربة والقول بالتعطيل قال ابن فارس : ولقد وقف سيدنا صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقتله فهرب والتجأ الى اعدائه وتفق عليهم بزخرفه وافكه ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الاحاد ويرومه في الاسلام من الفساد وما يلصقه باعلام الصحابة من القبايح ويضيفه الى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلب فاستمر منه ومات في الاستتار .

وعده ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه احد زنادقة الاسلام الثلاثة وهم ابن الراوندي وابو حيان التوحيدي وابو العلاء قال واشدهم على الاسلام ابو حيان لانه جمع ولم يصرح . قال السبكي انه وقع على كثير من كلامه فلم يجد فيه الا ما يدل على انه كان قوي النفس مزدرباً باهل عصره ولا يوجب هذا القدر . قلنا وما كان طلب صاحب ابن عباد لابي حيان الا لان هذا وضع كتاباً^(١) سماه مثالب الوزيرين ضمنه معائب ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقاظهما ومن كتبه ايضاً الامتاع والموائسة في مجلدين وكتاب الصديق والصدقة وكان موجوداً في السنة الاربعائة .

واليك الآن هذه المناظرة الغريبة :

قال ابو حيان : ذكرت لاوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين ابي سعيد السيرافي وابي بشرمتي واختصرت بها فقال لي اكتب هذه المناظرة على التمام فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ينبغي ان نفتن سماعه وتوعى فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت :

حدثني ابو سعيد بلغ من هذه القصة فلما علي بن عيسى الخوي الشيخ الصالح فانه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة :

(وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمرو وقدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فارس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طعج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان) اريد ان ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق فانه بقول لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من

(١) ابن خلكان في وفيات الاعيان

الشبهة والشك من اليقين الاباحويناه من المنطق وملكناه من القيام^(١) واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فاجم القوم واطرقوا فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يني بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب اليه واني لاعدكم في العلم بحاراً وللدن واهله انصاراً ولحق وطلابه مناراً فما هذا التفامن والتلامن اللذان تجلون عنهما . فرفع ابو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر ايها الوزير فان العلم المصون في الصدور غير العلم المعروف في هذا المجلس على الاسماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الجلمدة^(٢) والابواب الناقدة لان هذا يستصحب الهيبة والهيبة^(٣) مكسرة ويحتلب الحيا والخيال مغلبة وليس البراز في معركة غاصة كالصراع في بقعة خاصة . فقال ابن الفرات : انت لما يا ابا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك . فقال ابو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره هجة والاحتجان عن رأيه اخلاص الى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم واياه نسال حسن التوفيق في الحرب والسلام ثم واجه متى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به فلنا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطأه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة . قال متى : اعني به انه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيم وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فاني اعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح . فقال له ابو سعيد : اخطأت لان صحيح الكلام من سقيم يعرف بالعقل ان كنا نبحت بالعقل هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك^(٤) بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص وارك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عددها فعلى هذا لم يتفكك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك الانفعاً يسيراً من وجه واحد وبقيت عليك وجوه فانت كما قال الاول

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

وبعد فقد ذهب عليك شيء هاهنا ليس كل ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال وفيها ما يذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وان كان هكذا في الاجسام المرئية فانه ايضاً على ذلك في المعقولات المقروءة والاحساس^(٥) ظلال العقول وهي

(١) لعله القياس (٢) كذا بالاصل (٣) ق -- (٤) ق ذلك

(٥) لعله والاجسام

تجكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة ودع هذا اذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة اهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفون بها من رسومها وصفاتها من اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه ويتخذوه حكماً لهم وعليهم وقاضيا بينهم ماشهد له ^(١) قبلوه وما انكره ^(٢) رفضوه . قال متى : انما لزم ذلك لان المنطق بحث عن الاغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السائخة والسوانح المألجة والناس في المعقولات سواء الا ترى ان اربعة واربعة ثمانية عند جميع الامم وكذلك ما شهِد . قال ابو سعيد : لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شبهها المختلفة وطرائقها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في اربعة واربعة انهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الامر هكذا ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة في مثل هذا التوهم ولكن ندع هذا ايضا اذا كانت الاغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل اليها الا ^(٣) باللغة الجامعة للاسماء والافعال والحروف . افليس قد لزم الحاجة الى معرفة اللغة . قال : نعم . قال اخطأت : قل في هذا الموضع بلى . قال متى : بلى انا اقلدك مثل هذا . قال ابو سعيد : فانت اذا لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لاتعرف لغة يونان فكيف صرت تدعونا الى لغة لاتني بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد اهلها وانترض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون اغراضهم بتصرفها على انك تنقل من السريانية فما نقول في معان متعولة ^(٤) بالنقل من لغة يونان الى لغة اخرى سريانية ثم من هذه الى لغة اخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض وادت المعاني واخلفت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرقت ووزنت وما جزفت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا اخرت ^(٥) ولا اخات بمعنى الخاص والعام ولا باخص الخاص ولا باعم العام وان كان هذا لا يكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا لاجمة الا عقول يونان ولا برهان الا ما وصفوه ^(٦) ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به ويفصل عنه وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفضا ما فشا ونشأ ما نشأ من انواع العلم

(١) ق لم (٢) ق نكروه (٣) ق - (٤) لعله مقبولة (٥) ق اخرقت (٦) لعله

وضعه

واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتمصبت وملت مع الهوى فان العلم ^(١) مبيثوث في العالم ولهذا قال القائل

العلم في العالم مبيثوث ونحوه العاقل مبحثوث

وكذلك الصناعات مفوضه على جميع من تلى جديد الارض ولهذا غلب علم سيفه مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعه ^(٢) وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ومع هذا فالتما كان يصح قولك ويسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالنصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية الخالقة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة تزلت عليهم والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والذرائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن بدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء وصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسئئون في احوال وليس واضع المنطق يونان باسرها انما هو ^(٣) رجل منهم وقد اخذ عن قبله كما اخذ عنه من بعده وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة فكيف يجوز ان يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف او يحله او يؤثر فيه هيئات هذا محال . ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه وامسح لجهك بالسلاوة عن شيء لا يستطيع لانه مفتقد بالفطرة والطباع وانت فلو فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة التي تتحاورنا بها وتجارنا فيها وتدرس اصحابك بمفهوم اهلها وتشرح كتب يونان بعادة اصحابها لعلت انك غني عن معاني يونان كما انك غني عن لغة يونان وهاننا مسألة : انقول ان الناس عقولهم مختلفة وانصاؤهم منها متفاوتة . قال متى : نعم . قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة او الاكتساب . قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز ان يكون هاننا شيء يرفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الاصلي . قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال ابو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ودع هذا اسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب ومعانيه متميزة عند اهل العقل فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق

(١) ق العالم (٢) لعله بقعة (٣) ق —

ارسطاطاليس الذي تدل به ^(١) وتباغي بتفخيمه وهو الواو وما احكامه وكيف مواقفه وهل هو على وجه واحد او وجوه . فبهت متى وقال : هذا نحو والنحو لم انظر فيه لان لاحاجة بالمنطقي الى النحو والنحوي حاجة الى المنطق لان المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ فان مر المنطقي باللفظ فبالعرض وان عبر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى اشرف من اللفظ واللفظ اوضح من المعنى . قال ابو سعيد : اخطأت لان المنطق والنحو واللفظ والانصاح والاعراب والانباء والحديث والاخبار والاستخبار والعرض وانتمني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمثالة الا ترى ان رجلا لو قال نطق زيد بالحق ولكن ماتكم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش واعرب عن نفسه ولكن ما انصح وابان المراد ولكن ما اوضح او فاه بمجاشه ولكن ما لفظ او اخبر ولكن ما انبا لكان في جميع هذا مخرقاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره والنحو منطقي ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان يبقو اثر الطبيعة باثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان لان مستعملي المعنى عقل والعقل الهى ومادة اللفظ طينية وكل طبيعي متهاون وقد بقيت انت بلا اسم لصناعتك التي ^(٢) تنحلها وآلتك التي ترش بها الا ان تستعير من العربية لها اسماً فتعار وبسلك بمقدار وان لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من اجل الترجمة فلا بد لك ايضا من كثيرها من اجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة بك . قال متى : يكفيني من لشك هذا الاسم والفعل والحرف فاني اتبلغ بهذا القدر الى اغراض قد هذبتها لي يرنان . قال ابو سعيد : اخطأت لانك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى وصفها ^(٣) وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز اهلها وكذلك انت محتاج بعد هذا الى حركات هذه الاسماء والافعال والحروف فان الخطأ والتعريف في الحركات كالحطأ والفساد في المتحركات وهذا باب انت واصحابك ورهطك عنه في غفلة ترى ان هاهنا سراً ما علق بك ولا اسفر لعقلك وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لا تطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتنديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدتها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها وشعرها وسجعها ووزنها وميلها غير ذلك مما يطول ذكره وما اذن

أحدًا يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل أو نصيب من انصاف فمن أين يجب أن نثق بشيء ترج لك على هذا الوصف بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية^(١) كما أن اللغات^(٢) لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية ومع هذا فأنك تزعم أن المعاني حاصلة^(٣) بالعتل والنحص والفكر فلم يبق إلا أحكام اللغة فلم تزي على العربية وانت تشرح كتب أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها وحدثني عن قائل قال لك حالي في معرفة الحقائق والتفصيح لها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل وأضع المنطق انظر كما نظروا^(٤) وتدير كما تدبرنا لأن اللغة قد عرفت بالمشأ والوراثة والمعاني تقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاد والاجتهاد ما نقول له لا يصح له هذا الحكم ولا يستعجب هذا الأمر لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفت أنت وأنت تفرح بتقليدك وإن كان على باطل أكثر مما يفرح باستبداده وإن كان على حق وهذا هو الجبل المبين والحكم الغير مستبين . ومع هذا فحدثني عن الواز ما حكمه فاني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا ينبغي عنك شيئاً وإن تبجل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يبجل اللغة بكاملها وإن كان لا يبجلها كلها ولكن يبجل بعضها فلعله يبجل ما يحتاج إليه ولا ينفع فيه علم بما لا يحتاج وهذه رتبة العامة أو هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير فلم يتأني على هذا وينكر ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان وإنما سألتك عن معاني حرف واحد فكيف لو نثرت على الحروف كلها وما لبثت بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز وسمعتكم تقولون « في » لا يعلم النحويون مواقعها وإنما يقولون هي للوعاء كما يقولون أن الباء للانسان وإن في نقال على وجوه يقال الشيء في نوعاء والاماء في المكان والسائس في السياسة والسياسة في السائس ألا ترى هذا الشقيق^(٥) هو من عتول يونان ومن ناحية لغتها ولا يجوز أن يعقل هذا يقول الهند والترك والعرب فهذا جهل من كل من يدعيه وخطل من القول الذي أفاض النحوي إذ قال « في للوعاء » فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ومثل هذا كثير وهو كائن في موضع السكيت . فقال

(١) ق هدية (٢) لاله « الأغراض » (٣) ق حاصلها (٤) نظرت (٥) كذا

ابن الفرات ايها الشيخ الموفق اجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون اشد في الخامة وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ومع ذلك فهو متشيع به . فقال ابوسعيد : للواو وجوه ومواقع منها معنى العطف في قولك اكرمت زيدا وعمراً ومنها التسم في قولك والله لقد كان كذا وكذا ومنها الانتفاك كقولك خرجت وزيد قائم لان الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رب التي هي للتقليل نحو قوله

وقائم الاعماق خاوي المخترق^(١)

ومنها ان تكون اصلية في الاسم كقولك واقد واصل وافد وفي الفعل كقولك وجل يوجل ومنها ان تكون متحمة نحو قول الله تعالى فلما اسما وتله للجبين ونادياه اي نادياه ومثله قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحى وانتهى بنا بطن خبت ذي قفاف عة: نقل^(٢)

المعنى انتهى بنا ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته ومنها ان تكون بمعنى حرف الجر كقولك استبرى الماء والخشبة اي مع الخشبة . فقال ابن الفرات لى : يا ابا بشر اكان هذا في نحوك^(٣) . ثم قال ابوسعيد : دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي اكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ماتقول في قول القائل زيد افضل الاخوة . قال : صحيح . قال : فاناقول ان قال زيد افضل اخوته . قال : صحيح . قال : فما الفرق بينهما مع الصحة فبلغ وجنح وعصب ريقه .^(٤) فقال ابوسعيد : اثبت على غير بصيرة ولا استبانة المسألة الاولى جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وان كنت ايضا ذاهبا عن وجه بطلانها . قال متى : بين ماهذا التهجين . قال ابو سعيد : اذا حضرت المختلفة^(٥) استنفدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس ازالة التلبس مع من عادته التوبة والتشبيه والجماعة تعلم انك اخطأت فلم تدعي ان النحوي انما ينظر في اللفظ لافي المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لاي في اللفظ هذا كان يصح لو ان المنطقي يسكت ويحيل فكره في المعاني ويرتب ما يريد في الوهم السياح والخطر العارض والحدس الطارئ واما هو يريد ان يبرز ما يصلح بالاعتبار والتصفح الى المتعلم والمناظر فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مرادة ويكون طباقا لغرضه وموافقا لقصد .

(١) البيت لروبة : فليراجع مغني ابن هشام (مصر ١٣٠٢) ٣٥٢ (٢) البيت لامريئ

القبس (٣) لعله ينطقك (٤) لعله وغص بريقه (٥) يعني التلاميذ

قال ابن الفرات يا ابا سعيد تم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لاهل المجلس والتبكيك عاملا في نفس ابي بشر . فقال ما اكره من ايضاح الجواب عن هذه المسألة الا ملل الوزير فان الكلام اذا طال مل . فقال ابن الفرات ما رغبت في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة فاما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر . فقال ابو سعيد : اذا قلت زيد افضل اخوته لم يميز واذا قلت زيد افضل الاخوة جاز والفصل بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم وذلك دليل ^(١) انه لو سأل سائل فقال من اخوة زيد لم يميز ان تقول زيد وعمرو وبكر وخالد وانما تقول بكر وعمرو وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم فاذا كان زيد خارجا عن اخوته صار غيرهم فلم يميز ان يكون افضل اخوته كما لم يميز ان يكون حمارك افضل البغال لان الحمار غير البغال كما ان زيدا غير اخوته فاذا قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الاخوة الا ترى انه لو قيل من الاخوة عدده فيهم فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد فيكون بمنزلة قولك حمارك افره الحمار فلما كان على ما وصفنا جاز ان يضاف الى واحد منكم يدل على الجنس فتقول زيد افضل رجل وحمارك افره حمار فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال وكما سيفي عشرين درهما ومائة درهم . فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان من بدولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد . فقال ابو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكاته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو من ان يكون سائغا ^(٢) بالاستعمال النادر والتأويل البعيد او مردودا لخروج عن عادة القوم الجارية على فطرتهم فاما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لم وما أخذ عليهم وكل ذلك محصور بالتبعية والرواية والسماع والقياس المطرد على الاصل المعروف من غير تحريف وانما دخل العجب على المنطقيين لظنهم ان المعاني لا تعرف ولا تتوضح الا بطريقهم ونظروهم وتكلفهم قدر جموع لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا على النحويين انهم مع اللفظ لا مع المعنى . ثم اقبل ابو سعيد على متى فقال : لا تعلم يا ابا بشر ان الكلام اسم واقع على اشياء قد اختلفت بمراتب

مثال ذلك أنك تقول هذا ثوب والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً ثم به نسج بعد ان غزل فسداته لا تكني دون لجمته ولجمته لا تكني دون سداته ثم تأليفه كنسجه وبلاغته كقصارته ودقة سلكه كرفة لفظه وغلظ غزله ككثافة حروره ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد تقدمه كل ما يحتاج اليه فيه . قال ابن الفرات : سله يا ابا سعيد عن مسألة اخرى فان هذا كلما توالي عليه بان انقطاعه وانخفاض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لا ينصره . قال ابو سعيد : انقول في رجل قال لهذا علي درهم غير قيراط . قال متى مالي علم بهذا النمط . قال : لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين انك صاحب مخرفة وزرق هادنا ما هو اخف من هذا قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ . قال متى : لو نشرت انا ايضا عليك من مسائل المنطق شيئاً لكانت حالك كمالاً . قال ابو سعيد : اخطأت لانك اذا سألتني عن شيء انظر فيه فان كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية اجبت ثم لا ابالي ان يكون موافقاً او مخالفاً وان كان غير متعاني بالمعنى رددته عليك وان كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حدثتم به كتبكم رددته ايضا لانه لا سبيل الى احداث لغة مقررة بين اهلها ما وجدنا لكم الا ما استمرتم من لغة العرب كالسبب والا^(١) والموضوع والمعمول والكون والفساد والمهمل والمخصوص وامثلة لاتنفع ولا تجدي وهي الى العي اقرب وفي الفباهة اذهب ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لانكم لانفون بالكتب ولا هي مشروحة وتدعون الشعر ولا تعرفونه وتدعون الخطابة وانتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول الحاجة ماسة الى كتاب البرهان فان كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب وان كانت الحاجة قد مست الى ما قبل البرهان فهي ايضا ماسة الى ما بعد البرهان والا فلم صنف مالا^(٢) يحتاج اليه ويستغنى عنه هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وريق وانما يودكم ان تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً وغابتكم ان تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ونقولوا الهلية والايانية والمماهية والكيفية والكمية والذاتية والرضية والجوهرية والهويولية والصورية والانسية والكسبية والنفسية ثم نخطون وتقولون جئنا بالسحر في قولنا * لا افي شيء من باء وواو وجيم في بعض باء وفاء في بعض

جيم والا في كل ب وج في كل ب فا اذن لافي كل ج ^(١) وهذا ^(٢) بطريق الحلف ^(٣)
وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها جزافات وترهات ومفالت وشبكات ومن جاد
عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه ولانارت نفسه استغنى عن هذا كله بمون
الله ونضاه وجوده العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقب الرأي وانارة النفس من
مناخ الله الهية ^(٤) ومواهبه السنية يختص بهامن يشاء من عباده وما اعرف لاستطاعتكم
بالمنطق وجها وهذا الثاني ابو العباس قد نقض عليكم وتبع طريقكم وبين خطأكم وبرز
ضعفكم ولم تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتكم على قولكم لم
يعرف اغراضنا ولا وقف على مرادنا وانما تكلم على وهم « وهذا منكم حاجة ونكول ورضي
بالعجز والنكول وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض هذا قولكم في فعل وينفعل
ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ولم تنفخوا على متاسمهما لانكم قنعتم فيهما بوقوع
الفعل من يفعل وقبول الفعل من ينفعل ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم
وهذا حالكم في الاضافة فالابدل ووجوهه والمعرفة واقسامها والذكره ومراتبها وغير ذلك مما يطول
ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال وانت اذا قلت لانسان كن منطقيا فاما تريد كن
عقليا او اقلا او اعقل ما نقول لان اصحابك يزعمون ان المنطق هو العقل وهذا قول
مدخول لان المنطق على وجوه انتم منها في سهو واذا قال لك آخر كن نحويا لغويا فصحا
فلما يريد انهم عن نفسك ما نقول ثم رم ان يفهم عنك غيرك وقد ر اللفظ على المعنى
فلا ينقص منه هذا اذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به فاما اذا حاولت فرش المعنى
وبسط المراد داخل اللفظ بالروادف الموضحة والاشباه المقربت والاستعارات الممتعة وسد
المعاني بالابغمة اعني لوح منها شيئا حتى لا تصاب الا بالبحث عنها والشوق اليها لان المطلوب
اذا ظفر به على هذا الوجه عن وجل وكرم وعلا واشرح منها شيئا حتى لا يمكن ان يتدري
فيه او يتبع في فهمه او يستريح ^(٥) عنه لا غمناضه فهذا المعنى يكون جاءه حقائق الاشياء
ولاشباه الحقائق وهذا باب ان استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس على اني
لا ادري انوثرما قول ام لا ثم قال حدثنا عن فصائم قط بالمنطق بين مختلفين او رفعتهم بالخلاف
بين اثنين اترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت ان الله ثالث ثلاثة وان الواحد اكثرون واحد

(١) الصواب هو « لافي شيء من ب وان ج في بعض ب فا اذن لافي كل ج والا في
كل ب وج في كل ب فا اذن في بعض ج » (٢) الصواب « وذلك » (٣) لعله الخلاف
(٤) لعله الهية (٥) لعله يتزوج

وان الذي هو اكثر من واحد هو واحد وان الشرع ما تذهب اليه والحق ما تقول هيهات
 هاهنا امور ترفع عن دعوى اصحابك وهذيانهم وتدق عن عقولهم واذهانهم ودع هذا
 هاهنا مسألة قد اوقعت خلافاً فارفع ذلك الخلاف بمنطقك قائلاً « لفلان من
 الحائظ الى الحائظ » ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان فقد قال ناس له الحائظان
 معاً وما بينهما وقال آخرون : له انصف من كل منهما وقال آخرون : له احدهما هات
 الآن ايتك الباهرة ومهزتك الناقصة وافي لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر
 اصحابك ودع ايضا قال قائلاً « من الكلام ما هو مستقيم حسن ومنه ما هو مستقيم كذب
 ومنه ما هو خطأ » فسر هذه الجملة واترض عليه عالم آخر فاحكم انت بين هذا القائل
 والمعترض وارنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل فان
 قلت كيف احكم بين اثنين احدهما قد سمعت مقالته والاخر لم احصل علي^(١) اعترضه
 قيل لك استخرج بنظرك الاعتراض ان كان ما قاله محتملاً له ثم اوضح الحق منهما لان
 الاصل مسموع لك حاصل عندك وما يصح به او يطرد عليه يجب ان يظهر منك فلا
 تتعاسر علينا فان هذا لا يخفى علي احد من الجماعة فقد بان الآن ان مركب اللفظ
 لا يحوز مبسوط العقل والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس في قوة
 اللفظ من اي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً ولا يدع
 شيئاً من داخله ان يخرج ولا شيئاً من خارجه ان يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب
 للفساد اعني ان ذلك يخلط الحق بالباطل ويشبه الباطل بالحق وهذا الذي وقع الصحيح
 منه في الاول قبل وضع المنطق وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق وانت
 لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم ووقفت علي غورهم في قطرم وغوصهم في استباطهم
 وحسن تأويلهم لما يورد عليهم وسعة تنسيقهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجلبات
 القرية والبعيدة لحققت نفسك وازدريت اصحابك ولكن ما ذهبوا اليه وتابعوا عليه
 اقبل في عينك من السها عند القمر ومن الحصا عند الجبل . اليس الكندي وهو علم في
 اصحابك يقول في جواب مسألة « هذا من باب عدة » فعد الوجوه بحسب الاستطاعة
 علي طريق الامكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا وغالطوه
 بها واروه من الفلسفة الداخلة فذهب عليه ذلك الوضع فاعتقد انه^(٢) مريض العقل

فاسد المزاج حائل الغريزة مشوش اللب قالوا له : اخبرنا عن الاسطقتسات الاجرام واصططكاك^(١) تضاعط الاركان هل يدخل في باب وجوب الامكان او يخرج من باب الفقدان الى ما يخفى عن الازدهان وقالوا له ايضا : ما تشبيه^(٢) الحركات الطبيعية الى الصور الهيولانية وهل هي ملاسبة للكيان في حدود النظر والبيان او منازلة له عني غايبة الاحكام متأثير فقدان الوجدان في عدم الامكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهره مالا وجوب له في امكان اصله وعني هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا عني غايبة الركاكة والضعف والفساد والفسالة والسخف ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد مر بي في خطه التفاوت في تلاشي الاشياء غير محاط به لانه يلاقى الاختلاف في الاصول والاتفاق في الفروع وكل ما يكون عني هذا النهج فالتكرة^(٣) تزام عليه المعرفة والمعرفة تناقض التكرة عني ان التكرة والمعرفة من باب الالسنه^(٤) العاربه من ملابس الاسرار الالهية لا من باب الالهية العارضة في احوال السرية » ولقد حدثني اصحابنا الصابثون عنه بما يضحك الثكلى ويشمت العدو ويغم الصديق وما ورث هذا كله الامن بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق ونسأل الله تصمة وتوفيقاً نهتدي بهما الى القول الرابع الى التخصيل والفعل الجاري عني التعديل انه سميع مجيب . قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ الصالح باملائه وكان ابو سعيد روي لهما من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ما قلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : وثقوس المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد نديت اكباداً واقررت عيوناً ويضت وجوهاً وحكت طرازاً لا يلبيه الايام ولا يتطرقه الحدثن . قال قلت لعلي بن عيسى : كم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه هذا مع السم والوقار والدين والجد وهذا شعار اهل الفضل والتقدم وقل من تظاهروا وتحلى بحليته الاجل في العيون وعظم في الصدور والنفوس واجبه القلوب وجرت بمدحه الالسنه . وقلت لعلي بن عيسى : اكان ابو علي القسوي

(١) لعله اصططكاك الاسطقتسات والاجرام تضاعط (٢) لعله نسبة (٣) ق والتكرة (٤) ق البسه

(٤) ق البسه

حاضراً في المجلس قال : لا كان غائباً وحدث بما كان وكان الحسد لابي سعيد علي مافاز به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور . قال ابو حيان : وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث ذكرتي شيئاً كان في نفسي واحببت ان اسألك عنه واقف عليه اين ابو سعيد من ابي علي واين علي بن عيسى منهما واين المراغي ايضاً من الجماعة وكذلك المرزباني واين شاذان واين الوراق واين حيويه فكان من الجواب ما تقدم ذكره



التلغراف

سعي ركضاً رسول الكهرباء
جري متدفقاً من دون صوت
وطار بأرضنا برأً وبحراً
وقد اوحى برمز جاء خطأ
اصم سامع اقوال داب
جماد كاتب من غير كف
به التليج تصریح جلي
وليس يريه حر وبرد
بقابل ضغط اعصار ببر
تجارى في الضياء وفي الدياجي
فيشبه في سكينته فؤاداً
كذا اسلاكه تحكي عروفاً
واعصاباً بها الاحساس يجري
تسير بطيها الانبياء تحيي
فسبحان الذي اهدى عقولاً

علي اسلاكه فوق الهواء
كما تجري الاشعة من ذكاء
كما طارت بروق في السماء
بأقصى المدن بقرأ في جلاء
واخرس ناطق بمراد ناء
حروفاً لمن من هذا الهجاء
به الايحاز تطويل لراء
فيجري في المصيف وفي الشتاء
وتياراً يهيج موج ماء
ليوصل مايشاء بلا وناء
يمد الجسم في خير الغذاء
قد امتدت بمخات الفضاء
لادمغة كجري الكهرباء
عوالم ارضنا سير الدماء
الى كشف القناع عن الخفاء

عيسى اسكندر المعلوف



العرب

العرب مات شعورهم - فاندبه دهرك باصكيا
 ولي فولي بعده انسي وساء مايا
 وظلمت اللهم المرحوم والشفاء موأخيا
 لا اجتلي للعلم الا شائئا او قاليا
 واذا دعوت الى الهدى قومي ورحمت مناديا
 وطفقت اندب حالم طفتك انذب حالم
 واقول ان عمادنا عافوا النصيحة واثنوا
 قد كنت اطمع ان ارى وطني بهيجا زاهيا
 فوجدته من كل علم او علاء خاليا
 فرثيته وبكيت دمعاً غاليا وسكبت دمعاً غاليا
 وتقطعت اعشار قاي بي حسرة وفؤاديا
 يا عرب ان خمولكم ترك القلوب دواميا
 اشجى الحب بما شجى ففدا حزينا آسيا
 ففتى الصمود الى العلى فانال صاح مراديا
 وايت مغتبطاً اج ر من الحبور ردائيا
 فسعادتي يا ابن الكرام م وبغيتي ومراميا
 ان تصيح العرب الازل ة سادة ومواليا
 وتعيد مجداً كان با علم المرجب خاليا
 وتكون نوراً للبر ة بالعارف هاديا
 وتشيء في ربع العلا ة معاهدآ ومبائيا
 فتسوء حسادا نكا هم فضلها واعاديا
 هذبي سعادتي التي انا ناشد وهنائيا
 وهي الشفاء لعلي وهي الدواء لدائيا

القدس : اسعاف الشاشبي

فَتْحَةُ الْعَقْلِ وَنَزْهُةُ الْفَضْلِ

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

الامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ صححه محمد امين افندي الخانجي بعد قراءة الاصل تلى الشيخ طاهر الجزائري طبع بمطبعة « كردستان العلمية » بمصر سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧

علم الاخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الامور العادية ومنفعة ان يكون الانسان كاملا في افعاله بحسب امكانه لتكون اولاده سعيدة وأخراه حميدة . وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في باب نافع لطلابه مثل كتاب الذريعة في مكارم الشريعة للراغب الاصفهاني وتفصيل الشأين له وادب الدنيا والدين للماوردي والفوز الاصغر لابن مسكويه . وتهذيب الاخلاق له ايضا ومداداة النفوس لابن حزم ورسائل اخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف لابن زروق والطب الروحاني للشيرازي ومعظم احياء علوم الدين للغزالي وبعض فصول الفتوحات المكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح

وهذا السفر من اجل الكتب التي احييت هذه الالة بمعرفة استاذنا الشيخ طاهر الجزائري فحاء الفرع والاصل متساويين في المحاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية الذي وضعه استاذنا في فوائد متفرقة في وصف الكتب النافعة الكثيرة التي يطلع عليها قوله . « وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للامام الحافظ الاجل ابي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي احد افراد الدهر فوجدته كتابا من اجل الكتب وانفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج اليه العقلاء في ايامهم على اختلاف احوالها وهو من المطالب العالية التي يحرص عليها كل عاقل غير غافل . وليس الرجال باحتي بالاستفادة منه من ربات الحجاب وقد ابتداء كل مطلب بحديث ثابت يتعلق به واتبعه بما قصيد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما قاله فيه شعراء الحكماء وحكام الشعراء وجرى في عبارته على نهج من اتوا الحظ الادنى من البيان فيجدر بالعقلاء ان يروضوا انفسهم في روضتهم بجنتين من اثمارها ومجنتين لازهارها »

والمؤلف من جلة العلماء المكثرين من التأليف^(١) المجودين فيما كتبوا وكتابه هذا على ما نعلم طبع لأول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال ما حاصله : « أبو حاتم محمد بن حبان التميمي الهمامي الفاضل المتقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والاسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصنيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بجزء في العلوم سافر ما بين الشاش والاسكندرية وأدرك الأئمة والعلماء والاسانيد العالية وكان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته . قال أبو بكر أحمد بن ثابت : ومن الكتب التي تكثر منافعها أن كانت على قدر ما ترجمها به وأصفاها مصنفات أبي حاتم محمد ابن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدت عنه وأطرحه . فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة أجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءاً وكتاب تبع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة أجزاء وكتاب علل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء وكتاب علل حديث الزهري عشرون جزءاً وكتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثاله عشرة أجزاء وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء وكتاب ما خالف الثوري شعبة ثلاثة أجزاء وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن عشرة أجزاء وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء وكتاب ما عتد شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزءاً وكتاب غرائب الأخبار عشرون جزءاً وكتاب ما غرّب الكوفيون عن البصريين عشرة أجزاء وكتاب ما غرّب البصريون عن الكوفيين ثمانية أجزاء وكتاب أسامي من يعرف بالكشي ثلاثة أجزاء وكتاب كشي من يعرف بالأسامي ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحدادي والنضر الحزاز جزءاً وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار جزءاً وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الأزدي

جزء وكتاب موقوف مرفع عشرة اجزاء وكتاب آداب الرجال جزآن وكتاب ما اسند جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب ماجمل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزآن وكتاب ماجمل شيبان سفيان اوسفيان شيبان ثلاثة اجزاء وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن وكتاب مناقب الشافعي جزآن وكتاب المعجم على المدن عشرة اجزاء وكتاب المقلين من الحجاز بين عشرة اجزاء وكتاب المقلين من العراقيين عشرون جزء وكتاب الابواب المتفرقة ثلاثون جزء وكتاب الجمع بين الاخبار المتضادة جزآن وكتاب وصف المعدل والمعدل جزآن وكتاب مفصل بين حدثنا واخبرنا جزء وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزء وكتاب الهداية الى علم السنن قصد فيه اظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه بذكر حديثاً وترجم له ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ومن مفاريد اي بلد هو ثم يذكر كل اسم في اسناده من الصحابة الى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيله وفضله وتبطله ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة فان عارضه خبر ذكره وجمع بينهما وان تضاد لفظه في خبر آخر تطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً وهذا من انبل كتبه واعزها .

قال ابو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له : اكل هذه الكتب موجود عندكم ومقدور عليها ببلادكم فقال انما يوجد منها الشيء اليسير والنزر الحقيق .

قال وقد كان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها بها فكان السبب في ذهابها مع تظاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على اهل تلك البلاد . قال الخطيب : ومثلاً هذه الكتب الجليلة كان يجب ان يكثر بها النسخ فيتنافس فيها اهل العلم ويكتبونها ويجلدونها احرازاً لها ولا احسب المانع من ذلك كان الا قلة معرفة اهل تلك البلاد بحجلم العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله اعلم .

قال الامام تاج الاسلام : وحصل عندي من كتبه بالاسناد المتصل سماعاً كتاب النقايم والانواع خمس مجلدات وكتاب روضة العقلاء وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب مثل كتب الهداية الى علم السنن من اوله قدر مجلدين وله وهو اشهر من هذه كلها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شهاب الايمان وكتاب

صفة الصلاة • وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الامصار والاقطار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم جعل داره مدرسة لاصحابه ومسكناً للغرباء الذين يقيمون بها واهل الحديث والمتفقه ولهم جريات يستنفقونها داره وفيها خزانه كتبته في يدي وصي سلمها اليه ليبدلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير ان يخرجها منها • قال الحاكم : ابو حاتم كبير في العلوم وكان يحسد لفضله ونقدمه • وصنف لابني الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بست بقرب داره اه

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السلف كصاحب وفيات الاعيان وفوات الوفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون ومع هذا لم يغفل عنه ياقوت وترجمه بما هو اهله • وكف في هذه الامه من ضاعت تراجمهم وغابت عنا اعمالهم لضعف في مدارك اهل بلدهم وعمت النفوس في ديارهم وحسد نالهم وهي العلامة المميزة للمصلحين والصالحين التي كثيراً ما اُصيبوا بتأثيراتها الضارة •

اما الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة علم وادب واخلاق قسمه الى مطالب في ادب النفس ناعتت الخمسين مطلباً مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء وترك القحة وزلوم التواضع ومجانبة الكبر والتعجب الى الناس ومداراتهم وافشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس ومواخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون ومجانبة الحرص للعاقل والفحاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطمع وزلوم الفتنة والتوكل والرضا والعفو وصفة الكريم والثلثم والزجر عن قبول الوشاة وكتمان السر والنصيحة للمسلمين كافة والزجر عن التهاجر وزلوم الحلم عند الاذى واباحة جمع المال للقاتم بحقوقه والحث على اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث على طلب المعالي واطعام الطعام والمجازاة على الضائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الامير والاجير وبغني غناه للرجال والنساء على السواء

يفتح المؤلف كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم او منشور ينقله بالرواية ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه اسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم ابو حاتم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع والعلم النافع وحسن المأثي ولطف الاداء وقد يورد في اكثر الفصول قصصاً تزوق العامة والخاصة معاً • نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخل به من

اوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر . فجودة الاسلوب *à méthode* التي عرفت بها مصنفات الافرنج لعهدنا تجدها على اتمها في المجودين للتأليف في عصور الارتقاء الاسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها

واليك الان مثالا من عبارة المؤلف تستدل منها على مبلغه من الحذق والعلم والبيان . قال ابو حاتم : لا يكون المرء المصيب في الاشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعقل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند ادراكه رضي الشئ في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دور غايته يرتوه (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لان من جاوز الغاية في كل شيء صار الى التقص ولا ينفع العقل الا بالاستعمال كما لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لا تتم الفرصة الا بحضور الاعوان . ومن لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه اخاف ان يكون حنفا في اقرب الاشياء اليه . ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون والواجب على العاقل ان يجتنب اشياء ثلاثة فانها اسرع في افساد العقل من النار في بئس العوسج : الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء الثبوت . لان العاقل لا يتكف ما لا يطيق ولا يسعى الا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ما عنده من الغناء ولا يفرح بما نال الا بما اجدى عليه نفعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفقده ويحضره ولعدوه عدله وبره وللعامة بشره وتحمته ولا يسعين الا بمن يجب ان يظفر بمحاجته ولا يحدث الا من يرى حديثه مفعما الا ان يغلبه الاضطراب عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لان فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن مانسبها الناس اليهم ولا يبالي ما فاته من حطام الدنيا مع مارزق من الحظ في العقل . انشدني عبد الرحمن ابن محمد المقاتلي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى يكون كذي رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا غنى يكون كذي نعل وليست له رجل

قال ابو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وان عدم المال بان تصرف مساوي اعماله الى المحاسن فيحصل البلادة منه علما والمكر عقلا والهدر بلاغة والحدة ذكاء والحي صمتا والعقوبة تأديبا والجرأة عزما والجن ثانيا والاسراف جودا والامساك تقديرا فلا

تكاد ترى عاقلا الا موقراً للرؤساء ناصحاً للاقربان موالياً للاخوان متميزاً من الاعداء
غير حاسد للاصحاب ولا مخادع الاحباب لا يتعشر بالاشرار ولا يبخل في العنى ولا يشره
في الفاقة ولا ينقاد للهوى ولا يجتمع في الغضب ولا يبرح في الولاية ولا يمتنى ما لا يجد
ولا يكتنز اذا وجد ولا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يرى
قاضياً ولا يشكو الوجد الا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح احداً الا بما فيه لان من
مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجاء ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف
للسخرية . والعاقل يكرم على غير حال كالاسد يهاب وان كان رابضاً وكلام العاقل
يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام
العاقل وان كان نزرأ خطوة عظيمة كما ان مقارفة المأثم وان كان نزرأ مصيبة جلية
ومن العقل الثبوت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل على العاقل ان
يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يخطيه
على مر الايام ولا يجب للعاقل ان يحب ان يسمى به لان من عرف بالدهاء حذره ومن
عقل العاقل دفن عقله ما لا يستطيع لان البذر وان خفي في الارض اياماً فانه لا بد ظاهر في
اوانه وكذلك العاقل لا يخفي عقله وان اخفى ذلك جهده واول تمكن المرء من مكارم
الاخلاق هو لزوم العقل اه .

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي يستتر
يقول : كان لنا جاري ببغداد كما نسميه طيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم
فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموماً مكروباً فقلت : مالك يا ابا
عبدالله . قال : خير . قلت : ومع الخير . قال : امتحنت بثلث الحنة حتى ضربت ثم
عالجوني وبرأت الا انه بقي في صلي موضع يوجعني هو اشد علي من ذلك الضرب .
قال : قلت اكشف لي عن صلبك قال : فكشفت لي فلم ارفه الا اثر الضرب فقط
فقلت : ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال : فخرجت من عنده حتى اتيت
صاحب الحبس وكان بيدي وبينه فضل معرفة فقلت له : ادخل الحبس في حاجة قال :
ادخل فدخلت وجمعت فتبانهم وكان معي درهمات فرقتهما عليهم وجعلت احدهم حتى
انسوا بي ثم قلت : من منكم ضرباً اكثر قال : فاخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم
انه اكثرهم ضرباً واشدهم صبراً قال : فقلت له اسألك عن شيء فقال : هات فقلت :
شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعته ضرب على الجوع للقتل سباطاً بسيرة الاله لم

يتم وعالجوه وبرأ الا ان موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك
فقلت : مالك قال : الذي عالج له كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه
قطعة لحم ميتة لم يقطعها قلت : فما الحيلة قال : يبط صلبه وتوخذ تلك القطعة ويرى بها
وان تركت بلغت الى فؤاده فقتله . قال : فخرجت من المجلس فدخلت على احمد بن
حنبل فوجدته على حاله فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه . قلت : انا قال :
او تفعل قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج ويده مخدنان وعلى كتفه فوطه
فوضع احدهما لي والاخرى له ثم قد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطه عن صلبه
وقلت ارني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فاني اخبرك به فوضعت اصبعي وقلت :
هاهنا موضع الوجع . قال : ههنا احمد الله على العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله
على العافية فقلت : هاهنا قال : هاهنا اسأل الله العافية قال : فعملت انه موضع الوجع قال :
فوضعت الموضع عليه فلما احس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم
اغفر للمعتصم حتى يبططه فاخذت القطعة الميتة ورميت بها وشددت المصاصة عليه وهو
لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً
فاصدرت قلت : يا ابا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا بمحنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو
للمعتصم قال : اني فكرت فيما نقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت
ان آتي يوم القيامة وبينى وبين احد من قرابته خصومة هو مني في حل اه

ومن اجل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى الخزومي ابنه
قال : اخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا ابو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي حدثني عبد
الرحمن بن ابي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى الخزومي القرشي انه وعظ ابنه فقال :
يا بني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعامله ، حتى تصح عيوبك ،
ونقر عينك ، فانها لا تخفى على الله خافية ، واني قد سميت لك سماً ، ووضعت لك رسماً ،
ان انت حفظته ووعيته وعملت به ، لأت اعين المسلوب ، وانتقاد لك به الصعلوك ، ولم
تزل مرتجى مشرفاً يحتاج اليك ، ويرغب الى ما في يدك ، فأطع اباك ، واقصر بكي
وصية ابيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، واباك وهذر الكلام ،
وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الاخوان فان ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشقاء ،
وعليك بالرزانة ، والتوقر من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والقي

صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الاذى ، من غير ذلة لم ، ولا هبة منه ، وكن في جميع امورك في اوسطها ، فان خير الامور اوسطها ، وقل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكنا قصدا ولا تخط برحلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلوعقك ولا رءاءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات . ولا تقف على الجماعات . ولا تغذ السوق مجلجا ولا الحوانيت متحدثا . ولا تكثر المراء . ولا تنازع السفهاء . فان تكلمت فاختصر . وان مزحت فاقصر . واذا جلست قترع . وتحفظ من تشبك اصابعك وتقعيعها . والعيش بلحيتك وخاتمك . وذوابة سيفك . وتحليل اسنانك . وادخال يدك في انفك . وكثرة طرد القباب عنك . وكثرة الثاوب والتطي . واشباه ذلك مما يستخفه الناس منك . ويعتمرون به فيك . وليكن مجملك هاديا . وحديثك مقسوما . واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار عجب منك . ولا مسألة اعاده . واغض عن الفكاهات . من المضاحك والحكايات . ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك . ولا عن فرسك ولا عن سيفك .

واياك واحاديث الرويا فانك ان اظهرت عجا بشي منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الاحلام واغثروا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تهلب الحينك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الخلف ، وتنف الثيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غبا ، ولا تلج في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مائك ، فانهم ان رأوه قليلا ذنت عليهم ، وان كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، واذا خاسمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجلك ، وتفكر في مجتك ، واري الحاكم شيئا من حلك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تخف على ركبتك ، وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين ، وان سفا عليك فاحلم ، واذا هدا غضبك فتكلم ، واكرم عرضك ، والى الفضول عنك ، وان قريك سلطان ، فكن منه على حد السنان ، وان استرسل اليك ، فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رفقا بالصبي ، وكلما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من الطافه اياك ، وخاصته بك ، ان تدخل بينه وبين احد من ولده واهله وحشمه ، وان كان لذلك منك مستمعا ، والقول منك مطيعا ، فان سقطه .

(١) هلب الشعر تنم ما غلط منه . وتبطن الاحية ان لا يؤخذ مما تحت
الذقن والحذق

الداخل بين الملك واهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تنقل ، واذا وعدت فحقيق ، واذا حدثت فاصدق . ولا تجهر بمنطقك كمتنازع الاصم ، ولا تخافت به كمتخافت الاخرس ، وتخبر بحاسن القول ، بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسماع فانسبه الى اخله ، واياك والاحاديث العابرة المشنعة التي تذكرها القلوب وتقف لها الجلود ، واياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا ولا وعجل وعجل وما اشبه ذلك . واذا توضأت من الطعام ، فأجد عراكك كفيك ، وليكن وضعك الخرض من الاثنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا ترفع في الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلا ، ولا تمج فتدفع على اقرب جليائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد ما بقي منها منصبا فان ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك . ولا تعبت بالمشاش . ولا تعب شيئا مما يقرب اليه على مائدته بقلة خل او تابل او عمل . فان السحابة قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك امساك المتهور . ولا تبذر تبذير الصفيه المغرور . واعرف فيك مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك . واعلم ان الجشع . يدعو الى الطمع . والرغبة . كما قيل تدق الرقبة . ورب اكلة تمنع الكلات . والتعفف مال جسيم . وخلق كريم . ومعرفة الرجل قدره . يشرف ذكره . ومن تعد القدر . هوى في بعيد العقر . والصدق زين . والكذب شين . ولصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله . ومعاودة الحليم . خير من مصادقة الاحمق . ولزوم الكريم على الهوان . خير من صحبة اللئيم على الاحسان . ولتقرب ملك جواد . خير من مجاورة بحر طراد . وزوجة السوء الداء العضال ونكاح المعجوز يذهب بماء الوجه . وطاعة النساء تزي بالعملاء تشبه باهل العقل تكن منهم . وتصنع للشرف تدركه . واعلم ان كل امريء حيث وضع نفسه . وانما ينسب الصانع الى صناعته . والمرء يعرف بقرينه . واياك واخوان السوء . فانهم يخونون من رافقهم . ويخونون من صادقهم . وقرينهم اعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الادب . واستخفاف المستجير لو لم . والعجلة شوم . وسوء التدبير وهن . والاخوان اثنان فحافظ عليك عند البلاء . وصديق لك سيف الرخاء . فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فانهم اعدى الاعداء ومن اتبع الهوى مال به الردى . ولا يعجبك الجهم من الرجال . ولا تحقر ضيلا كالخلال . فانما المرء باصره ، قلبه ولسانه . ولا ينتفع به باكثر من اصغره . وتوق الفساد . وان كنت في

بلاد الاعادي . ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تهمل مالك اكرم عليك
من عرضك

ولا تكثر الكلام . فتقتل نبي الاقوام . وافخ البشر جليبك والقبول ممن لا فاك .
واياك وكثرة التبريق والتزليق . فان ظاهرك ذلك ينسب الى التأنيت . واياك والتصنع لمغازلة
النساء . وكن متقرباً متمززاً منتهزاً في فرصتك رقيقاً في حاجتك . مثبتاً في حملتك .
والبس لكل دهر ثيابه . ومع كل قوم شكلهم . ولا ترد حتى ترى وجه المصدر . عليك
بالنورة . في كل شهر مرة . واياك وحلاق الابط بالذرة . وليكن السؤال من
طبيعتك . واذا استكت (?) فعرضاً . عليك بالعارة . فانها انفع التجارة . وعلاج الزرع
خير من اقتناء النزع . ومنازعتك الثائم تطعمه فيك . ومن اكرم عرضه اكرمه الناس .
وذم الجاهل اياك افضل من ثنائه عليك . ومعرفة الحق من اخلاق الصدق . والرفيق
الصالح ابن عم . ومن اسر اكبر . ومن افتقر احتقر . قصر في المقالة مخافة
الاجابة . والساعي اليك . غالب عليك . وطول السفر ملالة . وكثرة المني ضلالة .
وليس للغائب صديق . ولا على الميت شفيق . وادب الشيخ عناء . وتأديب الغلام
شقاء . والفاحش امير . والوقاح وزير . والحليم مطية الاحمق . والحمق داء لاشفاء له
والحلم خير وزير . والدين ازين الامور . والساجدة . سفاهة . والسكران . شيطان .
وكلامه هذيان . والشعر . من السحر . والتهدد هجر . والشح شقاء . والشجاعة بقاء
والهدية من الاخلاق السرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتداء المعروف صار له ديناً .
ومن المعروف ابتداء من غير مسألة . وصاحب الرياء . يرجع الى السخاء . ولولايه بخير .
خير من معاملة بشر . والعرق نزاع . والعادة طبيعة لازمة . ان خير آخبر وان شرأ فشر .
ومن حل عقداً احتمل حقداً . ومراجعة السلطان . خرق بالانسان . والفرار عار . والتقدم
مخاطرة . واعجل منفعة . ايسر في دعة . وكثرة العلل . من الخلل . وشر الرجال . الكثير
الاعتلال . وحسن اللقاء . يذهب بالشحناء . ولين الكلام من اخلاق الكرام
يابني ان زوجة الرجل سكره . ولا عيش له مع خلافها . فاذا هممت بكنكاح امرأة
فسل عن اهلها فان العروق الطيبة تنبت النار الحلوة . واعلم ان النساء اشد اختلافاً
من اصابع الكف . فتوق منهن كل ذات بدا . مجبولة على الاذى . فنهن المعجبة بنفسها .
المزينة ببعليها . ان اكرمها رأتها لفضلها عليه . لا تشكر على جميل . ولا ترضى منه بقليل .
لسانها عليه سيف صقيل . قد كشف القحة ستر الحياء عن وجهها . فلا تستحي من إغوارها .

ولا يستحي من جارها . كلبة هراة . مهارشة عقارة . فوجه زوجها مظلوم . وعرضه
 مشتم . ولا تترعى عليه لدين ولا دنيا . ولا تحفظ له لصحة ولا لكثرة بنين . حجاب مهتوك .
 وستره منشور . وخيره مدفون . يصبح كئيماً . ويمسي غائباً . شرابه مر . وطعامه غيظ
 وولده ضياع . وبينه مهلك . وثوبه وسخ . ورأسه شعث . ان ضحك فواهن . وان
 تكلم فثكاره . نهاره ليل . وليله ويل . تلذغه مثل الحية العقارة . وتلسبه مثل العقرب
 الجرارة . ومنهن شفشليق شعشع سلفع^(١) ذات مم منقع . وابراق واختلاق . تهب
 مع الرياح . وتطير مع كل ذي جناح . ان قال : لا قالت : نعم وان قال : نعم قالت :
 لا . مولدة لحازيه . محنرة لما في يديه . تضرب له الامثال . وتقصربه دون الرجال .
 وتنقله من حال الى حال . حتى قلى بيته . وملّ ولده . وغث عيشه . وهانت عليه
 نفسه . وحتى انكره اخوانه . ورحمه جيرانه . ومنهن الورهاء الحمقاء . ذات الدل في
 غير موضعها . الماضغة للسانها . الآخذة في غير شأنها . قدقعت بحجة . ورضيت بكسبة .
 تأكل كالحمار الراجع . تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت . ولم يكنس لها بيت .
 طعامها بئس . واناؤها ضير . وعجينها حاض . وماؤها فاجر . ومتاعها مزروع . وماعونها
 ممنوع . وخادمها مضروب . وجارها محروب . ومنهن العطوف الودود . المباركة الولود .
 المأمونة بلى غيبا . المحبوبة في جيرانها . المحموددة في سرها واعلانها . الكريمة النبل
 الكثيرة الفضل . اخافضة صوتا . النظيفة بيتاً . خادمها مسمن . وابنها مزين .
 وخبرها دائم . وزوجها ناعم . مومونة مألوفة . وبالغفاف والخيرات موصوفة . جعلك الله
 يابني ممن يقتدى به بالهدى . وبأتم بالتقى . ويحجب السخط ويحب الرضى . والله
 خليفة عليك والمتولي لامرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد
 نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً اه .

هذه انودذجات من الكتاب والغالب ان المؤلف مصنفات غير ما ذكر في ترجمته يؤيد
 ذلك ما قاله آغا مسعود بن ناصر من ان ما اورده من اسماء مؤلفات هو عدا ما اطرحه
 منها بيد ان المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب
 « محجة المبشرين » « العالم والتعلم » « الوداع والفراق » « التوكل » « مراعاة الاخوان »
 « مراعاة العشر » . فكم يكون قدر جميع ما خطه انامله ياترى . وقد علق عليه استاذنا

(١) الشفشليق العجوز المسترخية : والشعشع الطويلة : والسلفع الصنابة البذبة

المنوه بقدره حواشي نافعة وشكل محل الاشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر
الجليل وانياً بالغرض من كل جهة حرياً بالمتأدبين ان يتدارسوه ويتنافسوا في اقتنائه
لتفاسة طبعه ووضعه

السياسة الاسلامية

تأليف المسيو لسانليه طبع في باريس سنة ١٩١٠ ص ١٦٥

*La politique musulmane, par M. A. Le Chate-
lier. E. Leroux, éditeur, 28 rue Bonaparte Paris*

نشر صد يقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا مؤلفاً جديداً
بهذا الاسم جعله ملحقاً لمجلة العالم الاسلامي الباريزية وقدمه الى احد اعضاء شوري
الدولة الفرنسية فقال فيه اذا كانت لفرنسا سياسة المانية وسياسة انكليزية بل وسياسة
لاتينية فلماذا لاتتخذ لها سياسة اسلامية امام مجموع العالم الاسلامي فان مائتي مليون
مسلم احرياء ان يساسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الاوهام الاستعمارية
والسياسية .

وتكلم على تاريخ امتداد الاسلام في قارتي آسيا وافريقية فقال ان شواطئ البحر
الابيض كانت عمالات للمسلمين من الاندلس حتى صقلية وشواطئ افريقية ولما فتحوا
بلاد الروم (بيزانس) واخذوا بجناحي البلقان زاد المسلمون من جهة اخرى ثم تراجعوا فلم
يبق في اوربا غير ستة ملايين منهم وان مسلمي روسيا يتكلمون اللغة الروسية ويتحضرون
بالحضارة السلافية ماعدا البوادي منهم وان كان بعضهم يتسامحون بتعلم اللغة التركية
العثمانية وقد احتفظوا بعقائدهم واخلقهم . قال : ولقد اتهم الالبان الذين كانوا اعظم قوة
تحرس عبد الحميد في المدة الاخيرة بانتحال العقيدة البكداشية على حين كان من
البانيا ان سعت كل السعي في الانقلاب العثماني الاخير

وقال ان احرار العثمانيين ليدعون الى وطنية عنصرية يطبقونها على مصالحهم حتى
خاب ظن من كانوا يوافقونهم بايدي بدء وقاموا يريدون ان يبقوا عثمانيين لا تراكم
وان الاحرار ارادوا حياة الاسلام في اوربا الشرقية بعد ان كاد يضمحل امره منها
ولكنه عاد وعليه المسحة الاوربية وذلك لاختلاط اهلها باهل اوربا فكان من تأثيرات
المحيط في هذا الدين ان رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد احدث الانقلاب العثماني
من حيث الاجتماع والعلم فشلا للدين المحمدي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة

الحميدية ولكنه ظفر ظفراً ثيناً من حيث السياسة والوطنية فبدأ في صورة جديدة أكثر انطباقاً على الروح الغربية وغدا نفوذ وقوته أكثر مما كانت على العهد الحميدي . ولم يقتصر مسلمو روسيا في نشوئهم الاجتماعي فأبدوا العواطف التي فطروا عليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاى الاسلام في روسيا بقوته الاسلام في الارض العثمانية فتقوى هناك بخلاصه من العوائق التي كانت تضعفه واشترك اهله في حركة الشعوب الاوربية وضعف في ثقائده الا انه نشط من عقاله

وان الدارسين في مدارس اوربا من السوريين والصريين والهنود والفرس والأتراك وان كانوا قليلين في عددهم الا انهم ارباب مكانة بعقولهم سعييدون الى الامة الاسلامية شبابه . وعقد فصولا كبرى افاض فيها في شي من ماضي بلاد الاسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم على السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وافريقية الشرقية وآسيا كلاً لم يخرج عن استحضار تلك الطريقة التي اتبعتها فرنسا في الاستعمار وتلقين الامم المحكومة مدنيته بالقوة والعنف ونزع عاداتها ونقاليدها لتجربها جرة من الآداب الفرنسية وان لم تلتها و«فرنسة» كل من يخف على رأسه علم الجمهورية . ويبحث في المملكة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند ومسلمي المالابو والروس باسان اجتماعي ينظر الى مصلحة قومه من الوجهة الاستعمارية .

وقال في النتيجة ان الواجب على حكومته ان تفتح اعتماداً بعشرين الف فرنك تقطعها لكلية الجزائر لتستعين بها على نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره وما ندرى كيف يتسنى ذلك بين قوم يتقاضى عليهم ان ينسوا انهم العربية ولا يدرسونها نصف اربع لغة الحضارة الحديثة

ولفت انظار من قدم له كتابه الى اصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريس وزيادة العناية بدراسة اللغات الاسلامية اى العربية والفارسية والتركية على نحو ما سعت انكثرا واصلحت في هذا الشأن كليتي لندرا واكسفورد وسعت المانيا فاصاحت كلية برلين وقال ان الواجب انشاء ناد يأوي اليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كما انشأت برلين ولندرا مثله لهذه الغاية وقال ان اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانكليزية بين السكسونيين فينبغي صرف العناية لها . واحسن ظنه كما هي عادته بارتقاء المسلمين ولا سيما في الشؤون الاقتصادية

فقال ان مجموع تجارهم لم يكن في منتصف القرن التاسع عشر في العالم أكثر من ثروة افقرامة اوربية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يبعد ان لا يتصف هذا القرن العشرون الا ويصبح مجموعها خمسين مليار فرنك الى غير ذلك من الايضاحات التي تنمفع بها فرنسا وتستفيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري . والكتاب محلى بمصورات بلاد الاسلام وبيعض رسوم الجوامع والاشخاص والكتابات الاسلامية وهو يدل دلالة واضحة على مبلغ غير الموائف على مصلحة امته ودرجة علمه باحوال المسلمين اليوم وامس كما هو شهادة ناطقة بان الاختصاص في فرع من فروع العلوم الكثيرة انفع للعالم ولعالم من اخطف من هنا ومن هناك

النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في « الجريدة » في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة البادية »
او العقيلة ملك حفني ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٢٦

من نعم الله على مصر ان فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وانها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارتقاء حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متعلات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الدكية لم تقصر في ذكاء عقول ابائتها وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بأيدي بنات جنسهن الى مهيع التقدم وفي رأسهن مؤلفة هذا الكتاب العقيلة ملك حفني ناصف نسبة لوالدها احد شيوخ العلم في القاهرة او « ملكة باسل » نسبة لزوجها . عني بتأديبها والدها فحاصت ادية بزت الادباء وكاتبة يقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما املاه قلبها على لسانها وقبلها في معنى تعليم المرأة على الاسلوب الجامع الى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة

وقد طالعتنا ماخطته براعتها في هذا الشأن ولا سيما محاضرتها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكلمت فيها كلام العاقلة الحسيمة عن المولودة ودور الطفولة والمرحلة والخطبة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والاخلاق والعادات ودور الامومة . ومحاضرتها التي القتها في نقد عادات النساء وختمتها بقولها لو كان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اي تعليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاول اجبارياً في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليم التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة) المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعاتنا هذا

طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة اجادت فيه من وراء الغاية لان اقوالها نتيجة خبرة وتجارب بل هي القانون النافع في انماض المرأة من كيوتها وفي انكتاب مطالب كثيرة في اصلاح المرأة والاعتدال بقرآن من تضاعفه والادب بقطر من خلاله .

وقد قدم له احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة » والكاظم الخطيب العامل مقدمة لطيفة ابان فيها الغرض من هذه الابحاث فقال لقد اجادت باحثة البادية في جعل بحثها مرتباً على هذا النمط المعين فان الاعتدال في تعليم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم ان نثق عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كله امان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون اقل في سوء الاثر من نتائج حمل المرأة وتعودها عن السعي الى كمالها الخاص . قال اما الدين فانه ملاك اخلاق المرأة ومناط آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها . ان تقوى المرأة اكبر الادلة على صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به . ان شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة اصلح لقلها من

سماع واعظ اخلاقي في الدار او في المدرسة سنة كاملة . وان تقليد المرأة الشرقية لاختها الغربية نافع ولكن هذا التقليد الى اليوم ليس بحسنة جديدة مادام انه خلا من النوع انطاس بالدين . فان الغربية تنهض الى معبدها مرة في الاسبوع على الاقل والمسلة الشرقية لاتذهب اليه في مصر ابداً . كأن دخول بيت الله اثقل كلفة عليها وابتعد عن رضى وليها من دخولها في بيوتات التجارة وشهودها مسارح اللهو . الا وان حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير اسراف هو اول عمل حسي تأتبه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة الملهودة . وعلى الجملة فالكاتب من انفع ما كتب في عصرنا حري بكل آتة وعقيلة بل بكل رب بيت ان بتدارسه ويعمل به فبالامس قام في مصر المرحوم فاسم بك امين يحرر المرأة من قيود رقبها اليوم قامت ملك ابنة حفني بك ناعف تبين الخطة العملية فتي ياترى يكتب لهذه الديار ايضاً ان يقوم فيها من بنات حواء من سبعين لاصلاح شأن بنات جنسهن على الطريقة الملكية » فالكلام بفضل بفضل مصادره واحسنه ، ماصدر عن ربات الحسن والالسان

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الاحصاء الذي جرت عادة ديوان الاحصاء في مصر ان ينشره كل سنة فاذا فيه ان مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ١٥٨٨٧٣١٣ جنيهًا ومجموع نفقاتها ١٦٩٠٠١٥ جنيهًا وكان دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهًا وخرجها ٧٦٩١٤٢٤ جنيهًا .

وبلغ عدد مدارس الحكومة في هذه السنة المكتتبية ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ استاذًا و١٤٧١ تلميذًا منهم ١٤٠٨٧ ذكرًا و٦٢٧ انثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فيها ٢٣٢٩ استاذًا و٥٢٤٤١ تلميذًا منهم ٤٦٢٩٣ ذكرًا وبلغ عدد كتابيب الحكومة ١٤٤ كتابًا سنة ١٩١٠ فيها ٤٤٩ استاذًا و١٣٦٥ تلميذًا منهم ٩١٨٣ ذكرًا وبلغ عدد الكتابيب الحرة ٣٣٥٦ فيها ٦٧٩٩ استاذًا و١٩٠٨٥٧ تلميذًا منهم ١٧٤٠٢٣ صبيًا . وبلغ عدد المدارس الاحتبية ٤٠٩ مدارس فيها ٢٣٢٨ استاذًا و٤٧٣٨١ تلميذًا منهم ٢٨٩١٤ ذكرًا و١٨٤٦٧ انثى

المحسنون للشام ومصر

من اول امارات النهوض في مصر والشام ان ابا السعود افندي الحسيني من اعيان دمشق يتف خزانه كتبه على المظلمين والعالمين سبلها في مكان خاص في القنوات وفيها مخطوطات ومطبوعات نادرة وهي نفيسة مهمة لانتقل فيما نجسب عن التي مجلدو يقف لها عقاراً يقوم بالاتفاق عليها وعلى القيم . وان عبد الرحمن بك اليوسف من اعيان الفيحاء ايضاً تعهد بتعليم شابين في مدارس فرنسا على نفقته يعلم الاول الهندسة الميكانيكية والثاني علم الزراعة وان بطرس افندي داغر من اعيان بيروت تبرع الجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في الثغر بمئة ليرة كل سنة لتستعين بها على ترقية مدارسها الخاصة بالاناث . ووقف الامير يوسف بك كمال من اعيان القاهرة ١٨٠ فداناً من اجود اراضيها في المتيا وعمارة بالاسكندرية يبلغ صافي دخلها السنوي ستة آلاف جنيه على مدرسة الفنون الجميلة التي اسسها في احد قصوره في درب الجمامين ووهب هذه المدرسة ايضاً عشرة آلاف جنيه لهدم القصر المذكور وبناؤه من جديد على طرز مدارس الفنون الجميلة في الغرب وهذا فوق ما كان دفعه من المال للجامعة المصرية والمدرسة الصناعية والابتدائية اللتين بناهما في امالاه في صعيد مصر وعلاوة على قطعة الارض التي تساوي عشرة آلاف جنيه وهبها لنادي المدارس العليا لينشي فيها منتداه . فاكرم بهؤلاء الرجل الذين يحسنون لاناارة العقول فيذكرون في الدنيا بالمحمدة وفي الاخرى بالرحمة

اعمال الطيور

نشرت المجلة الفرنسية مقالة قالت فيها ان النشاط من خصائص الطيور وقل فيها من يتخلف عن هذه القاعدة فالطير البحري المعروف بتصير الجناح *Pingouin* الذي نرى جناحيه كصل السيف يتحولان الى قطع يظهر انها تعجزه عن الحركة ومع هذا يطير ويقفز وكثيراً ما تطول مدة طيرانه وتحمله من جزائر الشمال الى البحر الابيض حيث يشتمو وهذا مثل طير القوق *Cormoran* فانه يصيد ويتناول السمك بمحذق ويعرف بنزوة منه كيف يمسك ذات القشر وعادة الفقار من الحيوانات ويتسلى بها فيجعلها نقله وحلواه . وطائر البجع الذي يظهر بانه اعسر يتحرك على رجل واحدة في الحداثق وانه لا حراك فيه وهو على العكس طائر رحالة بفضل مارزق من الاجنحة الواسعة التي تكون له بمثابة شراع لا نظير له يستخدمه في تنقله على البحيرات والانهار حيث ينزل ويقم من جنوبي اوربا والهند والصين واميركا واورستاليا . وتمتاز بعض الطيور بنشاطها على

العمل بان تخذلها صناعات مرتبة فالعصفور الدوري الذي كثر استاؤد بحسب البلاد هو في الواقع ونفس الامر عامل لا يتعب ذو امانة للغاية فيسميه الاسبانينيون وهو في مألقة عند ما يكون جاز اليها من جبل طارق تحت الحجر مشبهين له في الصناعة بالبناء لانه يبني عشه ورائده العلم الثام في الهندسة ومن انواعه كثير في فرنسا وانكلترا وجنوبي اوربا تختار لوكناتها ثقب اشجار الصنوبر وتبدع في هندستها واحسان بنائها بالاشجار والملاط فالعصفور في جبل طارق صغير الجرم كالشحرور يستعمل قواده ومنقاره للجمع الحجارة والحصى وينقلها الى المحل الذي وقع عليه اختياره ويركها بعضها فوق بعض محكما لها طبقة فوق اخرى ويجعل للعش حاجزاً طوله عشرين سنتمراً وعمقه كذلك وطوله من ٦ الى ٧ سنتمترات وهو يستعمل له نحو ٢٨٠ حجراً ماعداً ٧٠ الى ٧٥ حجراً للتأسيس ويبلغ عدد الاجحار ٣٥٠ ومنها ما وزنه ٦٠ غراماً وعجيب منه كيف ينشط المحل مثل هذا الثقل والمسافة التي ينقل منها الحجار لعشه ليست بقصيرة .

ومن انواع العصافير ما يابف البلاد الجبلية وهو ايضا يخطط لعشه في الجدر والاشجار والاشجار خبطة عجيبة ويبلغ في هندسته وتقسيمه وكذلك الحال في الخطاف الذي يشبه السنونو فيكل عمله وبدلاً من ثقب بسيط يختاره في اعلى العش للدخول يقيم نوعاً من الطريق مغطى في اسفل الجدار . ومن الطيور ما لا يحدق ابتداء الوكات ومع هذا لا تلتقي صفارها على حصا تختاره لذلك . واعجب ما في هذه الطيور البناء كلها فطرة الذكاء التي تقودها الى اختيار ادوات البناء . فالسنونو مثلاً تعرف كل المعرفة تمييز نوع الملاط الذي تجمع فيه بين اجزاء ما تقيم من البناء من الداخل والخارج وذلك بمفرزاتها الازجة التي هي من خصائصها الطبيعية وهذه المفرزات يستعملها بعض الطيور ملاطاً لوكناتها ايضا . وان الطير المعروف ببناء البيوت ليصنع عشه من الطين والقش حتى ان اهل المكسيك منه تعلموا طريقته في البناء .

ومن الطيور التجار كما فيها البناء وذلك كالطائر المعروف بالنقار الذي يعيش في الاشجار يتسلق عليها بمخالبه فينقر بمنقار لحاء الشجرة ليفرغ منها الهواء التي يعيش بها فهو عامل غريب يجمع عشه بصبر مدهش ويحفره في بعض الجذوع على ثلاثة امتار من وجه الارض ويحبال في اجادة محله ماشاء وشاءت الاجادة الغريزية على نحو ما نشاهد جحوراً فخرتها هذه الطيور كنقار الخشب والصرد في غابات انكلترا ثم تتركها الى محل آخر لاتصل اليه اليد

ومن الطيور ما ينقي الزرع كالقصير الرجلين Vanneau يخدم الحدائق كما يخدمها صاحبها والمتعهد لها فهو وان كان يعيش على شواطئ مجاري الانهار ولا سيما البطائح الا انه ينقي الزهور والبذور التي يترك وشأنه ليسرح بينها وليس اجمل من هيئته وهو يفتز ويمر مسرعاً جائعاً ذاهباً وجسمه مائل الى الامام وقنبرته منتصبه وريشه مشرق ظاهره سماوي وباطنه ابيض وعينه منتبهة لا يغفل دودة ولا حذوفاً الا وبعزلها عن الزرع بوجدان سليم

واعجب من هذا وذلك حال الطير المسعى الشرطي Policier وهو يكثر في اواسط اوربا يقف على الاسلاك البرقية على مساوف بعيدة يرد الابعاد وهو اسود وله عصابة برتقالية في رأسه يقتات بالديدان ويخافه النسر والباشق والبازي وقد سمي الظالم لانه اذا اختلط بطيور اخرى يتسلط عليها واذا لم يجد اسلاكاً ينزل على بعض العمد او على غصن شجرة واذا كان في السهل ينزل على ظهر بقرة ويعيش من الصيد ولا يهاب ما كان اكبر منه من الحيوانات بل يستخدم منقاره ومخالبه فيدمي بها ويقتنص وهو بذلك يتحماها الكواسر وغيرها ولا يقرب من وكناته احد منها واشتهر بالاجاعة بين الطيور حتى انها لتهايه في وكناتها وتحب له الف حساب ولذلك كتبت له السعادة وهو من بين شذاذ الآفاق من الحوام والطيور والكواسر حامي القانون والسيطر الاعظم .

التحصيل في اوربا

بلغ عدد من يخضون في العلوم في مدارس اوربا خمسة عشر طالباً من اهل دمشق فقط عدداً من ارسلتهم الحكومة على نفقتها منهم اربعة في الطب والجراحة واثنان في طب الاسنان واثنان في الحقوق واثنان في الزراعة وواحد في الهندسة وآخر في هندسة الكهرباء وواحد في علم التربية والتعليم واثنان يستعدان في العلم الآن

الرئيس البرتغالي

ان الرئيس البرتغالي الجديد تيوفيل براغا هو كاكثير رؤساء الجمهوريات عالم كبير فان فاخرت فرنسا برئيس جمهوريتها الاول تيرس وفاخرت الولايات المتحدة باحد رؤساء جمهوريتها وزفلت فيحت للبرتغال ان تفاخر برئيسها براغا فهو من اكبر كتابها المعاصرين وهو في السابعة والستين من عمره اشتهر امره منذ خمسين سنة وهو شاعر فيلسوف نقاد فقيه اولي بلاده فخرأ لايلي بما نشره لها من تاريخ آداب البرتغال الذي

كتبه في عشرين سنين متوالية ومن كتبه روح الحق المدني الحديث وهو زعيم القائلين بالفلسفة الحسية في برنغال كما ان بنيامين كونستان زعيمها في برازيل وهذه الفلسفة هي التي وضع اساسها اوغست كونت الفيلسوف للفرنسوي وما برح براغا يحف حوالى منبره في لشبونة اناس من الناشئة الجديدة يوحي اليهم آماله الديمقراطية وروحه الوطنية فلا عجب اذا وقع اختيار امته عليه ليرأسها .

اللعب والتربية

كتب احد علماء التربية من الالمان مقالة طلب فيها الى دور التعليم ان يخص وقت بعد الظهر من كل يوم بالالعب المختلفة تكره عليها الاولاد والمعلمين اكثر مما تكرههم على تعلم دروسهم واستشهد بقول الامبراطور منذ مدة « انني ابحت عن جنود فلجنتنا ماسة الى جيل قوي من الناس » فالجناسيتيك البسيط لا يقوم بهذا الغرض بل الواجب المشي الكثير الطويل لا الاكتفاء بالعب عادية يقوم بها الاولاد والشبان عر ضابل العب حقيقة شلية مثل التزحلق (باتيناج) والعلوم وغير ذلك . العب بناظرها مدير خبير يستثمر النشاط ويحسن الانتفاع بمرونة الجسد ويتقوى بالمعمل والعادة اليومية احسن قوى النفس والعقل مثل الصبر والحرية والارادة وعمل مثل هذا المدير لا يتل في الفضل عن عمل زملائه اسانذة العلوم واللغات والتاريخ فهو بعمل تلى تربية الشبية على شرط ان يعطى الوقت اللازم لذلك وهو ينوع الالعب بحسب الفصول حتى لا يهنك القوى في الحر كما يعاملها به في البرد

فقر يابان وغناها

ذهب بعض الاميركيين الى ان يابان افقر بلاد في العالم فاثبت ذلك الاستاذ كالمب من كلية كيوتو بالاحصاء الدقيق قابل فيه بين غنى اليابان وغنى غيرها من الام فقال اذا كانت يابان تملك مثلاً ١٠٠ يان (معاملة يابانية نحو فرنك) فان المانيا تملك ٦٨٣ ياناً وفرنسا ٧٤٣ ياناً وانكلترا ١٠٠٨ يانات فالمدخل الشخصي اذا سربنا الى هذا النحو هو ١٠ يانات في اليابان و ٤١ في المانيا و ٥٢ في فرنسا و ٦٠ في انكلترا و ٧٣ في الولايات المتحدة . والدين الذي على بلاد يابان ثقل تنوء تحتها فهو نحو ٢٢ ياناً في المئة ومع هذا فان يابان لا يخشى عليها الفقر المدقع والخراب العاجل بالديون لان الفرد منهم يعرف كيف يصرف في سبيل سداد عوض حكومته فيقطع من اكله ويقتصد من

رفاهيته بسائق وطنيته ليعطي حكومته ماتنهض به من المال . والاقتصاد في المعاش من خصائص هذه الامة

اوهام السن

من الشائع على الاسن ان من تجاوز الخمسين يؤذن نشاطه العقلي والطبيعي بالضعف على ان الحوادث تثبت نقيض ذلك فان الحياة العلمية والسياسية والادبية مخصصة كثيراً في السن التي يرميها الناس بالعم ولطالما اورد بعضهم ادلة على رقيهم العقلي ونشاطهم فان شهرة لوراستراتكونا في عالم السياسة ابتدأت لما كان عمره خمسا وسبعين سنة وهو اليوم في سن التسعين يعمل منذ الساعة العاشرة قبل الظهر ويحضر الولايم الرسمية ثلاث مرات في الاسبوع . وكان عمر ويليام مورغان ٦٥ سنة لما كتب قصصه الاولى وكان عمر بيرمون مورغان المثري الاميركي نحو ذلك عند ما وضع خطته في الانشاء . ومنذ خمسين سنة كانوا ينظرون الى ابن الخامسة والاربعين في بلاد الغرب بانه شيخ اما اليوم فلويد جورج السياسي الانكليزي قد بلغ السابعة والاربعين ولا يزال يعد في الشبان وقد بدأ السير هيرام ماكسيم في سن السبعين يعمل عملا جديداً كل يوم . ولما وصل فرنكلين الى باريز صغيراً من قبل حكومة الولايات المتحدة كان عمره احدى وسبعين سنة وبدأ فيكتور هوغو بكتابه تاريخ جنابة في الثانية والسبعين من سنه اما الفيلسوف هيريت سبنسر فقد اتم اعماله في الرابعة والثمانين من عمره وتلى كل فالشاط ميسور لكل من جادت صحته وصحت عن يمينه على العمل شاباً كان او كهلاً او شيخاً ولا يزال المرء في هذه الدار يتعلم حتى يموت . والترتيب في الحياة هو سر اقتدار هؤلاء المعمرين على العمل الى الابد

اصلاح خطأ

سها عن باننا ان نقول في الجزء الماضي عند انشاء مقالة جمهورية البرنقال انها ثالث جمهورية في قارة اوربا فان الاولى فرنسا والثانية سويسرا والثالثة تلك الجمهورية الجديدة وجاء في الكلام على « روضة العقلاء » في هذا الجزء ان صاحب كشف الظنون لم يذكره بلى اذ ذكره بقوله « روضة العقلاء » لابن ابي حيان في الاحاديث وفي هذا خطأ في اسم المؤلف وهو جبان بالباء لا بالياء . وفي قوله ان الكتاب في الحديث وهو في الاخلاق

المقبر

ظلمات عصر الظلمات

كل من التى نظرة اجمالية على تاريخ القرون الوسطى والقرون الحديثة في هذه البلاد يوقن بان القرون الاخيرة اى القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر كانت اشقى العصور على هذه البلاد لاحكم فيها الا للثوة لاعدل يحميها ولا علم ينهضها وخصوصاً في الايام التي سادت فيها حكومة الاقطاعات وساد معها جيش الانكشارية (بكى جري) والاعسكر الجديد فكل ماتراه عينك في دمشق مثلاً من بيوت ضيقة متلاصقة وارنبجة واطئة واحياء لامنفذ لها وقصور ومدارس في الضواحي خربة انما نشأ من اعتداء هذا الجيش على افراد الرعية المسكينة وما نجم من ايديهم يتناولها الظلمة من الحكم ويصادرونه ويستصغونه هنيئاً مريئاً لا وازع يززع ولا ادارة منظمة : احكام في الدمار مسمطة وقواعد في السياسة معسلة وآراء في جلب المصالح ودور المفاصد مخططة مغلطة .

ولقد وقع الينا مخطوط نافع ^(١) اورد فيه مؤلفه بالعرض في جملة قصائده بعض مشاهدته في عصره من الكوائن فاحببنا نقلها الى هنا دلالة على القضية التي قررناها آنفاً ولنكون متممة لتاريخ هذه الحاضرة . وهالك ماورد في هذا المعنى بمناسبة مدحه لاحد حواشي سليمان باشا ابن العظم (والي الشام اذ ذاك) قال : « وافق لهذا الممدوح قصة من غرائب التصص وهي انه سعى في خلاص جماعة من اهل حيه وغيرهم من القتل وفداهم بنفسه ودافع عنهم عند والي الشام بما استطاع وسلموا من الهلاك بسبب مدافعتهم

(١) هو ديوان النصائح والانوار اللوائح لمؤلفه محمد الحافظ النجار من اهل القرن الثاني عشر وهو من خزانة كتب غالب بك الزاقي احد اعيان هذه الحاضرة

وفضلائها

عنهم وفر قوم من دمشق خوفاً من واليها ووقع الوالي القتل والنهب بقوم آخرين ظفر بهم في دمشق ثم ان الوالي خرج من دمشق اميراً بقافلة الحج وخرج معه هذا المذكور حاجاً وموئداً ماعليه من خدمة السلطان في طريق الحاج فلما وصل الامير والحاج الى المزيرب رجع اولئك نفر الذين فروا من الوالي بعد ان ارسلوا مكتوبة الى جيران هذا الذي سعى في خلاص اكثرهم من القتل تشتمل تلك المكتوبة على انهم في ليلة كذا يرجعون ويدخلون دمشق بقصد انتهاب دار هذا المذكور وقتل من يظفرون به من اهاليه وقراباته فاجابهم كل من كاتبوه بذلك بالسمع والطاعة وانهم سيكونون لهم عضداً وعوناً على ما يبتوا عليه وارادوه من سوء بهذا الامر الذي عزموا على فعله فلما كانت الليلة الموعودة دخل اولئك نفر الفارون دمشق ومعهم نفر من النصارى والدروز والاشقياء اعداء الدين والمسلمين ولما وصلوا الى القرب من الدار المقصودة بالسوء تلقاهم الناس بالترحيب وتحزب معهم غالب الناس من اهالي ذلك المحل حتى بلغوا العدد الكثير فلما قربوا من الحي ترفع اهله في منازلهم وفر من كان في الدار المقصودة من كبير وصغير طالين للنجاة بانفسهم فلما وصل اولئك نفر المغضوب (عليهم) ومن معهم من المتافقين الذين انضموا اليهم كسروا الابواب وهجموا على الدار وانتهبوا وضربوا وافسدوا افساداً ما سمع بمثله واصجوا ما كثر في دمشق لايهابون احداً فخرج اليهم نائب الوالي والاعيان والموالي فتلفطوهم بالخرب والضرب وقتل جماعة وجرح آخرون ورجع النائب ومن معه منهزمين ومكث اولئك نفر الاشقياء بدمشق ريثما بلغوا اربهم من سلب واغتصاب وتهكم وتحكم لا يردم عن ذلك احد ولا يهابون احداً «.....»

قال : « ولقد حقق الله تعالى جميع ما نطقت به هذه القصيدة من الظفر باولئك انفر المفسدين والطائفة المعتدين المارقين من الدين على يد وال آخر غير ذلك الوالي المذكور في ترجمة هذه القصة قد عيى السلطان وولاه دمشق لاجلهم بسبب فتنة اضرموها في الشام نارها واثاروا غبارها وافسدوا افساداً فتنايغا فقتلوا وضربوا واستلبوا وانتهبوا واحرقوا الدور والاماكن وتركوا من الشرور كل ساكن وتجاهروا بالفواحش وارتكبوا كل امر مخالف للدين فاعشوا واعلوا الفطر في شهر رمضان على رؤوس الاشهاد وتعطلت الاسواق والمعاملات بسببهم في دمشق قريباً من سنة لانقام جمعة ولا يسمع اذان ولا يفتح جامع ولا يمكن احد ان يخرج من منزله حاجة ولا لغيرها لفسادهم وافسادهم وتعديهم على الخاص والعام وانما كان سبب تمكنهم من ذلك عدم وال في الشام فان

واليها كان قد خرج منها الى الحج اميراً في رجوعه من الحج عارضه العربان في اثناء الطريق ففر منهمزماً بعد ان اعجزوه وانهبوا قافلة الحاج باسرها بعد ان كانوا انتهبوا جردة الحاج وقتلوا من الجردة والحاج الحليم الغفير . . . فهذا كان سبب تمكهم من اقامة الشرور والفتن فجاءهم بعد ذلك هذا الوالي المذكور ثانياً وقتل منهم من قدر عليه وفر منهم من فر منهمزماً وسلب دورهم ومتاعهم واثاثهم ووجه اخبارهم وتركهم اذل من اليهود واحقر من الذباب واهن من الكلاب ولحق دمشق واهلها من ذلك الوالي وحاشيته وجنده اسوأ السوء بسبب قيامهم على اولئك الاشقياء وانتهت غالب المنازل في دمشق وقتل خلق كثير من البراء وتوطن هذا الجند الكثير من دور الناس واخرجوا اهلها منها عنفاً وجبراً وقسراً وظهر من اتباع هذا الوالي ما انسى اهل دمشق ما كانوا فيه من الضنك والشدة قبل قدوم هذا الجند اليهم . . . واعقب مجي هذا الوالي الى دمشق في دمشق ضيق وشدائد وشرور وظلم وجور وعسف وتعد واحتقار لاهل دمشق من شدة فظاظتهم وغلظتهم وكان فيهم من النصارى والرافضة مالا يحصى عدده وختم ذلك بزوال في دمشق ونواحيها ورجفات زعزعت الجبال وردمت الدور في غالب الاماكن وهدمت كثيراً من المساجد والمعابد والمنارات وعند كتابتي لهذا المحل كانت مكثت في دمشق خمسة واربعين يوماً وقتل اذ ذاك تحت الردم خلق كثير وخرج غالب الناس من منازلهم وتركوها خالية وتوطنوا البساتين والجبانات . . . وقال في مكان آخر : « قد تقدم في هذا الديوان ذكر بعض ما وقع في دمشق من الفتن والحزن والشرور والغلاء والظلم وغير ذلك مما مر وتقدم وكل ذلك قبل تاريخ سنة الف ومائة وسبعين وها انا اذكر ما وقع واتفق لدمشق واهلها في سنة سبعين وما بعدها من العظائم والحروب والازمات والزلازل والرجفات وما تأتى من ذلك من خراب الدور والمنارات والجوامع وما كان في تلك الايام من ظلم وجور وعسف الى ان تداخلت الدواهي والبلايا بعضها في اثر بعض حتى كانت آخر ذلك الطاعون الذي انسى ما كان قبله مما يفسد الاديان ويهلك الابدان ويشيب الولدان وهنا اورد المؤلف ارجوزة مطولة في وصف تلك الحزن قال فيها :

لما تقضت عشرة من صومنا محررة
قامت طغاة فجرة في شامنا المطهرة
واخسرنا نار الفتن واظهروا خافي الاحن

وواقعوناً في محنٍ وكدروا منا الفطن
 ومذاً رأيتُ الفتناً ثارت وقامت علنا
 وكلُّهم كروه انا وكلُّ سوءٍ وعنا
 ناديت ربّاً ذا منن بعد الفروض والسنن
 وجنح ليل قد سكن وفيه قد فر الوسن
 وقلت قول المُنجي ومطالب للفرج
 وهارب من حرج يا من اليه التجي
 يادافع البلاء يا عالم النداء
 يا سامع الدعاء يا كاشف اللأواء
 خلص اناساً ظلموا من بطش قوم ظلموا
 عن الرشاد قد عموا ومن سداد حرّموا
 وعجل انتصارا واهلك الاشرارا
 وايد الابرارا وسدد الاختيارا
 وهت ربوع الشام من زمرة طغام
 وعصبة لثام خذوا من الحرام
 وفرقة فجار طاغية اشرار
 قد ازبحوا الدراري باقيج الضرار
 لم يرحموا صغيرا لم يستحوا كبيرا
 لم يتركوا نقيرا منها ولا قطميرا
 وعلنوا الفساد واذهبوا العبادا
 واخربوا البلاد واحرموا الرقادا
 وحلّلوا الحراما وامهلوا الصياما
 وقهروا اليثام وفضحوا الايامي
 واظهروا الاسرافاً وقتلوا الاشرافا
 وضيعوا الانصافا واكثروا الخلفا
 وشتّموا الايماناً وكذبوا الايماناً
 وهدموا الاوطاناً واورثوا الهوانا

وضيعوا الامانة وشهروا الخيانة
 وحرموا الديانة وفارقوا الصيانة
 وغلبوا الحكماء وابطلوا الاحكاما
 واكثروا الضراما واخشوا الكلاما
 مدوا يدي الفجائع سنوا مدى المواجه
 وقتلوا في الجامع اساجد وراسع
 وتابعوا الاذبة واعظموا الرزية
 واوقعوا البلية واقلقوا البرية
 واغلقوا المساجدا واقلقوا المعابدا
 واكثروا المفاسدا فحرموا المحامدا
 وعطلوا المنابر وحقروا الاكابر
 ودمروا الاصاغرا واشهروا المناكرا
 وقصدوا اذانا واسكتوا الآذانا
 وتابعوا الشيطانا وخالفوا السلطانا
 وبات كل حالم من جاهل وعالم
 وقاعد وقائم بالغم كالرمائم
 وكل سوق سكرى وقل بيع وشرا
 وقام سوق الاقترا ودام هذا اشهرا
 يسوء فينا مدة حكمت ليالي الردة
 فلم نزل في شدة وعين ممتدة

والارجوزة طويلة وهي على هذا النمط وقعت في نحو خمس ورقات بالخط الدقيق المندمج قال في آخرها: « وجميع هذه الشكاية انما هي مما وقع من الشرور والفن في سنة الف ومائة وسبعين في دمشق وما جرى وانفق خارجها من نهب الجردة في سنة احدى وسبعين ثم ما وقع فيها من انتهاب الحج وماحصل اذ ذاك من الفساد والافساد من طائفة الاعراب والاوغاد ولما انتهت الجردة ثم مات اميرها ثم انتهب الحج وأنهمزم اميره ورجع الى دمشق من سلم من القتل منهوبا مسلوبا وكانت نار الفتنة لم تنزل ثائرة

في دمشق ^(١) بين طائفة القول^(١) وطائفة الينكشارية من مضي عشر ليال من شهر رمضان والقول اذ ذاك محاصرون في القلعة فلما اقبل المنتهبون من الحجاج الى دمشق خرجت طائفة الينكشارية يتلفون المنزمين والمنتهبين من الحجاج فكل من ظفروا به وكان من القول قتلوه واخذوا ما يجدونه معه من متاع اودابة او غير ذلك حتى انه قد بلغني انهم ظفروا باحد القول خارج دمشق فقتلوه شر قتلة واخذوا ما كان معه ثم احرقوه بالنار واستمرت الشرور والفتن قائمة في دمشق وهي اذ ذاك خالية من وال حيث ان امير الحاج لما انهزم في اثناء الطريق استمر منهزماً ولم يدخل دمشق فبقيت بلا وال ولا حاكم .

ولما بلغ السلطان مصطفى اخبار ما تقدم ذكره من انتهاب الجردة والحج وما في دمشق من الفتن والمهراج وان طائفة القول محاصرون في القلعة ساء ذلك وعين عبدالله باشا الشنجي وامره علي دمشق وعلى الحج وانه يستقصي الخارجين عن امره والمتعصبين على القول ويقتلهم ويرسل برؤوسهم الى الباب العالي والزعم ان يباشر اصلاح طريق الحاج بما امكنه فجا عبدالله المذكور واليا على الشام واعمالها واميراً على الحاج ودخل دمشق في اوائل سنة احدى وسبعين وجاء معه بجند الغالب منهم نصارى واعاجم . فلما قرب من دمشق تحزبت الينكشارية وتجمعوا في جهة الميدان والقبليات والحفلة ووقع منهم اساءة ادب في حق الوزير وجنده وانتهبوا من نزل منهم بالقرب من محلهم الذي تحصنوا فيه ثم بعد يومين من ذلك نزل من الينكشارية نفر الى جهة باب الجابية وتلك النواحي فظفروا باثنين من الجند فبطشوا بهما فقتل احدهما وجرح الآخر فبلغ الخبر الى الوزير فامر من عنده من الجند ان يذهبوا الى المحل الذي فيه الينكشارية ويقتلوا من يقدرون عليه ويأسروا من قدروا على اسره فخرج الجند متوجهاً الى جهة حارة الميدان وتلك الجهات فلما وصوا الى وجوه المطلوبين وتوجهوا فرت طائفة الينكشارية طالبين البراري والقفار فتبعهم نفر من الجند ساعة من نهار وقتلوا منهم عدداً قليلاً ورجعوا عنهم واستمر اولئك هاربين ثم ان الجند اخذوا في قتل من راوه كائناً من كان وشرعوا في النهب والسلب فانتهبوا غالب المنازل والخوانيت من حدود الحفلة الى باب الجابية واستمر ذلك من الضحوة الكبرى الى وقت العصر والجند يأتون بالروؤوس الى حضرة الوزير فقتل في ذلك اليوم من الرعايا العدد الكثير وانتهب المتاع والنال الغزير الى ان دارك

(١) هم عسكر « القبو قولى »

الله تعالى بالطف بعد ان اخذوا العدد الكثير من الرعايا البرآء وسجنوهم ووضعوا القيود والاعلال في ايديهم وارجلهم واعناقهم ولما بلغ الوزير ان هؤلاء النصارى والاعاجم حصل منهم التعدي في القتل والنهب خرج اليهم ولاهمهم على ذلك وامرهم بالكف عن ذلك وجمع ما قدر على جمعه مما انتهبه ووضع في المساجد وارصده من يجرسه وندب المنتهبين ان يأتوا وينظروا في الامتعة فمن وجد شيئاً من متاعه اخذه ففعلوا ذلك فما حصلوا على عشر معشار ما انتهب من متاعهم واموالهم واطفاً الله تعالى نار الفتنة ثم اخذ النصارى والاعاجم الذين هم من جند هذا الوزير يتحكمون في اهل دمشق بالسلب والاستحلال والشم والقذف والضرب والقتل حتى اشاعوا الفواحش وتجاهروا بالزنا وشرب الخمر وحتى تعدوا الى ان يخرجوا اهل المنزل من منزلهم ويسكنون فيه وكان الانسان في تلك الازمان لا يأمن على نفسه اذا خرج من منزله بعد المغرب ومتى خرج أصيب بنفسه او ماله . وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي اشمرت اليه في الارجوزة المتقدمة من الشكاية مما وقع في دمشق من الرزايا سنة احدى وسبعين بسبب ماوقع من طائفة النول والبنكشارية من الفساد والافساد ثم بسبب ذلك ماوقع بعده من طائفتي النصارى والاعاجم الذين هم من جند الوزير المذكور سلط الله تعالى الزلازل والرجفات فوق الردم في المنازل والجوامع والمنازل ومات تحت الرء خلق كثير وقبل ان تسكن تلك الرجفات والزلازل ارسل الله عز وجل الطاعين فاخلوا البيوت وفرق الجموع وشتت الشمل وكدر العيش

وقال بعد ان مدح عام اثنين وسبعين ومئة والف : « وقد كان اهل دمشق في غابة الوجل ونهاية الفرق والقلق من جهة الحاج من شر الاعراب الاشقياء قياساً على ماوقع منهم من الشر في العام الذي قبل هذا العام وكان الوجل الواقع من اهل دمشق في محله حيث ان العرب بالغوا في التعدي ونجروا واعتادوا سلب الاموال وتكديروا الاحوال ولكن الله يؤيد بصره من يشاء فان امير الحاج الذي هو عبد الله باشا المذكور وقع بينه وبين عرب حرب شر من اجل مال الصرامرود للعرب من جهة السلطان فتوعد به بالشرفحتال عليهم وقتل امراءهم وفر الاذئاب منهم ومضى الامير والحاج سالمين غانمين ولما رجع الامير بالحاج رجع على طريق آخر بعد ان تجمعت العربان بين الحرمين بتصد المعارضة للحاج فغيب الله املهم واطف سبجانه وتعالى بعباده المؤمنين وسلمهم من غوائل الاشقياء المجرمين وبلغنا ذلك كله بعد هلة عام اثنين وسبعين بايام فلاجل ذلك خصصت هذا العام بالمدح

ايضاً فقد كان الناس قبل هلمه يشكون من قلة الغيث فلما استهل انشا الله عز وجل
العباد واحيا البلاد والا فان الدواحي الواقعة فيه وفي ايامه بدمشق وقرائها لم يسمع بمثلها
من فساد الجند وافساد العساكر وظلم رئيسهم وجور حواشيهم وعسفهم .
وعاد المؤلف فكرر احوال ما وقع ستة سبعين ومابعدنا وقد دام ما وقع من اذى
الجند السابق والجند اللاحق الذي جاء مع الوالي الجديد من عشر ليال من شهر رمضان
الى جمادى الاولى و « القول فنجشرون في قلعة دمشق والينكشارية ومن تبهم من
الحشرات حول القلعة والحرب قائمة على سائر وقد اخرج الجند الجديد او بعض
الناس من دورهم وتوطنوها ومع اختطافهم لبعض النساء والغلمان جهاراً من غير مدافع
لذلك ولا ممانع حاكمين على جميع اهل الشام بالكفر وبانهم قوه يزيد مصرحين بذلك »
هذه غموضات من عصر الظلامات والظلمات والكتابات نسخة كتبت بقلم مؤلفه
وشعره متوسط حسن بالنسبة لعصره عصر الانحطاط في كل شيء كتبها في ذي القعدة
سنة الف ومائة وثلاث وسبعين

الالفاظ السريانية في العربية العامية

اللغة السريانية من امهات اللغات السامية وهي من اصول اللغة العربية ولو بحثت في
اصول الالفاظ العربية لرأيت بعضها سريانياً في الاصل كما دخل اليها الفاظ كثيرة من
العبرانية والحبشية والفارسية على نقيض ما حققه المحققون من الباحثين في اصل اللغات .
كان للسريانية شأن عظيم حتى قال بعضهم ان السريانية كانت لسان آدم ابو البشر
وتعدى بعضهم فادعى ان لسان اهل الجنة السريانية وذهبت^(١) عصابة من العلماء الى
ان السريانية اصل لغات الآريين بدليل ماورد في اسفار موسي من تسميات تقرب
كل القرب من الالفاظ السريانية معنى ومبنى وعلى كل ففي بكر لغات النوع الانساني
وهي من اعرقهن في القدم واول من انطلق بها لسانه على مانع ارام بن سام فتناقلها
الآراميون اخلافه ممن اطلق اسمهم حينئذ من الدهر على السوريين والسريان الذين عمروا

(١) الدواثر اوبقايا اللغة السريانية في اللغة العامية العربية لمؤلفها القس يوسف
حيقة السكنتاوي مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٢ والمطبعة اللبنانية سنة ١٩٠٤
وهي جزآن صغيران

بلاد الكلدان واشور وسورية والمراد بالسورين غير الاثوريين النازلين من صلب آشور او اسور بن سام من كانوا يسكنون عبر الفرات ولما دوح ملوك اشور سورية عدّ الاشوريون والسوريون شعباً واحداً ولما اقتسموا الملك عرف من اقام في عبر الفرات بالاشوريين وقد تكلم بهذه اللغة السريانية سكان اورشليم بعد السبي البابلي واكثر نصارى البطريركية الانطاكية والموارنة واما اشهر فروعها فالولها البابلي وهو افصحها واوضحها وابقاها كتبت به بعض اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس وثنائها الاورشليمي الذي تكلم به اليهود بعد جلائهم من بابل فتناسوا العبرانية وتلقفوا الكلدانية فشاهاها ببعض الفاظ من لغتهم وسميت لغتهم العبرانية لان اليهود كتبوها بالعبرانية وهي كلدانية سريانية والثالثة السريانية الانطاكية وبها كتبت كتب الدين عند الموارنة وكانت شائعة في البلاد العربية والحبشة وقسم من بلاد الارمن وما بين النهرين وسورية ولبنان وفينيقية وانطاكية .

والى اليوم لا يزال اثر ضئيل للسريانية اثناء المفردات العربية في كلام اهل شمالي لبنان كما ان اهل بشراي وحصرن وبعض القرى المجاورة لها كانت تتكلم بالسريانية في اواخر القرن السابع عشر ولا يزال الى اليوم اهل معلولا من جبل قنون يتكلمون باللغة السريانية مع اللغة العربية وقرى ثان بجوارها

وهاك الآن اسماء بعض قرى الشام التي هي سريانية الاصل :

(داريا) الدور • (بيتيا) بيت اليتيم • (بيت لها) بيت الالهة • (زمكلا) سلاح الملك • (كفر مشكا) قرية الجلود • (كفر سوسة) قرية القرس • (كفر قوق) قرية الاكواز • (معربا) المغرب • (المعرة) المغارة • (راشيا) الرووس • (البقاع) السهول •

واليك اسماء بعض قرى لبنان واكثر اسمائها سريانية :

(بكفيا) الموجودة بين الحجارة • (بسرين) الخومات • (حبرون) رفيق من انت • (مزمورا) الزينة والاشودة • (عيناب) عين ابي • (رحالا) الرمل العالي • (رشميا) رأس المياه اي اعذبها • (شرتون) صدقتموني • (شوريث) العرق • (بيت مري) دار سادقي • (البتير) المسكن • (بسكتنا) محل العدل • (بعلمشيه) قرية السماء • (برمانا) ابن من انت • (بتغرين) سوق التجار • (بتعلين) مأوى الثعالب • (عينظورا) عين الجبل • (الشوير) سور • (عين عار) عين الغار •

(قرنايل) قرن الابل . (العاقورة) العين الباردة . (بجة) الجنة والبستان .
(جميعته) الصاحبة . (درعون) الفراع . (حدشيت) احد الستة . (عين جوبيا)
عين الحب . (عاليثا) العالية . (عمشيت) مع الستة . (ميروبا) المياه الغزيرة . (راسكيفا) رأس
الحجر . (رشمعين) رأس العين . (شمسطار) شمس الجبل . (ابطوط) القيط . (بتحلين)
بيت الحلوين . (اسيا) الطبيب . (بشودار) مكان الشر . (اهدن) الجنة . (حردين)
انظر اذاً . (حدتون) الجديدة . (مجدليا) البرج . (مارشينا) سيد الامان .
(ياريتا) الوارث . (نيحا) الهادي . (عين تورين) عين الجبال . (صورات)
الصور والتاثيل . (كفرحتنا) حقل الختن . (راشانا) الرئيس . (رام) العالي .
(شاتين) الشون . (شيطين) الفضبان . (تورين) التناير . (زغرتا) الصغيرة .
(الدوق) المنظر . (قزحيا) كنز الحياء . (كفرحي) مكان الحي . (كهرزينا) حقل
السلاح . (بكاسين) انا خفية لانها لا ترى من كل النواحي . (برقي) ابني . (بتدين)
محل القضاء . (كفرتعلا) حقل الثعلب . (مليتا) الملاثة . (ريجات) الاكام .
(بطرام) بيت العالي . (بطرومين) بيت السادة . (كفرحانا) الحقل الجديد .
(كفرتعنا) حقل العتد . (عابا) الحصن .

هذه فمذجات من اسماء الترى وهناك كثير من الالفاظ الشائعة في اللغة الدارجة
في سورية وهي من اصل سرياني وتجد أكثر هذه الالفاظ في لغة اهل جبل لبنان فمن
ذلك قول الام لولدها ردة له وتخويقاً من ان يس شبيئاً يؤذيه (أوواوا)
وهي كلمة وعيد . و (واوا) ويل ويل والمعنى ان مسست ذلك الشيء
المؤذي في ويل ثم الويل لك . وقيلهم (الشكارة) للدلالة على التذير البسير
وهي في الاصل السرياني تدل على البقعة من الارض فيقولون مثلاً : فلان عنده شكارة
كرم وفلان مربى شكارة دود حرير وزرع له شكارة قمح . ويقولون (بحش الارض) حفرها
اموره (فلان يتبحر في اموره) اي يتفحص . ويقولون (بحش الارض) حفرها
ويقولون ايضاً بجوش بمعنى نبش وحفر . ومنه قولهم (الولد يعط) وهي لبط . ومنه
(جهجه الضوء) اي انبلج الصباح . ومنه (كعيت) اي عجزت . ومنه (عمل له ككرة)
ايما ككرة اي صاح به وانتهره زاجراً . ومنه (جرجره) اي جره . ومن ذلك زرع
دليل اي متفرق هنا سائلة وهناك اخرى . (دلف يبتنا) اسبه وكف وقطر .
(دندل) دلى . (دقر الباب) اوصده . (دحينام) محقنهم . (افنينام) طلعت هيلة

الماء (اي بخاره) • (يزغق الولد) يصرخ ويصيح • (زفر ثيابه) وسخها ودنسها (زرب الماء او زرب او ذرف) نفخ وانفخ • (انقطع حيله) قوته وحوله • (حيص الدابة) شدها وربطها • وبنعوت الرجل الداهية الشديد المكر بكلمة (حرح) اي المكر المحتال الذي لا يؤخذ من وجه •

وربما قال بعضهم ان بعض هذه الالفاظ من مفردات العربية الفصحى ولكن لها في بعض التعابير من المعاني ما يجعل على ان يقطع المرء بانها سريانية المبنى والمعنى والوضع والمولد •

ومن ذلك « طرطوع » من يخلط في كلامه خلفه عقله • (طرش ثيابه) ايه لوشها وقذرهما • (اطرشوه ماء) رشوه وانضحوه • ومنه « يطرشون بيوتهم بالكلس او بالحواري » وهي سريانية • (يا ويا يوجد) ويا البحر واليم ما يشيرون اليه بضارع امواج البحر غرارة • « كبس العجل » روضه • « كوتش او كوش الزبالة » جمعها وكومها • ونقول العجوز لجارتها تغزل صوفاً وغيره اذا ماتكدرت منها « خرب الله كوشتك » تريد احل الله ماتكوه من خيوط سباق مغزلك • « تلوش العجين » تعجنه وتعركه • ومن صلواتهم « الميامر واحدها مير Homélie) قطعة حنة يشدون بعضها خلال النحاس بالحن • ومنه دعاة لموتاتهم « الله ينجحهم والله ينجح نفوسهم » اي يريحهم ويمتعهم بالراحة • ومن دوائر لغتهم قولهم « قاي سايف » اي فان وتالف • « الساعور » المفتقد والزائر والعائد • « عتوس الزنبور » الحمة وبرة الزنبور التي يلسع بها فيقولون عتسه الزنبور اي لسه • « العتيد » الآتي والمقبل • « داه الفالج » من شق وشطر والفالج يصيب عادة شطراً من الجسم فيقطع عن الحركة او يأخذ منه الاسترخاء • « المده يفلقك » يلوئك ويمرغك كأن يقال قتلك الله ومن حركك بدائك • « فرط الثمر » ثمره • « فرم اللحم والتغ » هبره وقطعه إرباً إرباً • « فرايط الخبز » فثاته • « فرشخ » وسع ما بين رجليه • ومثله « فشخ »

ومن دوائر لغتهم قولهم « ان هذا الشيء يقاوي كثيراً » بصير على عوادي الدهر • « هو قافط او قامط » معبس • « قرش الحمص » صر اسنانه عليها فظهرت بها متانتها • « التيس » الشيخ والسن • « يرصون الزيتون » يروضونه • « يرشون البيدر » يضعون علامة عليه ومنه « الرشم » للظابع المنقوش الذي يسمون به البيدر • « شيشول »

القرة « ماتدلى منها دعوها كذلك لاسترسالها كاسترسال اغصان الجفنة » . يشفون اشجارهم « يقلونها » . اشخط الاولاد « اطردهم » . شحرك الله « سودك » . تشطح على الحصىرة « تمدد وتسطح » . ريج الشلوق وتسمى الشلوبة « اي اللهبة والضرم » . شلاح متاعه « ارسله ورمى به بعيداً » . شاح « تعرى » . الشلفة « الفأس الصغيرة يقطعون بها الخطب » . شمط له اذنيه « اقتلعهما » . شمط « خطف » . شعف او شقف الرغيف والحجارة « من كسر جزءاً » . الشربوكة « الشرك والأجولة » . انشطر « انخرق وانخرق » . شرم الاذن « قطعها » . شرشت الشجرة اوشلت « تأصلت وضربت عروقها في الارض ومنها الشروش » . شرتش ارضك « اقطع عروقها » . الشماس والاشبين « للعروفين عند النصارى » . شتل بستانه « نصبه » . الطغمة « الزمرة » . ضربه وتوكة « عطبه » . تكتك « هذر وثرثر » . تنف الطعام « قاءه وبجه والتف البصاق غير السائل » . ويصفون الرجل الداهية بكلمة « بهموت » وهو الغول عند السريان كالسعلاة عند العرب . « نج يا ولدي » جف ونفد . « نوص القنديل » من برض العشب اذا بان اولاً فاولاً . ويقولون « فو عليك » اي اف عليه كلمة تكره . « شخط جلده » اي خرق . « كثن الدجاج » وغيره من الطائر زجره . « تسمط له او عليه » اغناظ وغضب . « تروحن » انفرج ونفس كربه « الكبير والقبس » للطر الوسمي والولي . ويقول من يتورط في امر صعب يتشكى قائلاً ماهذه « البلمشة » اي الضر . « بعهه » رفسه برجله وركله في بطنه . « برعط الولد » من تبرعص في الماء اي اختلج فيه . « الفوغا » الصخب والجلبة « جم الكرم » اذا اقتضبها من اسفل جذعها لتبت من جديد . « الجملون » وهو سقف من خشب محدب كسنام الجمل مستطيل وهو تصغير الجمل في اللغة السريانية . « جعر الفدان والجمل » من عجم الثور والجمل . « غف الطائر فريسته » اذا حام حولها او وثب بشدة . « الدجال » وهو الى السريانية اقرب منه الى العربية . ويقولون عمن يموت برداً « دنق » اي تعذب وتألم لما يأخذ من نواغح البرد . « حركش » من حرش بين القوم واغرى . « يطيب ارضه » يجعلها صالحة لالقاء البذار فيها . « الطربون » الفصن الصغير لوامورق . « كدن الفدان » من قرن الثورين اي شدما الى نير واحدة . ويقولون للشيخ المسن « اختيار او ختيار » اي شيخ . « ماسورة الحائك » وهي لفافة من الخيوط ملفها على عقدة قصب مجوفة .
ولو اردنا استقصاء هذه الكلمات الدخيلة في اللغة العربية العامية بل واللغة الفصحى

الدخيلة من الالفاظ السريانية لطال بنا المطال . وما نكتفي بما تقدم مضيفين اليه « سكر الباب » « سرد الغربال » « عكشه الثور » نطحه « عرم التراب » كومه وكدسه « عرم الاناء والكيل بالجوامد » اطفحه « فرطش ، ماخيره » « فركش الولد » « فقع » تمزغ غيظاً « فاش تلي وجه الماء » « فشار » المهادر « صمد دراهم » « صمد العروس » « صنة الابط » ننته . « قبع الحجر » اصله في الركن فاستعمل في القلع « قرمة الشجرة » جذعها « قن الدجاج » « جلد فلان مقشب » اي شارث متشقق « الشوب » الحر « الشموط » الكبة من الصوف « الشقيف » الصخر العظيم « شقل الحجر » رفعه « الشرنقة » البيت الذي تسججه دودة الحرير لنفسها « طيش الاناء » كسره . وكذلك « الناسوت » و « الجبروت » و « الكهنوت » و « الملكوت » و « برا وجوا » « وباخ الثوب »

غرف التجارة

ابقت الامم التي كانت تحوص في اوائل القرن التاسع عشر على الانتصار في ميدان الهجاء ان المصالح الاقتصادية اهم المصالح واكثرها نفعا فاخذت تعمل لتوسيع نطاق تجارتها واعرضت عن تهويع مساحة بلادها . ولا مشاحة في ان تقدم الامم ونجاحها في حالتي السلم والحرب ومضاء حكمها ونفوذها في البلاد الابتدائية لا يكون الا بالمال وما يقوم به من الاعمال التجارية والصناعية .

فتحمت الدول في القرن العشرين حرباً ضروساً لفتح مصادر جديدة لمحاصيلها المتزايدة يوماً فيوماً في جميع انحاء المعمور بفضل الصناعات الكبرى اعني الصناعات التي تكون بالالوف المؤلفة من رؤوس الاموال وتضم الالوف من العمال تحت سقف المعامل الفخمة وهكذا اخذ ارباب الصناعات والمستثمرون يبحثون البحث المدقق عن اسواق البلاد في كل قطر ومصر . وكان النصر في حلبة هذه الحرب حليف الفئة التي اعدت السلاح الاقوى والاسباب المؤثرة فتشأت من ذلك لامتهم مكانة اقتصادية بين الامم لم تكن لتعلم بها قبل عشرين عاماً او ثلاثين .

ان اميركا التي كانت تستحصل دون ان تعنى بتصريف محاصيلها ويبيعها الى عهد غير بعيد احست بلزوم الحيد عن سياسيتها القاضية بسد ابواب التجارة حتي ان احد

القرطين في التشديد باصول حماية الصناعة والتجارة صرح لامته في خطبة القاها قبل وفاته يضمنه ايام انه لابد من توسيع نطاق التجارة وعقد العهود مع بعض الدول توصلا لهذه الغاية وفتح خلاص في ابواب الجمارك المسدودة

وليست امة الاميركان وحدها في حاجة الى المبادلة التجارية بل جميع امم الارض المنتجة مضطرة لمبادلة محاصيلها زراعية كانت او صناعية . وليس الاستحصال غاية وانما هو واسطة والمستحصلون لا يستحصلون لانفسهم بل للانتفاع بما هم احوج اليه من ثمرات اعمال غيرهم عن طريق المبادلة ومكانتها وزواجها متناسبان مع مكانة المصادر ووفرته وتحتيق ذلك من واجبات التجار مباشرة واما الحكومة فلا ينظر منها الا ابلاغ التجار ما يتصل بها من الاخبار بواسطة قناصلها والذب عن حقوق رعاياها في البلاد الاجنبية وان لاتسن قوانين وانظمة تمس حرية التجارة وان تقيم قوتها بمقام قوى الافراد حيث تكون الامة متأخرة في العلم والتجارة وان تكون لهم خير دليل فيما يمكن ان تكون

ولكن التجار في البلاد الراقية لا يعتمدون في ترقية التجارة الوطنية الا على انفسهم ولا يستغني تجار الامم النازلة عن هذا العضد على ان موظفي الحكومة لا يعلمون حق العلم ولا يستطيعون ان يعلموا كنه التجارة وسير اعمالها . فكيف يصح ان يقدودوا التجار وهم احوج الى تياماتهم وآرائهم المؤيدة بالاشبار الصحيح والتجارب المتواصلة .

ونصارى القول فلا يجدر بالحكومة ان تعين وجهة سير التجارة بين بلادها والبلاد الاجنبية وان فعلت لاتصلح خطأ اوجبه تداخلها حتى تقع في مثله ومن المحتم على الحكومة ان تشاور من هم احق بالمشورة في سن الشرائع والانظمة الداخلية وتعيين خطتها في المشاريع العمرانية ووضع الضرائب التي لها علاقة بالتجارة والقيام بكل ماله اساس بالمصالح الاقتصادية والانتفع في حيص يبص فلا تنطبق شرائعها على حاجيات الامة ولا تلائم الاحوال الاقتصادية وتحول دون ارتفاع البلاد من حيث العمران وتنمى الروح التجارية بالتعديل الذي تحدثه في اصول الضرائب . وبعد فان المعهد الذي يهدي الحكومة الى المحجة المثلى في مجرى اعمالها ويقوم بكثير من الواجبات التي ترتفع بها مكانة التجارة الوطنية هي الغرفة التجارية

اخذت الطبقات الاقتصادية «*» في الامم التي نالت حربتها السياسية واحتفظت هي ونوامها بحق التشريع تسعى لترقية الاوضاع التي يؤلفها المنتخبون «بالفتح» من بينهم

«*» التجار والزراع والصناع او ارباب المذاهب المعاش المشروع

ليدافعوا عن منافع الطبقات الاقتصادية وكان لهذه الحركة الاقتصادية ثمرات عظيمة تعود على الافراد والامة بالنفع العميم ولما كان اعضاء هذه الاوضاع «غرف التجارة والزراعة والصناعة» يمثلون الطبقات الاقتصادية عامة أصبحت كلمتهم نافذة عن موكلهم والحكومة تحترم آراءهم واقوالهم وتصيخ الى مطالبهم لانهم امناء الزراع والصناع والتجار وعمدهم ولهم اطلاع على حاجات البلاد مهماتنوعت وتضاربت فيؤلفون بينها ويجمعونها حول مركز واحد

ومن المسلم انه لا يعتمد في الشؤون الحيوية الا على ذوي العلاقات بالنتائج الحيوية ولذلك يستناد من آراء ارباب الصناعات في الصناعة ومن التجار في آرائهم عن التجارة . ولما كان الرجوع في كل مسألة الى عامة التجار والصناع متعذراً اقتضت الحال ان تعتبر هذه الغرف والاندية التي حاز اعضاءها الثقة العامة مرجعاً وآراء هذه الاندية تعتبر كآراء عامة افراد الطبقات الاقتصادية . والحكومة تعلم حق العلم ان موكلي رجال هذه الاوضاع قوة عظيمة اجتماعية في البلاد وان الايدي لا تجسر ان تتلاعب بهذه القوة .

اقيمت الغرف التجارية لمصلحة يجب الدفاع عنها ولا يرجى اقتطاف الثمرات من هذه المصلحة بمجرد اعمال الحكومة وتدابيرها ولذلك لا ينكر احد الداعي الى تأسيس الغرف التجارية ولكن هل هذه الغرف اسست على طراز واحد في كل قطر ومصر ؟

الفرق تنقسم من حيث تأليفها قديان

١ - الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسية تؤسسها الحكومة ويحضر جلساتها من تنيهم الحكومة عنها وحق انتخاب اعضاءها محصور بالتجار المقيدون في سجل الغرف التجارية او من يدفع منهم مبلغاً معيناً من ضريبة الباتنت والحقيقة ان هذا الشكل من الغرف عبارة عن نقابات الزامية ومدخيلها من الضرائب الموضوعة لها .

والغرف التجارية في المانيا وهولاندا والنمسا وايطاليا والبرازيل ورومانيا من هذا القسم .

والغرف الصناعية والتجارية في النمسا توفد نواباً الى مجلس الامة ولذلك فان لها هناك فروضاً سياسية تقوم بها . وغرف التجارة الالمانية رسمية ايضاً ولكل من غرف الحكومات الالمانية التجارية قوانين خاصة بها . ولها واجبات خاصة عدا عن واجباتها العامة تتعلق بالامور العدلية اذ انها تنتخب مرشحين من التجار ينافونهم امر القضاء في محاكم الدعاوي التجارية وتعرض اسماءهم على الامير .

والغرف التجارية في ايطاليا تابعة لقانون ١٨٦٢ وغرف التجارة الرومانية تابعة لقانون ٧ ايار ١٨٨٦ اما الغرف التجارية العثمانية فهي على الجملة من الغرف المؤسسة على القاعدة الفرنسية .

٢- الغرف المؤسسة على القاعدة الانكليزية عبارة عن نقابات تجارية حرة ليست لها صفة رسمية قط . ومداخلها من رواتب الاعضاء وهذه الغرف التي يمكن ان ينظم في سلكها جمهور صنوف التجار اشبه بنقابات الصناعات المتحدة المؤلفة من رؤساء الصناعة بتلك النقابات المنتشرة في الاقطار الاوربية كافة .

تلتزم الغرف التجارية كل عام في انكلترا وتؤلف مؤتمرا عاماً وكذلك في اميركا وللقرارات التي تبرم في مؤتمر اميركا وانكلترا شأن عظيم . والغرف التجارية في البلجيك واميركا والبرتغال واليابان من هذا النوع . تشي الغرف التجارية الانكليزية للغور وتعمد بحجافاتها وتستوفي في مقابلة ذلك خسائب معينة من السفن .

ولهذه النقابات « الغرف التجارية الانكليزية » التي تؤلف قوة عظيمة في مملكة بريطانيا العظمى تأثير كلي في كثير من الاصلاحات القانونية .

وقد كانت غرف التجارة في البلجيك الى تاريخ ١٨٧٥ من نوع الغرف الفرنسية ثم تزعت « بضم النون » عنها الصفة الرسمية وسمح القانون من ذلك العهد بتأسيس غرف حرة . اما روسيا فلها اشكال من الغرف خاصة بها :

اولاً في كل بورص لجانب تنتخبها التجار والصناع على اختلاف خروجهم ولهذا اللجان اجتماعات متوالية . ثانياً ان لكل من صنوف التجار والصناع مجامع ينتخب اعضاؤها « جمهور الصنف الذي ينتسب للجمع اليه » واهم هذه المجامع « مجمع معدني روسيا الجنوبية » وتلتزم هذه المجامع مرتين في الخريف والربيع من كل عام وتمتد اجتماعاتها خمسة عشر يوماً او عشرين وقد تجاوز الاجتماعات هذه المدة . ثالثاً ان في نظارة التجارة الروسية مجلساً صناعياً تجارياً تعين الحكومة التصف من اعضائه وتنتخب الصناع والتجار سائر الاعضاء ويتجدد انتخاب هؤلاء « الاعضاء المنتخبون » مرة كل ثلاثة اعوام .

فتمر اللوائح القانونية التي لها علاقة بالتجارة او الصناعات كافة من لجان دور البورص والمجامع والمجلس الصناعي التجاري في نظارة التجارة الروسية وكل من هذه الاوضاع يؤخذ رأيه في اللوائح المذكورة .

هل الغرف التجارية المؤسسة على الاصول الانكليزية انفع ام المؤسسة منها على الاصول الفرنسية ؟

ليس من جواب قطعي لهذا السؤال لان شكل الغرف اي كونها رسمية او حرة تابع لاختلاف الامة وآدابها وعاداتها ونوع تربيتها .

فحيث تكون فكرة الاشتراك بالاعمال والاندماج والجرأة على القيام بالشاريع غريزة في النفوس يقوم التجار بتأسيس غرف حرة انى يرغبون وبالشروط التي يستحسنونها فنصان بذلك المصالح التجارية وحيثما فتد هذا الشعور الحي والمباذئ لا يسهل انشاء هذه الاوضاع ولا بد للقيام بهذه المشاريع من اشراف القانون عليها

ولم يقتصر الاوربيون على تأسيس غرف تجارية في بلادهم بل اسسوا مثلها في البلدان التي يتجرون معها فان لفرنسا خمسا وعشرين غرفة تجارية في لندن وناپولي ورومية ونيويورك وامستردام وغيرها والانكليز والتمسارنج والبلجيكا واميركا وايطاليا واسبانيا غرف تجارية في باريز وقد نجم عن هذه الغرف فوائد كثيرة لتجار البلاد التي تنسب اليها وذلك لانهم يأخذون عنها الاخبار المفيدة ويدركون حاجيات البلاد التي أسست فيها ويمول سكانها واذواقهم وبذلك تساعد على ايجاد المصادر وتوسيعها . وتكون رئاسة الشرف لهذه الغرف التي تؤسس في البلاد الاجنبية في عهدة التناصل على الاغلب .

والحكومات تخصص مبالغ من وارداتها تدفعها الى غرف التجارة المؤسسة في البلاد الاجنبية لسد العجز في ميزانياتها لما لها من الفوائد والاعتماد وليس لهذه الغرف صفة رسمية عند الحكومة تنسب اليها ولا عند الحكومة التي أسست في بلادها ونظارة التجارة الفرنسية المؤسسة خارج فرنسا وهذه تخبر الحكومة الفرنسية رأساً .

وقبل ان نبين تأليف الغرف التجارية وقوانينها في فرنسا والبلاد العثمانية نأتي هنا على التعريف بوظائف الغرف التجارية في حياة التجارة العامة لكل مملكة .

١ — الغرف التجارية تعنى حق العناية بالتربية الاقتصادية للبنين وتنقل مسألة التعليم التجاري بما يجدر بها من الشأفت قشيد المدارس التجارية وتستميل الشبيبة الى التجارة والسياسة وتحبي في نفوسهم فكرة الاقدام والجرأة وتنظم للمدارس الخطط المفيدة التي تقوي ارادة التلاميذ وتؤسس المكاتب ليألف الشبان والطلاب .

التأليف والمصنفات المحررة باقلام السياح وتدعو اهل العلم لالقاء المحاضرات وتمنح الجوائز للفيحين في الممالك الاجنبية وتعلم في مدارسها لغات البلاد التي تكون ميداناً فسيحاً لحركتها التجارية وكلّی الجملة تنشيء شبيبة يغطي جريئة على الدخول في الحياة التجارية تدخل هذه الحياة واعمالها مكلفة بالنجاح .

ومن مميزات التربية الاقتصادية الدروس الليلية والمناحف التجارية ودور الانباء والاستعلامات وكل هذه متممة لفوائد التدريس والتعلم .

٢ — الغرف التجارية توجه الرأي العام نحو عقد المعاهدات التجارية على المباديء الحرة وتسعى في تنظيم تعرفات الجمارك بحيث تسهل نشوء التجارة وتقدمها

٣ — تتوسط الغرف التجارية في عقد المفاوضات بين الامم صيانة لحق التملك الصناعي خارج البلاد كما في داخلها وتطالب بسن القوانين الضامنة لانتقال الحقوق الاجتماعية والبيوت التجارية من البائع الى المشتري دون اضطراب الى تغيير اسمائها وبذلك يسان كل اسم تجاري ذي شهرة من الاختلاس والضياع .

٤ — الغرف تعاضد الحكومة نقداً ومادة لانشاء المشاريع العمرانية النافعة .

٥ — تصدر الغرف التجارية منشورات ومجلات وتطبع محاضر جلساتها وكثيراً ما تنشر نتائج تجرّباتها الخاصة عن المسائل التجارية .

٦ — اذا كانت دائرة العرفة ضيقة النطاق لا تقتصر في ابحاثها وتبعاتها على هذه الدائرة وتطالب بالاصلاحيات التي تنفع عامة انحاء المملكة وتنتخب كل ما يمكنها من الوسائل التي تؤدي الى التقدم والرفي .

وفي المراكز التجارية الاوربية كافة انذبة تقوم بهذه الوظائف احسن قيام واعضائها من الرجال الذين قضوا اربعين او خمسين سنة من حياتهم في التجارة واشتهروا في خلالها بالعلم والعمل ومكارم الاخلاق . واذا شئت ان تعلم كم لاعمال اولئك الرجال ، رجال العلم والعمل ومباحثاتهم من الفوائد فهذه آراؤهم في المسائل التي لها مساس بحياة بلادهم الاقتصادية والمالية ومطالبهم التي يعرضونها على حكوماتهم واعمالهم وانماهم المفيدة كلها شواهد وحجج دامغة .

اقتبست قوانين غرفتنا التجارية من الغرف الفرنسية ولذلك سنبعث هنا عن ماضي هذه وحاضرنا لنعلم منشأ تلك . اول غرفة تجارية فرنسية اُسست غرفة مرسيليا التجارية التي كان تأسيسها في اواخر القرن السادس عشر وانشي ايضا في اوائل القرن

السابع عشر من الغرف التجارية في تسع مدائن فرنسية محافظة على المصالح التجارية . ولكل واحدة من هذه الغرف شكل خاص ومع ذلك فإن لها اوصافاً عامة مشتركة بينهن فاعضاء الغرف الطبيعيون هم اعضاء محاكم التجارة والاعضاء المنتخبون « بفتح الخاء » يؤخذون من صنوف التجار والقدماء منهم او من اعضاء محكمة التجارة سابقاً . وكانت الغرف مكلفة بابداء آرائها ومطالبها فيما يتعلق بالمصالح التجارية وعرض المذكرات التي يدفعها التجار اليها الى المراجع العليا .

يقول مؤرخو الفرنسيين لم تؤثر هذه الغرف في سياسة البلاد الاقتصادية تأثيراً مهماً ولم يكن لها سلطة تذكر الا ان غرفة التجارة المارسييلية لم تكن كذلك بالنسبة لامتيازها الطبيعي ولان قنصليات الشرق كانت ماضية بهم ' ولما تلى انجار من الحقوق والواجبات المؤبدة بالتقنون وكانت تسمح لاقامة الفرنسيين في مرسيليا وكان لها اسطول لمناهضة اللصوصية في البحر « القرصان » . ومن جملة اعمالها انها كانت تشتري الاسرى وتقدم الهدايا الى المالك وتغنيث السفائن المنكوبة وقد بلغت نفقاتها الاعتيادية مليوناً واحداً عام ١٧٨٩

ولما تلى اكثر اوضاع الدور السابق عقب الثورة الفرنسية تكبرى اُلغيت الغرف التجارية في الجملة وبعد ثمانية اعوام أُسست في اثنتين وعشرين لمدة غرف تجارية مقيدة بقيود نظامية ضيقة النطاق غير ان هذا الشكل لم يثمر قد ولم يمنح وقتئذ حق انتخاب الاعضاء الا لاربعين او خمسين تاجراً كان ينتخبهم الوالي وقضى الامر المؤرخ سنة ١٨٣٢ باحداث لجان منتخبة مؤلفة من اعضاء محكمة التجارة واعضاء مجلس الصلح وجماعة من التجار يبلغ عددهم عدد اعضاء ذلك المجلسين ومنحت ثورة عام ١٨٤٨ حق انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة التجار الذين يؤيدون ضريبة البانث عامة . ولما عادت الادارة السابقة امر الامبراطور بأن يكون تأليف لجنة الانتخاب من قبل الوالي والقاعدة المرعية اليوم في انتخاب الاعضاء وضعت عام ١٨٧٢ . وآخر نظام يتعلق بالغرف التجارية وضع عام ١٨٩٨

والغرف التجارية في نظر القانون الفرنسي هي واسطة الدفاع امام الحكومة عن المصالح التجارية في اصقاعها المعينة . ولا توجد الغرف التجارية في الجهات عامة وانما يطلب ناظر التجارة والصناعة تأسيسها حيث يرجى النفع ثم يؤيد رأي مجلس الناحية التي طلب الناظر تأسيس الغرفة فيها ورأي مجلس الولاية العام والغرف التجارية فيها . وبذلك ذلك

تفتتح بارادة خاصة . وفي القانون صراحة بانه لابد من وجود غرفة تجارية واحدة في كل ولاية على الاقل واذا دعت المصالح التجارية الى تأسيس أكثر من غرفة يجوز وعندئذ يذكر في الادارة الصادرة بتأسيس كل غرفة حدود القطعة التي يتعلق بالغرفة الدفاع عن مصالحها التجارية . وفي بعض الولايات تسع غرف تجارية . وللغرف التجارية اعضاء اصليين او عاملون واطباء مخبرون . وسأعود الى بيان كيفية انتخاب الاعضاء الاصليين لما الاعضاء المرسلون فنتخبهم الغرف رأساً ولم الحق في حضور الجلسات ويستضاء بأرائهم ولا يجوز ان يكونوا أكثر عدداً من الاعضاء الاصليين . والاعضاء المرسلون احسن صلة بين الغرفة والتجار وبوجودهم في هذه العضوية يتهيئون للانتظام في المستقبل في العضوية الاصلية التي لاشك انها أكثر مكانة من الاولى ولا يغرب عن القارئ الكريم ما ينجم عن هذه الاصول من الفوائد . وعدد الاعضاء العاملين يختلف بين ٩ و ٢١ ويجوز ابلاغ عددهم الى (٣٦) في غرفة التجارة الباريزية فقط ويجب التصريح بعدد اعضاء كل غرفة في الادارة التأسيسية وبأسمائها واذا قضت الاحوال يجوز تعديل هذا العدد بالارادات التي تصدر بعد التأسيس .

واليك الآن اصول انتخاب الاعضاء الاصليين . ينتخب كل من محكمة التجارة وغرفة التجارة ومجلس الصلح ومجلس البلدية والمجلس العام بعض اعضاء مجلسه فتنألف من هؤلاء المنتخبين «بنسخ الخاء» رؤساء المجالس المذكورة «محكمة التجارة والغرفة التجارية ومجلس الصلح والمجلس العام» لجنة تعنى بتنظيم دفتر باسماء المنتخبين «بكسر الخاء» ولا يجوز ان يكون عددهم اقل من خمسين ولا أكثر من الف «الا في باريز فيجوز ان يكون عدد المنتخبين ثلاثة آلاف وان يكون معادلاً لعدد عشر التجار المكلفين بتأدية ضريبة البائتات وبعد اتمام هذا الدفتر يدفعون به الى الوالي ليعلمه

ثم تلتم لجنة الانتخاب تحت رئاسة مدير الناحية وتشرع بالانتخاب وشروط الانتخاب للعضوية ان يكون المرشح مكلفاً بتأدية ضريبة البائتات منذ خمس سنين ومقيماً خلال هذه المدة داخل حدود الاقليم الذي تنسب الغرفة اليه وبانما الثلاثين من عمره وان يكون ايضاً اما تاجراً او دلالاً في البورصة او من مديري شركات الانونيم او رباناً لاحدى السفن ذات الاسفار البعيدة ولم يصرح القانون بشروط اللجنة غير انه معتبر ضمناً لما لأعمال الفرق ومقاصدها من الشأن الوطني

وتجري الانتخابات بالرأي الخفي والاكثرية المطلقة عن المرشحين المسطرة اسماؤهم على

قائمة خاصة وإذا تساوت الآراء ينظر إلى الأكثرية الإضافية وإذا تكرر التساوي يرجح الأكبر
 سناً ثم يكتبون محضراً بصورة الانتخاب ويدفعونه إلى الوالي وهذا يرسله إلى ناظر التجارة .
 وللناظر حق مطلق في رفض عضوية أي شخص كان من المنتخبين (بفتح الخاء)
 ولو لم يكن ثمة اسباب قانونية . وبعد اجازة انتخاب الاعضاء وتصديقه من قبل الناظر
 يؤسس الوالي الغرفة بالفعل . ومدة العضوية ست سنوات ويتجدد انتخاب ثلث
 الاعضاء مرة في كل عامين بطريقة الاقتراع ويجوز اعادة انتخاب أي عضو كان بعد
 انقضاء مدته مهما تكرر انتخابه للعضوية والعضو الذي يتغيب عن الغرفة ستة اشهر بلا
 معذرة يطلب الناظر رأي الغرفة في شأنه ثم بعد اخذ رأي الغرفة يعلن انه اعتبر مستقبلاً
 من عضوية الغرفة وينتخب (بفتح الخاء) سواه في اول انتخاب (من الانتخابات
 الجزئية) التي تتخلل الست سنوات .

ظهر للقاري انكره ان الانتخاب لا يشمل التجار كافة ولقد تكرر الطلب من مجلسي
 الامة والاعيان لتوسيع هذا الحق ولم يسعف المجلسان هذا الطلب . وبعد ان تألف
 الغرفة من الاعضاء يجتمع اعضاؤها وينتخبون لهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً ورئيسين
 ثانويين وكتاباً واميناً للصندوق لغرفة التجارة الباريزية وحدها الحق في انتخاب عدة
 رؤساء ثانويين وكاتبين ويتجدد انتخاب الرؤساء والكتاب وامين الصندوق مرة
 في كل عامين ولا بأس بتجديد انتخابهم لهذه الوظائف نفسها وللولاة والمتصرفين الحق
 في حضور الجلسات وآراءهم استشارية وكانوا قبلاً من الاعضاء الطبيعية يرأسون
 الجلسات التي يحضرونها . وإذا فقدت الغرفة ربع اعضائها بأي سبب من الاسباب
 يجب انتخاب غيرهم في مدة شهرين وتدعى هذه الانتخابات الانتخابات المتمة . الا اذا
 كانت السنة التي حدث فيها هذا النقص في مجموع الاعضاء سنة الانتخابات الجزئية
 فيجب حينئذ التريص ربما تجري هذه الانتخابات . ولا يجوز هذا التأخر الى حلول وقت
 الانتخابات الجزئية اذا فقدت الغرفة نصف اعضائها فاكثر . ومن حاز الاصوات الكافية
 في الانتخابات المتمة تنتهي مدته بانقضاء مدة العضو الذي انتخب عنه .

ولا تجري المناقضة عن امر ما في الغرفة الا اذا حضر اكثر من نصف الاعضاء
 ولا يبرم امر الا بأكثرية الاصوات المطلقة وإذا تساوت الاصوات فالارحية في
 جانب الرئيس .

ولا يتقاضى الرئيس والاعضاء رواتب عن وظائفهم هذه ولرئيس محكمة التجارة

حق التقدم على رئيس غرفة التجارة في التشريعات كما ان لاعضاء هذه المحكمة نفس الحق على اعضاء الغرفة التجارية .

وللغرف التجارية استقلال تام في الامور الداخلية وهي تسن نظامها الداخلي وتعده كما شاءت ولها حق المخاطرة رأساً مع ناظر التجارة وغيره من النظار . والقانون صريح في ان للغرف ان تنشر محاضر جلساتها واكثر الغرف تستفيد من هذا الحق . وليس لاعضاء غرف التجارة صفة الموظفين ولا تعتبر اعمالهم من اعمال القوة الاجرائية بثنائاً .
واليك الواجبات الرئيسة التي يجب ان تقوم بها غرف التجارة باعتبارها شخصاً ادبياً
ذا استقلال له كما عليه حقوق وواجبات ،

١ — الاجابة عن الاسئلة التي ترد الى الغرف فيما يتعلق بالامور الصناعية والتجارية .

٢ — ان تبدي الغرف آراءها في اسباب ترقية الصناعات والتجارة
٣ — القيام بالاعمال التي يتحتم على الغرفة القيام بها

فالبند الاول والبند الثاني من واجبات الغرف الاستشارية والثالث من حقوقها الادارية . والغرف التجارية تؤسس مخازن عامة ومستودعات تجارية ودوراً للبورصة ومدارس تجارية وكذلك تشتري امتيازات بعض المشاريع النافعة . ولا بأس بمنح الغرف هذه الامتيازات اذا رغبت هي فيها بشرط ان لا تثبط مساعي الافراد او تضعف فيهم قوة الاقدام للقيام بهذه الاعمال والمشاريع . والامور التي يرجع فيها لرأي الغرف هي كل ما له اساس بالنظامات والعادات التجارية وانشاء غرف تجارية جديدة ودور للبورصة ومحاكم تجارية ومراكز اسماصة البورصة والاندلايز وبيان اسعار الاموال وتصديقها عند الحاجة وماله علاقة بحريفة الدلالة وانظمتها وتعاريف الجمارك واصول الرسوم الجمركية وتعارف النظميات وقوانينها والضرائب التي تؤخذ لتنفق في محلها للمشاريع النافعة والعمرانية وتأسيس مصارف « بنوك » جديدة او فروع للمصرف الفرنسي ومخازن عامة واحداث اماكن للبيع بالزيادة .

والغرف التجارية مكلفة بدفع ضريبة البانت عن الاشغال التجارية التي تتعاطاها برخصة خاصة او امتياز بشرط ان يكون لها منهار يعصاف واما اذا توازنت النفقات والمداخل فلا تدفع شيئاً . ومن حقوق الغرف المهمة حق المخاطرة ببعضها مع بعض والاتحاد لصيانة

المصالح العامة المشتركة وتتكبد بعض النفقات المشتركة أيضاً . فالخبرة سهلت المفاوضة بين الغرف وبالاشتراك سهل القيام بالشاريع التي لها علاقة باكثر من ولاية .
تنقسم مداخيل الغرف الى ثلاثة اقسام : (١) ضريبة البانت التي تستوفي من التجار بحسب طبقاتهم ومكلفتهم والهباء والوصايا (٢) المداخيل الغير الاعتيادية وهي الضريبة التي تضاف الى ضريبة البانت والتخصيصات التي تأخذها من الحكومة ومايرد على الغرف من مبيع العقارات والقروض (٣) المداخيل الصافية التي تأخذها الغرف المذكورة من الاعمال والشاريع النافعة والتجارية التي تقوم بها .
وتنقسم نفقات الغرف ايضاً الى ثلاثة اقسام « ١ » النفقات العادية « ٢ » النفقات الغير العادية « ٣ » النفقات الخاصة .

النفقات الاولى ماتنفقة الغرف لادارتها السنوية ، الثانية ماتنفقة الغرف لشراء ارامسي وعقارات او بنائها او المحضات الغير العادية . والثالثة وهي النفقات الخاصة ماتنفقة الغرف على الاوضاع التي لها او تعهدت هي بادارتها . والتانون الفرنسي الاخير سمح للغرف التجارية بتأليف ذخيرة احتياطي وهي مكلفة بتنظيم موازنة منتظمة تجيزها نظارة التجارة ولها ان تعقد قروضاً باسمها ولكن لا بد من اقتربها برأية رئيس الحكومة .
هذه خلاصة كيفية تأسيس غرف التجارة الفرنسية ويظهر مما سبق انها ليست حرة تماماً وبينها وبين الحكومة صلات وارتباط .
الباقى للاحق

بين النهرين : تعريب ز . خ

نهضة مدونية

لم يبق مجال للشك بان بلاد الشام ناهضة نحو الترقى بقدم ثابتة وعزم اكيد فقد بدأت تابشير النهضة من بيروت بعيد حوادث سنة الستين التي انتهت بمجى الاستقلال الاداري لجبل لبنان وضعف امرها في اواخر مدة السلطان المخلوع عدو المعارف المدود ثم سمرت نفحة من تلك الروح الطيبة بعد اعلافت الحرية اذ ايقن بعض الاهالي ان العهد عهد كفاءات لاعهد شفاعات والدور دور نشاط واقلام لادور جهود واجام وان من لا يعد للدهر عدته يهلكه الدهر ولا من يرحمه .

ولقد نال من نعمة الدستور في السلطنة كل بلد بقدر استعداد اهله وكان من توفرت لهم ذرائع التعلم اكثر ركوزاً الى ورود متاهل العلم وليس في سورية مدينة

استقام لها امر التعلم كغير بيروت الذي حمل اليه الافرنج ولا يزالون يحملون علمه .
واموالهم ليربوا بها ناشئة الشرق ويخرجونهم على المنازع الغربية مازجبن الى تلقين المدنية
تلقين النصرانية وقد وفقوا الى ما قصدوا اليه منذ نحو نصف قرن

ولكن اهل البلاد انتبهوا الى ما يلحقهم من الفضاضة اذا ظلوا عيالاً على ما اسسه لهم
الافرنج من المدارس فبدأوا بتأسيس مدارس طائفية اهلية سبق اليها المسيحيون اولاً في
بيروت وبعض مدن سورية ثم هذا حذوهم المسلون في بيروت فدمشق فغيرهما ولكن
البيروتين على قلة عددهم وغناهم بالنسبة للدمشقيين فافوا جيرانهم هؤلاء لان اعتمادهم
كان على انفسهم واعتبروا حق الاعتبار بما حملة اليهم المرسلون من الاميركان
والالمان والروس والفرنسيس وقدروا المبادي واخوانهم فرأوا انه لا يتقدم من سوء
المصير الا العمل لتثقيف عقول ابنائهم على الطرق الوطنية الحديثة

اما الدمشقيون فقد استمروا وظائف الحكومة فكانوا ولم يزالوا اذا تعلوا شيئاً لا يقدر
له من الفوائد الا بقدر ما يقر بهم زلفى من الحكام ويوليهم التصدر في دست الرئاسة
ولذا يرجح ان يكون مستقبل البيروتين اكثر ثماراً جنية من مستقبل جيرانهم اللهم الا اذا
اعتمد الدمشقيون على انفسهم وحسبوا التوظيف ثانوياً وقللوا من توقيده في نفوسهم .

هذا مثال ضربناه امامائر مدن سورية كالقدس وحيفا ويافا وصيدا وعكا وطرابلس
واللاذقية وحمص وحماة وحلب واسكندرونه وزحلة وغيرها فقد هبت للشعلم بقدر ما
تساعدوا اسبابها ومن كان اقرب الى الاختلاط بالغربيين كانت نهضته أقوى وارقى كما
هو المشاهد من حال حمص اذا قيست بغيرها بالنظر لموقعها وحالتها وكثرة المهاجرين منها
الى مصر واميركا فاننا نراها اخذة نحو الرقي وهي لا تتجاوز الخمسين الف نسمة اكثر من
حلب التي تربو على مائتين وثمانين مركز قضاء من اعماله عشرات من القرى والمزارع .
وبين قاعدة ولاية عظمى من بعض عمالاتها انطاكية والرها ومرعش بل الوف من
القرى والمزارع المامرة النية وتجارة واسعة تمتد الى بغداد والى ولايات الاناضول
كافة بل كانت فيما مضى دار ملك بني حمدان .

ولكن الحلبيين ابتلوا بما ابتليت به من قبل بعض الحواضر والعواصم كالاستانة التي
يعول اهلها على الحكومة في ترقيةهم وكاد بعضهم يتناسون لسانهم ليتعلموا اللسان الرسمي
فيتسنى لهم به ان توسد اليهم الوظائف التي تثلث بمجلاؤها شفاء كل وكلة تكلة يجب
ان يعيش كالحلمات الطفيلية بامتصاص دم غيره .

امام الامة اليوم طرق ثلاث تسلكها او احدها للخلاص من رقة الجبل ومصاغة انامل

الحضارة على ما يجب وبقدر ما يجب وهي اما ان تضع جميع امانيها بالحكومة وتنتظر الفرج
بأبتها على يد نظارة معارفها وهو بعيد الحصول قليل الثمرة مهما يرقشه المبرقشون وزينه
السائرون والحاكمون .

فنظارة المعارف العثمانية قد سنت نظام التعليم الابتدائي والثانوي والعالي بحيث
يلائم الاستانة وبعض ولايات الاناضول التي يتكلم اهلها بالتركية ولم تسنه بحيث ينطبق
مع حاجة ابن قوصوه وينايا ومناستر واشقودرة انطباقه مع حاجة ابن وان وارضر ومو بتليس
ومعمورة العزيز اوسورية وبيروت وطرابلس الغرب واليمن . فالذين سنوا قانون المعارف
كانوا متأثرين بعوامل من حب قوميتهم ولسانهم فلم ينظروا الى الاثر النافع الواجب
اعطاؤه لاهل كل اقليم بحسب محيطهم ومزاجهم بل سنوه واكثروا ليعرف من
حال الولايات الا النزر اليسير الذي لا يخول صاحبه حق التشريع لامة مختلفة الاليجات
والحاجات .

وبعد فانا لانعرف كيف نعال اجبار ابن جبل عجلون على دراسة التركية قبل ان ينال
حظاً من لغته . فاذا حملناه على تلقف لغة اجنبية قبل ان يحكم اصول لغته هل يكون
فائدة منه لامته ووطنه ياترى ؟ وهل بدراسة مختلة الاسلوب يتيسر لنا ان « نترك »
هذا العجلوني مادام لاغنية له عن بلاده وقد لا يخرج منها الا لقضاء الخدمة في الجندية
ثم يعود لحرثه وسكنته وثوره وجمله وحماره

ليس الاولى له ان يتعلم من لغته القدر اللازم له من كتابة وقراءة وبعض العلوم
العملية الضرورية ؟ وكيف يتيسر لغريب عن لغة لابعانيتها ولا يسمع لهجتها ولا يقرأ
آدابها ان يستطيع بها التعبير عن مقاصده في مثل هذه المدة القصيرة من دراستها . اما
هو انفع للدولة والامة اذا تعلم هذا الفلاح باللغة التي هي اقرب اليه وانصرف الى ارضه
وزرعه اكثر من تعليمه لغة صعبة عليه لا تنفعه الا اذا طمح للاستخدام في الوظائف
الادارية والعسكرية ومن يبقى عند ذلك ياترى للتوفر على اخراج ثروة البلاد والاتفاق
على هذا الجيش الكثير العدد والعدد وسائر ما يشترك العثمانيون في تسديده في ميزانيتهم
من النفقات

ان معنى الوقوف بالعجلونيين عند حد تلقين مبادئ التركية هو ان الحكومة تريد ان
تجعل من جمهور الامة حكماً وامراء وضباطاً حتى تكون مادة حياة البلاد آخذة

بالدثور وبتعج الناس كلهم كسلمي الاستانة لا يحملون بغير الوظائف ولا يرون السعادة الا من طريقها

هذا ما كان من اصلاح نظارة المعارف في البلاد العربية/اما مدارس الاجانب فلا تخلوا ايضاً من مضار لان معظمها يأتينا باسم النصرانية ليلقنها الموافق والمخالف وينشر آداب لغته وحب بلاده فترى التلميذ يتخرج في تلك المدارس وهي ارقى من المدارس العالية في الاستانة ايضاً ملأ بلفته ولكنه محكماً اللغة التي تلقى بها مبادئ العلوم وجاهلا كل الجمل بما ينفع بلاده وقد لا يعرف من تاريخها وعمرانها واجتماعها أكثر مما يعرف عامة الطليان والاسبان عنا فلا يلبث وقد زينوا له حال الغرب ان ينقلب اليها مهاجراً فكأن هذه المدارس برزخ تنقل المدارسين فيها من وطنهم لتعدهم لخدمة اوطان اخرى وبفضل تلك المدارس هاجر من سورية زهاء ثلثمائة الف نسمة وبعضهم من المتعلمين يطلبون الرزق في جمهوريات الشمال والجنوب من اميركا ومستعمرات افريقية غربت بندها بهم بلادهم وهم لم يستفيدوا بقدر ما فادوا به

ومن ثم لم يبق لنا سوى الامر الثالث الذي يجب علينا الاعتماد عليه الآن لنهوضنا ونعني به اندارس الاهلية والسعي في تحسين حالتها المادية والادبية فهذا النوع من المدارس هو هو معتقد آمالنا ومنه تنبعث شعلة نور الحق وتنايد لغة الوطنية وتحيا اللغة العربية فلما أنشئت مثلاً في كل بلدة وقرية مدرسة اهلية كالمدرسة العثمانية والمدرسة النجفية في دمشق والمدرسة العثمانية ودار العلوم في بيروت مثلاً ووسد التدريس فيها الى خيرة رجال العلم والادب يتنفقون العقول على منازع الفضيلة وحب الوطن والسعي الى الكمال العقلي لنشأ لنا منها بعد زمن وان كانت بدرجتها ادنى من المدارس الثانوية وارقى من الابتدائية ناشئة تستطيع ان تعمل كل عمل وتستعد الى التبريز فيه لانها تكون عارفة بتاريخ بلادها وعظيمة امتها ومنزلة لغتها من لغات الشرق والغرب تنفع بما تعلمته العامة قبل الخاصة

شاهدنا غير واحد من اهل هذه البلاد ممن درسوا في مدارس الاجانب العالية فاحكموا لغة اوربية او درسوا في مدارس الحكومة العالية فاحكموا اللغة التركية فما رأيناهم الا قصرين غير نافعين لانهم ضعفاء في التعبير عن مقاصدهم بلقتهم وشاهدنا من عنانوا لغتهم وشدوا شيئاً من آدابها فافتقدوا على الكتابة والخطابة فيها مع ما احكموه من اللغات الاجنبية والعلوم الحديثة واصبح العلم الذي درسوه ملكاً لهم لاما لكان لهم

يصورونه متى شأوا في المظهر اللائق به فينتقلون من اسباب المدنية ما يطبقونه على مصلحة بلادهم لانهم يعرفون داءها ودواءها ويشعرون بالواجب عليهم لها رأينا اكثر من احكموا اللغات الاعجمية الانتجية احكاما ابنائها لها اذا قضى عليهم ان يقوا في ارضهم بعد سن الدراسة صمما بكما في المجالس عميا عن مصالح الامة والبلاد لا يحسنون المدخل والمخرج دأبهم التأفف من اهل بلدهم لانهم لا يفتحونهم وما ذلك الا لان تلك اللغة التي احكموها وزهدوا في لغة آبائهم قد نقلتهم الى عداد اهل تلك اللغة فكثروا سواد العارفين بها ولو تعلموا العلوم بلغتهم لنقلوها اليها فزادوها قوة بدلا من ان تزيد بضعفهم ضعفا .

واحسن واسطة لارضاء العناصر العثمانية التي لا تقل عن اثني عشر عنصرا تتكلم باثني عشرة لغة مختلفة ان تترك حرية التعلم اكل : تنصر يتعلم لغته وبعض ما يدوله غناؤه من اللغات الاخرى والعلوم وبذلك يسهل اشراق اقلوب محبة الوطنية وتحضير العامة على اسرع صورة مقبولة وربطهم برباط الوحدة العثمانية ومن احب الاستخدام بدخل المدارس الثانوية فيحكم التركية ومن احب الاتجار والتعاضد للعلم يحكم لغة راتية من لغات اوربا مشفوعة بالعلم الذي يلزمه الاختصاص فيه والا فان الفلاحي والبغايري والرومي والارناؤدي والارمني واللازي والجرکسي والترکي والكردي والبشناقي والاسرائيلي والعربي صعب جدا تحضيره في قرون كما صعب على النمسا ان تربط الجرمناني بالجرمي بالشكسي بالبوهيمي بالبوشناقي بالكرواسي بالبولوفي الا بعد ان اطلقت لاهلها الحرية ان يتعلموا بلغتهم وبدون ذلك لاتنهض البلاد

سير العلم والاجتماع

المدارس الصناعية في المانيا

كتب احد رجال الفرنسيس كتابا سماه « المانيا الالهامة » جاء في بعض فصوله ما تعريبه : ان السائح الذي يجتاز المانيا يدهش في العادة من انه لا يرى بيتا قائما وحده في الاراضي الزراعية بل ان جميع المساكن في الحقول منضمة بعضها الى بعض بحيث يتألف منها احيانا مدن وهذا مما يدل على فكر الاشتراك المتأصل في العنصر الجرمناني الذي يستغرب حال شخص يريد الاعتماد عن اخيه وهناك شيء آخر وهو ان معظم حكومات المانيا

تخطر انشاء المساكن بعيدة عن مراكز القرى حتى لا يحرم الاولاد من الاختلاف الى المدرسة في الايام الممطرة العاصفة وهناك يسأل الوالدان عن ولد تأخر عن المدرسة فاذا تخلف احدهم يجب على اقربائه ان يبينوا معذرتهم والا فيجوزون اشد الجزاء . وعلى رؤساء المعامل الذين يستخدمون في الخلاء عملة او موظفين ان يضموا الاولادهم حملهم كل يوم الى مدرسة القرية القريبة واذا كثرت العمالة في بقعة بعيدة وزاد سوادهم تؤسس في الحال مدرسة عامة وتكون في العادة باعانة من صاحب العمل . وكان من اثر هذه العناية ان قل عدد الاميين في الدنيا بحيث لا تجد واحدا في الالف على انهم لم يكتفوا بتعليم مبادي فقط بل انك لاندخل قرية ولا معملا ولا بيتا الا وتجد الجرائد والكتب في الايدي تتلى ويستفاد منها وذلك بين جميع طبقات الالمان

للتعليم الابتدائي والاوسط في المانيا ميزتان لانظير لها في سائر الممالك وهي انه لا يبعد المتعلم عن العيشة البتية بين ذويه وهو سلمي للتعليم الصناعي الذي يختلف درجته وتراه نظريا وعمليا في آن واحد

وماذا اقول في دروس الاشياء والجاميع النفيسة التي تراها في المدارس الالمانية والتعليم بالنظر وبالذهن والعمل والزهات المفيدة وغير ذلك من انواع التربية . وما من الماني الا ويتعلم شيئا من التعليم الصناعي في هذه البلاد التي يكاد الناس كلهم يعملون قد وقع في النفوس انه لا يجوز لاحد ان يتعاطى صناعة من الصنائع المقررة قبل ان يتعلم بالنظر والعمل وهذا ما ادى الى انشاء كثير من المعاهد الملوكية والامبراطورية والبلدية والخصوصية تقصدها الامة فتستفي من مواردها قوتها المتشعبة والعقلية

واعظم هذه المعاهد واقدمها واشهرها هي كلياتها وعددها اثنتان وعشرون كلية وكانت كل امانة من الامارات الالمانية فيما مضى تحاول ان تكون لها كلية فاقدمها كلية هابديلبرغ انشئت سنة ١٣٨٦ واحديثها كلية بون أسست سنة ١٨١٨ . وقدم الكلية عنوان شرف لها وقد بقيت كلية هابديلبرغ اكثر الكليات محافظة على منزلتها السامية اما كلية برلين التي انشئت سنة ١٨٠٩ فطالباها اكثر . ومن اشهر كليات المانيا كلية ليسك انشئت سنة ١٤٠٩ وهي تفاخر بانه كان من جملة اساتذتها الفيلسوف لايبنتز ومن جملة طلابها كيني وريشارد فانيير

ولئن كانت الكليات الالمانية مستقلة حرة على صورة لم تحصل عليها كليات فرنسا فهي منظمة بنظام واحد فالكليات مهما كانت وجهتها في تعليمها نظرية او عملية

لالتنافس في اعداد مهندسين وصناع والمباحث التي يستفيد منها امثالهم لا يظفرون بها الا في الجامعات الكيماوية والطبيعية والعلوم الطبيعية في المدارس الصناعية هي التي يتخرج فيها ارباب الهندسة والصناعات وهذه المدارس تابعة لكل امانة هي في بلادها تدرشونها وتعطي الدارسين فيها شهادتهم بعد دراسة اربع سنين وعددها اثنا عشرة مدرسة وهي في مدن آكس لاشبل برلين برنويك كارلسروه درامستاد درسد هانوفر مونخ ستوتكار دانزيك برسلوفربرغ وفي هذه المدارس زهاء اثني عشر الف طالب فيخرج منهم كل سنة ثلاثة آلاف مهندس عدا من يتخرجون من المدارس الثانوية الصناعية

وقد كانت الكليات هي التي تمنح لقب دكتور اشرف الالقب واعلاها في المانيا وبعدها دال طويل في مجلس النواب تقرر ان من حق تلك المدارس الصناعية ان تمنح هذا اللقب وبذلك خرجت المانيا عن تقاليد القديمة بعض الشيء ولا تسلك كيف ينظر اولئك الفلاسفة واللاهوتيون والغويون اخلاف الفلاسفة هيكل وكانت وليسغ لمن نالوا شهادتهم على طريقة اميركا الشمالية لانهم اتقنوا صناعة بن الصناعات والامان احرص الام على لقب دكتور حتى انك اذا لم تطلق هذا اللقب الشريف على من ناله عد ذلك منك سخرية وفي ذلك دليل كبير لبل هذا الشعب للعلم واللقب بالقاب وقد كان للامبراطور غليوم الثاني يد طويل في اعطاء المدارس الصناعية حق اعطاء هذا اللقب الشريف حتى قال في خطاب له القاه على تلامذة المدرسة الصناعية قرب برلين : انني اغتبط لاني استطعت ان امنح للمدارس الصناعية العالية لقب دكتور انتم تعلمون انني تحملت مقاومات شديدة في هذا السبيل اما اليوم فقد اصبحت وقد اردت ان اجعل للمدارس الصناعية المقام الاول لما لها من المنزلة السامية لان حيث العلم العملي بل من حيث الوجهة الاجتماعية . ونظام هذه المدارس واحد وتعليمها واحد اللهم الا ان بعضها تبذل العناية في فروع تمس حاجة اقطارها لها مثل مدرسة آكس لاشبل التي تعني بتعدين المناجم كل العناية ومدرسة دانزيك التي تعني ببناء السفن . وكان من ظفر هذه المدارس باعطاء لقب دكتور اكبر دليل على غلبة الحديد على القديم

ومدة الدراسة في المدارس الصناعية اربع سنين يدخلها من يده من الوطنيين او الاجانب شهادة من مدرسة ثانوية وفيها يتجلى ميل الالمان للاخصاء فبعلمون ما يعمل غيرهم من الام فرداً واحداً خمسة افراد قائلين ان الذهن لا يتسع لكثر المواد عليه في مدرسة هانوفر

مثلاً اناس يتعلمون فن البناء وآخرون الهندسة وغيرهم علم الحيل (الميكانيك) وغيرهم الكيمياء الصرفة وآخرون الكيمياء الكهربائية وغيرهم اجماليات وفيهم ٩٠٨ تلامذة و ١٩٤ تليذة و ١٥٥ مستمعاً وبين الجميع ٥٩ اجنبياً من ام مختلفة والدروس عملية اكثر منها نظرية وهذه المدرسة خارجية يتناول التلامذة طعامهم قبل الدخول اليها وينقطعون عن العمل من بعد ظهر السبت الى صباح الاثنين كل اسبوع والالمان لا يحرصون على تعليم الهندسة لا ذكى اذ كياهم بل يريدون ان يجعلوها قرية النمل من كل احد وهم يستعملون كل الطرق التي يرونها نافعة لثلاثا يتبعوا الفكر على غير طائل باغراقه مدة ساعات في قراءة صورة ولذلك ترى الاساتذة يأخذون تلامذتهم الى معامل خاصة كثيراً ما تكون بعيدة عن المدرسة ليطلعوهم بالعمل على ما ينبغي لهم الاطلاع عليه من الآلات والادوات وكل معامل المدرسة وغرفها وحجراتها وصفوفها مئانة بالكهربائية او الغاز على صورة لانصر بصحة عيون الطلبة حتى انه ليقبل جداً عدد الحسرين الالمان لشدة العناية بصحة العيون . ومثل ذلك يقال عن مدرسة داتريك وهي خاصة باعمال الهندسة للعارات البحرية واعمال الري والمرافىء ومحاري الماء . وهي كسائر مدارس الصنائع الكبرى اشبه بقصور الملوك منها بالمدارس لما حوت من المرافق والردهات والمائشي والساحات والادوات وهذه المدرسة قد كلف بناؤها فقط سبعة ملايين فرنك ويكفي ان يتصور القاري عظمها اذا قلنا له ان فيها ٩٤ الف متر من الاسلاك الكهربائية و ٢٠٤٥٠ متراً من اللوالب و ٢٩٠٥ مصابيح بيضاء متأججة و ٣٧٢ مصباحاً ذا قوس قوتها ٢٨٥٨٥٠ شمعة وقصارى القول انك لا تمر بقرية ولا قصبة ولا مدينة ولا عاصمة في المانيا الا وتجدها مدارس صناعية كبرى وصغرى على نفقة الحكومة او البلديات تعلم الصناعات المختلفة بحيث فاض عددهم عن حاجة البلاد وذلك لان الشعب الالمانى موثق بان الواجب ان يسلم كل ولد في الوطن الالمانى بالاسلحة الضرورية في الجهاد الاقتصادي

مخطوطات نادرة

في المدرسة الاحمدية في حلب خزانة كتب عربية مخطوطة نجت من عوادي الدهر فكانت احفل مكانب الشهاب . والى القاري المخطوطات التي لها علاقة بموضوع هذه المجلة ننقلها من فهرست نسخه سليم افندي البخاري من علماء دمشق منذ بضع عشرين سنة « كتب الادب والدواوين » : شرح نهج البلاغة لسخنات . شرح ديوان المتنبي

لاين جني . ايضاً للواحدى . تمثيل المحاضرة للثعالى . انتخاب حياة الحيوان . مسليات الحزين . شرح درة النواص . الجزء الاول من المسعودى على المقامات . الجزء الاول من مناهج الفكر ^(١) . جواهر القدين في فضل الشرفين . مجموع ابن شمس الخلافة . طبقات الملوك للثعالى .

« كتب التاريخ » : الاول من مرآة الزمان . تاريخ ابن الخطيب المسمى بدر المنتخب مجلدان والثاني مخروم الآخر . من الوافى بالوفيات للصفدي جلد ٤ . مختصر تاريخ الذهبى المسمى بالعباب . من مختصر تاريخ الذهبى جلد ٦ . من تاريخ الذهبى جلد ٥ . الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ . مجموعة في طبقات العلماء . منتخبات تواريخ آل عثمان . تحفة الكبار فى اسفار التجار لكتاب جاي . من عيون التواريخ جلد ٧ « كتب متنوعة » : تذكرة السويدي نقوم الابدان . مفردات صوري . رسالة في الطاعون للبليسي واخرى للبيونى . تشرىح الافلاك لهما الدين العالمى . صور الكواكب لعبد الرحيم الصوفى . المباحث الشرقية للرازي . الصارع فى المطارحات لشمس زردى . لعناين الشاطر . رسالة وضع خطوط نصف الدائرة لاين مجدى المسمى ب زاد المسافر . رسالة خطيب العدلية فى وضع المزاويل ومعا رسالة فى الاضطراب . زيغ الوغ بك . ملخص الوغ بك . مجموع رسالة فى الاضطراب ورسالة فى الربع المنظر واخرى فى الربع الحبيب . رسالة فى ربع المنظرات . مجموع فيه اثنتا عشرة رسالة اولها فى الربع المنظر واخرها رسالة تركية . رسالة فى الاضطراب للطوسى . فراسة ابن شيخ دبوس . فراسة قيلمون . كتاب الفروسية ورماية الشباب . كتاب فى فروسية لمجاهدين وتحفة المجاهدين .

ذهب المصارف

اغنى مصارف العالم بنقوده مصرف فرنسا ولذلك تهرغ اليه كل دولة تريد ان تعقد قرضاً نقد بلع مافى خزائنه من الذهب سنة ١٩١٠ — ١٣٤٨١٨٠٠٠ جنيه وما فى مصرف روسيا ١٢٢٠٣٢٠٠٠٠ جنيه وما فى مصرف النمسا والمجر ٥٥٠٤٥٦٠٠٠ وما فى مصرف ايطاليا ٤٨٠٣٢٠٠٠٠ وما فى مصرف انكيترا ٣٧٠٣٤٨٠٧٤٠ وما فى مصرف المانيا ٣٢٠٢٥٠٠٠٠ وما فى مصرف اسبانيا ١٦٠٧٦٠٠٠٠ وما فى مصرف هولندا ١٠٠٠٦٧٠٣٣٠ هذا فى ارقى مالكا اوربا وقد بقيت البامبيك والبرتقال وسويسرا

(١) اعلمه الكتاب الذى تكلم عليه عيسى افندي اسكندر العلوف فى هذا الجزء

والهانريك واسوج ونروج والصرب وبلغاريا ورومانيا والجبل الاسود فكم تبلغ النقود الموجودة في المصارف العثمانية باترى ؟

امالي تاريخية

« المعتصم سمي الثمن »

ذكر ابو الفرج : ان المعتصم الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ٨٤١ م كان يسمى الثمن لانه الثامن في احد عشر امراً اولها انه ثامن ولد ولد العباس والثاني انه ثامن خلفائهم والثالث انه ولي الخلافة سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) وكانت مدة خلافه ثمانين سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام . وولد له ثمانية بنين وثمان بنات وكان عمره عند وفاته ٤٨ سنة وكان مولده في شهر شعبان ثامن الشهر في السنة

« ابن مقله المثلث »

من غريب ما روى المؤرخون ان ابن مقله الخطاط الشهير تولى الوزارة ثلاث مرات لثلاثة خلفاء المتقدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرات ودفن ثلاث مرات لانه دفن اولاً بموضع نجاء اهله ونشوه ودفنوه في موضع آخر ثم نبش ثالثة ودفن في موضع ثالث

« الخليفة الراضي بالله »

من غريب ما نقله المؤرخون ان الخليفة الراضي بالله العباسي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ٩٤٠ م ختم الخلفاء في امور منها انه كان آخر خليفة له شعر يدون . وآخر خليفة خطب كثيراً (وامان بعده فخطبوا نادراً) . وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل اليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائز وعطايا وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين عيسى اسكندر معلوف

المرأة اليابانية

كتب عالم الماني في تربية النساء في يابان فقال : لم تكن المرأة اليابانية الى اواسط القرن التاسع عشر غير سقيمة وبتيها وأسرتها فكان اليابانيون يعتقدونها من عنصر احط من عنصر الرجال ولما ارادت يابان ان تدخل مضمار الترقى حقيقة تغيرت وجهة الافكار بسرعة في التربية كما تغيرت في السياسة وفي سنة ١٩٠٢ كان في يابان ٧٠ مدرسة عالية للفتيات وكان عدد الطالبات في مدرسة الملمات ٣٢١ الف طالبة سنة

١٩٠٣ . وبعد ان ساح الاستاذ ناروس سياحة علمية في اميركا عاد الى يابان ففضده اناس من كبرائها مثل الكونت اوكوما والبرنس ايتو فأنشأ سنة ١٩٠١ اول مدرسة كلية للنساء التي اصبح المتعلمات فيها والمستمتعات بعد ثلاث سنين الف امرأة . والذي يزيد في العجب من هذا الاصلاح السريع هو ان يابان لم تغفل في تربية النساء عن الوجهة العملية فالفتيات يدرسن دروساً عالية ولا يفوتهن استعدادهن لوظيفة الزوجة والام . هن يعشن عيشة أسرة واحدة وليس في المدرسة تعليم ديني بل يعلم فيها التسامح وخفض الجانب !

مدارس الغابات

كان الاولاد في كل زمان ومكان يهربون من المدرسة والكتاب لان منهم من لا يقدرون ان يخالفوا ماركز في غرائزهم من تطلب الهواء الطلق والحركة وذلك لرداءة بناء مدارسهم ولان وضعها غير طبيعي ونظامها مختل معتل وقد اخذ علماء التربية والتعليم في اوربا يدركون كل الادراك ان من مدارسهم ما يجلب السقم ويميت الهمم وكان السابق الى ذلك اناس في المانيا وانكترا وسويسرا فقاموا يطبقون بين الضرورات الطبيعية ومطالب المدنية الحديثة حتى يحولوا دون الاولاد والهرب من الكتابات والمدارس فيمتنعوا في مدارسهم بما تتطلبه اجسامهم من الهواء والنور ويسرحون ويمرحون تحت غابات الصنوبر والزان

قالت مجلة التربية ونشأت هذه الفكرة في برلين لان هذه المدينة القديمة ضيقة النطاق فاسدة الهواء لما فيها من تراكم الانفاس حتى ان خمسة عشر الف نسمة من اهملها يعيشون في اقبية تكون دافئة في الشتاء ورطبة بعض الشيء في الصيف فمدينة شارلوتنبيرغ الملاصقة لبرلين هي التي منها نشأت هذه الفكرة لان ابناءها كانوا ينفهم النائي من رداءة هوائهم لا يستطيعون ان يسبروا مع اقربانهم على حين ان مدينتهم هي ام التعليم وفيها اعظم كلية صناعية فلم يستطيعوا ان ينجاروا اقربانهم فرأى احباب الانسانية هناك ان ينقلوا اولئك الاولاد الى مدارس في الغابات تكون لهم بمثابة مصاح او مصايف على سواحل البحار فاذا قويت اجسامهم بقوى ذكاؤهم والعقل السليم بالجسم السليم . رأوا ان ابناء هذه المدينة اضعف من غيرهم بذكائهم وما سبب ذلك الاضيق حاراتهم وفساد اهويتهم وان الاولى نقلهم من المدن الى الفلاة وها قد اصبحوا الآن يعيشون بالاولاد ممن لبسوا مرضى حقيقة وهم مصابون بالهزال اضعف الرئتين والقلب واظهرت

عليهم اعراض داء الخنازير او غيره من مفسدات الدم — يعثون بهم الى مدرسة الغابات بدلا من ان يذهبوا الى المدارس الخاصة بالتلامذة المتأخرين فالمدارس الجديدة ليست للرضى الذين يعدي بعضهم بعضاً ومعاملتهم من اقصى مايكون من الشدة بل هي مدارس المرشحين للسل وغيرها من الامراض كما يقول الاطباء فتداوى فيها سمحتهم ويتقنون مما يتهددهم بدون ان يحولوا بينهم وبين دروسهم او يضيعوا عليهم سنة كاملة . قام الشارعون بهذا العمل وهم يتخوفون الفشل والناس في المانيا لا ينظرون في الاعمال الجديدة الا الى ثمراتها الاولى وساعدهم البنك الالماني في مشروعاتهم بان ابتاع لهم الارض واعطاهم اياها بلا ربا والارض واقعة في غابة على بضعة كيلومترات من شارلوتبرغ يسير بينها وبين الغابة ترامواي كهربائي يصل بين المدينة واول الغابة في عشرين دقيقة ثم يسير الانسان من المحطة الى المدرسة عشرين دقيقة على قدمه الى وسط الغابة وهو اوها عليل اكثر من المدينة وصاف للغابة

ومن اهم ما فيها التبعات رائحة التطران والصمغ من الصنوبر والزيتنج وليس في هذه المدرسة اكثر من مئة طفل وطفلة جعلوهم في اكواخ من خشب سدوها من الداخل بقاش ولم ينفق عليها كثيراً بل بذلت العناية للتوقي فيها من الضباب والمطر وهناك نباتان من الخشب وهما عبارة عن صفين يفصل بينهما غرفة للمعلم او المعلمة وفي الجدران بعض المصورات الجغرافية والالواح وموقدة من القاشاني لامن الحديد المصبوب لان الحديد مضر باتفاق علماء الصحة وهناك تجرسيه الدروس في المطر تقام الصفوف في هاتين البائتين على ان تترك النوافذ مفتحة مالمكن وفي اوقات الصحو تقام الدروس في وسط الغابات تحت اغصان شجر الصنوبر القديمة والاولاد جلوس على الشب وعلى المروج اللينة وعلى مقربة من غرف المدارس انشؤوا سقيفات مفتحة من اطرافها الاربعة لانها اذا كانت مفتحة من جهة واحدة تكون معرضة لجري الهواء وتكون سطوح هذه السقيفات مثبنة تقاوم الاناصير والامطار ويكون تحتها مأمن من الرطوبات والرطوبات هي عدوة مدارس الخلاء . وهناك ايضا بعض سقيفات اخف من الاولى واصغر وبجانبها سقيفة واسعة طولها ٣٧ متراً وسرورها ٦ مفتحة نحو الجنوب ويمكن ان تؤوي ٢٠٠ الى ٢٥٠ طفلاً . فتحت هذه السقيفات البرية المبتوتة في الغابة يتسلى الاولاد عند ما يتعذر عليهم ان يخرجوا من المطر الى تحت السماء وهناك يستريحون فيجلسون على الكرسي المستطيلة كلما حالت الرطوبة دون تزهيم تحت الاشجار ولكن تصل الى عيونهم وروؤسهم رائحة

الصنوبر وبعض اشعة الشمس . وفي احدى السقيفات مناخذ مستطيلة ودكات جعلت بيتاً للغداء وفيها صحاف وكؤوس ممتلئة على نظام تام يجلس اليها الاولاد اوقات الطعام كل واحد في مكانه الخاص به وفي وسط هذه البنائات الخفيفة أُنشئت بناية اكثر ثانة وهي من خشب ايضاً قسموها اقساماً فمنها قسم للمديرة وآخر للطبخ وثالث لحفظ الطعام ورابع قبو وحمام او حمامان للذكور والآخر للاناث اما الحمام فعلى غايه من النظافة . وعلى هذا كان الماء الحار والماء البارد والحركة والراحة والهواء والشمس مساعداً على تقوية تركيب الاولاد . وفي هذه المدرسة مستثنى صغير موقت لما قد يطرأ من الامراض والعوارض على الاولاد .

وليس لهذه المدارس وفيها ٢٥٠ ولداً سوى المديرية واليهما يعود امر التربية والصحة وملاحظة الخدمات والمطبخ وستة معلمين وثلاث معلمات

تبدأ هذه المدرسة بالدروس عند مائتة والحياة الى الغابات والخضرة في الربيع اي بعد عيد النصح وتدوم بحسب مساعدة الجو وربما دامت الى النصف الاخير من كانون الاول ولكن من العادة ان طول مدة الدرس الى آخر شهر تشرين الاول في شمالي المانيا الى منتصف تشرين الثاني في جنوبيها فيأتي الاولاد نحو الساعة السادسة ونصف صباحاً فتطوف بهم ادارة المدرسة في الغابات الى الساعة الثامنة راكبين في ترامواي معد لهذا الغرض وفي تلك الساعة تبدأ الدروس وفي العادة ان لا طول مدة كل صف اكثر من ٢٥ دقيقة فبعد الصف الاول يعطى التلميذ خمس دقائق للراحة والنزهة وبعد الصف الثاني عشر دقائق . والاطفال الصغار ومن بعدهم لا يدرسون في اليوم اكثر من ساعتين والاكبر منهم سناً يدرسون ساعة زائدة . والصف لا يتألف من اكثر من عشرين تلميذاً لئلا يسهل للمعلم ان يعنى بكل واحد من المتعلمين عناية خاصة ويدير شؤونهم واعمالهم . وقد رأت ادارة المدرسة ان اربعة دروس يدرسون كل واحد خمساً وعشرين دقيقة افضل من دروس يدرسون كل واحد منها ٥٥ دقيقة وفيها من ٤٠ الى ٥٠ تلميذاً وان الاخرى ترك التلميذ يسرح ويمرح في الغاب لانه بعد على الدكة يستمع ٣٥ من اترابه يستمعون دروسهم مما لا يزيد الا ثلث حاسة الانتباه فيه ويدخل على نفسه الاستمئزاز من الدرس مهما كان جذاباً اما الدروس التي يدرسونها في هذه المدرسة فهي دروس المدارس الابتدائية في المانيا وتختصر اللغة المحلية الالمانية وتاريخ المانيا وتختصر التاريخ العام والجغرافيا والحساب والتاريخ الطبيعي والغناء والرسم ودروس الاشياء

وقليل من اللغة الفرنسية لبعض الطلبة ويعنون عناية خاصة بتدريس اللغة الالمانية والتاريخ والجغرافيا والفناء . وان كان الفناء من دروس التسلية اكثر من الدروس الجدية . والتاريخ الطبيعي والنبات والفناء والرسم يعلمون في الغابة غالباً وفي جوار المدرسة بالعمل اكثر من النظر وقد تبين ان عقول من يتربون من الاولاد على هذه الطريقة اثقب ومعلوماتهم اكثر بخلاف عقول من يتربون في المدن وما يحصلونه .

وقد جعلت الالهاب بحيث تقوي نشاط الاولاد وتلقي في نفوسهم فكرة الابداع والاختراع فترى المدرسة قد خصت صفار الاولاد بقطعة من الارضى مرملة يلعبون فيها ويحفرون ويطمون ويبنون باغصان الخلاف جسوراً وحصوناً وانفاقاً ومجاري وكثيراً ما تستعمل هذه السليات الى صورة درس في الجغرافيا او الطوبوغرافيا فيرسمون بعض انهار بلادهم وما على حفافها من الاراضي والمصايف والحصون . وكبار الاولاد يدرسون صفارهم على هذه الالهاب كما ان المعلمين بالعبون كبار الطلبة بدون ان يظهر بانهم في صدد درس بل انهم في لعب وتزفة

ولطالما لاحظ علماء التربية ان جهاد المرء اذا صرف الى غاية نافعة يكون عليها في نفس الطفل لذة زائدة فتؤثر في تربيته اكثر مما تؤثر الاعمال التي لا نتيجة لها فقد قل ارسطو ان كل حي يجب نشاطه . فاذا كان العمل فرحاً فهو كذلك على شرط ان يتم لا بالاكراه بل بحرية اي ان يتم بإرادة المرء مدفوعاً اليه بغاية الطبيعية وهي الابداع والابداد والاحداث

ولذا اختصت المدرسة كل تليذ بقطعة صغيرة من الارض حديقة يزرعها ويستنبتها ما يريد فهو ملك هذه الروضة الذي لا راد لحكمه وله ريعها زهوراً كان او ثماراً فترى احدهم يزرع قرفلا او ورداً ليقدم منها باقة لكبار أسرته وآخر يميل الى العمليات فيزرع فجلاً او بقولا وبقوة الماء والعناية يستخرج من تلك الارض الرملية المحرقة غلات نافعة حتى اذا تقدم في السن يدرك كم بذل الفلاح من العناية حتى اتاه بحبزه عمل من الجاودار وصفحة من البقول . وهناك طفل آخر مولع بالنبات فيربي في روضته نباتات نادرة من الغابة ويدرس كيفية نشوئها . وهكذا اشرب اخلاق كل واحد من هؤلاء المتميزين وكلهم يفكرون فيما يستنبتون ان يقدموا من اول غلة لاقربائهم وابوهم دليلاً على مهارتهم وحذقهم . ولا تسلم عما يبذله اولئك الاطفال من الهم ليدخلوا السرور على قلوب غيرهم وكم لها من الشأن والقيمة الادبية التي لا تضاهي .

اما الطعام الذي يتناوله فقد اختارته المدرسة من اقلها نفقة واكثرها تغذية لان المتور الذي يدفعه التلامذة واكثرهم من الفقراء لا يكفي لتقديم المأكولات الثمينة . وطعام الغداء الذي يقدم الساعة الثانية عشرة ونصف وقت الظهر هو اكبر طعام وما عداه فالاولاد يأكلون كل يوم اربع وجبات الاولى الساعة السابعة يقدمون له كأساً من اللبن الحليب وقطعة خبز ومربيات لانهم يعتبرون السكر مادة من مواد الغذاء ومقوياً . وفي الساعة العاشرة يقدمون اكلة خفيفة ايضاً وعند الظهر طعام مغذ مؤلف من ثريد ولحم لا يقل عن مئة غرام لكل ولد وبتناول معدلها من ١٥٠ الى ٢٠٠ غرام وفاكهة او حلويات او مربيات . وفي الساعة الرابعة يطعمونهم لبناً حليباً وخبزاً بالزبدة وفي الساعة الخامسة وربع يطعمونهم قطعة من الخبز وشيئاً من اللوز الهندي (كاكاو) . وانت ترى ان اللبن والخبز هما اكثر الاطعمة تغذية واقلها كلفة

ولقد كان من نتائج هذه التربية والحياة المدرسية ان كان الاولاد يأتونها ضعاف الاجسام نقرأ في وجوههم عبوسة وفي نفوسهم انقباضاً وفي ارواحهم ذلة وصناراً لا تميل انفسهم الى شيء ولا تنبسط شهواتهم لشيء وبعضهم لا يعرفون كيف يلعبون ايضاً فهم خليط من ابناء الاحياء القذرة لا يعرفون الزهور ولا المروج ولا تغريد الاطيار في الاشجار ولا الحبوب ولا كيف تغيب الشمس فتسحر بمنظرها ولا كيف تشرق فيهبج النفس مرآها ولا كيف تسرح الحيوانات في الغابات ولا كيف تطن الهوام والحشرات في الشمس او تعبت بالاوراق وها قد اصبحوا منذ اول دخولهم المدرسة وافكارهم منتبهة ونشاطهم موفوراً وكل شيء جديد لديهم كأنهم في عالم جديد يهتزون منهم من لم يهتزل امر من قبل وينتبه اكثرهم رخاوة ويعود اليهم الذوق في الحياة فلا يجدون في العمل سخرة عملة عقيمة وكما زادت قواهم الطبيعية يعود ذكاؤهم العادي الى حالته الطبيعية

وقد اخذ وزن اجسام الاولاد يزيد من اسبوع الى اسبوع فكان الواحد يزيد نصف لبرة وكثير منهم زاد ثقلهم من ٩ الى ١٠ لبرات في خلال ثلاثة عشر اسبوعاً وكما اخذت المدرسة ترأقب وزن التلامذة انشأت ترأقب كمية الدم فيهم فظهرت لها نتائج حسنة واخذوا يشفون من الامراض وتحسن صحتهم تحسناً ظاهراً على اختلاف اسقامهم فثبت ان المقام في تلك الغاية نفع في اكثر المصابين بداء الخفاير وفقر الدم والمستعدين للسل . هذه هي النتائج الخارجية وبصعب تعيين ما حدث للاولاد من النمو في ارادتهم ومقدرتهم على العمل وحسن خلقهم وفرحهم بالحياة وهذا من التوى

اوالتأخر الادبية لم يتيسر لاداء ان تضبط على التحقيق نموها وضعفها ومع هذا فان لها تأثيراً كبيراً لاني صحة الاخلاق بل في الصحة الطبيعية

فالمحيط الجديدي الذي انتقل اليه الاولاد وتأثير الطبيعة في نفوسهم والسكون والعمل المعقول والجهد الحر النافع كل هذا يفعل احسن فعل في الاعصاب التي كثيراً ما تهيج من هواء المدينة وضوضائها او تضعف لقلّة الهواء النقي . فمدارس الغابات هي اشبه بأسرة كبرى كل امرئ سعيد ان يكون منها وكل واحد من ابنائها يحرص على ان لا يسيء سمعتها وفي هذه الدار يتجلى للانظار ما للعناية النسائية بالاطفال لانهم يوجهون للمديرة التي تخو عليهم حنو المرضعات على الفطيم بذات انفسهم ونياتهم واعمالهم فترشدهم وتنشطهم وتحاول ان تجعل منهم اهل حشمة من الرجال وجد من الفتيات . وادارة المدرسة تفكر في ان تجعل مدرستها داخلية لان الهواء النقي ينفع في حالة النوم ضعفي نفعه في حالة الاغفاء بالنسبة لهواء المدن القذرة فقد ثبت ان الطفل عند عودته في المساء الى دار ابويه يفقد أحياناً ما ادخره من القوى لرداء الغذاء والهواء ولا نخطاط المحيط في الاخلاق والتربية او لاسباب اخر من اسباب انفعال النفس . هذا وان يكن الالماني اميل الى ان يجعلوا اولادهم في مدارس خارجية أكثر من الداخلية وقد اشتهر امر هذه المدرسة في بلاد الالماني واخذت كثير من المدن الصناعية تحذوها كما فعلت مدينة البرفلد وكيل ولوبك ومونيخ وموهوس وغيرها وعمدت كلها الى اقتصار الدرس والدروس واشباع المواد فيها ودوام الراحة وتكثير وجبات الاكل المغذي واجمل مدرسة تحت الغابات في المانيا— وكلها غابات جميلة— مدرسة غلادباش

وكذلك ارسل الانكليزي اناساً من رجال التربية عندهم ودرسوا طريقة هذه المدارس واخذوا يقلدونها لان طريقتهما اشبه بطرائقهم في التربية والاعتماد على رياضة النفس فيها اكثر من الاكثار من الدرس فلم يحبوا ان يكون الاطفال في الارتياض اقل عناية بامرهم من الفتيات في كليتي اكسفورد وكمبرج حتى ان بلدية لندن نفسها انشأت ثلاث مدارس من هذا النوع وكذلك فعلت مدينتا بروفورد وهاليفاكس واختيرت اماكن زهرة فيها الاشبهار الهائلة وصرف بعض الانكليزي في هذا السبيل عن سخاء . وعن قصر الانكليزي في بدل الجنيهات كالمطر اذا كانت تبيحتها تربية القري الطبيعية في الاطفال ؟

ولقد اخذت هذه المدارس تعلم الرسم في الطبيعة والطوبوغرافيا على شاطئ السواقي والحساب بقياس الاشجار الضخمة وتقدير حجم جذوعها بالترابيع والجغرافيا بمخط خطوط في الرمل ناتئة . وللاستحجام بالاضخات وغيره المقتاد الاول في هذه المدارس . وللاستعمال العملية مكانة كبرى فالبنات يتعلمن غسل الثياب وترقيعها والعناية بالاولاد . ومن مبادئ هذه المدارس ان الواجب ان يعرف كل ولد كيف يعمل عملا باصابه العشرة ولهذا من الشأن العظيم من حيث الاخلاق وثقوبة العقول اكثر مما يتوهم المشوهمون . وكانت نتيجة هذه المدارس باعثة على الرضى اذ قد ثبت ان تسعة اعشار تلامذتها زادوا زيادة محسوسة في وزنيهم ونشاطهم . ولئن كان نمو القوى الطبيعية سهلا بتحقيقه بواسطة الدينامومتر ودل البحث على ان الاولاد لم يزدوا وزنا مثل مدرسة شارلوتبرغ الالمانية فذلك لان الجنس الانكليزي في الغالب غير مستعد للسمن كالعنصر الالماني وكان من التلامذة الضعاف في عقولهم ان اخذت تشط من عقولها كما زاد نشاط اجسامهم وقد اغبط الانكليز بما تم من النجاح على ايدي مدارس الغابات ولا تلبث كل مدينة في انكلترا ان يكون لها مدرسة من نوعها كما ان انسانا من رجال المال في اميركا قد احدثوا في سان فرانسيسكو وغيرها اندية للاولاد تضمن لضعاف الحال والصحة السفر لاستنشاق الهواء الطلق وربما كان ذلك مقدمة لاحتماء اميركا حذو المانيا وانكلترا في انشاء مدارس في الهواء الطلق وبين اشجار الغابات . وقد اخذت سويسرا وفرنسا تفكر في انشاء مدارس من هذا النوع لان العناية بالصحة هي فوق كل عناية حتى قال ديكارت الفيلسوف انه مقتنع كل الاقتناع بانه اذا كانت تمت واسطة لجعل البشر اذكي وابنه مما هو فليس غير الطب يجب ان يعرض عليه بالواجب ويلتمس منه الشفاء

عقول الاطفال

في محبة الاقرباء الانكليزية ثلاث مقالات في اعداد عقل الطفل . الاولى في الدور الذي يجي على الطفل من سن ١٨ شهرا حتى يبلغ ثلاث سنين وهي سن تعلم الكلام ومقدرة على التقليد وعمره في البحث عما لا يعلم وتكون قواه في التصور والتعلل في مبادئه وارادته جريئة تبدو في صورة عناد وبعد سن الثالثة تتأصل فيه قوة التعلل بمظهر اكبر وهذه هي السن التي يكون التفكير فيها شأن رئيسي وتظهر الارادة في مظهر اجلي . يأخذ الولد في تقرير امور بدون ان تحمله اليها ضرورة لاحقة ولا يتيسر لهذا النشوء في عقل الطفل ان يتم على اصوله الا باجادة تغذيته ونومه فلطول رقاذه شأن مهم في هذه السن .

اما من حيث الاخلاق فالذى يجب للوالدين هو ان يطيعهما بدون خشية لان للخشية نتائج سيئة في مستقبله وعلى الوالدين ان يوقنا بان عقل الطفل صغير جسمه وان الواجب عليهما له اشياء كثيرة وهو لا يسأل معهما عن شيء

والقالة الثانية في تهذيب الطفل جاء فيها ان المذهب الحقيقي هو الذي يعلم قليلا من كل موضوع وكثيراً في موضوع واحد . وتكون تربية الطفل تربية حرة بان لا يغفل عما يعلمهم الاهتمام بكل الموضوعات الكبرى والصغرى مثل القصص والرحلات والتواريخ في الحيوانات والنباتات ويجب ان تؤثر الكتب التي لها قيمة ادبية فان الذوق يتكون منذ الطفولية كالمفردات التي بها يستمعين المرة ان يعبر بعد عن افكاره . ويجب ان لا يعتقد بان الفضيلة تحب الى النفس بالتنفيس من الرذيلة بل بتحبيب الفضيلة نفسها ومافيها من الخيرات فان الابطال الذين احببناهم وانجبتنا بهم وحاولنا تقليدهم في شببتنا يظنون اصدقاءنا يوم نبلغ اشدنا . وبالجملة فالواجب ان يذكر ان القراءة تعلم الاولاد وتسليمهم وان لا يكثر عليهم من الكتب المملة ويترك لهم اختيار ما يروقهم منها على شرط ان تكون لها قيمة ادبية او اخلاقية او علمية .

والقالة الثالثة في تعليم الطفل بالحديث والحوار لانهما يؤثران سيرة تربيته ولكن لامباشرة فان الدائرة التي يلعبون فيها ويدرسون وبدائع الصنائع التي تلقنهم الجمال والنظام لا اثر لها في امداد نفوسهم واذواقهم بقدر حديثهم فاذا تركوا وشأنهم في حديثهم يصبحون وحديثهم نسقاً واحداً غير لائق فعلى المعلم ان يعنى بحديثهم بحيث يكون عاملاً وحسن الاحاديث ما كان بحضور النساء لان بعض مدارس انكلترا جربت هذه الطريقة فنشأت منها خيرات كثيرة في تربية عقل الطفل .

الاخلاق والعادات

يرى بعضهم اختلافاً في تعيين معنى الطبيعة والعادة وان الطبيعة والمزاج او الاخلاق لا تؤثر فيها التربية او ان التربية اذا استطاعت تغيير طبع الانسان فلا تعمل الا على ابطاله وتلاشيهِ وعطاء الاخلاق على اختلاف دينهم في هذا الشأن فقد قال روسو ان التربية التي ليست سوى العادة لا طائل تحتها وهي عاجزة عن الاثير في المرء لانها تجد امامها سدوداً من مقاومات الطبيعة فلا تستطيع تغيير الميل والاستعداد ولا تنفث عثرة في سبيل النشوء فليس في مقدرتها الا ان تنير المرء وتضيء له السبيل للانبعث والعمل

او انما تنشئ للراء طبيعة ثانية وتبدي الاولى وتشحد العقول وتجن الارواح وتحت الارادات وتقويها

فقد اعتاد من يقول بان الانسان غير قابل للتربية ان يخرج بان البشر مغروس في فطرته وهذه هي الحاكمة المتحركة في تكوين اخلاقه ولكن هذا الزعم فاسد لان الدلالة على تأثير التربية وفعالها في تغيير الطباع امر لا يكره مفكر . قالوا ان العادة طبيعة ثانية ومن المحقق انه اذا كانت للراء طبيعة وهذه الطبيعة متحركة بالعادة فهو من بين سائر الحيوانات خاضع للتأثيرات الخارجية الكثيرة المنوعة التي لها الفعل الاكثر في هذه الاسباب والتخلق بها واحتذاء مثافا فان الحس الحلي اللطيف وتركيب المرء اللدن المرن المستعد بدون عناء لجميع انواع التكون وقوة الحافظة التي هي طبيعية في المرء وبها يعتاد العادات على ايسر وجه كل هذا يجتمع ليكون اخلاقا ومظاهر في المرء متشابهة لما يحيط به من الاخلاق والاشكال وما يحفه من الاجسام . وهذا هو جملة القوة العظمى في التربية الطبيعية ومنها تنشأ في الحال التربية الاخلاقية وبذلك يكون المرء قابلا للكمال الى ما لا نهاية له ويستطيع القيام بكل امر

ويتعدل النظام الحيواني بالعادة خاصة فهي بطول الزمن تؤثر التأثيرات النافعة والتأثيرات الضارة . فتركيب الانسان خاصة مستعد ان يظهر في كل المظاهر . والمرء يستطيع ان يألف تناول السم وربما صعب عليه الافلاع بعد من عادة كان ألفها بالتمرس بها والرجوع عن القبيح الى الحسن فسكان البلاد الرديئة الهواء قد لا تجرد صحتهم ابداً في بلاد اجود بهوائها فالمصابون بالربو (ضيق التنفس) الذين تناسبهم الاماكن الشاهقة في العادة قد يرون حاجتهم ماسة الى هواء كثيف ثقيل كانوا اعتادوه ايام صحتهم والهواء الشديد قد يزيد في اوجاعهم ويحدث لهم اختناقاً مدهشاً ولقد رأينا سجناء خرجوا من محابسهم ومطابقتهم العفنة اقوياء اشداء بعد ان قضوا مدة طويلة مستجنونين بجرائمهم ثم ضعفوا وهزلت اجسامهم من الهواء الطلق ولم تعد اليهم صحتهم الا بعد ان ارتكبوا جنائيات اخرى اعادتهم الى مطابقتهم الاولى التي اصبحت لهم كأنها مساقط رؤوسهم .

وهكذا في الوسع ان تدخل على الطبيعة تعديلات اصلية كثيرة ويمكن تجديدها وقلبها والاخذ بها في طريق غير طريقها وذلك بالعادة . ثم ان الطبيعة خاضعة لجميع المؤثرات وقابلة لاعتياد انواع العادات فهي — خلافاً لما يقال — مرنة وقابلة للتحول لا تنظر على حال واحدة بل تفعل فيها الاخلاق والتقاليد ومؤثرات المحيط والعادات

الشخصية . وقد قال احد علماء التربية ان للمرء مزاجين طبيعيين او اصلي وكسبي فالاول ينشأ من مزاج الانسان فلا يؤثر فيه الا اذا تكرر عليه غيره وعندئذ يظهر المزاج الآخر اي ان المزاج الاصلي يؤخذ بالمزاج الكسبي وهذا الذي يعتبر كأنه مزاج الاهواء الطبيعية والعادات المكتسبة التي يقضى علينا ان نلاحظها فقط فالمزاج الطبيعي يعرف ويظن ويغلط وهو مفترض مثل شروط التربية ولكن المزاج الكسبي هو نتيجة التربية نعرفه وتتبنته فهو عمل من اعمال التجارب الثابتة

فالمزاج الكسبي هو عبارة عن التبدلات التي تفعل في المزاج بحكم الوراثة - وان كان يمكن اعتبار الوراثة جزءاً من المزاج الطبيعي - ومن التبدلات الطبيعية الخاصة المشتركة بين جميع الناس وهي تنشأ من السن ومن الانقلاب الذي يحدث في الانسان عند البلوغ مثلاً ثم من مجموع التبدلات العارضة التي تترك اثاراً باقية كتمو المرض او الاسباب المنظمة الثابتة كالمناخ واصول المعيشة والاعمال العادية من جسدية وعقلية

وقد ارجعنا في جملة اسباب المزاج الكسبي المرض والمناخ وذلك لانهما يعدلان طبيعتنا وان كان في اليد تعدلها لانه في استطاعة المرء ان يقاوم المرض ويتوقاه بمراعاة قواعد الصحة ويضعف او يشفيه بالعلاج الخاص به كما انه يصلح او يخفف تأثيرات المناخ او يجعله بحيث يناسبه وان كان في الاكثر عرضة لتأثيراته . والمرض يغير تركيبه ويقطع الموازنة بين الاعصاب الحاسة والحركة وتغلب الاول على الثاني فهكذا تجد في الاولاد والمعرضين للأمراض حساً رقيقاً وشعوراً قبل اوانه وذكاءً حسناً ويتحول المزاج ايضاً بحسب المناخ فترى في البلاد الباردة القوى العصبية عاملة قوية والقوى الحسية مخدرة ضعيفة وبالعكس ترى اهل البلاد الحارة اما البلاد الرطبة العفنة فالمزاج فيها بلغمي

وهما كان من تأثير الاسباب الطبيعية في طبيعتنا فالتربية لها مدخل كبير في اعداد الرجال بل انها هي المادة والعامل فانا نجد فيما يستعبدنا سبباً لتحرير رقنات فنم ثم كانت التربية العامل الاكبر في طبيعتنا واذا كان للمرء والاقليم تأثير فذلك يشعر بان طبيعتنا قابلة للتحويل . فالحرية ليست سوى اسم الخلق على مرونة تركيبنا الطبيعي والاخلاقي . وفي مكنتنا ان نعارض بين مختلف التأثيرات التي نخضع لنظامها ونكون لها سادة ونطبعها ونجعو من تأثيراتها المضرّة ونحرر نفوسنا من قيودها .

يكاد يكون تأثير طراز المعيشة كتأثير الاقليم واحدها يتغلب على الآخر فانك تجد في عرض واحد من الكرة اناساً مختلفين في طبائعهم من مثل اليابانيين والصينيين واليونان والأتراك . لاجرم انه ينسب ذلك الى اختلاف العناصر وربما كان لاسلوب المعيشة دخل كبير ايضاً . وقد قيل ان المدنية لا تقوم الا في بعض الاقاليم كالقالم المعتدلة فالواجب ان يقال ايضاً لا تقوم الا ببعض التدابير والنرائع وما قسط ازهرت الا بين الشعوب المعتدلة .

فالعادة الشائعة باستعمال الافيون في البلاد العثمانية والصين والهند قد اثرت كالمناخ او اكثر بل ساعدت كالحكومة او اشد في تلك البلاد لي توحش سكانها جعلهم غير صالحين للمدينة . واستعمال الانكحول هو ايضاً عند ام اوربا مسألة حياة وموت . وبلدان ام ان ضرره يلحق بالصحة عن اختيار وكل خطيئة طبيعية لها نتائج اخلاقية واجتماعية . قال سبنسر : « قلائل في الناس من يظهر انهم يفهمون ان في العالم شيئاً يمكن ان يسمى الخلق الطبيعي . والنظام ان الناس يعتقدون اني الجملة بانه يباح لهم ان يعالجوا اجسامهم على نحو ما يدرك عقولهم . » وانت ترى الفلاح طامعاً شديداً يمثل نفسه في العمل ويستعمل القسوة مع امرأته واولاده فيستنفد قواهم ويخرب صحتهم كما نرى العامل يضع كسبه في الخانة ويخل باصول قواعد الصحة في مأكله ومسكنه بل ان عامة الطبقات في البشر تسرف على نفسها وتبذر في قواها وتبخل الخلل والمهرم والعتر اليها وهكذا ضربت المدنية ضربة شديدة بايدي السواد الاعظم الذين لا يتدرون نعمها حق قدرها واختل نظامها المادي بل ان التندم المادي وهو شرط ظاهر في التقدم المعنوي يبعث في الحقيقة من التربية والاخلاق حتى ان الامم كانت اكثر التي تحترم الرفاهية الحديثة وتعبد بها وتقص من ذلك عنايتها بامور الصحة كما نابتها بالرفاهية تراها تكاد تكون وحدها سائرة في طريق المدنية بقدم راسخة احسن من الامم التي لها افكار خيالية في الحضارة . فخير ما ينظر اليه في التربية ان يلاحظ ما انطوت عليه جوانحنا ومزاجنا وان نبني نظامنا على اساس الحياة الطبيعية

للمزاج تربوية او لادب له من تربية وقد شوهد بان المزاج غير ثابت من فطرته لانه نتيجة المرض والاقليم والنظام الصحي . يثبت ذلك اي ان المزاج قابل للتحويل غير راسخ مانراه من تحريكه لاسائط طبيعية بل اجتماعية كالصناعات مثلاً . فالصناعة تروض الانسان باجمعه وتفهم في اذواقه وافكاره وتقوده في سلوكه بل تعمل في تركيبه

الطبيعي . ومن البديهي ان ليس الحداد والمطرز متحدين في القوة العضلية كما ليس لهما مزاج واحد وامراضها ليست متشابهة والاختلاف بين ابن الادب والفلاح والاول بينهما عقله والآخر يتعب عضلاته فيختل ان يتركهما الطبيعي كالاختلاف المشاهد بين فرنسوي والماني وانكليزي وهولاندي وربما كان اكثر .

اذاً فما هو المزاج ؟ الظاهر انه يصعب ضبطه وتحديدده ولا يتأق تعينه الا بالفكر فيحدد لا بما هو فيه بل بما يمكن ان يستحيل اليه . ولقد نظر المشرعون والحكاماء في القديم الى التربية بانها تدريب منظم تام لا تختل قواعده ولا يضل قاصده وتلى ايدي القدماء تحققت الاعاجيب التي تنشأ من التربية كالجندي والوطني والانسان الذي يقصد الى غاية كالدفاع والعظمة ومجد البلاد ولا يعيش الطامح اليها الا لاجلها ولا يستشقى المراء الا لتحقيق أمنيته منها بل يلوغ اربه . ولقد كان المثال البديع الذي ظهر من تربية الجندي الاسبارطي خير مثال لتحذته الامم فأعجب بتدريبه القدماء والمحدثون وحق لهم ان يعجبوا لا لما تم على يديه بل لما بدا فيه من تأثير التربية او تدريب الانسان بالانسان وهكذا دربت رومية رجال شجتها . وفي اسبارطة ورومية يجب على الاخلاقي ان يفكر في تأثير التربية لان هذه التربية لم تظهر قط باعظم من مظاهرها في تينك العاصمتين ولم يمتد سلطانها حتى ولا في عهد اليسوعيين الذين كانوا يعجبون بما يتم على ايديهم من جعل اعضاء رهبنتهم عبيداً خاضعين وادوات تامة

نعم فعلت التربية فعلها حتى اخرجت المرء عن طبيعته الاصلية وعدلت في مزاجه حتى اشتهى الفيلسوف مبستر ذات يوم ان يرى الانسان في نفسه او على فطرته فقال انه رأى فرنسياً وانكليزاً وايطاليين وروسين ولكنه لم يوفق الى رؤية الانسان المجرد العام بل رأى الانسان بحسب المحيط والتعليم والتربية المكتسبة والمزاج ولكن اذا كان الانسان الحقيقي هو محصول التربية ومجموعة العادات واذا كان ابداً ابن الاحوال الطارئة عليه والعادات والمناخ والقوانين الا يجب ان يقال ان ليس له خلق خاص وان شخصيته تضمحل بما عدو عليها . فالظاهر اننا لانظر للشخصية الا عند مقاومتها للتربية ونراها مبانة بتعريفها للمؤثرات التي تؤثر فيها -

ترجع التربية الى العادة وهنا انقسم علماء التربية الى قسمين فمن قائل بتأثيرات العادة ومن قال بعدها . فزعم روسو بان للتربية دخلا قليلا في اعداد الانسان قائلان ان التربية استبعاد له وان خير عادة يعودها الطفل ان لا يعود امرأ ما حتى ولا الاكل والشرب

ولا النوم في ساعات معينة بل ان يعد للاستمتاع بحريته وانت تلاحظه من بعيد كما تلاحظه في استعمال قواه تاركاً لجسمه العادة الطبيعية وان يكون ابداً مالك قياد نفسه وان تربى ارادته عند ما يكون مانكاً لها قال والعادة الوحيدة النافعة الاولاد هو ان يستعبدوا لضرورة الاشياء بدون عناء والعادة الوحيدة النافعة للرجال هو الاستعداد للعقل بدون كبير امر . ومثل لذلك بالنبات الذي تثنيه وتكرهه على ميل خاص فلا يلبث ان يعود الى اصله اذا اطرخته من يدك .

وقواعده هذه تنطبق على التربية بل هي قواعد التربية بذاتها اذ لا فرق بين التربية والعادة وما التربية الا العادة فمن ثم كانت التربية تربيتين تربية ظاهرة موقفة وتربية حقيقية دائمة فالاولى هي التي تقاوم الطبيعة والثانية هي التي توجي اليها الطبيعة ولا تعمل الا على تقيتها وموافقة قانونها ولذا قال روسو ان الناس من ينسون تربيتهم او يضعونها ومنهم من يحفظونها . على ان الاعتماد عن الفطرة مما ينافي العقل فالحكمة تقتضي بان تحمل مع الطبيعة ولاجلها وكل تربية لا تجري على هذا النظام لا تكون عبثاً ثفيلاً فقط بل تكون عبثاً لانتيجته لها . ومن الباطل ان نعتقد ان مخالفة الطبيعة في التربية تفني غناها وماهي الا ظواهر فان معظم العادات كما قال روسو التي تعتقد انك تلقها الاولاد ليست عادات حقيقية لانهم أخذوا بها بالعنف وجروا عليها على غير ارادتهم فهم يتوقعون الفرص لينزعوا ربقتها . وقوله هذا صحيح لاغبار عليه فان بدرتو *Dréux* الذي أخذ وهو طفل من محيطه المتوحش وربى التربية الاوربية الدقيقة تحتل يوم خلا له الجو ونجا من ايدي مدبريه عن عيش الرفاهية الظريف وراح يعود بين اهله الى عيشة الكسل والعطالة والشقاء التي قادته اليها ميوه الارثية ولم يعد قط الى حالته الثانية . وكذلك كان من حال الصيني الذي تزوج من امرأة فرنسية واخذها معه الى بلاده فلما بلغها اخذ ينظر الى زوجه بانها غير مساوية له وانقطع عن معالمتها معاملة متمدنة . وبهذا تبين ان التربية ليست غالباً الا طلاء يزول لافق عارض . وقد قال الفيلسوف ريبو ايضاً ان الطبيعة لا تماند وان الارث والميول الطبيعية دخلا كبيراً في التربية . ومن رأي روسو ان العادة لا يمكن الا ان تكون منطبقة على الطبيعة .

وقالت العقيلة نكروسور التي ناقضت روسو في نظرياته وجعلت للعادات في التربية الشأن الذي اراد روسو ان يساخه عنها ان الولد ليس الا كائناتاً لدناً رخصاً قابلاً للتحويل مستعداً الى التطبع بالعادات يتناول ذلك على ايسر وجه بدون تكبر وليس في العادات

عائق عادي يخدر قواه بل ان الاتفاق يتم ابدًا بين الخلق والعادات وكما كان الولد فتياً في السن انبعثت عاداته من اخلاقه ومن نفسه . وبالجملة فانه يحصل للولد ذوق في العادات التي يعتادها فيتقن استحسانه على ما يراه . قالت انها رأت طفلاً في الشهر التاسع من عمره يبكي بكاء شديداً ويبأني ان يتناول غذاءه لان الفجيان والصحفة والملقمة لم تكن موضوعة في محملها التي جرت العادة ان توضع فيه . فاستدلت بذلك على ان ذوق النظام كان بذرة في الطفل فالواجب على المربي ان يريه ويقويه وهكذا تجد ذوق النظافة والحياة فطرية في الانسان قالت انها شاهدت طفلة في الشهر الثامن عشر من سنها تبكي اذا مس احد مقطف مربيتها في الزهرة وقد رأت هذه الطفلة امرأة مجحولة دخلت ذات يوم وسرقت من البيت قفطان والدتها فاخذت تصيح صياحاً ثلثاً . ومن هذا يستنتج ان العادة ليست في الاصل عارضية دخيلة فينا بل انها تدخل ونساب في حياتنا بقدر ما نصادف من الائتلاف وتنبيه فينا من الشعور ويتفق مع ارادتنا وهكذا هي مادة من شخصيتنا ولكن تلك العادات لا يجب ان تخرج عن الطبيعية فلا تمازج وايها كما يمازج قلبان كأنهم متراضعا لبتاً واحداً ويتعلق المرء بالعادة مخموراً لا مضطراً فتظل عاداتنا كما كانت في الاصل بهجة وظرفاً لاساسة وقيداً ليكون لسان حال كل امرئ ان عبودتي حلوة وعبي غير ثقیل . نعم يعتاد الامور وهي محبة اليه ولا يعتادها متكارهاً .

ولقد كان القدماء ينظرون الى التربية بانها تدريب مدقق شديد او تدريب على اسلوب تام ولكنهم يشفعون بتربية الجسم بتربية الروح فلم يكونوا يكتفون بتربية العضلات بل كانوا يلتزمون المربي بالعبادة او احترام النوة ويرون ان التدريب او العادة ليس بشيء اذا لم تظهر بانها ترجمان الروح .

قال الكاتب الفرنسي الذي احتذينا عن مبحث له هذه النبذة : وطربقتنا في التربية هو ان لا ننظر الى ان العادة والخلق موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها بل ان نعتبرها بان احدهما يقوم بصاحبه وهو متم له

اصلاح حوران

تمت لسورية أميتها التي طالما تشبها من ادخال حوران ولا سيما جبل الدروز في الطاعة واصلاحه اصلاً ادارياً ليسعه بعد الآن ما يسع عامة الاقاليم العثمانية . فوفق القائد العام في الحملة علي جبل الدروز سامي باشا الفاروقي الذي انتدبه الدولة لتأديب العصاة بالنظر اعرفه اللغة العربية ولانه استعان على تحقيق رغائبه بتمواد من ابناء هذه

الديار اوعمن سكنوها زمناً وعرفوا احوالها وساعد على ذلك انتظام الجندية في العهد الاخير انتظاماً يغبطنا عليه الحب فقابل الدروز العسكر باطلاق الرصاص بالقرب من السويداء قاعدة الجبل كما قابلوهم في قنوات والكفر وما والاها فاستولت الحملة على تلك البلاد واحرقت بعضها لما بدا من اهلها من المقاومة ومن سلم للحملة عومل بالرفق والعدل ولما ايقن الدروز بانهم كانوا على ضلال في مقاومة الدولة استسلموا كلهم ودخلت بلادهم في الطاعة وعادوا الى اعمالهم الزراعية فجمعت الحملة اسلحتهم واحصت نفوسهم وسافت الى الجندية نحو الف من شبانهم كما اعتقلت من ثبت كل الثبوت اشترأكه في الفتنة الاخيرة وعصيانه وربما حكمت على عشرات منهم باحكام مختلفة بما اقامته في السويداء من الديوان العربي ولا يعرف بالتحقيق عدد من هلك من الدروز في هذه الوقائع لان من عادتهم ان ينقلوا جرحاهم وقتلاهم في ساحة النزال مهما كانت النيران متهاطلة على الرؤوس على ان الاخبار الرسمية ترجح انه قتل منهم نحو الف كما استشهد من الجنود ٥٧ بينهم ضابط وجرح نحو مائة بينهم اربعة ضباط وبلغ عدد الجيش الزاحف نحو عشرين الف جندي .

وقد عم الاصلاح لواء حوران بهذه الواسطة وخيم الامن على تلك الربوع فأحصيت نفوس سكان السهول منه وسكان جبال تجلون كما أٌحصيت نفوس جبل الدروز ويقال ان من يدخلون الجندية من شبان حوران هذه المرة وكانوا لا يخدمونها من قبل نحو اربعة آلاف جندي وستريح الدولة من هذه الحملة اموراً كثيرة اولها انتشار الامن في سورية كافة وثانيها زيادة الاعشار والاموال والضرائب من هذا اللواء الخصب فيريد دخل هذه الولاية للحكومة فقط زهاء مائتي الف ليرة مساهمة

سكان الولايات العثمانية^(١)

الولايات والمتصرفيات	بالكيلومتر المربع المساحة	عدد السكان	في الكيلومتر المربع السكان
— في الروم اليلى —	١٦٩,٣٠٠	٦,١٣٠,٢٠٠	٣٦
ولاية الاسفانة	٣,٩٠٠	١,٢٠٣,٠٠٠	٣٠٨
متصرفية جتاجة	١,٩٠٠	٦٠,٠٠٠	٣٢
ولاية ادرنه	٣٨,٤٠٠	١,٠٢٨,٢٠٠	٢٧

(١) نقله تقويم البشير عن تقويم غوتا

الولايات والمصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
• سالتيك	٣٥٤٠٠٠	١٤١٣٠٤٨٠٠	٣٣
• مناستر	٢٨٤٥٠٠	٨٤٩٤٠٠٠	٢٩
• قوصوة	٣٢٤٩٠٠	١٤٠٣٨٤١٠٠	٣١
• اشقودرة	١٠٤٨٠٠	١٩٤٤١٠٠	٢٨
• يانيه	١٧٤٩٠٠	٥٢٧٤١٠٠	٣٠
— في آسيا الصغرى —	٥٠١٤٤٠٠	٩٤٠٨٩٤٢٠٠	١٨
• ولاية الارخيل (بحر سفيد)	٦٤٩٠٠	٣٢٢٤٣٠٠	٤٧
• مصرفية ازميز	٨٤١٠٠	٢٢٢٤٧٠٠	٢٧
• ييغا	٦٤٦٠٠	١٢٩٤٥٠٠	٢٠
• ولاية خداوندكار	٦٥٤٨٠٠	١٤٦٣٦٤٨٠٠	٢٥
• آيدين	٥٥٤٩٠٠	١٤٣٩٦٤٥٠٠	٢٥
• قونية	١٠٣٤١٠٠	١٤٠٦٩٤٠٠٠	١٠
• اطنة	٣٩٤٩٠٠	٤٢٢٤٤٠٠	١١
• ولاية انقره	٧٠٤٩٠٠	٩٣٢٤٨٠٠	١٣
• قسطموني	٥٠٤٧٠٠	٩٦١٤٢٠٠	١٨
• سيواس	٦٢٤١٠٠	١٤٠٥٧٤٥٠٠	١٧
• طرايزون	٣٢٤٤٠٠	٩٤٨٤٥٠٠	٢٩
— في ارمينية وكرديستان —	١٨٦٤٥٠٠	٢٤٤٧٠٤٩٠٠	١٣
• ولاية ارضروم	٤٩٤٧٠٠	٦٤٥٤٧٠٠	١٣
• معمورة العزيز	٣٢٤٩٠٠	٥٧٥٤٢٠٠	١٧
• بتليس	٢٧٤١٠٠	٣٩٨٤٧٠٠	١٥
• ديار بكر	٣٧٤٥٠٠	٤٧١٤٥٠٠	١٣
• وان	٣٩٤٣٠٠	٣٧٩٤٨٠٠	٩
— في سورية وما بين النهرين —	٦٣٧٤٨٠٠	٤٤٢٨٨٤٦٠٠	٧
• ولاية حلب	٨٦٤٦٠٠	٩٩٥٤٨٠٠	١١

الولايات والمتصرفيات	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	السكان في الكيلومتر المربع
• بيروت	١٦٠٠٠	٥٣٣٥٠٠	٣٣
متصرفية لبنان	٣١٠٠	٢٠٠٠٠٠	٦٥
• القدس	١٧١٠٠	٣٤١٦٠٠	٢٠
ولاية سورية	٩٥٩٠	٧١٩٥٠٠	٨
متصرفية الزور	٧٨٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١
ولاية بغداد	١١١٣٠٠	٦١٤٠٠٠	٥
• الموصل	٩١٠٠٠	٣٥١٢٠٠	٤
• البصرة	١٣٨٨٠٠	٤٣٣٠٠٠	٣
— في بلاد العرب —	٤٤١١٠٠	١٠٥٠٠٠٠	٢
ولاية الحجاز	٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	١
• اليمن	١٩١١٠٠	٧٥٠٠٠٠	٤
— ايلة طرابلس الغرب	١٠٥١٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١
— سيسام	٤٦٨	٥٥٠٠٠	١١٧
— قبرص	٩٦٠٠	٢١٠٠٠٠	٢٢
— كريت	٨٦١٨	٣١٠٠٥٦	٣٦
— مصر	٣١١٤٠	١١٢٨٧٣٥٩	٣٦٢
— تونس	١٦٧٤٠٠	١٨٣٠٠٠٠	١٠

التربية الجديدة

لا ينبغي للمدرسة ان تكتفي بالتعليم بل ان تعد رجالا عاملين للحياة ولذا قامت انكلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وروسيا واليا والولايات المتحدة بانشاء مدارس جديدة تريد ان تتناول من التميز حياته باجمعها لان تربى عقله فقط تريد ان لا تكون المدرسة دار تعلم بل دار احتذاء بهمها الحياة قبل التعليم . وقد وضع فروبل *Froebel* اعظم باحث بالتربية في العصر الماضي قاعدة من شأنها ان الواجب التعلم مع العمل فالمدارس الجديدة وجدت لتطبق هذا الفكر وتدفعه الى نتيجته الطبيعية وهي ان الواجب التعلم مع الحياة فيقتضي من ثم للانسان الكامل الذي يجب ان يعمل

عملاً مثراً ويجد السعادة في علاقاته الشخصية ويصبح وطنياً صالحاً — يقتضي له جسد سليم وذلك شديداً وصفات لازمة له في ضروريات الحياة . وهذه القوة والمقدرة الطبيعية والصفات الاخلاقية لا يتأتى الحصول عليها الا بالعمل فيجب ان يعيش الولد حياة الصحة الجسدية والجهاد العقلي والاخلاقي حتى اذا دخل في سن الرجولية تكون له قدرة واعتياد على استخدامها في الغايات الحسنة .

وقد كان حتى الآن ينظر الى المدرسة بانها جعلت لتربية العقل وان سائر شؤون الحياة هي في الطفل من عمل الاسرة ولكن اسباب الحياة قد تبدلت في العصر الاخير حتى لم يعد في طاقة الاسرة ان تجهز الطفل بجهاز من الصفات اللازمة له في جهاد الحياة فافتضى من ثم للمدرسة ان تقوم بهذا الواجب فتتشي عادات صالحة وتعلم الاسباب اليها ولاغنية في تلقين هذه التربية الآن عن المدارس الداخلية لان محيطها مستمد لتصوير الطفل في الصورة اللازمة لنفعه فلا يجد فيها ما يخالف الغرض الذي يرمي اليه بخلاف من يقتضي شطراً من حياته الاولى في البيت وقد يكون هذا في الاكثر جارية على غير سنة المدرسة في الآداب وهناك فوائد اخرى في التربية المدرسية وهي انها تساعد الاولاد على ان يكبروا في الفلاة ويتعاطوا الاعمال المطلوبة منهم ويفهموا فائدها ويعيشوا في ظل الطبيعة خلال السنين التي تتأثر الروح بالانطباع بطابعها

ومنذ امد طويل عرفت التربية الطبيعية في احسن المدارس الانكليزية مكانة . فانكثرتا هي بلد الرياضات والحياة في الفلاة والبراري ومن هذه المدارس نشأ في الانكليز حب اللعب في الهواء الطلق فينظم الاولاد لانفسهم العابهم دون ان تتدخل في شؤونهم ادارة المدرسة حتى اصبحت الالعاب والرياضات اهم جزء من التربية في المدارس الثانوية في البلاد التي يتكلم بها باللغة الانكليزية وفي غيرها ايضاً .

وبعد فان الزهات (الفسح) في الفلاة والحمامات في الهواء الطلق ولعب الرماية والهدف والتغل اليدوي على اختلاف انواعه واختيار الغرف المعرضة للتهوية على الدوام واستعمال اللباس الساذج المعتدل والطعام اللطيف الصحي ومراعاة قواعد الصحة في استعمال الوظائف الجسدية كل هذا ما يجب ان يعم امره في المدارس كما تعم الالعاب وهي لازمة لبقاء الصحة ولا سيما لاجاد عادات راسخة متى زالت سلطة المدرسة عن رأس التلميذ وتلقى في نفس الاولاد حب الحياة السليمة الشيطة فينبغي لنا محيط

يسمح بكل ما تقدم على ان يترك شيئا من هذه الدفاتر للمدرسة التي لاتضع في قوانينها ماعدننا، تحل ولا جرم بواجبها الاول

قال العالم الانكليزي الذي ننقل كلامه هنا عن مجلة التربية الفرنسية وليست احسن ذخيرة عقلية يحملها الفتى من المدرسة هي مجموعة معلومات علمية وانشاء جميل بل القدرة على التفكير بنفسه فيكون له ارادة على الابتكار ويستعد لان يقوى على حل المشكلات كلما عرضت . وهذه القوة لا يحصل عليها بالبحث في الكتب بل بان يعمل الولد الشيء بذاته على اختلاف ضروبه والواجب ان يتسع في خطط المدارس فتكون دروسها متنوعة وتولي كفاءة كل امرئ حربة اوسع . فدماع الولد لا يقوى بالقراءة بقدر ما يقوى بالعمل والدماغ في الاصل لم يبحث عن عادات اليد بل ان اليد علمت العادات للدماغ وهكذا يجب العمل في تنشئة الطفل ليكون رجلا فيجب ان يكون لنا في خطط الدروس اعمال بدوية متنوعة كثيرة لا لانها اساس العلوم والفنون التي توصلنا اليها بل لانها في حد ذاتها ادوات ثمينة في التربية . ففي الاعمال العملية وفي الاعمال الكتابية ينبغي لنا ميدان نشاط ودرس لتكون على بصيرة من بلوغ القوى والمصالح الحقيقية في الطفل ونكشف استعداداته الشخصية . يجب ان لا ننسى ان القيمة الرئيسية في عمل ما ليست بنتائجها المادية بل بطريقة انتاجها في طريقتها وان اهم نتيجة وادوية هي العادة العقلية التي ساعدت على الانتاج . يجب للمدرسة والعمل عمل شخصي وان يعطى التلميذ مسائل ليحلها بالاختبار اكثر مما يحلها بالتعقل فتحصيل العلم يجب ان يعتبر بانه سياحة اكتشاف اكثر مما ينظر اليه بانه تعلم ما اكتشفه الغير فلا يجب ان يطلب من التلميذ ان يتعلم لينتفع بعد بمعارفه اذا سئلت له الفرص بل ان يعلم ضرورة العلم بالعمل السريع الذي يرى نفسه مضطرا ان يقوم به فالترية الجديدة لاترجم الى تنشئة رجال ونساء ذوي كفاءة وقدرة بل تريد اعداد وطنيين صائحين بمتفهمون بخصائصهم لا لينالوا منها فوائد خاصة لهم بل ليعاونوا الناس ويساعدوهم . يعود الاولاد ان يشعروا انفسهم بانفسهم وان شيئا لم اسباب العمل فلا يكفي ان يتعلم ما هو صالح اذا لم تقو الارادة وتتأصل عادة عمل الخير في المرء بالفعل فقد كان سقراط يقول ان المرء لا يختار عمل الشر من نفسه وبذلك نتج ان معرفة الخير هي ضرورة فقط ونحن نتعلم دروس الحياة كلما عشنا .

فلئن الولد ان يعمل ونساعده ان يرى بنفسه ضرورة الوقوف عند الاعتراف بقيمة سلوكه . وهذا خير من استعمال الضعف في التلقين وبفرض علينا ان نتبع الزاد

بحريته لانه اذا لم ينشأ وهو يختار الخير لا ينمو سيفه الاخلاق نمواً حقيقياً واذا خالفنا ذلك فنصوغ من الطفل اداة مدهشة لا رجلا عاملا ولا يتأتى ذلك الا بتبادل الثقة بين المعلمين فيخلص الاولاد بعضهم لبعض ويخلص المعلمون في مراعاة حرية من يعلمونهم .
يجب على الاساتذة ان يقتنعوا كل الاقتناع بان الاولاد يرون من شتم نفوسهم ان يكونوا احرياء بالثقة عند ما يشاهدون انه يرثى بهم وان يدربوا من دون عنف وقسوة ولا ينظر لهم كمن ينظر الى من يشك في حاله .

قال وارى اننا في حاجة لنفوذ المرأة حيثما وجد اولاد وذلك لا في السنين الاولى للطفولية بل في خلال مدة التربية واذا صح كما نعتقد باننا لانستطيع ان نتعلم الا اذا عشنا فنحن في حاجة في المدرسة الى جميع العوامل والمؤثرات الرئيسة في الحياة فليس تحديد الحياة المدرسية وقصرها على جنس واحد الا عبارة عن خنقها وفاجها منذ بدايتها فترية البنين مع البنات ضرورية والمدارس التي سرت على الاسلوب الجديد في التربية تقوم بهذا المطلب من عدة وجوه بحسب حالتها واعتقادها واعادتها القومية ويترك للتلميذ ان يعتقد ماشاء من دين آباءه ولا يبحث في الاديان بل يبحث في اعداد رجال على انه يعلم نفع الدين كما يعلم الاجنبي عنا احترام وطنية الغير لانقديس وطنيتنا فقط

مخطوطات ومطبوعات

مباحث الفكر ومناحي العبر

وقفت في الصيف الماضي (سنة ١٩٠٩ م) على هذا المخطوط النفيس في المكتبة المارونية بمدينة حلب ويسمى ايضاً (زهرة العيون في اربعة فنون) لمؤلفه جمال الدين ابي عبدالله محمد الكتبي الملقب بالوطواط المتوفى سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وهو على شكل دائرة معارف في الطبيعيات والعلوم والجغرافية . متقن الخط مذهب الصفحات في ٥٨١ صفحة مخروم من آخره قليلا وضعه مؤلفه على اربعة فنون الاول في العوالم العلوية والثاني في الارض والثالث في الحيوان والرابع في النبات وكسر كل من الفنون الاربعة على تسعة موضوعات . والذي يفهم من بعض تعاليق على الكتاب ان مؤلفه اندلسي الاصل مصري المنشأ . وان هذه النسخة حصلها من اسبانية المطران جرماتوس

فرحات الحلبي الماروني . وقد رصع مؤلف هذا الكتاب كلامه بشعر رشيق
ومن منتخب اشعاره الفلكية قول ابن رشيق القديرواني في ترتيب السيارات :

بالذية شرف كية وان يحفظ من دهائك
واعار المشتري حاك مع حسن اعتدائك
وانتضي المرينج سيماً لك يمضي بمضائك
والذية التي على الشمس^(١) رداءً من بهائك
وكسا^(٢) الزهرة اخلاقك مع حسن ثنائك
ثم اعطى كتاب الشمس نصيباً من ذكائك
واقام القمر اافرديداً لارتبائك^(٣)
انجز الوعد لعبد مائه غير رجائك

وقول هبة الله بن صاعد بن التليذ المسيحي بذكر عقرق ولده :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يعفها
فنحن كالشمس والحلال معاً تكسب نورها وبكسفها
وقول آخر في المجرة :

وعلى المجرة انجم نظمت مثل الفقار يلوح في الظهر
هذا حجاب فوق صفحتها طاف وهذا جدول يجري
وقول ابن ابي ظافر المصري من ارجوزة في وصف الشمس :

والشمس قد مالت لنحو المغرب فوهت لجينه بالذهب
وفتحت في ساعة الاصيل وردتها في خده الاسيل

وقول هاشم بن الياس في وصف الجوزاء :

وكأنما جوزاؤه في غربها يضاء ساجحة ببركة زئبق
وكأنما اومت ثلاث انامل منها نقول الى ثلاث نلتقي

وقول الآخر في اقتران الشمس بالقمر :

يقابل الشمس فيه بدر دجى يأخذ من نورها ويمتار
كصير في بروج منتقداً في كفه درهم ودينار

(١) في الاصل سقطت الي فانكسر الوزن (٢) في الاصل (كسي) (٣) الاصل

وهناك اوصاف الانسان كقول ابن الرومي في الترك :

اذا ثبتوا فسد من حديد تظل عبوتنا فيهم تحار
اسود الحرب انفسهم كبار اذا لوقوا واعينهم حمار

واوصاف الحيوان كقول بعضهم في الفهد :

رقدت مقلتي وقلبي ية غطان يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم في الجواد كما لا يمنع الفهد نومه ان يصيدا

وقول ابي محمد البزدي في رثاء الفنفذ من ابيات :

عجت له من شيمهم متحصن بنبل من السرد المضاعف يمرق
واني^(١) اهتدى سهم الماية نحوه وفي كل عضو منه سهم مفوق
ولو كان كف الدهر يستحسن الردي لكان بكف الدهر لا يتعلق
وقول آخر في وصف الخطاف :

اهلا بخطاف اتانا زائراً بذكر عهداً^(٢) بالزمان الباسم
لبست سراويل الصباح بطون وظهوره ثوب الظلام القاتم
وقول بعض الحكماء (ابن التليذ او ابن صفية) في التمل :

واذا انت المهيمن لك مل جناحاً اعدها للفردي
ولكل امري من الناس حد وهلاك الفتى جواز الحد

واوصاف النبات كقول آخر في البطيخ :

ثلاث هن في البطيخ زين وفي الانسان منقصة وذله
خشونة لمسه والثقل فيه وصفرة لونه من غير عله

وقول بعضهم في الثوم :

الثوم مثل اللوز ان قشرته لولا روائحه وطعم مذاقه
كالنذل غرك منظاراً فاذا دعي لفضيلة بني الى اعراقه

واوصاف الجمادات كالاكراهام والمباني والبلدان والحوادث كقول ابي سعيد نصر
ابن يعقوب يصف زلزلة :

اسقني كأساً كلون الذهب واضرج الربق بماء العنب
فقد ارتجت بنا الارض ضحى كارتجاج الزئبق المنسرب

(١) الاصل ان (٢) كذا وهو جواز مكروه

فَكَانَ الارض في ارجوحة وكأنا^(١) فوقها في لوب
وعلى هوامشه حواش فيها فوائد كثيرة منها ما ينسب الى السلطان سليمان القانوني
لما مر على وادي حماه وهو في حلب سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٢ م يصف نواعيرها :
نواعير^(٢) في وادي حماة اذا بكت تهيج مني بالبكاء مدمعاً قاصي
فاني على نفسي لاجدر بالبكاء اذا كانت الاشباب تبكي على العاصي
وفيه مباحث تاريخية في وصف العواصم والاجناد والمواقع مثل موقعة دمياط بين
المسلمين والصليبيين وكثيراً ما يستشهد بآثاره بالسيحي وغيرهما من المؤرخين . وفي
صفحة ١٨ منه وصف كسرى لفلك ذكره حمزة بن الحسين الاصفهاني في كتاب
التشبيهات . وهو على الجملة من الكتب النادرة الجديرة بالنشر ولولفه كثير من المصنفات
التي تدل على واسع اطلاعه مثل الدرر النور في شعراء الاندلس وغرر الخصائص الواضحة
وعرر القاصر الفاضحة وغيرها عيسى اسكندر المعلوف

ارشاد المخول

الى تحقيق الحق من علم الاصول

للامام المجتهد الذي طار صيته في الاقطار القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني
المتوفى سنة ١٢٥٥ طبع مطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٧ على نفقة مصطفى
افندي المكوي

لاحاجة بنا الى الاسهاب في ترجمة المؤلف — الشوكاني — لسهولة الوقوف عليها
في مواضع عدة منها في مقدمة كتاب نيل الاوطار المطبوع وفي كتاب التاج المكال
لناشر ثمة وآثاره الامام صديق حسن خان وفي غيرها

اما آثاره عليه الرحمة فكلها مما يتنافس فيها ويتسابق اليها ومعظمها في القطر
البياني وما نشر منها بالنسبة الى ما لم ينشر كالقطرة في جانب البحر ولقد كان من حسنات
هذه الايام الاهتمام بطبع كتابه هذا بمصر لما هبط اليها من اليمن فاطلما تشوقت اليه
نفوس الفضلاء وتانت لمرآته قلوب المحققين لشهرة مؤلفه بتجويد المباحث واستقلال
الفكر وقد جمعه احسن جمع وهذا ، ابلغ تهذيب وتوسع في كثير من المباحث بما يزيد
المجتهد قوة في البحث وبصراً في الاستنباط وبصيرة في حصول المأمول ، وما انفرد به

(١) الاصل (وكأننا فوقها) (٢) سقط نصف الكلمة من قطع الورق عند التجليد

عن انكسب المؤلف في ذلك - عدا عن كثير من نوادره - تحقيقات اتي تلي نهاية ما يمكن ان يقال عنها في مباحث الاجماع والاجتهاد والتقليد فقد اورد عشرين بحثا وخاتمة في الاجماع وتسع مسائل في الاجتهاد وسما في التقليد ، في مطاوعها من بدائع التحقيقات ما لم يسبق اليه كما يعرفه من وازن بينه وبين ما في الايدي من اسفار هذا الفن اما مكانة علم الاصول فاسمى من ان تعرف ويكفي انه - كما قال المؤلف - عماد فسطاط الاجتهاد واساسه الذي تقوم عليه اركان بناءه وانه العلم الذي يأوي اليه الاعلام والمجأ الذي يلجأ اليه عند تقرير المسائل وتحرير الدلائل في غالب الاحكام جمال الدين القاسمي

مذاهب الاعراب وفلاسة الاسلام في الجن
جردنا من هذه المجلة ما نشره في هذا المبحث الشيخ جمال الدين القاسمي احد العلماء العاملين في دمشق لتداوله الايدي فجاء في ٥٠ صفحة وتطاب منه ومن ادارة المقتبس . ولا حاجة للكلام عليها فالتراء عرفوا دقة ابجاثها ووفرة فوائدها وادركوا كيف حلت هذه المعضلة القديمة .

تصحيح اعلام برنثالية

فضل صديقنا احمد بك زكي في القاهرة فارجع لنا الاعلام البرنثالية التي وردت في مقالة جمهورية البرنثال في الجزء السادس من هذه السنة الى اصلها فقل
١ - ذكرت الكراف تعريبا بقولهم *Algace* واسمه الغرب عند العرب وهو لا يزال من بقاياهم علما على مقاطعة كبيرة في جنوب البرنثال وغربها .

٢ - ذكرت سانتارم وصحة اسمها عند العرب « شنترين » *Santarem*

٣ - ذكرت لاس نافادي تولوزا وصحة اسمها عند العرب : وقعة العتاب . وكانت بقرب مدينة طلوسه *Colosa*

٤ - ذكرت بارا كانس وصوابها عند العرب : « ابراقصة »

٥ - استعملت لفظة الكاداستر بلفظها الافرنكي ومقابلها عند العرب في مصر والمغرب الاقصى والاندلس هو كلمة : « الروك » ونحن كنا نقول في مصر الى عهد قريب « التاريخ » . والآن نقول المساحة



المقبر

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القاري مخطوطاً من اندر المخطوطات ظفرنا به، في خزانة كتب استاذنا الراجح طاهر الجرازي كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بالقارح الى ابي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان بلقب بدوخله فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قوئوماً بالنحو وكان ممن خدم ابا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشة التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلن قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي به بشكرت في سنة احدى وعشرين واربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فبلغني وفاته من بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته، والحمد لله المبتدي بالنعم المنفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين ولي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في افعاله الصادق في اقواله خالق الخلق ومبديه ومبقيه ماشاء ومفنيه وصلواته على محمد وابرار

عثره واهذ صوة نرضيه ونثربه وتدينه وترثه وتحسبه كتابي اصال الله ببناء مولاي
الشيخ الجليل ومد مدته وادام كفايته وسعاده وجعلني فداه وقدمني قبله على الصحة
والحقيقة وبعد التصد والمقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا على تنقص
وخلابة وتجب ومساحة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صدقاً له كيف تجددك جعاني الله
فذاك وهو بقصد تحبباً ويريد تملقاً ويظن انه قد أسدى جميلاً يشكره صاحبه ان نهض
واستقل ويكافئه عليه ان افاق وابل عن سلامة تمامه بحضور حضرته وعافية نظامها
بالتشرف بشرى عزته وميمون نقيبته وطلعت، ويلم الله الكريم نقدرت اسماءه اني لو
حذنت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرخ الى وكرها او الحمامة
الى لفها او الغزالة الى خشفها لكان ذلك مما تغيره الليالي والايام والعصور والاعوام لكنه
حنين الظآن الى الماء والخلائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقلق
الى السكون بل حنين نفسه النفيسة الى الحمد والمجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاستقصات
الى عناصرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي مالا من العمر يؤنسني بروثه
ويعلقني بجبل مودته مرت كساري الليل التي عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالاو كان
كمن لم يمسه سو ولم يتخوفه عذره ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك
بيومه او بثانيه وبه الثقة وانا اسأل الله على النداني والنوى والبعد امتاعه بالفضل الذي
استعلى على عاقبه وغاربه واستولى على مشارقه ومغاربه فمن مر على بحره الهياج ونظر
في لآلئه بدره الوهاج خليق بان يكبر قلبه بانامه وينبو طبعه عن رسالته الا ان يلقي
الي بالمتايد او يستهو به اقليد من الاقاليد فيكون مذسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلاً في
شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسلك بحره وتمد غمره وهيهات
ضائق قتر عن مسير ليس التكلل في العينين كالكلل خلقلوا اسخياء لا متساخين وليس
السخي من يتساخي لاسمياً واخلق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لا يقدر الايض
على السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال
ابوبكر العزمي :

يفرج جان القوم عن أم رأسه ويحبي شجاع التوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف الخيل اقراره
ومن لا يكتف الجهل عن يوده فسوف يكتف الجهل عن يوابه

ومن اين للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العتاب وكيف وقد اصبح ذكر

في مواسم الذكر آذانا وعلى معالم الشكر لسانا فمن دافع العيان وكابر الأنس والجان واستبد بالافك والمهتان كان ممن صالب بوقائه الحجر وحاسن ببقاياته القمر وهذى وهذر وتعاطى فقتر وكان كمحموم بلسم فعفر ونادى على نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا يشك فيه

كناسخ صخرة يوماً ليفلتها فلم يشرها واوهى قرنة الوعل
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله
ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قات . وردت حلب ظاهراً حماها الله تعالى
وحرسها بعد ان منيت برضها بالدرخمين وام حبوكري والفتكرين بل رमित بأبدية الآباد
والداهية التأد فلما دخلتها وبعد لم تشقربى الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار
وانشدتها باكياً :

اذا زرت ارضاً بعد طول اجتنابها فقدت حبيباً والبلاد كما هيا
كان ابو القطران المزار بن سعيد الفتحسي يهوى ابنة عمه بنجد واسمها وحشية
فاعتداها رجل شامي الى بلده فغمه بعدها وساء فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طيب
رأى نظرة منها فلم يملك البكا معاويز بو تحتها كتيب
وكانت رياح الشام تكره مرة فقد جعلت تلك الرياح تطيب
فحصلت من الرياح على الرياح كما حصل لابي النظرات من وحشية ثم وثم وثم
أجري ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره وغير مقتضى اقتضاه فقال الشيخ
بانحو اعلم من سبويه وباللغة والعروض من الخليل فقلت والجس بأزز بلغني انه ادام
الله تأييده يصغر كبيره وينزر صغيره فيصير تصغيره تكبيراً وتحقيره تكثيراً وهكذا
شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين وجعله وارث اطول اعمارهم
رامدها وانصرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا قد فتقح النور وتوضع النورواضاء
البحر لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب مشرفة نهر الدولة ادام الله حراسته
كتب رسالة الى اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده استودعنيها وسألني ايصالها الى
جميل حضرته واكون نافتها لاباعثها ومجملها لاموئجها فسرقت عدلي رحلاً لي الرسالة
فيه فكنت هذه الرسالة اشكو اموري وابث شقوري واطلمه طلع عجري وبجري وما لثيت
في سفرى من اقيوم يدنون العلم والادب والادب ادب النفس لأدب الدرس وهم

اصغار منهما جميعاً ولم تصحيفات كت اذا رددتها عليهم نسجوا التصحيف الي وصاروا
إلـبـاعـي لقيت ابا الفرج الزهرجى بآمد ومعه خزانة كتبه فعرضها علي فقلت كتبك هذه
يهودية قد برئت من النشر بعة الخيفية فظهر من ذلك اعظاماً وانكاراً فقلت له انت علي
المحرب ومثلي لا يعرف بالايعرف والبلغ تيقن فقراً هو وولده وقال صغر الخبر الخبر
وكتب الي رسالة بقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميم قال المنبي : اذم الي هذا
الزمان اهله صغريهم تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير فنفت مـصدوراً واظهر
ضميراً مستورا وهو سائق في مجاز الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه
غير موضعه وخاطب به غير مستحقه وما يستحق زمان ساعده بلقاء سيف الدولة ان يطلق
علي اهله الدم وكيف وهو القائل يخاطبه

اسير الي اقطاعه في ثيابه علي طرفه من داره بحسابه

وقد كان من حقدان يجمعهم في خفارتهم اذ كانوا مذسوبين اليه ومحسوبين عليه ولا يجب
ان يشكوا عاقلاً ناطقاً الي غير عاقل ولا ناطق اذ لزمان حركات الفلك الا ان يكون
من يعتقد ان الافلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدرى بمواقع افعالها بقصود وارادات ويحمله
هذا الاعتقاد علي ان يقرب لها القرابين ويدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله

فبئاً لدين عبيد النجوم ومن يدعي انها تعقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « مذبذبن بين ذلك لا الي هو الا ولا
الي هو الا » ويوشك ان تكون هذه صفته »

حكي القطريلي وابن ابي الارض في تاريخ اجتماع علي تصنيفه واهل بغداد واهل مصر
يزعمون انه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه ان المنبي اخرج
ببغداد من المجلس الي مجلس ابي الحسن علي بن عيسى لوزير رحمه الله فقال له : انت
احمد المنبي فقال انا احمد المنبي وكشف عن بطنه فاراه ساعة فيه وقال هذا طابع
نبوتي وعلامة رسالتي فامر بقلع جمجمته وصفه به خمسين واعاده الي محبته ويقول
لسيف الدولة

وتغضبني علي من نال رفاكم حتى يعاتبه التغيص والمن

كذب الله لقد كان يتحشش بالمكارم ويتحكك بها ويحسد عليها ان تكون الا
منه وبه وهذا خير قارح في طلاوة شعره وروث ديباجته ولكنني اغتاض علي الزنادقة
والمحدثين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون ادخال الشكوك علي المسلمين ويستعدون

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ويتطرفون ويبتدون إعجاباً بذلك
المذهب تيه مغن وظرف زنديق . وقتل المهدي بإشاراً علي الزندقة ولما شربها وخاف
دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهبيا رأسي علي تقبيل واحتمل الرأسين عب ثقل

فادع غيري الى عبادة ربي ن فاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن القدوس واحضر النطع والسياف فتألم علام فقتلني قال

علي قولك

رب سر كتمته فكأني اخرس او ثني لسان عقل

ولو اني اظهرت للناس ديني لم يكن لي في غير حبسي اكل

يا عدي الله وعدي نفسه

الستردون الفاحشات ولا بلقائك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقاً وقد ثبتت عن الزندقة قال كيف وانت القائل

والشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى في ثرى رمسه

اذا ارعوى عاد الى غيه كذبي الضنى عاد الى نكسه

واخذ غفلته السياف فاذا رآه يتدهداً علي النطع . وظهر في ايامه في بلد خلف
بخارا وراء النهر رجل قصار اعور عمل له وجهاً من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لم
قرأ فوق جبل ارتفاعه فراسخ فانفذ المهدي اليه فأحيط به وبقلمته فخرق كل شيء فيها
وجمع كل من في البلد وسقام شراباً مسموماً فماتوا باجمعهم وشرب فليحق بهم وعجل الله
بروحه الى النار . والصادق في الين فكانت جيوشه بالمديخرة وسفنه وخوطب بالربوبية
وكتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهم
ليلا قال من يوثق بخبره دخلت اليها لا نظر فسمعت امرأة تقول يا بني فقال : يا أمه زريد
ان غمضي امرولي الله فينا وكان يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من
ولد فتكونون كنفس واحدة فغراه الحسني من صهاة فزبه وتحصن منه في حصن
هناك فانفذ اليه الحسني طبيباً بموضع مسموم فقصده به فقتله . والوليد بن يزيد اقام في

الملك سنة وشهرين واياما وهو القائل

اذا مات يا ام الحفيكل فانكحي ولا تألمي بعد الفراق تلاقيا

فان الذي حدثته من لقائنا احادثك طمأنينة ترك العقل واهوا

وروى المصنف بالنسب وخرقه وقال

إذا ماجئت ربك يوم حشر
فقل يا رب خرقني الوليد
وانفذ الى مكة بناءً مجوسياً لبني له على الكعبة مشربة فات قبل تمام ذلك فكان
الحجاج يقولون : ليك اللهم ليك ليك يا فائق الوليد بن يزيد لبنت واحضر بتايحة
من ذهب وفيها جوهرة جليلة الذر صورة رجل فجد له وقيله وقال اسجد له يا علج
قلت ومن هذا قال هذا ما في شأنه كان عظيمًا أضمحل امره اطول المدة فقلت لا يجوز
السجود إلا لله فقال قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها
اقداح فقال لندماءه ابن القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت اتيت
على ما في نفسي والله لا شربن المفضجة يعني شرب صبغة اسابيع متتابعة وكانت بموضع
حول دمشق يقال له البحر فقال

تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي آناه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي اراد ان يفتح بها وابو عيسى بن الرشيد القائل
دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهراً بعده آخر الدهر
ولو كان يعدني الامام بقدرة نبي الشهر لاستعديت دهري على الشهر
عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجنابي قتل بمكة
الوقا واخذ ستة وعشرين الف حمل خفًا وضرب آلاتهم واقتلهم بالنار واستملك من
النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفداء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها
مغناطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام دحسان طوال يرفل
في يديه وهو فوق الكعبة يارحمة الله واسرع يعني ميزاب الكعبة فعملت ان اصحاب الحديث
صحفوه فقالوا يلقاه غلام اسمه رحمة كما صحفوا على علي رضي الله عنه انه قتل بالبصرة
بالريخ فهلك بالزنج لانه قتل غلوي بالبصرة في موضع بها يقال له العقيق اربعة وعشرين
انفاً عدوهم بالقبص وحرق جامعها وقال في خطبته يخاطب الزنج انكم قد اعنتم بفتح منظر
فاشفعوه بفتح مخبر اجعلوا كل عام قفرا وكل بيت قبراً . قال لي بدمشق ابو الحسين
اليزيدي الوزير بن علي نسب جدي دخل واباه ادعى قال . ابو عبد الله محمد بن علي
بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة فوسف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلاً منهم
قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب اليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً اي آمن
هنا فقلت له يا فتى العرب تؤمنني سيفك افسرك هذا قال : نعم فمات : فيها خمسة

اجوبة الاول ومن دخله كان آمناً من عذابي يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لا يقيم عليه الحدية اذا جنى في الحل والاتخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه الالحية الي توبة ؟ فقلت : نعم فخلافي وذهب

والحسين بن منصور الخلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم اقلاب الدول ويدعي فيه اصحابه الالهية ويقول بالحلول وبظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزير فوجده صفراً من العلوم وقال تعلمك لطهورك وفرضك اجدى عليك من رسائل انت لاتدري ما تقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذوالنور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته ما احوجك الى ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الخلاج واقفاً على حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كفه في وجهه وانشد

بامر سر يدق حتى يحل عن وصف كل حي
وظاهراً باطلاً تبدى من كل شيء لكل شيء
يا جملة الكل لست غيري فما اعتذارى اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف بن الله بمنزلة شجاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوؤه انشدني الظاهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واحوت بالحلول
اقال الله حين عشقتموه كلوا اكل الالباء وارقصوا لي

وحرك يوماً يده فانثر على قول مسك وحرك مرة اخرى فانثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم آرائه دراهم معروفة أو من بك وخلق هي ان اعطيتني درهماً عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا ولا يصنع قال من احضر مائيس بحاضر صنع مائيس بمصنوع وكان في كتبه اني مفرق قوم نوح وبهك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضر به الف سوط وقطع يديه ثم احرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلاثمائة وقال لحامد بن العباس : انا اهلكك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن ابي العذافر ابو جعفر محمد بن علي الشلمغان اهله من قرية من قري

واسط تعرف بثلمغان وصورته صورة الحلاج ويدي عنه قوم انه آله وان الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والأئمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب كتاب التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم واولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكانت احمد بن يحيى الراوندي من اهل مرو الروز حـ بن السمر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان ثمة كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مرداً عند صبوته ومن يقوم لمستور اذا خلا
صنف كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم فنقضه ابو الحسين الخياط
الزمرذ يحتج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .
نعت الحكمة سفة الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقضه الخياط .
الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

انقضيب بئيت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقضه الخياط
في الطعن على النبي عليه الصلوة والسلام
المرجان في اختلاف اهل الاسلام

على بن عباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان التاج دخلت عليه في عاتيه التي مات
في بغداد واسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر خرج من ظهره فقلت :
ما هذا قال : الماء ابل به حلقي فقلما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد عليَّ
الالم نحر نفسي ثم قال : اقص عليك قصتي تستدل بها علي حقيقة تلني اردت الانتقال
من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضل فقال
اذا جئت القنطرة نخذ علي يمينك وهو مشتق من اليمين واذهب الى سكة النعيم وهو مشتق
من النعيم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخالفته لتعسي ونحسي فشاورت
صديقنا جعفرأ وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة نخذ علي شمالك
وهو مشتق من الشوم واسكن دار ابن قلابه وهي هذه لاجرم قد انقلبت بي الدنيا
واضر ما علي العاصفائر في هذه السدرة تصيح سيق سيق فيا انا في السياق ثم انشدني
ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من اخيك فما اراه يراك ولا تراه بعد يومك
واحل به البول فقلت له البول ملح بك فقال

غداً ينقطع البول ياقي الوبل والبول
الا انت لفساء الله حول دونه الغول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذنبه نفسه
والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته
بيده يجأها نفسه خالداً مخلداً في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على
منخره في النار خالداً مخلداً من تحسي سماً حشر يوم القيامة وسيمه بيده يتحساه خالداً
مخلداً^(١) في النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءني ابو تمام الى خراسان فبلغني انه لا يصلي فوكلت
به من لازمه اياً ما فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال : يا مولاي قطعت الى حضرتك
من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم اره يثقل علي فلو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني
وتركها يضرني ما تركتها فاردت قتله فغشيت ان يحمل علي غير هذا

وفي تاريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدمه بيوم سخط على الافشين
لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل ويطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار
وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهده المعتصم فأقر انه كتب الى المازيار لم يكن في
الارض ولا في العصبلية الا انا وانت وبابك وقد كنت حرباً علي حتى
كان من امره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم
فان هزمت وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فاجابه المازيار بجواب هو
عنده سقط احمر فجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان
وراء المازيار مالا جليلاً فأنشد

ان الاسود اسود الغاب همها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان اثنين قتلا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذباح بالثياب الجمر والخنجر
الطوال وانهم وجدوا اسماء في وقعة وقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد
علامة خاتمه او ثوبه او متدليه او تكته اتى الوادي فطم على القرى
قد لقيت من يجادلني ان عليا رضي الله عنه وكذلك الحاكم^(٢) وقد ظهر بالبصرة من

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

يدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولو استقصيت
القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لا بد للمصدر ان ينثنا والذي في الصدر ان يبعثنا
بل لو قلت كل ما امله اكلت زادي في محبي بل كنت اشد
احمل راساً قد ملأت حملة الا فتى يحمل عني ثقله
واستريح الى ان اشد

ليس يشني كلوم غيري كلومي مابه مابه وما بي ما بي
ان شكوت العصر واحكامه وذمت صروفه وايامه شكوت من لا يشكي
ابداً وذمت من لا يرضي احداً شيمته اصطفاً اللثام والتحمل على الكرام وهمته
رفع الخامل الوضع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمح بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء
واذا اعار فأحبه قد اغار فما بين ان يقبل عليك مستبشراً ويولي عنك متبهماً
مستبشراً الا كبح البصر واستطارة الشر لم يخترق ذكر الوفاء سامعه ولم يمس
ماه الحياء مدامه ظاهره يسر ويونس وباطنه يسوء ويونس يخيب ظن راجيه
ويكذب امل عافيه لا يستمع الشكري ويشمت بالبلوى قد ذمت سيناً ووقعت فيه
انا كالغريق يطلب معلناً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قلب علي بن العباس
ابن جريح الرومي

الا ليس شيبك بالمتزع فهل انت عن غية مرادع
وهل انت تارك شكوى الزما ن اذا شئت تشكو الى مستمع
شيب اخي الشيب أمانة اذا ما تناهر اليها هلع

كنت في حال الحداثة اقرب الناس اليّ واعزهم عليّ واقربهم عندي واجلهم في
نفسي مرتبة من قال لي نسا الله في اجلك جعل الله لك امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر
الثمانين جاء الجرع والخلع فم ارتاع والامع واخذ الي الاطباع وهو الذي كنت اتقنى
ويتمنى لي اهلي امن صدوف الفواني عني فانا والله عنهن اصدف وهن وادواهن اعرف
اذ انت ممن ينشد تحميراً عليهن

للأسود في السود آثار تركن بها لمعاً من البيض ثني اعين البيض
وقوا الآخر

ولما رأيت النسر عن ابن دابة وعشش في وكري بجاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة الجري

ان ايامه من البيض يبيض - مارأين المغارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوثا - واذا النقع ثار ثاروا اسودا
بحسن الذكر منهم والاحاد - ش اذا حدث الحديد الحديد
بلدة تنبت المعالي فما يت - غير الطفل فيهم اويسودا

وهذه صفة معرفة النعمان به ادام الله تأييده لاخت منه ومن النعمة عليه وعنده
فقد وجدت اهلها متفرقين بعوارفه خلا ابي العباس احمد بن خلف الممتع ادام الله عزه
فأني وجدت آثار تفضله عليه ظاهرة ولسانه رطبا بشكره وذكره وقد ملا السماء دعاء
والارض ثناء . قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام اتباعك من هؤلاء الموالي
كابل وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال
نعم والله لئن كانوا قليلا لكثرن ولئن كانوا ضعفاء لشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى
بهم ويتندى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا بين
الجاهلية فلما يدهده الجبل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فأتبعوني اجعلكم انساباً
والذي نفسي بيده لتتقمن كوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبق علي وعلى
نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خاذل ومسته فقال يا عم رآه لو وضعوا الشمس في
يمني واتمر في شمالي نلتى ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله ام اهلك فيه ما تركته ثم
استعبر باكياً ثم قام فلما ولي ناداه اقبل يا ابن اخي فانبل فقال اذهب وقل ما شئت فوالله
ذا اسلمتك لسوء ابد فكان عليه الصلاة والسلام بذكر يوماً مالي من قومه من الجهد
والشدة قال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عشرة ليلة مالنا
طعام الا البرير في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة
التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً مالنا طعام الا ورق البشام اكناه حتى نقرحت
اشد اقنا ولقد وجدت يوماً قمرة فجعلتها بيني وبين سعد وما منا اليوم احيد الا وهراة
نلتى كورة وكانوا يقولون فيمن وجد قمرة فقسمها بينه وبين صاحبه ان اسعد الرجلين
من حصلت النواة في قسمه بلوكها يومه وليلته من عدم الفتوك وكذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لهم بالثرار يطاوتدا امره انه وقف على الصفا
ونادى يا صبا طاه نجاء وايرعن قتالوا : مادهمك ما طرقت قال : بما تعرفوني قالوا محمد
الامين قال : أرايتم ان قلت لكم ان نبلاً قد طرقتكم في الوادي وان عكرت بذي غنيمكم

من الفج اكتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ماجربنا عليك كذباً قط . قال : فان الذي
انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لا اله الا الله واشهدوا اني رسوله
واتبعوني تطعمكم العرب وتملكون النجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابت
جيشاً ابث خمة امثاله وضمن لي انه ينصرني بقوم منكم وقال لي : قاتل ابن اطاعك من
عصاك وضمن لي انه يغلب سلطانك كسرى ويقصر ثم انه عليه الصلاة والسلام
غزا تبوك في ثلاثين الفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشي كل شي ويجعل كل
شي لاشي يحمد المائعات ويبيع الجامدات بحمد البحر ثم بفجر الصخر وما مثله في ذلك الا
كثرة من قال هذه الرجاجة الرقيقة السخيفة احك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيقة
قترضها وتقضها وهذه الخلة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة المعدة وكذا حقيقة
امره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم
اليه صلى الله عليه وسلم بالحدبية لقد وردت على النجاشي وكسرى ويقصر ورأيت جندهم
واتباعهم فما رأيت اطوع ولا اوقر ولا اهيى من اصحاب محمد محمد حم حوله وكأن
الطير على رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توشأ اقتسموا وضوءه وان تنظم
دلكوا بالخمسة وجوههم ولحائم وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى
لقد قال بعض اصحابه ذات يوم لاصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من
خوف اسلافهم فتأمل كيف استنبح دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فراه
العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهباء تعظم وتصير جبلاً يغطي
الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل
الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل يا عثمان فكأنك بمفتاحها بيدي
اخذها حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وانا
استعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معني على دفع شهواتي واشكو اليه عكوفي على
الاماني واسأله فيما لمواظ على الدنيا فقد عميت عن كلوم غيرها بما جشم على خواطري
من الشغف ولست اجد مني منصفاً لي منها ولا حاجزاً لرغبتى فيها عنى واين ودائع العقول
وخزائن الافهام يا أولي الابصار صفحنا عن مساوي الدنيا غمماً لعلجل موفى التغيص
وترى اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأني اتادي صخرة حين اعرضت من الصم لو تحشي بها العصم زلت
واقول على مذهب كثير يادنيا في كل لحظة اطرفي منك عبرة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يا مرققة الصفا ويا ناقضة عهد الوفا ما وفق لحظة من عرج نخوك ولا سعد من اثر
المقام على حسن الظن بك هيهات يا عشرين ابناء الدنيا كنكم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن
اهل الثقل لم نفس هذا المعنى كم من يوم لي اغر كثير الالهة قد اصحت سماؤه وامتد
علي ظله تمدني ساعاته بالني وبضحك لي عن كل ما هوى حتى اذا اتصل بكل اسبابي
وامتزج سروره بفرجي وروحي واترابي نفست علي به الدنيا فسعت بالتشتيت الى ألفته
والتقص الى مدته فكسفت بهجته كسوقاً وار هقت نضرة وحشته الفراق وقطعتنا فرقاً
في الآفاق بعد ان كنا كالأعضاء المؤتلفة والاغصان اللينة المتعطفة واحسرتني في يوم
يجمع شرقي كفن ولحد

ضيعت ما لا بد منه بالذي لي منه بد

وانشد قول ابن الرومي

الا ليس شديك بالمتزع فهل انت عن غيه مرتدع
فاقلق وابكي بكاء غير نافع ولا نالجع ويجب ان ابكي بكائي وانشد
لساني يقول ولا افعل وقلبي يريد ولا اعمل
واعرف رشدي ولا اهتدي واعلم لكنني اجهل
عرض علي بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقلت خلوني والمطبوخ على مذهب
الشيخ الازواعي وقلت لم عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن خازم الخمر فامتنع وانشد
ابعد شيبني اصبو والشيب للجهل حرب
من وشيب وجهل امر لعمر ك صعب
يا ابن امام فالأ أيام عودي رطب
واذ مشيبي قليل ومنهل الحب عذب
واذا شفاء الغواني مني حديث وقرب
فالآن لما رأى بي العذاب ما قد احبوا
وأنس الرشدي مني يوم اعاب واصبو
آليت اشرب خمرأ ما حج لله ركب

واقبلت على نفسي مخاطباً ولها معاتباً والخطاب لغيرها والمعنى لما قد امهلكم حتى كأنه امهلكم
اما تستحيون من طول ما لا تستحيون فكأن كالوليد ثقله يد اللطف به على فراش العطف عليه
تصرف اليه المتاعف بغير طلب منه لصغره وتصرف عنه المضار بغير حذر منه لبحره اما سمعت

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعاء اللهم اكلاً في كلاً الوليد الذي لا يدري ما يراد به ولا ما يريد الا متعلق والاذلال اذ ياله الامد مطية ورحلا ليوم رحيله ياهلاه الدجلة الدجلة انه من يسبق الى الماء يظلم انما منعته ماتتني ضناً بك وغيره عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا احب الله عبداً حماه الدنيا وانت تشكو في اذا حميتك وتكره صيانتني اذا صلتك الا لا تذبذبنا ليعز الا فارنا اليها لا فار منا يا من له بد من كل شيء ارحم من لا بد له منك على كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه شيء فلماذا قال جبريل للخليل الك حاجة قال : اما اليك فلا الله يستحق ان يسأل وان اغنى لانه لا يغني بشيء عنه اطعمه لنطيعه ولا تطعمه ليعطيك فتفتر وقمل * من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحناه جل من لوالب التلويح والههم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

انسيت ذكر احبة ينسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم ولطالما كانوا خلافاً طوع امرك
وصبرت عند غفرتهم ما كان عذرك عند صبرك

ترك من اذا جفوتهم ونسيت ذكر. وتعديت حده وتركته منه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في تفضله عليك عليه وفلت : يارب قال : لك لييك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » ان كان الباب بوجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تنهمني انت الذي اذا اعطيتك ما املت تركتني وانصرفت « واذا نعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانه » يا واقعاً بالهم كم كم اليس يقول لك ما غرك في نقول حلك والا لو ارسلت علي بقة لجمعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهي وشمك ريحان اهل النقي
عشت فاصبحت في العاشية من اشهر من فرس ابلق
ادنيائي من غمر بحر الفوس خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عيب فبكوني كمن اذا سره عيبه اعتقا

كان يبعد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه فاذوه رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لا يتورع عن ركوب عنزة يقال له يا فاذوه وبلك تب الى الله فيقول يا قوم لم تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشوارع قد اتسع اسفله وضائق اعلاه والتمت جناحان فيه فناولت جارة

جارتها مهراساً انسل من يدها على رأس فاذهو فهرس رأسه وخطط كخط المريسة واعجبه
عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذهو .

قال جبريل في حديثه خشيت ان يتم فرعون الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من
حال البحر فضربت بها وجهه يعني طينه والحال ينقسم ثمانية اقسام منها الطين فكيف
يصنع من عنده ان التوبة لاتصح من ذنب مع الاقامة على آخر فلا حول ولا قوة
بخفي عن مولاي الشيخ ادام الله تأييده انه قال وقد ذكرت له اعرفه جزأ هو الذي
هجا ابا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه رائع لي خوفاً ان يستشر
طبعي وان يتصور في بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التنصير
انفع لي عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وانا اطاعه علمه ليعرف خفضه ورفع
وفراده وجهه .

كنت ادرس على ابي عبد الله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين
المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على ابي علي الفارسي وكنت
اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرائي وابي عبيد الله المرزباني
وابي حفص الكشائي صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبلغت نفسي اغراضها جهدي والجهد عاذر ثم سافرت منها الى مصر ولقيت ابا الحسن
المغربي فالزمني ان لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو
والنجاف فقال لي سرّاً انا اخاف همة ابي القاسم ان تنزوبه الى ان يوردنا ورداً لا صدر
عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعني بها فقال لي يوماً
ما نرني بالحمول الذي نحن فيه قلت واي حمول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه
في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وشو معظم مكرم فقال : اريد ان
تصار الى ابرارنا الكشائب والمواكب والمقائب ولا ارضى بان يجري علينا كاولدان
والنسون فأعدت ذلك لي ابيه فقال : ما خوفني ان يحضب ابو القاسم هذه من هذه
وقبض على الحية وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الي القائد ابو عبد الله الحسين بن جوهر فشرفتني بشرى خدمته فرأيت
الحاكم كلما قتل رئيساً انفذ رأسه اليه وقال : هذا عدوي وعدوك يا حسين فقلت من
ير يوماً يربه والده لا يعتبر به وعلمت انه كذا يفعل به فالتأذنت في الحج فاذن فخرجت
في سنة سبع وتسعين وحجبت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتلته فجاءني اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولايكم ببغداد ودائع خمسمائة
الف دينار فاهربوا واهرب ففعلوا وفعلت وبلغني قتلهم بدمشق وانا بطرابلس فدخلت
الى انطاكية وخرجت منها الى المظمية وبها الماسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقمت
عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى مياالرقين فكان يسر حسوا في ارتقاء
قال لي يوماً من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان العنك
قلت فالعني غائباً قال : لا في وجهك اشفي قلت : ولم قال : لخالفك اباي في ما تعلم .
وقلت له ونحن على انس ببني وبيته لي حرمات ثلاث البلدية وتربية ابي لي وتربيته
لاخوته قال هذه حرم مهشكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منه لنا عليك
وتربيته لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام
فخشيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنوناً واضح منه مجنون واجن منه لا يكون
وقد انشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون
بل جن جنانه ورقص شيطانه

به جنت مجنونة غير انها اذا حصلت منه الب واعقل
وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسع لي
ما ارضاه فقلت انا افعل من هذه الساعة قال انت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت
القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صباي وفي هول ما التي وما اتوقع
نحول وحرق في فناء ووحدة وتسبيد عين واصفرار وادمع
فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب
وقلت : انت ذا كر قول ابيك لي ولك وللبي الشاعر ولحسن الدمشقي ونحن في الطارمة
اعملوا قطعة قطعة فن جنود جعلت جائزته كتبها فيها فقلت

بلغ السماء سمو يد تشيد في اعلى مكان
بيت علا حتى تو ر سيف ذراه الفرقدان
فانعم به لازلت من ريب الحوادث في امان
فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع على وكان ابو القسم ملولاً والمول ر بما لم
الملال وكان لا يمل ان يمل ويحقد حقد من لا تلين كبده ولا تفحل عقده وقال لي بعض

الرؤساء معانبا: انت حتود ولم يكن حتوداً فقلت له انت لاتعرفه والله مساكن يحيى
عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العتوق ويمقت اليه رعاية الحقوق بعيد من
الطبع الذي هو للصد حدود وللتألف الوف ردرد . كأنه من كبره قد ركب الفلك
واستوى على ذات الحبك ولست ممن يرغب في راغب عن وصلته او ينزع الى نازع عن
خلته فلما رأته ساوراً جارباً في قلة انصافي على غلوائه محوت ذكره عن صفحة فؤادي
واعتددت وده فيما سال به الوادي

ففي الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عر دار القلى متحول
وانشدت الرجل ابياتاً اعتذرها في قطعي له

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيداً قلنا ان خيراً مع الشر
ولو كان اذ لاخير لاشر عنده صبرنا وقانا لايريش ولا بهري
ولكنه شر ولا خير عنده وليس على امر اذا دام من صبر

وبغضني له شهد الله حياً وميتاً اوجبه اخذه محارب الكعبة الذهب والفضة وضر بها
دنانير ودرهم وسماها الكعبية واناب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سفك وحرىم
انتكح وحره ارملة وصبي ايتم وانا معتذر الى الشيخ الجليل من تقرظته مع تقرظي فيه
لانه قد شاع فضله في جميع البشر وصار غرة على جبهة الشمس والقمر خلل ذلك في
بدائع الاخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار وانا في مكتبة حضرة بمنظوم
ومشور كمن امد النار بالشرر واهدى الضوء الى القمر وحب في البحر جرة واعار سير
الفلك سرعة اذ كان لا يحل النقص بواديه ولا يطور السهو بناديه

ولقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ان نعمتها فقد عبتها وان وصفتها فما انصفتها
واطرقتي يشهد الله اطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله
يقلب طرفه في هذا ويرجع الى هذا فان القلم لسان اليد وهو احد البلاغتين لكن ذلك
عجيباً صعباً شديداً ووالله لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه اذا قرأت عليهم الكتب ولا
صبا الكبار رجعوا الى اصولهم كالقبايلين يتحفظون من سهو وصحيف وغلط والعجب
المعجب والناذر الغريب حفظه ادام الله تأييده لاسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من
الاذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طمع فيه ومن رآه
امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني ابو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه اذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه واخرج كتب اللغة وفرقها على اصحابه يفتشونها ليحيب عنها وتركه، وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحبرة فاجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال ابو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي ابو عمر كنت اعلق اللغة عن ثعلب على خرف واجلس على دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذلك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طري الحفظ ومضيت الى مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض الموثمية وارادت بزعمي وخديعة الطبع الملم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وادرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكي عياني حكماً مؤلماً وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اياها صرت باقلاً واضع كتاباً عن عيني واطلبه عن شمالي واربدع ضعفي ارتاد لنفسي معاناً يظهر غير نظير بل كبير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فجملي دمايل ومعى بقية نزة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما ارفه به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وانا اجد من ادفعها اليه وبقي ان يردها الي

دفع رجل الى صديق له جارية اردعها عنده وذهب في سفره فقتل بعد ايام ابن يانس به وتسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن ظريف الاخبار ان بنت اخي سرق لي ثلاثة وثمانين ديناراً فلما هدهدا السلطان اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه ورفعته واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلتها فاعجبوا من هراستي وزوني في الله لولا ضعفي وعجزى عن السفر ظرجت اليه متشرفاً بجاسته ومجاسته فلما مذاكره فقد يئست منها لما قد استولى علي النسيان واحتوى على قلبي من المصمود والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من : حمي الى من لا يرحمني وليس يحكم من شكارحياً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير . وقال يوماً : يا جواد ثم امسك مفكراً ورفع رأسه ثم قال : ما اوتخني اقول لك يا جواد وقد قبل في بعض عبيدك

ولم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله
وقد قيل في آخر

تراه اذا جئته مهللاً - كأنك معطيه الذي انت سائله

ثم قال : بلى اقول يا جواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد . ودخل ابن السكك
على الرشيد فقال له عظمي وفي يد الرشيد كوز ماء فقال : مهلاً يا امير المؤمنين ارايت ان
اقدر الله عليك مقدراً فقال لن امكنك من شربة الا بنصف ملكك اكنت فاعلاً ذلك
قال : نعم قال : ان شرب هنالك الله فلما شرب قال : ارايت يا امير المؤمنين ان لو اسقت
نفس هذا المقدر عليك فقال : لن امكنك من اخراج هذا الكوز الا بان استبد بملكك
دونك اكنت فاعلاً ذلك قال : نعم قال : فاتق الله في ملكك لا يساوي الا بولة وكيف
اشكو من فائتي وعالي نيفاً وسبعين سنة كان قيصي ذراعين فوكل في الدين حديدين
مشققين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعاً تولاه هو وطعاهي فما
اجاعني قط ولا اعزاني والذي هو يطعمني ويستقن ربه بالادب فقال - واذا
مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل
شيء يطرأ على الانسان لا يتقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم
والسرور والخصب والجذب والغنى والفقر فهو منه تكدست اسماءه الا تركه انه
لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يتقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة
فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعدة لا يتقدر على امساكه
يد ومن ليست به يتقدر على امساكها

كنت بتيس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن : « يرفون بالنذر ويخافون » ويبيكي فخطرت لي
خاطر فقات انا بضد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم انا لا اتذر ولا اسيء ولا اخاف
شقاء ولا عناء ولو كنت اخاف ما اصحيت مجموعاً زكنته وحدثني من اثني عشر ولا اهتمهم
عن ابيه وكان زاهداً قال : كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي بباب
الطاق فرأيتا شارباً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بيرة فضجاً الى جانبه قد عمل
حلاوى فالوذجا فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يا مولاي : دعني آخذ من هذا
وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجمل راحتك اليوم عندي فقال : يا هذا
انظمت اني قد اشتبهتهما وانما فكري في ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت
ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شيبة وجل كأنه من حذار النار مجنون
 قد كانت ذم افعلها مذمة ايام ليس له عقل ولا دين
 تمت الرسالة واغد الله ذي الافضل وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من
 هذه السوداء حتى ثارت بي السوداء وانا اعتذر من خطي فيها اذ نزل فأت الخطأ مع
 الاعتذار والاجتهاد والتحري موضوع عن الخطي ومن ذا الذي يوقى الكمال فيكمل
 قال عمر بن الخطاب: رحم الله امرأً اهدى الى عيوبه واسأله ادام الله عزه تشريفي
 بالجواب عنها فان هذه الرسالة على ايها قد استحسن وكنت عني وسمعت مني وشرفتني
 بأسمه وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهرجي الي كانت اكبر الاسباب في دخولي
 الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها شاء الله وبه الثقة وصلى الله
 على سيدنا محمد وآل آل وسلم .

الدين والدنيا

واين يختلفان وكيف يتفقان

ادخر لدياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم صيحة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان .
 وهي على كثرة الصالحين فيها قد صارت اشبه شيء بلغة زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم
 واختلفت لهجاتهم وتباينت نغاتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوتين خلط هؤلاء
 المغنين كخلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . وينظر غيرهم الى الدين كأنه لا شيء .
 وبين هؤلاء واولئك افراد وزمر واقوام يتشاحتون ويتجادلون ويتخاذلون ويتشككون
 تعصبا للدين واكنهم في الحقيقة يستخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة
 ووجد لها السراط الى طلين

في تعاليم كنفوشيوس المسالمة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الفثسية وهي
 احط الادان في نظر الراقيين لازل لما نحن فيه ان العداء بسبب اختلاف المعتقد بل
 كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم « من يعلم

روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض . جامعة ص ٣ - ٢١ « فكأن سليمان يوعز الى قومنا بان يفثاوا من حديثهم في احتكار طريق السماء . وفي الانجيل « في بيت ابي منازل كثيرة . وان الذين بلا شريعة فبنير الشريعة يدانون . وان كل من عمل خيراً مقبول عنده » فعلى م التعصب . وفي القرآن الشريف « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وان الله رب العالمين » ولم يقل رب النصارى ولا رب المسلمين

وفي حكم العقل ان الله تعالى يجعل عنه ان يخلق اما وشعوباً ليعلمها برمتها طعماً للنار لانها عملت بشريعة الضمير التي سنها هو لتكون شريعة عامة وتجاوزت بعض الامور العرضية التي لم يفتن لها ان تقتنع بها لرسوخ غيرها في مكانها مما لا يضر بالانسانية ولا يفضب رب البرية

وفي حكم الكتب المنزلة والعقل معاً ان الهنا الرحوم الغفار . الحب الاب السماوي . لم يخلقنا ليظهر قوته وبطشه فينا فيرسل بعض ابناؤه الى بحيرة النار المتقدة لانهم يسرون اليه في طريق لا نراها نحن موصلةً اليه اما لتقص في مداركنا واما لانه تعالى لم يشأ ان يوحى الينا كامل ارادته في خلقه . او يعقل ان ننسب للاله الذي هذه صفاته محبة التلهي بنظر لحوم ابناؤه وهي تشوى في نار جهنم كأنه يسير بتعذيبنا وهو الرحيم الرحمن الغفار لجميع ذنوبنا اذا آمنّا به كما نحن مؤمنون ؟

إذا فالموحدون جميعاً وجهتهم الاله الواحد واليه يسرون . فلماذا هذه القيامة القائمة على الارض وهذا التعصب الذميم الذي يفرق الاخ عن اخيه والابن عن ابيه . انزلت علينا آيات بينات بكرة كل من خالف معتقدنا وبأثارة حرب عوان على اخواننا في الدين من الموحدين . بل مالنا ولكفرة المحدثين والله رقيب عليهم ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم لانه على كل شيء قدير .

نعلم ان جميع الاديان توصي بمحبة الناس بعضهم لبعض ومنع الاعتداء . وبالمسالمة . والاخاء . فضلاً عن شريعة الضمير ووصية كنفوشوس والسيد المسيح معاً القائلة

« مهما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا هكذا انتم ايضاً بهم »

فأين حكم العقل والضمير وهذه التعاليم السامية من سير البعض منا من يتصافون بالخناجر ويسلمون بالمسدسات لا لسبب سوى كون الفئة الواحدة تسير الى خلفها في طريق موازية لما تسير فيها الأخرى :

أهكذا تكون مقدمات الام التي تريد الرقي في عمرانها . ام نظن ان الله يرضى
عن مثل هذه الافعال التي ما انزل بها من سلطان

بقي ان مثبت التعصب ليس في الدين نفسه بل في ما ادخل عليه من التقاليد
والشروحات والتفاسير المضلة التي قد سمت عقول العامة حتى صاروا ينظرون بعضهم الى
بعض نظر العدو الالدد على رغم كونهم ابناء وطن واحد تجمعهم جوامع اللغة والتومية
والوطنية ووحدة المعتقد بربهم اجمعين

حقائق حالتنا في الشرق لما نذرف لها الدموع السخينة . لاننا تركنا الجوهر
وتمسكنا بالعرض تركنا العبادة الحقيقية بالروح والحق وصرنا ننظر الى الاسماء لا الى
السميات . فمن كان اسمه محمداً او بطرس او هررون او حمزة او مارون او نقولا صار
كأنه يحمل في عنقه علامة ليقبلة كل من يجده من اخوانه في الانسانية واشقائه
في الوطنية

فاني م يا قومنا نبقى على هذه الحالة المحزنة نخلط الدين بالدنيا في معاملتنا وصلواتنا
ووظائفنا وخدمتنا الوطنية وواجباتنا القومية

الا بدري رؤساؤنا الروحانيون ان كلمة منهم تغير مبادي العامة اكثر من مجلد يكتبه
غيرهم من الناس . فلماذا لا يتكلمون ويزيلون الوحشة بل الغلظة من قلوب الرعايا مع
بقاء المعتقدات على اصلها مجردة عن الزيادات

هو ذا بعض المفكرين من اخواننا المسلمين في وادي النيل قد جاهدوا بوجوب
الاصلاح الديني ودعوا الراسخين في العلم الى مجتمع يبحثون فيه لتنقية الدين ما طراً
على محيطه من الشوائب التفسيرية والعادات التقليدية التي لا تتفق مع جوهر الدين .
فلماذا لا نحذون نحن حذوهم فنعمم نفهم ونزع عن الدين صبغة التعصب التي شوهته بها
العصور الوسطى ولا تزال عليه الى الان

يظهر ما تقدم ان الدين والدنيا يتفقان اذا نزعنا عن الدين ما الصقه به المتعصبون
من الزوائد الضارة وهو يزداد اختلافا كلما زدنا تفننا في تفسير التعصب ونقبر بجه اغراء
السذج ببقائهم على ما هم عليه من الجبل المطبق

دبتنا — لا تخف يا اخي التي فان لا قوة بشرية تقدر على اختطاف دينك منك
ولا على زعزعة اركانه اذا كان مؤسسا كما تعتقد على الصخر .
فدع الزوابع تهب وافرح بعدم اقتدارها على هذه . اما اذا كمت حذراً خائفاً على

دينك فحيطه بسور لثلا تسفيه الريح فثقتك اذا بصاحبه قليلة ، ولتلك تحاول انت ان تملأ نقص هذه الثقة . الا تعلم ان الحق يعاول ولا يعلى عليه وان الصحيح لا يتحول الى فاسد باختلاطه بالامور الدنيوية بل يطفو كالزيت فوق عكر الماء وتظهر شوائبه لاقبل نظرة كما قد ظهرت الشوائب التي ادخلت فيه الى الآن

كلمة الى حضرات رؤساء الاديان — جاء في الاسفار الدينية « رئيس شعبك لا تقل فيه سوء » . فانتم رؤساء الشعب الروحيون ولذلك فاننا نجل مقامكم ونحترمكم ونضمن لكم حفظ الرئاسة الدينية على شرط ان تفصلوا الدين عن الدنيا لانكم لستم رؤساء فيها ولا يجوز ان تكونوا لئلا يلتوي عليكم الامر في سياستنا التي تحتاجون معها الى توحيد القوى العقلية . وبعد هذا نرجوكم ان تفهموا الفلاح والصانع والتاجر والواعظ والكاتب وغيرهم ان يحترف كل منهم حرفته العالمية مجردة عن كل صبغة دينية . واذا جاءكم طلاب الوظائف وارباب الدعاوي واحتفواكم الى المراكز الدنيوية وبشتم فيهم روح الدين الصحيح القاضي باعتبار جميع الناس اخواناً في الدنيا . واذا جاسرتم ببدا الاخاء من على المنابر . واذا تزعمتم قلوب الشعب اشواك الجبل الديني — وهو التعصب الدميم . واذا اعطيتمونا قدوة تتبعها في هذا السبيل . فانكم اذا فعلتم جميع ذلك تخدمون الدين والانسانية معاً وحينئذ تروننا تزيد مقامكم رفعة ونجل جميعنا راسمكم شاكرين لانكم بذلك تسكرون السنة المتذمرين

هذه هي الطريقة المثلى لفصل الدين عن الدنيا ولتعزيز المراكز الدينية العليا لان بها يستوفي العمران نصيبه ويحافظ الدين على حقه
فن لنا من ساداتنا الزوجين بمن يبدأ بالمجاهرة بهذا التسامح وهذا التسامح فسطرها
له باكورة للاصلاح الديني في القرن العشرين

دينانا — علينا في دنيانا واجبات كثيرة لا بد في قضائهم من التعاون والتضاد بقطع النظر عن الدين . هو ذا البلاد في حاجة الى الشركات الوطنية وتوحيد الكلمة القومية في الدفاع عن الوطن وفي تمحيه بها حسن من الحضارة الحديثة . فمن يقوم بهذه الاعمال ومتى يتم لنا النجاح اذا بقي الدين حاجزاً بين ابناء المذاهب المتفرقة . او كيف يمكن ان نهض معاً ونحن ننظر بعضنا الى بعض شزراً كنظر الغريب الى الغريب المعتدي . ام تكذب على انفسنا وعلى الله بقولنا ان الدستور قد وحدنا المبادئ القومية

وما قومنا للآن الا المذاهب متجسمة والضغائن كامنة تكاد تظهر من تحت الرمال في كل ملة ومذهب

هذه هي الحقيقة وادلتها تحيط بها احاطة المالة بالقمر . والحقيقة اولى ان تقال لثلا يذهب بنا الوهم الى الاعتقاد باننا قد صرنا كما اظهرنا في بدء حياتنا الدستورية أجل ان فينا العدد العظيم من يريدون الاخاء وينادون به بالسنتهم وجرائدهم واعمالهم ولكن لا يزال في البلاد كثيرون من نصراء الدور السابق ممن يلقون الشقاق في كل ملة ويشنون الناس عن سيرهم في دنياهم مناخين

فاعمال هؤلاء لا يكشفها الا حملة الافلام المناط بهم الدفاع عن الجامعة القومية ولقد كان لجرائدنا على اختلاف نزعاتها الفضل العظيم في امالة اخواننا وتحويل الرأي العام عن التعصب الى الحربة والمساواة والاخاء ولا تزال نطمع من زملائنا باعادة الكرة المرة بعد المرة على كل خاطئ للدين بالدنيا

وانا لنعجب من استحكام هذا الشر في بلادنا الشرقية حيث الذكاء يتدفق من العقول في حين اننا لانرى عند غيرنا عشر معشار ما نحن فيه من الشقاق

أسبب ذلك كون ارضنا مهبط الوحي ومهد الصالحين ؟

أنكون اول من قصد الله بنا خيراً فحولناه الى شر عظيم ؟

أهكذا كانت غابة محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ان يزرعوا في قلوبنا

العداوة الى ابد الأبدين ؟

أقصد هؤلاء الداعون الناس الى طاعة ربهم ان يعلموا الشقاق في دنياهم

بواسطة الدين ؟

كلا . ثم الف كلا — اننا نحن السبب في ذلك كله لان نفوسنا جانحة الى الشر والله لا يغير قوماً الى الحسنى قسراً اذا هم ابوا ان يغيروا ما بانفسهم . لان الانسان حر في افعاله ليكون لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت

وخلاصة ما نقوله في هذا الشأن اننا قد شعبنا من العداوة وقد كلت خناجرنا من الطعن ومسدساتنا من خطف الارواح فهي تضرع اليها بلسان حالمات قاتلة استبدلوا في بالنظرات الاخوية والمصافحة السلمية والقبالات القلبية . القوي في اليم وسيروا بلا خوف ولا عداوة وتضافروا في اعمالكم وتعاونوا في خدمة وطنكم . انسوا ذكري وامهلوا امري وتساحوا بالغيرة الوطنية والمحبة الاخوية

لقد آن الوقت للاختلاط في الخدمة والاعمال المالية والاندغام في الدفاع والاعي وراء المصلحة القومية

ولا يتم لكم ذلك الا بترك الشقاق فتتركوني ولا يزول الشقاق الا بفصل الدنيا عن الدين وبذلك تريحوني وتخدمون دنياكم وتكسبون رضى رب العالمين
وفي اختتام اننا نبتهل اليه تعالى لينظر الينا بعين الرضا وينزع من قلوبنا شوك الشقاق ويلهمنا رحمة منه الى التوفيق بين مساعيها الدنيوية مع تمسكنا باصول الدين محررة عن الدخيل . رهو حسنة ونعم الوكيل
« خليل محمد »

غرف التجارة

تمة ماورد في الجزء الماضي

ذكرت قبلا بعض ما تمتاز به الغرفة الباريزية على غيرها من الغرف الفرنسية من الامتيازات وقد مضى عليها مائة وسبعة اعوام وهي ذات مقام سام خاص بها ولها خمس لجان علمية استشارية الاولى تبحث في المسائل الاقتصادية كما انها تتوغل بتحقيق مسائل الرسوم الجمركية والادخالية (الاوكتروا) والثانية تشغل بمسائل الوسائل النقلية والثالثة بالمسائل التجارية والصناعية والرابعة بمسائل الصادرات وتعنى الخامسة بالدروس ولها ايضا تسع لجان ادارية تشغل بدور البورصة ومدارس التجارية والمكتبات ٠٠٠٠ ولها ديوان يتولى كتابة تقاريرها الاسبوعية وقد نظمت هذه الغرفة خلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ ستة وسبعين ومائة تقرير في مسائل شتى واتحدت مع عدة لجان ألفت في النظارات وافدت عنها اعضاء الى المؤتمرات الاجنبية .

ونفق كل عام اربعة وخمسين الف فرنك على الدائرة الوطنية للتجارة الخارجية وستة وستين الفا على مدرسة التجارة ومئة وعشرين الفا على مدرسة التجارة العالية وخمسة وثلاثين الفا على الدروس الليلية وسبعة واربعين على دور البورصة وثلاثين الفا على الاوضاع والاعمال المفيدة للتجارة .

وتتولى غرفة التجارة الباريزية ادارة كل من مدرسة العلوم التجارية العالية التي أنشئت سنة ١٨٨١ وموازنتها ٥٢٧ الف فرنك ومدرسة التجارة العالية التي أنشئت سنة ١٨٢٠ وموازنتها (٥١٠) آلاف فرنك ومدرسة التجارة التي أسست عام ١٨٦٣

وموازنتها ٢٣٥ ألف فرنك ونحت حماية غرفة تجارة باريز الجمعية التجارية لتعليم اللسنة
الاجنبية وجمعية الترغيب في اصدار الاموال التجارية الفرنسية وقد استستأ عام ١٨٨١

ذكرنا اوضاع الغرف الفرنسية عامة والغرفة الباريزية خاصة ونبحث الآن في اوضاع
الغرف التجارية في البلاد العثمانية واليك البيان :

قضى القرار الصادر عام ١٢٩٣ بتأليف جمعيات زراعية وتجارية مؤلفة من اربعة
وعشرين عضواً في القسطنطينية واثنى عشر عضواً في حواضر الولايات وثمانية اعضاء
في مراكز المتصرفيات واربعة اعضاء في مراكز الاقضية ومن الشروط الاساسية
النظامية ان يكون الاعضاء الذين يتوظفون في القسم التجاري من التجار والاعضاء الذين
يتوظفون في القسم الزراعي من الزراع وان تكون الغرف ملحقمة ومرتبطة بعضها ببعض
وان تكون غرف الولايات تابعة لمظارة التجارة مباشرة . وكانت الغاية من كل هذا
تنسيق الغرف تنسيقاً ادارياً بحيث تكون مرتبطة بالحكومة ارتباطاً موثقاً غير ان هذا
التنسيق الذي لم ينظر في وضعه الى الوسط والاحوال لم يثمر قط اثمرة المطلوبة . وفي
اليوم السادس من صفر عام ١٢٩٧ اي بعد اربعة اعوام اعلن النظام الاساسي لغرفة
القسطنطينية وفي العشرين من رمضان عام ١٢٩٨ الموافق لليوم الثالث من آب ١٢٩٨
اعلن النظام الداخلي لغرفة التجارة . اصدر في هذا التاريخ قوانين نقضي بتأسيس غرف
صناعية وتجارية على حدة .

وكان اعلان النظام الاساسي لغرف التجارة باسم « النظام الاساسي لثرفة دارالسعادة
التجارية » ولم تسن الحكومة نظاماً خاصاً بغرف الولايات التجارية . ولم يعلم سر نسبة
هذا النظام الى غرفة القسطنطينية على انه لم يكن مستجيلاً لدرج الاحكام والمواد المتعاقبة
بغرفة القسطنطينية التجارية في النظام العام للغرف التجارية .

ولم تمنع هذه الحال تأسيس الغرف في الولايات بل ان هذه حذت حذو استنبول
وانشأت غرفاً قياساً على غرفة العاصمة . وقرر شورى الدولة ان تطبق غرف المحققات
وضعها واعمالها على غرفة الاستانة وان يراقب موظفو الملكية الغرف ويلاحظوا ما يكفل
حسن ادارتها وبقائها وانه انيط بالولاة اشياء الغرف في اوقاتها لايجاد الاسباب التي توكل
الى ترقية التجارة الاهلية وانها (الغرف التجارية) مرتبطة بمظارة التجارة وان لها الحق

مراجعة النظرة اذا دعت الحاجة وابلغ كل هذا الى محل الايجاب واتخذت ايضاً بعض قرارات بما ستجري على غرف الولايات والاقضية من الامتيازات

ولقد تأسست غرف زراعية في بعض الجهات ولم تؤسس في اكثرها ولم يؤسس غرف صناعية مطلقاً ولذلك طلبت نظارة التجارة ان تقوم غرف التجارة باعمال الغرف الزراعية والصناعية وواجباتها . وقرر مجلس الوكلاء قبول هذا الطلب واقترن بارادة منية في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٣٠٦ وعلى اثر الغاء غرف الزراعة والعدول عن تأسيس الغرف الصناعية دعيت الغرف التجارية (غرف التجارة والزراعة والصناعة) ولكن من اللازم الالزب احدث غرف زراعية على حدة لان العنصر الحيوي في بلادنا هو ولا شك الزراعة . ويتيسر للغرف التجارية ان تقوم باعمال غرف الصناعات ولا بأس بتوحيدها لان الصناعات في بلادنا اقرب الى العدم منها الى الحياة .
تقضي النظام الاساسي لغرف التمسطينية التجارية ان تكون مؤلفة من اربعة وعشرين عضواً .

وشروط العضوية اولاً ان يكون المنتخب (بفتح الخاء) بالغاً الثلاثين من عمره ثانياً ان يكون ممن قضاوا في التجارة لا اقل من خمس سنين غير متهم بمجاعة او جنابة ولا مفلس (الا اذا استرجع اعتباره بعد الافلاس) وان يكون من ذوي الشرف والاستقامة . وتجري الانتخابات بالاكثرية الخفية . وعند تساوي الآراء يرجح الأكبر سناً ولا يجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة . ولجنة الانتخاب تتألف من عشرين منتخب اول (بفتح الخاء) عشرة تختهم نظارة التجارة والزراعة (الآت نظارة التجارة والنافعة) وعشرة ينتخبهم التجار فيجتمعون تحت رئاسة ناظر التجارة (وفي الولايات تحت رئاسة الوالي والاولوية تحت رئاسة المنصرفين وفي الاقضية تحت رئاسة القائمين) . واعضاء الغرفة ينتخبون من بينهم رئيساً اول ورئيساً ثانياً بالاكثرية المطلقة ويعرضون هذا الانتخاب على النظارة ليجيزه .

مدة العضوية (ولقد استعمل القانون في هذا المقام لفظة رغبة الاعضاء على ان عضوية غرفة التجارة ليست وظيفة من الوظائف) ثلاثة اعوام ولم يكن يجوز الى تاريخ كانون الثاني لعام ٣٠٥ تجديد انتخاب العضو قبل مرور سنة على انتهاء عضويته السابقة ولكن المادة المعدلة في هذا التاريخ جوزت تجديد انتخاب العضو غب انتهاء مدته . ومن لا يحضر الجلسات مدة ستة اشهر يعتبر مستقبلاً واذا توفي احد الاعضاء واستتال

أوحكم عليه بجنابة اوجحة تنتخب لجنة الانتخاب غيره عند حلول أول اجتماعها ويتم
النظر الجديد المدة الباقية لسلفه . واليك واجبات الغرفة التي ذكرها النظام الاساسي
وهي ابلاغ المواد الآتية رأساً وتحريراً الى نظارة الزراعة والتجارة

(١) وسائل ترقية الصناعات

(٢) ما يجب على النظارة القيام به من الاصلاح والتحوير .

(٣) الامور التي من شأنها ترقية التجارة : تعارف الجمارك، الاشغال العامة (الامور
العمرانية والمنفعة) ، المراسي ، الملاحة في الانهر ، البريد ، اسلاك البرق ، السكك
الحديدية، فتح الطرق والشوارع ، تأسيس دور البورصة ، اصدار الجرائد التجارية .

وفي النظام صراحة بان الغرف مطالبة باحداث سجلات وقيود منتظمة لكل ماله
علاقة بالاعمال التجارية من الاموال والمسكوكات والاسهام ومما يقضي به نص القانون
الزام الغرف بالاجابة عن اسئلة النظارة مؤيدة اجوبتها بهذه السجلات والقيود موقعة
عليها بختم الغرفة

ولغرفة التجارة الحق في وضع نظامها الداخلي كما هو مصرح في احده مواد
نظامها المترجم عن نظام عام ١٨٣١ الفرنسي وقد عملت بموجب هذا الحق وسنت
نظامها الداخلي الا انها دفعته الى الدوائر الايجابية ثم قرنته بارادة سنية بلا ضرورة
نظامية .

يعتبر النظام الداخلي غرفة التجارة مصدر الاخبار التي تتصل بنظارة التجارة عن
التجارة والتجار والصلة بين الحكومة والتجار في الاعمال التي تجري بينهما
والواجبات الاساسية على الغرفة في البحث والتنقيب عن المصالح التجارية والصناعية
والوسائل التي تؤهل الى ترقية الصناعة والتجارة والتدريج بها وعن العوائق التي تحول
دون تقدمها والارغ الحكومة ما تعرض عليه الغرف من نتائج البحث والتحقيق وللغرف الحق
باجراء الامور الآتية عدا عن الواجبات التي سبق ذكرها آنفاً والتي ذكرت في
النظام الاساسي :

اولاً — تدعو الغرف التجارية التجار واصحاب المصارف (البنوك) والمعامل ليجعلوا
اسماءهم في دفاتر الغرف الخاصة والدعوة تعلن بنشرات عامة او في الجرائد .
ثانياً — تسجل سفر التجار (المسجلة اسماءهم عندهم) وقدمهم وافلاسهم

واسترجاعهم الاعتبار التجاري (بعد الافلاس) واذا حكم على احدهم غناً واثماً
بمنحة اوجناية يسجل ايضاً هذا الحكم في دفتر الخاص لهذه الوقائع .
ثالثاً — تصدق مجاناً الكفالات واوراق الشهادات والتقارير ومقدرة الكفلاء
فيما يتعلق بالامور التجارية .

رابعاً — تسجل من محال الائجاب وبواسطة نظارة التجارة اوراق اقامة الحجة
البرتسو التي تنظم بحق التجار واصحاب البنوك والمعامل لعدم تأديتهم البونويات
والسندات المحررة للأمر والسفائح الموقعة بتواقيعهم .

خامساً — تستنسخ في دفتر خاص عين الصكوك والعقود التجارية والصرافية
والجبرية والصناعية والعمرانية المنعقدة خارج الغرفة عند طلب الفريقين المتعاقدين .

سادساً — للغرفة التجارية الحق في ابداء ملاحظاتها في تجديد قانون التجارة
وتصحيحه والنظامات التي لها علاقة بحاكم التجارة وفي تأسيس غرف التجارة في الولايات
ودور البورصة وتوظيف الدلائل وكلاء الكامبيو^(١) وسن تعرفات للدلة وقوانين
لها ولغيرها من الامور التجارية التي يجب ان يكون لها تعرفات ونظامات وفي البنوك
والاعمال العمرانية .

قضت المواد المؤرخة في ٧ المحرم لعام ١٢٩٩ و ١٨ تشرين الثاني لعام ١٢٩٧ المذيلة للنظام
الداخلي للغرف التجارية بان تنظم الغرف التجارية اوراق الشهادات بالكفالات التي
تقدم الى الدوائر الرسمية والمحاكم التجارية والحقوقية باسم التجار وان ترسل الى محل
المزايدة مأموراً تنتدبه ليحضر الحجز والمزايدة للاموال وتقدر التيم من قبل الخبراء
اذا كان ذلك بقرار من المحكمة . ومن جملة ما تقتضيه المواد المذكورة الزام الدلائل
والوسطاء (سماسة التجارة) بتسجيل اسمائهم في الغرفة التجارية وان يأخذوا منها
تذاكر باجراء صناعتهم وان لا يقبل في المزايدات والمناسقات للدوائر الاميرية الا
التجار والدلائل الذين يبدعهم شهادات بانهم مسجلون في دفاتر الغرف التجارية وان
يكون تسطير صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) عليها من قبل الغرف — وقد
أعيد بعد ذلك حق كتابة صحائف دفاتر التجار ووضع اشارة (صح) الى محرر المقاولات
كما في السابق . والمنع الذي ذكر قبل المادة الاخيرة لم يراع الا قليلاً .

(١) الوكالات او الاوضاع التي تشغل بمبادلة الاسهام والاوراق النقدية والحوالات

سبق ان اعضاء غرفة التجارة الاستعمارية اربعة وعشرون وذلك بمقتضى النظام الاسامي ، واما تأليف غرف التجارة في الولايات من اثني عشر عضواً وفي الالوية من ستة اعضاء والاقضية من ثلاثة فهو من احكام المقررات واءضاء الغرفة يجب ان يكونوا من تجار احد الطبقتين : الاولى والثانية المسجلة اسماءهم في غرفة التجارة ويجوز انتخابهم للعزوية من التجار الوطنيين والاجانب على السواء متى تحقق انهم مسجلون في الغرفة . والصنف الاول من التجار المسجلة اسماءهم في دفتر الغرفة هم اصحاب المصارف وهؤلاء يدفعون للزفة خمس ايرات كل سنة . والصنف الثاني من التجار المسجلة اسماءهم في الغرفة هم الذين يؤدون ثلاث ليرات سنوياً والصنف الثالث منهم يدفعون ليرتين والرابع ليرة واحدة عن بدلات الاشتراك^(١) والشركة الذين لم توقيع واحد يعتبرون تاجراً واحداً . والتجار يسجلون اولاً اسماءهم في دفتر الزفة ثم يعتبرون من احد الاصناف الاربعة بقرار من الاعضاء ويحق للاعضاء المسجلة اسماءهم في الصنفين الاول والثاني ان ينتخبوا اعضاء لغرفة التجارة كما ان الاعضاء الموقتين في المحاكم التجارية واخبراء والمميزين لبعض الدعاوي والاشخاص الذين يفحصون الدفاتر التجارية يجب ان يكونوا من الصنفين المذكورين

(المواد المذبلة)

تجتمع اعضاء الغرف التجارية مرة في الاسبوع واذا اقتضت الحال يعتقدون اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس او بطلب كتابي من ستة اعضاء وبعد نصب الرئيسين الاول والثاني ينتخب الاعضاء من بينهم باكثرية الاصوات مشاورين اولاً وثانياً لسنة وامياً عاملاً للصندوق . وما عدا هذا يجوز ان يكون للغرفة امين صندوق بكفالة وكتبة للتركية^(٢) والفرنسية وسواهم من الموظفين والمستخدمين وتجرب في مذاكرات

(١) الغرف التجارية العاملة تصدر جرائد ومجلات اقتصادية واحصائية وتقوم باعمال كبرى تدفع التجار بل ان المصالح التجارية قائمة عليها ولذلك يجوز ان يقال بدل الاشتراك عن القيمة التي تدفع الى تلك الغرف ولعل اصل استعمال هذا التعبير (بدلات الاشتراك) ناجم عن هذه المنافع الحقيقية في غير البلاد العثمانية ومنافعها الموهومة في هذه البلاد المنكودة الحظ

(٢) وكأن لغتنا العربية لاحظ لها من الوطنية فلا تذكر في نظامات الحكومة والمعتول ان تجري معاملات الغرف التجارية بالالسنه الاهاية ولكني لا اصدق الان

الغرفة بحسب ما تقتضيه أعمالها اليومية وقبل ارفضاض الجلسات تنظم الغرفة يومية المذاكرات عن الاجتماع القادم . وعلى الرئيس اعلام الاعضاء كتابة بايام الاجتماع . ولا تهرم القرارات الا اذا حضر الجلسات اثنا عشر عضواً ولكن تجوز المذاكرات اذا اجتمع اقل من ذلك وتكتب الآراء والملاحظات التي يذكرها الاعضاء في اوراق الدعوة للجلسة القادمة والاعضاء الذين لا يحضرون ثانياً اما ان يقبلوا رأياً من هذه الآراء ويلفوه الى الغرفة كتابة واما ان يحضروا الجلسة المعينة في ورقة الدعوة ويعربوا عن آرائهم الذاتية واذا خالفوا في اجوبتهم الكتابية آراء الاعضاء . ولم يحضروا او انهم لم يجيبوا الدعوة كتابة ولم يحضروا الجلسة بثباتاً تعرض الغرفة عن آرائهم ويبرم القرار ولولم يبلغ عدد الاعضاء المقدار المعين .

والغرفة الحق في تعيين لجان مؤلفة من غير الاعضاء للنظر في بعض المسائل ولا يجوز ان يتجاوز عدد اعضاء هذه اللجان الستة وتنتدب الغرف احد اعضائها ليضم الى اللجنة ويقوم بوضع لائحة تتضمن نتائج البحث عن المادة المحولة الى اللجنة . وللرئيس الحق في تأليف لجنة للبحث في المواد الجديدة بالقبول المبلغ الى الرئيس تؤلف من ثلاثة رجال ينتخبهم الاعضاء ويقضي النظام الاساسي بأن تكون مداخيل الغرف التجارية عبارة عن بدلات الاشتراكات التي يدفعها التجار وبعض الرسوم (ولم يذكر صاحب المقالة هذه الرسوم) وما زاد على نفقات الغرفة من المداخيل يجوز انفاقه بقرار الغرفة واذن الحكومة معاً على انشاء مدارس وجرائد تجارية . ولكن يرصد منه مبلغ لا يقل عن مئتي ليرة لاحوال طارئة . والغرفة مكلفة بتنظيم ميزانيتها لآخر كل سنة .

وهذا تعريب نص احدى المواد الانتهائية :

(تعرض الغرفة التجارية على انظار مراحم (؟) الحكومة الجوائز لدوي الاختراعات الصناعية التي ينجم عنها منافع عامة .

الذي افسد مدارس الحكومة — بل وكثيراً من المدارس الاهلية — بمسند الغرف والاندية التجارية والسياسة التركية المحضة التي تفادي بالغاية الاولى من المدارس في سبيل تزيك الامم تفادي بكل فائدة او ثمرة ولا تسمح للغرف باجراء معاملاتها ومخابراتها بالعربية .

ان النظامين الاساسي والداخلي لغرفة التجارة المعدلين بمقررات من شورى الدولة لاستحالة تطبيق موادها على الولايات محتاجان الى تعديل مهم يجب ادخاله عليهما :

اولاً : ان النظام الاساسي لغرف التجارة مختصر كثيراً وخاص بالعاصمة وثانياً ان كثيراً من مواد النظام الداخلي يجب ادخالها في النظام الاساسي ولذلك يجب مزج النظامين المذكورين ومراجعة آراء الغرف التجارية في العاصمة والولايات وتدقيق النظمات الأوروبية ثم بعد ذلك يجب على نظارة التجارة سن لائحة قانونية لتعرض على مجلس الامة في اجتماعه القادم

ولاشك ان الفوائد التي تنجم عن انشاء الغرف التجارية على أسس الحقوق والواجبات وتنسيقها بحيث تكون مثلة للتجار ونائبه عنهم تكون عظيمة . وبعد قبول مجلسي الامة والاعيان اللائحة المذكورة واقرارها بارادة سنوية يجب الشروع بالعمل بها دون تأخير ومن الضروري اعطاء حق وضع النظام الداخلي للغرف نفسها بشرط ان لا يكون مناقضاً للنظام الاساسي ويجب ان تسجله الغرفة في نظارة التجارة .

ان تعريف الغرف التجارية المذكور في النظام الداخلي ليس بتعريف يضمن كرامتها ولذلك من الضروري ادخال قيد ينص ان للغرف المذكورة حق الدفاع عن المصالح التجارية وصيانتها وبذلك فقط تملو مكانة هذه الاوضاع .

ويجب تأسيس غرف تجارية في كل حاضرة من حواضر الولايات كما هي الحال في فرنسا وان يكون تأسيسها في مراكز الاولوية والافضية غير محتم اذا ارتأى التجار او الحكومة تأسيسها في الاولوية او الافضية يجب ان يكون ذلك بعد موافقة المحاكم التجارية في مراكز الولايات والاولوية والافضية او موافقة الغرف التجارية في مراكز الولايات او الاولوية .

ويجب اعطاء الرخصة بتأسيس الغرفة من قبل الولاية واعلام نظارة التجارة بواقعة الحال . ولا حاجة بحسب النظام الحالي لتصديق انتخاب الاعضاء من قبل الحكومة ويجب ان تبقى الحال كما هي اليوم ولا يرى ايضاً ان يتوقف انتخاب الرئيس على اجازة الولاة والمتصرفين والقائمقامين بل يشترط على الرئيس الذي ينتخب ان يكون من الوطنيين .

وللأعضاء المراسلين في بلادنا ايضاً شأن كبير ولذلك يجب ان يكون للغرفة أعضاء مراسلون من البلدة التي أسست فيها الغرفة وهي تنتخبهم ويجب ان يحضروا الجلسات ويستضاء بأرائهم في بعض المسائل كما انه من الضروري ان يكون للغرفة أعضاء مراسلون

في الولايات والبلاد الأجنبية . ويجب أيضاً توسيع حق الانتخاب واعطاؤه لكثير من التجار والصناع الذين يؤدون رسوم التمتع وعملاً بهذا المبدأ يجب العدول عن القاعدة التي تقضي بأن يكون تعيين النصف من اعضاء لجنة الانتخاب من قبل الحكومة والنصف الآخر من قبل التجار وان يكون حق الانتخاب للعضوية مشروطاً بالاحوال الآتية . ان يكون المرشح للانتخاب مقيماً منذ مدة معينة في البلدة التي تقام فيها الغرفة مشغلاً خلال هذه المدة بصناعة او تجارة (بكل ما تشمل هاتين الكلمتين من شروب الاعمال) ومن الذين يؤدون ضريبة التمتع ومن ذوي الشرف والاستقامة .

اما مسألة الجنسية العثمانية فقد سبق ان هذا الشرط غير مصرح به في القانون الفرنسي ولكنه مرعي في الانتخابات واما عندنا فلم تشترط التابعية العثمانية على الاعضاء فمنهم الاجنبي ومنهم العثماني على سواء . ويجب ان تظل الغرف على هذا الحال الى حين لاسيما وان التجار الاجانب المقيمين في بلادنا منذ مدة طويلة قد درسوا شؤون بلادنا حق الدراسة واذا اضفنا الى ذلك مقدرتهم العلمية وسعة اطلاعهم ووفر بحثهم تبين لنا انه يستفاد منهم اذا كانوا بين اعضاء غرفنا التجارية انما يشترط على اولئك الاعضاء الاجانب اقامتهم في بلادنا مدة لا تقل عن عشرين سنة مشغولين خلالها بالتجارة .

جاء في نظام غرف التجارة ان لها الحق في انشاء مدارس وجرائد تجارية ويجب ان يكون لها الحق ايضاً بتأسيس غير ذلك من الاوضاع التجارية وان تعهد (اذا رغبت) القيام بالامور العمرانية على طريق الامتياز ولكن الواجب ان تكون خاضعة للشروط التي تشترط على غيرها من اصحاب الامتيازات .

ولا يمكن لغرفنا التجارية ان تقوم بالاعمال التي تؤول الى ترقية تجارتنا ما لم تتوفر في ميزانيتها المداخيل والا فان محافظة الحالة الحاضرة تقضي بان تظل مداخيلها تكاد لاتساوي النفقات الجارية السنوية مما لايجوز البقاء عليه ابداً .

فيجب تقسيم الشركات الانونيم على درجات معينة والزامها بتأدية مقادير مقررّة سنوية تعين بحسب هذه الدرجات . ويجب ان نقرر درجات التجار بقدر ما يدفعون من ضرائب التمتع لاجراء رأي الغرف وتقديرها . ومن اللازم تسجيل التجار اصحاب هذه الدرجات كافة والزامهم بتأدية الضريبة السنوية .

لم يتصل باحد الى هذا العهد ان الغرف التجارية قامت منذ تأسيسها بمشروع يرفع مكانة التجارة في هذه البلاد . ولقد غابت هذه الغرف حيناً من الزمن ثم عادت تظهر في مظهر الحياة ثم افلت بعد الشروق افولاً لاطلوع بعده او عاد بعضها بعد طول الغروب ولم تكن اعمالها في الغالب الا عبارة عن تسويد القراطيس او ابداء بغض الآراء التي لم يلتفت اليها . ولم تلتفت الغرف التجارية الى انشاء مدارس او صحف تجارية البتة . ولاتلقى تبعة هذا الازمالة على الغرف التجارية بل على الحكومة السابقة . ولقد سبق ان بعض الغرف التجارية طلبت مرات عديدة اصلاح الاصول الرسومية وتسهيل المصالح التجارية دون ان تتجاوز الى طلب انشاء اوضاع جديدة ولم تثمر هذه المراجعات قط .

ولما ينس التجار من الاستفادة من الغرف التجارية تخلوا عنها ولم يعودوا يؤمنون ابوابها وقطعوا عنها روايتهم السنوية ومما يدلنا على درجة ارتباط التجار بفرقتهم هذه مداخل غرفة القسطنطينية قبل عشر سنين فانها كانت في ذلك الحين ضعفي مداخلها اليوم . هذه الاحوال من جهة وكون انتخاب الاعضاء لغرفة التجارة في العاصمة لم يكن كما وضعه القانون بل كان بيد نظارة النافعة تمنح العضوية من تشاء على نحو ما كانت تجري القاعدة في الاحسان بالرتب والمناصب من جهة اخرى كل هذا وذاك ليس من الامور التي ترتاح اليها نفوس التجار او تطمئن بسببها قلوبهم للغرفة التجارية .

التجار اكثر واسرع من جماع طبقات الامة معرفة وشعوراً بالانقلاب الكبير الذي يسري الى شؤونا العامة . ومع ذلك فان حياة حرية التجارة قائمة بتوطيد دعائم الامن ومتى اطمان جمهور التجار الى ان مصالحهم الاصلية مصونة بمجرد بنا الاعتماد عليهم بحيث لا يغادرون مثقال ذرة من واجباتهم ومن الواجب على الغرف ان تطلب من الحكومة بمجد ومضاء تجديد نظام الغرف وتعديله وان تبحث بحثاً مدققاً في ضروريات التجارة ونواقصها في الحال التي تنسب اليها وتدفع بآرائها وملاحظتها الى نظارة التجارة وان توجه هممتها الى انشاء المدارس والصحف التجارية والدروس الليلية التي تكفل توسيع دائرة العلم بين ارباب التجارة . كل ذلك حقيق بالمفاداة ولا شك ان الاعمال المعروفة في هذا السبيل تتكامل بالتجاح

ويجب ان تكون غرفة القسطنطينية التجارية نموذجاً لسائر الغرف وان تدفن

العضات الماضية^(١) فجعلها نسياً منسياً: يجب ان تقدم هذه الغرفة بفتية الافكار وتدخل الاصلاح الحقيقي الى مجلتها المدرسية وغير منكر ان هذه الصحيفة التجارية الوحيدة في البلاد العثمانية لا تفي بالحاجة بمقالاتها التي لا تتجاوز العمودين وفقراتها المترجمة بل يجب على غرفة القسطنطينية ان تتخذ مجلة غرفة التجارة الفرنسية مثلاً وتقوم نحوها فتعني على منوالها صحيفة تجارية جامعة لآخبار التجارة الداخلية والخارجية الجديدة المفيدة والموضوعات الاساسية فاذا لم تقوم غرفة القسطنطينية بهذه الاعمال ولم تأت بالآثار المالة على رقي صحيح لانتال مكانة ارفع من مكانتها في دورها السابق .

اما التجار المسجلة اسمائهم في دفتر غرفة القسطنطينية فهم (٤٧) من الصنف الاول و (١٠٧) من الثاني و (٢٤٠) من الثالث و (٥٠) من الرابع وقد يوجد بين تجار الصنفين الثالث والرابع من يجب ان ينظموا بين تجار الصنفين الاول والثاني وبين التجار الذين لم يسجلوا اسماءهم في الغرفة كثير يجدر بهم الانتظام في احدى الدرجات الاربع والامل وطيد بترقي مداخل الغرفة ولو بقيت اصول تصنيف درجات التجار على حالها الحاضرة .

وتبلغ مداخل غرفة القسطنطينية وحدها (ماعداد مداخل جريدها وفتاتها) ١٧٥٠٣٢٦ قرشاً صحيحاً تنفق في مقابلة ذلك ٤٣٥٣٢ قرشاً على رواتب موظفيها و ٢١٧٣٩ قرشاً على النفقات المتفرقة و ٢١٦٠٠٠ على اجور دار ونحوه . فالنفقات الادارية وحدها تتجاوز دخل الغرفة ولا يتفق على المشاريع النافعة من مداخلها بارة واحدة وما حالة غرف التجارة في الولايات باشي للصدور وافي للاماني من غرفة القسطنطينية ولقد رغبت ان اعرف عدد غرف التجارة في الولايات والالوية والافضية من القيود الرسمية فاذا رأيت ٠٠؟

رأيتي امام كمية تستحق العجب : في بلادنا مئة وخمسون غرفة تجارة على ان عامة غرف التجارة في فرنسا لا تتجاوز المئة والعشرين .

وبما انني اعتبر الغالب من هذه الغرفة المقيدة في الدفاتر حبراً على ورق لا اصدق ان الفهرس الذي انقل منه متقارناً للصحة .^(٢)

(١) يظهر ان الكتاب يقصد بالعضات التقاليد القديمة (٢) فهرس غرف التجارة

وللإحاطة في بعض المراكز التجارية العثمانية غرف تجارية في القسطنطينية غرف تجارية انكليزية وفرنسية ويطليانية ونسوية والمانية ويونانية ولكل واحدة منها نظام داخلي وللغرفتين الانكليزية والفرنسية مجلستان بلسان قومهما . أسست غرفة التجارة الانكليزية عام ١٨٨٧ ولها رئيس وثمانية اعضاء وعضوان خارجيان وعضوا شرف وكاتب وامين صندوق واربعة كتبة شرف في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن ولهذه الغرفة مراسلون في سلانيك وازمير ومنشستر ولندن والولايات العثمانية . ولها مجلة يبلغ حجمها ستاً وثلاثين صفحة كبرى جامعة لمقالات في التجارة الانكليزية العثمانية والاخبار والاحصاء .

وفي ازمير ايضاً غرفة تجارية انكليزية .

ويشترط في عضوية الغرفة التجارية الانكليزية الاشتغال بالتجارة او بالصناعة والشؤون المالية ويشترط على العضوان يكون انكليزياً او من وكلاء المعامل الانكليزية في البلاد العثمانية .

ورئيس الشرف لغرفة التجارة الفرنسية هو قنصل فرنسا العام ولها لجنة ادارية مؤلفة من رئيس وكاتب واربعة عشر عضواً ولها اعضاء مراسلون في فرنسا ولجنة مؤلفة من تسعة اشخاص في جناح قلعة ولجنة اخرى مؤلفة من تسعة عشر شخصاً في بورصة ولها مراسلون في سبعين بلداً داخل البلاد وفي الخارج لها من يخبرها في روسيا وفارس ورومانيا والصرب واليونان .

وتصدر هذه الغرفة شهرياً مجلة في سبعين او ثمانين صفحة منذ اثنين وعشرين حجة بلا انفصال . وتدعى هذه المجلة مجلة الشرق التجارية . وهي جامعة للمقالات والاخبار المفيدة للغاية واني اتقن ان تعلم مكانة غرفتنا التجارية الى منزلة غرفتي التجارة الفرنسية والانكليزية وان تتقدم جربتها تقدم الجرائد اليومية .

ما بين النهرين : تعريب ز . خ .



آلاسكا والاسكاويين^(١)

آلاسكا شبه جزيرة تنيف مساحتها على اراضي فرنسا ثلاث مرات اصحت الآن معتزكا حيويًا جديدًا لبني البشر الا ان وعورة المسالك واختلاف الهواء بها ترك اربعة اخماس من ارضها في عداد المجهول

وقد كانت هذه البلاد الواقعة في اقصى الغرب الشمالي من اميركا الشمالية والمنفصلة عن قارة آسيا بخليج بيرنغ مستعمرة للدولة الروسية بفاعتها من حكومة اميركا . ان البحث لم يهتد الى شيء مهم فيما يتعلق بالسكان الاصليين من وجهة علم الانساب بل ظل اكثره ان لم نقل كله ناقصاً مبهمًا . فاشعوب النازلة سواحل البحر قد تمكن بعض المرسلين من درس احوالها اما المتوغلة في الداخل فاكتفى العلم بأخذ روايات من ارتادوها من الذين ضربوا في عرضها للتنقيب عن معادن الذهب اولصيد بعض الحيوانات التي ينتفع من جلودها للقراء الشمينة . وكلا الفريقان مما لا يعول على قولها ولا يرجح منهما ان يفيا البحث العلمي حقه او بعض حقه .

ويستدل من آخر احصاء لسكان هاتيك البلاد الذي جرى سنة ١٩٠٠ للميلاد ان عددهم (٢٩٥٣٦) نسمة يدخل فيهم الاسكيو ولكن ذلك مما لا يصح الاعتماد عليه لاسباب جملة اهمها ان اغلب تلك الشعوب من الرحل ولم يتيسر الوصول الى بعضها لوعورة المسالك كما ذكر . اضيف الى ذلك ما دفعته اليهم المدنية الاوربية من آفات كالجذري والسل والزهرى وداء السكر بعد اكتشاف مناجم كلونديك الذهبية فان هذه الامراض الفتاكة فعلت وما زالت تفعل في الالهين مالا يفعله الأسل حتى ان كثيرا من القرى خوت على

(١) لخريجي المكتب الملكي في الاسنانة واعضاء الاسرة « الملكية » كما نعتون انفسهم مجلة تصدر باسمهم ينشرون فيها بنات افكارهم ونتاج قراهم فيما يرتأونه من طرق الاصلاح في الادارة والقضاء ولا يخفى ان بينهم الصدر الاعظم والوزير والوالي كما ان في عدادهم مدير المال والمحاسب والقائم مقام والمتصرف وغير ذلك من صنوف الموظفين فهم نخبة شبان المملكة ورجال حاضرها ومستقبلها وتكتب هذه المجلة في بعض الاحايين ما يجوز ان يقال عنه خارجا عن صدد ما الا انه لا يخلو من فائدة تعود بالنفع على القراء وهذه المقالة هي من الشق الثاني كتبها عبد الفياض توفيق بك ونحن نعر بها لقراء المتنبس .

عروشها واصبحت قاناً صفصفاً عقب انتشار داء الجدري انتشاراً سريعاً من وراء الغاية .
ولهذا يتراءى لي ان عدد السكان تنازل الى الخمسة والعشرين الفا وهم يقسمون الى
فريقين فالاول يضم اليه شعب شيليكاسو ستيفكنس وباكونتا وهابيداح واباعوت واوك
الذين يتفقون في الجنس والنسل . والثاني شعب واحد يدعى دنا ويختلف عن الاول
باعتبار علم اصول الشعوب وسلاتهم وهو ينزل البلاد الواسعة التي تمتد من خليج
الهودسون الى قلب آلاسكا على ان هذا التقسيم المبني على علم ناقص لا يلتفت اليه
ولا يعمل به الى ان يقوم علماء الانسان بالتبع العلمي والبحث الكافي ويتفقوا على ذلك
شأنهم في سكان اميركا الاصليين

والذي يزيد المستطلع اشكالا في امرهم مشاكلتهم بعضهم بعضاً حتى انك لتخالطهم من
عنصر واحد لاتفاق ازيائهم واخلاقهم ومهما كانت النقابة دقيقة الفكر بعيد النظر
لا يتمكن من النقد الصحيح والتمييز المصيب فلنحسبهم الآن قوماً واحداً وندرس احوالهم
الاجتماعية .

يجد القائلون بأن سكان اميركا الاصليين من المغوليين الذين هبطوا اميركا عن
طريق خليج بهرنغ وصخور الاووسيك في آلاسكا من الوثائق ما يقوي حججهم وبرهانهم .
لاجرم ان غولف استرايت الذي وصل الى سواحل آلاسكا بعد اجتيازه جزر اليابان
هو الذي نفخ في الساحليين من شرقي آسيا روح الجرأة والاقدام على ارتياد هذه
البلاد حتى اصبحت امراحدى السفن الشراعية اليابانية التي جرفها التيار الحار سنة
١٨٣٣ ميلادية ودفعها الى ساحل آلاسكا متهوراً لان البرابرة « وفي الاصل اليوم يام »
جعلوا منها مائدة كانت عيداً لأولهم وآخرهم .

اما الآن فقد وضح الحق وظهر ما كان باطناً من ان آلاسكا كانت مأهولة بالسكان
في ازمة ما قبل التاريخ كسائر اخوانها من البلاد الافريقية وبثبت هذه الحجة ماتراه
الآن في عادات الاسكاويين واخلاقهم وطبائعهم ولغتهم فان كل هذه لم تكن عليها
مسحة تدل على انها آسيوية .

ونحن نتوخى في مجالتنا هذه البحث عن حالتهم الاصلية قبل ان يمازجها ما اكتسبوه
من الاحتكاك بالاوريين فنقول ان هؤلاء قد اجتازوا دور التكامل البدائي للبشر
وتباعدوا ما امكن عن العجمية حتى صاروا اقرب الى البداوة منهم الى التوحش قبل
ان تطأها اقدام المكتشفين من الروس .

وترى لهم في البلاد الساحلية الآن البيوت الواحة القوزاء وبعض المصايف والقصور التي اقيمت على منوال الاوربيين وبالاجمال فهم ارقى علماً ووسع مدارك من شعوب البوروج الذين لما زالوا يلبسون جلود البهائم .

والغريب في امر هاته البيوت الفطرية انها على اتساعها وقد يختلف طولها بين المائتي متر وعرضها بين الخمسة عشر والعشرين متراً تكفي لايواء عائلات كثيرة معاً ومع هذا لا ترى فيها نافذة خلا بعض ثقب في سقفها لانبعاث الدخان المتصاعد من المواقد واحتذاب نور الشمس الى الداخل ولم يكن فيها مايصلها بالخارج سوى بعض الابواب كما ان سطوحها لم تكن مائلة من طرفها كما هو الحال في غير بنايات بل لها ميل قليل يكفي لتسليط مياه المطر على الخارج وتنفع هذه السطوح خطباء القوم فيرتقونها ويخذونها مثيراً لدى الحاجة .

وتبنى هذه البيوت من عيدان الحطب التي لم تصتل ويقتطعونها بمقاطع خشبية لان الحديد الذي فيه البأس الشديد والمنافع الجمة للناس لم يعرفوا به بعد .

وبعضا من الحدد بقرون نوع من الحيوان يسمى عندهم « وايشي » او يتواطع من شجر البابل^(١) وفي الشتاء حيث يهجم الثلج بخيله ورجله يضيغون الى البنايات الداخلية طبقة من رفيع القصب وبمثل ذلك ايضاً بقرقون البيت عن اخيه فيكون ممدداً بين العائلات التي تأوي اليه .

اما اثاث هذا البيت البدائي فهو موافق له كل الموافقة فلا تجد فيه من الرياض مايضيق معه الرحب بل هو في منتهى البساطة وهناك مقاعد خشبية تحت الفراش « او هي اسرة النوم » على طول جدار البيت والفراش هو من السل « قش الحصر » وقد زيد في نسيجه عند موضع الرأس حتى اشبه الوسادة كما ان غطاءهم او لحافهم من جلود الغزلان المدبوغة او نوع من الكلاب المجمدة الشعر وقد اوشك نسلها بالانقراض بينهم .

لهؤلاء البائسين الذين يطاق عليهم اسم همج بعض صناعات او انصف المظلمون عليها لقالوا بكبر عقولهم ورقة شعورهم وقد ترى بعض الصناديق من صنعم على حين لا يعرفون المسار ولا رأوا آلات التجارة . والحداثة غاية في الضبط وآية في الدقة وطول هذه الصناديق متر وعرضها ستون او سبعون سنتيمترا وعمقها سبعون او ثمانون سنتيمتراً .

وصف احد المرسلين صناعتهم هذه بقوله انهم يأتون بخشبة من شجر الارز ويشقونها على اربعة وجوه ثم يصقلونها ما امكن ويلفونها لفاً جيداً فيتكون منها زوايا الصندوق الثلاث ثم يخططون طرفا الخشبة الداخلين بخيطان قوية من جلود الوعل يدخلونها بالمسلة «الابرة» المصنوعة من قرون نوع آخر من الوعل فتحصل معهم الزاوية الرابعة اما اسفله فأنهم يجعلونه من قطعة واحدة من الخشب وله حافة تتصل اطرافها بالزوايا الاربع فيخاط كذلك بدقة غريبة حتى انك لا تجد فيه عوجاً ولا امثلاً . ويكون غطاء الصندوق من قطعة واحدة ايضاً يمدونها على شقوق الزوايا المتناظرة فيتم الصندوق الذي يعد من بدائع الابداع . وبعد ان يحفروا على الغطاء شارة العائلة او الفريق ويدهنونه بلون مناسب يضعون فيه الملابس القيمة والفراء الثمينة التي تلبس في الاعياد والمواسم .

ويبلغ الشتاء اشده وبقصر البرد في بعض بلادهم فيشقون بأسهم حافز مستديرة يفتحونها في بطن الارض على سعة مترا و مترين كبيوت الاسكيمو وهناك يخبيء العشرون او الثلاثون منهم مجتمعين فيحصل الدفئ بينهم .

وتعاقب هذه الحفر اكواخ حقيرة ليس لها من النوافذ الا واحدة في رأسها هي للبيئة والذهاب والهواء والنور اما سبلابهم الى هذه الانفاق فهو عمود من خشب تقروه حتى تنأت منه ارجل اشبه السلم .

وقد اتفق الاسكاويون على عادة غريبة جرى عليها اغلب الاقوام الفطريين وبينهم هنود اميركا الوسطى والجنوبية وهي عزل البنات اللواتي يبلغن اشدھن والنساء اللاتي في الحيض في اكواخ خاصة بهن حتى يظهن^(١) ولو جردنا صناعة السلال الدقيقة التي يصنعونها من رفيع القصب نجد كل صناعتهم في حالة ساذجة للغاية . نعم انهم يحككون بعض الاقمشة المثينة من خيوط خاصة يستخرجونها من الياف شجر الارز ويخططونها باصواف وعول صيغين وكندا واصواف الكلاب التي مر ذكرها فيتكون عندهم منها نسج متين يفي بحاجتهم الا ان ذلك مما لا يعد صناعة نافعة .

وهذه الكلاب هي من الحيوانات الداجنة التي يمكن ان يقال عنها انها وحيدة هذا القوم فهم ينفقون من جلودها واصوافها وتقيدهم في صيدهم وجر عجلاتهم على الجليد ولكنها وباللاسف قد اوشكت تنقرض كما ذكرنا وقل لسلها قلة يخشى من ورائها .

(١) لم يقتصر ذلك على الامم الفطرية فقد ترى هذه العادة متبعة عند الطائفة السامرية المقيمة في مدينة نابلس وهي تدين بالموسوية وتعمل ببعض التوراة

وللسلال التي اشرنا اليها شهرة واسعة عند اهل الاخفاء في جميع شتات الآثار ورائع الصنائع وهي اهل لان تكون كذلك لان عملها جميل ومتقن وعلى الرغم من انها لم تطل بطبقة صمغية فقد تجددهم يستخدونها في امتياح المياه من الآبار ونقلها ولا يرشح الماء من هذا السجل « الدلو » او السلة ابداً .

والاغرب من هذا ان النبات الذي يستعمل في صنع هذه السلال يختلف باختلاف الشعوب الا ان ارقها وادقها ما كان من الياف شجر الارز ويوجد من هذه السلال ما اربى عمره على خمسين عاماً تنداولها الايدي صباح مساء اما صانعوها فأنهم من النساء على الاعم .

وللنساء ولع خاص بالزينة والتبرج فيذهبن مذهب الماديين حتى ان المقارنة النسائية بينهن على هذه الوتيرة .

وتلقى ذلك ظاهراً كل الظهور في بعض الشعوب فترى الاب لا يهيمن على ابنه اوسبطه الا حين تزوجه من امرأة ينابكون للشباب اختيار بقبول الابنة التي انتخبها له والده اورفضها .

اما ما يتعلق بوجوه القرابة بين المرأة وزوجها فلم يكن لها من قاعدة مألوفة او خطة مرسومة بل ترك ذلك لاجتهاد كل فريق منهم . فقد ترى لدى بعضهم جوازا بزواج ابنة العم ينابى لتلقى زواج فتى وفتاة خاضعين لزعيم واحد من المحظورات عند آخرين فالاولين لم تمنعهم لحة النسب من الزواج والآخرين منعتهم صلة التبعية فقط

وتجد الزواج عند بعضهم كأنه اتفاق وقفي او هو اقرب الى الاستمتاع منه الى الزواج والانكى من كل ذلك ان شرعتهم قد تركت حبل الرجال على غواربهم واحلت لهم اقتراس ابة امرأة في حبيهم . نعم انهم اشتهروا في ذلك ان يتيارز الشاب الطالب مع زوج المرأة المطلوبة برازاً لا يشغله سفك دم لان لاسلاح لديهم فاذا ماغلب الاول الثاني على امره وطرحه ارضاً جاز له التصرف المطلق في امراته . ولكن ماذا يفيد هذا الشرط وهل يغني عن الحق شيئاً مادامت الغلبة للقوة ؟ واذا كان الزوج الاول ممن يعتقدون قوة خصمه ويستكف عن مبارزته فيبقى حينئذ لذلك الخضم ان يذهب الى بنت الاول ويدعو امراته الى اللحاق به وهناك لايسع صاحبنا الا الجري وراء زوجها الجديد البطل والدخول في داره وحرمه ويظل الاول منزوياً في احدى زوايا

يبته ينظر الى هذه العادة الغريبة شزراً وقد اعتراه اليأس واشبه الهرة التي كسرت
اناء الحليب . (١)

ويقوم الزوجان على ان يملك كل منهما ماله من اثاث البيت ورياشه ان كان هنالك
ما يقال له اثاث ورياش ولا يجوز لهما ان يشتركا في شيء من انواع القنيات ومتى توفي
الزوج الرجل يسترد ذوو قريبه ما كان له في الدار من مال ومتاع اما اذا سبقت المرأة
زوجها الى الموت فلا يكتفي اهلها بأخذ ماله في البيت فقط بل هم يضطرون الزوج الى
اعطاء هدية ذات قيمة لتكون عزاء وسلواناً لهم على فقد ابنتهم .

ومتى فاجأ الحامل المخاض يدخلها بعض النسوة المهاجرات غرفة خاصة وبعد
ولادتها يغسلن الطفل بالماء الفاتر ويرششن على جسمه مسحوق شجر الارز ثم يضعونه في
سلة على شكل سرر الاطبال ويلقونها في دعامة البيت الخشبية او غصن من اغصان
الشجر وهذه السلال او السرر مصنوعة بحيث يتسنى للام ان تحملها على ظهرها اثناء
مشيها .

ويخرج الطفل من سريره مرتين في اليوم على الاكثر لاختلاف افرزاته وتبقى هذه
السلة عشاءً له الى ان يدرك حد الفطام والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ومتى
اتمنهما يدرج الطفل من عشه او سجنه وتذهب الام في ذلك السرير الى جهة نائية
من الحرج فتعلقه في احد الاغصان تقدمه الى الملك الموكل بحفظ ذلك الوليد
طول حياته .

وهناك بدعة سيئة يجري عليها بعض الشعوب في اطفالهم . فهم يلقعون رؤوسهم
عقب اليوم الثالث من ولادتهم بعمامة من قشور الشجر وهذه العادة القبيحة التي تغير
من شكل عظم الرأس وتهصره وتشوه الخلقة هي في عرفهم علامة خاصة بالنبلاء . ثم
يتلو ذلك التلقيع يوم خاص يجتمع فيه لفيف الأسرة او يقيمون حفلة خافتة بتسمية
اسم الوليد وبعدها تبدأ دروس التربية الجسمية وبعد انقضاء السنة الرابعة عن ولادة
الصبيان يجيزون عليهم بالضرب بعضي رفعة صباح كل يوم صيفاً كان او شتاءً ربيعاً
كان او خريفاً ليزيدوا حسن جلودهم على زعمهم وفوق ذلك فهم يرغمونهم على الاغتسال
بالماء البارد في الانهار الجارية .

ومتى بلغوا العاشرة من حياتهم يدفعونهم من اكوأخهم الى الخارج حفاة عراة ليقضوا

(١) عربنا هذا التشبيه بعينه عن الاصل .

ليطلم نياماً يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء او انهم يمضونه وايديهم قيد ماء الجليد على صفاف البحيرات ولا يجوز لهم رفعها الا بعد ان تشرق الشمس عليهم فكل عقاب هؤلاء المحكوم عليهم بظلم العقول السخيفة .

وعندما يآزف زمان تكاثر الاسماك في المياه وتطفو عليها طبقات من السمك المقتن يعيشون بأولادهم تحت جناح الليل ليستنشقوا تلك الروائح الكريهة ويعتادوها ويمارسوا الفروسية تحت رعاية ملك الحفظ .

اما من حيث المعتقد فأنهم بعيدون جداً عن الاعتراف بآله قادر وقائلون بتعدد الارواح التي ملأت السهل والجبل ويلي رؤيهم ان لكل منهم عملاً خاصاً به حتى ان الجمجمات والشجر والحجر وآلات الصيد وكل ما يقع عليه نظرهم في هذا الكائن الهائل من جماد ونبات وحيوان له ملك موكل به ولذلك تراهم ابدأً مشغولين بالمراسم والعبادات ليرضوا هذه الآلهة الكثيرة وينعموا بالآ في هذه الحياة الدنيا .

مثال ذلك ان افراد الشعوب التي تنقض من الصيد لا يتيسر لها اكل لحم الوعل الذي يصيدونه بهناء بل انهم يحتفظون بالدماء والامعاء لثلاث نفع تحت بد وحش ضارفاً كلها وذلك لاعتقادهم ان الملك الموكل بذلك يطلع بقية الوعل على جلية الامر ويرهم النقص الذي حصل من الصائدين في سبيل احترام رفيقهم فلا يعودون يجودون بأنفسهم ليصطادوها بل يلجؤون الى الجبال التي تناطح السحاب وبشكل عني المقلين في العناية بهم امر الصيد .

ثم انهم عندما يأتون بصيد الوعل الى بيوتهم لا يجوزون به الابواب التي وطئتها اقدام النساء وفي عفرتهم ان غلباء النساء وظباء الوعل اعداء متشاكسون .

وعندما يزعم احدهم صيد الدب الابيض يطلب الى روح ذلك الحيوان ان تمثله امامه كحيوان مستسلم ولتامه بسوء فان ساعده الخيط ووفى الى صيده بدهن وجهه على « وجه الانسان » بألوان مختلفة علامة شكره على نجاحه ويبدأ بتلاوة قصيدة رثاء يمدح فيها خلال الفقيد العزيز وسجايه الغر (!)

ومن غريب عاداتهم في مائدة طعام لحم الدب انهم يبدأون برأه على ان يكون رجوه حاذري الليمعة مصوباً بالألوان وان يعلق عظم رأس الدب في اعلى غصن من شجرة باسقة بحيث يراه ابناء جلدته عزيز الجانب رفيع الجانب في الحياة وبعدالمات . يقولون وبعد هذا لا يأفف الحيوان مقابلة الصيادين والتعرض لاسنة حراهم او اخشابهم .

ولا يقتصر هذا الاحترام على نوع الدب فقط بل يكاد يكون عاماً في جميع الحيوانات .
وعندما يتجاذب الاهلون حديث الصيد ويخوضون بالذكر الحيوان الذي يغون قتله
او صيده بالفخاخ يمازج حديثهم الحشمة والادب فيخفون من اصواتهم لئلا يترفع
مسمع الارواح الموكة بتلك الحيوانات كما انه يكون منسجماً متناسقاً كقولهم : « رفاقنا .
لعل اولياء نعمتنا يتكرمون علينا بروية احدهم فيكون نصيبنا منهم وعلاً اَوْضراً او دُباً
الى غير ذلك »

ولو اكتفوا بهذه التعاليم والتقاليد في الحيوان فقط لكان لم فيه بعض العذر ولكنهم
شملوا به الفاكهة ايضاً فخالما يادرون بجني الثمار يكون لديهم رهاب او ساحر يتلو عليهم
جهاراً دعاءً يلقي بالمقام ويرضى به الملائكة الموكة لتتم البركة ويحصل الخير . وبينما
الراهب يتلو الادعية والاذكار يقف زعماء الشعب وفي ايديهم العصي يراقبون اعمال
الشبان حتى اذا مارأوا احداً فتح عينيه قبل ختام الدعاء اوسعوه ضرباً ولكم .

على ان كل ما ذكر لا يعادل الحفلات التي يقبونها عند حلول موسم صيد نوع
من السمك فعند ما تنق سمكة في يد الصياد في اول الموسم يرفعها على ساعدين لانه محظور
عليه ان تمسها يده فيأتي بها بكل وقار الى رئيس الرهبان الذي يتقبلها منه بقبول حار
ويرفعها الى مكان خص بها وهي لها من غصون الصنوبر .

ثم يقترح على شيخ جليل من الحضور تكون له الوجاهة والرجاحة في قومه ان يصف
حول السمكة العصي التي تشير كل م بها الى اسرة من البيوت الكريمة بحسب درجاتها
ثم يتناول الراهب الرئيس العصي واحدة بعد واحدة ويمس بها مسيح السمكة الامامي الذي
يعتدونه . بيدها اليمنى ويخطبها بقوله : لي الشرف ان اقدم لكم مقامك الاسرة
الفالانية التي حضرت الى رحابك الواسع واطلب اليك ان تسمي لها بان تكون موطي
قدمك الى غير ذلك من ضروب الاطراء وصفوف المديح . وبعد اتمام هذه المراسم
يضع السمكة في قدر جديد ويسلقونها على النار بين التشيد والتبريل ثم توزع بين زعماء
القوم وتليها الاسماك التي تشرفت بالعيد بعدها وتطبخ هذه ايضاً ثم تعطى الى من لم
يكن حرم عليه اكل السمك شرفاً .

لرؤساء الدين عند هذه الطوائف شأن كبير لانهم يعتقدون فيهم انهم وسطاء
بينهم وبين الملائكة او الارواح الموكة وتنقل الرهبة من الآباء الى الابناء وتعالى
هؤلاء الرهبان بعض مواد تحدر الجسم في حين يعتون كل العناية بالاعتكاف والانتقطاع

عن الناس فيكون فيهم من وراء ذلك شيء من الجود والسكينة .

ومما يدعو الى الانتباه الانصاب القائمة في مداخل البلدان وقبالة البيوت وقد زعم المكة فون من الروس انها تماثيل تعبد والحقيقة ان هذه اشارات خاصة لكل أسرة منها شارة فمنها ما يكون كالطير ومنها ما يكون كالسماك واشباههما من الحيوان على ان هذه تخدم في تفريق البيوت بعضها عن بعض لانها كلها مبنية على نسق واحد لا يمكن التمييز بينها الا بسميزات خاصة وهذه التماثيل تفي بالغرض المقصود . ولم نوع من السحرة يطبون المرضى ولكن بأخراج الارواح الشريرة منهم لا بالعلاج النافع الذي لا يعرفونه . ثم هم يدعون ان كل أسرة منهم من نسل احد الارواح الموكلة ويعتقدون ان لم صلة بالسماء كالصينيين ابناء ماء السماء والله في خلقه شئون

حيفا عبد الله مخلص

قانون الجمعيات

الفصل الاول

المادة الاولى — الجمعية هي الهيئة المؤلفة من اشخاص عديدين غايتهم توحيد معارفهم او مساعيهم دون ان يقصدوا اقتسام الربح

المادة الثانية — لا تضطر الجمعية الى نيل الرخصة قبل تأليفها الا انها يقضى عليها عقيب تأسيسها اخبار الحكومة طبقاً للمادة السادسة .

المادة الثالثة — لا يجوز تأليف الجمعيات المستندة على اساس غير مشروع مغاير لاحكام القوانين والآداب العامة او مخل بالامن في المملكة وتقام ملكية الدولة وتغيير شكل الحكومة الحاضرة والتفريق سياسة بين العناصر العنثانية المختلفة .

المادة الرابعة — محظور تأليف جمعيات سياسية اساسها وعنوانها القومية والجنسية

المادة الخامسة — يشترط في اعضاء الجمعيات ان لا تكون سنهم اقل من عشرين غير محكوم عليهم بجناية او محرومين من الحقوق المدنية .

المادة السادسة — ممنوع كل المنع تأليف الجمعيات السرية . فاذا أنشئت جمعية تقدم بياناً في الاستانة لنظارة الداخلية وفي الولايات لا كبر موظف ملكي يوقع عليه مؤسس الجمعية ويختتمونه فينبئون فيه عنوان الجمعية ومقصدها ومركز ادارتها واسماء

المكلفين بإدارتها وصفتهم ومحل إقامتهم . ويعطى علم وخبر مقابل هذا البيان . ويربط بالبيان المذكور نسختان على نظام الجمعية الاساسي المصدق عليهما بطابع (ختم) الجمعية الرسمي .

وبعد اخذ العلم والخبر يعلن المؤسسون الكيفية على ان الجمعيات مضطرة ان تخبر الحكومة حالاً بالتعديلات والتبديلات التي تجريها سواء في نظامها الاساسي او في هيئة الادارة ومحال الاقامة وهذه التعديلات والتبديلات يعمل بها من يوم اخبار الحكومة ونقيد في سجل خاص يبرز في كل وقت تطلبه العدلية والملكية .

المادة السابعة — لمركز كل جمعية مجلس ادارة بؤاف من شخصين على الاقل واذا كان للجمعية فروع يجب ان يكون لكل واحد منها مجلس ادارة مربوط بالمركز ويشترط على المجالس ان يكون لها اولاً سجل تبين فيه هوية الاعضاء وتاريخ دخولهم ثانياً سجل للمقررات والمفاوضات والتبليغات ثالثاً سجل فيه مقدار دخل الجمعية ونفقاتها بانواعها ومفرداتها وتبرز هذه السجلات للملكية والعدلية في اي وقت تطلبانها

المادة الثامنة — كل جمعية تعطي بياناً بموجب المادة السادسة تكون بالواسطة مدعية ومدعى عليها في المحاكم كما هو مبين في المادة التاسعة ولها الحق بان تنصرف وتدير امعادات الاعانات التي تكلف بها الدولة او لا اسلحصر النقدية التي يعطيها اعضاؤها على ان لا تتجاوز سنوياً اذربع والعشرين ليرة ثانياً المحل المخصص لاجتماع اعضاء الجمعية وادارتها ثالثاً الاموال الغير المقولة اللازمة للوصول الى المقصد الذي اتخذه وفقاً لنظامها الخاص .

ومحظور على الجمعيات ان تنصرف بغير ذلك من العقارات

المادة التاسعة — تكون المراجعات والمطالبات باسم الجمعيات للأموري الحكومة والمحاكم والمجالس الرسمية بعراض عليها طواع يوقع عليها الكتاب العموميون والمديرون بشوقيعهم وطابعهم الذاتي ولا تجري غير ذلك من الوسائط . وان امثال هؤلاء الاشخاص الذين يقومون بالمعاملات باسم الجمعية تبين هويتهم في نظام الجمعية الاساسي

المادة العاشرة — يمكن لاعضاء الجمعيات ان يفصلوا عنها في اي وقت يريدون ولو اشترط في نظاماتها الاساسية عكس ذلك بعد ان يرؤدوا ما عليهم من الحصص النقدية التي حان استيفاءها وتخص بالسنة الحالية

المادة الحادية عشرة — محظور ادخال الاسلحة النارية والجارحة الى المكان الذي تجتمع فيه الجمعية كما انه يحظر حفظها فيه الا انه يمكن ان يوجد اسلحة بقدر

اللزوم في الاندية المختصة بتعليم الصيد والقتل ولعب السيوف على ان يكون للضابطة علم بذلك .

المادة الثانية عشرة — تمنع الحكومة كل جمعية لم تعط بياناً للحكومة ولم تخبر وتعلن عن نفسها حسب المادة الثانية والسادسة وبما يقابل الغرامة التقديرية من خمس ليرات الى خمس وعشرين ليرة مؤسسوها ومجلس ادارتها وصاحب محل اجتماعها او مستأجره على انه يحكم بجزء آخر اذا كانت امثال هذه الجمعية مؤلفة لمقصد مضر من المقاصد المسطورة في المادة الثالثة والمبينة في قانون الجزاء كما يقضي به القانون المذكور

المادة الثالثة عشرة — يؤخذ جزاء تقديري من ليرتين الى عشر ليرات من الذين يأتون اعمالاً تخالف باقي احكام المادة السادسة ماعدا الاخبار والاعلان واحكام المادة الرابعة والخامسة والسادسة والتاسعة . ويعرغم اعضاء الجمعيات التي تمنع بموجب المادة الثانية عشرة وتبقى مخالفة لهذا القانون او تؤسس من جديد بالجزاء التقديري من عشر ليرات الى خمسين ليرة وبالسجن من شهرين الى سنة ويجازى بعين الجزاء من يعطون محالهم لاجتماع اعضاء جمعية منعت .

المادة الرابعة عشرة — اذا كانت نظام الجمعية التي تحمل برضا اعضاءها واختيارهم او بموجب نظامها الداخلي او تمنعها الحكومة مريباً يجعل تجزئته بالاموال العائدة اليها والا تعامل على حسب ما تقرره هيئة الجمعية العمومية .
اما اذا كانت الجمعية قد منعت لتألفها لاحد الاسباب المضرة المبينة في المادة الثالثة فان الحكومة تأخذ اموالها وتضبطها

المادة الخامسة عشرة — الاندية هي من قبيل الجمعيات المدرجة في هذا الفصل .
المادة السادسة عشرة — الجمعيات الموجودة اليوم مضطرة ان تقدم بياناً وتعلن كما تقتضي بذلك المادة الثانية والسادسة وان توفى معاملتها على احكام باقي مواد هذا القانون خلال شهرين اعتباراً من اعلان هذا القانون .

الفصل الثاني

المادة السابعة عشرة — ان اعتبار الجمعية خادمة للمنافع العامة متوقف على تصديق الحكومة بقرار من شوري الدولة .

وهذه الجمعيات يمكنها القيام بالعمليات الخيرية كافة التي لا تمنع منها نظاماتها الاساسية ولا بد للاسهم والسندات التي تعود الى حاملها ان تقيّد وتحول باسم الجمعية

ولا يمكن للجمعية ان تقبل هبة او وصية الا باذن خاص من الحكومة وتباع اموال الهبة او الوصية الغير المنقولة اذا لم تنفع الجمعية في مقصدها وبصرح في قرار البيع بالمدة التي يجب ان تباع في خلالها ويسلم بدل العتار المباع الى صندوق الجمعية

المادة الثامنة عشرة — للضابطة حق تفتيش الجمعيات والاندية ففتح هذه ابواب محال اجتماعها للأموري الضابطة في كل وقت . يجب ان يكون مع موظفي الضابطة كي يثبتوا انهم دخلوا محال الاجتماع مستدين على لزوم حقوقي امر او اذن رسمي يضطرون الى ابرازه ويكون صادراً اليهم من ناظر الضابطة في الاستانة ومن اكبر مأمور ملكي او وكيله في الولايات

المادة التاسعة عشرة — على ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ وفي ١٣ آب سنة ١٣٣٥

سيرة العلم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كتبت رصيفتنا العرفان قلمه لما كتبناه في الجزء الاول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الاسلام وذكرت اكثر من من التأليف عند الشيعة فقالت : لم نجد بين رجال القرن الاول من له ثلاثون مصفا لعدم انتشار التأليف آنشد وغلبة الأمية ويكفي بان ثبت للشيعة مؤلفين على حين ان لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد الف امير المؤمنين علي عليه السلام صحيفة في الديات والف سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري في الاخبار والسير والف ابو الاسود الدؤلي في النحو والادب والف كثيرون غيرهم ممن يطول الشرح في تعدادهم

ومن المؤلفين المكثرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيى ابو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي ^(١) له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتاباً كلها في التاريخ والسير

(١) هو احمد بن علي بن احمد بن العباسي النجاشي الاسدي المتوفى سنة ٤٥٠ له عدة كتب منها كتابه هذا الذي ننقل عنه وهو مطبوع في الهند مرتب على حسب الطبقات ترتيباً حسناً وقد ذكر به رواية الشيعة من الصدر الاول الى زمانه وطريقته انه

وهشام بن الحكم عدوله النجاشي نحو ثلاثين كتاباً أكثرها في الكلام والفلسفة الالهية

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث ابراهيم بن محمد الثقفى قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بها منها ثم عددها نحو اربعين كتاباً

والحسن بن موسى ابو محمد النوبختي قال النجاشي له على الاوائل ؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وحجج طبيعية مستخرجة من كتب ارسطاطاليس في الرد على من زعم ان الفلك حي ناطق وكتاب في المراتب وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو اربعين كتاباً وسعد بن عبد الله ابو القاسم القمي عدله . ابييف عن ثلاثين كتاباً

وعبد العزيز بن يحيى الجلودي ذكر النجاشي كتبه في اربع صفحات وقد بلغت مائة واربعة وثمانين كتاباً في جملة فنون واغلب تاريخ واخبار وفقه

وعلي بن محمد العدوي الشمشاذي قال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها ما يقرب من اربعين كتاباً وما بلغت النظم منها كتاب الانوار والثمار قال النجاشي قال سلامة بن دكان هذا الكتاب الفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الانوار والثمار من الشعر وكتاب النزاهة والابتناء قال قال لي سلامة بن دكانه نحو الفين وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً واخباراً ومن جملة كتبه مختصر تاريخ الطبري واغلب كتبه ضخمة والفضل بن شاذان ابو محمد الازدي النيسابوري قال النجاشي : ذكر الكشي انه

صنف مائة وثمانين كتاباً وقع اليها منها وعدد نحو خمسين كتاباً

ومحمد بن اورمه ابو جعفر القمي قال النجاشي : ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من اول الليل الى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب ان بينها كتاباً في الرد على الفلاة وكل كتبه دينية

ومحمد بن جعفر بن احمد بن بطه المؤدب ابو جعفر القمي قال النجاشي : كبير المنزلة بقم كثير الادب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعاني الاسانيد بالاجازات وفي

يذكر الرجل فيقول يروي عن فلان عن فلان الى ان يتصل بالامام ثم بالنبي وكذلك المواضع فانه يقول له كتب او كتاب يرويه فلان عن فلان وقد ذكر بكتابه هذا الفا ومائتي رجل من رجال الشيعة وكل منهم له المؤلف والمؤلفات

فهرست مارواه غلط كثير وقد عدد له اكثر من خمسين كتاباً اكثر كتبه منبهة باسماء
 الاعداد فله كتاب الواحد والاثنين الى التسعة والاربعين
 ومحمد بن احمد ابو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو
 سبعين كتاباً وقد كان زديا فصار اثني عشرياً
 وهشام بن محمد الازبي قال النجاشي: كان له كتب كثيرة وعدد منها خمسين
 كتاباً في الانساب والتاريخ والسير
 ويونس بن عبد الرحمن قال النجاشي: وكانت له تصنيف كثيرة وعددتها اكثر
 من ثلاثين كتاباً

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع احمد بن محمد بن
 دول القمي قال النجاشي: له مائة كتاب وعدد منها جانباً
 وعلي بن احمد ابو قاسم قال النجاشي: كان يقول بانه من آل ابي طالب وغلا في آخر
 امره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة اكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين
 كتاباً اغلبها ردود وبها رد على ارسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس
 ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي اربعين كتاباً وقال: صنف الكتاب الكبير
 المعروف بالكليني يسمى الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم
 ومحمد بن احمد بن الجعيد الكاتب ابو علي الاسكافي عدد له النجاشي ما يقرب من
 مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائتي كتاب
 وموسى بن الحسن ابو الحسن الاشعري القمي قال النجاشي: صنف ثلاثين كتاباً
 وعدد منها اثني عشر كتاباً

ومن المؤلفين في هذا القرن اسماعيل صاحب بن عباد وابو الفرج الاصفهاني صاحب
 كتاب الاغاني وهما وان لم تبلغ تأليف كل منهما الثلاثين فانها تماهز العشرين فضلاً
 عن تعدد مجلداتها وغزير فائدتها

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين ابو التاسم السيد المرتضى
 الشهم فقد عدد له النجاشي اربعين كتاباً ويقال بان له ثمانين كتاباً وهو صاحب امالي
 المرتضى الذي طبع في مصر

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً

اما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد انهم غير مكثرين ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد احمد ابن طاووس قال في الروضات ^(١) وصنف اثنين وثمانين كتابا في فنون من العلم وعد منها طرقا صالحا والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدد له صاحب الروضات سبعين مصنفًا ورأيت علي حواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف

والسيد علي بن طاووس عدد له صاحب الروضات نقلا عن كتب كثيرة اكثر من ثلاثين مصنفًا كل كتاب منها عدة مجلدات ومحمد الخواجه نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتابا في فنون مختلفة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية القسابة وهو وان لم يتجاوز ما عدد له صاحب الروضات خمسة عشر كتابا فهي تبلغ الستين مجلدا منها كتاب اخبار الامم فانه قال صاحب الروضات خرج منه احد وعشرون مجلدا وكان يقدر اتمامه في مائة مجلد كل مجلد اربع مائة ورقة

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول فهو وان لم يذكر له صاحب امل الآمل الا نحو خمسة عشر كتابا فمن المشهور ان له تأليف حجة في فنون مختلفة جزيلة الفائدة ومحمد بن مكرم الانصاري الاثر بقي صاحب كتاب لسان العرب المصمم المعروف له كتب كثيرة ويقال ان مختصراته خمسمائة مجلد

اما في القرن التاسع فلم نعتز علي مؤلفين مكثرين بين رجال الشيعة وان كان يوجد بينهم عدة مؤلفين متلين

ومن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زين الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجبجي عدد له تليذه العودي من المؤلفات المتنوعة ما يتلف عن سبعين مؤلفا وعن اكثر من التأليف في القرن الحادي عشر - عبيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مصنفًا وبها الكتب التي وقعت في عشرة مجلدات وصدر الدين محمد ابراهيم الشيرازي المشتهر بالملا صدرا عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتابا اكثرها في الحكمة الالهية

(١) هو كتاب روضات الجنات لمؤلفه محمد باقر الخوانساري من رجال القرن الثالث عشر جمع كتابه تراجم كثيرين من السنة والشيعة

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وامل الامل في علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فاذا هي تنيف عن اربعين كتاباً ورسالة ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر اسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد ان عدد له اربعة عشر كتاباً ورسالة الى غير ذلك من الرسائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً مثنياً في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف ومحمد باقر المشهور بالجلبي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفاً عربياً^(١) وخمسين مؤلفاً فارسياً وبعد الفراغ من تعدادها قال : وعدد ايات^(٢) جميع ما ذكر من العربي والفارسي الف الف ايت واثنين واربعائة الف ايت وسبعائة واذا وزعت على ايام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر الف ايت ومائتين وخمسة عشر بيتاً وخمسة عشر حرفاً وهكذا بالترتيب اه والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلاً عن امل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات اكثر من خمسين مؤلفاً اكثرها رسائل وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلاً عن بعض اجازاته اكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة

ومن المكثرين من التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ احمد الاحسائي^(٣) فقد قال صاحب الروضات بعد ما عدد له ثلاثين مؤلفاً الى تمام مائة رسالة وكتاب

- (١) اكثر مؤلفاته العربية جمعت في كتابه بحار الانوار الذي طبع في بلاد ايران فوقع في سبعة عشر مجلداً ضخماً وقد حوى ما هب ودب وبه الف والسمين
- (٢) البيت عبارة عن خمسين حرفاً باصطلاحهم اي سطر واحد
- (٣) هذا الرجل مبتدع مذهب الكشفية القائلين بالحلول والشيعة الاثنا عشرية تكفرهم وبه يقول الشاعر

لزين الدين احمد ضوء فضل به تحلى القلوب المدلحة
يريد الحاسدون ليطفئوه وبأبي الله الا ان نثمه

ومحمد باقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلا عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفا ثم عدد أكثرها

وملا جعفر الاسترآبادي عدد له صاحب الروضات نحو اربعين مؤلفا في علوم مختلفة أكثرها مجلدات ضخمة

وابوالقاسم المبرز القمي صاحب كتاب القوانين في الاصول عدد له صاحب الروضات عدة كتب كلها مجلدات ضخمة وقال وجد بخطه مايؤدي بانه كتب الف رسالة في مسائل مخصوصة من العلوم

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الاخباري ^(١) نقل صاحب الروضات بان له كتابا في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفا في فنون عقلية ونقلية وشهودية وجلها او كلها مجلدات كبيرة ومنها ما وقع في عدة مجلدات هـ .
مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي ان مدرسة ديروش في فرنسا احتفلت بمرور عشر سنين على تأسيسها فذكر رئيسها بهذه المناسبة ما قامت به المدرسة منذ انشائها في تربية العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال اليها قال ان هذه المدرسة انشأها اديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين) وغرضها ان تقصد الى القضاء على الاساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسية فهي تعاكس الظلم الناشئ من التدريب المبالغ فيه وتقارم انماك القوى في عامة اشكاله وطريقة اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقلة كفاية التربية الصحية وفقدان التربية العملية ونزع الاساليب المتبعة في تربية الاخلاق وتلقين الاديان .
وقد ذكرت المجلة ان غاية ماتوخه هذه المدرسة ان توفق بين النمو العقلي في الطفل وعين ان تبين للاولاد لماذا يعلمون الشيء الفلاني وان تشوقهم الى تعلمه لحل المسألة الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ ان تقدموا للمسابقة فاحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وابانوا عن كفاءة مدهشة في المواد التي لانسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى والمعلومات العملية وتربية الاخلاق . واحسن ثمرات التعليم الاستقلالي انه لم يعتمد

(١) الاخباريون الذين يتكرون تعلم علم الاصول ولا يعلمون الا بالاخبار ولا يقسمونها الى الاقسام الاربعة بل يأخذونها على علائها وهم من البشدةين

الى البطالة فرد من المتخرجين على اصوله بل ان ٢٦ منهم دخلوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخلوا المدارس التجارية و١١ في الصناعة وقلماء يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظيف والاعمال الحرة بل يختارون الصناعات العلمية الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في معمار السياسة وواحد اثر التوظيف.

مؤتمر العناصر

من اول مظاهر الاخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندن في شهر تموز ١٩١١ فهو اول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشرق والغرب وستلى فيه مفكرات غربية يتلوها ناس من ارق الرجال من اهل العالمين القديم والحديث وسيكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً من مجالس النواب واربعون أسقفًا ومئة وثلاثين استاذًا في الحقوق الدولية وغير ذلك وسيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها

استعمار الاسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية اننا قد ايقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد اصبحنا ولاسيما الاميركان منا نغض الانابل ندماً على ماقدناه بين يدي تينك الامتين وقد اخذ المسلمون ينهضون وينتبهون ايضاً بحسب رأي الميسولشاتليه (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما يفهم من الارقام التي اقي بها للدلالة على انتباه المسلمين قال ان الصحف الاسلامية تكون الرأي العام الاسلامي على ان تكون منافع الجمارك والاراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الارض الاسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حالها «الاسلام للمسلمين» وقد عاقت المجلة على ما تقدم بهذه الجملة الغربية وها كما ينصها مربية: اننا نعد انفسنا سعداء اذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأتوا فيستعمرونا على الطريقة التي عمدنا اليها معهم.

ضعاف المدارك

نقلت مجلة الاقتصاديين الباريزية عن احدهم المجلات الانكليزية مجئاً لاحد اطباء انكلترا جاء فيه ان بين عامة الناس والبله الثابتة بلاءهم في بريطانيا العظمى طبقة كبرى ضعيفة في مداركها وهي عالة على أسرها والمجتمع وعددها لا يقل عن خمسين ألفاً قال ان ضعف العقل ارثي واصحابه يشهد غرامهم وبكثير اولادهم على حين يقل

اولاد الانذكاء وبذلك ينتج ضعف الاخلاق والعقل في المجتمع وذلك لان ضعف العقول يأتون الجرائم والمفاسد اكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات اقرب بنات جدهن الى الاغواء . وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسم اربعهم ضعف العقول فالواجب اذا تقوية هذه المدارك الضئيلة والمدارس التي اقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تثمر الثمرة المطلوبة لانه لم ينجح واحد في الخمسين ممن دخلوها لانها انشئت على مبادئ مدارس اقوياء العقول اي على طريقة مدرسية صرفة لاشارة فيها للصناعات . قالت المجلة فان ادعى صاحب هذا النكر بان هذا خطر عظيم على المجتمع اُجيب بانه كان منذ كان البشر ولكم لم يكن محسوساً كما هو الآن لان الملاهي والاديار تؤوي امثال هؤلاء وكانوا من قبل مشغولين بالخطر وان كانت واقعياً الا انه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب المشار اليه نعم ان الاولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من سن السادسة الى الثانية عشرة بمعنى انهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل كما يظهر بل هو من شاق الاعمال التي لا تقدرها حق قدرها فان المستخدم في احدى المكاتب يملئ ثلاثين كلمة في الدقيقة اي ما يعادل طوله خمسة امتار فتكون هذه الخطوط ثمانمائة متر في الساعة او الف كيلو متر في ثمانمائة يوم من ايام السنة وهي ايام العمل . ولاجل كتابة ١٣٠ كلمة يدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و ٣٨٦٨٠ دورة في الساعة دع عنك ما يتبع ذلك من التعاريج بما لا يقل طوله كله عن مئة الف كيلو متر في السنة ولولا العادة ما سهلت الكتابة وخففت من تعب الاعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي على الاولاد ان يعملوه فهل يستغرب اذا رأينا بعضهم ينوون بهذا العبء الثقيل وان ما طالبه الطبيب لضعاف العقول من تعليمهم الصناعات هو احق به ان يطلب لجميع المتعلمين اذا اردنا ان يكون لهم عقل سليم في جسم سليم

تربية الحس

كتب بول غولتيه من علماء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها : لا ارى في التربية اكثر اهمالاً في العادة من تربية الحس فانه متروك وشأنه ينمو كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات اليمين او ذات الشمال في المدرسة والأمره وترى الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات يعنون بما في جهدهم بتلقين العلوم ولا يفتشون الى تربية القلب في حين ان الحس اصل القوي كلها ومبدأ كل حياة ولا اثر للذكاء والارادة بدونه على ما بان ذلك الفلاسفة المحدثون امثال ريبو

وفولي، وبرجمون . فالفكر الذي لا يقبض من حرارته عار عن القوة . فيه تعرف مطويات الضائر وعناوين الامزجة وغاية الجهد بل هو الصورة المميزة لما في الافراد من مزاياء الابداع . قال روسكين (من علماء الاجتماع الانكليز) : انا نشكو من قلة الحس اكثر من كثرة عقلته ادت بعض الارواح الى الابتذال فمن آثار قلته عادات واعمال تخالف الانسانية لاخوف يزججها ولافرح ولاشرف ولا تقوى يهزها فاذا تناقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجدفوا دمه يصح . بتدلاً على نسبة قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجوده مأناه ومنزعه فالعقل لا يعرف غير الحق فهو الانسانية الربانية تستقيم من القلوب فتدرك الالهيّات وصالح الاعمال .

فالحس يهرب بين الشخصيات ويسيطر على العواطف فيجمع الناس في افراحهم ويشركهم بعضهم مع بعض في اتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهرى بين الشخصيات . والافكار والاعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الافكار . اذا نقص فلا شيء يحد ونحو الكمال بل ان الكمال يفقد جملة وينجب معين العلم والصناعات والفضائل ويتعذر العلو وتفتقد العشرة وتخل رباط الاجتماع فلا احسان ولاشفقة . اذا فقد الحس تضعف الارادة ويبقى العلم ظلاً زائلاً ويفنى الذكاء . ولطالما رأينا علماء وهم بلمه مغفلون لو استقرت احوالهم لتجد لافرق بينهم وبين حمر الخلائق لان العلم لم يرق فيهم الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة مالا يتقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلما يتعلم في كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين ان يجعل الرجل في مصاف كبار الرجال او في طبقة ضعاف المغفلين

واذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لا يلبث ان يكون استعداد مبعث كثير من الفاسد واصل جم من الخطايا يرسل باحسن ما فيه من مائة الى الاغصان الشرهة الطفيلية فتهلك الاغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والشهوات فتد قال بول بورجه : « تكاد تكون معظم الامراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداة التدبير الصحي الاخلاقي زمان البلوغ » فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدنيئة وهذه القوة او هذا الاساس في كل قوة سواء كان في الخير او في الشر ينبغي ان لا يترك شأنه في الولد على حين هو لدن رخص الى الغاية فاذا هذب على ما يجب يكون منه ابطال وقديسوت والا فلا اقل من اهل حشمة ووقار

واكثر ما يكون مريباً للحس بيت العائلة والتربية الاصلية هي التي تجعل الولد على استقامة لا ينالها من تربية اخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصحب المرأة الى قبره ولكم كانت عناية الام اكبر مخرج للرجال الاعاظم حتى قالت الفقيسة نيكرو دي سوسور « ان الحنان هو الحرارة الضرورية لتنمية الجراثيم السعيدة »

والمدارس الداخلية مضرّة وهي لصغار السن جريمة ويتضرر النبات وهن سيصبحن ملائكة البيت بدخولهن المدارس الداخلية اذ يتعدن عن الأسرة بل عن العالم ويفطم الولد من الحب ولا يعرف غير جفاء النظام والعذاب المبرّد وقلة مبالاة الادارة بامرّه . يتعذب وما من احد يعني به عناية حقيقية او يعرف ذوقه وميوله ولا يجد حوله من يبوّح اليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء واحساسه يذبل ان لم تقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لا تخلو من مفاصد تنحى الاخلاق . وقد اتقته الانكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بانهم الى المدارس الداخلية بل يجعلونها في بيوت معلماتهن فيعشن بعيدات عن اهلن ولكن عيشة الظرف والعطف ويسهر معلماتهن على اخلاقهن وينجون من ادارة تسير على هواها كادارة الحبس فالأفضل اختيار البيت لتربية الاولاد فيه فليس كالأسرة التي خرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته ويعلم الظرف واللطف والطهارة التي كتب فيها ريتان الفيلسوف يقول : « اين يتعلم الطفل او الفتى الطهر وصفاء السريّة الذين هما اساس كل ادب راسخ ويدرك زهرة العواطف التي تكون ذات يوم بهجة للمرء ودقة الفكر التي هي ذات اشكال لا تدرك بالتصور ؟ أيتعلم في الكتب وفي الدروس التي تلقى على مسامعه فيصني اليها اوفي رسائل يستظهرها ؟ كلا انه لا يتعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه والمحيط الاجتماعي الذي يصير اليه يتعلم بجيانه في أمرته ليس الا »

فالحنان الآخذ بمنان الأسرة بما فيه من الانتباه والحب هو الذي يربي حس الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة اظفاره عما يعث به . ويجب ان لا يدفع الاولاد للخدمات فانهم يفسدونهم بضعف عقولهم وقلة عنايتهم حتي ان ولداً في الثالثة عشرة اصبح ابه بصنع خادمة ارادت تسكينه فوضعت في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى اذا فتحت الغرفة وجدته متسججاً وقد عولج الولد فشنى الا انه بقي ابه طول حياته . فصح فينا مقاله بلو تارك في القديم : « من الغريب اننا نرى الواحد منا يستخدم خادماً له في حرث ارضه وآخر لتنظيم داره وغيره

لادارة نفقته فاذا كان له خادم سكير لا يستطيع عملا يعهد اليه بترية ولده « ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة خانهم الدفن فهدوا الى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا على شيء من الاخلاق التي تطلب منهم لثرية خالق المتعلم فيرث الاولاد عنهم تقائضهم واحيانا مفاسدهم بل يقتبسون دناءة النفس فيتجردون عن المطالب العالية التضحية قبل ان يبلغوا السن اللازمة .

ولذلك وجب على الوالدين ان لا يبتخلوا لاحد عن ملاحظة اولادهم ففي الطفولية يتولون ذلك بانفسهم واثناء الدراسة يشرفون اشراقا عليهم ولا يدفعونهم الا لمعلمين اكفاء على ان دلال الولد وملاحظته على الدوام قلما تنشي رجلا او نساء احرياء بالاعتبار لان رخاوة الحس على هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكاره والافراط بالعناية به تعده الى ان لا يتوقع الا الدلال فالشاب يتطلب من الزوجة رفيقة لا أما والشابة تنتظر ان تكون لعبة لا ملكاً . وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لان والديه يبالغان في دلاله .

واضر ما يكون على الطفل الاغراق في قضاء رغائبه واعطائه من اللعب ما لا تشد حاجته اليه بل يكون من شأنه ان يعود الامراف والبذخ وخير من ذلك ان يعود الولد الحرمان والتقص في الشدة القليلة في التربية تدعو المرء الى التجاعة . عرف الاسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في ان الانكليز مازالوا يحافظين على انواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة . لاجرم ان ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة ويعد من الثأث مما هو من العيوب حتى في النساء .

وينبغي ان لانكتم شيئا عن الاولاد يطلبون السؤال عنه واذا كان ثمت ما لا يسوغ لهم ابداءه نعدهم بان فنصح عنه بعد حين فالجهل فيها ليس من الخير في شيء لان الجهل خطر كل حين وقد كتب الميسونيكولا ي يقول : « ان الاخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لان بعقد الامل الخيالي بان يكبر الولد في سذاجة تامة في حين هو يعيش في الهواء الفاسد الذي نستنشق »

فلا تية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب ان نجعلها تمس الحياة عند بداية ظهورها والمدرسة مفيدة بهذا الباب لان الاخلاق تتحاك فيها ولا بأس بان يغادر الولد البيت ويسبح في الخارج فان ذلك مما يقوي فيه الارادة ويبدع عنزه على العيش في الهواء الطلق في هذه الحياة

يجب ان يكون للحس نظم فقد كان علماء التربية - حتى الآن - يعتبرون الصناعات واسطة للتسلية لا لنتيجة لها او الاعيب صبيان وهي في الحقيقة احسن تعويذة لان في مكتبتها ان تجعل ابدآ في الاحساس مساوقة ونظامآ ونحوه الى ادب غرض اذا صح ان الاعتدال هو القصد لافي المآكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو اساس كل فضيلة فقد قال روسكين : ان معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الاولى لمعرفة حقيقة الاشياء الجميلة فان الحياة والمرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في اعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الافكار .

فمن الواجب كل الوجوب ان يجعل شعور الطفل منذ نعومة اظفاره يحثك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لافي كتب يدرسها بل فيما يحيط به ويحف حوله وان يوق النظر الى البشع كما يوق النظر الى ما ينافي الادب

يجب ان لا ينشأ الطفل ويتطلع حواله الا ويجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات التمدن الحديث ان حرم ابنائه السكنى في فيوت وسط الغابات والاشجار وجعل مساكنهم متصلة بها بعض بحيث لا تفتح النافذة الا ترى واجهة البناء المخاذي لك ولا يفتح الطفل عينه الا ما كآ هو مخطط وبشع على حين يسهل ان تزين مسكننا بفليس الجمال هو البذخ بل ان النظافة والنظام المدقق وانتقاء الاثاث والزهور وبعض النفائس والاعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال الى مساكننا ولان تفتح حياتنا اليومية على الدوام بابآ يطل على عالم الخيال . ولواجب ان يعنى بلباس الطفل كآي ما ينبغي على اسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف . نحن لا نقول كما يقول الفيلسوف كارلايل ان اللباس يوجد النفس الانسانية بل نقول بانها يرتبها وينظمها . وعليه فالاحسن ان ينظر ايضا في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون مما تنقز منه النفس والاولى ان يعهد بصنع العاب الاطفال الى اناس من ارباب الذوق والفن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر . ويجب ان لا تحرم المدرسة من مظاهي الجمال لان الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من اوقاته واذا كان عظم الوالدين لا يستطيعون ان يجعلوا لاولادهم يوتاً في الخلاء فالاجدر بالمدارس الثانوية ان تقيم مدارسها في الضواحي ليبتسر الاولاد ان يعودوا في المساء لبيتوا في دور آبائهم . فقد كتب روسو ان البشر لم يخلتوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في القرية بل لينتسروا في الارض التي يحرثونها فففس الانسان قتال لآخره . وعذه حقيقة لا حجاز والمدن هوة الجنس البشري

فعليك ان تبث باولاد يجددون حياتهم بانفسهم وينشطون قواهم وسط الحقول ويستعضون عن تلك القوى التي يضعونها في الهواء القذر من الاماكن المأهولة كثيراً .

وهكذا يجب ان تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في اماكن يخللها الهواء والنور وان يستماض عن الأدمان التي تطل بها جدران المدارس بالسواد عادة بالوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقله وقلبه . واجر بان تكون جدران المدرسة مزينة بمجاميع نفيسة ومفروشة بحجرها احسن فرش بحيث يكون الجلال عن ايمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه . ومن اجل هذا اختار بعض علماء التربية ان يرى الاطفال في حدائق خاصة بهم لينشأوا على التأمل في الكون والنظر في اسراره وبدائه فالسما تنعم بالنظر فيها ولكنها لاتفيدنا بقدر ماتتعلم من الصغر من التأمل في عظمتها

يقضي ان يطلع الطفل منذ صغره على ابداع مانقشه النقاشون وصاغة الصائغون وبناءه البنائون وان نتبعه ندرسه تاريخ الصناعة لانه لا يفهم منه شيئاً فيدخل الملل الى قلبه بل الاولى ان نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده . فلم الطفل ان يكون متفتناً لان يتخذ الصناعات النفيسة حرفة له بل يجب ان يعلم اللازم منها حتى لا يكون كما قال روسكين اكثر خجلاً اذا لم يحسن الغناء مما اذا كان لا يعرف القراءة والكتابة لانه من الممكن كل الامكان ان يعيش المرء عيشة سعيدة خفيفة بدون كتاب ولا حبر ولكن قلما يتأتى ان لاتميل النفس الى الغناء اذا كان في يوم سعدة . ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بان في تعلم الطفل الغناء يدونه طول حياته بزاوتين من الحكمة والسرور دع عنك ان الغناء بالاشترار مع الاصحاب هو أكدر الطرق الى تعلم التضامن . ثم انه من النافع تعويد الطفل ان يرسم بقلم الرصاص او المنقش الاشكال والالوان الطبيعية فيتعلم بها الممارسة اللازمة للصناعات النفيسة ويعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع الى التنسيق والتذوق فاذا ربي الحس على هذا الطرز يستعد للتخلق بالفضائل بتقوية الارادة وبدونها لا يتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لان الارادة لا توجد الميول والرغائب تخير منها وهذا الميل ناشئ مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللازم تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف ارادته بدون ان يشعر

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تسلط على الرجل فما اجرها ان تكون كذلك للاولاد يسرون في اعمالهم بسيرتها وينجون على الدهر نهجها فتد ذكروا ان فتاة اخذت في الشهر الخامس عشر من عمرها تقلد اباه في تقطيب حاجبه وتمتد عاداته في الغضب ولهجة في رفع صوته ثم تعلمت الفاضل في قلة الصبر والغضب وهكذا أصبحت تردد افعال ابها كلها بعد السنة الثالثة . وقانون القدوة الذي هو عمل من اعمال الاقتداء والمحيط بعمل عمله في الحسن كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيه : « من العادة ان يعلم الاب اولاده ما يعلم كما ان العادة ان يورثهم شهواته »

ولذا كان على الوالدين ان يراقبوا انفسهم في كل ما يصدر عنهما بين أسرتهما وامام اولادها ويتبعوا عن كل ما شأنه ان يحدث في الولد تأثيراً سيئاً في الافعال او الاقوال ونرى الناس لا يباون ان باتوا امام الطفل ما يفسده في فعله ومقاله ويعلم الفاسد كلها قبل ان يعرف ماهيتها . فالغضب وكلمات الكبر والعجب والتذات الشهوانية والوقعة والكذب تعرض كل يوم امام عيني الطفل واذنيه فتشوه حسه وتفسد نفسه ويعتذر الابوان بان ابنهما لا يفهم ما بآتيان امامه وهو يدرك العيوب التي تمثل امامه على هذه الصورة ويتوهم بان الواجب بقضي بذلك ويوشك ان يسوء نظره على الدهر ويسعد من لم يره ابواه لانهما في الاكثر يدللانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه لتربية نفسه خوفاً من بكائه او ان يفقدوا ابتسامه موقفة فتسوء تربية الطفل والطفلة بصنع ابويهما وانالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواله انساناً على اهة تامة لسامع ما يقوله والاعجاب به وتدليله واستحسان كل ما يصدر من فمه ويصفقون تصفيق السرور لكل ما يقوله مما يخالف الادب . فلو كان رجلاً ما وسع عقله كل هذا التصفيق والاستحسان فما بالك به وهو طفل .

ومن الناس من يسرون على عكس هذه الخطة فينادون الطفل في اقواله وافعاله وبغضبونه في عامة احواله ويعلمونه الحسد بما يستعملونه معه من خروب التهديد الشديد الدائم الذي يروقه تكراره وهذا من مفاصد التربية ايضاً .

فلى الوالدين ان ياعدوا عن الطفل ما يرتكبه من المضرات في تربيته فلا يشتدان عليه ولا يرخيان له العنان بل تكون تربيتهما الى القصد فلا يمنعانه من لذائذه بكل ما يطلب ويحييانه من رغائبه الى كل ما يشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً فتأنيب الطفل من اهم فروض الوالدين واكبر مظهر من مظاهر عنايتهم . والاولاد

كالام يعزون الصرامة ولا يجبون الا ما يحترمون . كل هذا بدون ان يخلوا ساعة من سرور ابنيهما حتى يعيش ويكون تجليه سرورا طول حياته

فلذا ان الوالدين ينبغي ان يكونا خير قدوة لابنيهما فهو لا يتأثر بالفضيلة الا اذا رآها ماثلة بالفعل امامه منذ نعومة اظفاره . وكمن اناس لا يتطاولون الى هذه الغاية لانهم عاشوا في وسط غير متمدن ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل اخلاقهم ومعلوم ان لهذه تأثيراً في القلب وهكذا الحال في كل الفضائل فاذا شاهدنا الطفل اليوم بعد الآخر يتشرّبها وتطمح نفسه الى ان يأتيها بذاته . فمن ابوين حرين ينشأ طفلاً مخلصاً ومن اب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن امرة طاهرة يخلق الولد نقياً نقياً . فالعدوى في هذا الباب اشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وان للحركات والسكنات افعالا في خلقه الطفل وخلقه ولذلك وجب ان تصدر عن النفس دائماً لا متقطعة

وكما يقتضي ذلك الابوين ان يكونا خير قدوة لابنيهما يجب عليهما ان يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بان ينميا في حب الذات او الإعجاب باحسن ما فيه فليس احسن في التربية من ان يشعر المربي من نفسه بخجل عما اتاه فليس الاولى البعد عن مكالمته حب الذات بل المناسب تقيته في الخجل اللائق وتسييره الى وجهة الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيته فالاديان تدعو منتجليها الى الايمان فمن الضروري كما يقول بعض علماء الاخلاق ان يؤمن المرء بقوته الخاصة بميزل عن معونة خارجية فاقبل شك يطرأ علينا ببلينا بالهتتم وينضب مادتنا ويحول دون اننجاس ارادتنا القوية

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك ان تربيته على حرمة غيره وان تعرفه بها بان تضرب على العرق الحساس فيه فاذا احببت ان تلقنه معنى الاحسان فاعرض عليه مصائب الناس وقارنها بما يشعر به من هذا القبيل . ويغلط الوالدان اللذان يخفيان عن ابنيهما شقا، هما كأنه رذيلة من الرذائل مع ان الفقر احسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاهية حتى لا يعتبرها بانها واجبة او مضمرة وتذيه فيه الشعور بالشفقة . فمن النافع ان يعرف منذ طفولته ان من الناس من خانهم سوء الطالع ليعتاد التحن عليهم والاسراع الى اغاثتهم وتحتاج في تربية الحسن لياقني بثمرات جنية الى ان توقد جذوته بالتحميس لعمل الاعمال العظيمة فالواجب ان يلتن الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنه الولوع بنابة سامية ارقى مما يقع تحت نظره كل يوم وبذلك تغذى روحه وينفع بما لديه من القوى والموارد . وخير ما ينفع في هذا الشأن النظر في انواع التعليم كالعلوم وتاريخ

الفنون والآداب فالتعليم اعظم مهماز يربي ميول الطفل وبعده لان يكون من كبار الرجال ويربأ به عن الانفاس في حمأة المصالح المتبدلة . فالتعليم لا يقوم بوظيفته اذا لم يكن فيه ما يوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بنوجيها نحو الحق والجمال والخير واساس ذلك التمسك في الانسان

ولا يكتفى في تعلم تاريخ الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب ان يعلمها الطفل في اللوحات والهيكل والمصانع والشعر والقصص واخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحمس بها الا بذلك . يعرض عليه ذلك بانعمل ويشرحه للعلم فالتعليم الادبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا ييسر تلقينه بدون قطع تشرح السرفيه كالتشريح لا يستفيد منه المتعلم اذا لم تكن امامه جثة . فلعينا ان نبعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لانها تقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فن واجب الاستاذ ان يطلع تلميذه على مقاصد المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تتمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي بفيض منها حس المتعلم بل ان حسه اذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفائه وتنبع منه يتابع لا يتجف طول الحياة

يقول بعضهم ان التربية الحلية الصرفة تجعل الذوق قاحلا ولكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التمسك كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع والكاتب فالبحت عن الحقيقة يشدعي اخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال . والمرء كما يقول باسكال اقل سكرام باستحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في ايجاد شيء من تصوره . فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا اقل قوة ممن يخترعون افكاراً من نفوسهم

قال كلود برنارد : « ان الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث وبعده في اعماله وهذه المعرفة هي التي يكتشفها فخر امامه على العوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعادته الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من اجل الحصول على مجهول لا يعرف الافراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي افراح لا يدانيها شيء في العالم » الحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للحس ولارتقاء العلوم في المستقبل ان يكشف عنها القناع امام اعين من يعلمهم الا انه

يجب لاشراك التلامذة في البحث ان تكرر لهم تلك الحقائق ويطلب منهم ان يبحثوا بانفسهم وان يوفر لهم قسطهم من السرور باكتشافها فيطلعون على مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم الى احتذاء مثال من جاهدوا جهاد الابطال امام قوى الطبيعة حتى تبطنوا اسرارها فاذا حيى وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المشودة كما ان من يبدأ باللعب ويكون ضعيفاً لا أول امره لا يلبث ان تنبعث له همته ويزيد بلوغ الغاية غرامه . وهذا يستدعي لتعليم الآداب ان يجعل التلميذ مع اتصال بالحقيقة والطبيعة التي هي ميدان درس العالم بدلاً من حصره في مآزق تبعث نفسه على المقس والتأفف في حين كان يجب ان تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان : « انما نشبه بالفندين والابطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل اهل الاخلاق الهلية الذين وقفوا انفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مباليين بالمال بل ربما فاقروا بقتلهم ولستموا لما يقدم اليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم على ثقة فيما يعملون سعداء لان لهم الحقيقة » ولا سبيل الى نشر ممانعت به عقول نوابغ الارض في العلم والآداب والصناعات الا على ايدي اساتذة جهابذة وبغير ذلك لا يرتقي الحس . والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومباري : « باعد عن الجنس البشري الاعتقاد بعالم اخروي ارق مما هو فيه فانك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوي اللازمة للتخلق بالفضيلة فاذا لم يكن هذا العالم الاخلاء واسعاً يضع فيه صوت الانسانية في الفراغ بدون ادنى قوة عاملة تضمن للعدل نصرة ابدية فالانسانية معرضة للسقوط في حياة سافلة لاستهوائها وافتتانها بالمفاسد وما يتسرب اليها من مغريات الملاذ المادية » وسواء علم الناس التعليم الديني او لم يعلموه فن الثابت ان اخراجات تقوى بضعف الاديان ولقلة العناية يفسد الدين ولكنه لا يضيحل فالواجب تلقين الطفل لباب الدين لا الحشو ولا اللغو ليشب على المعقول والتثبت باذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر العقل فقد قال فكثور هوغو : « ان ما يخفف الالم ويفرس التقوى والقوة والعقل والصبر والطهر والحرية في الانسان هو ان ينظر على الدوام الى عالم احسن مما هو فيه يلج من خلال ظلمات هذه الحياة »



المقبر

الدرر الكامنة

ليس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور في جملة ما طبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمجي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي المتوفى سنة ١٢٣٣ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشر وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكنفاني العسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد عن ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الفزي المتوفى سنة ١٠٦١

وها نحن نشكم على « الدرر الكامنة » وسنعبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثلاثمائة مجلد ضخ اوله الحمد لله الذي يحيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كانت في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهر سنة ٨٣٠ ثلاثين وثلاثمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

اما الكتاب الذي نحن بصدده فنه في دمشق مخطوط ^(١) قديم بخط ابراهيم البقاعي مهمل غير معجم وتعرض في الاطمين قراءة وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « اما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة احدى ومبعاثة الى آخر سنة ثمان مائة من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء والادباء والشعراء وعينت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من اطلعت على حاله واشترت الى بعض مروياته اذ الكثير منهم شيوخ شيوخى وبعضهم ادركنه ولم ألقه وبعضهم لقيته ولم اسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمددت في هذا الكتاب من اعيان العصر لابي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخنا ابي حيان وذهبة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوخنا الحافظ قطب الدين الحلبي وذيبل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذيبل المرأة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة نقي الدين ابن رافع والذيل للعلامة شهاب الدين ابن جحى وماجمه صاحبنا نقي الدين المقرئ في اخبار الديار المصرية وخططها ومعاجم كثير من شيوخنا والوفيات للحافظ ابي الحسين بن اسد الدياطي والذيل عليه لشيخنا الحافظ ابي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاضي ولي الدين ابن خلدون المالكي الى غير ذلك وبالله الكريم عوفي واياه اسأل عن الخطأ صوفي انه قريب مجيب »

وهذا المجلد في ٢٦٧ فرقة مراتب على حروف المعجم يميل فيه المؤلف الى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة ابي جعفر ابن الزبير والشهاب الاذري وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصالح الصفدي والعلاني والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القيراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والاردبيلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازان والحافظ البرزالي وابن الاكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الروبة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزمكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القونوي وابو حيان الاندلسي وقطب الدين الشيرازي والبارزي والحافظ المزي وغيرهم ممن كانوا غرة ذلك القرن

(١) في خزنة كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم مذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لاتسقط لهم على تراجم ولو مختصرة الا في هذا السفر ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوذة بيف ذاك العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة من حال ذاك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكسة والنتار من اصبحوا البعوبة في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهالك . اقاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي المقرئ المصري « تفقه وظهر في القراءات والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع الجواب حسن التلاوة يدري الحاوي والخاصية ويحفظ الكثير من التوراة والانجيل رمي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له اسمعيل الكافر واسمعيل الزندبقي وطلب الى تقي الدين الاخنائي وادعي عليه غلظ في كلامه فبجئ فجاءه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له قل : للاخنائي يضرب رقبة اسمعيل فانه سب اخي لوطاً فاستدعى به واعاد مجلساً وأقيمت عليه البيعة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالك بن القصرين في السادس والعشرين من صفر سنة عشرين وسبع مائة نقلته من خط القطب وذكر انه حضر ذلك وقال كان قد نظر في المنطق فدخل في كلام لافائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهور في الادب » قلنا واقبح بعصر يقتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

ومن ضربوا على الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقرئ الصالح ولد سنة ٦٦٦ ونشأ جميلاً جداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترب وحفظ الشنبه ثم صحب الباجري علي فصار يقع منه كلمات معذلة وسلك سبيل التزهيد ودخل الى بغداد مع ركب العراق فيقال انهم تقموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى حلب فجري على عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البيعة عند القاضي شرف الدين المالكى فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد وولى ركعتين وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقتل

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

بالله يا الهي هيت الي الردي كم تجتري بلسان خب هالك

ارسلت من حلب لجلاتي موثقاً وتقلت بعد الشافعي لما لك

وفي الحاشية بخط ابن حيان البقاعي : قال ابن كثير ضربت عنقه بسوق الخيل على كفره واستهتاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلكان والشمس محمد الباجريقي وابن العمار البغدادي نال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكارب وارباب الدولة وكان يوماً مشهوراً اعز الله فيه الاسلام (١) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد أنه وقرعه على ما كان يصدر منه اهـ» .

وقال في ترجمة السكاكيني مانصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الحمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتآدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن المسلمة ومحمد بن عظام في آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن المحب وبالأجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته فاخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد ورد على العفيف التلمساني في الاتحاد وام بقرية جسرين مدة وام بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن حجاز (?) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر على القدر وينكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسنن به الشيعي وتشييع به السني . وقال الذهبي : كان حلواً المحالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وبنطوي على دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابي وكان ينكر الجبر وينظر على القدر ويقال انه رجع في آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة في سنة خمسين وسبعائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن على دين الاسلام واورد فيه احاديث مشكلة وتكلم على متونها تكلم عارف لما يتول الا ان واضع الكتاب بدل على زندقه فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذته تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الايات التي اولها

ابا معشر الاسلام ذمي دينكم الايات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ « وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال على الزندقه خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال وللمات لم يشهد دفنه القاضي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفح قاسميوت وقتل ابنه فيما بعد على قذف أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهما .

وتراجع مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلائ مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرها الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لا تتخفى على من قرأ العبارة الاخيرة . وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فاتفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فنهره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فخلعوه الى القاضي نقي الدين السبكي فاعتبرف بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فعتدوا له مجلساً فحكم نائب المالكي بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعمائة وخمس وخمسين » .

ومن انهم النظر في تراجع من قتلوا يتضح له انهم كانوا على جانب عظيم من العقل والعلم وان أكثر ما روي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقتناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجع من هذا القبيل تدل على انحطاط في ذاك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشفي من يجهون الى استفتاء القاضي المالكي لان مذهب مالك يقتضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلبي الحنبلي من اشياخ ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكي بالقاهرة « فصر به ضرباً مبرحاً بجضرته حتى ادماه ثم شربه على حمار اركبه مقلوباً ثم نوذي عليه هذا جزاء من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد البققي المصري الاديب العالم فصر بواعقه بامر القاضي المالكي بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبئ بانه مستهزئ بامور الديانة وانه منحل مستحل الحرمات

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم بحاج فحكم القاضي المالكي صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو القاتل

اذانلت المني بصديق صدق فكان وداده وفقى المراد

فخاذر ابن تعامله بقرض فان القرض مقرض الوداد
ومثله اسمعيل الكردي واحمد الروسي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي
ومحمد الباجريقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم من ذهابا شهادا قضاة المالكية
والماتصية من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه
الدرجة من الافكار والتصور .

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان علي رايهم من الفقهاء والعلماء فقد
ذكر ابن حجر في ترجمة العلماء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في
فتاوى تصدر من ابي الحسن بن العطار وادعوا ان فيها تحبيطاً ومخالفة لمذهب القاضي
واجتمعوا عند بعض الحكام فبادر جماعة من محبي الشيخ علاء الدين فقالوا له انهم
هياؤا شهادات يشهدون عليك بها تخارت قوته وبادر الى الخنيق وصدرت عليه دعوى
فحكم باسلامه وحقق دمه وبقاء جهاته عليه !!!

وها نحن اولاء ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك منزلة هذا
الكتاب وهي خير ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذلك العصر الذي كثر فيه تعذيب
العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد ^(١) بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله
ابن ابي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين
ابن مجد الدين ولد سنة ٦٦١ وتحوّل به ابوه من حران سنة ٦٧٠ فسمع من ابن ابي عبد
الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه
ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم
وصنف ودرس وافنى وفاق الاقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجذان والتوسع
في المنقول والمقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

واول ما انكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من
الفقهاء بسبب الفتوى الحوية ^(٢) وبخونها معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهمات وقعت
في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المقتبس : طبع في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في
اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً غزرناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعائة الي مصر فتعصب عليه يبجرس الجاشنكير وانتصر له سلا^(١) ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم قتل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه ، وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه المحنة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بالمتحانة في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك ففقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقري منها وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصني الهندي يبحث معه ثم آخروه وقدموا الكمال الزملكاني ثم انفصل الامر على انه أشهد على نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشتاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعدلية فعززه وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزي^(٢) فصلاً من كتاب افعال العباد^(٣) للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر بحبسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى المجلس فاخرجه بيده فبلغ القاضي فطلع الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين اذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملكاني لابن الوكيل ماجرى على الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صصري انه عناه فعزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية ونفذها المالكي فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم على العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سلا^(١) كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرية

اي اكبر الوزراء ويقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل يريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل يريدي في خامس رمضان بطلب القاضي والشيخ وان ارسلا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبران الجاشنكير والقاضي المالكي قد قاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشتد بمصر على الخنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلوا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشره بعد صلاة الجمعة فادعى على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فاصر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تبرد اليه فقال : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره ^(١) فقتلوه ليلة عيد الفطر الى الجب وعاد القاضي الشافعي على ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الخنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع ثم جمعوا الخنابلة من الصالحية وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (?)

(١) في محاكمة الاحمد بن وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر احمدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه وقد سمى ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبدالرحمن ابن ابي ليلى وسعيد بن جببر وغيرها وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبدالرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربع مائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخيب بن عبدالله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولا وبال الله دولا فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف نجيب على الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سمحه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرح ممأ والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضاً سبعين سوطاً في عين المكره وكان يقول لا يلزمه اليمين والامام احمد امتحن وسجن وضرب في ايام بني العباس والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كتبه لبعض معارفه بدمشق ان جميع من بمصر من القضاة والشيخ والفقراء والعلماء والعوام يحيطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكانت من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكتب اليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الخط أي ابن العربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري به يبرس الجاشنكير . وكان يبرس يفرط في شبة نصر وبعضه

وقام القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المانكية مع الشيخ نصر بالغ في اذية الحنابلة . واتفق ان قاضي الحنابلة شرف الدين الحراني كان ليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واسلموه خطه بذلك واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الخريزي التمس لابن تيمية وكتب اليه تحسراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جهتها انه : « منذ ثلثة سنة مارأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسمى في عزل ابن الخريزي فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذري ثم لم يلبث الاذري ان عزل في السنة المقبلة وتمصب سلار لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فانفقوا على انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الجب الى ان شفع فيه مهنا ميرآل فضل فأخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه وأحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد^(١) خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره ولا اعلم كنه المراد بل لا يعلم الا الله والقول في النزول كالقول في الاستواء وكتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما ينافي ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول

(١) المقتبس : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملأ الدنيا بفتاويه وهو في محبة التي تخالف مايقوله خصوصه كما بعلمه من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأُخرج عنه
وسكن القاهرة

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن عطاء فطلعوا في العشر الاوسط من
شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لا يستغاث
بالنبي صلى الله عليه وسلم فافتضى الحال ان أمر بالسير الى الشام فتوجه على خيل
البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشغل بنفسه بالمرض وقد اشرف
على الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرد من بليس وادعى عليه عند ابن جماعة
وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه
فاعتقل بسجن حارة الديلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعائة فنقل
عنه ا جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ما تقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل
اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه
وحبس ببرج شرقي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم يمنعوا منه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة
وكان موضعه، فسيحاً فصار الناس يدخلون اليه ويقروؤن عليه ويحشون معه . قرأت
ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشجع فيه عنده فامر
باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فأكرمه وجمع القضاة واصلاح دينه وبين القاضي
الملكي فاشتراط الملوك ان لا يعود فقال له السلطان : قد تاب . وسكن بالقاهرة وتردد الناس
اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل
دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلناه
جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من
الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أُخرج في عاشوراء
سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة
واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٢٢٨
قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس باوصالها ولم يدرك عوادها ما بها
وما انصفت مهجة تشكي اذاها الى غير احبابها

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقدر ويدس في خيشومه رجع الخبيس فان يعود خميساً
وأشدد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار - وإنما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى واكلنا ماله عيار
نسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كآب
الزملكافي قبل ان ينحرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال ورثاه محمود بن علي
الدقوقي ومجير الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير
وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غانم وشهاب الدين ابن فضل الله
وزين الدين ابن الوردي وجمع جم واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة
قال الذهبي ما ملخصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف
واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع
انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا شد استحضاراً للثبوت وعروها
منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية
من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الديانة ومعرفة احوال المخالفين فكان
لا يشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس
ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله
لومة لائم

قال : ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني
الى التغالي فيه . وقد أوديت من الفريقين من اصحابه واعداده وكان ابيض اسود
الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان . ربعة من
الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتربه حدة لكن
يقهرها بالحلم

قال : ولم ارمثله في ابهاله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لا اعتقد فيه عصمة
بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان
ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتربه حدة في البحث وغضب وشطط
للخصم تزوع له عداوة في النفوس والاولو لا لطف خصومه لكان كلمة اجماع كان كبارهم

خاضعين لعلومه معارفين بشرفه مقرين بتدبر خطائهم وأنه بحر لا ساحل له وكفر
لا نظير له ولكن ينتمون عليه اختلاقاً وافتعالاً وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك
قال : وكان يحافظ على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يأتى من
سوء فهمه فإنه الذكاء المفرط ولا من قلة علمه فإنه بحر زخار ولا كانت متلاعباً بالدين
ولا ينفرد بمائل بالتشهي ولا يطن لسانه بما اتفق بل يمتج بالقرآن والحديث والقياس
ويبرهن وينظر أسوة من تقدمه من الأئمة فله أجر على خطائهم واجرات على أصابته
الى ان قال :

تقرض اياماً بالقلعة تمرضاً جدياً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة
وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حفر جنازه المثل واقل ما قيل في
عددهم انهم خمسة الفاً

قال الشهاب بن فضل الله ما ندم ابن نعيم البزيد الى القاهرة في سنة سبعائة
نزل عند عمي شرف الدين وحضر اهل المملكة على الجهاد وانظروا القول للسلف
والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً وعقبة طعام فلم يقبل من ذلك
وارسل له السلطان بقية قماش فردها قال ثم غفر عنده شيخنا ابو سنان فقال مارأت
عيناي مثل هذا الرسل ثم مدحه بايات ذكراته نظمها بديهة وانشده اياها

لما اتانا تي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
دلي حياه من صيا الاولى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسير بل منه دهره حبراً	بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن نعيم في نصر شرعنا	مقام سيد تيم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذ آثاره اندرست	واحمد الشراذ طارت له شرر
كما نحدث عن حبر يحيى فيها	انت الامام الذي قد كان ينظر

قال ثم دار بينهما كلام فخرى ذكر سيدي به فاغلظ ابن نعيم القول في سيويه فنافره
ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاتاً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر قال : ورحم ابن الحب سنة
٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الايات فقال قد كسبتهما من ديواني
ولا اذكره فسأه عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيويه
فقال ليس بشيء قال ابو حيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن نعيم قال له ما كان
سيويه نبي النجو ولا كان معصوماً بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره
النهر وراثه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائعة مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل
من المسالك ان شاء الله تعالى . وراثه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية^(١)
قال كمال الدين السمرسي في امالي : ومن عجائب ما وقع في الحفظ من اهل زماننا ان
ابن نعيمه كانت يمر بالكتاب فيطالعهم مرة فينتقش في ذمته وينقله في مصنفاته
بلفظه ومعناه

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجواب

عشا في سرخ قوم سلاط	لم من نثر جوهره التقاط
(تقي الدين احمد) خير خبر	خروق المضلات به تحاط
توفي وهو محبوس في يد	وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لأفرا	ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نجبا وليس له قريب	ولا كنظيره الف القمط
فريدا في ندى كف وعلم	وحل المشكلات به بناط
وكان الى التقي يدعو البرايا	وبنهي فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطا	بوعظ للقلوب عو الديا
فيا لله ماذا ضم لحد	ويا لله ما غطي البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن في اذاه لم نشاط
وحبس الدر في الاصداف فخر	وعند الشيخ بالدجن اغتباط
بال الهاشمي له امتداد	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو نعيمه كانوا فبانوا	نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن ياندامة حاسديه	فشك الشرك كان به يماط
الم بك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الامام فيستشاط
ويا فرح اليهود بما فعلتم	فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كب مال	ولم يعهد له بكم اغتلاط
فقيم محبتموه وغظتموه	اما لجزا اذيتته اشتراط

وقال الاقشهري في رحلته في حق ابن نيمية : بارع في الفقه والاصلين والقرائض
والحسب وفنون أخرى وما من فن الا واء فيه يد طولى وقته ولسانه متقاربان
قال الطوفي : سمعت يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعنتاً ناقضته فلا
يليت ان يتقطع فاكفى مؤثرته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع :
وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من
الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كأن هذه
العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذكر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى
له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناء جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير
العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم
الرقبي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر
شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان
لنصبه لمذهب الحنابلة يقع في الاشاعة حتى انه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا
يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش التتر الى الشام خرج اليه وكله بكلام قوي فهم بقتله ثم
نجوا واشتهر امره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصر المنيجي كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير
فيه فبلغه ان ابن نيمية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب
اليه من الاتحاد او الالحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل بنكر عليه فكتب اليه
كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الالحاد فعظم ذلك عليهم
واعاناه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكراً (?) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي	ففيه لقد ر مثلك انحطاط
اما والله لولا كتم سرى	وخوف الشر لانحل الرباط
وكنت اقول ما عندي ولكن	باهل العلم ما حسن اشتطاط
فما احد الى الانصاف يدعو	وكل في هواه له انخراط
سيظهر قصدكم باحسانه	ونيثكم اذا نصب الصراط
فما هو مات عنكم واسترحم	فماطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذاك البساط

وقتاويه فذكر والله ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر^(١) درجتين فقال: كنزولي هذا.
 قسب الى التجسم ورد علي من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم واستغاث فأشخص
 من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعائة) تجرى عليه ماجرى وجس مراراً فاقام
 علي ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشغل ويفتي الي ان اتفق ان الشيخ
 نصراً قام علي الشيخ كرم الدين الايلي شيخ خاتناه سعيد السعداء فلخرجه من الخاتناه وعلي
 شمس الدين الحريري فلخرجه من تدريس الشريفة فقال ان الايلي دخل الخلوة
 بمصر اربعين يوماً فلم يخرج حتي زالت دولة يبيرس وخمل ذكر نصر واطلق ابن ثنية
 الى الشام

واقترق الناس فيه شيئاً فمنهم من نسب الي التجسم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية
 وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقة لله وانه مستوي
 علي العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانتقام فقال انا لا اسلم ان التحيز
 والانتقام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول ثبت (?) التحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من ينسبه الي الزندقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به وان في
 ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا اشد التمس عليه في
 ذلك النور البكري فانه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعز
 فقال البكري لامي هذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعز

ومنهم من ينسبه الي النفاق لقوله في علي مائقم ولقوا. انه كان مخذولاً حيث
 ماتوجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله انه كان
 يحب الرياسة^(٢) وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيئاً لا يدري مايقول
 وعلي اسلم صبيّاً والصبي لا يصح اسلامه علي قول وكلامه في قصة خطبة ابنة ابي جهل
 وما فيها من الشناء علي ٠٠٠ وقصة ابي العاص بن الربيع وما يوجد من مفهومها فانه
 مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يفضلك الا منافق

ونسبه قوم الي انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلجج بذكر ابن تومرت ويطويه
 فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حو قق والزم يقول لم ارد
 هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً قال: وكان من اذكاء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة ما يكذب هذه القرية علي شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني حمل ابياتاً على لسان ذي في انكار التندر واوطا:
 ايا علماء الدين ذي دينكم تحير دلوه باعظم حجة
 اذا ما قضى ربي بكفري بزعكم ولم يرضه مني فواجهه حيلتي
 فوقف عليها ابن ثيمية فتى احدى رجله على الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان
 يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً اوها

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية^(١)

وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن ثيمية وهو الذي في
 حدا في على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالفقيه من ادرك من العلوم
 حظاً ، وكان يشرب السنة والا تارحفظاً ان تكلم في التلف يرثوه حامل رايه او انفي
 في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايه ، او حاضر
 بالليل والنخل لم يراوسع من علمه في ذلك ولا ارفع من درايه ، يبرز في كل فن على
 ابناء جنسه ، فلم ترعين من رآه مثله ولا رأته مثله من نفسه - كان يكلم في التفسير ،
 فيحضر مجلسه الحليم الفقيه ، ويردون من يجره المذهب النجس ، ويرتمون من ريع فضله في روضة
 وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء اخسد واللب اهل انظر منهم على ما يتخذ عليهم من
 امور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً واسعاً وبديعاً ، وفوقوا للتبديع سهماً ، وزعموا انه
 خالف طريقته ، وفرق فريقهم ، ونازعه ، ونازعه ، وناطح بعضهم ، وقاطعه ، ثم نازعه طائفة
 اخرى ينسبون من الفقر الى طريقة ، ويؤمنون انهم على ادق باطن منها واجلى حقيقة ،
 وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها دلائل ومواقف ، فأضت الى السائفة الاولى من منازعته ،
 واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته ، فارصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم
 في كفرة فكره ، فرتبوا المحاضر ، وألجوا الرويشة (?) للسمي بها عند الاكابر وسعوا
 في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وادوع السجن ساعة حضوره
 واعتقل ، وعقدوا لاراقه دمه مجلس ، وحشدوا لذلك قوماً من عمار الزوايا وسكان
 المدارس ، من عامل في المنازعة ، مخاضل بالمخادعة ومجاهد بالتكفير مبارز بالمقاطعة ،
 يسومونه ريب المنون ، وركب يعلم ما تكن صدورهم وما يعانون ، وليس المجاهر بكفرة
 بأسواً حالاً من الجامل وقد دب اليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في فخره ، ونجاه

(١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحاً لطيفاً وهو

موجود في بعض مكاتب دمشق

علي بد من اصطفاؤه والله غالب على امره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنه بعد فتنه ، ولم ينتقل طول عمره من محبة الا الى محبة ، الى ان فرض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبته ذلك الى حيث ذهب الى رحمة الله تعالى وانتقاله الى الله ترجع الامور ، وهو المطلع على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه شهوداً ضاقت بمجنازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتركون بمشهد يوم تقوم الاشهاد ، ويمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافق ودرس وهو دون العشرين وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقل ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلاً بالاسكندرية التمس منه صاحب سبته ان يميز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسانيده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لافقي بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريقة السلف واحتج له بادلة وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات اجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يبداهن ولا يجاني بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فجري بينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارته بحره وتوسعه في العلوم الثقيلة والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا اغرض
سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرامة مثله في هذا
الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل الملاقي في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء
الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا
وسيدنا واماننا في بيتنا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك بمن اتبعه احسن طريق
ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافة انهما عن حصرة قاصرة
متعنا الله بعلمه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني
والعبر البحر القطب النوراني امام الائمة بركة الامة علامة العلماء وارث الانبياء آخر
المجتهدين اوجد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين ٥٠٠ سيف المناظرين
بحر العلو كنز المسغيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والازمان ٥٠٠
حجة الله على العالمين اللاحق بالصالحين والسبب للماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة
الهدى عمدة الحفاظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي الفنون البديعة ابي العباس
ابن تيمية اهـ

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب
سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم
محقق ويعتاد الانسان قراءة خطه على اعجابه بعد قراءة بضع صفحات منه وقد طمست
بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لماء او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات
الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام
والحفاظ مصنفه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هذه فرغ منه جامعه سوى
ما الحق فيه بعد تاريخ فراغه في شهور ستة ثلاثين وثمان مائة ثم الحق فيه الى
سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبتايا من التراجم في زوايا لم استوعبها
بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك بمدة وكرمه آمين . قلت (البقاعي) وكانت
كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر علي قراءة كثير من النظم
الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير

ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان يسراو يحرق ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بنزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اه

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة وله سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين والمؤلف هذا محدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين ^(١) سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لاتكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته : وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري النازح هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهلم جرا مفصلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصا من اقبلته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهالك نموذجاً من تأليفه : سنة سبع وسبعين وسبع مائة : فيها في الحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم « ميا » عظيما انفق فيه من الاموال ما لا يحصى وظهرت فيه من الفواشش والقبائح ما لا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام . سنة اربع وسبعين وسبع مائة : وفيها كان الوباء بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر . سنة اربع وتسعين وسبع مائة : هجم على النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (?) وهم نحو مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثاثرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يتدي باول القرن التاسع من الهجرة مائه : دخلت سنة احدى وثمان مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد برفوق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان اليمن من نواحي تهامة الملك الاشرف

(١) جلاء العينين في محاكمة الاحمد بن اللاؤمي

ومن نواحي الجبال الامام الزبيدي الحسني وسلطان المغرب الادنى ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسلطان المغرب الاوسط المريني وسلطان المغرب الادنى ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية فيمور وكان المعروف بالثكن وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن عجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل على الله وبدعى امير المؤمنين وبنازعه بهذا الامم الامام الزبيدي وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن .

وقد امتد الكتاب الى سنة خمسين وثمانمائة وبديء به سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذبالا لانباء الغمر فن انا بان نظفر بالاصل والفرد ويطبع كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة طويلة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر حتى اذت الحاجة فما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكفى نفسه ابا الحسن انظر في البقاعي صاحب تلك العجائب والنواب والقلائل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم نقر بيا سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه قيم العصر بين بكتاب الله وسنة رسوله انى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة على انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره في تناسب الآيات والسور الذي لم يؤلف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنه وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحرية ظاهر الشويكة في دمشق الشام ويوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره انهوه ، نسختان عورضت احدهما على مؤلفها وبها خطه رحمه الله



المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متناحية الاطراف واسعة البقاع مخضبة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمنابع اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلية وهي المعروفة في تواريخ الانراك باسم « لهستان » قضى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امرائها وابنائها منذ نحو قرن ونصف فتقسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة « فارسوفيا » ١٢٧٠٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٦٤٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمساوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكنيسة وباقيهم اسرايليون وبرتستانت ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء ونقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة ما فيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ايدي الاسرايليين *

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه باساطير حتى القرن التاسع للميلاد وغاية ما يعلم ان هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الاتس والهنت والفاند ثم نزلها الصقالبة . واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه يياست فحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميسيسلاس الاول (٩٦٢—٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣—١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشر اي وفي العهد الذي بدأت تنشأ فيه اوربا ممالك مطلقة الحكم مستبدة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما عجل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما فكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

القاصد تماكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم وقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انتقلت الحال بعد ان كتب النصر لبولونياكي الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولا جيش ما خلا ايام أسرة جاجلون

قد بدأ المخطاط بولونيا على عهد سيجموند فاذا سنة ١٦١٨ فاصيحت المملكة بدون مالية ولايت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسوي يعينه مجلس النواب الى مجري هذا وليس للبلاد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجمين

ثم عادت الى البلاد بعض حياتها على عهد يوحنا سويسكي (١٦٧٤ — ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لما نظمته فالجيش البولوني أنقذت « فينا » من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للنساوين بشيء من الفائدة عليهم ولا على حكومتهم . وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سويسكي فاستند الى امارته مكسونيا فاستقام له امر بولونيا ثم خلع وتدخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا بدعي كل منهم حق التملك على البلاد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاترينا الثانية صاحبة روسيا بثأريد سانسيلاس بولونوفسكي على عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذلك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هائلة هناك فانضمت الى المنافسات السياسية وذلك بما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاترينا الثانية ^(١) امبراطورة روسيا واستجدت البرتسانت ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني . وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ فذهت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب على اتمه عندما أُلِف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضمن احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يتاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقاسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلاد نهائيا فوقعت العاصمة اي فارسوفيا من حصة روسيا وكراكوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا ونالت بروسيا بقية المملكة ثم نظم جزءا منها مملكة جديدة ولكنها انتقضت واثارت سنة ١٨٣٠ فدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلاءا حستا فانخلت مملكة فارسوفيا

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتفاض ما رآوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكرياً لا يقي ولا يتدر وبالنظر لقله عدده تمكنت روسيا من قمع جماح الفتنة بعد سنة من نشوبها وما فتئ منذ ذاك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية آيلاً الى نزاع لغتها وابدالها باللغة الروسية وتدريب اهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصيغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حلتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وقريبة جداً من اللغة الكاسربية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوف التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية على عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البروتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعلى عهد يوحنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألفت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وما قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفتن الداخلية فلم بعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للأدب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفون وعاظ واثريون وموعظهون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفتن وانطلقت السنهم بالشعر المزوج بعواطف النفوس المتألمة ودامت طابقة الشعر في ارتفاع الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المحيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهياؤها لمطلب الجمال والاستتلال وساعد القصصيون خاصة بما نشره من الاساطير والروايات على ترقية اللغة البولونية وادخل حياة جديدة فيها في العهد الاخير

دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة على ان قداماء الصقالة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حمى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا بالبائنين والتقاشين والمصورين حتى جاراهم البولونيون وناقسوم في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الأخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهموا على وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوربا واميركا وعرضهما وكثر منهم المهاجرون ولاسيما الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم على لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغمهم بتار يخم قترام كما طالب المطال على غمزق ملكهم يخزون لاسترجاعه ونقوى عزائمهم على المطالبة به ولكن اوربا او الساحة من اهلها قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا ترسم كل شاك. على ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا على انفسهم فكانوا ومازالوا يشهدون في بلادهم وخارجها للحرية حتى لا تنزل منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بشوا دعائها في بلادهم وفي اوربا واميركا يجمعون المالك الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بفنائع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتن. وفي سويسرا ايضا حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجانه وغودجا من البستهم جعلوها سيف متحف خاص

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون امجاد آدابهم بمدارسهم ولم تنل روسيا مأرباً من نزاع لغتهم وتلذذتهم بلغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية اكثر انتشاراً مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشت الذي اصاب اهلها والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الا عن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم على جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبهم ان يأخذ ولا يعطي كانت النساء ومازالن ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان اخلاص البولونيين لها اكثر من اخلاصهم للامان والروس لانها ساوتهم بسائر عداها فلم يستقلوا ظلها ولا تبرموا بأدارتها .

ولكثر اندماج الالمانيين والامريائيين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفا ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوربا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها في

الصناعات والتجارات ونشاط اهلها اكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل
المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت اقل من ثلاثين وبلغت قيمة الثروة العامة
في بولونيا الالمانية نحو الف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو اربعمائة مليون

وهكذا تجدد تجاراتها واسعة باتساع غاباتها ومناجمها وخصب تربتها واقتصاد اهلها
على الصناعة والتقليد حتى حاكوا اعرق الامم الغربية في الحضارة ويكني ابن كوري
مخترع الراديو هو وعقيلته من اهل بولونيا وان في اهل اوربا كثيرين ممن نعرفهم الآن
فرنسيين او المانيين او نموسيين او انكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومنشأ *

وبعد فيجدر وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا البحث الى هذا الحد ان نلم بطرف
من تاريخ هذه الامة وعلاقتها بالمسلمين ولاسيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة
بين بولونيا والامم الاسلامية ^(١) على عهد لاديسلاس جاجلون والسلطان مراد العثماني
وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل
على الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وفتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين
واخرى للمجريين سئمت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح
الى صاحب بولونيا فوقع على صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤) لمدة
عشر سنين على ان يعيد السلطان بلاد الصرب الى ملكها وان تضم بلاد الفلاخ الى
المجر وبقتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي اسر في وقعة كونو بيرا بسبعين الف دوكا
(٨٠٥٠٠٠ فرنك^٢)

واذ صادف ان السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت اوربا في
السلطنة ورأت ان الفرصة مناسبة للتيل منها وعلى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة
من عمره فطلب الى صاحب بولونيا ان يشارك الدول في تحالفين على العثمانية فابى للعهد
الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فارسل اليه البابا اوجين الرابع بصرح بانه
لاخشية في بعض الاحوال من الخنث بالايمان ومثل له بنفسه اذ انه جهز ثمانية سفن
على ثقته وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا ان يسير على الخطه التي رسمها

(١) كتاب بولونيا والاسلام لصدبقنا سيف الدين افندي كاشتوت البولوني
Thadée Gasztołt. La Pologne et l'Islam.
Paris Société Française d'Imprimerie et de Li-
brairie 15 Rue de Cluny, 1907

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضاً في قوة من رجاله إلى بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكثت النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفا من رجاله

ثم سار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى مملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سببا البولونيات فشغفته حباً واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرمًا وكانت على غاية من الجمال والادب والدهاء ولكنها صرفت ذكاءها الى الخبث فكانت القاضية على السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها توارىخ العثمانيين فقتله بدسائسها

وفي سنة ١٥٢٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند ماتداخلت هذه لاقرار الامن في نصابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكما بينها وبين فرنسا وبولونيا للدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونيا ملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته . وفي سنة ١٥٢٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وجددت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بيلم كاهور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فخرض العثمانيين والتاتار على البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه شئون الفاضل يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح عليه في الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهابت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقق الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السبل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تلتطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتترك حصونها وتؤدي اليه الجزية فعقدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين . وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق تدس الدسائس .

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بوبوفسكي الباب العالي اعظم خدمة في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيين والليتوانيين فقد عينته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يمدد الدسائس بين القوزاق والتاتار والأتراك ليحلمهم على النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى على كامينيك بودولسكي وليوبول وكليهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا . فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتخلت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٠ ألف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملك لها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فعاد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سويسكي جيوش العثمانيين في شوسيم على نهر دنيستر واستولى على المدينة ورجع العثمانيون على اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان محباً فصادف ان مات في ذلك الحين ملك بولونيا فانصرف سويسكي الى فارسوفيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة . وعاد الى قتال العثمانيين فبزمهم في بودوليا واوكرانيا وفي ١٩ شعبان ١٠٨٧ هـ عقد الصلح على ان لاتدفع بولونيا شيئاً ويبقى لها قسم من اقليم بودوليا ويحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مفااتيح الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسمح لانتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرستانتي ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك على الرغم من ارادة روسيا ففصلت العلاقات بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

ولما سافت الدولة العثمانية على فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تسولي عليها انجند صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانك على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولاً ثم انهزموا فاقتدين ثلاثين الفا من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بودولسكي

ونال العثمانيون على عهد مصطفى الثاني عدة نصرات على جمهورية البنادقة واستولوا على الهرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بأق بار

(كارلسبرج) وتمسوار ولاغوس وقاتل النمساويين وقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفا ثم فشل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسياكي يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انقاذ بلاد المجر من النمساويين وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واوكرانيا وتخلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تتقاضاه منها ومنذ ذلك العهد تصافت بولونيا والعثمانية لانهما ابتقتا بدساس حكومات اوربا التي يقصد بها اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطلبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تغضي عن روسيا لتتال قسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

نشرت حرب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت منذ سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانهمز السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فنزلوا في بندر من اقليم بسرانيا فكرمت العثمانية مشايم الا ان روسيا لحقت بالمتهمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الروسي الى الاستانة فاحتفظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحمي وطيس القتال بين عساكر الدولة يعصدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسكب فاركب الله القائد العثماني اكناف العدو ولكن القائد العثماني عاد فاراشي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بحقوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة لمنوس وقتل خنقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذلك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب على العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فلوقت الحرب بسعي الروس في الاستانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا على عهد الصلح ليشغلوا الدولة ويغنموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابى الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الوقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهائي كانتا تعضدانه على العثمانية وبولونيا والسويد وبمساعها اوقفت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ على معاهدة صلح الي مدة خمس وعشرين سنة ولم تراع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فقعدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق لها التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فخارب الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ وقع الفرس والعثمانيون على هدنة لتتفرغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا . وازمعت روسيا ان تجتاز بميجوشها بلاد بولونيا للحدام الارض العثمانية فاغتاظ لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فخاصروا مدينة ازوف واضطرت الحكومة العثمانية ان تسوق جيشاً في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت المدينة قبل ان ينجدها الجيش العثماني واستولت روسيا على اوتشاكوف وكبورن وعلى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم واتى الروس من الفظائع في هذه الوقائع ماسطره لم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلكو في تاريخه الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع مانعريه : ان الحملة لم تول روسيا شرفاً فان بلاد القريم أحرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يغتفر على عهد البربر لما فظروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم المصانع والآثار وتدمير المعابد وابداء المدارس العامة وادخال الظلام على العقول باحراق خزائن كتب الامة التي تريد الانتفاع بها في اناة افكارها والقاء الشيوخ والنساء والاولاد طعمة للبربر لا يتقصده الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

وتحالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتالت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة نابرة ان تلغى جميع المحالقات التي كانت أيرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزلها التاتار ويعترف لولدافيا وفلاخيا بانهم امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا ويعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والدردنيل فلم ترض الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا تستجيمت قواها وحيي الوطيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يجرقوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد الصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولتي النمسا وروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كرا ورسونا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تخوماً بينها وبين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة على روسيا ان تهدم حصون ازوف وتناكروج وتسحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تقبل الا على السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء ذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تقيم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرة حنة ايفانوفنا . ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا . وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس على عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضدهم في البلاد العثمانية فكان اول عمل لم ان بنهوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيين وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة القبر المقدس وكسروا المصابيح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابى اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في محالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولويين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك على عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلى السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه على العرش وبدأت العلاقات الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لا يكبدوا صفو الصلات بينهم وبين بولونيا واذا نشأ على التخوم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في غضون ذلك جندياً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابته بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان اليهود نقضي بان لاتتدخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا امر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تحسم الخلاف الذي كان يحدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا على امرينها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليقتل سيف عثمان الاول على العادة قدم له الجنود كأس مشروب على نحو مايجرت العادة فاجابهم انه يرجو في الربيع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذلك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية وبولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتحميد عن كل مخالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سرّاً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتازت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاترينة الثانية سنة ١١٨٢ هـ ٥.

وفي سنة ١٧٦٩ و ١٧٧٠ حدثت بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيما في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافارين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرقت مدينة تشسما بالقرب من ازميز وسعم صوت القذائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازميز على بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ فخسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٧٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ وعدة مراكب واستاق الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس على القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في الحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب على روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبينما النصر كان حليف اعدائهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن على تقسيم بولونيا تقسيماً اولياً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا على حرب الدولة العثمانية فاستولى على اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فغزن السلطان لما نال ملكه حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب بينك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعقابها واستولى الظافرون على بندر وغيرها واستولى النمساويون على بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا على توقيف الحرب على العثمانيين لاشتغالهم بثورة فرنسا الاولى ولكن كاترينا صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغبتها بشأن العثمانية وبولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الروسي وذلك في البحر الاسود بالقرب من يكي قوله ثم بالقرب من آق ير (سباستبول) وانهزم امير البحر الروسي في ٨ يول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطولاه وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباستبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما شغلها ببولونيا فعقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت تقسيماً ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تفر دولة من الدول بنت شقة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذايح بيعت فيها الارواح بيع المجان.

ولقد عذمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا مؤتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب والبلغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم فقضي في دسائسها النوف من هذه العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والمجر وتدخل الباب العالي في شؤون ولايات الطونة وامم ذلك فتنة المجر ولو جرت الدولة العلية على تحالفها مع بولونيا والمجر وعصرهاها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

قلنا ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب على كاترينا الثانية لمجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى تخوم نهري الطونة ودينستر سنة ١٧٦٨ فحاول كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشنق الاطباء ولكن عاد الصدر فنتاول رشوة من روسيا هو وامير مولدا فيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى على مامر بك اتفاقاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشؤومة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاء منذ عرفوا ما يكيد لهم اعداؤهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هؤلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عناية الدولة بالبولونيين وعنايتها بالمجر بين ايضاً انها فتحت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعالمين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانتهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستعانت بهم على اقامة ثقتهم الجندية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوباً من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعلنت بان دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها يعدل الباب العالي علناً عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تولى كتائب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر القوزاق وكان منهم كتائب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنة سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتائب البولونيين في حرب القرم ان ابلوا مع العثمانيين بلاء حسناً ولما انتهت الحرب اقطعتم الدولة بعض قرى في ضواحي بروسه واسسولهم بلدة في ضواحي الاسطانة لاتزال الى اليوم وقد دان بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولوبورد زاكي الذي لقب بمحمد حلي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الاتراك والبولونيون يتحابان كما طال المدى خصوصاً والعثمانيون يعلمون حسن معاملة البولونيين ايام استقلالهم للنتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتائب تقوي غنائها في رد هجمات المهاجرين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لقلّة النساء عند النتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج ناتاري من يهودية وكانت بلاد بولونيا قديماً الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربالايت بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سيما بعد ان زادت مدينة البولونيين ونما عددهم الذي بالغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اعتمدنا عليه في تعريف هذه النبة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داوينا الى دنيبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبئين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقن اياه والام تلقن ولدها الثناخي بالاستقلال ويملون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمتهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذابحها واغابيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ماقصدوا اليه ذات يوم ياترى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم .

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشأن له بقدر كسر السنين في حياة الافراد وما المئة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجديد ونزع ربتها ممن يظلمها ولقد كانت يرجى الاستقلال لكل امة كانت لها ففقدته كالمصريين والجزائريين والهنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون .



الفصحح العامي والعامي الفصحح

من يبحث لنعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في

نيو يورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة ما يدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ايات فحول الشعراء وعبارات بلغاء المنشئين على سحنة الكلمة والعبارة كما نرى في وبستر في الانكليزية وليتبره في الفرنسية فترى اكثر الكتاب يفرصون في ما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من هرف عرف .

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية ونثرية يسلم معها الفوق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عامياً الى اصله الفصحح ويعدل عن التفرع الى السهل المقبول

قد تهافتا ثوب اللغة حتى كاد يسقط من ثقطعه فترى كل من تحيف نيانه عجمة ويجدل عن ادعاء ومكابرة يحنحف الفصحح ويستتاب البليغ ويحرك خشاشه غضباً على كل من

ملك من اللغة غنا واضبط لها بيانا ويكون لابدري من اي الدهماء هو ولا يعرف له في عالم الادب اصل او فصل ولكنه يتوهم ان كل كلمة يقرأها ولا يفهم معناها تكون من « الحوشي والحوشي ! » . وان كل مائدولته السنة العسامة ساقط يجب الترفع منه وتكون الكلمة التي لا يفهمها من ابلغ ماجرت به اقلام المثشين والشراء الا انه لم يطالع ليعلم ولا تحرى ليفهم ويكون بعض مائدولته السنة العامة من بقايا افصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف والتحريف وقليل من البحث يرجعها الى اصلها ويقم من اللسان مناده على ماقع من نحو خمسين عاما اواليوم اذ توكم المجتهدون أثر بلغاء العربية الاقدمين وتشتطوا للبحث والتفتيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاما تأتي .

وليس لنا حتى في مدارسنا الوطنية اثر « للوطنية » فترى ان كل مدرسة سورية قد اوجبت على تلاميذها التخاطب بلغة غريبة عنهم حتى عند اول دخولهم بابها فيتسرب العتوق وشي من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين ويكون القائمون على تهذيبهم وتدريبهم من خونة الوطنية ومجرمي الآداب اذ كيف يعقل ان طابا لا يفهم من الفرنسية او الانكليزية او الروسية او الجرمنية كلمة يكلم رفيقه باحداهن قبل انقضاء الاعوام عليه وكيف يقبل السوريون مثل هذه « الشريعة المدرسية » الظالمة التي تكتم في التليذ وتعوده الخيانة اضطرارا لقضاء حاجاته الضرورية وتنشئه على حب لغة غير لغته ووطن غير وطنه ولو ان المدارس السورية توجب التخاطب بلغة اجنبية في ساعة واحدة معينة للتلاميذ لكان ايجابها معذورا وان لم يكن له مثل في اي مدارس اوربا واميركا وانما هو الاحتقار يركب الصغار ! والمدرسة التي لانسان فيها اللغة الوطنية تكون عدوة الشعب ولو كان منشؤها من الصرخاء .

ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه والتصرع والتصاغر للاجنبي والتمروء الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التغاؤل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كما نعرفها قبل عصفها والله في تدابيرها شوءون .

وهناك آفة جديدة على اللغة من اهل معاجمها المعروفة وعدم تنقيحها وتصحيحها وادخال الموضوعات الحديثة اليها في اي معجم نرى تفسيراً عصرياً بلجراً والندي والرعاد والمنطاد مثلا اوجما لشتات ما جمع على صحفه المحققون او توسعا في الاشتقاق

والنحت والقلب والاببدال والتركيب والاذغام مما لاغنى عنه في لغة حية بل نرى ان كل معجم يطبع حديثاً يجرد من الكثير من اصوله بدعوى حفظ آداب الناشئة وصون اخلاقها . فليكن ذلك . ولكن بعد بذل شيء من العناية لزيادة الضرورية للكبار كاتناقص الضروري للصغار .

الفيلسوف اللغوي يجد في كل معجم حديث زيادة جديدة وشروحاً مفيدة الا في العربية الباقية كالرسوم الدوارس مع تعدد المدارس . وترى « المثقفين والمهذبين » ينشرون صفحات الحريري والبدیع وجمع البحرين وامثالها لاشراب التلاميذ روح المخادعة والمصانعة والجبانة والخيانة والحيلة والرزيلة على غير قصد منهم او بقصد استظهار الشوارد والاوابد ويطوبون صفحات كل كتاب يكون افيد واعود وانفع وارفع لانهم لا يزالون كالفلاحين الشرقيين محافظين على المحارث القديمة !

ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولاماضي لاحدها فهل نقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل بعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاماً من غير اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة اذ يكونون يحافظون على قديم عقيم لا يسلم به عقل سليم .

وفي اللغة عيوب كثيرة الصقها بها غير الراسخين ونظن ان اوان النهضة الادبية قد آن وانه يجب ان يعلن دستور اللغة كما اعلن دستور الحكومة

انا مورد الآن ما حضرنى من العامي الفصحح للقاية التي بسطتها في التوطئة .

توأ — اسأل عجوزاً او شيخاً ان يدللك على بيت او طريق في لبنان فيقول لك « اذهب توأ » ويشير باصبعه والكلمة فصيحة من قولهم جاء توأ اي قاصداً لا يعرجه شيء

بربص — يقال بربص الارض اذا ارسل فيها الماء لتجود او بقراها وسقاها تنقياً رويًا وهو المعنى الذي تستعمل الكلمة له في بعض السواحل والقرى الغزيرة المياه اما في سائر لبنان فيفهمون بالبربصة رش الماء امام البيوت والحوانيت وليس في المعنى شذوذ

دعث — الدعث هو تدقيق الرجل التراب على وجه الارض بالقدم ودعس — وقریب منه دعس الشيء اذا وطئه شديداً والغريب ان اكثر الصحافيين يعتبرون « دعس » عامية وان الكتاب لا يستعملونها لزعمهم ان المعنى العامي غير تام

اما «دعث» فلا يذكرها احد منهم مع ان القرويين يستعملونها «لرص» ويقولون عن الارض المدوسة مدعوثه وعن المطوح التي تكفت: يجب دعسها او دعثها . فليتأمل القاري.

دعك — كلمة فصيحة ويقال دعك: الثوب اذا ألان خشفته الا ان مغربي اللغة لا يرون في الكلمة فصاحة فيستعملون «أخلق» وهي لاتدل على شيء من الدعك بل على البذ والارثاث

دعز — يقول العرب: عود دعر نحر للزدي الكثير الدخان ويفهمون بالدعارة (بشد بدلاء) سوء الخلق ويقولون دعر العود اذا دخن ولم يتقد ونقول العامة رجل دعر اذا كان متصلاً جافاً وهو من المجاز الذي لاغنى عنه الا ان من الناس من لا يريد ان يمتد نظره الى ابعاد من ارنية انفه .

دغري — في محيط المحيط ان «الدغري تحريف الطوغري بالتركية ومعناه الصريح والمستقيم» فلماذا لا يرجع الى الاشتقاق العربي فيكون معناه الانتقام من غير تثبت وهو المعنى الذي يريده اكثر العامة اذ يقولون: اذهب دغري وذهب دغري الي البيت واذا وجد اختلاف فما لا يمتد به .

الثغرة — بلفظ اكثر اللبنانيين الثاء بين لفظها الاصلي ولفظ الثاء او الطاء فيقولون انتغرت الثغرة ويستعملون الكلام الفصيح في المواضع التي لا يحسن كثير من كتاب هذه الايام استعماله فيها ولا عبرة باللفظ الذي لا يفسد المعنى — لو كان اللفظ يفسد معنى الكلمة لكانت اللغة الانكليزية فاسدة في اكثر كلامها بين اللفظ الانكليزي والامريكي والكندياني والاوسترالي .

الثلم — خط الحراث ويريد البعض جعله غير فصيح من طريقة لفظه التي اشرنا اليها في الثغرة .

احزك الحمل — شدة جيداً «والمكارون» يستعملون هذه الكلمة الفصيحة التي لاترضي البعض مع ان معنى «حزكه» عصبه وضغطه واحزك بالثوب احتزم .

بلصقي — اللبناني يقول: اجلس بلصقي اي يجني ولا يوجد اصح من هذا التعبير للمعنى المراد الا ان استعمال العامة له جعله عند بعض الناس غير عربي كما جعل بعض الفضائل مستحي بها الا ان اصحابنا هؤلاء ينظرون الى الكلام نظرم الى المصنوعات

الوطنية التي ليس لانفسها وأدقها قيمة عندهم ولو استطاعوا ان يفاخروا عن هواه سورية
الهليل بهواء معل بشرط ان لا يكون « وطنياً » لما ترددوا .

منزهه — منزهه والكلمة عربية وعلى لسان كل لبناني

شلخه — هبزه بالسيف وجريمة الامة انها تستعمل الشلخ للدية والنجل الا ان
المنتشرين على اطراف الجبل والمضطرين الى منازلة ومقاتلة المغيرين والغزاة يقولون
« شلخه بالسيف »

حز — وعلى ذكر الشلخ نقول ان نصيب « حز » من (المتعصرين — وزيد بهم
الذين يدعون ونوسهم عصرين بلغتنا العامية) ليس افضل من نصيب شلخ . يقال :
حز الشئ قطع . وفيه فقه اللغة للشعالي انه خاص باللحم الا ان العرب تقول حز الخشب
فرضها والامة تقول : حزز المثار جعل فيه أثراً ونقول ايضاً « الحز » للقطع والحزة
للقطعة ولا نرى ما يعاب به الاشتقاق

حش — قطع الحشيش او طلبة وجمعه والكتاب يؤثرون استعمال « قطع الحشيش »
على حشه مع ان الكلمة اصلية لا يصلح غيرها معناها .
القلت — القرة في الصخر يجتمع فيها الماء واصلها لقرة الجبل يستنقع فيها الماء
ويستعملها الاولاد من العامة صحيحة دون اكثر الكتاب .

غعطط — غاب النوم عليه هذا هو المعنى الاعم عند العامة وبأقي بعده معنى غلبان
انقدر فلو قام منشي ببلغ واستعمل الكلمة لقال « المتعصرون » عنه انه بأقي بالوحشي
والحوشي او ان الكلمة دخيلة لانهم هكذا يريدون او هكذا يفهمون .

زلق — زلفت قدمه زلت . والزلفة الصخرة الملساء وبها سميت قرية في ساحل
بيروت وفي التسمية دلالة على ان اللسان العربي كان في بلادنا فصيحاً ولا تزال الآثار
تشهد له الا ان من نكد الدنيا عليه ان عارفيه — بروحه لا بلفظه — غير كثار وان
جاهليه مع الادعاء بمعرفته جيش جرار

زحل — عن مكانه تنحى وتباعد

زحلقة — دحرج ومنه تزحلق الاولاد في مطاوعة

شخر — صات من حلقة او انفه ولا ندري ما يجعل الكلمة غير فصيحة في استعمالها

لغطيظ .

فققف — في معاجم اللغة : قفقف الرجل ارتعد من البرد وغيره او اضطرب حركاه

واصطكت اسنانه وهو المعنى الذي تستعمله العامة له تماماً الا ان هناك معنى آخر لم نعثر عليه في المتون وانما ورد رواية واسناداً في لسان العرب وهو : ففقت الدجاجة على بيضها حضنته واستعمال الكلمة شائع في لبنان للمعنيين فهل اغرب من هذا النقص في معالج اللغة

وخش — الشيء كان وخشاي رديئاً وهذا هو المعنى الذي تريده العامة من الوحش ضد الناعم لانهم لا يحصون الاشياء فقط به بل يتناولون بمعناه رذال الناس وخشارتهم ويهيدون بكل فصاحة .

طم = بالتراب دفن وغطى

كب = افرغ

طرفة — طريق

من الحاضر — من الجاهز

بتكه قطعه تشديد بتكه للبالغة

بت — الامر امضاه

بربر = صاح واجلب وتكلم بالفاظ وحشية

قرقر = شقق (حاجي تفرقر وتبربر)

وكل كلمة مما مر واجبة الاستعمال في موقعها اذ ليس ما يسد مسدها

القر = في محيط المحيط ان العامة تستعمل القر لما غزل من الفياج المبيضة فهل هي تستعملها الا لما استعملها له الشاعر القائل :

« يرفلن في سرق الحرير وقزه » ؟

راز وروز = يقال رازه جربه وامتحه، وقدره وراز الرجل اختبره قال الحريري

لانسأل المر من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم

وروز كلامه رواً في تقديره وترتبه فما قول المثرفين !

قتش — تنش اللحم جذبه قرصاً والشعر تنقه

التنقه = ما تنقه باصبعك والفعل تنف بمعنى نزع . يرى المتروكي ان معنى العامة

في محله وان انكر المنكرون وعلي هذا المثال ثقل وثقل

نش = الغدير أخذ ماوه في النضوب وهو المعنى المستعمل له النش عند العامة

أكثر من التحلب والنز . والنز من العامي الفصيح وهو النجل او الماء المتجلب من الارض

يبقى — من من السوريين لم يسمع هذه الكلمة ؟ نقول العامة فلان يبقى اي
يهذر وفي المعاجم ان البقبة تفريق الكلام على الناس وربما كانت فلسفة الكلمة في المعنى
العامي الذي يتناول معنى الهذر والشقة والغموض
وهم يقولون ايضاً عند انزالهم الجرة في حوض او الدلو في بر ان الماء يبقى فليطلب
الادباء الاصل لتثبت لهم فصاحة الكلمة

قرفة — يقال بتو فلان قرفي اي هم الذين اخن عندهم طلبتي وسل بني فلان عن
ناقثك فانهم قرفة اية تجد خبرها عندهم والعامة تستعمل الكلمة كالقرف والمقارفة
مصدري قارف اي قارب

وقراف من لا يستفيق دعارة يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب
الا ان اصل المقارفة للاشياء الدنيئة وما لاشك فيه ان التعميم الذي جرت عليه
العامة ناتج عن المخالطة المسددة لافعال ان غرضي الآن هو اثبات صراحة اكثر الكلمات
الدارجة واذا وجد في بعضها خلل فذلك من جهل المدعين فوق ما هو من مخالطة
الاعاجم اما تروى كيف تستدرك العامة المعنى بتو لها : مقارفة التاجر الفلاني حسنة
والآخر رديئة فروح اللغة لاتزال فيهم وهم افيد لها من الذين لا يفهمون ولا يريدون
تفهم معنى الكلام

قرف — نقول العامة قرف قعة الجرة اي انتزعها والاصل التشر
تف — هذا مثل التف عندي مثل وسخ الظفر وقد لاتكون العامة تفهم ان التف
هو وسخ الظفر الا انها تفهم انه شيء لا يبعأ به وتستعمل الكلمة فصيحة
تفه — اصل هذه الكلمة تفه وفساد لفظها لا يفسد معناها فهي فصيحة يجب استعمالها
على حد ما تستعملها العامة بعد اقامة اللفظ فهي نقول : شيء تفه وامر تفه وكلام تفه
وقولها صحيح فصيح

هبط — لازم متعدد يقال هبط بمعنى سق وحيطة بمعنى انزله واكثر استعمال العامة
للفعل مشدداً فهم يقولون هبط الحائط فاين المأخذ ؟
مسماك — المسماك عود يكون في الخباء يسمى به البيت اي يرفع قال ذو
الرمة الثقفي :

كان رجليه مسما كان من عشر صبيان لم تنقسم عنهما النجب
والكلمة مستعملة عند القرويين بمعناها الوضعي الا انهم يستعملونها لرفع الكرم ايضاً

ويظن البعض انها لا تعود فصيحة فعلى هذا المذهب الغريب لا يجوز لنا ان نضع للباحين
شكية ولا ان نلقي الى الاكفاء مقاليد الامور .

ان بلية اللغة في ابناها المقيدون لانهم مقيدون ولما كنا نبحث في المسالك فلا
يأس من استعمال الكلمة العامية الفصيحة من ان كل من لا يكون لطيفاً يكون بالطبع
« سيكاً »

هيج — هيج بالعصا ضربته وهيجه ورمه وتهيج تورم وبما ان العامة تستعمل الفعل
بمجردده ومزیده لم يعد عند المثنيين فصيحاً

هيش وهمش — لينظر العارفون اذا كان معنى الجمع والالتقاط تاماً ام لا
جرس — المثئون يستعملون شهر والعامة تستعمل جرس للتسميع بالناس واشهار
عيونهم وتقايسهم والكلمة العامية اصح وواقع .
« ماهذه الجرسه ! »

هاش — لانتفت يا قارئ الى هوش الكلاب وتهوشهم فان ابنا العربية آخذون
بمخاطبها وانما تذكر قول العامة : « الناس هاشون » وقولهم : « هم في هوشة وكانوا بهاشون »
للدلالة على المخرج والبيح والفتنة والفساد والاختلاط وتذكر في الوقت نفسه ان الكلمة
عربية فصيحة وان « الهوش والبوش » من فصيح اللغة ايضاً وانه لا ينقصنا الا
التحقيق والتدقيق

الكلمات التالية كلها من فصيح العربية المحسوبة عامية

الثلاثة القطرات والانتشار — التسمير للرفع والتقليص — قش الشيء جمعه
والاولاد والنساء في لبنان يقولون : نحن ذاهبون الى الحقل او الحرج نقش اي نجتمع
الوقود — هارش واثب وخرش للناس والكلاب والشيء بالشيء يذكر فالعامة نقول :
رجل هرش للشيخ ولما فعل هرش الرجل يهرش اذا ساء خلقه فاذا كانت كلمة هرش
عربية فهرش مصحفة وهل اقدر الائمة لا يلعنونه ؟ — لازق لاصق — ولصقي لاصق
بيتي بجاتي وجانيه — الهيكه الفضيحة وهي في لسان العرب دون الفيروز ابادي ومحيط
الحيط — حاص حوله اي حام — نعر صوت يخشومه وصاح : كفى تنعرو فلان بنعرو — رزه
غمره والشيء في الشيء اثبتة : رز الودد ورز المدل والمد والجراب — صول الخططة
والكلى — عزوة الرجل — نثفة ونثفه ونثفه — الوأف — خارت قوته اى

ضعف — عززه لأمه ووبخه — الولودية الصفر — خنخن لم يبين كلامه اي ابدى
خنة او غنة في خياشيمه — خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ومنه فلان مخنفس
والولد مخنفس . تقاصح تكلف الفصاحة — فلتة لسان وفلت لسانه . السحت الكسب
من مال الحرام — نكس رأسه طأطأه — تعوق تأخر وترث — يسرها الله : سهلاً —
طعمه من : فيه مزازة او طعم بين الحلاوة والحوضة قال الحريري :

لا ابالي من اي كأس تفوق م ت ولا ماحلاوة من مزازة

همدت النار : ذهبت حرارتها وطفئت البتة — نصت وتنصت : سكت مستمعاً وتسمع —
خبص الشيء بالشيء : خلطه وخبصه للمبالغة — الخبنة : التواضع والخشوع — تزتر :
تختز وهي فصيحة الا ان العامة تكره التزتر والتبختر — حت : حك وقشر — خبطه :
ضربه ، ضرباً شديداً

تبقط — نقول العامة : فلان يبقط والمعنى انه يتناول الشيء قليلاً قليلاً او شيئاً
شيئاً الا ان استهزاء جملة المتعلمين بالعامة يجعل الكلام الفصحح غير فصيح عند الاغنياء
دون سواهم .

قرقص — من اين ات القُرْ قُصاء التي هي ان يجلس الرجل على أليتيه ويلتزم
تغذيه ببطنه ويحتجبي يديه اذا كان لا يوجد لها فعل بمعناها فان قول العامة « قرقص »
يدل على القرفصاء الا ان المعاجم تنكر هذا المعنى مع وضوحه . انشد ابو المهدي

لو امتخطت وبرا وضبتا ولم تل غير الجمال كسبا

ثم جلست القرفصا منكبا نحكي اطاريب فلاة هلبا

ثم اتخذت اللات فينار بنا ما كنت الا نبطياً قلبا

الا ان العربية في حاجة الى التحقيق والتدقيق . انظر الى نوع آخر من هذا
الاصل فانهم يدعون الاصوص المتجاهرين « قرافصة » لانهم يقرضون الاسيراي يشدون
يديه تحت رجليه الا انهم لم يذكروا للجمع مفرداً والجمع التي لا مفرد لها غير قليلة
فهل هذا معقول ؟!

نبر — من معاني نبر المعنى الذي اتخذته العامة لرفع الصوت . انشد اللحياني

اني لاسمع نبرة من قولها فأكاد ان يغشى علي مروراً

فلماذا لا تكون الكلمة فـنـجـة . لاندرى !

نهر — بالله بالبناء العربية ماهذه الفوضى ! تقولون نهر السائل وانتهره زجره والعامة

تستعمل المعنى نفسه إلا بعضها النداء عن توسع وما ثبت وجود معنى الزجر في نهر العامة
 انها لا تستعمل الكلمة إلا عند الحدة والشدة ففسدوا اللغة هم أكثر حملة الاقلام
 لا العامة التي لا تزال محافظة على ما لا يحافظ عليه أكثر الدارسين . وقريب من نهر نده .
 تحوج - متى ذهب الناس في طلب الحاجات يقولون نحن ذاهبون نقحج وكذلك
 يقولون عند شراء حوائج العروس ومع ذلك تعتبر الكلمة عامية عن غير تزوا . ماهي
 بضاعة التاجر غير حاجته « وجهاز » العروس غير حاجتها ؟
 خش - اهلاً وسهلاً خش . اي ادخل وخشت الحية في الحائط دخلت والكلمة
 من الفصحح

هت - - بماذا تهتني تعبرني وتخط مرتبتي ومنزلي

متمق - يجب ان يكون لنا معنى التكلم باقضى الحلقى هذا الفعل بديل وجود
 امم فاعل منه وهو المفاقي الا ان معاجم اللغة لا تشير الى شيء من هذا اوان النقص
 الظاهر فيها تكلمه العامة بقولها : فلان يشقشق ويمتمق فليرجع المنقبون الى المترن ويعتبروا
 طاح - ذهب وتاه في الارض ومنه « الطائح » عند العامة للفرار من وجه الحكومة
 ولا يوجد كلمة ادل على المعنى فيجب استعمالها

انتم الجسم - قلنا ان بعض لفظ العامة غير صحيح الا ان كلامهم فصيح ومن الشواهد
 « انتم الجسم » اي ذاب وضعف وبعض الدروز في لبنان لا يزالون بلفظون الكلمة
 « على حقها » ولا يبدلون الشاء شيئاً وشيء من العناية يرجع الى اللغة رونقها ولوان
 الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد ازاله مدارسنا
 توجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا توجب عليهم التخاطب « ولو اساءة » بفصحح
 لغتهم كأن التخاطب بفصحح العربية عار وبفصحح سائر اللغات فحار

وقوق - من فصيح اللغة ان الوقواق المكثار والوقواق المهدارة قال ابو بدر المسيلي
 ان ابن ترفي امته وقواقه تأني نقول البوق والحماقة

الا ان المعاجم لا تذكر الفعل الا لنباح الكلب واختلاط صوت الطير وعندني ان
 الكلمة على ما تستعملها العامة صحيحة فصيحة اذ كيف يقولون وقواق وقواق ولا يقولون
 وقوق بمعناها ثم ان العامة تستعمل « الوقوقة » في التهكم كأنها نقول ان فلاناً يخطئ
 ويكث فاذا رفض الغويون الا التقيد بسلاسل التقليد البليد فلا اقل من التسليم
 بصحة المجاز

ات — ثم ان اللت هو اخلط فلما ذا يجوز لنا استعمال اخلط واعتباره فصيحاً ولا يجوز لنا استعمال اللت وهو بمعناه . فكم انت مظلومة ابتها العامة !

فقع — مات من شدة الحر والعلمة تقول « فقع ومات » مع تخصيص المعنى بالهم والنم الا ان المراد ظاهر وحوادث الفقع في حمارة الصيف كثيرة في امهات مدن الولايات ويجب استعمال الكلمة الا من « مفايع » اللغة .

تصيع الرجل = ضل . من تصيع الماء اضطرب على وجه الارض وفي الحرف معنى التفرق بتردد وتحير فلما ذا لا تتوسع في اللغة كما توسع العرب قبلنا .

المداس = الحذاء الذي يلبس في الرجل « والمتفرنجون » بفضول استعمال اللستيك والصاباط والجزمة لان « المداس » مستعمل من العامة فكأنهم يحاولون اظهار تفوقهم بنيد اصح الكلمات العربية لالحجة الا ان الكلمة من غير « زيهم » الحديث

حنك فلاناً = ذلك حنكه والغريب ان الكلمة تعد عامية متى استعملت لذلك القابلة حلق الطفل قبل ان يرضع فاذا كان معنى ذلك موجوداً فاين « العامية » في الكلمة وهي على فصاحتها . ابعط في كلامه : لم يرسله على وجه قال رؤبة

وقلت اقوال امريء لم يبعط اعرض عن الناس ولا تسخط

وابعط في السوم تباعد وتجاوز القدر — قال حسان

ونجاراهط ابهطوا ولو انهم ثبتوا لما رجعوا اذاً بسلام

سفق — سفقه بالكف : لطمه قال ابو منصور سفقت الباب واسفقتة أجفته . وسفقى

وجه الرجل لطمه فاستعمال العامة للسفقى في محله .

دمشق — الشيء زينه . قال ابو نخيلة :

« دمشق ذاك الصخر المصخر »

وهذا هو معنى العامة : شاب مدمشقى وقامة مدمشقة

دلقى — تروى في المعاني التالية ، تدلقى السيل عليه واندلقى هجم واندفع — اندلقى

الشيء خرج من مكانه ، وكل ماندر خارجاً فقد اندلقى ويقال : طعنه فاندلقت اقناب

بطنه اي خرجت امعاؤه ودلقى وادلقى السيف اخرج ، فاي جريمة لغوية في استعمال

العامة للدلقى والاندلاق بمعنى الصب والانصباب

عثر — زل ومعر ساقط وزال والعامة تلفظ التاء تاء

عثر — جرد وتماسك وعثر بمجد

لثـ — الشيء شدة. والصقه والقوم اجتمعوا وتضابقوا والشيء بالشيء الزبه به فليعتبر
اللغويون

زرك — عن ابن الاعرابي زمكت القرية وزمحتها اذا ملائتها والزمك ادخال الشيء
بعضه في بعض والعامية تسعمل المجرد والمشدد استعمالاً صحيحاً
زرك — زرك الفلام ساء خلقه . هذا عند اللغويين فصيح ولكن الا يجوز لنا ان
نعامل زرك معاملة « ستم » فنقول اساموساً م وازرك وزرك ولماذا؟! قد تكون العامية
على صواب

دعقه — في لسان العرب . الدعى الدق ومحيط المحيط لا يذكر هذا المعنى الذي
هو معنى العامية تماماً الا اذا كان لا يجوز لنا استعمال الصب البترول لانه لم يكن عند
العرب ولا لسائل آخر غير الماء والخمر

حوشه — جمعه وانحاش عنه تقبض ونفر والحواشي ما يستلجها منه والعامية تستعمل
كل ذلك دون حملة الاقلام
لقلق بقباق — مهذار كثير الكلام واللقلة تقطيع الصوت والجلبة ولقلق وقلق
بمعنى واحد للتحريك والهز

لاط — لاطه خلطه وعجنه وقدم وردت في كلام الامام علي

الحدو — الحدو عند الموت من الفصحح

سن — من الارض ملسها قال الشاعر:

ثم خاضعتها الى القبة الخلف وراء نمشي في مرمر مسنون

وهو المعنى الذي تستعمله القروية اللبنانية بعد ان « تطين بيتها او ترحه » وتسنه
وتسن « الحجرية »

شرم — شق وقطع فهو مشروم بكل فصاحة

استملح — الشيء عدده مليمجاً .

سبرك سبري — تريد العامية بذلك ان عليك ما علي لان اصلك كاصلي وهيتك

كيشي وليس من مغمز

تعنفس — كان ذا صلف وخفة وخيلاء وادعى بما ليس فيه ولا يريدون ان

يكون له رباعي

تعنفت : شكلت وتدالت

تفلج : فلان على فلان بقى عليه وظله فهو مغلج

ثخنها : غلظها وصلبها

حزر : الشيء قدرة وصمنه وحزره التي عليه ما يحزره

أقلت الباخرة = في الجرائد والمجلات والكتب نقرأ هذه العبارة الواجب الأفلاع عنها — كانوا يقولون أقلت السفينة أي نشرت سراعها أوقلوعها لتخر شأفة الماء ولم يكن أيام كانوا يستعملون العبارة بخار أما اليوم فلا يجوز أن نقول أقلت الباخرة بل محرت أو حرت إلا إذا كان المركب غير بخاري وفي مثل هذه العبارة يظهر فضل اللغة العربية ويثبت لهؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً منها أننا بغنى عن تحدي القرنيحة الذين يقولون « أقلت الباخرة » لفقر لغاتهم

ضربت بكلامه عرض الحائط = مها التمس « المجازيون » من الاعتذار لا أجد هذا التعبير عربياً فأننا لا نصرب عرض الحائط بالكلام لنهمله ونسقطه ونطرحه ونرميه . نحن نقول في العربية جاء في كتاب فلان فضربت به عرض الحائط وإنما لا نقول مثل هذا القول عن الكلام نفسه

حررت له وارسلت له = اصعب ما في اللغة على المدارس أنفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات إلا العدد القليل منهم يضحك من كثرة السقطات التي لا يعذر منشيئ عليها وفي مقدرة شراء معجم أو في رأسه قوة تمييز بين هذا وذاك المعنى فانت لا تكتب لأحد إلا إذا استكتبك ولا ترسل له إلا إذا كلفك الإرسال أما إذا اردت أن تقول أنك تخاطب أحداً بالكتابة فيجب أن تستعمل « إلى » لا اللام وهكذا في الإرسال ثم إن التحرير ليس الكتابة ولا الكتاب أو الرسالة بل « انقاذها من عبودية السقط والخلل » والغريب جداً أن منشيئ الجرائد والمجلات يدعون الكاتبة محرراً وهم يريدون المنشيئ لا المصحح ولا المصلح ولا المهذب ليعذروا والاغرب من ذلك أن بعض جامعي المعاجم العربية سقطوا في ما سقط فيه غير المتمكنين والمدققين وقالوا عن الكتاب والرسالة « تحرير » فأوردوا ولم يقوموا .

غب اقتفاء شريف الخاطر العاطر = هل على مثل هذه البلاد في الانشاء

بلاد !

كل كلمة بنفسها فصيحة إلا أن مجموعها لا معنى له والمسؤولية الحقيقية على المدارس

والاساتذة الذين يسقطون الى الجاهلين ولا يرفعونهم اليهم بل ان الجبري على الطرائق القديمة يجعل أكثر الكتابات سقيمة عقيمة « خالية من المعنى ولكن تفرقع »
 ابقاء القديم على قدمه يجب ان يرجع الى عهد بلغاء العربية لا الى العهد المتأخر الذي اعتور اللغة فيه الخلل والفساد فما معنى العاطر والفاخر والشريف مع الخاطر ولماذا لانكتب ونكتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة ؟

دام بقاءه = طلب الدوام حماقة وحرام . اي بقاء بدوم ! تدوم المادة بعد استحالة ولكن الذين يطلبون دوام البقاء او يدعون للناس به لا يريدون المادة بل البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لهم اللحد

همي الدمع من عيونها — كم من العيون للمرأة وان تكن العيون عليها كثيرة الملاحظة الجوبة — « في طم هذا الاصطلاح ملح » فانه من غير روح العربية ومن غير فقهها فاذا كنا نحن اصحاب الجرائد اليومية نلتبس الاعذار لضيق اوقاتنا عند ما نلجأ الى الخواصر فما هو عذر اساتذة المعاني والبيان في المدارس والكتليات وما هو عذر اصحاب المجالات — المطير اصلح من الملاحة وانما لا بد من اختيار كلمة اصلح المظلم والعامر — خرج من عالم الخرافة « المظلم » الى بلاد الحرية « العامرة »

الجرح يدمي — الجرح لا يدمي وانما يدمي خذ اي كتاب ومجلة وجريدة واعتبر فلسفة كتابتها دون الالفاظ . او المعاني دون المباني . تجد اننا — الا عدداً قليلاً — من حملة الاقلام — نتعسف ونتكلف ولا نراعي المعاني والبيان لان أكثر المنشئين منطفلون

نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقائه في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان أكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتي بالعبث والنفاق واليك بعض ما يخطر في خاطري الآن احب به وأكل اليك الحكم طارت نفسه شعاعاً — تجرصات الاوهام — يغيظه من النظام — هل يعتمد كلام السقيم في « طعم » الماء — رفع الابن باسطاً يده الى والدته — سقط عليه بالضرب حتى « جلد » به الارض — الجالية والطارئة : دون تمييز بين الاستيطان والعود = يسير ويسري دون فرق بين سفر النهار والليل — « رحلوا » في القطار الى المدينة والولاية الفلانية . زاره اخوه فاحسن « قراه » = ظعنوا مع اصحابهم الى واشنطن =

شخص البيع الى بوسطن = كان اخواجا فلان يتدفق في خطابه كالسيل المنهمر الا انه اعتذر بانه غير خطيب وشكر الناس وجلس دون ان يشكم !
ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانريد الا نصرف عن جعل الواو « الثقلة الد » في اولي وعمرو وحيوة وصلاة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « إله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لامفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كل ما لا يكون سمعه الجامع لا يكون وضعه الواضع جرياً على القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولا تكون في آخر مثله تماماً ؟ وكيف تكون صيغة افعال التفضيل في ما لا فعل له كقولهم : هو اقل مني او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم : لم يذر ؟ او مزيد لا مجرد له والامثلة متوفرة ؟

وتمت نبات العربية بعد ان كانت مستحسنة وتفاصح كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متفصحاً فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بمقدرته الكلام على عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وناثراً واماماً وثقة — يجب الاقلال من التردد المبهم الذي لا يزيد الا اعتسالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما ما دعى السهل الممتنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية تفرض كل كتابة عليقة بالمعاني الضئيلة وينبه المغرور والشعور الى ما يفسد الذوق ويدعو الى الهزء . ومن فقه اللغة ان نضطلع على ما بذلل لنا صواب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا ما نستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي وقد كان للعرب دوم واشتتام فليكن لنا زيادة على مثالها والله ولي التوفيق



تولستوي

فقدت الحكمة عضواً عاملاً من دعائها وعمدة ثقة من اعز انصارها ورعاتها وانساناً كاملاً خدم الانسانية بافعاله واقواله وادعاه ارباب الثقايلد بحسن مثاله وراع قلوب اهل السلطة بمخاطبته واقباله ونعني به فيلسوف روسيا واحد رجال الاخلاق في هذا العصر الكنت ليون نيكولا يفتش تولستوي الذي هنّ نعيه ارجاء العالم المدني واكبر رجال الاصلاح هول المصاب به

ولد هذا الحكيم في اياستانا بوليانا من اعمال ولاية تولا الروسية سنة ١٨٢٨ فيتم من امه وهو ابن سنة ونصف وفقد اياه في العاشرة وهو من بيت وجهاء وغنى وكان جده ممي الادارة يميل الى البذخ والاسراف ففقد ثروته حتى اضطر الى التوظيف فعينه روسيا والياً لتمازان وجاء ابنه والد تولستوي ولم يكن على شيء من العفاف حتى العشرين من سنه ^(١) ورزق ابناً من خادمة زوجه منها اهل ثم تخطى عن الوظائف وتزوج بوالدة تولستوي وكانت غنية تحسن الرومية كتابة وقراءة كما تحسن الانكليزية والالمانية والافرنسية والايطالية والفنون والضرب على البيانو وكانت على جانب من حرية الفكر وسلامة الوجدان والسذاجة

واشتغل والد تولستوي بالزراعة في الاملاك الواسعة التي ورثها عن ابيه واتصلت اليه من زوجة وكان يحب المطالعة واقتنى مكتبة فيها شيء كثير من آداب الفرنسيين وكان من عاداته ان لا يقتني كتاباً قبل ان يأتي على مطالعة ما اقتناه من قبل فنشأ ليون تولستوي على اللغة الافرنسية وكان يفهم كتب الفيلسوفين الفرنسيين روسو وفولتير كما يفهم شعر بوشكين شاعر الروس واخذ الافرنسية عن استاذ فرنساوي اسمه سان توما ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى كان مثبجاً بأدائها

ربي في المذهب الارثوذكسي ولكن لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى تجرد عن الاعتقاد بالكنيسة ولكنه عمد الى التقية فلم يكن يظهر ما يضره وكان وهو طالب يقوم بالفروض والواجبات وغادر سنة ١٨٤٧ الكلية التي كان يدرس فيها ليلتحق بالفلاحين ويحسن اليهم الا انه لم يفلح وفي سنة ١٨٥١ سافر الى قافقاسيا حيث عين ضابطاً في المدفعية واشتهر ببسالته في حصار سواستبول فعين قائد فرقة وكان في خلال تلك المدة

قد نشر باكورة كتبه موقعة بالحروف الاولى من اسمه واسم أسرته ثم اقام في بطرسبرج مدة فكتب عدة مصنفات وقصص له وساح سنة ١٨٥٨ في المانيا وسويسرا وفرنسا وعاد الى روسيا بعد تحرير الفلاحين فانشأ في بلده مدرسة نموذجية للفلاحين ومجلة في التربية والتعليم وعين قاضي صلح . وفي سنة ١٨٦٢ تزوج وطابت نفسه وحسن سلوكه ولم يكن من قبل كما قال عن نفسه على حالة حسنة في آدابه وكانت كتبه التي كتبها لاول عهد زواجه احسن ماخطته يده واسلمها فكرياً وفي سنة ١٨٧٤ اخذ بتسائل عن مصير الحياة فصارت تبدر بوادر ذلك على أسئلة قلبه ولسانه حتى اذا كانت سنة ١٨٨٣ تعرف الى فلاحين كانوا انشأ لهم مذهبين دينيين من مقتضائهما ترجيح العهد القديم على العهد الجديد وان اصلاح العالم لا يتم الا بعمل اليدوي والشخصي وبعد ان جاهد تولستوي نفسه تخلى في رواية عن بعض املاكه فوزعها على الفلاحين وترك جزءاً منها لأسرته كان يعمل فيه بنفسه على نحو ما يعمل صغار الفلاحين بايديهم ومنذ ذلك الحين لم يترك بلده وطفق يحرث الارض كما يحرث الآداب ويث الثفيلة وصار قصره مجمع العلماء والفضلاء وفي ٢٤ شباط ١٩٠١ حرق المجمع المقدس الروسي تولستوي للحياة وخروجه عن رتبة التقاليد الارثوذكسية وتخوف الحكومة الروسية عادية افكاره فصارت تراقبه حتى كادت تفنيه مع الوف من كانت تفهيم الى سجنونها في سبير بالولا ان لطف الله به ونفس خنائق الخربة عن امته بانشاء مجلس الامة

وبعتبر تولستوي بانه من اقدر التخصيين الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اجاد في ذكرى الماضي من حياة امته ووصف الروح الروسية والاخلاق الروسية بحسن مأنه وجودة اختياره وتفصيله زاتم يره فكان يمارزق من هذه الهمة بصور لك ابطال قصصه كأنهم احياء بل يصور كذلك الاشخاص من الدرجة الثانية والجمهور . وهو قليل العناية بانثائه ولذلك لا تقرأ عليه نسخة التقين واذا قد نشأ تولستوي لاهوتيا تراه يحاول ان يقترب مما يراه بانه النصرانية الاصلية . وتطالبه الفلسفة الطبيعية بأنه احد دعايتها والناتخون في ضرامها وان تولستوي ليعتد في كل مكان عن الطبيعة . والجوهر في قاعدة حياته الجديدة هي الطبيعة الصوفية والاخلاق عنده التام الاول وجماع القول في فلسفته ان « لا يقاوم الشر بالشر » . وقد ظهرت كتبه كلها في اللغة الروسية في ثمانية عشر مجلداً وترجم معظمها الى لغات اوربا الراقية وترجم بعضها الى العربية ولا سيما قصصه .

وهذا الدور الاخير في حياته هو الذي تمنى ان يموت عليه قال في ترجمته نفسه : لما ذكرت ماتت من خير وماتم على يدي من شر رأيتني اقسم ادوار حياتي الطويلة بأسرها الى اربعة ادوار : اولها ذاك الدور العجيب خصوصاً اذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهيج الشعري واعني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الغشاء الغليظ والخدمة والطمع بالمعالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثماني عشرة سنة اي منذ تزوجت الى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له ان يدعى في نظر العالم دور الاخلاق بمعنى افني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأسر بالحشمة والنظام غير مستسلم لمفسدة ينفذها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي عناية مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الادبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد الى عشرين سنة التي انا فيها الآن واود ان اموت عليها وبها يتمثل لي مافي الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ابقي سواء ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الادوار الاخيرة .

هذا مجمل من طفولية تولستوي وشبابه وكهولته وشيخوخته وقد نشأ فيه القيام على الظالمين ومجاهدة المستبدين من الرؤساء الدينيين والديويين مما تنفقه عن خالته تاتيانا الكسندروفنا وكانت من النساء المتعذبات فعملته الحب والميل الى الوحدة والتأثر من المظالم كما علمه روسوفولتير نزع ربة التقاليد الموروثة . ولكن تولستوي لم ينحصر كل التحرير من رق العبودية للمحيط والمنشأ وبقيت فلسفته ترشح من صباوات النصرانية ومدارها لانقبال الشر بالشر . ولو سارت اوربا على هذه الفلسفة لما قام عمرانها وانبسط سلطانها على مانزى . فلسان حال الغرب « جزاء سيئة سيئة مثلاً » فحكمة تولستوي ليست بحكمة معظم انصار الحكمة في الغرب اليوم مادية صرفة بل هي روحية ممزوجة بطرف من آداب النصرانية تغلغلها عقائد اشتراكية متطرفة فهو لا يرى ان يملك الارض احد لانها لله بل ان تترك وشأنها ينتفع بها عباده ويرى ان لا يعاقب المجرمون بالسجن بل ان يصفح عنهم الصفح الجميل ولا يعتقد بالوهية المسيح بل يرى انه انسان ذو مذهب هو خير المذاهب للناس ومن افكاره الاشتراكية بل القوضوية ان احسن الطرق في الخلاص من ظلم الحكومات ان يتمتع الناس عن الخدمة العسكرية وعن اداء الضرائب وبذلك تضطر الحكومات الى اصلاح امرها

ومن تعاليم تولستوي الأدبية ان يتعد المرء عن مغازلة النساء ويتعد بزوجه قلباً وقالباً ولا يهجرها لان هجرها مفسدة واي مفسدة وان الواجب ان لا يفرق الانسان بين مواطنيه والغريب لان الناس ابناؤه واحد وام واحدة وان يسعى كل امرئ بازالة عدم المساواة بين البشر حتى يعيشوا بسلا . وله آراء في المعاد بعضها مما لا يقره عليه رجال الدين

ولقد ضاق صدر تولستوي قبيل وفاته من شؤون بيته ويقال انما نشأ ذلك من مقاومة أمرته له في امر خيرى كان يريد ان يختم به حياته وهو ان يجعل ربيع كتبه مادام الدهر وفقاً على أمته فلم يوافق على هذا الفكر اهل بيته ولا سيما زوجته المشهورة بخلها فقام تولستوي ذات يوم ورافق طبيبه على نية الهرب من بيته وركب في الدرجة الثالثة من القطار ليساوي الفقراء ولكن كانت المركبة مكتظة بالركاب حتى لم يكن فيها محل يجلس فيه الشيخ الحكيم فعرض موظف السكة الحديدية عليه ان ينتقل الى الدرجة الاولى او الثانية فابى ونزل في احدى المحطات وهي اسكابوفا وبصق دماً وزادت حرارته ثم اسلم الروح في غرفة مدير المحطة ويقال ان الفيلسوف كان ينوي ان يلحق باحد الاديبار لينضم الى من فيه بعد الله على مناحيهم وانه قابل ابنة له راهبة في طريقه وفاضها بضع ساعات كما خلا ساعات برئيس دير ثان

والاقرب الى الفهن ان تولستوي عزفت نفسه عن الدنيا واحب التجرد عنها وعن الملاذ والابهة في قصره وعن عيشه المخوف بالخدم والحشم شاء ام ابى واراد ان يفعل الخير يوقفه مداخل كتبه على الامة فعاكسته زوجته وكان منه ان هام على وجهه لا يدري كيف يسير فوافاه حمامه وشق نعيه على امته البالغة مئة وخمسين مليوناً من البشر وعلى كل من اطلع على طرف من افكاره وفلسفته العملية من منوري الارض ولا عجب اذا عدته امته مفخراً من مفاخرها جاد به الزمان وعده اهل الاخلاق والحكمة والاصلاح من اعظم من عملوا لادب النفس واصلاح المجتمع الانساني

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الصناعة في مصر

التي علي بك ثروت خطبة في الصناعة في المؤتمر الوطني المصري جاء فيها ما ملخصه :
لم يخطئ من قال ان الصناعة أثر الذكاء الانساني في استخدام الطبيعة وتصغير
أشكالها والتأليف بين قواها المختلفة ولذلك كانت اقوى الامم من بنت هيكل قوتها علي
اساس مكين من الصناعة

وقد كانت امتنا المصرية راقية في صنائعها منذ القدم . ولا تزال الآثار التاريخية
شاهدا حيا على مبلغ رقيها الصناعي . وكفى في الدلالة عليه ان البلاد المصرية هي التي
ثبتت فيها قوى الفراعنة ومدنيتهم وحفظت معها مدينة العرب

وكان حفظها من الصناعة في التاريخ الحديث وافرأفانه لما ولي محمد علي باشا الكبير
الاريكة الخديوية افرغ جهده في ترقية الصناعة الاهلية وجلب لها من الخارج ما ينقصها
من فنون الصناعة الاجنبية

نظر الى البلاد المصرية نظر حكيم فرأى انها بطبيعة تكوينها زراعية صناعية فشمر
عن ساعد الجد واخذ ينفذ المصانع المختلفة في كثير من بلاد الوجهين البحري والقبلي .
اعانه على ذلك علماء فرسان بعض اساطين الصناعة فيها وساعده ايضا كثير من الايطاليين
والنمساويين . وقد جاوز عدد المصانع المختلفة التي انشأها مائة وخمسة وسبعين مصنعا
يصنع فيها الخزف والزجاج والجلد والجوخ والانسجة المتنوعة والخيط بانواعه والطرابيش
والالبسة والاسلحة والبارود والمعادن والمدافع والسفن الحربية وجميع ماله علاقة
بالحياة . فكان المصري يلبس ملابس اهلية تصنع في بلاده وكانت المدن الكبيرة
والصغيرة والتغور وسائر البلدان العامرة خافلة بهذه المصانع والمعامل المتنوعة

ارسل الارشاليات العديدة الى كثير من العواصم الاوربية لاثقان الصناعة حتى
اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك أبوا واقفين على اسرار الفنون محيطين بدقائق الصناعات فحلوا
محل اولئك المعلمين في المصانع المصرية

انشأ محمد علي مصانع اخرى لصنع الشمع واحواضا لصنع لوازم المراكب
الحربية ودارا لضرب النقود في القلعة فكانت مصر في ذلك العهد ارقى كثيرا من
اليابان

أخذت الصناعة تنمو وتزهى حتى بلغت من الانتشار والرفي مبلغاً عظيماً وبقيت كذلك حتى عهد الخديوي سعيد وقد أسس معملًا كبيراً كان يديره افرنسي كبير هو انجلو بك

ثم أخذت الصنائع الأوروبية تفد على مصر وعلى الأخص بمداثاء السكك الحديدية المصرية فالحقناصل الدول على سعيد باشا أن يطل جميع المعامل فأبطلها ماعدا معامل الحرية فإنه إبقاها كما أنه أنشأ مدرسة الفنون والصنائع وقصر التعليم فيها على تعليم الرسم وفن العمارة وغيرها من الفنون الجميلة

وقد وفدت على مصر في عهد الخديوي سعيد بعثة افرنسية من المهندسين الجيولوجيين للبحث عن المعادن في بلادنا فأذن لهم الخديوي أن يعملوا . وفي أثناء عملهم عثروا في السودان على صنف الفحم الحجري وحملوا منه كمية الى مصر لتجربتها فخربت ووجدت نافعة وأقر على نفعها انجلو بك ولكن قنصل انكلترا في ذلك العهد ألح على الخديوي أن لا يعنى بهذا الامر بدعوى أنه يكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة فضلا عن أن الفحم من صنف غير جيد فأطاع الخديوي وفقدت مصر بذلك مرفقا تجاريا مهما

وقد أنشئت في أوائل عهد اسماعيل مدرسة العمليات الكبرى في بولاق وكانت هذه المدرسة قائمة على نموذج مدارس الصنائع بفرنسا عين لها جيجون بك الفرنسي ناظراً . وقد بلغت من الرفي مبلغاً مدهشاً فكان المتخرجون فيها يؤدون عمل المهندس الميكانيكي والمهندس الرياضي معاً . وفي ذلك الوقت أنشئت المطبعة الاميرية في بولاق وأنشئ بجوارها معمل لعمل الورق على اختلاف اصنافه واشتراكه وكان ما يخرج من هذا المعمل كافياً لحاجة مصر . وقد بقيت على تلك الحال حتى هبط الاحتلال ببلادنا .

وكذلك أنشأ الخديوي اسماعيل معامل السكر في الوجه القبلي والمدارس الصناعية في كل بلد من بلاد القطر فكان عهده من هذه الوجهة عهد حياة للصناعة والصناع

قضت سلطنة الاحتلال سنة ١٨٨٤ ان بلغني معمل المدافع الخاسية وتباع عددها الكبيرة فبيعت هذه العدد من شركة انكليزية بشمن بخس كما قضى ببيع عدد ضرب القود الى شركة انكليزية اخرى وكان من هذه العدد الم يستعمل بهد ومالم تفتح صناديقه الا ابدى رجال هذه الشركة وصدر الامر ببيع جميع عدد آلات مصنع الورق وذلك في سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة ايضا باعوا آلات وعدد الورشة الكبرى التي كانت الخاصة الخديوية قد أنشأتها حين اشترت سراي الجزيرة

وفي سنة ١٨٨٧ بيعت العدد والآلات التي كانت تدار بها مغازل القطن وبيعت ورش القطن في الاقاليم واحدة بعد أخرى

وفي عام ١٨٩٨ بيعت جميع آلات دار الصناعة « الترسانة » الكبرى بالاسكندرية وبيعت مراكب البوستة الخديوية واحواضها لشركة انكليزية بمائة وخمسين الف جنيه وهو لا يعادل نصف ثمن حوض واحد والاحواض كثيرة والمراكب اكثر اما مراكب بولاق وترساتها فان جزءاً عظيماً منها قد بيع

انشأ المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف الاسبق مدرستين صناعيتين احدهما في المنصورة والثانية في اسيوط ليكون منهما ابرم لجناً للتلاميذ الذين فصلوا من المدارس التجهيزية التي كانت في المديرية فالفها الاحتلال اما مدرسة المنصورة فلم تبقى طويلاً لان الورشتين الثنتين يملكهما بعض الانكليز في تلك المدينة قضتا على حياتها . حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ عادت الى حالتها السابقة واصبحت الآت ورشة بسيطة لا يتعلم فيها الطلاب الا مبادئ القراءة والكتابة والهندسة والحساب والرسم العملي بعد ان كانت تعلم فيها العلوم الهندسية والميكانيكية العالية

وليس ثمة دليل على عظيم الخطأ في عدم رقي الصناعة في مصر اقطع ولا انصح من الاقوال السديدة التي ذكرها المسبو (ليوبولد جولين) المهندس الزراعي واحد واضعي تقرير لجنة القطن الاخير فقد قال :

« ان كل امة يكثر فيها وجود المواد الاولى الضرورية للحياة يكثر فيها كذلك وجود المعامل لصنع تلك المواد فيها ومن اهمها القطن فان كل الامم التي تزرع تنشي مجوارها معامل لفزله ونسجه والانتفاع به عدا مصر فانها لا تزال فقيرة في معاملها خلواً على الاخص من هذا الصنف »

سعى الساعون في تأسيس معملين لنسج المنسوجات القطنية في سنة ١٨٩٩ احدهما في القاهرة والاخر في الاسكندرية . اما معمل القاهرة فقد اغلق . ولا يزال الاخر باقيا وفيه ثلاثون الف مشط واربعمائة نول

وقد لقي مؤسسه صعباً حمة في تأسيسه اهمها وضع الحكومة المصرية على منسوجاته ضريبة قدرها ثمانية في المائة

ثم رأت ان تنزل هذه الضريبة الى ثلاثة في المائة لمدة خمس سنوات . فعسى ان

تجعل الحكومة هذا الاعفاء دائماً حتى يتيسر لمروجي هذه الصناعة ان ينشروها في كل مكان

علّي ان في البلاد المصرية غير هذا المعمل نحو ستة آلاف وثلاثمائة نول للذبح وكلها للوطنيين وهي تستورد خيوط الغزل من الممالك الاوربية وقد استوردت في سنة ١٩٠٨ من هذه الخيوط ما قيمته ٢٣٩٠٠٠ ج

على ان ما تستهلكه البلاد المصرية في عام من المنسوجات الاوربية بلغت قيمة في سنة ١٩٠٨ ٤٠٠٠٠٠٠٠ ج ولو كانت مصر تنسج منسوجاتها في هامل لحسابها لبقيت هذه الملايين في خزائنها ولم تنقل الى خزائن المعامل الاوربية

وقد فكر بعض ذوي النفوس العالية في الحال وفي مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل باشا الذي اقترح على الامة في سنة ١٩٠٢ انشاء معهد صناعي كبير يكون بمثابة تذكّار لمروءة عام علي تولية محمد علي باشا الكبير مؤسس البيت الخديوي فلبت جمعية العروة الوثقى بمدينة الاسكندرية نداءه واخذت في الاكتتاب لتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية فوجدت من نفوس الامة ارتياحاً واقبل علي الاكتتاب الكثيرون وفي مقدمتهم الخديو واعضاء الأسرة الخديوية وكرماة الاوريين القاطنين في مصر

وما جاءت سنة ١٩٠٨ حتى كان بناؤها عالياً ووضعها محكماً وفي اليوم تقدم للشر احسن الاعمال وتكفي الكثيرين من ابنائه ثم نحا اهل الخير هذا النحو فتأسست مدرسة في اسبوط بهيمة محمود باشا سليمان احد كبار الاعيان وتأسست مدرسة في بني سويف وثالثة في الفيوم

وقد عني الامير حسين كامل باشا بالاكتتاب لمدرسة كبرى صناعية لمديرية البحيرة فلبى دعوته كثير من الاعيان الاغنياء وبلغ الاكتتاب نحو ٣٠٠٠٠ جنيه وظهرت هذه المدرسة في اجمل مظهر وهي تعمل الآن اعمالاً مفيدة

وكذلك عنيت بطريكية الاقباط واسست مدرسة صناعية كبرى في بولاق اكتب لها اكثر من ابناء هذه الطائفة بمبالغ طائلة وكذلك مدرسة طوخ الصناعية فانها شيدت في هذه الايام الاخيرة علي احسن طراز وغير ذلك من الورش الصغيرة

واخيراً ذكر يوسف كمال بك في ان يخدم امته من طريق العلم والصناعة فاسس مدرسة لتعليم ابناء الجميلة ووقف عليها عقاراً بقدر خمسين الف جنيه واخذ في تشييد دار كبيرة لها يديرها مديراً فرنسياً هو المسيو لايلاني التحات النيابة الشبهة

ووكيلا هو فؤاد افندي حسيب واختار اساتذتها من الأوزبيين والمصريين المشهور لم يعلو الكعب والتفوق في هذه الفنون الجليلة
فاعد الانبياء بانشاء هذه المدرسة الى عصر روح النحت والنقش والظل وفن العارة
وغير ذلك من الفنون الجليلة الكبيرة التي تعود على مصر لا محالة بجليل القوائد
لحوم البشر

ان عادة اكل اللحوم البشرية غير محصورة في مكان في الكتب اليونانية القديمة اشارات اليها والايرلنديون الاقدمون كانوا يأكلون موتاهم وفي مكسيكو وبيرو قبل فتوح اسبانيا كانت تشهر الحروب ليستحصلوا ذبائح من البشر لاعيادهم وولائمهم
لكن بولنيزيا لم تزل محافظة على هذه العادة الى عصرنا الحاضر ومبتدعو تلك العادة في تلك الجزائر هم سكان جزائر الفيجي وهي عندهم من القروض الدينية وهم مؤمنون بطعم لحوم البشر الى درجة ان احدهم كان يعيش مع امرأة له عيشة راضية فلا يكون منه الا ان يقتلها ويقتات بلحمها كما رواه وليم في كتابه عن سكان الفيجي وهم لا يفضلون لحم الطفل على لحم الرجل او المرأة المسنة بل يأكلون ماتيسر بعد شيه .
من افطع العقوبات عندهم انهم يترون اطراف المحرم وهو حي ينظر اليها تشوى وتؤكل

ومن افطع ما يروى ان رجلا من اهل هذه الجزيرة كان يفاخر بانه اكل مدة حياة ٩٠٠ انسان وهو مع ذلك يقر في الضيف وليس عنده من الشراسة اكثر من باقي سكان الجزيرة ممن لم يأكلوا لحم بشر مدة حياتهم . ويروى ان شيكا زعيم احدى جزائر الفيجي اسر في ساحة الحرب مايربو على مائتي مقاتل من عسكر العدو وفي صباح ذلك اليوم اولم وليمة دعا اهل الجزيرة لحضورها ومشاركته بالتمتع بلحم الاسرى . وفي غبته الجديدة عهد ماشيخ الرجل ويصبح غير قادر على العمل يأخذه اهله ويذبطونه الى غصن شجرة ويحتمعون حوله يرقصون ويغنون يتولم « الثمرة قد نضجت الثمرة قد نضجت » ثم يهزون الغصن فيقع الشيخ على الارض فمياكلونه . وفي جزائر الهبروز الجديدة يفضلون اكل لحوم السود على لحوم البيض وهذه العادة ايضا منتشرة بين سكان كليدونيا الجديدة .

يقول المستر تيلور في كتابه عن زيلندا الجديدة ان الطريقة المتبعة هي انهم يرسلون سلا مملوءة بلحوم البشر من طرف الزعيم الى اعوانه فمن قبلها منهم يأتي الى الموعد

المضروب يجموعه للمساعدة وهم يعدون من لا يذهب الى الحرب ولأكل من لحوم البشر « غير مهذب » وبعد انتهاء المعركة تجتمع جثث القتلى وتترع لحومها عن العظام وترسل الى بيوت الانهار والحلقاء .

والزينة الوحيدة في تلك العادة ان الذين يتولون تقطيع الفريسة وتعريق لحمها يصحون على شيء من المعرفة في تركيب اعضاء الانسان لذلك تراهم ماهرين في ورد خلع المفصلات . هذا وقد اخذت تحف وطاة هذه العادة منذ اخذت المدينة الحديثة تدخل الى تلك الجزائر . ملخصاً عن مجلة الانثري الاميري

الصور السائبة

تكلم احمد بك زكي في محاضرة التي نشرتها مجلة المقتبس في الجزء السادس من المجلد الخامس تحت عنوان (الكتابة والكتب ودورها) على كتاب (الصور السائبة) لعبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سهل الصوفي فقال عنه : واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشاتي ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية ، اما الاصل العربي فتداس طائفة الاختفاء وتطير في القضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهلينا الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن اراجعتهم وجب عليهم ان يتلقوا احدي هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بظار سبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستالان السادسة هي التي سأتكلم عليها الخ

وحينما تلوت هذه العبارة تذكرت اني رأيت هذا الكتاب من نحو خمس سنين في المكتبة الاحمدية التي نوهت مجلة المقتبس في ذاك الجزء بذكرها او ذكرت بعضاً من نفائس كتبها فدعاني ذلك ان اسنخ المكتبة واعيد النظر الى هذا الكتاب واكتب شيئاً عنه تبشيراً لعنايف هذا العلم بوجود هذا الكتاب في هذه البلاد بلغة الناطقين بالضاد عليهم يسعون في طبعه ويقتبسون من غر فوائده

اوله بعد البسملة

قال عبد الرحمن بن عمر المعروف بابي الحسن الصوفي بعد ان حمد الله واثني عليه وصلى على رسوله المصطفى وآله (اما بعد) فأني رأيت كثيراً من الناس يخوضون في طلب معرفة الكواكب الثابتة في مواضعها من الفلك وصورها ووجدتهم على فترتين احدهما

تسلك طريقة المنجمين ومعولها على كرات مصورة من عمل من لم يعرف الكواكب باعيانها وانما عولوا على ما وجدوه في الكتب من اطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غير معرفة خطاتها ووضاها فاذا تأمل من يعرفها فيها وجد بعضها مخالفا في النظم والتأليف لما في السماء او على ما وجدوه في الزيجات وادعى مؤلفها انهم قد رصدوها وعرفوا مواضعها وانما عمدوا الى الكواكب المشهورة التي يعرفها كثير من الخاص والعام مثل عين الثور وقلب الاسد والسمك الاعزل والثلاثة التي في جبهة العقرب وقلب العقرب وهذه الكواكب هي التي ذكر بطليموس انه رصدها بطوالها وعروضها واثبتها في كتابه المعروف بالمجسطي لقربها من منطقة فلک البروج فرصدها واثبتوا مواضعها في وقت ارصادهم ثم قال بعد كلام طويل :

واما الفرقة الاخرى فلما سلكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومناسزل القمر ومعولهم على ما وجدت في الكتب المؤلفة في هذا المعنى ووجدنا في الانواء كتباً كثيرة اتقوا واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الدينوري فانه يدل على معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب في ذلك واشعارها وسماها فوق معرفة غيره ممن الفوا الكتب في هذا الفن ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب على مذهب العرب عيانا فانه يحكى عن ابن الاعرابي وابن كنانة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب يدل على قلة معرفتهم بها وان ابا حنيفة لو عرف الكواكب لم يسند خطأ اليهم ثم كل من عرف من الفرقتين احدى الطريقتين لم يعرف الاخرى والى في كتابه اشياء من غير الفن الذي اخذ فيه نادى على نفسه بها بالخطأ وخفة البضاعة فيه منهم ابو حنيفة فانه ذكر في كتابه ان البروج الاثنا عشر لم تسم بهذه الاسماء الا لان نظم كواكبها مشا كل للصورة المسماة باسمها وان الكواكب تنتقل عن امكانها واسماء البروج غير زائلة وان زال نظم الكواكب ولم يعلم ان نظمها لا يزول ولا يتغير (الى ان قال) وقد كنت اظن بابي حنيفة ان له رياضة بعلم الهيئة والرصد فقد كنت بالدينور في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة من سني الهجرة في صحبة الاستاذ ابي الفضل محمد بن الحسين نازلاً في حجرته وحكى لي جماعة من المشايخ انه كان رصد الكواكب على سطح هذه الحجرة سنين كثيرة فلما ظهر تأليفه وتاملت ما ودعه كتابه علمت ان الذي كان يراعيه انما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب وما كان يجده في كتب الانواء من ذكر المنازل وما اشبهها والثاس كلهم متفقون على ان لهذه الكواكب حركة الى توالي البروج

ثم قال بعد كلام طويل :

ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكرهم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة واقتداء الناس بهم واستعمالهم مؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه من غير تأمل لخطائه وصوابه بالعيان والنظر حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم ان ذلك عن معرفة بالكواكب ومواقعها ووجدت في كتبهم من التخلف ولاسيما في كتب الانواء من حكاياتهم عن العرب والرواية عنهم اشياء من امر المنازل وسائر الكواكب ظاهرة الفساد لو ذكرتها طال الكتاب بلا فائدة عزمت مرات كثيرة على اظهار ذلك وكشفه وكان يعتريني فتور في حال واشغال تصدني عن المراد في اخرى الى ان شرفني الله بخدمة الملك عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة رحمه الله تعالى وانعم عليّ بادخالي في جملة خوله وحشمه ووجدته من فنون العلم متمكنا وفي المعرفة بها منسبطا وعلى عامة العلماء مقبلا والى جميعهم محسنا ورأيت كثير الذكر لاحوال الكواكب مائلا الى امتحانها والوقوف على مواقعها من الصور ومواقعها من البروج والدرج بالرصد والعيان ولم اجد يحضرته من النجمين من يعرف شيئا من الصور الثاني والاربعين التي ذكرها بطليموس في كتابه المعروف بالمجسطي على حقيقتها ولا شيء من الكواكب التي في الصور على مذهب النجمين ولا على مذهب العرب الا اليسير الظاهر المشهور الذي يعرفه اخصا والعام ولم اجد لمن تقدمني من العلماء ايضا كتاب في احد الفنين يوثق بمعرفة مؤلفه الا كما تقدم ذكره ولا يمكن الرصد الا بمعرفة الصور وكواكب كل صورة بالنظر والعيان فرأيت ان اتقرب اليه بتأليف كتاب جامع يشتمل على وصف الصور الثاني والاربعين وعلى كواكب كل صورة منها وعددها ومواقعها من الصور ومواقعها من فلك البروج باطوالها وعروضها وعدد كواكب الفلك كلها المرصودة التي من الصور والتي حوالى الصور وليست منها

وبعد كلام طويل اخذ المؤلف بشكلم على الصور الثاني والاربعين صورة فصورة مع اثبات نفس الصورة ونقشها بحروف وارقام عند موضع كل كوكب غير ان اربع عشرة صورة منها ليس عليها شيء من الحروف والارقام وخالية من الاشارات الى مواضع الكواكب

وبعد ان ينتهي من الكلام على كل صورة يذيله بمجدول فيه اسماء كواكب تلك الصورة وارقام تدل على مواضع تلك الكواكب فيها والكتاب في ١٢٧ صفحة بقطع قريب من الكامل قال ناسخه في آخره : وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة

المسماة بكواكب الصوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس بعد
الالف وتحت ذلك ثلاثة اسطر اخر لم يقرأ منها سوى (المقرئ الموقت يومئذ بمجامع
حلب الشهاب الكبير رحمه الله تعالى) حلب : محمد راغب طباط

المعادن المدخورة

نشر المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي عشر الذي التأم في استوكهولم خلاصة التقارير
التي طلبها من علماء طبقات الارض والمهندسين في مناجم العالم على اختلاف الاصقاع والديار
بأن مناجم الحديد في العالم بأمره ونقسيمها فتبين منها ان ما يعرف الآن من المناجم في
الدنيا يحتوي على عشرة مليارات طن وربما لا يقل المدخور سبعة بطون تلك المناجم عن
خمسین الف طن وما ينبغي للعالم اليوم هو ستون الف طن وكان يكشف سنة ١٨٧١
بثلاثة عشر مليون طن وسنة ١٨٩١ بستة وعشرين مليون طن وسنة ١٩٠١ باحد واربعين
مليون طن واذا قدرنا ما يلزم العالم من الحديد اليوم وما يعرف من مناجم المدخورة فلا يكفي
الحديد سوى قرنين آخرين واذا لم تتدارك الحال بالبحث عن مناجم جديدة يمتثل المعدل
واليك جدولاً بما هو مدخور من الحديد في القارات الخمس ومنه ما عرف ومنه ما يقدر
تقديراً وهو بحساب ما يوزن طن :

مناجم يرجى ان تكون مدخورة		مناجم معروفة مدخورة	
حديد	حديد ممزوج بتراب	حديد	حديد ممزوج بتراب
أوربا ١٢٠٨٥	٤١٨٢٩	٤٧٣٢	١٢٠٣٢
أميركا ٤٠٧٣١	٨١٨٢٩	٥١٥٤	٩٨٥٥
أستراليا ٣٧	٦٩	٧٤	١٣٦
آسيا ٢٨٣	٤٥٧	١٥٦	٢٦٠
أفريقية ؟	؟	٧٥	١٢٥

وجاء في جدول آخر ذكرت فيه المناجم المعروفة والتي يرجى كشفها في كل مملكة
على حدها من ممالك أوربا فكانت المملكة العثمانية كثيرة جداً بمناجمها الا انه لا يعرف
مقدارها الآن وتبين ان فرنسا أكثر ممالك أوربا بمناجمها المعروفة

مخطوطات ومطبوعات

بدائع الصنائع

في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الختفي المتوفى

سنة ٥٨٧ هـ طبع بمصر سنة ١٣٢٨

اعتماد محمد أمين افندي الخانجي صاحب المكتبة المشهورة في القاهرة والاسطوانة ان يطبع للامة كل نافع من آثار سلفها الصالح فاحيا باقدامه عدة أهيات ومنها هكذا الكتاب في الفقه الختفي تعرض فيه مؤلفه الملقب بملك العلماء لاقسام المسائل وقضولها وتخريجها على قواعدها واصولها ليكون امرع فهما واسهل ضبطا وابسر حفظا وقد جمع جملا من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي والتأليف الحكمي مع ايراد الدلائل الجلية والنكت القوية وهو في سبعة اجزاء تم الاول والثاني والخامس والسادس والسابع منها وسيتم الجزآن الآخران وقد وقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة بالنقطع الكامل على ورق جيد وحرروف مصرية ولا شك ان المشتغلين بفقه الامام الاعظم يحلون هذا الكتاب محله من الاعتبار كما احل المالكية المدونة الكبرى المنسوبة للإمام مالك والشافعية كتاب الآم للشافعي فيعد عندهم مرجعا واسعا

الدولة الاسلامية او ماضي الشرق وحاضره

تأليف الشيخ احمد الصابوني الحموي طبع الجزء الاول في مطبعة حماة سنة ١٢٢٨

ص ٢٠

كان الفاضل صاحب هذا الكتاب نشره مقالات متسلسلة في جريدة اسلاف الشرق فاستحسنها قراؤها فاعاد طبعها مع زيادات على هذه الصورة فجاءت شاهدة بفضلها وبعد نظره وكتابته التاريخ على هذا الاسلوب اوقع في النفوس واعاق في الأذهان لانها عبارة عن الندير في اعمال الرجال . فقد تكلم على طائفة من الخلفاء الراشدين والملوك الامويين والعباسيين فكان كلامه فلسفة على تاريخهم وبيان الحكمة من اعمالهم . وما رواه المؤلف نقلا عن ابن عبد ربه ان عثمان حينما كبر وتقدم في العمر شدد استانه بالذهب وقال غيره انه وضع سنا من ذهب ومعلوم ان تركيب السن من الذهب لا يكون الا بمهارة في الصناعة وعلم بهاعظيم . وعبارة المؤلف منسجمة وعساه يوفق الى نشر بقية الاجزاء ليم نفعه

الاسكا وكلونديك

تأليف جيوايل افندي عساف مرعي من دوما (لبنان) طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس
الشام سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨

مؤلف هذا الكتاب ممن اقاموا زمناً طويلاً في بلاد الاسكا وكلونديك بلاد الذهب
فمن له ونعا فعل ان يكتب ما عرفه عن هذه البلاد وغناها ومدنها ومناجمها وركازها
وزرعها وضرعها وصيدها وسكانها وحكومتها وادارتها وحالتها الطبيعية وما يتعلق بتلك
البلاد من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الجالية العربية الى تلك البلاد
وابناء العربية كافة في الاطلاع على عجائب صنع الله في ارضه وهذه البقعة الصغرى
منها التي بلغت مساحتها بحسب الاحصاء الاخير ٥٩٠٨٤٤ ميلاً مربعاً اي نحو خمس
مساحة الولايات المتحدة وبتناطول سواحلها البحرية ٢٦ الف ميل وهي كما قال المؤلف
سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء ٠ وبالجمله فان هذا السفر نافع
في بابه وياحبذ لو تصدى كل من ينزل منا قطراً شاسعاً من اقطار الارض فيصفه
بما ينبغي خدمة للعلم ورجال المال والاعمال لتذكر لهم على الدهر مقرونة بالثناء الطيب
والذكر العطر

تقويم البشر

ظهر هذا التقويم الذي تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين كل سنة وهذه هي السنة
الرابعة والثلاثون لظهوره وهو تأليف الاب لويس معلوف وفيه حساب السنين على
اختلاف انواعها من شمسية وهجرية وقبطية واسرائيلية واعيام المسيحيين واصوامهم
واسماء الرؤساء الروحيين فيهم ومراكرم في المملكة العثمانية وغيرها ولا سيما البابويين منهم
وجداول المعدادات ورؤساء الممالك العثمانية والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ولا سيما
في سورية واسماء الجرائد والمجلات والمطابع في بيروت ولبنان وفيها نحو ٥٧ جريدة ومجلة
وبعض وصايا صحيحة وفوائد علمية وبنية ولطائف في ١٧٦ صفحة جيدة الطبع والحرف



المقبر

الضوء اللامع

من كتب التراجم المتممة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ مؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الاصل القاهري تكلم فيه كبار رجال عصره بما اعتنقه فيه. واطلق لقبه العذنان ايما اطلاق حتى لتفطنه لا يعرف غير المجيء مذهباً وكشف عورات اهل جيله وقبيله مشرباً .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعائة رتبة علي الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها ونخبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لاهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه *Autobiographie* في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير تكثير فما قاله انه اخذ عن ديب ودرج وذلك لانه ارتمى من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فرعلّي الزنبوع وعقبة ابلة ورايح وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً بيليس وقطيا وغزة والمجدل والرملة وبيت المقدس والخليل و نابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعبك وحمص وحمّة ومرمين وحلب ومراً ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بظنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بمن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته في ازيد من ثلاث مجلدات والثبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقرئ في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره . والذيل على قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثلاثمائة رزمة على حروف المعجم قال انه لا يعلم من سبقه اليه . وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم ترفيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري و ابراهيم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي و احمد الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقرئزي والحافظ ابن حجر وابن عربشاه و تيمو لنك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي . وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقباء أخر كمن فتقع فيه علّي تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنكلوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والدمياطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسنباطي والاشموني والمروي والمنفلوطي والفارسكوري والبنهاوي والبحجوري والمنشاوي والرشيدي والسكندري والاذري والمكاري والبقاعي والسقطي (من سقط الحنا في شرقية مصر او سقط قليش من البحيرة) والديروطي والفاقوسي والحلي والدمهنوري والابخيمي والابشهي والقليوبي والعاهري والمناوي والحلاوي والكركي والشوبكي . والصعيدى والبليناني والبليسي والبصروي والصيداوي والنوي والزفتاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسواني والجعبري (نسبة لقلمة جعبر من بلاد حلب) والحصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدنها في ذلك القرن .

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكمة والمتقدمين في حكومة تلك الايام امثال قاتباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشمر وقطبلايه وقطليك وقطلوبغا وقطج وقرقاس وقراجا وقراسنقر وقرا بلوك وقرا يوسف وقراجا وقاتباي وقارب برديه وقانصوه وقانيك وقانم وكانور وكشباواق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطنبغا وامثالهم من لا تملأ لهم تلى ذكر في غير هذا السفر الحاووي وترجم كثير من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهن ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الحنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجيء الخبر بموت اخويه من نظمها

قفا واسمعا مني حديث احبتي فاوصاف معانيم عن الحسن جلت
اناس اطاعوا الله نارت قلوبهم وابصرت الاشياء من هيد نبأه
وقد كبر شفو واعن كل ما اخضر الفتى ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهاك ما قاله السخاوي في مقدمته كتابه وفيها الغرض الذي يرمى اليه :

الحمد لله جامع الشئات زرافع من شاء في الحياة وبعد المات ومقتل الخبل على الاكثار من الطاعات من ذوي الهيات من بعد ما ناله صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سيما الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عما نشأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم ما به يعتنى جمعت فيه من علماء من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثمان مائة ختم بالحسن وسائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصر يا كان او شاء يما جازيا او يما ياروميا او يما يما مشرقيا او مغربيا بل وذكرته فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة انتفاء في اكثرهم (?) بل اضعفهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم الخم الغفير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفيا من كان منهم في معجم شيخنا وابناه وتاريخي العيني والمتريزي سيما في عقود التي رتبها النجم ابن فهد مع اصله للفاسي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد النقي وولده تخرجي وغيرهما من المعاجم وما علقته من مجامع مفيدنا الزين رضوان او رأيت في استدعات ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته من اخذ من شيخنا او عني او اخذت عنه. ولو لم يكن كبيراً عينا وربما اثبت من لا يذكر بعض الاغراض التي لا يحسن معها الاعتراض والحقت في اثباته كثيراً من الموجودين رجاء انتفاع من لعله يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الغني عن التوجيه بقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف على حروف المعجم الترتيب المعهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقب وكذا المبهات بعد الالقاء مراعيًا في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلاً بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والـف ثم بالتالي بعدها على ما الف مردوفاً ذلك بالنساء كذلك وكل ما امكن فيه شيخنا فرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت ايراد شيء مما لعله يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين نخسبت التطويل سيما ان حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتضت على الرضي والزكي والسراج والعضد والحوي من بلغت رضى الدين ازركي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محي الدين من المصنف عليه محتوي واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه العلم به فاقصر على قولي مات سنة ثلاث مثلاً دون وثاني مائة وتوفي ٠٠٠٠٠٠ ثم ليعلم ان الاغراض في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحذور مؤتلفة ولكنني لم آل في التحري جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابدية بالتسليم ويتوقون الاعتراض فضلاً عن الاعراض عما القيه والتأثيم حتى كانت العز الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما تقول مسطور كلامك المتعش للعقول وقال غير واحد من يعتد بكلامه وتمتد اليه الاعتناق في سفره ومقامه من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضيف المعلل الى غيرها من الالفاظ الصادرة من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بتعني الموت في حياتي لاترجه بما لعله يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم انني لا اقيم له وزناً فارق بل يختلف (كذا) ما يمسح في وقته حساً ومعنى ويستفيد به التنبيه على نفسه فيتحقق منه ما كان حسداً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف الحجاب للانصاف وان يرزقنا كلمة الحق في السخط والرضى ويصرفنا عما لا يرضى ويقينا شر القضا وسميته الضوء اللامع لاهل القرن التاسع اهـ

هذا هو اقل ما يقال في الضوء اللامع والامل معتود بان يمثل للطبع عما قريب على يد

احدى جمعيات المستشرقين في اوربا ولذا اكتفينا بايراد ترجمتين منه لفاضلين احدهما دمشقي والآخر مصري وان كان شامي الاصل وذلك انموذجا لاسلوب المؤلف وانشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ الكاتب المشهور ابن عربشاه :

« احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن ابي نصر محمد ابن عربشاه ابن ابي بكر الاستاذ الشهاب ابو محمد ابن الشمس الدمشقي الاصل الرومي الحنفي والده التاج عبد الوهاب ويعرف بالعجمي وبابن عربشاه وهو الاكثر وليس هو بقربب لداود وصالح ابني محمد عربشاه الهمدانيين الاصل الدمشقيين الحنفيين ايضا . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقرئ ثم تحول في سنة ثلاث وثمانائة في زمن الفتنة مع اخوته وامهم وابن اخته عبد الرحمن بن ابراهيم بن خولان الى سمرقند ثم بمفرده الى بلاد اخطا واقام ببلاد ماوراء النهر مديماً للاشغال والاخذ عن هناك من الاستاذين فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما تزيلا سمرقند الاول بمدرسة ايدكوتور والثاني بباغ خدا وعبد الاول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية واحمد الترمذي الواعظ واحمد التصير وحسام الدين الواعظ امام مسجد السيد الامام محمد بخاري الزاهر ولقي في سمرقند في سنة تسع وثمانائة الشيخ عربان الادهي الذي استفيض هناك انه ابن ثمانية سنة فآله علم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي واخط الموغولي واتقنها واجتمع في بلاد الموغول بالبرهان الايدكاني والتاخي جلال الدين السيرامي واخذ عنه وقرأ النحو على حاجي قليد السيد ثم توجه الى خوارزم فاخذ عن نور الله واحمد بن شمس الائمة السيرافي الواعظ وكان له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم الى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي فاقام عنده نحو اربع سنين واخذ عنه الفقه واصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم الى قرم واجتمع باحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب ابي (؟) وعبد المجيد الشاعر الاديب ثم قطع بحر الروم الى مملكة ابن عثمان فاقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين ابي الفتح محمد بن ابي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي الى التركي في نحو (٥٠) مجلدات وتفسير ابي الليث السمرقندي القادزي بالتركي نظماً وباشر عنده ديوان الانشاء وكتب عنه الى ملوك الاطراف

عربياً وشامياً وتركياً فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لآمر الدشت وسلطانها
وبالموغولي لشاروخ وغيره. وبالعربي للوئيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة
ببحث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي واخذ عنه العربية أيضاً

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم
الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بجانوت مسجد
القصبة مع شهوده يسيراً لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي
شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلاء البخاري سنة
اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصابن
والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان يقرأ عليه الكافي في الفقه والبرزوي في اصوله
ونقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني
والبيان والبدیع وسلك فيه اسلوباً بديعاً نظم فيه التاخير وعمل قصائد غزلية كل باب
منه قصيدة مفردة على قافية اشار اليه شيخنا بقوله واوقفني على منظومة في المعاني والبيان
واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك الباب
انتهى . ومقدمته في النحو . وعتود النصيحة . والرسالة المسماة بعقد الفريد في التوحيد .
ونثراً تاريخ يُمور لملك ساء عجائب المقدور في نوائب يُمور . وفاكهة الخلفاء ومفاكهة
الظرفاء . ونضاب الالهاب الناقب وجواب الشهاب الناقب . والترجمان المترجم بمنتهى
الارب في لغة الترك والعجم والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كان ممن يحله ويعترف له بالفضيلة شيخنا واثني على نظمه
التاخير كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانيات فقال انشدني بمنزلة
برزة بالترب من قرية الترابون التثاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السيل يقلع ما يلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر

حتى يوافي عباب البحر ينظره قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل
امتدحه بتصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعاي واهاجي وجناسات وتلاعب فيها بضروب
الادب اودعهم الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف ابياتها بيت جمع فيه حروف
الهجاء وهو

خض بحر فظ حديثه تفش العلا
واجزم بصدقك ناطقاً إذ تسند
وبيت عاطل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا
العامل الحكم الهام الاوحد
وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانعكاس وشطره الثاني عاطل مع كونه مملاً يستحيل
ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو
نم آمناً من نم انما آمن دم حامداً ما ام آدم احمد

وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما
تعرف منه الملاة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام
على قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية
مجيد الخط جيد الاثقان والضبط عذب الكلام بدیع الحاضرة مع كثرة التودد ومنه
التواضع وعظمة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة وسماة الخير ولوائح
الدين عليه ظاهرة وقد اقيته بالقاهرة في اخلائه الصلاحية سنة خمسين فكتبت عنه
من نظمته اشياء وسمعت من لفظه العقد الفريد وعقود النصيحة وكتبهما لي بخطه
وبالغ في الادب والتواضع ومات باخلائه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب
سنة اربع وخمسين ودفن بتربتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غريباً
عن اهله ووطنه بعد ان امتحن على يد الظاهر جتمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه
وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مرابطاً من القهر حتى مات بعد
اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للسط فقد كان من محاسن الزمان ومن
ترجمه باختصار المتريزي في عقودهم وما كتبه عنه نفسه

قيص من القطن من حله
وشربة ماء قراح وقوت
بنال به المرة ما يتغي
وهذا كثير على من يموت

ومنه معيماً

وجهمك الزاهي كبدور فوق غصن طلعا
واشمك الزاكي كشكاة سناها لمعا
بني يوت اذن الله لها ان ترفعا
عكسا صحفه تلقى فيه الحسن (?) اجعا

ومنه

ففش ماشئت في الدنيا وادرك
بها ماشئت من صيت وصوت

فخل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وحياهات مافيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فن صار على كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال : العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني
والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أسرمع النلك (اي الاعرج
تيورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجمال في بلاد الشرق
ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة بشكيب بالشهادة في بعض
حوادثها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نواب ثيور من ابتدائه
الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكمة للسجع وغزارة اطلاع بحيث خلصه المقر يزي
وترجم مؤلفه فقال : نثره سجعاً فعلاً ورشيقاً بالاشعار فخلا الى ان قال : بانه بحر بلاغة
وفصاحة اشندنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفقه واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله
نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة
الغزل يكون نحو التي بيت وكتاب سيف علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي
بيت وقصيدة غزلية في الصرف بدبعة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو
مائتي بيت وشرحها في مجلد وخضاب الاحاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب بينه وبين
البرهان الباعوني وحيد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير لغة وكثرة اطلاع
وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوني كتب له بستمه ابيات التزم فيها بانطسا (?)
المسألة اولها

أحمد لم تكن والله فظاً ولكن لا ارى لي منك حظاً

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين فحصل للشهاب سنة
أخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في سنة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة
دائرته ثم كتب اليه بايات التزم فيها الراء قبل الالف والراء بعدها .

من مجبري من ظلوم منه أبعدت مزارا

واستوفى مافي الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكشبه له على اسان حميد الدين

قصيدة بغدادية اولها

اي خداوند عجبو عن موالاة التناغي
فلم يقدر علي الجواب بمنلها وكتب الي بقوله
ياشهاب الدين يا احمد يا ابن عربشاه
واستوفى القافية فظفرت باشياء تركها فقلت

قد اتى الفضل عليه حل اللطف موشاه
فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ما عرفتلك الا الآن قال
فقلت له والله والى الآن ما عرفتني وطال الجواب بينهما علي هذا المتوال حتى ألف من
ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عربشاه كف عني اولا فخذ ما يحبك مني
واعلم باني خصم ألد الشمر دأبي والمكر فني
خافي رجال لهم مجال في الحرب لا يخلفون ظني
الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ابيات التزم فيها الباء
والياء واستوفى ما في الصحاح اولها

ان النديم وانت يا هذا ابن عين الخبير كذا
واستوفى القوافي وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين
الى مصر وشكها الى السلطان وقال له البرهان هجاني فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له
من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان للشمس الكاتب ان الباعوني رجل
جيد لولا انه عرف منه شيء ماقاله وألفز اليه ابو اللطف الحصكفي فاجاب بعد ان
اجتاب شعر القاهرة (٩) بغير المراد ثم الغزوه اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير
جداً وتصنيفه المائني فأكفه الخلفاء ومفاكهة الظرفاء في مجلد ضخ فيه عجائب وغرائب
علي لسان الحيوانات من اواخر ما ألف .

ولما دخل مصر بعد الخسنيين في الطاعون وجد غالب من بيت الكمال ابن البارزي
مات كزوجته واخذه فرثاهم بقصيدة طنانة علي عدة قوافي واظهر في محالها من كل
قافية الى الاخرى قوة عجيبة وملكة للنظم لا ينهض غيره بشق غبارها من قافية
اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد علي سبعين بيتاً اولها

الى م الدهر يردى بالكمال ويودي بالردي اهل الكمال اهـ

وقال في ترجمة العلامة المقرئ: « احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن بن عبد الصمد ابن تميم الثقفي
 ابو العباس ابن العلا بن الحيموي الحسيني العبيدي البجلي الاصيلي القاهري سبط ابن
 الصائغ ويعرف بابن المقرزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المفارزة وكان
 اصله من بعلبك وجده من كبار محدثين نقول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف
 المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء والنجب صاحب الترجمة وكان مولده
 حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه ما يدل
 على تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع
 من جده لاهه الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز ابن الكويك والنجم
 ابن رزين والشمس ابن الخشاب والتروخي وابن ابي الشيخة وابن ابي المجد والبلقيني
 والعراقي والهيتمي والفرسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل علي العماد ابن
 كثير ولايكاد يصح . وحج فسمع بمكة من النشوري والاميوطي والشمس ابن سكر
 وابي الفضل النوري النافعي وسعد الدين الاسفرايني وابي العباس ابن عبد المعطي
 وجماعة واجاز له الاسفوي والاذري وابر الهيثم السبكي وعلي ابن يوسف الردي (?)
 وآخرون ومن الشام حافظ ابو بكر ابن الحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد
 ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف على النجاشي واتي الكبار وجالس الائمة
 فاحذ عنهم وتفق حنيفياً على مذهب جده لاهه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك
 بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعيّاً واستقر
 عليه امره لكنه كان مائلاً الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب
 على ذلك وكان يهتم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى هذا مع كون والده
 وجده حنبلين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير واتقى
 وقال الشعر والترويض وافاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة
 غير مرة ولها في سنة احدى وثمان مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة
 بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤبدية عوضاً عن الحب ابن نصر الله حين استقراره
 في تدريس حنابلة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مباشراته وكان قد انصل بالظاهر
 يرقوق ودل دشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها
 مراراً فبني وصحب بشبك الداودار وقتاً ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقداً وحج
 غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيارسثاني النوري مع كون شرط نظره لقاضيهما الشافعي وتدريس الاشرفية والاقبالية وغيرها ثم اعرض عن ذلك واقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدني كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتناع الاستماع بما للرسول من الانباء والاحوال والخفدة والمتاع . وكان يجب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . والمدخل له . وعقد جواهر الاسقاط في ملوك مصر وانفساط . والبيان والاعراب عما في ارض مصر من الاعراب . والالمام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة الغربية في اخبار حضر موت العجيبة . ومعرفة مايجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم . وايقاظ الخفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء . والسلوك بمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المتخفي وهو في ستة عشر مجلداً وكان يقول انه لوكمل على ما يرويه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء والتخام بين بني امية وبني هاشم وشدور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الدارسي والاوزان والاكيال الشرعية وازالة التعب والعناء في العناء وحصول الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمتناصد السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد التوحيد وجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على علمي القتل والنقل المحتوي على فني الجند والهلز بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النخاة يشتمل على جميع ماختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق منها والاشارة والاياء الى حل لغز اناء وهو ظرف وغير ذلك . وقرص سيرة المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت على مائتي مجلدة كبار وان شيوخه بلغت ستائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التوريف والسقط وربما صحف في المتن .

ومما رآيته بخطه في ذلك ابن بدر وهو بفتح الموحدة والدال المهملة فضبطه بخطه بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجمع فضبطه بالخاء المعجمة وكثيراً ما يجعل عبد الله عبيد الله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش راوي الحديث

السلسل بالاولية حين حدث به باخاء المعجزة بدل المهلة واما في المتأخرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كتقوله في ابن الملقن انه كان يبي (؟) الصلاة جداً وكان مع ذلك يكثر الاعتماد علي من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبه فان مستنده في كونه من العبيد بن كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : يا ولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصاريا يخدش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبه عبد الصمد ابن غيم وان اظهر زيادة على ذلك فمن يثق به ثم رأيت ما يدل على انه اعتمد في هذه النسبة العربي المشهور بالكذب فالله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا) وكان كثير الاستخصار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على اقوال السلف والمأم بمذهب اهل الكتاب حتى كان يردد اليه افاضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والحب في المذاكرة والمداومة علي التهجذ والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمانينة فيها والملازمة لبيتته حتى ان بعض الرؤساء فيما بلغني عتب على انقطاعه عنه انشد قول غيره :

قالت الارنب للفوت كلاما فيه ذكرى لتفهم الابواب
انا اجري من الكلاب ولكن خير يومي ان لا تراني الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا من غدو ورواح واتصال بلثيم او كرم ذي سماح
بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح وجعلنا اليأس مفتاحا لا لبواب النجاح
لكان احسن و (له) الخبرة بالازبجة والاصطرلاب والرمل والميقات بحيث انه اخذ
لابن خلدون طالعا والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوما فكان كذلك
وعد من النوادر

كل ذلك مع تبجيل الاكابر له اما مداراة له خوفا من قبله او لحسن مذاكرته وقد حدث
بعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخليل
للدماطي على ابي طلحة الحراوي مرتين فاعتدوا اخباره بذلك وقوي عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته سنة انه لا يعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النجم ابن فهد انه حضره في الرابعة علي الخراوي وما علمت مستنده في ذلك .
وقد ترجمه شيخنا في مجمه بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها ووضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبلغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلوا المحاضرة وقال العيني : كان مشتغلاً بكتابة التواريخ وبضرب الرمل تولي الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني برفوق ثم عزل بمسطره ثم تولى مرة أخرى سيفي ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني برفوق عوضاً عن مسطره بمحكم ابن مسطره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة جده وهو جد الامام الفاضل المؤرخ نبي الدين وقال غيره : جمع كتاباً فيما شاهده وسمعه مما لم ينقله من كتاب ومن عجب ما فيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين القصرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر برفوق خرج من سجته بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد فقد زادني ذكراه وجداً على وجدي
ولا زالت الانواء تسقى سحابها دياراً حكمت من حسنهابته الخلد
وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان
سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك على ما قاله شيخنا بتكملة
ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه
الله وايانا اه .»

هذان نموذجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن
التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط على اشده في جسم الامة الاسلامية



ميزان المقادير في تبيان التقادير

علامة الامامية وشيخ الفرقة العلوية الشيخ رضي الدين محمد القزويني وكان احد
افاضل القرن الحادي عشر من اعيان قزوين
« عني بنشرها محمود شكري افندي الآلومي احد كبار علماء العراق العاملين »

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد وبعد فيقول المفتقر بجهله بالعلم اليقيني رضي الدين محمد
القزويني . كثيراً ما وقعت في الشريعة الحقة المصطفوية عليه وآله الف الف تحية .
احكام مبتنية على مقادير محصورة ومسائل مشتملة على اوزان واكيال ومسافات منصوبة .
وجليلاً ما اتفقت من المتدينين اهل الحساب . طوبى لهم وحسن مآب ضوابط متقنة
بتقديرات معينة . وقواعد محكمة بتجديدات مبينة فتصفحت فما وصلت الى رسالة مفصلة .
موضوعة لشأنها وتبعت فما اطلعت على مقالة محصلة متكفلة ببيانها . غير انها مسطورة
في صحف منشرة ضبطها محل للقرينة . ومذكورة في كتب متفرقة حفظها محل
للطبيعة . مع ان اكثرها وقعت موقعا لاختلاف الآراء . واجلها وردت موردا لافتراق
الاهواء . فما انا التي عليك لبانها في طي هذه الرسالة نوعاً من بسط الكلام واهدية
اليك لتبينها في اثناء تلك المناقشة ضارباً من توضيح المرام قاصداً فيها تسهيلاً على الطلاب .
راجياً منها شيئاً من الثواب فسانه غير مقصور على من اكثر العمل ووفره . الكريمة فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره

وسميها ميزان المقادير في تبيان التقادير . فجعلتها تيناً لها . وتزينتها اياها . هدية
خزانة كتب الدستور الاعظم ملجأ الاكابر والامم . حاوي الرياستين الدينية والدنيوية
جامع الفضيلتين العلمية والعملية . مقدر احوال الانام . بالفكر الرزين . مدبر ممالك
الاسلام بالعقل المتين . ملاذ اعظم الفضلاء في الافاق . سلطان افاخ العلماء بالاستحقاق .
معير نقود انظار الاولين والآخرين . خازن مكتوم اسرار السابقين واللاحقين فخر
السيادة والنجابة والفضيلة والكمال . عين العظمى والشوكة والجلالة والاقبال . اعتضاد
الحضرة المقدسة السلطانية . اعتماد الدولة العلمية العالية الخاقانية . ابد الله تعالى ظلال
دولته الى يوم الدين . بحرمه جده سيد المرسلين . وآباءه الائمة الطاهرين المعصومين .

فاعلم ان المقادیر المذكورة على ثلاثة اقسام . اما مقلدة بالوزن . واما بالكيل . واما بالمساحة .
والبحث . اما ان يكون على وجه يكشف حقائقها . او على سوق يظهر دقائقها فانظم
الرسالة بتفصيلات افتتاحها . وبتبتيات اختتامها

تفصيل فيه ذكر المقادیر المقدره بحسب الوزن

هذه المقادیر بنتهی اکثر تقديراتها بل كلها الى وزن الحبة من الشعيرة المتوسطة
لقلة الاختلاف فيها . وسهولة تحصيلها وشيوعها في الامكنة والاوقات فوزنها بين
الاوزان كالواحد بين الاعداد فكما ثبت للواحد كسورهم فكذلك قدرت لها اجزاء فأسس
البيان بذكرها فيقال لسدس الشعيرة الخردل

ولجزء من اثنين وسبعين جزءاً منها الفلس
فهو نصف سدس الخردل . ولجزء من اربعمائة واثنين وثلاثين جزءاً منها الفتييل ويقال
له الفتييلة^(١) ايضاً فهو سدس الفلس

ولجزء من الفين وخمسمائة واثنين وتسعين جزءاً منها النقيير فهو ايضاً سدس الفتييل
ولجزء من عشرين الفا وسبعمائة وستة وثلاثين جزءاً منها القطمير فهو ثمن النقيير
ولجزء من مائتين وثمانية واربعين الفا وثمانماية واثنين وثلاثين جزءاً منها الذرة^(٢) فهي
نصف سدس القطمير

ولجزء من الف الف وسبعمائة واحد واربعين الفا وثمانمائة واربعة وعشرين جزءاً منها
الهباء فهو سبع الذرة

وبعد هذا التأسيس نفصل الاوزان المشهورة المذكورة على اللسان على ما وصل
الينا حسبما اقتضاها الترتيب .

الطسوج وهو قدر حبتين من شعيرتين متوسطتين وهو مشهور بفسره اهل
اللغة ايضاً ولم اجد فيه خلافاً

(١) وقع في القرآن المجيد منها كما في قوله تعالى ولا تظلمون قليلا واثمالة مجاز بعلاقة
معانيها اللغوية لاما اصطلاحوا عليه المذكور فيما نحن فيه (منه)

(٢) الذرة النملة الصغيرة والمذكور هنا ليس وزنها الواقعي بل هو محض اصطلاح
اذ بين وزنها الواقعي وهذا القدر بون بعيد يظهر من قول صاحب القلموس الدر صغار
النمل ومائة منها وزنة حبة شعير فالواحدة ذرة (منه)

والقيراط وهو قيراطان قيراط الدرهم وقيراط الدينار . وهذا أيضاً مكي وعراقي
فبالحقيقة ثلاثة اقسام

اما قيراط الدرهم فهو اربع شعيرات يبلغ طسوجين في القاموس في م لك القيراط
طسوجان والطسوج حبتان يعني شعيرتين كذا في الصحاح . وقيل هو ست شعيرات
فيبلغ ثلاثة طساسيج يعني قيراط الدرهم

واما القيراط المكي للدينار فهو شعيرتان او ستة اسباع شعيرة يبلغ سطوجاً وثلاثة
اسباعه .

واما القيراط العراقي فهو ثلاث شعيرات وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ سطوجاً وخمسة
اسباعه في القاموس القيراط والقرط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار
وبالعراق نصف عشره انتهى فالتقدير موافق لما قدرناها ، كما ستعرف وهذا العراقي
هو المعتبر في باب زكوة الذهب

واما القيراط الواقع في الحديث مع تفسيره بانه مثل جبل احد فجواز
والدائق وهو اذا اطلق فالمراد به دائق الدرهم وقدره ثمانى شعيرات يبلغ قيراطي
الدرهم في القاموس في م لك . والدائق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج
حبتان والحب سدس من ثمن درهم وهو جزء من ثمانية واربعين جزءاً من درهم وهو بعينه
عبارة الصحاح وفي دن ق فسر به الدرهم وهو ايضاً قيراطان كما ستعرف

والدرهم وهو دراهم الدرهم البغلي^(١) وهو اربع وستون شعيرة يبلغ ثمانية دوانيق
والدرهم الطبري وهو اثنتان وثلاثون شعيرة يبلغ اربعة دوانيق نصف البغلي في
القاموس الطبري ثلثا الدرهم اراد به الدرهم الشرعي . والدرهم الشرعي وهو ثمان
واربعون شعيرة يبلغ ستة دوانيق متوسط بينهما وهذا الشرعي هو المعتبر في نصاب
زكوة الفضة وامثاله ويقال له الوربة ايضاً

قال العلامة في التحرير الدرهم في صدر الاسلام كانت صنفين بقلية وهي السود^(٢)

(١) ضبط بعضهم البغلي باسكان الغين المعجمة وبعضهم بفتح الغين المعجمة وتشديد
اللام ووجه تسميته به مفصلاً مذكور في الجبل المتين (منه)

(٢) قيل الدراهم السود هي الدرهم من الفضة المسكوكة بالصور كما يكون بين الكفار
لا الفلوس ولا يخفى ان ماروي في من لا يحضره الفقيه من انه سأل عبد الرحمن ابن الحاج
او عبد الله عليه السلام عن الدراهم السود تكون مع الرجل وهو بصلي مربوطة او غير

كل درهم ثمانية دوانيق وطبرية كل درهم اربعة دوانيق فجمعاً في الاسلام وجعلوا درهمين متساويين وزن كل درهم ستة دوانيق فصار وزن كل عشرة دراهم . سبعة مثاقيل بمقتال الذهب وكل درهم نصف مثقال وخمسة وهو الدرهم الذي قدر به النبي من المقادير الشرعية في نصاب الزكاة والقطع ومقدار الديات والجزية وغير ذلك . والدانق ثماني حبات من اوسط حب الشعير انتهى

والمثقال وهو مثقالان المثقال الشرعي وهو المعبر عنه بالدينار بلاخلاف لكن الدينار كثر استعماله في المسكوك من الذهب كما ان اكثر استعمال الدرهم في المسكوك من الفضة قدره ثمان وستون شعيرة واربعة اسباع شعيرة يبلغ درهماً وثلاثة اسباعه بالشرعي . في الصحاح وكذا في القاموس المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم والدرهم ستة دوانيق والدانق قيراطان الخ . وهو المعبر في الاحكام الشرعية بلاخلاف يظهر من تتبع كلام الفقهاء . وما وقع في الحديث من ان المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض فبحاز . والمثقال الصيرفي وهو المعروف في زماننا سنة اربع وخمسين والف في اكثر بلاد المعجم قدره اربع وثمانون شعيرة على ما وزنا ورعيناً في وزنه كالم الاحتياط . والتدقيق يبلغ درهماً وثلاثة ارباع درهم بالشرعي

والوافي وقدره ثمانون شعيرة يبلغ درهماً وثلاثي درهم في القاموس الوافي درهم واربعة دوانيق موافقاً لما قدرناه

والاستار بالكسر وقدره ثلاثائة وثمانى شعيرات واربعة اسباع شعيرة قدره ستة دراهم وثلاثة اسباع درهم بالشرعي يبلغ اربعة مثاقيل ونصف مثقال بالشرعي كذا في الصحاح . والقاموس وقيل هو ستة دراهم وثلاث درهم او اربعة مثاقيل نقلها الشيخ في اواخر كتاب القانون

والاوقية كالوقية بالضم ونشديد الياء وهي اوقيتان الاوقية الجديدة وهي على ما به فسرهما الفقهاء . وجمهور اصحاب اللغة والاطباء خمسمائة واربع عشرة وسبعان من الشعيرة قدر عشر دراهم وخمسة اسباع درهم يعني سبعة مثاقيل ونصف يبلغ استاراً وثلاثي استار بالمعنى الاول . وعلى ما نقله الشيخ في اواخر القانون هي سبعة مثاقيل يكون

مربوطة فقال ما انتهى ان يصلي معه هذه الدراهم التي فيها التماثيل الحديث لا يؤيد شيئاً منهما كما لا يخفى

عشرة دراهم وتبعه العلامة الشيرازي في شرح القانون وصاحب القاموس في وقى به لكنه وافق في م كك الجمهور كما وانتهم صاحب الصحاح في الموضعين وصرح بانها هي المعتبرة بين الاطباء وسنقل كلامه بعينه وعلى ما فصره بعض ما يعتد به هي اثنا عشر درهماً يعني ثمانية مثاقيل وخمسي مثقال فلها ثلاثة تفسيرات والمعتمد المشهور هو الاول كما ذكرنا

والاوقية القديمة وهي الف وتسعمائة وعشرون شعيرة قدر اربعين درهماً يعني ثمانية وعشرين مثقالاً تبلغ ثمانية اساتير وثمانية اساع استار بالمعنى الاول وفي الصحاح تصريح به وبما سبق منه في موضع آخر كما مر بقوله الاوقية في الحديث اربعون درهماً وكذلك كان فيما مضى فاما اليوم فيما تعارفها الناس ويقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وهو استار وثلاثا استار انتهى وموقع في الحديث من تفسير الاوقية باعظم من جبل احد فجاز

والنش^(١) بالتشديد وهو تسعمائة وستون شعيرة قدر عشرين درهماً يعني اربعة عشر مثقالاً يبلغ نصف اوقية قديمة كذا في الصحاح والقاموس ورووا كان صدق ازواج النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة اوقية ونشاً اندرون ما للنش هو نصف اوقية عشرون درهماً انتهى ذكر هذه الرواية العلامة في منتهى المطلب للاستدلال على ان الاوقية كانت اربعين درهماً

والرطل وهو ارطال الرطل العراقي ويقال له البغدادي ايضاً وهو المراد عند اطلاق الرطل في الاكثر وفي تفسيره خلاف فعند جمهور الخاصة والرافعي^(٢) من العامة^(٣) ستة آلاف ومائتان واربعون شعيرة تبلغ اثنتي عشرة اوقية وثلاثي خمسة بالجديدة على المعنى الاول وبعبارتين آخرين احد وتسعون مثقالاً بالشرعي ومائة وثلاثون درهماً به وعند

(١) وفي حديث محمد بن علي بن موسى عليه السلام حين تزوج ابنته مأمون وبذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله صلى الله عليه وآله لازواجه وهي اثنتا عشرة اوقية ونش على الخمسمائة الحديث (منه)

(٢) نقله عن الرافعي بهاء الملة والدين في الكشكول (منه)

(٣) «المفتبس» يريد بالخاصة علماء الشيعة وبالعامة علماء السنة وهذا الاطلاق شائع في كتب الامامية فليتأمل

جمهور العامة والعلامة^(١) من الخاصة ستة آلاف ومائة واحد وسبعون شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة يبلغ اثنتي عشرة اوقية بالمعنى المذكور بلا زيادة ولا نقصان . وبعبارة اخرى ثمانون مثقالاً ومائة وثمانية وعشرون درهماً واربعه اسباع درهم وعلى هذا التفسير صاحب الصحاح والقاموس اذ فسراه باثنتي عشرة اوقية وهو الرطل المعتبر بين جمهور الاطباء، ايضاً لكن على ما يظهر مما نقله الشيخ في اواخر القانون حيث فسره باثنتي عشرة اوقية والاقوية بسبعة مثاقيل كما مر يصير اربعة وثمانين مثقالاً ولم اجد من فسره ؛ اصلاً والرطل المسدني وهو رطل ونصف بالعراقي والرطل المكي وهو ضعف الرطل العراقي ويجري فيها الاحتمالان الناشتان من تفسير الرطل العراقي في كل منهما مذهبان على النسبة المذكورة في الرطل العراقي

والمن^(٢) ويقال له المناء مقصوراً والمشهور منه من المن المصري والانطاليقي وهو ثمانية آلاف ومائتان وثمانية وعشرون شعيرة قدر ست عشرة اوقية جديدة بالمعنى الاول يبلغ رطلاً وثلاث رطل على تفسير العامة وفي القانون ايضاً ست عشرة اوقية واخلاف في تفسيرها كما مر . والمن الرومي وهو عشرة آلاف وثمانمائة وثنائي شعيرات قدر احدى وعشرين اوقية بالمعنى المذكور يبلغ رطلاً وثلاثة ارباع رطل وفي القانون عشرون اوقية يبلغ رطلاً وثنائي رطل بنصفه

والمن الطبي وهو اثنا عشر الفا ومائتان واثنان واربعون شعيرة وستة اسباع شعيرة يبلغ رطلين وبعبارة اخرى اربع وعشرون اوقية واخلاف فيه الاما يتضيه ما في القانون من تقيير الاوقية

والمن التبريزي وهو خمسون الفا واربعائة شعيرة يبلغ ستائة مثقال صيرفي كما هو المتعارف في زماننا . والمن الشاهي وهو مائة الف وثمانمائة شعيرة يبلغ اثنا ومائتي مثقال صيرفي ضعف المن التبريزي

والكر بحسب الوزن اما المكيالي والمساخي منه فسيجي تفسيرها ويعتبر فيه كونه من الماء قدر بالف ومائتي رطل باتفاق فقهاءنا رضوان الله عليهم الا انطب الرائد في وسنذكر ما ذهب اليه لكنهم اختلفوا في ان هذا الرطل هل هو مسدني او عراقي ذهب

(١) صرح به في التحرير واصله اليه الشيد في البيان (منه)

(٢) ولئن غير الاوزان المذكورة اطلاقاً آخران نقلهما صاحب القاموس بقوله

المن كيل مشهور او ميزان (منه) (٣) بلا تشديد (منه)

الى الاول جملة منهم ابن بابويه والسيد المرتضى رحمهما الله والى الثاني الشيخان والعلامة ومن تعميم ففيه مذهبان يرجع بعد ملاحظة الاختلاف الواقع في قدر الرطل العراقي بين الجمهور والعلامة كما ذكرنا الى ثلاثة مذاهب بحسب المال ^(١) فعلى مذهب ابن بابويه يصير مائتين واربعة وثلاثين الف درهم شرعي وعلى مذهب الشيخين مائة وستة وخمسين الف درهم وعلى مذهب العلامة مائة واربعة وخمسين الفا ومائة وخمسة ومائتين درهما وخمسة اسباع درهم .

وما يلحق بالاوزان النواة وهي الاوقية من الذهب او اربعة دنانير او ما زنته خمسة دراهم او ثلاثة ونصف ومن العدد عشرون او عشرة هكذا في القاموس والريوة بالكسر وهي عشرة آلاف درهم كما في القاموس والبدره وهي كبس فيه الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار كما في القاموس وفي بعض كتب اللغة عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار والقنطار بالكسر قيل مائة وعشرون رطلاً وفي القاموس وزن اربعين اوقية من ذهب او الف ومائتا دينار او الف ومائتا اوقية او سبعون الف دينار او ثمانون الف درهم او مائة ^(٢) رطل من ذهب او فضة الى الف او الا مسك ثور ذهباً او فضة انتهى وهذا الاخير هو الشائع وبعض المفسرين عليه حمل ما في قوله تعالى (وآتيتهم احداهن قنطاراً) وما وقع في الاحاديث مع تقديره في بعضها بالف ومائتي اوقية والوقية باعظم من جبل احد وفي بعضها ^(٣) بخمسة عشر الف مثقال من ذهب والمثقال باربعة وعشرين قيراطاً اصفرها مثل جبل احد ^(٤) واكبرها ما بين السماء والارض فمجاز

(١) لا يقال يجب ان يكون اربعة مذاهب لسراية الاختلاف في الرطل العراقي الى المدني ايضا لانا نقول لما كان القائل بالمدني من جمهور الخاصة فالمراد بالمدني هو المعنى الاول اي رطل ونصف بالعراقي على تفسير الخاصة (منه)

(٢) تفسيره مائة رطل يساوي تفسيره بالف ومائتي اوقية لان الرطل عنده اثنتا عشرة اوقية فالترديد بينهما كأنه لخصوصية الموزون فيه اي الذهب والفضة (منه)

(٣) كما روي في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ الف آية كتب له قنطار من بر والقنطار خمسة عشر الف مثقال والمثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصفرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض (منه)

(٤) كما روي في الكافي في فضل القرآن عن ابي عبدالله عليه السلام من قرأ

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب الكيل

هذه التقديرات ينتمي أكثرها الى مكيال يقال له المد بالضم معياره تخميناً ملائماً كف الانسان المعتدل اذا ملاًها ومد يده بهما قاله صاحب القاموس في م د د موافقاً لما نقله عن الداودي بتقريب تفسير الصاع ثم قال وبه سمي مداً وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً انتهى وتوسع ضبطه مع رجوع المقادير المكيلة اليه احتيج الى تقديره بوزن معين سهولة للحفظ وصونا عن التغيير فقدر به فاختلفوا في قدره بحسب اختلاف الروايات عن المقدّر فلا بد لنا مقدماً على سائر تلك المقادير تفسيره وتحقيق وزنه على ما وصل اليه من المذاهب تأسيساً للأصل وقميداً للفصل فهذا القسم ايضاً في الحقيقة ينتمي في التقدير الى اوسط حب الشعر وفيه تقديره ستة اقوال الاول مائة واثنان وستون درهماً ونصف درهم بالشريعي هو مائة وثلاثة عشر مثقالاً وثلاثة ارباع مثقال بالشريعي يبلغ رطلاً وربعا بالعراقي على تفسير جمهور الخاصة وهذا احد احتمالي مذهب ابن ابي نصر البزنطي من المحدّثين اذ فسره برطل ورابع ومذهبه في قدر الرطل غير معلوم فان وافق الخاصة فذاك والا فمائة وستون درهماً وخمسة اسباع درهم هو مائة واثنان عشر مثقالاً ونصف مثقال يبلغ رطلاً وربعا على تقدير العامة فهو الاحتمال الآخر لمذهب . والثاني مائة واحد وسبعون درهماً وثلاثة اسباع درهم هو مائة وعشرون مثقالاً يبلغ رطلاً وثلاثاً على تفسير العامة واليه ذهب النووي^(١) من العامة واخبره صاحب القاموس في تفسير الصاع ونسبه صاحب الصحاح الى اهل الحجاز . والثالث مائة وثلاثة وسبعون درهماً وثلاث درهماً هو مائة واحد وعشرون مثقالاً وثلاث مثقال يبلغ رطلاً وثلاثاً على تفسير الخاصة واليه ذهب الرازي من العامة ومن تبعه . والرابع مائتان وسبعة وخمسون درهماً وسبع درهماً هو مائة وثمانون مثقالاً يبلغ رطلين على تفسير العامة نقله صاحب القاموس ونسبه صاحب الصحاح الى اهل العراق . والخامس مائتان وتسعة وثمانون درهماً وسبعا درهماً هو اثنان ومائتان مثقال ونصف مثقال يبلغ رطلين وربعا على تفسير العامة . واليه ذهب العلامة من الخاصة رحمة الله عليه . والسادس مائتان واثنان وخمسة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عز وجل له في اللوح قطاراً من حسنات التمتع الف ومائتان اوقية والوقية اعظم من جبل احد

(١) نوى قرية بالشام منها ابو زكريا النووي في القاموس

وتسعون درهما ونصف درهم هو أربعة ومائتا مثقال وثلاثة أرباع مثقال يبلغ رطلين وربعاً على تفسير الخاصة واليه ذهب جمهور فقهاء نازحوا أن الله عليهم أجمعين (والقسط) وهو مكيال يسع مدين بالمعنى الثاني على ما يستفاد من القاموس إذ فسره بما يسع نصف صاع والصاع أربعة أمداد بذلك المعنى وقيل هو أربعة أراطال بتفسير العامة وحينئذ يبلغ مدين بالمعنى الرابع . ونقل الشيخ في أواخر القانون أن القسط عند الروم رطل ونصف وسدس فيكون عشرين أوقية والقسط الانطاقي رطل ونصف واعلم أنه قال يختلف باختلاف أضافته إلى بعض المائعات كما نقل الشيخ أيضاً عن بعضهم أن القسط من الزيت ثمان عشرة أوقية وأوقية من الشراب ثمانون رطلاً ومن العسل مائة وثلاثمائة أراطال ومن بعضهم أن قسط العسل رطلان ونصف وقد عرفت مراراً أن الرطل على ما نقله اثنتا عشرة أوقية كل منها سبعة مثاقيل وذكر بعضهم في تفسير قسطه . ل. رطلاً واحداً أيضاً (والصاع) واعني به صاع النبي صلى الله عليه وآله وهو المدار عليه في زكوة الفطر وغيرها اتفقت أقوالهم جميعاً على أن الصاع أربعة أمداد كيلاً ولم يجد خلافاً فيه وأما في تقديره بحسب الوزن فاختلّفوا فيه بحسب اختلافهم في تقدير المدين فذهب كل في الصاع أربعة أمثال ما ذهب إليه في المدين ففهم ستة مذاهب وسبعة احتمالات فعلى أول احتمالي مذهب البرنطى هو خمسة أراطال على تفسير الخاصة وعلى آخر احتماليه خمسة أراطال على تفسير العامة وعلى مختار النووي وصاحب القاموس والمنسوب إلى أهل الحجاز خمسة أراطال وثلاث رطل على تفسير العامة وعلى مختار الرافعي خمسة أراطال وثلاث رطل على تفسير الخاصة وعلى ما نسب إلى أهل العراق ثمانية أراطال على تفسير العامة وعلى مختار العلامة رحمه الله تسعة أراطال على تفسير العامة وعلى مختار جمهور فقهاء نازحوا أن الله عليهم تسعة أراطال على تفسير الخاصة

والكيلجة هي من تسعة أثمان من بالطبي يبلغ ثلاثة أراطال وثلاثة أرباع رطل على تفسير العامة كذا في الصحاح والقاموس (والمكوك) كتنور وهو كما في الصحاح ثلاث كيلجات يعني أحد عشر رطلاً وربع رطل كذا في القاموس والووية بتقديم الياء المثناة التخيانية وهي اثناث أو أربعة وعشرون مداً كذا في القاموس فيجزي فيها المذهب الثاني والرابع اللذان نقلهما في المدين ففهم أربعة احتمالات

والفرق وهو مكيال يسع ستة عشر رطلاً عراقياً على تفسير العامة كما في الصحاح

يبلغ ثمانية امانان وتفسيره بما يسع ثلاثة اصوع لا يغير هذا التفسير اذا كان المختار عند المفسرين به ان الصاع خمسة ارطال وثلاث فالترديد في تفسيره بين ما يسع ثلاثة اصوع وما يسع ستة عشر رطلا من صاحب القاموس كأنه لاختلاف التعبير مع كونه بعيداً جداً

والقفيز المكيالي اما الارضي منه فسيجي في تفسيره يختلف بحسب البلاد جداً والمنقول ثمانية مكايك اعني اربعة وعشرين كيلجة كذا في الصحاح والقاموس والاردب بكسر المعزة وتشديد الباء وهو ستة وتسعون مدا يبلغ اربعة وعشرين صاعاً نقله صاحب القاموس وقد عرفت مختاره في الصاع والجرب المكيالي اما الارضي منه فسيجي في تفسيره قال صاحب القاموس هو مكيال قدر اربعة اقفة فيبلغ اثنين وثلاثين مكوكا

والوسق هو المعتبر في نصاب زكوة الغلات وهو مائتان واربعون مداً يبلغ ستين صاعاً بالاتفاق نقله اهل اللغة وغيرهم ولم اجد خلافاً فيه فيختلف الآراء في وزنه بحسب اختلافها في المد والصاع ففيه ايضاً ستة مذاهب وسبعة احتمالات والتفرع ظاهر مما ذكرنا في المد والصاع

والكر المكيالي وهو ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعون مداً يبلغ اربعين اردباً نقله صاحب القاموس وله معنيان آخران نقلهما ايضاً بقوله وبالضم مكيال للعراق وستة اوقار حار وهو ستون قفيزاً

تفصيل فيه ذكر المقادير المقدرة بحسب المساحة

ينتهي تقديرات هذا القسم ايضاً الى قدر الشعيرة المتوسطة لكن لا من حيث الوزن كما مر بل من حيث المساحة اي قدر عرض السطح الصغير منها يعني احد جنبتيها وبعضهم لم ينفوا في التقدير على عرض الشعيرة وتجاوزوا عنها وقدروا عرض الشعيرة ايضاً بعرض شعر البرذون ذنبه كما قال صاحب البهائية او عرفه كما صرح به صاحب القسطاس وقيل عرض كل شعيرة ست شعيرات منه وقيل سبع شعيرات فبعد هذا التأسيس اعلم ان هذا القسم من المقادير ينقسم الى ثلاثة اقسام اما ان يعتبر فيه المساحة الخطية . واما ان يعتبر فيها المساحة السطحية . اي مربع الخط . واما ان يعتبر فيها المساحة الجسمية اي مكعبه فالقسم الاول الذي يعتبر فيه المساحة الخطية (الاصبع) وهي قدرت بست

شعيرات مثلاصحات بالسطح الاكبر بحيث يكون ظهر كل منها على بطن الآخر وبها قدرها شارح الجفعمي . وقيل سبع وبها قدرها شارح الملة ففيها ايضا مذهبان وفي كل منها يجري احتالا لتقدير الشعر فتصير الاحتمالات في تقديرها اربعة . الاول كونها ست شعيرات والشعيرة ست شعرات . والثاني . كونها سبع شعيرات والشعيرة سبع شعرات . والثالث . كونها ست شعيرات والشعيرة سبع شعرات . والرابع . كونها سبع شعيرات والشعيرة ست شعرات عكس الثالث فنقل الاول صاحب البهائية والقسطاس . ونقل الثاني والثالث الشهيد الثاني في شرحه على لمعة الفقه . ولم اطلع على نقل على الرابع لكنه متقد في المال مع الثالث اذ حاصل ضرب الستة في السبعة وبالعكس واحد فالماذاهب الراقعة المختلفة في المال في تقدير الاصبع ثلاثة . موجب الاول ان يكون ستا وثلاثين شعيرة والثاني ان يكون تسعا واربعين منها والثالث ان يكون اثنتين واربعين منها فيجرب هذا الاختلاف في جميع المقادير الالية الراجع لتقديرها الى الاصبع فكل واحد من التقديرات التي تنقل بعد على ذلك الوجه منفرقا عن ثلاثة احتمالات بحسب المال

والقبضة وهي قدرت باربع اصابع مضمومة يبلغ ثمان وعشرين واربع وعشرين شعيرة ينتهي الى مائة وست وتسعين او مائة وثمان وستين او مائة واربعين شعيرة

والشبر والمعتبر منه شبر المستوي خالقه وهو المقياس لاستعلام اكثر من الماء يمكن تقديره تخميناً بالقبضة والاصبع بان يقال هو ثلاث قبضات او اثنتا عشرة اصبعاً ولكن لم يقدره بشيء اعتماداً على قلة تفاوته مع قيد المستوي ومن اراد التحديد فيمكن ان ينضبط بما قدرناه ويكاد ان لا يتخلف عند التبع

والقدم وهي المعتبرة في النفل وليس لها قدر معين قدرت بسبع القامة من اي شيء كان من الشواخص سواء كان قامة الانسان او غيره فيختلف بحسب اختلاف اعتبار القامة

والخطوة والقامة من الانسان والمعتبر منها هو المتعارف الوسط ولم يقدر بشيء معين

والذراع وهي ثلاث الذراع الشرعية ويقال لها القامة وهي ذراع المحدثين وللاصل فيها من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطي او الساعد قدرت باربع وعشرين اصبعاً يبلغ ست قبضات والذراع الحديد ويقال لها السوداء قدرت بسبع وعشرين اصبعاً

يبلغ سبع قبضات الا اصبعاً والفرع الهاشمية وهي ذراع القدماء قدرت باثنين وثلاثين اصبعاً يبلغ ثمانى قبضات هذه الثلاثة هي المتناول والاذرع المتداولة في زماننا بحسب البلاد في زماننا غير محدود

والقبضة وهي ست اذرع بالهاشمية وسبع وتسع بالحديد وثمانى بالشرعية والاشل بالتخفيف وهو عبارة عن حبل طوله ستون ذراعاً بالهاشمية يبلغ عشر قصبات

والميل وهو الميل الهاشمي والاصل فيه مدى البصر قدرت بستة وسبعين الف اصبع يبلغ اربعة آلاف بالشرعية هذا هو المشهور في تقديره وروي ثلاثة آلاف وخمسمائة هذه الذراع نقله الشهيد الاول رحمه الله في البيان فيه مذهبان والفرسخ وهو ثلاثة اميال عند الاكثر فيختلف باختلاف تقدير الميل فهو اما اثنا عشر الف ذراع بالشرعية يبلغ تسعة آلاف بالهاشمية او عشرة آلاف وخمسمائة بالشرعية يبلغ سبعة آلاف وثمانمائة وخمسا وسبعين بالهاشمية ونقل صاحب القاموس في تفسيره عشرة آلاف ايضا وظاهره الشرعي فيه ثلاثة احتمالات وقول صاحب القاموس في الميل انه ثلاثة اواربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين انتهى اشارة الى الاول لا الى قولين مختلفين فيه وان كانت عبارته موهمة بخلاف المراد معناها انه ان اعتبرت في تقدير الفرسخ ذراع القدماء اي الهاشمية وقدر بتسعة آلاف منها فالميل الذي يكون ثلث الفرسخ عبارة عن ثلاثة آلاف بهذه الذراع وان اعتبرت فيه ذراع المحدثين اي الشرعية وقدر باثني عشر الف منها فالميل عبارة عن ثلاثة ايضا يعني اربعة آلاف بذلك الذراع ولا تفاوت في التقدير الا بالاعتبار كما اشار اليه المبيد في حاشيته على شرح الجعفي بقوله هو ثلاثة اميال بالاتفاق وذراعان الميل اربعة آلاف كل اثنان وثلاثون عند المتقدمين وعي التقديرين الميل ستة وتسعون الف اصبع انتهى هذا ولكن دعوى الاتفاق في كون الفرسخ ثلاثة اميال مزيفة بما نقلناه عن صاحب القاموس في تفسيره يعني عشرة آلاف ذراع ولم يتقل احد تفسير الميل بما يطابق ثلثه والبريد وهو عبارة عن اثني عشر ميلاً يبلغ اربعة فراسخ وهو المشهور ونقل صاحب القاموس في تقديره فرسخين ايضا

والمسافة^(١) وهي التي شرع عند القصد اليها مع شروطه القصر في الصلوة والصوم
اختلف فيها فقيل اربعة فراعس يبلغ بريدأ بالمعنى المشهور وقيل ثمانية فراعس يبلغ بريدن
بهذا المعنى ففيه مذهبان ويجري في كل واحد الاحتمالات المذكورة في الفراعس ففيها
سته احتمالات يصير في المال عند ملاحظة المذاهب الثلاثة في الاصبع ثمانية عشر احتمالاً

والقسم الثاني الذي يعتبر فيه المساحة السطحية سعة الدرهم البغلي
وهي المعتبرة في عفو الدم في الصلوة اذا كان ناقصاً عنها او مساوياً لها قدراً فقد رده بعض
فقهائنا كأبن الجنيـد رحمه الله بسعة عقد الابهام الاعلى وبعضهم كأبن ادريس رحمه
الله بما يقرب من اخصم الراحة

والعشـير وهو ست وثلاثون ذراعاً هاشمية مسطحة مضروب القصة في نفسها ويقال
لعشر كل شيء ايضاً عشيراً وكأنه هنا ايضاً بذلك الاعتبار لكونه عشر القفيز
والقفيز الارضي وهو ثلاثمائة وستون بهذه الذراع حاصل ضرب القصة في الاشـل
وقدره صاحب القاموس بمائة واربعين ذراعاً

والجريب الارضي^(٢) وهو ثلاثة آلاف وستائة ذراع بها مضروب الاشـل في
نفسه وما ذكرنا في القفيز والجريب هو المنقول وربما يختلف بحسب اختلاف اعتبارات
البلاد .
الباقى للآتي

(١) السوف بالضم موضوعه في الاصل للشم وكثر للمسافة الاستعمال في البعد لان
الدليل اذا كان في مسافة فلاة شم تراها ليعلم اعلى قصد ام لا كذا في القاموس وذكرها
هنا باعتبار حقيقتها الشرعية والاختلافات الواقعة فيها وان كانت نظراً لئـصاب
الزكوة في المقادير الموزونة من انها من المسائل الفقهية وليست مما نحن فيه وقس عليها
نظائرهما المذكورة منه

(٢) وما وقع في بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ان اول من بغى على الله عن
وجل عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجالسها جريباً في جريب الخطبة
وان كان بظاهره يقتضي ان يكون الجريب مما يعتبر فيه المساحة الخطية ولكن يظهر من
تبع كلام اهل اللغة والحساب ان حقيقته ما ذكرنا فينبغي ان يحمل ما وقع في تلك
الخطبة على التوسع منه

علمائنا

وكيف ينشئون أبناءهم

ان العالم الذي اصفه في مقالتي هذا ليس مما انبثته بلدتنا طرابلس الشام وحدها . بل بوشك ان يكون من مستبقات كل بلدة من بلادنا الاخرى .

قضى هذا الفاضل حياته في خدمة العلم وتحقيق مسائله والتأليف فيه . وقد ورث هذا الميل من آباءه ، فأحب ان يورثه ابناً له في السابعة عشرة من عمره فلم يفلح .

وكما ذكر علماء « الطبيعيات » في كتبهم ان الاجسام او المواد قسمان « موصل ردي » و « موصل جيد » يعنون بالاول ما تنتقل فيه الحرارة ببطء . وبالأخر ما تنتقل فيه بسرعة — كذلك الحال في بعض الأشخاص : فان منهم من ينقل ملكات آباءه واستعدادهم العلي الى ابنائه ومنهم من لا ينقل . والاول يصح ان نسميه « موصل جيد » والثاني « موصل ردي »

وصاحبنا الذي نحكي عنه هو على ما يظهر من قبيل القسم الاخير : فانه مع ما أُوتيه من سعة العلم والرغبة في تحصيل فنونه — لم يورث ابنه هذا الميل والاستعداد . فكان كسولاً . فاتراهممة . منطفي نار العزيمة . وهل ان ضعف الميل في ذلك الفتى امر جبلي فيه او انه عرض له بسبب الاسلوب الذي جرى عليه ابوه في تربيته وتنقيته ؟ لا اعلم .

وربما كان القاري أشد علماً مني . اذا اطال روحه واصغى لاقتمام الحديث : قيل للوالد : نراك توبخ ابنك لاقلة هفوة . وتنتهره على ملاء من الناس . وقد بلغ الشباب فيحسن بك ان مخاطبه بما يخاطب به عادة من كان في مثل سنه . فقال : انه يعرف هذا . ويعرف مبلغ تأثير التوبيخ العلي في تشويه اخلاق الناشئين . ولكن هناك ضرورة تستدعي العدول عن هذا الاصل في التربية الى اصل آخر اجل واسمى .

ولما استوضح الامر منه قال : انه كان يؤنب ابنه على سوء عمله في السر . فكان لا يعري ولا يزدجر . ثم لما اخذ يربخ جهره صار الولد يحاسب نفسه ويصلح سيرته .

قالوا : ولكنك تشتم الامر تانيه لالعلاقة له بما نقول . فقد سمعناك توبخ ، منذ وضع الكرسي في غير الموضع الذي تريد ان يضعه فيه . وهذا مما لا يحسن بحال من الاحوال ان يوبخ عليه . لاسباه وهو لا يعلم الغيب الذي وقر في نفسك من لزوم وضع الكرسي في هذا المكان دون ذاك .

فخلص الاستاذ من الجواب على هذا الاعتراض الى وصف ذكاء ابنه . وصفاه ذهنه . وانه يفهم ويحفظ مايلقى عليه بسرعة زائدة . وقد حفظ مرة كتاباً صغيراً في قواعد اللغة الفارسية وحذق جميع مسائله في وقت قصير . ثم قال : لكن ابني مع هذا الذكاء النادر كسول لا يهتم بحفظ دروسه . ولا يصبر على المطالعة . ولو فعل لكان في التابعين الاولين . وعد في مقدمة الطلاب الناجحين .

ثم قال : واني لا اطيق ان ارى ابني جاهلاً وان اعيش انا واياه تحت سقف واحد . وقد اعيتني الحيلة في تعليمه . ويخطر لي انه اذا وصل الى سن العشرين وبقي على ما هو عليه من الكسل والجهل اسلمته الى الجندي . وضنت بدفع البذل التقديسي عنه . او اني ارسله الى مكاتب الامتازة . حيث يعنى التلازمة من الخدمة العسكرية . واخذ يصف مايقامي من عناء هذا الامر وان ابنه ننص عليه طيب عيشه . ولذيذ حياته . قال الراوي : فغشمت نفسي لقول الاستاذ . ورثيت لحاله . وقلت له ارى ياسيدي ان حياتك اثنان من ان تكدر صفوها بمثل هذا . وان ابنك اذا لم يكن فيه استعداد وميل لطلب العلم . فاختر ميوله الأخرى لشؤون الحياة ودعه يشغل في العمل الذي يحسنه ويميل اليه بطبعه . فاذا كان يميل الى التجارة والكسب فنشطه لسلوك هذا السبيل . واذا رأيت يميل للدخول في ملك موضي الحكومة فيفعل . فان ذلك اجدى من ان تكلفه الماطافة له ، من التحصيل .

فارتد وجه الاستاذ من سماع هذا الكلام . وقال : ان جميع ما تعلمه انت اعلمه انا وانتك الآن لم تدر ما اقول : اما قلت لك ان ابني على جانب عظيم من الاستعداد والذكاء وانه يحفظ ويفهم مايلقى عليه بسهولة وانه في ساعة واحدة حذق مسائل اللغة الفارسية التي لا يدركها غيره في بضعة ايام .

قال الراوي : قلت بلى ياسيدي الاستاذ فهمت كل ما تقول ولكنك انت لم تفهم بعضاً مما اقول :

ان قوة الذكاء والفهم غير قوة الميل والرغبة . فإلم تتوفر في الطالب هاتان القوتان

لا يقال عنه انه مستعد للطلب . ولا ذو قابلية للعلم . وان ابنك ذكي سريع الفهم . لكنه كسول ضعيف الميل . فهو اذن قد توفرت فيه قوة دون قوة . الا ترى ان كثيرين من الطلاب هم على العكس من ابنك : ترى الواحد منهم كثير الرغبة والميل لتحقيق العلم متوفراً على الدرس والمطالعة جهده . لكنه ينقصه قوة الذكاء والفهم المتوفرة في ابنك . فيضيع عمره ولا يستفيد شيئاً من العلم . والايق بمن كان كذلك — اي كان ذكياً لكنه كسول او مجتهداً لكنه بليد — ان يدع طلب العلم ويأخذ في عمل آخر ينتفع به .

فامتعض الاستاذ وقال : من اين اتيت بهذه الفلسفة ؟ يريد انني تكلمت بكلام غير مفهوم . وهو ما يريدون بكلمة الفلسفة احياناً . ثم عاد الاستاذ فشرح مأثوريه ابنه من ذكاء وقوة حافظه وغير ذلك من المواهب والمزايا . هذا ما قصه الراوي علينا . وموضع العبرة فيه : ان ذلك الاستاذ قد درس على زعمه علوم الاولين والآخرين لكنه نسي علماً واحداً لم يوفى لدرسه مع انه في اشد الحاجة اليه . ذلك العلم هو علم التربية الذي هو فرض عين على كل اب عائلة . ومعلم مدرسة . واذا زعم الاستاذ ان هذا العلم درسه في جملة مدارس . نقول له ولكذك لم تكن ذا استعداد وقابلية للانتفاع به . فيرد علينا بانه على استعداد وقابلية لانه ذكي وسريع الفهم . فنضطرب حينئذ الى السكوت والصبر .

ومثل الاستاذ كثيرون يريدون ان يلزموا اولادهم بالتحصيل . ويكونون ضعيفي الميل والرغبة فلا يهتمون ان تمضي اعمارهم سهلاً . ويكون من جهة ثانية قد فات الوقت الذي يمكنهم فيه التدرب على الكسب وتوفير الثروة فيقصون حياتهم في البطالة والاحمول وضيق ذات اليد .

ولو فطن اولياؤهم لحالم من اول الامر لربأوا بهم عن مثل هذا الموقف . ونحطوا بهم الى ما يطيقون من العلم الى ما يطيقون من العمل . واعانواهم على الانتفاع ببيولهم الخاصة . واستثمار مواهبهم الفطرية .

واكثر ما يكون هذا الاغفال في بيوت العلم القديمة فان الآباء فيها يحرمون على تنشئة بنهم في العلم . وتمويدهم التحصيل منذ الطفولة . ويلزمونهم اياه بكل وسيلة . ولا يكون في كثير منهم ميل اليه . واستعداد له . فيقصون اعمارهم فيه . من غير ان

يكون لهم نصيب منه . سوية القيافة الخاصة . عمامة وطيلسان . وجبة واسعة الاردان .

وهناك سبب آخر يحمل الآخرين على الاشتغال بطلب العلم من دون ان تتوفر فيهم القابلية له فلا يتناولون حظاً منه : اولئك الذين يريدون الفرار من الخدمة العسكرية وتضيق ذات يدهم في الغالب عن البديل النقدي فيشتغلون في التحصيل لهذا الغرض .

وقد ينبغ بين هؤلاء افراد يصبحون غفراً لقومهم . ونبراس هدى في وطنهم . اما الآخرون وهم معظم الطلاب فيخذلون من العلم القدر الذي ينبغيهم من الخدمة العسكرية ثم لا يلبثون ان يشغلوا عنه فينسوه رويدا رويدا . ويكونون قد وصلوا الى سن يصعب معها مواصلة عمل او صناعة فيعيشون كلاً على اهلهم . يرمقون الرزق ترميقاً . ولو انصف هؤلاء انفسهم لما اشتغل بتحصيل العلم منهم الا من اوتي نصيباً من ميل واستعداد للطلب . ورزقاً يكفيه مؤونة الحاجة . والا فخير للراء منهم ان يتماطى عملاً يوفى به عيشه . وينقذه من عار البطالة . ويمكنه من اداء البديل العسكري . او انه يقوم بهذه الوظيفة المقدسة . فانها من اشرف الاعمال لاسيما في وقتنا هذا . وقد اصبحت الحكومة دستورية . والجندي فيها مرفه في معيشته . وموفور الحرمة في اداء خدمته .

ولو بلغ طلاب العلوم الاسلامية في احدى المدن مائة طالب مثلاً لكان منهم عشرة يشغلون المناصب الدينية : مثل مفتي . وموظف محكمة . و كاتب صكوك . وعشرة آخرون اغنياء عن الكسب بغنى والديهم . وعشرة سوام اقدموا على الكسب بقوة من ارادتهم وهمة نفوسهم . اما السبعون الباقون فيغدون ويروحون في قومهم على غير الحالة اللائقة بحرمة العلم وكرامة اهله وقد تفقد البطالة بعض هؤلاء الى انتياب اماكن اللهو . وينزل الحال بالآخرين الى تناول الصدقات . والسقوط على طعام الاموات .

وانا اتود ان يكثر هذا العنصر فينا معشر المسلمين : عنصر علماء الدين ولكننا نود لهم قبل كل شيء ان يكونوا موضع احترام العامة واجلال الخاصة ليكون ذاك ادعى للانتفاع بهم . والتلقي عنهم . وان يكون لهم من خزينة الاوقاف ومال الامة رواتب تساعد على اداء وظائفهم . والظهور في مظهر التجميل بين ابناء قومهم . ثم يكون

وراء ذلك من قبل الحكومة او من قبل الرأي العام عيون تراقبهم . وتناقشهم الحساب على اعمالهم . حتى اذا اقترب احدكم مالا يلائم آدلب صنفه . وكرامة دينه . اكراه على التجرد من زيه العلمي . ثم ليختر لنفسه صناعة أخرى او يبق متشرداً كما يريد . والا فان ظهور اهل الدين في مظهر يزري بهم ويحط من قدرهم بدعو الى النفرة منهم وترفع ابناء الخاصة عن الدخول في سلكتهم . فلا يعود ينضم اليهم سوى الخثالة . من اهل الجهالة . وذوي البطالة .

صحافتنا وصحافتهم

بامتياز اذا اردت ان يكون لك حول وطول وكلمة عالية مسموعة ومنزلة مهمة عند دولتك وسائر دول الارض فاقبلي على صحافتك الوطنية اقبالي الشعب الاميريكي على صحافته

صحافة الولايات المتحدة وصحافتنا

عدد سكان ولاية ميسوري	٣١٦٦٦٦٥	عدد صحافتها	١٠٤٨
« « « اهايو	٤١٥٧٥٤٥	« «	١١٨٩
« « « ابلنيز	٤٨٢١٥٥٠	« «	١٧٤٦
« « « بنسلفانيا	٦٣٠٢١١٥	« «	١٥٣٤
« « « نيورك	٧٢٦٨٨٩٤	« «	١٩٥١
« « « ايويس	٢٢٣١٨٨٣	« «	١١٣٢
« « « مشغن	٢٤٢٠٩٥٢	« «	٨١٠
« « « انديانا	٢٥١٦٤٦٣	« «	٨٥١
« « « ميتشوسستس	٢٨٠٥٣٤٦	« «	٦٥٤
« « « تكسس	٣٠٤٨٧١٠	« «	٨٥١
« « « كرويلنا الشالية	١٨٩٣٨١٠	« «	٢٦٦
« « « تنسى	٢٠٢٠٦١٦	« «	٢٩٨
« « « ويسكنسن	٢٠٦٩٠٤٢	« «	٧٣٢
« « « كشيكي	٢١٤٧١٧٤	« «	٣٣٨

عدد صحافتها	۳۹۵	۲۲۱۶۳۳۱	عدد سكان ولاية جورجيا
« «	۲۵۱	۱۵۵۱۲۷۰	« « « سياسي
« «	۷۷۰	۱۷۵۱۳۹۴	« « « منسوتا
« «	۲۳۰	۱۸۲۸۶۹۷	« « « الاباما
« «	۲۴۹	۱۸۵۴۱۸۴	« « « فرجينيا
« «	۳۹۰	۱۸۸۳۶۶۹	« « « نيوجرسي
« «	۲۸۹	۱۳۱۱۵۶۴	« « « اركنسس
« «	۱۵۶	۱۳۴۰۳۱۶	« « « كرويلنا الجنوبية
« «	۷۳۶	۱۳۸۱۶۲۵	« « « لوزيانا
« «	۷۳۸	۱۴۸۵۰۵۳	« « « كلفرنيا
« «	۱۸۳	۵۲۸۵۴۲	« « « فلوريدو
« «	۱۵۸	۵۳۹۷۰۰	« « « ماين
« «	۳۷۴	۶۹۴۴۶۶	« « « كولوريدو
« «	۱۷۳	۹۰۸۴۲۰	« « « كنتكت
« «	۲۱۷	۹۵۸۸۰۰	« « « غربي فرجينيا
« «	۶۵۹	۱۰۶۶۳۰۰	« « « نبراسكا
« «	۲۰۶	۱۱۸۸۰۴۴	« « « ماريلند
« «	۳۰۳	۳۹۸۸۳۳۱	« « « اوكلاهوما
« «	۳۹۳	۴۰۱۵۷۰	« « « داكوتا الجنوبية
« «	۹۴	۴۱۱۵۸۸	« « « نيومشر
« «	۲۴۰	۴۱۳۵۳۶	« « « اورغن
« «	۵۹	۲۲۸۵۵۶	« « « رودايلند
« «	۹۹	۵۱۸۱۰۳	« « « واشنطن
« «	۸۳	۲۷۶۷۴۹	« « « يوتا
« «	۸۲	۲۷۸۷۱۸	« « « مقاطعة كوليبيا
« «	۲۳۳	۴۱۹۱۶۴۶	« « « داكوتا الشمالية
« «	۷۶	۳۴۳۶۴۱	« « « فريمونت

عدد سكان ولاية مقاطعة الهنود	٣٩٢٠٦٠	عدد صحافتها	١٦٤
« « «	٤٢٣٣٥	« «	٣٥
« « الاسكا	٦٣٥٩٢	« «	٤٥
« « اريزونا	١٢٢٩٣١	« «	٦٦
« « ايدهو	١٦١٧٧٢	« «	٩٩
« « «	١٨٤٧٣٥	« «	١٤٠
« « نيومكسيكو	١٩٥٣١٠	« «	٦٣

يظهر من مطالعة هذا الجدول الذي جمعته بعد بذل الوقت الطويل ان نفاد اصغر ولاية في الولايات المتحدة بعدد سكانها ٠ فهم يبلغون ٤٢٣٣٥ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم كما ترى يبلغ ٣٥ جريدة ومجلة اي ان يصيب كل ١٢٠٩ انفس منهم جريدة واحدة ٠ هذا عدداً ما يرد عليهم من جرائد سائر الولايات ومجلاتها وولاية الاسكانجي فوق ولاية نفادا في عدد السكان ٠ دع عنك عدم استجارها في الحضارة والعمران بداعي اقليمها البارد جداً ومع نقصيرها بذرائع الرقي عن شقيقاتها تقرأ ان لسكانها البالغ عددهم ٦٣٥٩٢ نفساً ٤٥ جريدة ومجلة اي ان يصيب كل ١٤١٢ نفساً منهم جريدة

وقس على ولايتي نفادا والاسكا بقية الولايات وقابل بين عدد سكان كل منهما وعدد جرائدها ومجلاتها ولا سيما احط مقاطعة في الجمهورية بمعارفها وعلومها واسباب تقدمها الا وهي مقاطعة بقايا ذلك الشعب القديم شعب سكان اميركا الاصليين الهنود الذين مازال اكثرهم عائشاً عيشة الهمجية — قابل تجد ان لكل ٢٤٥١ نفساً منهم جريدة فعددهم ٣٩٢٠٦٠ نفساً وعدد جرائدهم ومجلاتهم ١٦٤ جريدة ومجلة ثم قابل بين عدد سكان الجمهورية الاميركية وعدد جرائدها وبين عدد سكان البلاد العثمانية وجرائدها وتأمل في الفرق واعتبر وانح باللائمة على مسيبي تأخرنا ونقهرنا

صحافتنا

لا اعلم وانا نحيق الداركم هو عدد صحافة ولاية سورية ٠ الا انني لا اخلها لتجاوز عدد الاصابع فقد اتصل بي ان غير جريدة منها دبت فيها الحياة ردها من الزمن المدعو بزمان الدستور ثم تمارضت او مرضت ومضت للملاقاة ربها وانه لم يبق غير المقتسين

والعصر الجديد والراوي وحط بالخرج في دمشق والاختفاء في حماة وحمص في حمص
وثنتان او ثلاث لم اقف على اسمائها

في اعظم مدن العربية

في القرن العشرين الذي اتصلت فيه بلاد العالم ببعضها بعض اتصال شرايين الجسم
واختلطت شعوبها اختلاط الحابل بالنابل — في القرن الذي قويت فيه شوكة العلم —
في القرن الذي كثرت فيه الثورات والنهضات وظهرت الاختراعات والاكتشافات الا
يوجد في اعظم مدينة في البلاد العربية — في مدينة من اعرق مدن الدنيا
بقدمها — في بقعة من افضل بقاع المعمورة بارضها وسمائها واقليمها وخيراتها — في
دمشق اكثر من خمس اوست جرائد تستحق ان تسمى جرائد ؟

كثرة قرائمهم وقلة قرائنا

عدد سكان ولاية نفاذا في اميركا يقل عن سكان صالحة الشام على ما ارجح
ولا يزيد كثيرا عن سكان حي نصارى دمشق ولا اولئك ٣٥ جريدة وللدماشة البالغين
ثلاثمائة الف نفس ونيف خمس اوست جرائد او لكل ستين الفا منهم جريدة وقراء
الصحف منهم لا يزيدون عن خمسة بالالف على ما أقدر واظن ان تقديري هذا في محله .
فالطامة الكبرى ليست فقط بقلة جرائد دمشق بل بقلة عدد مشتركيها . فلجريدة
حقيرة في الجمهورية الاميركية العظمى مشتركون وقارئون اكثر من اكبر وأقدر وأشهر
جريدة في دمشق

مكانة المقتبس من جريدة اميركية كبرى تطبع ستين الف نسخة يوميا
هذا المقتبس لي شهرته الواسعة ومقدرة صاحبه المشهورة بن الناطقين بالضاد في
مشرق الارض ومغربها وبين الكثيرين من الاميركيين في غربي الولايات ^(١) يقال
انه لا يطبع يوميا اكثر من ثلاثة آلاف نسخة يوزع منها الفين وخمسمائة نسخة على
المشتركين والقارئين وخمسمائة نسخة على رصفائه ومكاتبه في الجهات في حين ان مكانة
المقتبس المعنوية لانتقص مكانة عن مكانة صحيفة اميركية كبرى تطبع يوميا ستين
الف نسخة كبيرة

(١) لقد نقلت عشرات من مقالات المقتبس (المجلة والجريدة) الى كثير من جرائد
ومجلات الاميركيين في غربي الولايات المتحدة وتمهل لها غير واحد من اكبر الكتاب

مقابلة وانتقاد

في عاصمة نبراسكا البالغ عدد سكانها ٦٥ ألفاً عدة جرائد ومجلات ناجحة منها جريدتان عظيمتان سبق ذكرهما تشغل كل منهما بناية عظيمة ومعدل ما يطبعه احدهما يومياً خمسون ألف نسخة وما يطبعه الأخرى اربعون ألف نسخة وبكل حرية اقول ان معنويات تينك الجريدتين الخطيرتين لا تفوق معنويات المقتبس وانما تفوقه بما لا يناس بكثرة القارئين والمشاركين وتعدد الصفحات وكبر الحجم وبشيء معنوي هو انك تقرأ عنواناً لكل كتابة او خبر في تينك الجريدتين تفهم منه ما يرمي اليه الكاتب قبل ان تطالع الكتابة او المقالة او الرسالة ونرى الصور الكثيرة المهمة في كل عدد منهما كل يوم ولا سيما عدد الاحد الكبير البالغ اربعمائة وعشرين صفحة كبيرة تقرأ فيه مقالات مشاهير وشهيرات الكتاب والكاتبات في اوربا واميركا

واما المقتبس فانك لا تستطيع ان تفهم شيئاً من كثير من مقالاته ورسائله واخباره الا بعد ان تقرأ الكتابة كلها واذا كانت طويلة تنضطر احياناً الى قراءة العمود او العمودين او الثلاثة الاعمدة منه لتلم بالموضوع او تقف على مغزاه ومرماه ومن حين صدور اول عدد منه الى يومنا هذا لم ار ولم ير غيري صورة فيه قطعياً . فاذا كان الداعي الى ذلك هو قلة واردات المقتبس المادية فيعذر واذا كان الداعي هو ان الدين الاسلامي ينهي عن نشر الصور فهل لصاحب المقتبس اولغيره من ائمة الدين ان ينشروا بياناً شافياً بهذا الباب لعلنا نعذر ونقتنع . ان الدين الاسلامي الكريم كتب شرائعه ونشرت في زمان هو غير زمان القرن العشرين وما انطبق على ذلك الزمان لا ينطبق على هذا الزمان ولكل عصر حاجات لا توافق حاجات العصور التي سبقتة واذا كانت الصور من بقايا آثار الوثنية التي كانت في اوج مجدها وعزها في اول عهد ظهور الاسلام فعلم القرن العشرين قد محا تلك الآثار او كاد وصار يفهم العالم والجاهل اليوم ان الغرض من نشر الصور هو الافادة التي تنقاسها اليوم حاجة عصر النور لا العبادة التي كانت تنقاسها حاجة عصر الظلمة في القرون المتوسطة

صحف العرب في اميركا

قرأ الصحف العربية في ولايات الاتحاد معدودون ومعدودون فعدد الناطقين بلغة قریش فيها لا يتقصون عن مئة وخمسين ألف نفس ومع ذلك ترى صحافتهم أكثر

عددًا وأكبر حجمًا واحسن تبويبًا وانظف ورقًا من صحافة ولاية سورية بل ارقى بادياتها . وشاهدي او دليلي على ذلك جريدة الهدى اليومية الصادرة في نيورك فانها مع كونها في بلاد غربية نائية عن مواطن اللغة العربية فهي تطبع نحو خمسة آلاف نسخة كل يوم ذات ثماني صفحات كبيرة حافلة بالمقالات المحبرة والاخبار المهمة ومزينة بالرسم الرامية الى اغراض نافعة واذا حققت وجدت ان مانتطبعه الهدى وحدها كل صباح لا يقل عما تطبعه جرائد ولاية سورية بمجموعة

لرم وعتاب

لا أريد ان أنسب الى اني احرق الأرم واورث نيران المناظرة لغاية او نكابة بين المستصغرين منزلة المهاجرين من المتخلفين والذابين عن حياض المهاجرين فلهؤلاء مكانة سامية ابدعها جدم وكدم ولاؤلك بتعريضهم عيون لا تبصر واجسام لا تشعر واغراض كلها امراض وانما الوم بل اعتب على ولاية رجالها ونساؤها واولادها لا يقل عدهم عن مليون نفس هم عرب في عرب — على ولاية شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وسماؤها وارضاها وطوارها ووهادها وسهولها وهضابها واشجارها واثمارها وانهارها وعمرت بالعرب وتخص العرب وليس لهم ولها على الاقل جريدة تطبع مانتطبعه جريدة عربية في ديار العجمية

كيف يأتي الاصلاح

الاصلاح جاء ويحيى وسيحيى من طريقين اما من طريق الحكومة واما من طريق الشعب ومثال الاول حكومة يابان ومثال الثاني الجمهورية الفرنسية والجمهورية الاميركية والانتقال العثماني لم يأت من طريق الحكومة ولا من طريق الشعب من حيث مجموعه بل من طريق الجيش . اما والحكومة العثمانية منسرفة قواها جملة الى حل مسائلها ومشاكلها وقد بدا حتى الآن انها لا تكترث او لا تريد ان تكترث بالعربية حيث ام ماتت فقد تحتم على ابناءها ان يعلوا منارها ويحموا ذمارها ويحملوا لواءها وهذا لا يكون فقط بالاحتفاظ ببقايا تلك الكتب المثيقة الباقية في مذاهب سيويه ونقطويه واضرابها مثلا بل يكون في نشر الصحافة الحرة بكثرة في المدائن وفي القصباء وفي المديرية وفي الضواحي والنواحي فالصحافة الحرة الصادقة بلا مدافع اكبر كلية للدولة واكبر مدرسة الامة واكبر جامعة للشورات الادبية المحطمة قيود الجهل والظلم وللنهضة

الجلالة رفعة القدر ووفرة الفخر ويقاس رقي الأمم برقي صحافتها فكل أمة لها صحافة راقية لها منزلة راقية في السياسة والاجتماع والآداب والأمران والعرفان صحافة هذا الدور هي غيرها في الماضي

لم تكن الصحافة موجودة بعرفي في دور نبرون القرن العشرين . فثلك التي كان العبيد المستعبدون يدعونها صحافة لم يكن أكثرها الا وريقات او نشرات لنشر آيات التقديس والتدليس والتدنيس بل لاذاعة المين كل المين والتمويه كل التمويه والتجهيل كل التجهيل والتضليل كل التضليل وكان الاستدلال والاستبعاد يقضيان بدفن الحقائق واستحياء المخارق . اما وقد أدت الى الشعب بعض حقوق المعطاة له من الله فمن الغضاضة على الصحافة ان تستر العيوب والعورات وكل صحافة لاندل الدولة والامة على حسناتها وسيئاتها بكل مافي كلمة الحرية من معنى الحرية لاتدعى صحافة ولايرجى لامتها وحكومتها صلاح واصلاح

الذنب ذنب الشعب

نعم ان مضمار الانتقاد اوسع في اميركا منه في الدولة العلية بداعي تقييد الصحافة العثمانية واطلاق حرية اميركا غير ان الذنب على الشعب . فـشعب اميركا مطالب وناهض وقائم والشعب العثماني قاعدوجامد ونائم . النواب هم الذين قيدوا حرية الصحافة وهم ضيقوا الخناق عليها والشعب هو الذي انتخب اولئك النواب وارساهم الى عاصمته وهو الذي يدفع مرتباتهم ونفقاتهم فالشعب هو سيد النواب والنواب خدامه ولم اسمع ولم يسمع غيري ان ٢٥٠ خادماً يستطيعون ان يستبدوا بثلاثين مليون (سيد) فيا ايها الشعب من نوابك بتعديل قانون صحافتك واحملهم على تلبية امرك فان لبوه كان ماتريد والا فاقبل لم ظهر الخن في الانتخاب المقبل وانتخب الاصلاح فالاصح حتى تبلغ ضالتك وتعمل عمل البلاد الشعبية . فهل من سامع او يجب لهذا الهوت الضعيف اميركا : يوسف جرجس

زخم

(المقتبس) ان اعظم عائق يحول بيننا في هذه المجلة وفي جريدة المقتبس وبين وضع الصور اللازمة القليلة في بادئ الامر هو عدم اضطلاعنا بهذا الامر وعدم

وجود مصور ماهر هنا يحسن حفر الصور على المناحي المطلوبة . والاسلام لا يمنع من التصوير الا الجسم والمنع تحت شروط ايضا .

ثم ان قلة رواج بضاعة الم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحافتنا العلمية والسياسية كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المقتبس على شهرتها لا تطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المقتبس على سعة انتشارها لا تباع اكثر من الف نسخة في اليوم فمن لنا يوم تطبع فيه صحفنا عشرة آلاف فقط لنقل الصحافة الغربية حذو القذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها ولا يحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم نكد الخال تستقر في حوران على ما يجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصي نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فغشم السكان وانتفضوا على الحكومة وصادف ان قطعت مرثبات بدو بني صخر والخرشان وغيرهم ممن كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسطوا على بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية واطاعة على طول زهاء مائتي كيلومتر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركبائها من مال ومشاغ مما لا يقل عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك على بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون بادبهم وحاربهم واطالوا يد الاعتداء على التجار والموظفين والحامية ولولم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة ويقتوا فيها عشرة ايام ريثما وافهم المدد لقتضت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الارباض لاتمام اعمالهم وقد حرق نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونفود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب تدمير عظيم من المدينة بالاطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود يثأرونهم الآن في السهل والوعر .

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه النطائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بشورتهم ولم يؤثر عنهم شيء مضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان وبعبارة أخرى بين المدينة والمهجرة رأينا ان نلمّ بعمرانه وتاريخه وجغرافيته واقتصاده واستعداده للارتقاء فنقول نقلاً عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة : يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يقطعها راكب المظايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً اما عرضه فمن الغرب نهر الأردن (الشريعة) او بحيرة لوط (البحيرة الممتدة او البحر الميت) ووادي العاربة والوجه والعقبة الفاصلة بينه وبين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فجند وهذه المسافة لا تقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق .

وارضه سهلة جبلية وجباله لا ترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي يقر بها الآن واشهر انهار الّواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قال ياقوت : الزرقاء موضع بالشام بناحية عمان وهو نهر عظيم في شعار ودخال كثيرة وهي ارض شبيب الشعبي الحميري وفيه سبع كثيرة مذكورة بالضراة وهو نهر يصب في الغور . ووادي الصلت وهو ينبجس من قصبة الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسان ينبض من محل اسمه حسان ونهر زرقا معين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص وينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين التطرانة والكرك وجميع هذه الاودية او الانهار تصب في نهر الأردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبة الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي موسى وبنابيع شتى فيصب في بحيرة لوط . وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاءً بما ينهل اليها من السيول وتجف قليلا في الصيف . ومن الانهار مالا يجري الا في الشتاء مثل نهر التمد ولا ينبثق بهذه المياه في السقيما حتي ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يسي في اكثر الاراضي التي حفا فيه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ما خلا بعض الحدائق القليلة في وادي موسى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسامن اعمتى اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتها الى قرارها في ساعة ونصف ويصعد اليها في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين على ساعتين من مسابها جبال ملونة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحمة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والتصدير والبتول والنحاس . وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابني رباح بالقرب من تدمر . وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها . ويقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون على الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحجاج في هذا اللواء واحمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات ويمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حسان وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لثابها وسنديانها طويلاً ولاسيا في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخزيرة . واهم الحبوب التي يستنبطونها الخنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تخرق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعد المسافة بينها وبين دمشق واقربها لا يقل عن خمسة ايام على الجمال

ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك والصلت والشوبك ومعان والطفيلة وعيمة وصنفحة وبصيرة وضانا وخزيرة والعراق وكثرت بمادبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناحور وعين صويلح ورصيفة وياجوز وعيون الحرو وبادودة ولبن وام العمد وزيارة . ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفا نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل وانغادوا لكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الابار انابيب يخزنون فيها حبوبهم وهم ينتجعون الكلاً . وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم اربعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مادبا كلهم مسيحيون .

قال القرماني في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي على عشر مراحل من دمشق كان غالب اهلها نصارى . والآن ليس فيها احد منهم ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ على الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل بيد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه وقسمته الى اربعة افضية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاه (جيزة) وتبوك وخزيرة والشوبك .

وديبان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نخرة اميلا من مصبه في بحيرة لوط و ١٦ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديبون وكانت احدى منازل بني اسرائيل^(١) واشتهرت ديبان بالحجر الموائبي الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسنكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميشع بن خمرسا ملك مواب ملخصها انه بنى هذا المقدس كموش لانه خلصه من كل معتد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايق عمري ملك اسرائيل مواب اياماً عديدة . ملك ارض ميدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش تكى عهدي حينئذ بنيت بعل معون ورممت قرياتي . بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واخذتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجرت آتية بهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي . انا هو الذي بنى عروعر (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي اُخربت انا هو الذي بنى نبوسور وديبون وبيت دبلتاي وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حوروناي وخذها اه .

اما مدينة ميدبا ويقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل ومواب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشبون بين الشرق والجنوب الشرقي و ١٤ اميال شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفيلسفاء رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة ويؤخذ من الكتابة التي اُثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر ق م انها اُعيدت الى الموائيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم التبطين اي

(١) جغرافية الكتاب

العرب وكانت على عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت على عهد الرومان جزءاً من العربة الصخرية . والخرطة لم تزل في كنيسة الروم هناك وعمران كما قال القرماني مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر سيف تاريخ الاسرائيليين وهي رسم كبير ويمر بجانبها نهر الزرقاء الذي على طريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء وتمتد من الصلت الى مادبا على مسيرة تسع ساعات وهي تررع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولا تلخ نار . والقرماني كتب في القرن الحادي عشر وارض الصلت وهي عبارة عن مركرة وناحيتي عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد . ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن الشوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه شريفة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم . والشوبك على ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى على ٢٥ ساعة عن الكرك .

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلاً من جنوبي الكرك و٥٤ ميلاً عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بيترا اي العربة الصخرية او سلع ومن اعمالها بلاد مآب (مواآب) المشهور في تاريخ المصريين والظاهر ان سلع هي غير بترا وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بترا الاصل ولا تاريخها كما ينبغي ويظهر من النواويس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق . م ولم يجر ذكر للبطنيين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الاندوميين الا في سنة ٣١٢ ق . م اسيه ايام ارسل الملك انتيغونس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي على بترا عاصمة البلاد فافحق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النواويس القديمة ومعظمها على اكمة هناك لامتد الى الوادي . حازت هذه المدينة مكانة كبرى لحصانتها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها على طرق البحر الاحمر اي القلزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر .

واول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول . وامند سلطان النبط على عهد المكايين الاولين الى شرقي الأردن ولما ضعفت دولة البطالة والسوقيين عاد النبط فقوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت حدود هذه المملكة على عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك « نجب اليونان » ويستدل على ان المدينة اليونانية كانت قد استحكمت اواصرها في ارض النبط من المصانع والتواويس التي عثر عليها وهي تتم باجلى بيان عن مدينة يونان ^(١) وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يؤدي الجزية اليهم . واضطر النبطيون على عهد الامبراطور يوليوس واخلافه ان يقدموا منهم الجنبين بعد الآخر جنوداً مساعدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت على عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق . وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها اسينة الرابية الصخرية ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور تراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر . وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية . وفي نحو سنة ٣٥٨ أصبحت بترا ولاية مستقلة برأسها تحت اسم مملكة فلسطين اوفلسطين المسالمة . وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تبرح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت على عهد الحكم الروماني قد بلغت شوطاً عالياً من العظمة والارتفاع ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتفاع مملكة فارس ومملكة تيمر اللتين نازعتاها في التجارة بل لان الفرس ونقوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصقاع الفرات والخليج الفارسي .

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قد محي اسم بترا او كاد . وزعم الصليبيون لما جاؤا سورية فاتحين ان جبل هارون على مقربة من بترا هو جبل طور سيناء فانشأوا قصراً فخماً في ذروته المقدسة ومنذ ذلك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج ما فيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدرك فلسطين وسورية ١٩٠٦

وهي احدى تلك المصانع ومن العاديات هنا التي تعد من اغرب ماضع^(١) خزنة فرعون
وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥

وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فعدا اليونان والرومان
هذه البلاد بتراي صخرأ ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وان القرية
الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه نافذة صالح والحقيقة
ان سلع بفتح السين وكسرهما والجمع السلوع اسم عربي ومعناه الشقوق بين الجبال قال
ابوزياد الاسلاخ طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلعاً وهو ان يصعد الانسان في
الشعب وهو بين الجبلين يبلغ اعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف
على واد آخر بفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر سائداً في الوادي الآخر
حتى يخرج من الجبل مخدراً في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الواديين
السلع ولا يعلوه الا راجل . قال ياقوت: وسماع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس
وبهذا لا يصح ان يطلق سلع على وادي موسى باجمعه كما توهم بعضهم . والحجر كما
قال ياقوت . اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والثام قال الاصطخري: الحجر
قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل
ثمود . قال الله تعالى (وتحتون من الجبال بيوتاً فارهين) قال ورأيتهما بيوتاً مثل بيوتنا
في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الراي من بعد
ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها
الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدا احدا الا
بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة « لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم » قال جميل :

اقول لداي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لبيك لما دعانيا
فما حدث النأي المفرق بيننا سواً ولا طول اجتماع نقاليا

اما بلاد مواب او ماب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط
فيما وراء عبر الأردن والبادية على ضفتي نهر اردن وكانت عاصمة الموآبيين قلعة رباط
مواب . والموايون هم ابنا لوط لا يعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد
يخاف اليهود عادتهم لغزوهم اباهم الحين بعد الآخر واستولى الموآبيون على الامراتيين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثماني عشرة سنة (١٣٣٢ - ١٣١٤) تلى عهد حكومة القضاة وقد غالب شاول (جاليت) الموآبيين وخضعوا لسلطان داود موقفاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وتلى عهد العرب امتزجوا بهم وفنوا فيهم كما فنيت شعوب كثيرة في الفاتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائى الدين والمصلحة الدينيّة . امامدينة الكرك فكانت هي عاصمة الموآبيين على مايقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك موآب .

وكان ^(١) مقام الموآبيين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا على اخوتهم بني عمون وطردوا الرفاثيين وسكنوا ماكانهم حاربهم شاول وانتصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك موآب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك موآب قتلها فقتل داود منهم ثلاثين الفا ووضع الباقين تحت الجزية وقدساعدوا بختنصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعند ياقوت بلاد مآب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه ابر عبدة بن الجراح في سلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فافتتحها على مثل صلح بصرى وقيل ان فتح مآب قبل فتح بصرى وينسب اليها الخمر قال حاتم طي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امريء لايعرف الدم بيته له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر

وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وايي مآب لناثينها وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد مآب بل قال انها قلعة حمينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ابلة وبحر القلزم والبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الريض

وفي المرأة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشماليها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشبون وهي الآن حسان والعال ونبا وماعين وعراعر وديان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

ارنون ايضا والى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كير موآب وربة هي رابة موآب وزعراء ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجى من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبارين التي ارادها الله تعالى بقوله « ان فيها قومًا جبارين » والبلقاء مدينة الشراة الشام وهي ارض معروفه ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحيمه التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها شروي .

وذكر ياقوت ايضا ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الجيوب والانعام بها عدة انهار وارية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مستف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وبها قبر اوريا النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطريق اليها صعبة قال الاحوص بن محمد الانصاري

اقول بعمان وهل طربي به
اصاح الم يحزنك ريج مريضة
وان غريب الدار مما يشوقه
وكيف اشتياق المرء يكي صباية
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة
اريد لانسى ذكرها فيشوقني
الى اهل سلع ان تشوقت نافع
وبرق تلالا بالعقبة لاعم
نسيم الرياح والبروق اللوامع
الى من تأى عن داره وهوطامع
بنا وبكم من علم ماله صانع
رفاق الى ارض الحجاز رواجع

وقال الخطيم العكلي المص يدكر عمان (بفتح العين)

اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها
فذاك الذي استكرت يا ام مالك
وركاب احوال يخاف بها الردى
وان الماضي العزم لتعلمينه

وتنسب اليها بعض الرواة والنسبة عماني .

هذا ما قاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه على بلاد مآب والبلقاء وابي المدائن كانت عاصمة تلك الكورة كلام لا يمكن للمرء ان يجزم بان البلدة الغلانية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تتمثل في هذه المدن فتارة بعمان واخرى في الكرك والمفهوم من النصوص الآتفة الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام وبمده يتقرون عاصمة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبشر جداً قبل الاسلام وبعده وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الا ما رواه ياقوت في معجمه من اسماء قرى كانت في وادي موسى وموآب والبلقاء قال : (بموتة) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تنسب المشرفية من السيوف قال ابن السكيت في تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خطة لهاخطه فيها المهام الممثل

ابن الله للشم الانوف كأ : هم صوارم يحلوها بموتة صيقل

قال المهلب مآب واذرح مدينتا الشراة على اثني عشر ميلا من اذرح ضيعة تعرف بموتة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشا في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان اُصيب زيد فجعفر بن ابي طالب الامير وان اُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فساروا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها موتة فالتقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحثون عليهم التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله فقاتل النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار لكنهم انكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بموتة منهم ذوا الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة تواصوا واسباب المنية تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال في (ابني) « بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حنلي » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالسير الى الشام وشهر القارة على ابني وفي كتاب نصر ابني قرية بموثة

وقال: (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) واقل لان الواقف في هذه ينظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان باللقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال: (زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطورها الحاج ويقام بها لم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذو الرمة

تحمدر عن زيزائه القف وارتقى

عن الرمل وانتادت اليه الموارد

وقال مليح

تذكرت ليلى يوم اصبحت قافلا

بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف

غداة ترد الدمع عين مريضة

بليلي وتارات تفيض وتذرف

ومن دون ذكرها التي مطرت لنا

بشرقي عمان الشرى والمعرف

واعملت من طود الحجاز نجوده

الى الغور ما اجتاز الفقير ولقلف

وقال: (السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارها فيما احسب

وقال: (شتار) نقب شتار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معبئة يشرف عليها

جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال: (صرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون

وقال: (الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت:

لمن الدار افقرت بمعار

بين شاطي اليرموك فالصمان

فالقريات من بلاس فدا

ريافسكاه فالقصور الدواني

وقال: (عاهال) جبل بالشام مشرف على البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال: (طفيل) تصغير طفل واذي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لها طفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام ففتح

في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جدية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير
واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف . اي مدوف .
وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام
منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمدان ابو يعقوب الصهبي الحبالي والحافظ
ابو القاسم .
وقال : (الرتبة) بلفظ واحدة الرباب عين الربة قرية في طرف الغور بين ارض
الأردن والبلقاء .

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عني ابو دؤاد الايازي حيث قال :
ككتابة الزغري زب منها من الذهب الدلامص
قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام تزات بهذه القرية فسميت باسمها وقال
حاتم الطائي

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر
بلاد امرى لا يعرف الدم بيشه له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر
وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من
اعمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية رد الى واحدة ثم نسب اليه . وفي مغازي
ابن اسحاق في حديث مودة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع
هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف .
وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عني اهل اللغة منهم
الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان
المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهرى : وميم ميم مفعول وهي مدينة في طرف
بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً
الى مودة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فساروا حتى بلغوا
معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجمع من الجيوش
وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبدالله بن رواحة وقال انما هي
الشهادة او الظعن ثم قال

جلبتا الخليل من أجاء وفرع تغر من الخيش لها العكوم
حذونا هم من الصوان سبتا ازل كآف صفحته آدم

اقامت ليلتين من معان
فرحنا والجياذ مسومات
فلا وابي مآب لانيتها
فبأنا اعنتها فجاءت
بذي لب كأن البيض فيها
اذا برزت قوائسها النجوم

وروى ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز
باعمرو قارب بينها تقرب
وارفع لها صوت قوي صلب
الا ترى ما حال دون المقرب
واعص عليها بالقطيع اتضب
من نعت فلا فدياب المعتب

قال — فلا — من دون الشام والمعتب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور
الشام ودباب ثنايا يأخذها الطريق

وقال: (تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقاء من ارض دمشق سكنها
شاعر يقال له خالد بن عباد ويعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم
وقال: (التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي
ارض بين ايلة ومصر وبحر القلزم وجبال الشراة من ارض الشام يقال انها اربعون
فرسخا في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ واباه اراد المتنبئ بقوله
صربت بها التيه ضرب القما راما لهذا واما لهذا

وقال: (الحجيمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان
منزل بني العباس

وقال: (نقس) بكسر الراء وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض
الشام كانت لابي سفيان بن حرب ابام كان يقرب الى الشام ثم كانت لولده بعده
وقال: (التقيب) بالضم وهو قصير ثقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين
تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال: (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبال حوران ما بين
يرفع وقرقر

وقال: (الوعيرة) كأنه تصغير الوعة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى
هذا ما تيسر تلقفه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شي يعرف الآن

فيا نحبب الا قرية اوقري بنان مثل عمان ومعاذا ذلك فقد دثر واصبح خراباً يباباً
تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد على عهد الصليبيين وكانت
اشهر حصونها الكرك والشوبك فقد اخذ بغوردين^(١) من ملوك الصليبيين الشوبك
وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين والشوبك هي في رواية
مسيقية وقال القرمانى^(٢) : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام
غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت
قلعتها عينان وقلعتها على تل مرتفع مطل على الغور .

واستولى الصليبيون على الكرك وحصنها الملك فولوك تحميها شديداً حتى كان
صاحبها البرنس ارناط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد
الصليبيين عدواً للمسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان
هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فقط بيده اسيراً يوم وقعة حطين بالقرب من
طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على
الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكانت صهره سعد الدين
كشيه بالكرك موكلاً بحصاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فامتنع ثم صلحهم
وسلموا الحصن . ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة
مملكة يعرف صاحبها ملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده
الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقريباً بين مصر ودمشق
وكانت اذ ذاك حكومتها واحدة هيأ لها ذلك

قال الترماني : كرك بليدة مشهورة وبها حصن عال على قمة جبل يقال انه كان دير
الروم وجعله المسلمون حصناً فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفيه اسفله وادفيه حمام
وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطاناً ارسالوه
الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها
الصليبيون وحرص صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) خطط المقرئ (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثار الأول وهو مما كتب

في القرن الحادي عشر

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام على يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٦٢ هـ .

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها على امتلاكها كفاحا واي كفاح يبعث فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية تعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك . والرقيم هو كما قال ياقوت ايضا بقرب البلقاء من اطراف الشام عنه كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك نهوي	على البخت الصلحاء والجوهر
اذا اتخذت وجوه القوم نصبا	اجيح الواشحات من السموه
فكم غادرن دونك من جهيض	ومن نعل مطرحة جذم
يزرت على ثنائه يزيداً	باكتاف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود اذا اتوه	بنصر الله والملك العظيم

والموقر حصن باللقاء قال فيه ياقوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قریش لفرزدق خزبة	وتلك الوفود النادبون الموقرا
عشية لاقى القين مجاشع	هزيراً اباشبلين في الفيل قسوراً

وقال كثير :

سقى الله حياء بالموقر دارهم الى قسطل اللقاء ذات المحارب
وقد نشأ من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذ قلت انني	احب من اهل الشام اهل الموقر
بهايل ثم عصمة الناس كلهم	اذا الناس جالوا جولة التخيير

وقال كثير غزوة

اقول اذ الحبان كعب وعامر
جزى الله حيا بالموقر نضرة
بكل حيث الويل زهر غمامه
له درر بالقسطلين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا
سيفي بحر ابلة (وهي مدينة على ساحل بحر القلزم او الاحمر مما يلي الشام) وساروا في
البحر فرقتين فرقة اقامت على حصن ابلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ^(١) يفسدون
في السواحل وبنفون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعبدوا بهذا البحر فرجاً قط فعمر
الملك العادل ابو بكر ابن ايوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب
لؤلؤ وهو متولي الاسطول بديار مصر فواقع بالذين يحاصرون ابلة فقتلهم وامرهم ثم
سار في طاب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة
وسار لؤلؤ بقفوا اثرهم فبلغ رايغ فادركهم بساحل الحورا وقاتلوا اشد قتال فظفر بهم
وقتل اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى من ليخروا بها وعاد بالباقيين الى
مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للزفرة وكتب الى مصر
فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ريش ^(٢) الكرك
وبقيت القلعة وليس بينها وبين الريش غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين
طمه فلم يقدر لكثرة المقاومة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فتصدوه فلم يمكن السلطان
الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم
وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فرحل عنه .

وبعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما صار الى البلاد الشمالية قد جعل
على الكرك وغيرها من يحصرها وخلي اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك
فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلحها
فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد .

(١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذال . معجمة وآخره باء موحدة . بليدة على ضفة
بحر القلزم هي مرسي المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « ياقوت »

(٢) الريش فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والريش محوله من خارج . الاول
مضموم والثاني بالتحريك

قال ياتوت في الشوبك انها قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وابلة والقلم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التوخي في تاريخه ان يقدر الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ريعة من طي وهي باق والشرأة والبثاء والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الام بطريق البرية مع العرب بعارة هذا الحصن . وبعد وفاة صلاح الدين ظلت الكرك والشوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ايوب

تقدم ان حصن الشوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاتحون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك مارواه ابو الفدا^(١) في حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه فصار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الشوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابن بكر ابن ايوب احتفالاً عظيماً بالضيافات والافامات والتقدام وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل بالبحون قرب الكرك وفي منزلة الحجاج . وفي سنة ٦٣٣ فترت العلاقات بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر فصار الاول الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصح الخليفة بينهما وعاد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي في دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهمز الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله ولذات هذا وقائع مع أسرته وغيرهم ولكن بني ايوب ومن بعدهم على تنافسهم في الملك كانوا بدياً واحدة على اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير نجر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا على تاريخه في وصف ما انتاب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضمف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق بيده غير الكرك وحدها .

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية على الكرك وفي السنة التالية ملك القلعتين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقاله الملك المعظم تورانشاه في الشوبك فلما قتل هذا بادر النائب عليهما وهو بدر الدين الصوابي الصالحى فافرج عن الملك المغيث وملكه الحنطين وفي سنة ٦٥٦ انضمت الجورية الى المغيث صاحب الكرك والتزم مع عسكر مصر في غزة فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوار حبل ونهبت اثقاله وداهليزه . وفي سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته الجورية واقامرا على بركة زيزاء (التي يحرقها العامة بجيزة اليوم) ما يزيد على شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك قتله الملك الظاهر يبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة على مكاتبات من التمر الى الملك المغيث في اطماعهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر ابن الملك الظاهر يبرس صاحب الكرك . وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال الدين اقوش الاشرقي فعمل سائلاً واحتفل به وعبر الى ابطان الى المدينة ثم الى القلعة ولما عبر السلطان على الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والماليك حول فرسه وخلفه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت بد فرس السلطان وهو راكبه داخل عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر امرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين بين يديه وسقط من ماليك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل الكرك ولم يهلك من الماليك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت السلطان عند الباب واحضر الجنوبيات والجبالب ورفع الدين وقبوا عن آخرهم وامر بمداوتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى الخندق يقارب خمسين ذراعاً .

ولما تولى الملك الناصر^(١) احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في طموه ولعب فانكروا عليه امرراً لالتليق بالسلطنة فانفق اهل الشام على خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بشجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا على معاملتي صيداء وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خاقاً كثيراً وقد نصبوا على القلعة سيفاً اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقانون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً .

وكان يحكي عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكله على زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت فصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل على قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كمه من سعة الى كتفه حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون وراؤه سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان .

ومن جودنا نرعي العداة باسهم من الذهب الابرز صيغت نصولها
يداوي بها المروح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلاها
وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيه المأمون صنع نصول الشباب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعمهم قد رعي رعاه التردكان والعربان وكان اكثر دوابهم قد نهبت وانقطع عنهم الجلب وحلهم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمائة واخذ سلطانها وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام على حصارها زهاء سنتين
وبعد فليس في التاريخ الحديث ولا سيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

البلاد شيء ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك أنهم ما كان من انتقاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يرض الاقليل حتى تمرد السكان وقاموا فذبخوا الحامية والموظفين عن بكرة ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آية الى مصر فظلموها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفلحوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصبحت بادية بعد هذه الواقعة لغلبة الجبل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في افضية اللواء الاربعة فانه يشاهد خرباً ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الحرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاذرة وآخر ملك للحكومة وبدو الكرك كثيرون فمنهم في قضاء الصلت الذبجة^(١) والايديات وابي نعيم والشوايكة والازايدة والابووندي والعجاردة والمطيريون والحرافيش وارسافة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناسير والفقهاء والزبودة والزبادات والجروم والمشاخلة والفاغور والربيع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزين والهيكش والحفير والقبعين والفايز ومجموع يوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الوالا ووادي الثمد وجنوباً ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفا وهو اعمر افضية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفا من النفوس وهذه^(٢) اسماء عشائرم : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعيدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالة والوهيبات والهلالات وعشيرة المتاعين وهي رحالة تقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من نجد وتنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفا من السكان الحضر .

وفي قضاء معان عشائر وانخاد واهمها الحويطات ومنها الدمانية وابوتاية والمطالقة ومنها

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خيرى القباني

البدول والثوبك والنعيمات والديابات والعامرة والمراعية والدروشة والعطون والزوايدة والطقاظة والمارين والرشادة والسعيدين والراحفة . وفي قضاء معان ايضاً ينزل بنوعطية وهم يقسمون سبعة اقسام منهم المزايدة والخضرة والشبوث والهرامسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

اما عشائر قضاء الكرك ^(١) فكثيرة وهي اغوات . اللصاية . بنو حميدة . يلبضة . جلامدة . حباشنة . خرشة . خنزيرة . ونيبات . كفاوين . ضمور . حجابا . سليط . شتابلة . صرايرة . صعوب . طراونة . العمرو . عراق . عكشة . حجازين . غور الصافي . غور المزرة . نقرا . قطاونة . قضاة . كثرربة . معايطه . مجالي . مبيضين . مصاروة . مدانات . بقاعين . نوايسة . نعيمات . هلسة

هذه فرق عشائر الكرك واهمها واكثرها عدداً بنو حميدة . سليط . حجابا حباشنة ضمور . صرايرة . طراونة . كثرربة . معايطه . ونقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو بريز وابن طريف وابو ريحة . وينقسم ابو بريز الى فرقتين وهما الفواخلة والتوايبة . وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ . وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف . رواحلة . الحيصه الضرابعة . الخخامة . ثبور وحمادين . بصيرة وتنقسم عشيرة ابي ريحة الى اربع فرق . هي الشروانة وحواتمة . هواوشة . اللوانسي . قواسمة . وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات . وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجعافرة . وتتألف الضمور من محمود وسحبات والطراونة من عيال جبرين وعيال جبران . ومجاعة وعيال عودة .

اما كثرربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والرماضنة ويتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ومهابة ومخاترة . ويتألف الرماضنة من الرواشدة والخثاننة وشواورة وكسابنة ومطارنة وجوازنة . وتتألف عشيرة المعايطه من فرقة ساهر ويوسف . ويتألف النعيمات من العبادلة والجعافرة والاحامدة ويتألف الحجابا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجابا لا يزرعون ولا يفلحون بل هم بادية . والعشائر التي لها شأن عند الحكومة هي . المجالي . طراونة . ضمور . معايطه .

صرايرة • مدافات • هلسة • اما العشائر التي لها نفوذ على العشائر نفسها فهي الجبالي • سايط • حجابا • طراونة • بنو حميدة

هذه اسماء العشائر وفرقها ومكانتها اما ما كن نزولها فان فرئ ابي رييحة • ابي بريز • شخامة • الخيصة • الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكهانة والفقرا كلهم ينزلون تحت الخيام في ناحية ديبان من اعمال مركز اللواء • وحدود ديبان هذه من القبلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرضها ربع ساعات وطولها سبع ساعات • ولا تجد شرقي ام الرصاص ارضاً تزرع ومركز ناحية ديبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة ساعة عن مركز اللواء •

اليك على الجملة اسماء العشائر المزارعة وهي معدودة بادية رسالة في هذا اللواء والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشراً مقطوعاً وخراجاً مقطوعاً وودياً (تعداد الجمال وتعداد الغنم) مقطوعاً اي انها تفرض على كل حمولة او عشيرة قدرأ من المال وتطالب به من وجدته منهم فيكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهتهم مشايخهم وعمال الحكومة وهؤلاء يشتدون في الاكثر في اعتات من يظفرون به او يجتازون منزله وقد يأخذونه بحريرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض سني المحل او تعرض آخر فلا يلبث عيال الدولة ان يستوفوا من ابناء تلك القبيلة ما هو في ذمة البارين وكثيراً ما تناقضت الحكومة من واحد ما يفرض على خمسة من عشيرته • مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع عشرة سنة فلم تمض بضعة سنين حتى اصبحوا افقر الفقراء بتلك الفائدة السخيفة في الادارة وتفرقوا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغرة او ارغل في البادية الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعمل لعمران اللواء عملاً من شأنه رفع الحيف وكشف الظلمات لتعمر البلاد بل على العكس اتت ماخرت به عمرانها وابدعت مسكنها فيدلاً من ان ترسل لهم وعائلاً يعلمونهم بلغتهم بعثت اليهم في الدور البائدة تسعة من الاتراك تحت اسم وعاظ لا يعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتجسس وبث المفاصد وبهذا تأصلت النفرة في قلوب القوم بدلاً من تأليف شاردهم وساعد على ذلك في الاكثر انشطاط

طبقة أكثر الموظفين الذين يعينون في أمور الإدارة وبذلك زاد الاهلون مراناً على الاحتمال تخلصاً برغمهم من فساد الحال وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم اكثر من حكومتهم التي تريد الخير لهم على الجبل وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجياد من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خصتها به الفطرة من المواهب وتقلب تلك الظلام السرداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولا واء .

كاد اولئك البادية يضعون ثقتهم بالحكومة يوم تولى امره اداري بقم نصاب العدل ويرفع عن عائقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جر على الامر على عكس ذلك فانذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة . ولو احسن مشرفهم اذ ذاك التصرف وصحت عزيمة الحكومة على ازال العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ما حدث فخرب العامر والغامر وتشرر الحاكم والمحكوم عليه .

فان يوماً في فتنه يخرب ما لا يعمر في سنين . وعدل مائة يجي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها . فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً . كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تحيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسبحان من يشقي ويسعد ويغي ويفقر



رثاء تولستوي

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها
 وشعب ضعيف الركن زال نصيره
 وبندب فلاحون انت منارهم
 يعانون في الاكواخ ظلمًا وظلمة
 تطوف كيمسى بالحنان وبالرضى
 ويأسى عليك الدين اذ لك لبه
 أبكفر بالانجيل من تلك كتبه
 وتبكيك إلف فوق (ليلي) اندامة
 تناول ناعمك البلاد كأنه
 وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائمًا
 وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه

اذا أنت جاورت (المري) في الثرى
 او اقبل جمع الخالدين عليكما
 جاحم تحت الارض عطر نهاذى
 بين تباهي بطن (حواء) واحتوى
 فقل يا حكم الدهر حدث عن البلى
 أبحت من الموتى قديما وحادثا
 طوانا الذي يطوي السموات في غد
 نقادم عهدانا على الموت واستوى
 كأن لم تضق بالامس عني كنيسة
 ارى راحة بين الجنادل والحصى
 نظرنا بنور الموت كل حقيقة
 اليك اعترافى لا لقس وكاهن
 فزهدك لم ينكره في الارض عارف

وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
 وغالى بمقدار النظر نظير
 جناهن مسك فوقها وعبير
 عليهن بطن الارض فهو نخور
 فانت عليم بالامور خبير
 بما لم يحصل منكرو ونكير
 وينشر بعد الطي وهو قد ير
 طويل زمان في البلى وقصير
 ولم يؤوفني دير هناك طهور
 وكل فراش قد اراح وتير
 وكنا كلانا في الحياة ضرير
 ونجواي بعد الله وهو غفور
 ولا متعال في السماء كبير

بیان یشم الوحي من تفحاته وعلم کعلم الانبياء غزير
 صلکت سبيل المترفين ولذني بنون ومال والحياة غرور
 اداة شتائي الدفء في ظل شاهق وعدة صبي جنة وغدير
 ومنعت بالدينيا ثمانين حجة ونصر ايلامي غنى وحيور
 وذكر كضوء الشمس في كل بلدة ولا حظاً مثل الشمس حين تسير
 فمراعي الا عذارى اجرني ورب ضعيف تحمي فيجير
 أردت جوار الله والعمر منقض وجاورته في العمر وهو نصير
 صبا ونعيم بين اهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك ندور
 بهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تخشي الخطيئة حور
 اوانس في داج من النير موحش والله انس في القلوب ونور
 واشبه طهر في النساء بمریم فتاة على نهج المسيح تسير

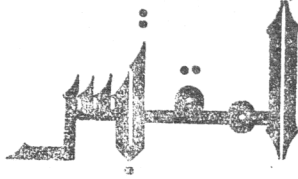
تسائي هل غير الناس ما بهم وهل حدث غير الامور امور
 وهل أثر الاحسان ولرفق عالم دواعي الازم والشرفيه كثير
 وهل سلكوا سبيل الحجة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
 وهل ان من اهل الكتاب تسامح خلیق بأداب الكتاب جدیر
 وهل عاجل الاحياء بؤساً وشقوة وقل فساد بينهم وشورور
 قم انظر وانت المالمالي الارض حكمة أأجدك نظم أم افاد نثر
 اناس كما تدري في دنيا بجالها ودهر رخي تارة وعسير
 واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها اول واخير
 تمر تباعا في الحياة كأنها ملاعب لا ترخي لمن ستور
 وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وافك في الحياة وزور
 وقام مقام الفرد في كل امة على الحكم جم يستبد غفير
 وحور قول الناس مولى وعبد الى قولم مستأجر واجير
 واضحى نفاذ المال لامر في الوری ولا نهی الا مايرى ويشیر
 تناس حكومات به وممالك وبذعن اقبال له وصدور

وعصر بنوه في السلاح وحرصه
ومن عجب في ظلها وهو وارف
ويأخذ من قوت الفقير وكعبه
ولما استقل البر والبحر مذهبا
علي السلم يجره ذكرها وبدير
يصادف شعبا أمنا فيغير
ويؤوي جيوشا كالخصى ويمير
تعلق اسباب السماء يطير
احمد شوقي

رثاك امير الشعر في الشرق وانبرى
ولست ابالي حين ارثيك بعده
فقد كنت عوناً للضعيف وانني
ولست ابالي حين ابكيك للورى
فاني احب التائبين اعلمهم
دعوت الى عيسى فضجت كنائس
وقال اناس انه قول ملحد
ولولا حطام رد عنك كباد
ولكن حماك النمل والرأي والحجب
اذا زرت رهن اعلمين ^١بجفرة
وابصرت انس الزهد في وحشة البلى
وايقنت ان الدين لله وحده
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا
وسائله عما غاب عنك فانه
يخبرك الا عني وان كنت مبصراً
كأنني بسمع الغيب اسمع كل ما
يناديك اهلاً بالذي عاش عيشنا
قضيت حياة ملؤها النبر والثقي
وسموك فيهم فيلسوفاً وامسكوا
وما انت الا زاهد صاح صيحة
لمدحك من كتاب مصر كبير
اذا قيل عني قد رثاه صغير
ضعيف ومالي في الحياة نصير
حوثك جنات او حواك سمير
واعشق روض الفكر وهو نصير
وهز لها عرش وماد مرير
وقال اناس انه لبشير
لضقت به ذرعاً وساء مصير
ومال اذا جد النزال وفير
بها الزهد ثاو والدكاه مشير
وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وان قبور الزاهدين قصور
مهيب علي رغم الفناء وقور
علم بامرار الحياة بصير
بما لم تخبر احرف وسطور
يجيب به استاذنا ويحير
ومات ولم يدرج اليه غرور
فانت بأجر المتقين جدير
وما انت الا محسن ومجير
يرن صداها ساعة ويطير

سلوت عن الدنيا ولصكهم صوا
 حياة الورى حرب وانت تريدھا
 ابت سنة العمران الاتناجر
 تحارب رفع الشر والشر واقع
 ولولا امتزاج الشر بالخير لم يتم
 ولم يبعث الله التبيين للهدى
 ولم يعشق العلياء حر ولم يسد
 ولو كان فينا الخير محضاً لمادنا
 ولا قيل هذا فيلسوف موثق
 فكيف طريق الشر خير ونعمة
 الم تراني فت قبلك داعياً
 اطاعوا ايديكم وسقراط قبله
 وموت وما مانت مطاعم طامع
 اذا هدمت للظلم دور تشيدت
 افاض كلانا في النصيحة باهدأ
 فكيف قيل عن كهف المساكين باطل
 وما صدعن فعل الاذى قول. رسل
 اليها بما تعطيهم وتمير
 سلام واسباب الكفاح كثير
 وكذلك ولو ان البقاء يسير
 وتقلب محض الخير وهو عسير
 دليل على ان الاله قدير
 ولم ينطلع للسريير امير
 كريم ولم يرجو الثراء فقير
 الى الله داع ان تبليج نور
 ولا قيل هذا عالم وخبير
 وكم في طريق الطيبات شرور
 الى الزهد لا يا وى الى ظهير
 وخولفت فيما ارثني واشير
 عليها ولا التي القياد ضمير
 له فوق اكناف الكواكب دور
 ومات كلانا وانقلب صحور
 وكم قيل عن شيخ المعرة زور
 ولا راع مفتون الحياة نذير
 حافظ ابراهيم





الكواكب السائرة

من المخطوطات في التراجم التي تنصل بطبعها سلسلة تواريخ القرون كتاب الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي ومنه نسخة جيدة في الخزانة الناصرية بدمشق دخلت في ثلاثة اجزاء وبلغ عدد اوراقها ١٦٤ بالقطع الكامل وفي آخرها جزء رابع جعله المؤلف ذيلًا على كتابه هذا وهو خمسون ورقة قال فيه انه الفه لتمام سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وهي السنة التي جاءت بكل عجب قال وسميته لطيف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . وقد كتب الاصل والفرع سنة اثنتين وستين ومئة والـ ف قال المؤلف بعد مقدمة طويلة : واني طالما كنت اذشوق الى تأليف كتاب يجمع تراجم المشاهير من اهل المئة العاشرة من العلماء الانجاب فلم اجد من تعرض لهذا المعنى او دخل في هذا الباب غير ان الشيخ احمد بن النحوي شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ألف كتابًا جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واولائل المئة العاشرة سماها بالتمتع بالاقران ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدلت بالصباغة على العباب ووقفت له ايضا على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان وسماه بمفاكهة الاخوان واوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعائة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيت ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم من عهده ثم وقفت بعد على الجزء الاول منه فرأيت به ابتداءً فيه من اول سنة ثمانين وثمانائة وهي سنة ميلاده وانتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعائة وكت قد وقفت قبل ذلك على

قطعة من تاريخ كتاب الحافظ العلامة بدر الدين العلاء الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمائة الى اواخر سنة اربع وثلاثين ثم وقفت عليّ تعليقة بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه ابو الندى شرف الدين يونس العياشي الشافعي رحمه الله تعالى على فيها وفيات شيوخه وبعض اقرانه وترجم اكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم ما يليق بمقامه ومكانه ثم وقفت عليّ قطعة سالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين احمد الحمصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فساذا هو تاريخ عجيب غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتعريب فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم ما يغلو في السوم ويحسن له الانتخاب وتحريت فيه بقدر الطاقه والامكان وجه الحق والصواب وسدكت بين طريقي الايجاز والانتساب لانه اقرب لتساؤل المتقصدين وانفع لمن يريد الكشف من احوال المترجمين معتمداً فيما نقله على خطوط هؤلاء المشايخ او على خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ وقدم في الفضل راسخ او على ما تلقيته من افواه المعثرين واخذته عن الفضلاء البارعين مما يدخل في تراجم الاعيان او تاريخ مواليدهم او وفياتهم بحسب الامكان من اهل القرن المذكور من العلماء الاعلام بدمشق المحروسة وحلب وغيرها وبلاد الشام ومن علماء القاشرة والخرمين الشريفيين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام وعممت الى ذلك نبذة من تراجم اعيان الفتح العثماني ووفيات اعيان الملك السلطاني ممن اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان منتخباً لذلك من الشقائق النعمانية ومن رحلة والذي المسماة بالمطالع البدرية ومن غيرهما ما بلغني وتحققته وتلقيته عن الثقات وتلقته واضفت الى ذلك ايضاً من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ليتم نظم الكتاب في فلان عقيانه وسلوكه معتمداً في هذا النوع على كتاب الاعلام بما في مكة من الاعلام للشيخ العلامة المبرز عن الاقران القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان وعلى غيره ايضاً مما تيسر لنا الاطلاع على في هذا الشأن ثم اتيت وقفت بعد ذلك على تاريخ العلامة زيني الدين ابن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الخب في تاريخ اعيان حلب وهو كتاب في مجلد ضم شخبين مشتمل على الفتن والسمين والتافه والثنين وربما فيه بعض التراجم بما لا تعلق له بالمرام وليس له بغير التاريخ البناء وربما اكمل الاسماء لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش او تاجر او من او مطير وعاشق او معار او غيرهم من العوام فانفخت منه تراجم بعض اعيان كتابه وضممتها الى كتابي واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتى به وليس في بابه

حسبما قضى به تمييزي وانتخابي لاني وضعت هذا الكتاب على اسلوب اهل الحديث والانفاق ولم رسمه كيف اتفق ولا على اي وضع كان ثم وقفت على تاريخ مختصر للامام المحدث المسند المعتبر ابي المفاخر عبدالقادر المحيوي ابن النعمي الشافعي سماه بالعنوان في ضبط مواليده ووفيات اهل الزمان وقد ذيل عليه ولده العلامة المحيوي محي الدين فانتهيت منه مالاغنى لكتابنا عنه ثم وقفت على طبقات الاولياء الكبرى والوسطى وكلاهما للشيخ القدوة الشعرافي عبد الوهاب فانتهيت منه مادخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجاف مع ذكرهم ذكرهم الشيخ العلامة الولي المحدث شرف الدين الكماوي من الصالحين من يدخل في شروط كتابنا من تراجم المتعينين في شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الاولياء والعارفين ومع ذكر تراجم اعيان من اخذ عن شيخ الاسلام الوالد من العلماء والصالحين والبارعين من يدخل في شرط الكتاب ايضا ملخصا لذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من الملته والملازمين فكان كتابا جامعا لزيد هذه الامهات ملخصا لما تصد جامعيها من العلماء الاثبات وكل ذلك مع توفير القرائن وتهئية الاسباب وتيسر الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب وسميته «بالكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة» وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين على ترتيب حروف المعجم الواقعة في اوائل اسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين الطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة اربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين الطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة سبع وستين الى نهاية سنة الف ا هـ .

وترجم صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المؤلف الغزي في ست ورفات ويؤخذ منها انه ولد سنة ٩٧٧ وانشأ على شيء من الطب وله مؤلفات منها هذا التاريخ ومنها شرحه على الفية التصوف لجده وله كتاب في ترجمة والده . وله كتاب التنبية في التشبيه قال فيه المحبي انه كتاب بديع في سبع مجلدات لم يسبق الى تأليفه وهو ان يذكر ما ينبغي للانسان ما يتشبه به من افعال الانبياء والملائكة والحيوانات المحموده وما يتشبه من اجتناب ما يلزم فعله . وقال انه خاتمة حفاظ الشام وكانت وفاته سنة ١٠٦١ عن ثلاث وثلاثين سنة وعشرة اشهر وانتفع به اناس كثيرون وتلقوا العلم عنه

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام
ولذلك تراه علي فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يخلط الجيد بالردى او يشوب الجيد
الكثير بهنات لافلتحي بمن كان مثله ولكن هو المحيط بعمل في عقل المرء مالا بعمله
كل تعليم وارثاد .

خذ مثلاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لاناك تستحي ان تعدد من العامة لان
العامة ارق منهم حقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكاتب في تراجم اعيان قرن ان
يدس فيهم جملتهم اناك لافلتحي لم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات
وعبثوا بعقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة . قل لنا بايك اي داع للمؤلف ان
يترجم ناساً من البله السفهاء ارباب الجذب مثل ابراهيم الجذب وعبد الله الكردي
الجذب وشعبان الجذب وحمد الجذب وعمر العقيقي الجذب والي بكر بن الجنون
ومروان الجذب وذوي النون الكمال في الجذب واحمد ابوطانية وفرج المصري الجذب
وخميس الجذب وسويد ابن الجذب وسويد الجذب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين
الذين هم احرى بان يجمعوا في دور المعتوهين من ان يمشروا في عداد العلماء العاملين
امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي والسيدة
عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا منار الامة في ذلك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لا يرضيان بان يذكر اسمهما مع
اسماء اولئك الذين قضى عليهم باختلال تراكيب ادمعتهم وقضى على الامة بصنع
علمائها ان يقدسهم ويباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله والخلل بما هو
اشد منه عاراً .

مانظن عاقلاً يرضى بان يعد في الاولياء سويد الجذب وهو باقرار المؤلف يتناول
الحشيش فيغيب ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخ المؤلف يقول
للتاخرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السفهاء

وتلى ذلك فالكاتب ليس من الكتب المتقحة لان المؤلف لم يشغل بل يعلم التاريخ
اشتغاله مثلاً بلعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه . وماذا
تفيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القايوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل
الوالد ! ندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان دليماً بلعن وكان
احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية .

ان نفس القاريء تثلج اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكان بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو على جانب من العلم فماذا يضر مؤلفنا لو كان انقصر على التعريف بمثله وبغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الانكبيد حجم الكتاب وتوليته بتلك الهبات ربما لا يقع كلاءنا هذا الموقع المقبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقنعه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيختلط صالحهم بطالحهم وعاقلمهم بجهلونهم بل لا يرضى الا ان يقدّر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امرئ ما يحسنه .

ان القول بخرق العادة وتعدي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدل فيه وعلما الاسلام انفسهم على اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم مججماً ومنهم من أثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هذه المواطن . اما اكرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لهم وهم لا يدعونها على الاغلب على نحر مانسبوا امورا للجحيلي والرفاعي وغيرها من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لا ينقل اخبارها الا من يحملون بها في منامهم وبقتظهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم على ما يجب اموراً لم تأتوا بها ولا قولوا افهام احرياء ان يلبسوا مع ضعف المدارك على بعض الصالحين كرامات لم تخطر لهم في بال وهاك الآن مقالته شيخ الاسلام ابن تيمية ^(١) في هذا المعنى فهو اصرح ما قرأناه وعساه يقف عنده المعتقدون ولا يفوتهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وزكن معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما تفاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنوناً بل كان مثولاً من غير جنون او كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق اخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم . وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكسة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجليد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له

ان يتكلم في علمنا اوقال لا يقتدى به وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلنا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كتابه القديم « وان تطيعوه تهتدوا » .

وقال : تجد كثيراً من هؤلاء عمدهم في اعتقاد كونه ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور او بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل ان يشير الى شخص فيموت او يطير في الهواء الى مكة او غيرها او يمشي على الماء احياناً او يملاً ابريقاً من الهواء او ينفق بعض الاوقات من الغيب او ان يخفي احياناً عن اعين الناس او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب او ميت فراه قد جاءه ففضى حاجته او يخبر الناس بما سرق لم اوجال غائب لم امرض او نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يدل على ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء او مشى على الماء لم يعتبر به حتى ينظر متابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقتهم لامره ونهيه وكرامات اولياء الله تعالى اعظم من هذه الامور الخارقة للعادة وان كل قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين واهل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الامور انه ولي لله بل يعتبر اولياء الله بصفاتهم وانعالم واحواهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبجقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة مثال ذلك ان هذه المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص ويكون احدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للنجاسات معاشرراً للكلاب يأوي الى الخمامات والقمامات والمقابر والمزابيل رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف الخ

وبعد هذا ننقل للقاري نموذجاً من ترجمة المؤلف لرجل جليل في عصره وهو علي بن ميمون دفين بمجدل دعوش من اعمال شوف لبنات نورده بدون تذييل عليه يستنتج القاري ان نفسه ان تلك الكرامات التي ينسبها المؤلف للمترحم به لم يقل هوها بل ادعاها له احبابه ومريدوه ومعظمهم قد يكونون مأخوذون بحجة لا يظنون الى الواقع الا من وجه واحد قال المؤلف مانصه :

علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسمعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن ميمون بن سليمان بن يحيى بن نصر يوسف بن عبد الحميد بن

بالتزواز روق (?) بن وسكرن بن عربه بن هلال بن محمد بن ادريس بن عبد الله
ابن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم كذا باقي النسب في
ترجمته لابن طولون الشيخ المرشد المربي القدوة الحجة ولي الله تعالى العارف به السيد
الشريف الحبيب النسيب ابو الحسن ابن ميمون الهاشمي القرشي المغربي الفاري القاسمي
اصله كما قال ابن طولون من جبل غارا بالغين المعجمة من معاملة فاس . وقال الشيخ
موسى الكناوي اصله من غمارة وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرس ثم تولى
النضاه ثم ترك ذلك ولازم الغزوة على السواحل وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضا
وصحب مشايخ الصوفية ومنهم الشيخ عرفة القيرواني فارسل الشيخ عرفة الى ابي العباس
احمد التوزي الدباسي ويقال التباسي بالناء ومن عنده توجه الى المشرق قال الشيخ موسى
فدخل بيروت في اول القرن العاشر وكان اجتمع سيدي محمد بن عراق به اولاً هناك
ولما دخل بيروت مكث ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فانفق ابن عمران كان هناك واطى
بطعام فقال لبعض جماعته ادع لي ذلك الفقير فقام السيد علي بن ميمون واكل وقال
ابن عراق لاصحابه قوموا بنا نزور الامام الاوزاعي فصحبهم ابن ميمون لزيارته ففي اثناء
الطريق لعب ابن عراق على جواده كعادة الفرسان فعاب عليه السيد علي بن ميمون
فقال له اتجمن لعب الخيل اكثر مني قال نعم فنزل ابن عراق عن فرسه فتقدم اليها
سيدي علي فخل الخزام وشده كما يعرف وركب وعب على الجواد فعرفوا مقداره في
ذلك ثم انفتح الامر بينهما الى ان اشهر الله تعالى الشيخ علي بن ميمون وصار من
امره ما صار .

قال الشيخ موسى كذا اخبرني علي الغرياني المغربي عن شيخه علي الكيزواني عن
سيدي محمد بن عراق وقال في الشقائق انه دخل القاهرة وحج منها ثم دخل البلاد
الشامية وربى كثيراً من الناس ثم توطن بمدينة بروسا ثم رجع الى البلاد الشامية وتوفي
بها قال وكان لا يخالف السنة حتى نقل عنه انه قال : لو اتاني السلطان ابو يزيد بن عثمان
لا اعامله الا بالسنة . وكان لا يقوم للزائر ان لا يقوموا واذا جاءه احد من اهل العلم
يفرش له جلدة شاة تمطيماً له وكان قوالاً بالحق لا يخاف في الله تعالى لومة لائم وكان
له غضب شديد اذا رأى في المريدین منكراً يضرهم بالعصا قل وكان لا يقبل وظيفة
ولا هدايا الامراء والسلاطين وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفساً من المريدین
وله احوال كثيرة ومناقب عظيمة انتهى

وكان من طريقته ما حكاه عنه سيدي محمد بن عراق في كتاب السفينة انه لا يرى لبس الخرقه ولا الباسها وذكر الشيخ علوان رضي الله تعالى عنه انه كان لا يرى الخلوة ولا يقول بها وكان اذا بلغه ان احدا سبها او ذمه ونسبه الى جهل او فسق او بدعة يتأول ما يتأول عنه وكان يقال عنه كنانز وكيماي ومطالي فيقول : نعم انا كنانز وعندي كنز عظيم ولكن لا يطلبونه ولا يسألوني عنه ، وانا كيماي ولكن لا يطلبون ما عندي من الكيمياء وانا مطالي وعند مطلب نفسي مزهود فيه ويشير الى كنز العلم ومطلب المعرفة وكيمياء الحقيقة وكان كثيراً ما يقول جواب الزفوت السكوت .

ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً . وكان يقول الشيطان لا وحي وفيض فلا تغفروا بما يجري بنفوسكم وعلى السنتكم من الكلام في النوحيد والحقائق حتى تشهدوا من قلوبكم . وكان اذا اتاه متظلم من الحكماء يقول : له اصلح حالك مع الله فمن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين خلقه وكانت بنهي اصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكماء ويقول ما رأيت لهم مثلاً الا الفار والحيات فان كلا منهما مفسد في الارض فالحيات مسلطة على الفار والفار مسلطة على الناس وكذلك العوام سلط بعضهم على بعض فسلط الله تعالى الحكماء عليهم وكما انه لا بد ان يسلط على الحية قاتلاً يقتلها او يأتئها اجلها سلط على الظالم ظالماً آخر وكان شديد الانكار على علماء عصره وكان يسمى القضاة القصاة والمشايخ المسايخ والفقهاء الفتيحة من فتع اللبث اذا فسد . وكان من كلامه لا يرفع الدار الا ما فيها وكان يقول ايضاً لا تشغل بعدة اموال التجار وانت مفلس . وكان يقول اسلك ما سلكوا تدرك ما ادركوا . وكان يقول لا تخطوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل » وكان يقول عجبت لمن يقع عليه نظر الفلاح كيف لا يفلح . قلت وهو منقول عن سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه .

وكان يقول يصير احدكم القذاة في عين اخيه ولا يصير الجذع في عينه قلت هو حديث رواه الامام احمد من طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه يصير احدكم القذى في عين اخيه وينسى الجذع في عينه وكان يقول كنزك تحت جدارك وانت تطلبه من عند جارك

وله كلام غير هذا وله من المؤلفات شرح الاجرومية على طريقة الصوفية وكتاب غربة الاسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والاعجام ورسائل عدة منها

بيان فضل خيار الناس وانكشف عن مكر الوسواس ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملته القرآن وكشف الافادة في حق السيادة ومواهب الرحمن وكشف عورات الشيطان وتذكرة السالكين وتذكرة المريد المنيب باخلاق اصحاب الحبيب كذا في ترجمته لابن طولون ومنها رسالة لطيفة سماها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ترجم فيها الشيخ محي الدين بن العربي وذكر في اولها ان سبب تأليفها انه دخل دمشق في سنة اربع وتسعين وثمانمائة فسمع عن بعض اهلها استنقاص الشيخ محي الدين بعد ان زار الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفي بها في شعبان من هذه السنة وهو الذي عرفه بابن العربي وبمقامه في الصالحية قال وكنت اسمع به في المغرب ولا ادري من حاله سوى انه من اهل العلم والخير فقصدت زيارته فانتهيت الى حمام ^(١) يقال له حمام الجورة فسألت من الحامي ان يفتح لي باب مقامه فصعد من بعض الجدران وفتح لي باب مقامه فوجدته ليس فيه اثر العواد وفيه عشب يابس يدل على ان احداً لا يأتيه الى ان قال ثم قعدت عند قدميه الكريمين كما ينبغي بل اقول قعدت على سوء الادب اذ هو ان اقف خارج المقام بالكلية في مقام السائل المنتظر لكن اخطأت واسأل الله تعالى بلطفه ان ينوب عليّ من ذلك قال رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجراً مكتوباً فيه قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك » الآية فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ وتزايد نوراً عليّ نور حتى ملأ ظاهري وباطني وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك الى المغرب فدخلت برصة غرة المحرم سنة خمس وتسعين فلما كان سنة تسع وتسعمائة خاربنا الى تقييد بعض كلمات في اظهار شيء من محمود صفاته

« ١ » وذكر علي بن ميمون في رسالة له مخطوطة اسمها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ما يشبه هذه القصة وقال انه قصد صالحية دمشق سنة اربع وتسعمائة ليزور الشيخ الاكبر فلم يجد من يوصله اليه لشدة خوف العامة من ظلم الفسقة الخاصة المنتقدين وانه سأل عن مقامه فذكر له بالنعت من بعيد وقيل له اسأل على موضع كذا فاذا وصلته فستجد هناك حماماً فهو في جواره قال ثم اتيت حتى انتهيت الى الحمام فسألت الحامي ان يفتح لي الباب لادخل الى المقام واشاهد القبر فقيل الحامي وصعد من بعض الجدران وفتح باب المقام الخ ويستدل من هذه القصة ان قبر الشيخ محي الدين بن العربي كانت تحظر زيارة في القرن العاشر على نحو ما يزار الآن ويبالغ العامة وبعض الخاصة في التلطف بزيارته فاین هذا بما عليه العامة الآن من شد الرجال اليه كل اسبوع فتأمل

ثم ذكر رحمه الله تعالى ترجمة الشيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنه ودل هذا الكلام
منه على انه كان له اعتقاد زائد في ابن العربي وهو ما عليه اعيان المتأخرين من العلماء
المحققين والصوفية المتعمقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودل هذا الكلام منه ايضاً
انه رضي الله تعالى عنه دخل دمشق قبل القرن العاشر وذكر سيدي محمد بن عراق
رضي الله تعالى عنه في كتاب السفينة ان سيدي علي بن ميمون دخل دمشق سنة اربع
وتسمائه وذكر ابن طولون في تاريخه مفاكة الاخوان ان سيدي علي ابن ميمون اول
مادخل دمشق دخل في اواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة فهرع الناس اليه للتبرك به
ونزل بجارة السكة بالصالحية وصار يعمل بها ميعاداً ويرشد الناس

ومن صعد اليه للاخذ عنه الشيخ عبد النبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين بن رمضان
شيخ الحنفية وسلكا على يديه وخلف انتهى ولاتنا في بين هذا وبين مانقدم لان ما ذكره
ابن طولون هو مبلغ علمه اذ لم يعلم بقدمة ابن ميمون الاولى والثانية حتى ذكر هذا الكلام
وايضاً فان سيدي علي بن ميمون لم يشتهر في بلاد الغرب بالعلم والشيخية والارشاد الا
بعد رجوعه من الروم الى حماة سنة احدى عشرة ومكث بها مدة طويلة ثم قدم منها
الى دمشق في سابع عشرين رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كما ذكره سيدي محمد
ابن عراق في سفينته ونقدم في ترجمة ابن عراق من هذا الكتاب

قال ابن عراق واقام يعني شيخه ابن ميمون في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر
واربعة عشر يوماً بري ويرشد ويسلك ويدعو الى الله تعالى كي (كذا) سيدي الشيخ عبد
النبي مفتي المالكية وسيدي محمد بن رمضان مفتي الحنفية وسيدي احمد بن سلطان كذلك
وسيدي عبد الرحمن الحموري مفتي الشافعية وسيدي اسماعيل الدناي خطيب جامع الخنابلة
وابو عبد الرحمن قيم الجامع وسيدي عيسى القباقي المصري وسيدي احمد بن الشيخ حسن
وجاره حسن الصواف وسيدي الشيخ داود العجمي انتهى

قلت وكان ممن اصطحب به شيخ الاسلام الجد رضي الله تعالى عنه وكان يحضر
سيدي علي بن ميمون درسه ومجالسه فكان الجد رضي الله تعالى عنه يقول لابن ميمون
حين يحضر عنده يا سيدي علي امسك لي قلبي امسك لي قلبي

ومن اجتمع به شيخ الاسلام الوالد وكان يومئذ في سن الثمان والتسع لكنني لم اتحقق عنه
انه اخذ شيئاً اولم يأخذ به وكان شيخنا الشيخ حسن الصافي المقرئ يذكر انه رأى سيدي علي
ابن ميمون وحضر مجالسه فعلى هذا يكون بحمد الله قد صحبنا في طريق الله تعالى من صحبه .

ومن كراماته انه حصلت بين رجلين من الفقهاء المتجردين عنده منافرة فخرج احدهما
 دلي وجهه فسمع الشيخ بذلك فقال لمن كان السبب في ذلك اما ان تأتي به واما ان تذهب
 عني فلم يلبث يسيراً الا والذي خرج علي وجهه قد دخل علي الشيخ وهو يبكي وذكر ان
 الشيخ تشكل له في صورة اسد وكان كما توجه الى طريق منعه من سلوكها .

ومن كراماته ان المطار حبس بدمشق في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة فكشب سيدي
 علي بخطه درجاً الى نائب دمشق سيدي فحضر النائب بالدرج الى الجامع الاموي في
 يوم الجمعة رابع رمضان فقرأ علي منفي دار العدل السيد كال الدين بن حمزة وقضاة
 القضاة الثلاثة الشافعي ابن نرفور والمالكي خير الدين والحلي ثم الدين بن مفلح فاذا فيه
 آيات من القرآن العظيم واحاديث من السنة في التعذير من الظلم ثم النقل
 الى الفقهاء والقضاة فحذرهم من اكل مال الاوقاف ثم حث علي الاستغفار وذكر ما يعلق
 بذلك ومن نقل ذلك من السلف بحيث ان سيدي ذرف دموعه فهم في اثناء قراءة الدرج
 وقع المطر وجاء الله تعالى بالغيث كذلك ذكر هذه الواقعة ابن طولون وانا لاشك في
 انها كرامة ظاهرة وانتقد ابن طولون علي الدرج المذكور ان صاحب الترجمة تعرض
 فيه لذكر الشيخ نبي الدين بن قاضي عجلمن ولذكر غيره ولاهم فيه علي ترك الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر وانا أقول لانتقاد عليه في ذلك اصلا فانه اراد النتيجة فاعلم
 ان الفتنة التي وقعت بين القموي ابن قاضي عجلمن وابن اخيه السيد كال الدين وبقيّة
 اعيان دمشق بسبب هدم التربة كما تقدم شرحها في ترجمة السيد وغيرها ايضا فلما
 كانت بسبب توجه سيدي علي بن ميمون بقلبه عليهم وتكدر خاطره ويؤيد ذلك ان
 هدم التربة المذكورة كان في ثالث رمضان المذكور ثم استفتي الشيخ نبي الدين في هذه
 الايام في هذه الواقعة وافتي بعدم الهدم ثم حاجت الفتنة بعد ذلك وانتشر شرها ونظاير
 شرها حتى طلب الشيخ نبي الدين وابن اخيه قاصرون الى السلطان الغوري بمصر وصودر
 باموال كثيرة ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم رايت ابن طولون ترجم سيدي علي بن ميمون في التمتع بالاقربان وذكر من مصنفاته
 بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الرسواس والرسالة الميمونية في ترجيد الجرومية
 وبيان غربة الاسلام ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحمله القرآن وكشف الافادة
 في حسن السيادة وواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان وغير ذلك وقال قدم
 دمشق فلما ناه الشيخ عبد النبي واتزله بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس تاسلا عليه

طالبة العلم والفضلاء والعلماء والتضادة والامراء وصار يسأل كلاً عن اسمه وينهاه عن ذكر القلب ان ذكره ثم عن حرفته وبرصيه بشعرى الله تعالى ثم يوجه نفسه الى القبلة ويرفع يديه الى وجهه ويقرأ له الفاتحة ويدعوله ويصرفه وان رأى في ملبسه شيئاً منكراً ذكره .
قال ثم عقد للتسليك مجلساً في منزله فتمذله خلق من المذاهب الاربعة كالشيخ عبد النبي من المالكية والشمس بن رمضان من الحنفية والشهاب ابن مفلح من الحنابلة والزين الحموري من الشافعية وآخر من تسلك علي يديه منهم القاضي ابو عبد الله محمد ابن عراق وشاع ذكره وبعد صيته وصار كلامه مسموعاً عند الامراء خصوصاً نائب الشام سيباي ولم فيه اعتقاد زائد

ثم قال ابن طولون اجتمعت به وسلمت عليه ثم ترددت الى مجلسه لما رأت عيني اعظم شأناً منه لكنه كان يستنقص الناس وقال احياناً ما رأيت في هذه المملكة اعلم من ابن حبيب الصفدي قال وكان ابن حبيب مشهوراً بحجة ابن العربي وتبجح بها انتهى .
قلت وما ذكره عنه انه كان يستنقص الناس هذا انما كان من سيدي علي بن ميمون علي سبيل التهنيز^١ لمن يستنقصه وينكر عليه لان سبيل احتقار الناس واستصغارهم وتأيد نفسه عليهم

ومن كرامات ابن ميمون رضي الله تعالى عنه اذ ذكره الشيخ علوان في شرح تائية ابن حبيب ان رجلاً من اعيان دمشق وفضلائها في العلم والتدريس قال باغي اذ تفرس فيه ان لا يكون منه نتيجة وكان ذلك بعد ان تجرد ذلك الرجل وارتكب انواعاً من الرياضة والمجاهدات وحكى سيدي محمد بن سيدي علوان في تحفته قال اخبرني شفاهاً جمع من سكن قرية مجدل معوش التي هي قرية الشيخ وقبره فيها انه كان في جوارهم وفي قريتهم كروم قد يست اغصانها ونسدت عروقها وتعطلت بالكلية فدخل الشيخ المذكور تملك الاراضي عادت الاراضي المجدبة منخبة وعادت اشجار العنب المذكورة ايضاً الى احسن ما يكون وابنت ثمارها قال وهي مستمرة من ذلك الى الآن الى هذا الزمان ولم يعرف ذلك الا من يركته .

وذكر ايضاً ان بعض اهل العلم حكى له وقد توجه لزيارة قبر سيدي علي بن ميمون رضي الله تعالى عنه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة فقال ان من غريب كرامات من انتم متوجهون لزيارته ماشاهدته بعيني ذلك ان رجلاً من الاجناد ارسل كلباً قال اوصقراً علي غزال فركضت الغزال حتى جاءت الى الارض التي هو مدفون فيها فدخلها واجتمعت

في ظل الشيخ فقيل للجندي دعها فانما قد فعلت فعل العائذ بقبر الشيخ فلم يلتفت الى مقالتهن وجاء اليها وهي قائمة فلم تبرح من مكانها حتى امسكها الجندي بيده وذبحها واكل من لحمها فلما فرغ من اكله اخذه وجع في بطنه واستمر حتى مات من ليلته فلما غسل كان لجه على المغسل متقطعاً قطعاً حتى كأنه اكل شيئاً مسموماً قالت فعلت انا وغيري ان ذلك كله من بركة الشيخ انتهى .

وكان سبب انتقال سيدي علي بن ميمون من دمشق الى مجدل معوش وهي قرية من معاملة بيروت انه دخل عليه وهو بصالحية دمشق قبض واستمر ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب واخذ يستفسر عن الاماكن التي في بطون الادوية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل المعوش فهاجر اليها في ثاني عشر الحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان منه عشر سنين وشخصاً آخر عملاً بالسنة وافقت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في ارض موات بشاهق جبل حسبما اوصى به قال ودفن بعده خارج حضرته المشرفة رجلاً من وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبناتان الرجلان محمد المكنى سي وعمر الاندلسي والصبيان عبد الله وكان عمره ثلاث سنين ومومي بن عبد الله التركاني وامرأتان اما ابراهيم وبناتها عائشة زوجة الذعري والمرأتان الآخرتان مريم القدسية وفاطمة الجوىة وسألته عند وفاته عن امور منها اين اجعل دار هجري فتقال : مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة » الآية وقال ابن طولون في حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة من تاريخه ويوم الجمعة تاسع عشر يعني جمادى الآخرة بعد صلاحتها بالجامع الاموي نودي بالسدة بالصلاة غائبة على الشيخ العالم السيد علاء الدين علي بن ميمون المغربي . قال وقد صح انه توفي ليلة الخميس حادي عشره بتل بالقرب من مجدل معوش وبه دفن انتهى . ولم يختلف قول سيدي محمد بن عراق في السفينة وقول ابن طولون والشيخ موسى الكناوي ان سيدي علي بن ميمون توفي في ليلة الحادي عشر من جمادى الآخرة غير ان في كلام ابن طولون انه كان يوم الخميس وتقدم انه كان يوم الاثنين وقول ابن طولون اصح لانه ارخ هو والخصي وغيرها مستهمل جمادى المذكورة انه كان يوم الاثنين فيكون حادي عشره يوم الخميس بلا شك رحمه الله تعالى اهـ

ميزان المقادير في تبيان التقادير

نقمة ماورد في الجزء الماضي

والقسم الثالث الذي ينبر فيه المساحة الجسمية المكر المساحي من الماء فهو كما انه مقدر بالوزن كما مر مقدر بالمساحة ايضاً واقوال فقهاثنا رضوان الله عليهم فيه اربعة . الاول سبعة وعشرون شبراً مكعباً حاصل ضرب ثلاثة عرضاً في ثلاثة طولاً في ثلاثة عمقاً واليه ذهب الصدوقان وباقي القميين وهو ظاهر بن طائوس وصریح العلامة في المختلف واليه مال بعض المتأخرين ايضاً كالشيخ علي رحمه الله في حاشية المختلف والثاني اثنان واربعون شبراً وسبعة اثمان شبر حاصل ضرب ثلاثة ونصف عرضاً في ثلاثة ونصف طولاً في ثلاثة ونصف عمقاً واليه ذهب الاكثر وهو المشهور والثالث نحو مائة شبر واليه ذهب ابن الجنيد والمراد في هذه الثلاثة بلوغه المقادير المذكورة اذا ضرب بعض الأبعاد في بعض ومثلوا بالمكعب لتسهيل الفهم والرابع ما بلغ مجموع ابعاده عشراً ونصفاً . وليس المراد الضرب واليه ذهب القطب الراوندي ^(١) وعلى هذا القول ليس له قدر معين لاجبج المساحة ولا بجسب الوزن ويكون له افراد مختلفة غير متناهية بعضها منطبقه على بعض المذاهب الباقية وزنا او مساحة ونسبوا الى القولين الاخيرين في تقدير الكر الشذوذ ولزم على ^(٢) الاخير ان يكون كدف من الماء بل اقل اذا انبسط فيما ^(١) قال الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين وانت خبير بان صدور مثل هذا التحديد العظيم الاختلاف الشديد التفاوت عن القطب الراوندي رحمه الله لا يخلو عن غرابة والذي يظهر ان مراده طاب ثراه ان الكر هو الذي لو تساوت ابعاده الثلاثة لكان مجموعها عشرة اشبار ونصفاً وحينئذ ينطبق كلامه على المذهب المشهور والله اعلم بمقائق الامور (منه)

(٢) قوله ولزم على الاخير ان يكون الخ لا يخفى انه لا ينتهي الكر في القلة على هذا القبول حدا لا يكون اقل منه كما يظهر بالتأمل فتأمل فيما نقل الشيخ بهاء الملة والدين في الحبل المتين عن الشهيد الثاني ان ابعاد العروض عنها ما لو كان كل من عرضه وعمقه شبراً وطوله عشرة اشبار ونصفاً واعترض ذليه بوجود ما هو ابعد منه كما لو كان طوله

يبلغ طوله وعرضه عشرة اشبار ونصف زائداً على الكرو . وحوض مربع كل من ابعاده ثلاثة اشبار ناقصاً عنه وهذا بعيد جداً هذا ما اردنا ايجاده من التفصيلات والآن نسوق الكلام في التتميات وبالله التوفيق

(نعيم) اعلم ان الشيخ في آخر القانون ذكر بعض الاكيال والاوزان المعروفة في اليونانية نافلاً بعضها من كمناش ساهر وبعضها من كمناش ابن سراييون وقد نقلنا عنه في هذه الرسالة ما يحتاج اليه في الجملة حسبما اقتضاه التعرف وطرحنا اكثرها لوجوه الاول انها كانت على اللغة اليونانية الغير المعروفة في هذه الازمان ولا فائدة في تطويل الرسالة بذكرها الا لفهم بعض ما في الكتب الطبية مما نقل بعينه عن اليونانية وكذا بالفصل الذي ذكره في آخر القانون لتلك الفائدة ومعها لا يكون لذكرها في تلك الرسالة كثير فائدة والثاني ان نسخ القانون كانت مختلفة في اكثرها وفي تحقيق اللغات اليونانية وتحسينها نك وجه يطمئن الاطمار عسرتام وفي نقلها بصورتها من غير تحسينها مسخ غير مفيد . الثالث ان بعضها ما ذكره تأصيلاً متناقضة وفرع كثيراً منها نك ذلك البعض فصارت اكثرها مضطربة غير محصلة وكان الشيخ نقلها من اصولها من غير تأمل وحساب فعري كلها عن الفائدة لعدم الاعتماد

ومن جملة الشواهد على ما ذكرنا انه قال في موضع القسط الانطاقي رطل ونصف والرطل اثنا عشرة اوقية انتهى وفي موضع آخر بعده بسطر وان يكون اربعين استاراً والرطل عشرين استاراً . والاستار ستة دراهم ودانقيان اواربة مثاقيل انتهى ففسر الرطل اولاً باثنتي عشرة اوقية والاوقية في موضعها بسبعة مثاقيل فبلغ الرطل اربعة وثمانين مثقالاً ^(١) . وفسره ثانياً بعشرين استاراً والاستار اما بستة دراهم ودانقين فبلغ ثمانية

تسعة اشبار وعرضه شبراً واحداً وعمقه نصف شبر فان مساحته اربعة اشبار ونصف ثم ناقش معه رحمه الله بان الابعاد الثلاثة في العرض الذي ذكره انما هي اثنا عشر شبراً لاعشرة ونصف هذا (منه)

(١) وفي بعض نسخ القانون موقع او اربعة واربعة بالمواد وفي بعضها وهو اربعة وعلى هاتين النسختين يصير اقوى اضطراباً كما لا يخفى ولذلك نقلنا عنه في بيان قدر الاستار موافقاً عنه ههنا وطرحنا النسختين الاخيرتين ثم ما اخترنا نقله في بيان قدر الرطل من الاحتمالات الثلاثة مع اضطراب كلامه فيه عن المعاوضة بصورته بقول صاحب القاموس وغيره . وكذا ما نقلنا عنه في بيان قدر الاوقية وان كان المعتمد خلافاً كما مر (منه)

وثمانين مثقالاً وكسراً واما باربعة مثاقيل فيبلغ ثمانين مثقالاً فيضطرب قدر الرطل في كلامه بين كونه اربعة وثمانين مثقالاً وكونه ثمانين او ثمانية وثمانين مثقالاً وكسراً ومع ذلك لا ينطبق شيء من هذه الثلاثة على شيء من تفاسيره المشهورة على ما ذكرنا في موضعه

تقديم قد عرفت مما تقدم ان الدائق حقيقة هو سدس الدرهم الشرعي الذي هو عبارة عن شعيرتين فاعرف الآن ان الدائق والطسوج يطلقان مجازاً على سدس كل شيء ورابع سدسه مما اعتبر فيه الوزن ام لا كما هو المتعارف الشائع في زماننا فعلى هذا لما كان المئثال المبر عنه بالدينار بالانصاف عبارة عن ثمانين وستين شعيرة واربعة اسباع شعيرة فيجب ان يكون دائره هو سدسه الذي عبارة عن احدى عشرة شعيرة وثلاثة اسباع شعيرة وطسوجه هو ربع هذا السدس الذي هو عبارة عن شعيرتين وستة اسباع شعيرة فحينئذ خطأ من قال ان دائق المئثال اثنتا عشرة حبة وطسوجه ثلاث حبات اذ يلزم ان يكون المئثال اثنتين وسبعين شعيرة وقد عرفت انه ثمانين وستون شعيرة واربع اسباعها اللهم الا ان يكون في المئثال اصطلاح آخر لم ينقل اليه وكذلك تبين خطأ صاحب التسمية في الحساب حيث توهم ان طسوج الدينار اربع شعيرات

وقال يجب ان يعلم ان الدوائيق مخرجه من الدينار ستة والطساييح مخرجه من الدوائيق اربعة والشعيرات مخرجه من الطسوج اربعة ثم بسط الكلام في المثال وتحرير الكسر من مخرج اتي مخرج على هذا الحساب وهذا فاحش جداً اذ يلزم حينئذ ان يكون الدينار ستار وتسعين شعيرة ضعف الدرهم الشرعي وحكاية كون الدينار درهماً وثلاثة اسباع درهم وكون عشرة دراهم سبعة دنائير اشهر واشيع من ان يحتاج الى نقل الاسناد وتفصيل عبارات الاقوام وقد مر بعضها وكان هذا الخلط صار مغالطة لبعض الحسابيين ايضاً كصاحب قسطاس المستقيم حيث وافقه في ذلك واقفى اثره بعض الناظرين ايضاً حيث نظم في بيان اجزاء الدينار شعراً

هست شش دانك قدر ديناري ليك هردانك اذ طسوج چهار

هر طسوجي چهار تجوهرجو شش خردل بود بوقت شمار

مع ان هذا الفاظ قد نظم ما هو الحق ايضاً في بيان وزن الاستار واجزاء فقال

چار مثقال ونيم اسنادي هفت مثقال وده درم اي يار

درهمي وده سبع بكمئثال حامش اكنون كه شد سخن بسيار

ولا يترحم ان مناط ذلك الاختلاف ربما يكون قدر الدرهم ولعل فيه خلافا تفرع عليه ماوقعوا فيه اذ لاجمال التوهم لمن تتبع الآثار والاختبار وشيوع كونه ثمانين واربعين شمعة قد جاوز حد التواتر حتى نظم ذلك النظم ايضا ونقله صاحب القسطاس شش دانك بود قدر درم يادت باد دانك يست دو قيراط چنين كفت استار قيراط و مسوج چه چون دانسي هربك ونها بعد بود يادت ياد وقد اخطأ ايضا صاحب البائية في الحساب هنا من جهة اخرى وزعم ان الدينار شتون حبة حيث قال في تعليل حفظ نسبة السنين لكون الدينار ستين حبة وكون الدرجة ستين دقيقة وكون الكرسنتين قفيزا وكون الدرهم ستين عشيرا انتهى ثم كان مراده بالهشيعر عشر الدائق من حيث اطلاقه على عشر كل شيء كما مر والا لم ينقل تفسير المشير بخصوص ذلك وظني ان منشأ هذه الاغلاط قلة تتبع الآثار والكسل في تصفح الاخبار والاخذ بكلام مجهول والاعتماد على خبر غير منقول

«تتميم» قد ذكرنا ان الدرهم المذمورة المفقولة هي الدراهم الثلاثة البغلي والشرعي والطبري وذكرنا ان مورد الاحكام الشرعية منها هو الشرعي الذي وزنه ستة دوانيق وهو المدار عليه في باب زكاة الفضة وغيره المضبوط بانقرار بط والطاسايح فكل ما وقت من الدراهم المختلفة المغايرة له وزنا بحسب الازمنة يقاس عليه بالحساب فاوّل نصاب زكاة الفضة مثلا مائتان من تلك الدراهم التي واحدتها ستة دوانيق وزكاتها خمسة منها قدر ربع عشرها الذي عبارة عن ثلاثين دانقا فاذا فرض وزن الدرهم في زمان خمسة دوانيق مثلا فاوّل مراتب الزكاة يصير بهذا الحساب ستة منها اذ لا يبلغ ثلاثين دانقا الا ستة منها واذا فرض في زمان اربعة دوانيق ومبعا دائق مثلا يصير اول مراتب الزكاة حينئذ سبعة منها وهو ظاهر مما قلنا وعلى هذا القياس وكأنه قد كانت الدراهم في بعض الازمنة السابقة على هذين القدرين الذين ذكرناها تمثيلا يستفاد مما روى الشيخ الجليل رحمه الله في الكافي في باب العلة في وضع الزكاة على ما وضع عن حبيب الخثعمي قال كتب ابو جعفر المنصور الى محمد بن خالد وكان عامله على المدينة ان يسأل اهل المدينة عن الخمسة في الزكاة من المائتين كيف صارت وزن سبعة ولم يكن هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان يسأل فيمن يسأل عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد عليهما السلام قال فسأل اهل المدينة فقالوا ادر كنا من كان قبلنا على هذا فبعث الى ابي عبد الله بن الحسن فقال كما قال المستفتون من

اهل المدينة قال : فقال ما تقول يا ابا عبد الله فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية فاذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة وقد كان وزن ستة كانت الدراهم خمسة دوانيق قال حبيب : فحسبناه فوجدناه كما قال فاقبل عليه عبد الله بن الحسن فقال : من اين اخذت هذا قال : قرأت في كتاب امك فاطمة عليها السلام قال : ثم انصرفت فبعث اليه محمد بن خالد ابعت الي بكتاب فاطمة عليها السلام فارسل اليه ابو عبد الله عليه السلام اني انما اخبرتك اني قرأته ولم اخبرك انه عندي قال حبيب فجعل محمد بن خالد يقول لي ارايت مثل ذلك قط الحديث

توضيحه ان السائل توهم ان المعتبر في الزكوة هو العدد لا الوزن لما رأى من كثرة اطلاق الدرهم على المسكوك من الفضة من حيث العدد كما مر وهذا توهم شائع نقله العلامة في منتهى المطلب واستدل على خلافه بقوله وحكى عن بعض اهل الظاهر اعتبار العدد وهو خطأ للاجماع ولما روى ابو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيما دون خمس اواق من الوزن صدقة انتهى فبعثه هذا التوهم الى ان يفش عن كيفية شيوع سبعة دراهم في زمانه لاول مراتب الزكوة مع انه سيفي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كان خمسة دراهم غافلاً لا عن ان المعتبر في الزكوة هو الوزن لا العدد وان دراهم زمانه مختلفة وزناً بالنسبة الى دراهم رسول الله صلى الله عليه وآله فاجابه ابو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام بان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل في كل اربعين اوقية اوقية يعني ان المعتبر في الزكوة ربع العشر بحسب الوزن لا بحسب العدد وذكر الاوقية تنصيهاً على ذلك اذ هي صريحة في الوزن لا يجري فيها توهم العدد فقال عليه السلام فاذا حسبت ذلك كان على وزن سبعة اي اذا اعتبرت ربع اشعر من حيث الوزن فيصير اول مراتب الزكوة وزن سبعة من دراهم هذا الزمان التي وزنها اربعة دوانيق وسبعا دانق ثم اوضح عليه السلام ذلك بنظير له من الدراهم التي كانت قبل زمانه فقال : وقد كانت وزن ستة دراهم خمسة دوانيق يعني وعلى هذا الحساب يصير اول مراتب الزكوة وزن ستة دراهم منذ كانت الدراهم خمسة دوانيق بحسب الوزن فلا اعتبار بالعدد والمعتبر هو الوزن فعدد الدراهم على اي وزن كان يحسب ويقاس على ما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله اصلاً في ذلك اي الدراهم التي كان وزنها ستة دوانيق فافهم

«تتم» من الاوزان الشائعة في زماننا المرجعة للباقية هو المقتال الصيرفي الذي عليه

مدار المسكوكتين المحمدية والعباسية الرائجتين في هذه الايام ينسب اليه المحمدية بخمسة دوانيق والعباسية التي ضعفها بمثله وثلاثي مثله وعليه ايضا مدار المئين التبريزي والشاهي المشهورين بين الانام يكون التبريزي في زماننا ستمائة منه والشاهي الذي ضعفه الفا ومائتين وهذا المثقال مع انه في هذا الزمان مرجع المقادير المذكورة ومقياس الاوزان المشهورة لم يضبط بالشعيرة وامثالها ضبطاً مشاراً اليه ولم يحفظ حفظاً مداراً عليه فبعضهم كالعلامة رحمه الله كأنه ضبط بمائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع صريحاً بخمسمائة وستة وثلاثين مثقالاً وربع مثقال بالصيرفي فالرطل العراقي الذي يكون عنده وعند الجمهور من الخاصة تسعاً من الصاع مضبوطاً حينئذ بتسعة وخمسين مثقالاً ونصف مثقال وثلث وربع مثقال

ومعلوم مما مر ان الرطل العراقي عنده عبارة عن تسعين مثقالاً شرعياً ينتهي اليه الستة آلاف ومائة واحدى وسبعين شعيرة وثلث سبع شعيرة فوجب ان يكون المائيل الصيرفي المذكورة التي بها ضبط الرطل عبارة عن تلك الشعيرات بالنسبة لمثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده مائة وثلث شعيرة والفين وثمانمائة وخمسة وثمانين جزءاً من خمسة وخمسة آلاف اجزاء شعيرة كما قررنا وبعضهم كالشيخ علي رحمه الله كأنه ضبط بمائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة يستفاد من ضبطه الصاع والرطل صريحاً بمثل ما ضبط به العلامة مع تصريحه بان الرطل عبارة عن احد وتسعين مثقالاً شرعياً موافقاً لجمهور فينتهي الى ستة آلاف ومائتين واربعين شعيرة زائدة على عدد شعيرات رطل العلامة بثنائية وستين شعيرة واربعه اسباعها قدر مثقال واحد شرعي هو تفاوت ما بين الرطلين حينئذ وجب ان تكون المائيل الصيرفية التي بها ضبط الرطل عبارة عن هذه الشعيرات الزائدة على شعيرات رطل العلامة بما ذكرنا بالنسبة لمثقال واحد صيرفي يلزم ان يكون عنده عبارة عن مائة واربع شعيرات وخمسمائة وخمسة وسبعين جزءاً من سبعمائة وسبعين جزءاً من شعيرة كما قلنا ثم لا يخفى ان الشيخ رحمه الله ان لم يتف في ذلك اثر العلامة وضبطه بالصاع هذه فانما هي ماصورة في قدر الصاع والرطل بالنسبة الى المثقال الصيرفي مع ذلك الاختلاف معنى من غرائب الانفاقات واغرب من ذلك ان ائتمروا على تصحيحه وظن نفسه متبعاً موافقاً له في ذلك وغفل عن تلك الدقيقة الموجبة للاختلاف وعدم الموافقة وبعضهم

من فضلاء العصر ضبطه صريحاً يست وتسعين شعيرة وبعضهم ضبطه بخلاف هذه المذكورات مما يوجب نقله التطويل

وبالجملة لما رأيت هذه الاختلافات حاولت ان اضبطه بنظر دقيق وقصدت ان احفظه بتأمل حقيق فتحقق عندي بتصحيحات قومية وتفتيشات مستقيمة ان المتقال الصيرفي المتعارف في زماننا عبارة عن اربع وثمانين شعيرة قدر درهم وثلاثة ارباع درهم بالشريعي ولا تقضي خطأ اباهم ومصوباً رأيي ان بعض الظن اثم حاشا ان اكون اهلاً لذلك ولكن اثبت ما ثبت لدى دمة فكري القاصر وادبت ماوجب على دمة ذهني القاصر هذا مع انه يجوز ان يكون في زمن العلامة والشيخ علي رحمهما الله قدر المتقال الصيرفي زائداً على قدره في زماننا بمقدار التفاوت الواقع في الضبطين وكذا الكلام في التفاوت القليل الواقع بينهما رحمهما الله بحسب زمانيهما وامثال ذلك قد يكون متفاوتة في الزمنة والاعصار ويؤيد ما قلت التفاوت الواقع في المن التبريزي في الزمانين حيث ضبط الشيخ علي رحمه الله المن التبريزي بخمسمائة مثقال صيرفي واليوم ولاشك ستمائة منه ويمكن ان يكون هذا التفاوت الواقع في المن بعينه مناسطاً للتفاوت في المتقال بحسب الزمانين اذ خمسمائة من المتقال الذي ضبطه الشيخ قريب جداً من ستمائة من مثقال زماننا حسبما ضبطناه وما يبق من التفاوت قليل يمكن استناده الى الميزان او الشعير او التسامح او امثالها

«تقييم» اعلم ان انواع الاجسام كما كانت المتساوية فيها وزناً قد تختلفت حيناً فطرط من الماء مثلاً لايملاً نصف مكان رطل من الشعير كذلك المتساوية منها بحسب الخيز قد تكون مختلفة بحسب الوزن فوزن صاع من الشعير مثلاً لا يبلغ نصف وزن صاع من الماء وعلى هذا القياس سائر الاجسام حسبما اقتضت صورته النوعية من التخالخل والتكاثف والخفة والثقل وتحقيقه كما نقرر في موضعه ان نسبة وزن الخفيف الى وزن الثقيل يكون كنسبة مكان الثقيل الى مكان الخفيف بل قد يكون نوع واحد من الاجسام يختلف اشخاصه في ذلك بحسب الامكنة والعوارض المختلفة كما لا يخفى فتقدير كل معين بوزن معين لا يتصور الا بنوع من التخمين وضرب من التسامح فما قال العلامة رحمه الله في التحرير الوسيط ستون صاعاً يصاع النبي صلى الله عليه وآله اربعة امداد والمد رطلان وربيع بالراقي الى قوله وهذا التقدير تحقيق لانقريب انتهى محل تأمل اذ تقدير المد عبارة عن كيل مخصوص بالرطل الذي هو وزن مخصوص لا يمكن بدون تقريب الا ان

يحمل على انه لما كانت هذه التقادير مستندة الى الشارع فتكون بمنزلة التحقيق والا فمعلوم ان المد من الماء المعتبر في الوضوء لا يوافق المد من اجناس اخر كالخنة والشعير وامثالها المعتبر في الكفارات بحسب الوزن حتى بقدر اشي واحد تحقيقاً فكأنه اراد الشارع توسعة وجعل ذلك الكيل المخصوص والوزن المخصوص في تلك الاحكام بمنزلة الواجبات التغييرية بايهما اخذ التكلف بريء ذمته وان اختلفا فاحشاً واليه ناظر ظاهر قول بعض الفقهاء^(١) في قدر زكوة الفطر هي بالكيل صاع وبالوزن الف ومائة وسبعون درهماً انتهى . فاشكاله بعد ذلك في صورة بلوغه كيلاً لا وزناً او بالعكس للنفخة او الثقل كأنه مبني على الاحتياط هذا مع ان الروايات في التقدير مختلفة لانأبى الجمع بينها بحمل كل منها على جنس مناسب لكن لم ينقل من الفقهاء هذه الطريقة بل جمعوها من جهات أخر او طرحوا بعضها للضعف السند وغيره على حسب اقتضاء قواعد الاصول حتى انتهى الى الاختلافات بينهم متفرعاً على اختلافات اصولهم فاتخذ كل مذهب كما نقائنا عنهم في التفصيلات

«تتميم» المقادير الموزونة والمكيلة التي قدمناها مفصلة على قسمين قسم معتبر بخصوصه في الشرع المذكور في الاحاديث دائر على السنة الفقهاء وقسم ليس كذلك بل متداول بين الحسابين^(٢) وعامة الناس والقسم الاول ايضاً على قسمين قسم معتبر بعدمه على سبيل الاصله وكونه متعلقاً للاحكام^(٣) وقسم^(٤) ليس كذلك بل المذكور على سبيل التبعية وكونه مقياساً لشيء آخر ومحدد له فبالحقيقة ينتهي الى ثلاثة اقسام . ولما كان القسم الاول منها اي المعتبر في التسرع اصالة مما اشتدت حاجة المكلفين اليه من حيث ابتناء فتاوى فقهاءنا رضوان الله عليهم حاولنا تسهياً عليهم تقويم ضابطة لبيان تلك المقادير خاصة متضمنة لكيفية نسبتها واحداً واحداً من الاوزان المعروفة في زماننا اعني المن التبريزي والمثقال الصيرفي والذيرة واجزاءها على ما وصفناها قبل فوضعنا جدولاً واشتتنا فيه المقادير المعبرة المذكورة وبنينا ان كلا منها كم يكون من المن ثم ما نقص عنه من المثقال ثم ما كسر عنه من الشعيرة وعلى هذا القياس . وعلمنا ما كان مجاوزاً عن بعض بعلامة البياض . وما كان مطفراً وغير بالغ الى البعض بعلامة الصفر ايضاً

للفصود

(١) هو الشيخ بهاء الملة والدين في رسالته الزكوية لللاثني عشرية (٢) كالوافي والاستار وامثالها (٣) كالدرهم والدينار وامثالها (٤) كالرطل والواقية وامثالها (منه)

البيان	القيمة	التقدير	التقدير	القول	القول	القول	القول	القول	القول
٥	١	١	٥	٥	٣	٦٦	٢٤٠	٣٦	على احد احتمالي مذهبه
٢	١٠	٦	٥	٦	٢	٣٩	٧٢	٦٦	على مذهب العلامة
							٢٤١٥٤	٦٦	على مذهب الجمهور

«تتميم» يظهر مما مر من التفصيلات ان الاختلافات الواقعة بين فقهاءنا رضوان الله عليهم في قدر المد والصاع والرسق كلها مبنية على خلافين احدهما في قدر الرطل العراقي هل هو تسعون مثقالا او احد وتسعون مثقالا وهذا الخلاف قائم بين العلامة والجمهور وثانيهما في قدر المد هل رطل وربع او رطلان وربع بالعراقي وهذا الخلاف قائم بين ابي نصر البرزني وغيره من الفقهاء وهم يستمدون الى قوله نصف والشذوذ قال العلامة في التحرير وقول ابن ابي نصر المد رطل وربع تعويل على رواية ضعيفة انتهى وقال شهيد في البيان وشذوذ قول البرزني ان المد رطل وربع فكون المد رطلين وربع بالعراقي هو رطل نصف بالمدني مجلا مع قطع النظر عن الاختلاف الواقع كالجمع عليه بين فقهاءنا والروايات متضادة على هذا المعنى دالة اكثرها ايضا على ما ذهب اليه الجمهور في قدر الرطل روى الصدوق رحمه الله فيما لا يخفى عنه الفقيه في باب الزكاة عن الكوفي وليس على الخطه والشعير شي حتى يبلغ خمسة اوساق والاصاع اربعة امداد والمد وزن مائتين واثنين وتسعين درهما ونصف وروى الشيخ رحمه الله في الاستبصار في باب ماهية زكاة الفطر عن ابراهيم ابن محمد الهمداني اختلفت الروايات في الفطرة فكتبت الى ابي الحسن صاحب العسكر عليه السلام اسأله عن ذلك فكتب ان الفطرة صاع من قوت بلدك الخ وفي آخر الحديث ترفعه وزنا ستة اراطل برطل المدينة والرطل مائة

وخمسة وتسعون درهماً ويكون الف ومائة وسبعين درهماً الحديث وفي باب مقدار الصاع فيه عن جعفر بن ابراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت الى ابي الحسن عليه السلام على يدي ابي جعلت فذلك ان اصحابنا اختلفوا في الصاع بعضهم يقول النظرة بصاع المدني وبعضهم يقول بصاع العراقي فقال كتبت الى الصاع ستة ارطال بالمدني وتسعة ارطال بالعراقي قال واخبرني انه يكون بالوزن الف ومائة وسبعون^(١) وزنة وعن علي بن بلال في هذا الباب قال كتبت الى الرجل اسأله عن الفطرة وكم يدفع قال فككت سنة ارطال من تمر بالمدني وذلك تسعة ارطال بالبعدي وفي باب مقدار الماء الذي يجري في غسل الجنابة والوضوء عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ بماء ويغتسل بصاع والماء رطل ونصف والصاع ستة ارطال واما ما روي في هذا الباب من روايتين ذاهمهما خلاف ما ظهر من هذه الروايات فقد ذكر الشيخ رحمه الله هنالك وجه التوفيق فيهما فالاولى عن سليمان بن حفص المروزي قال قال ابو الحسن عليه السلام الغسل بصاع من ماء وصاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة امداد والمد مائتان وثمانون درهماً والدرهم ستة دوانيق والدانق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير من اوساط الحب لا من صغاره ولا من كبارها والثانية عن سماعه قال : سأله عن الذي يجرى من الماء للغسل فقال اغتسل رسول الله صلى الله عليه وآله بصاع وتوضأ بماء وكان الصاع على عهد خمسة امداد وكان المد قدر رطل وثلاث اواق الحديث فقال الشيخ رحمه الله في وجه التوفيق قوله في هذا الخبر الصاع خمسة امداد وتفسير المد برطل وثلاث اواق مطابق للخبر الذي رواه زرارة لانه فسر برطل ونصف فالصاع يكون ستة ارطال وذلك مطابق لهذا القدر فاما تفسير سليمان المروزي المد بمائتين وثمانين درهماً فمطابق للخبرين لانه يكون مقداره ستة ارطال بالمدني ويكون قوله خمسة امداد وهما من الراوي لان المشهور من هذه الرواية اربعة امداد ويجوز ان يكون ذلك اخباراً عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله اذا شارك في الاغتسال بعض ازواجه يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن احدهما قال سأله عن وقت غسل الجنابة كم يجرى من الماء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل بخمسة امداد بينه وبين صاحبه ويغتسلان جميعاً من اثناء واحد انتهى فتوضيح توفيق الرواية الاولى على ما ذكره رحمه الله انه حل في هذه الرواية الصاع خمسة امداد على وجه الراوي لان المشهور منها اربعة بدل خمسة فاذا كان الخمسة

وهما والصواب اربعة امداد حال كون المد مائتين وثمانين درهما فيوافق الصاع اربعة اربعة امثاله مع ستة ارطال فلا يبقى منافاة اولى ان يكون خمسة امداد اخبارا عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وقت مشاركته بعض ازواجه في قدر ماء الاغتسال فيستقيم ايضا ولا منافاة بين هذه الصورة وبين ان يكون اربعة امداد في صورة الانفراد وفيه تأمل لان كون المد مائتين وثمانين درهما خلاف الظاهر والمشهور واتفاق الجمهور ويلزم حينئذ ان يكون الصاع الفا ومائتين وعشرين درهما وهو خلاف ما ظهر من الروايات المقبولة عنده الدالة على انه الف ومائة وسبعون درهما ومع هذا لا قائل به فكيف التوفيق وايضا حمل خمسة امداد على صورة المشاركة بعيد في هذا الحديث جدا اذا لم يقع فيه الاخبار عن ماء الغسل حتى يمكن الحمل على تلك الصورة بل وقع الاخبار عن قدر الصاع ثم ان في هذه الرواية ان الدائق وزن ست حبات والحبة وزن حبة شعير وهذا ايضا بحسب الظاهر خلاف ما اتفق عليه من ان الدائق من الدرهم عبارة عن وزن ثماني شعيرات وان المراد بالحبة والشعير واحد ويلزم على هذا ان يبلغ دائق الدرهم اثنتي عشرة شعيرة فالدرهم يصير اثنعين وسبعين منها الاثمانية واربعين كما هو المتفق عليه وان حملنا قول الشيخ في التوفيق على ان المد وزن مائتين وثمانين من هذه الدراهم التي واحدها عبارة عن اثننتين وسبعين شعيرة بوساطة تلك الاصطلاحات وان كان بعضها غير مشهور فلا يستقيم ايضا اذ يوجب ان يكون الصاع حينئذ ثمانين الفا وستائة واربعين شعيرة يبلغ الفا وستائة وثمانين درهما من الدراهم المشهورة ولا قائل به فظهر ان هذه الرواية مشكلة جدا لا تستقيم الا بتكلف بعيد والعلم عند الله واهله واما توضيح توفيق الرواية الثانية على ما ذكره رحمه الله انه ابقى خمسة امداد في هذه الرواية على حاله لتجبر هذه الزيادة في عدد المد نقصان تفسيره برطل وثلاث اواق فقصد ان المد الذي صاع النبي صلى الله عليه وآله خمسة منه غير المد الذي كان منه اربعة لان هذا المد كما فسر عبارة عن رطل وثلاث اواق وخمسة منه يعني خمسة ارطال وخمس عشرة اوقية ينطبق على اربعة امداد بالمعنى المشهور يعني ستة ارطال مدنية وفيه ايضا تأمل لانه على تقدير ان يكون المد على هذا المعنى لا يستقيم ايضا اذ توجب ان يكون خمس عشرة اوقية عبارة عن رطل واحد مدني حتى بعد ضمه الى خمسة ارطال بلغت ستة ارطال ولا شيء من الاوقيتين الجديدة والقديمة موافقا لهذا القدر اذ الجديدة على ما بينا اما عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم يبلغ سبعة مثاقيل ونصفا فخمس عشرة منها

مائة واثنى عشر مثقالاً ونصف مثقال واما عشرة دراهم يبلغ سبعة مثاقيل وخمس عشرة منها مائة وخمسة مثاقيل واما اثنا عشر درهما يبلغ ثمانية مثاقيل وخمس مثقال وخمس عشرة منها مائة وستة وعشرون مثقالاً وظاهر ان لا يبلغ شيء من هذه الثلاثة حد الرطل المدني والقديمة اربعون درهما وخمس منها يزيد على الرطل فضلاً عن خمس عشرة ولم ينقل تفسير الاوقية بغير هذه المعاني هذا وان امكن حمل خمسة امداد في هذه الرواية على وهم الراوي مستظهِراً بالشهرة والاتفاق وللروايات الصحيحة كما جوز الشيخ رحمه الله في رواية سليمان ولا يعد ان يحمل الرطل هنا على المكي دون المدني والاوقية على الجديدة بالمعنى الاول فيستقيم بلا تكلف في معنى المد والصاع ايضاً اذ الرطل المكي كما مر عبارة عن رطلين عراقيين وثلاث اواق بهذا المعنى يبلغ ربع رطل عراقي على تفسير العلامة فيصير كلاهما رطلين ورهما بالعراقي وهو رطل ونصف بالمدني فاربعة امثاله يبلغ ستة ارطال مدنية كما هو المستفاد من الروايات المطابقة مع ما ذكرنا انه كالجمع عليه بين الفقهاء ويمكن ان يحمل الرطل على العراقي ايضاً ويؤيد مذهب الزنطي ولا يمكن ان يحمل الاوقية على القديمة اصلاً اذ اذا حمل الرطل حينئذ على العراقي ينقص عن المد او يزيد عليه بالنسبة الى المذاهب واذا حمل على المد او المكي يزيد عليه على جميع المذاهب فلا يصير مطابقاً لشيء منها فليس قول صاحب الصحاح في تفسيرها الاوقية في الحديث اربعون درهماً وكذلك فيما مضى انتهى على عمومته فتأمل

«تتميم» قد عرفت مما تقدم في التفصيلات ان الكرمعتبر في باب الطهارة المعروف بماء مقدر شرعاً لا ينبغي بالنجاسة ما لم تغيره مقدر بتقديرين بالوزن وبالمساحة على ما فصلنا كلاً في موضعه ففيه احتمالان اما ان يكون الوزن اصلاً فيه وتكون المساحة طريقاً الى استعماله لتعسر الوزن في اكثر الحالات واما ان يكون بعكس ذلك بان تكون المساحة اصلاً فيه ويكون الوزن طريقاً الى استعماله حال تعسر المساحة لعدم وقوعه على شكل پرکاری كثر الغدران والاحباب^(١) واهلهما واما ان يكون كل منهما اصلاً مستقلاً يجوز استعمال ما اراد المكلف منهما بدون تعسر الآخر وان كان بينهما تفاوتاً كثيراً كالواجبات التغييرية فظاهر كلام الشيخ ابي جعفر الطوسي رحمه الله هو الاول قال في الاستبصار في باب كمية الكرم في ذيل ذكر رواية الوزن بعد ذكر الروايات التي في المساحة فلانافي هذا الخبر ما تقدم من الاخبار لانا كنا ذكرنا في كتابنا تهذيب

الاحكام ان العمل على هذا الخبر على مانصره الشيخ رحمه الله وحملنا ما ورد من التجديد بالاشبار على ان يكون مطابقاً لذلك بان يكون مقدارها المقدار الذي يطابقها فكانه جعل لنا طريقان احدهما ان نعتبر الارطال اذا كان لنا طريق اليه واذا لم يكن طريق الى ذلك اعطينا الاشبار لان ذلك لا يمتدز على حال من احوال انتهى . وكذلك ظاهر من عرف انكر بالف ومائتي رطل وظاهر العلامة والشهيد ومن تبعهما رحمهما الله هو الثاني حيث فرعوا اختيار العراقي في الارطال دون المدني على مناسبة لما اسسوه من المساحة وكذا ظاهر من عرف الكربانه ، ابا نعم تكسيره باشبار مستوى الحلقة اثنتين واربعين وسبعة اثمان وظاهر ابن بابويه رحمه الله هو الثالث لا تياره من اقوال المساحة مالا يناسب . اذهب اليه بحسب الوزن لان البعد وعدم المناسبة بين تقديره بأبى عن ان يكون احدها لاسم لاسم الآخرفيكون كل منهما اصلاً مستقلاً مأخوذاً من رواية معتد عليها لا يضره عدم مناسبة الآخر له وامثال ذلك كثيرة في الشرع فما قيل ^(١) والعجب من ابن بابويه كيف لم يعتبر العراقي واعتبر المدني مع ان الكركنة قريبة من نفسه عند من اعتبر العراقي انتهى فيه تأمل ثمان العلامة رحمه الله في المختلف وافق ابن بابويه رحمه الله في المساحة والشهيد رحمه الله في الذكرى وافق الجمهور فيه ومع هذا اختار كل منهما في الوزن الارطال العراقية لادعائه ان تلك الارطال هو المناسب لاسا اختاره من المساحة دون الارطال المدنية قيل ^(٢) وقد يظن ان بين الكلامين تصادماً فان الارطال العراقية ان ناسبت مذهب ابن بابويه كما قال العلامة بادت عن مناسبة مذهب الجمهور بل تكون الارطال المدنية انسب منها اذ تفاوتت بين المذهبين في قدر المساحة قريب من التفاوت بينهما في الوزن والنقصي عن هذا التصادم غير خفي انتهى .
واشبه الى وجه النصفي في الحاشية بقوله بان يقال مراد الشهيد رحمه الله ان اعني الرطل العراقي بناسب التقدير بالاشبار على كل من الروايتين بخلاف الرطل المدني فانه شديد البعد عما يقتضيه رواية القميين وفيه ايضاً تأمل اذ على تقدير اعتبار المناسبة لاشك ان الارطال العراقية انسب من الارطال المدنية الى ما اخبر ابن بابويه في المساحة واكن دعوى كونها انسب من المدنية بالنسبة الى المذهب المشهور في المساحة ايضاً لا يكاد يتم بل المدنية انسب منها بكثير وتوضيح . ان ما عيلاً من الماء قدر شبر من المكان كما

(١) القائل شيخنا بهاء الملة والدين رحمه الله في رسالته الكرية (٢) القائل البهائي في رسالته الكرية (منه)

صح عندنا بتخمين دقيق قريب من التحقيق هو اربعة امانان تبريزية وثلاثمائة وستة وخمسون مثقالاً صيرفيًا تبلغ قدر سبعة وعشرين شبراً هو مذهب ابن بابويه في الكرك مائة واربعة وعشرين مثلاً واثنا عشر مثقالاً ولا شك ان الارطال العراقية انصب به من المدنية بكثير يظهر من الرجوع الى الجدول ويبلغ قدر اثنين واربعين شبراً وسبعة اثمان شبر هو مذهب الجمهور مائة وستة وتسعين مثلاً وخمسمائة وثلاثة وستين مثقالاً ونصف مثقال وظاهر ان الارطال المدنية التي عبارة عن مائتين واثنين وعشرين مثلاً واربعة عشر مثقالاً وسبعي مثقال كما مر في الجدول اقرب الى هذا القدر من الارطال العراقية التي قدرها عند الشهيد رحمه الله مائة وثمانية واربعون مثلاً وثلاثمائة واثنان واربعون مثقالاً وستة اسباع مثقال كما مر ايضاً اذ تفاوتت الارطال المدنية منه لا يبلغ الى ستة وعشرين مثلاً وتفاوتت الارطال العراقية يزيد على ثمانية واربعين مثلاً فاين هو من هذا ولا يبلغ التفاوت الذي قد يكون في اشخاص المياه المتحدة في المكان بحسب الوزن الى حد يستردك كما تشهد به التجربة واثان انغمضنا عن ذلك ايضاً فلا شك ان المتناسب لمن جعل الاصل في التقدير المساحة وجعل الوزن طريقاً الى استعلام بلوغه ذلك القدر كما فيما نحن فيه ان يكون ما اختاره من الوزن زائداً عليه لا ناقصاً عن باب المقدمة وتحقق كونه غالباً القدر الشرعي يقيناً وزيادة الارطال المدنية على القدر المشهور في المساحة متيقنة عنده ايضاً دون الارطال العراقية اذ مع الاغراض عن يقين نقصانها عنه بازيد من زيادة المدنية عليه فلا مجال البتة لدعوى يقين زيادتها عليه المصححة اكونها مستلزمة للبلوغ الى الحد المذكور والعلم عند الله واهله

«تتميم» ينبغي للمكلف المقيّد بالشرع المهمم بتحصيل براءة الذمة ان يكون طريقته التمسك بالاحتياط والعمل على وجه يكون به مخرجاً عن عهدة الخلاف في جميع ما ذكرنا من المسائل الخلافية فيختار في قدر المد والصاع المعتبرين في الكفارات وزكوة الفطر وامثالها مذهب الجمهور الذي قدروا المد بما يبلغ مائة وسبعة وستين مثقالاً صيرفيًا واثنين عشرة شعيرة والصاع بما يبلغ مثلاً وثمانية وستين مثقالاً وثمانين واربعين شعيرة اذ هذا التقدير لها أكثر من جميع التقادير الباقية كما مر والاحوط هنا هو الأكثر ويختار في قدر الوسق المعتبر في تحقق نصاب الغلات ثاني احتمالي مذهب البنزطي اعني ستة وثلاثين مثلاً تبريزياً مع كسوره المثبتة في الجدول حتى يكون خمسة اوساق هو قدر النصاب عبارة عن مائة واثنين وثمانين مثلاً وكسر اذ هذا التقدير في النصاب

اقل من سائر التقديرات والاحوط هنا هو الاقل وعلى هذا القياس في قدر الكبر ومثاله حسب ما اقتضاه سلوك طريقة الاستياط . ولا شك انه اصوب خصوصاً في زماننا الذي فيه الآراء متخالفة والحق محجوب والقائم بالحق مستور اللهم ارزقنا توفيق ادراك ملازمته . وتحقيق ما هو الحق من خدمته . والخروج عن عهدة ما هو الصواب من التكاليف بفراغ البال . والخلاص عما يوجب تقويت الوقت . وتضييع العمر من القيل والقال . هذا آخر ما اردنا ايراده في هذه الرسالة . وقصدنا الاختتام به في تلك المقالة والله الموفق والمعين

السوريون في اميركا

لا يصح اطلاق اسم المهاجرين على السوريين الذين سافروا من بلادهم الى اميركا كونهم لم يهاجروا ديارهم كما هو المفهوم من معنى المهاجرة وانما يصح اطلاق اسم المسافرين عليهم لانهم سافروا الى اميركا للتجارة لا للقامة او لمغادرة اوطانهم بنائاً او لجعل اميركا وطيناً جديداً لهم أبداً

وجعلهم طريق اميركا طريقهم المطروق ذهاباً واياباً مما ثبت هذا . وسل ايّا كان من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية هل هجرت سورية . يقل كلاً ما هجرتها وانما غادرتها الى حين — تزحت عنها طلباً للاكتساب والاتجار ومتى نجحت ووصلت الى غرضي عدت الى وطني

واما اولئك الذين اشتروا الدور والاملاك في اميركا فلم يشتروها لكي يقيموا في اميركا وانما اشتروها لينجروا بها ويكسبوا ويثروا فالالتجار في الاراضي والعقار كثيراً ما يفيض على صاحبه يتابع الجبين والنضار . وسل ايّا كان من الملاكين السوريين في اميركا الا تريد ان ترجع الى ارض آبائك واجدادك اذا تمكنت من بيع املاكك بالربح يقل بلى أريد من قلبي ولكن دور العودة لم يأن بعد . وما يقوله الملاكون بهذا الباب يقوله التجار والعمال والاطباء والصحافيون السوريون في اميركا

وجتهدت على ذلك هي هذه الامور (١) قلة العدل في الوطن (٢) عدم المساواة (٣) شدة التضييق والضغط (٤) عدم وجود الأمن في اراضي سورية المهجورة وغير

المهجورة (٥) عدم وجود المعامل المهمة وقلة ابواب الرزق (٦) كثرة التشييط وقلة التشييط (٧) كثرة القول وقلة العمل (٨) الابطاء الطويل والماطلة في المعاملات هذه هي حججهم الرئيسة وحققهم ان يحتاجوا بها . فاذا كانوا قاسوا مآثر الاخطار والاسفار حتى وصلوا الى ديار اتسعت ابواب رزقها وكسبها وكثر عدلها وساد أمنها وعمت مساواتها وحريتها وسبق عملها قولها وكثر تضييها وقل تشييطها — اذا كانت هذه حالة البلاد التي وطئها اقدام السوري بين فخري بعللهم ان يقتنوا فرصة الانتفاع منها والعامل العاقل من وجد الفرص فانتهازها والجاهل الجاهل من اظفرته بنفسها ولم يقتنئها السوريون المتخفون منقسمون الى اربع طوائف في هذا الموضوع . طائفة راضية عن سوري اميركا . وطائفة غير مبالية بهم . وطائفة غير راضية عنهم وهي غير مخصصة . وطائفة غير راضية الا انها مخصصة

اما الاولى فهي عامة الشعب السوري وهي الاكثر عدداً واما الثانية فهي التي لا يهتمها عمرت البلاد او خربت واما الثالثة فهي التي يليق بها ان تسمى بالطائفة « المشنطة » لانه لا يرضيها شيء فهي ابدأ تشذم وتناقص وتفاخر وتبالي باقدارها وتستصغر اقدار سواها كما انها خلقت من طينة سماوية وغيرها خلق من طينة ارضية واما الرابعة فهي الطائفة المخصصة النيرة على وطنها وهي القائلة بضرر « سفر » المهاجرين الى اميركا بعري او بضرر « مهاجرتهم » بعريها، وعرف غيرها والطائفة القائلة بفائدته هي عامة الامة السورية فايتهما احق بقولها ودعواها انك ام هذه ؟

لاجرم ان دعوى الطائفة الراضية هي الاظهر والاحق واليك البراهين غادرا اكثر السوريين نزلاء اميركا اليوم القطر السوري جاهلين القراءة والكتابة فصاروا في اميركا يقرأون ويكتبون غادروها جاهلين كثيراً من آداب السلوك فصاروا في اميركا بآداب سلوكهم من الطبقة الاولى

غادروها جاهلين السياسة الوطنية والاجنبية فصاروا في اميركا من اهل الامسام بها وصاروا يفهمون معناها ومبناها ومغزاها ومرماها غادروها عديمي المعارف العمومية فقرئاً فصاروا في اميركا ملين بكثير من تلك المعارف

غادروها جاهلين اساليب التجارة فصاروا في اميركا من اهل التجارة
 غادروها جاهلين الصناعات العصرية فصاروا في اميركا عاملين بكثير منها
 غادروها جامدين خاملين فصاروا في اميركا ناهضين
 غادروها ونفوسهم صغيرة فصاروا في اميركا من اهل النفوس الكبيرة
 غادروها أذلاء فصاروا في اميركا اعزاً
 غادروها منقادين لاهل الاستبداد اتقياداً أعمى فصاروا في اميركا منورين ومن
 دعاة الاستقلال الشخصي

غادروها ولا صحافة لهم فصاروا صحافتهم في اميركا من ارقى الصحف العربية في
 العالم العربي

غادروها فقراء فصاروا في اميركا من اهل اليسار
 غادروها ولا مقام لهم فصاروا في اميركا من اهل المنامات
 غادروها ضعفاء الهمة والعزيمة فصاروا في اميركا من اهل العزائم والهمم
 هذا بعض ما كانوا عليه في سورية وبعض ما صاروا اليه في اميركا اما ما ارسلوه
 من المال الى سورية فهو اكثر من عشرة ملايين دولار او مليوني ليرة انكليزية ومن
 كان مثككاً بذلك فعليه مراجعة مصرف لندن والمصرف العثماني في بيروت
 على الاخص

منذ عامين سألت احد العمال في مصرف او ماها نبراسكا الاول وهو المستر نيسي الذي
 لا يزال حياً يرزق عن قيمة الدرام التي ارسلها سوريا ولاية نبراسكا الى سورية على يده
 من ذلك المصرف فقال: ان ما ارسلوه في شهر واحد بلغ ستين الف دولار اميركي
 اي اثني عشر الف ليرة انكليزية . فاذا كانت هذا ارسله فريق من سوريا ولاية
 نبراسكا في شهر واحد فكيف قيمة المبالغ التي ارسلها ويرسلها غيرهم في غير ولايات ؟
 وأثار ذلك المبلغ الكبير بأدية لدي عتبن في لبنان وغير ولاية من ولايات سورية
 لما كنت في سورية كنت ارى بأهم عيني المبالغ التي كانت ترد على اهالي راشيا
 الوادي وقراها فكانت تلك المبالغ وحدها تختلف كل اسبوع بين الخمسمائة ليرة والالف
 ليرة حتى كثر المال في ذلك القضاء بين الايدي وكثر الاخذ والعطاء وصاروا باليرة
 في الشهر عشر بارات وعشرين بارة بعد ان كان قبل عهد الاميركا لا يتل
 عن غرشين وثلاثة غروش

والدور الجبيلة التي يشاهدها الناس اليوم في الاقاليم والولايات والالوية والمديريات والافضية التي لها علاقة بسور في اميركا قد بنيت بجال هؤلاء ولولا هذا المال لكانت بقيت بلدان وضياع كثيرة اقرب الى الخراب منه الى العمران ولولاها لما كانت قدرت الرعية على تأدية الاموال الاميرية لان البلاد السورية ولاسيما في العقد الاخير من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين كانت بحاجة شديدة الى المال . فلاشغال في ذلك العهد المظلم امست في خبر كان . وكان الحكام والموظفون واهل السلطة والسيادة قد اغتصبوا البقية الباقية من مال الامة ولم يبقوا لها الا الموت ذلاً وفقراً وجوعاً وفقرأ

واما دعوى القائلين بان ما ربحته سورية مالياً من طريق اميركا لا يوازي عشر معشار ما خسرت من شبانها ورجالها الذين ذهبوا فدية الغربة فأقول لهم انه من البديهي ان من يموت في سورية يموت في اميركا . فالموت موجود في هذه كما هو موجود في تلك خل - عنك انه اقل بطشاً في اميركا منه في سورية بدليل وفرة الوسائط الصحية في اميركا وقتلتها في سورية والسوريون في اميركا يحافظون على صحة اجسامهم اكثر بكثير من محافظتهم عليها في سورية

واما القول بان المال الذي فارق السوريون آباءهم وامهاتهم واقرباؤهم من اجله لا يساوي لوعة ام على فرقة فلذة كبدها فهو قول اعده من تلك الاقوال العتيقة البالية التي كانت وما زالت من اسباب الخطا والشر والشرقيين اجتماع الولد بأمه وايه واهله دائماً حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع لا يصير ذلك الولد رجلاً ولهذا ترى رجال الشرق الذين يصح ان يقال فيهم انهم رجال قلائل جداً بل لهذا السبب اصيب الشرق بقحط الرجال

الاميركي يربي ولده ويعلمه وحينما يبلغ رشده يقول له اذهب الى العالم وعاركه ودعه بعاركك واما الشرقي فلا يعلم ولده ولا يربيّه تربية الاميركي ولا يعلمه تعليمه وانما يخاف عليه اذا فارق بيته ولو الى بضعة اميال وهو يعتقد بانه بعمله هذا يجبره ويقار على مصلحته وخير مستقبله وان هذا هو اهم ما يطالب منه ولكن قد فاء ان على هذا الخوف « وعدم هذا الخوف » يتوقف سقوط ام وارتفاع امه واذا لم ينفع سور يو اميركا غير هذا من اميركا فيكفيهم لانهم على هذا المبدأ يستطيعون ان يشيدوا بناء امة عالية واما اللاهون الى ان بقايا حجة من بقاع سورية قد خربت بسبب « مهاجرة »

سوري اميركا وانهم لو ظلوا في بلادهم يتعهدون زرعها وذرعها وتعميرها لكنت درت عليهم وعلى سورية انهار الثروة وكانت هذه الثروة اكبر بكثير من ثروتهم التي حصلوها في اميركا ولكانت تلك البقاع زاوية بالحضارة زاهرة بالمعمران فهو مذهب فاسد من وجوه جمة

هو مذهب فاسد لان الطور الذي زابلوا فيه وطنهم كان طور الخراب . فكانت سماؤه وأرضه خرابا في خراب وجهاته الاربع خرابا بخراب ولم يستطع في ايامه سوريو اميركا وغير سوريي اميركا ان يثروا ولا ان يعيشوا على الاقل عيشة خالية من ضغط الظالمين وجورهم وتمدي الحاكمين واستبدادهم ولا ان ينسوا كلمة في الاصلاح والمعمران

اما كان الفلاح يهجر ارضه ويقطع غرسه ويهمل ضرعه تخلفا من الظلم ؟ اما كان يترك داره تنمي من بناها كرها لا طوعا لان صبره قد عيل في تلك الايام السوداء ولم يبق في وسعه ان يحتمل فوق ما احتمل بصعوبة لا يستطيع بشري ولا وحش برتي ان يطيقهما . لماذا هجرت اوطانكم وخلانكم واخذانكم واخوانكم واعز الناس لديكم ولحبهم اليكم باليهما الاحرار ؟ اهو لكونكم لم تقدرتم على اطاقه ما يطاق ام لا ؟ كنا نتوقع ان تكونوا عادلين في كتاباتكم عنا في ارض غربتنا . كنا ننتظر انصافا لا انجافا ولكن شتمت ولشيتكم احكام ان يحتقرنا ويرميننا بالعيوب والمورات حتى الذين كنا نعلق على فضلهم وصروتهم وغيرتهم كبار الامال بل قضت الافئدة ان يغلطنا حتى حماة العدل وكما الفضل الا ان الايام بيننا وبينهم ولكل عصر احكام

ولخلاصة ان سوريي اميركا لم ينجريوا وانما عمروا ودواعي الخراب المشهور في سورية عائدة الى تلك الحكومة المشهور امرها وان صح ان الذنب كله او جله راجع على سوريي اميركا فلما ذا فررت انتم من وجه الحكومة الجارة قبل سوريي اميركا او بعدم ولم تبقوا في سورية لتصلحوا ما افسده سواكم او لتعمروا لا لتساعدوا على ازدياد الخراب

اشاع والي بيروت وكثيرون غيره اشاعات عن سوريي اميركا لم نسمع بها الا منه ومنهم ولعل الغيرة على مصلحة الدولة دعمت الى تلك الاشاعات . فاذا اقرضنا وجود افتقار بعض السوريين في اميركا الى القوت الضروري فانه من المؤكد والمحقق وجود كثيرين من السوريين الغير (بضم النين والياء) الذين يمتنون بذلك البعض

ويطمعونه ويسدون حاجته وان فرضنا ان السوريين لم يكثرثوا بأخيهام الجائع
فحكومات هذه البلاد الرحومة الشفوقة تعني به وان فرضنا انها لا تعني به فهناك جميعات
في كل ناحية من نواحي هذه الديار غرضها الاعتناء بالفقراء والمعوزين على انني لم اسمع
ولم يسمع غيري ان سوريا مات جوعاً من اول عهد السفر حتى يومنا هذا وكيف
يموت السوري جوعاً وقللاً فرغ كيسه من المال مهما تكن حالته وحرفته في ارض
غربته . واما القول بان هذه الاشاعات هي نتيجة تقارير معتمدي الدولة العثمانية في اميركا
فاننا لاندرى كيف ان هؤلاء المعتمدين يبعثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن
سوري اميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى
وجودهم في اميركا

انا اكتب عن السوريين لا عن سواهم من العثمانيين في اميركا واذا كان هنالك
جمهور من مهاجري اترك سلايك وازمير وسواهما لم يفهموا كيفية التماس الرزق في اميركا
من ابوابه وكان معتمدو الدولة في اميركا يعنون باخوانهم الاتراك المهاجرين (?) لانهم
اتراك ويحملون سواهم لانهم غير اترك ويرسلون في احوالهم التقارير حباً بمصلحتهم
وغيرة عليهم — فليس المعنى ان السوريين العرب في اميركا صاروا اتركاً حتى يصح
عليهم ما اذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما ارسله معتمدو الدولة في اميركا بهذا
الباب
اميركا : يوسف جرجس زخم

مقابر^(١) المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بلحود تحت الثرى تدفن فيها الاموات بعد درجتها في لفائف الاكفان
اما مباشرة في جوف الارض او في جرار كبيرة من الخرف ويظن انه سرى لم ذلك
اقتداءً بقايل حين قتل اخاه هاييل وعجز عن مواراة سواته فبعث الله غراباً ابريه كيف
يوازي سواة اخيه ففعلوا مثله

(١) محاضرة القاها احمد بك كمال العالم الاثري المصري في اواخر ذي الحجة

سنة ١٣٢٨ في نادي المدارس العليا

واقدم الجثث ما وجد منها مقرصاً على الهيئة التي خلقت بها في احشاء الامهات سوى الرأس فانه يبقى منتصباً لا منطوياً بين الرجلين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار الطغيح من الجهة القبيلة الشرقية وفي جهة أبي صير التابعة لمديرية الفيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجعاب وجبل السلسلة ثم استعمرت للحدود لدفن الفقراء على تماذي الزمن وكان للموميات في بادئ الامر ثلاثة أحوال

الحالة الاولى — يكون هيكل المومية مجتمعاً فترس فيه الركب منضمة الى الصدر وموضوعة فوق الوجه وتلحد في القبر على جنبها اليسر متجهة نحو الجهة القبيلة

الحالة الثانية — يجمعون عظام الميت بعد تجر يدها عن اللحم ويفصلون الرأس عن الشق لتحيط الرأس وحفظه سليماً وذلك في بعض الموميات

الحالة الثالثة — حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض من الاثاث الذي يتبها لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رمال ذلك المحروق ويوضع في قدر

وقد خالف الفقراء في صناعة اللحد اولو الثروة والاعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة

في صميم الجبال وعلى الاخص في جبل لويه كالمقابر التي نراها الآن بجوار الاهرام

في مديرية الجيزة فانها آبار تبتدي فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعدا وطولا

حسبما يشاؤون تنتهي بمنامة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة تختلف

عن مقابرنا الآن الا بعمق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل للمنامة غير ضيق فينتحونها

في سفح الجبل ويتركون وجهتها الغربية عالية ويجعلون في آخرها منامة مربعة لدفن

الميت فيها ويصورون في الجزء الاعلى الذي ترك فوق السطح على حافة البئر صورة الميت

وبجانبه باب وهمي لارشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء الى جثتها

حيث ترى شبه صاحبها امامها وبأمامها فلا تضل عن الوصول اليها ويجعلون تحت

هذا الباب الصوري مائدة من الحجر ينصب بجانبها مستلطان صغيرتان وقد كانت

يوضع فوقهما الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور وما هو مبین بقلم النقش على

جدران القبر

وان كان الميت من اعيان الدولة او من سرارة القوم شادوا له مسطبة وهي بناء

جسم مرتفع كالهرم النانص شكلا او كالهرم المدرج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة

في صخر الجبل يوصل الى سرداب طويل يفضي الى منامة معدة لمراة جثة الميت

فتكون المسطبة عبارة عن تركيب النبرثم يرسمون في طول وجهتها من الاعلى نقوشاً
تضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المستطيلة باب المقبرة محلى
بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى اهله وذويه وتكسي ظاهر تلك المساطب بنحيت
الاحجار او يتنقونها باللبن — وفي بعض الاحيان يجعلون للمقابر المنحوتة في صخور
الجبال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصلوات وصور مرسومة بالالوان
كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى
نسب الميت وسلسلة حسبه مرتبة في الواح ترتيباً حسناً من قبيل الحلية والزينة للمكان
وفي بعض الاحيان يجعلون امام القبر اية انا يعمل فيه مدخل يفضي الى المئامة — واما
الملوك فانهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بان جعلوها اهراما كاملة مبنية بالحجر
او باللبن وجعلوا تحتها او في حجمها الاماكن اللازمة للجنحة وللثلاث والقرايين والصلوات
وشحوا في بعض الاحيان جدران هذه الاماكن الداخلية بالنقوش الدينية الصعبة
المعنى واليهما الآن وجه الأثر يون مباحثهم ورعايتهم لا يوضحها وحل مغضاها —
وتبنى الاهرام بطريقة بسيطة جداً وهي انهم يتفقدون اولاً على الرسم المراد ايجاده من
اليوت الداخلية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته وعرضها ثم يملون هذا الرسم الظاهر
البيان الى المهندس المعارف وهو يقوم بالعمل طبقاً للاوامر الصادرة اليه فاذا انجز
الاشغال اللازمة في صخر الجبل من تحت وتفرغ شرع في البناء فيكسوا الاماكن
الداخلية المراد كتابتها بالاحجار الملاء ثم يرتفع فوقها بالبناء فاذا ماعلا فوق الارض
جعل البناء على هيئة المسطبة المائلة الاجنب او المستقيمها بحيث يجعلها نافضة عن
التمتاس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بنائه ومتى أتم المسطبة
الاولى واداراد الشروع في الارتفاع بنى مسطبة ثانية فوقها اقل حجماً منها بحيث يجعل في
الفضاء الذي ترك في المسطبة الاولى زلاقة للعمال توصل الى المسطبة الثانية وهذه
الزلاقة تقام بدون مونة وتقلد بالرمل والحصى ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الارض
الى الزلاقة الثانية التي فوق المسطبة الاولى حتى تنتهي المسطبة الثانية ثم يشروعون في
المسطبة الثالثة ويجعلونها اقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا
يستمر البناء في اقامة مسطبة بعد اخرى حتى ينتهي العمل بأخر مسطبة فتكون
المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستمر
في ملء الفواغخ الموجودة بين المساطب وبعضها متبعين وضع الكسوة الحجرية من

اقل من سائر التقديرات والاحوط هنا هو الاقل وعلى هذا القياس في قدر الذكر ومثاله حسب ما اقتضاه سلوك طريقة الاحتياط . ولا شك انه اصوب خصوصاً في زماننا الذي فيه الآراء متخالفة والحق محجوب والقائم بالحق مستور اللهم ارزقنا توفيق ادراك ملازمته . وتحقيق ما هو الحق من خدمته . والخروج عن عهدته ما هو الصواب من التكليف بفراغ البال . واخلاص عما يوجب تفويت الوقت . وتضييع العمر من القيل والقال . هذا آخر ما اردنا ايراده في هذه الرسالة . وقصدنا الاختتام به في تلك المقالة والله الموفق والمعين

السوريون في اميركا

لا يصح اطلاق اسم المهاجرين على السوريين الذين سافروا من بلادهم الى اميركا كونهم لم يهاجروا ديارهم كما هو المفهوم من معنى المهاجرة وانما يصح اطلاق اسم المسافرين عليهم لانهم سافروا الى اميركا للتجارة لا للاقامة او لمغادرة اوطانهم بنائاً او لجعل اميركا ووطناً جديداً لم أبداً

وجعلهم طريق اميركا طريقهم المطروق ذهاباً واياباً مما يثبت هذا . وسل ايأ كان من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية هل هجرت سورية . يقل كلاً ما هجرتها وانما غادرتها الى حين — تزحت عنها طلباً للاكتساب والاتجار ومتى نجحت ووصلت الى غرضي عدت الى وطني

واما اولئك الذين اشتروا الدور والاملاك في اميركا فلم يشتروها لكي يقيموا في اميركا وانما اشتروها لينتجروا بها ويكسبوا ويثروا فالانتجار في الاراضي والعقار كثيراً ما يفيض على صاحبه ينابيع اللجين والنفار . وسل ايأ كان من الملاكين السوريين في اميركا الا تريد ان ترجع الى ارض آبائك واجدادك اذا تمكنت من بيع املاكك بالربح يقل بلى أريد من قلبي ولكن دور العودة لم يأن بعد . وما بقوله الملاكون بهذا الباب يقوله التجار والعمال والاطباء والصحافيون السوريون في اميركا

وجتهدت على ذلك هي هذه الامور (١) قلة العدل في الوطن (٢) عدم المساواة (٣) شدة التضييق والضغط (٤) عدم وجود الأمن في اراضي سورية المهجورة وغير

المهجورة (٥) عدم وجود العامل المهمة وقلة ابواب الرزق (٦) كثرة التثبيط وقلة التنشيط (٧) كثرة القول وقلة العمل (٨) الابطاء الطويل والمطالة في المامالات هذه هي حججهم الرئيسة وحققهم ان يحتجوا بها . فاذا كانوا قاسوا مذاق الاخطار والاسفار حتى وصلوا الى ديار اتسعت ابواب رزقها وكسبها وكثر عددها وساد أمنها وعمت مساواتها وحريتها وسبق عملها قولها وكثر تنشطها وقل تثبيطها — اذا كانت هذه حالة البلاد التي وطئها اقدام السوري بين غربي بعقلائهم ان يغتنوا فرصة الانتفاع منها والعامل العاقل من وجد الفرص فانتهازها والجاهل الجاهل من اغفرته بنفسها ولم يغتنمها السوريون المتخلفون منقسمون الى اربع طوائف في هذا الموضوع . طائفة راضية عن سوري أميركا . وطائفة غير مبالية بهم . وطائفة غير راضية عنهم وهي غير مخصصة وطائفة غير راضية الا انها مخصصة

اما الاولى فهي عامة الشعب السوري وهي الاكثر عدداً واما الثانية فهي التي لايمسها عمريت البلاد او خربت واما الثالثة فهي التي يلقى بها ان تسمى بالطائفة « المتعنتة » لانه لايرضها شيء في ابدأ تدمر وتتأفف وتفاخر وتباهي باقدارها وتستصغر أقدار سواها كأنها خلقت من طينة سماوية وغيرها خلق من طينة ارضية واما الرابعة فهي الطائفة المخلصة النيرة على وطنها وهي القائلة بضرر « سفر » المهاجرين الى أميركا بعرفي او بضرر « مهاجرتهم » بعرفي، وعرف غيرها والطائفة القائلة بفائدته هي عامة الامة السورية فأيتيها احق بقولها ودعواها انك ام هذه ؟

لاجرم ان دعوى الطائفة الراضية هي الاظهر والاحق واليك البراهين غادر اكثر السوريين نزلاء أميركا اليوم القطر السوري جاهلين القراءة والكتابة فصاروا في أميركا يقرأون ويكتبون غادروها جاهلين كثيراً من آداب السلوك فصاروا في أميركا بآداب سلوكهم من الطبقة الاولى

غادروها جاهلين السياسة الوطنية والاجنبية فصاروا في أميركا من اهل الامام بها وصاروا يفهمون ممتاها ومبتاها ومفزاها ومرماها غادروها عديمي المعارف العمومية تقريباً فصاروا في أميركا ملين بكثير من تلك المعارف

غادروها جاهلين اساليب التجارة فصاروا في اميركا من اهل التجارة
 غادروها جاهلين الصناعات العصرية فصاروا في اميركا عاملين بكثير منها
 غادروها جامدين ظالمين فصاروا في اميركا ناهضين
 غادروها ونفوسهم صغيرة فصاروا في اميركا من اهل النفوس الكبيرة
 غادروها أذلاء فصاروا في اميركا اعزاء
 غادروها منقادين لاهل الاستبداد اتقياداً أعمى فصاروا في اميركا متورين ومن
 دعاة الاستقلال الشخصي
 غادروها ولا صحافة لهم فصارت صحافتهم في اميركا من ارقى الصحف العربية في
 العالم العربي

غادروها فقراء فصاروا في اميركا من اهل اليسار
 غادروها ولا مقام لهم فصاروا في اميركا من اهل المنامات
 غادروها ضعفاء الهمة والعزيمة فصاروا في اميركا من اهل العزائم والهمم
 هذا بعض ما كانوا عليه في سرورية وبعض ما صاروا اليه في اميركا اما ما ارسلوه
 من المال الى سورية فهو اكثر من عشرة ملايين دولار او مليوني ليرة انكليزية ومن
 كان مشككاً بذلك فعليه بمراجعة مصرف لندن والمصرف العثماني في بيروت
 على الاخصر.

منذ عامين سألت احد العمال في مصرف اوها نبراسكا الاول وهو المستر نيسي الذي
 لا يزال حياً يرزق عن قيمة الدرام التي ارسلها سوريو ولاية نبراسكا الى سورية على يده
 من ذلك المصرف فقال: ان ما ارسلوه في شهر واحد بلغ ستين الف دولار اميركي
 اي اثني عشر الف ليرة انكليزية . فاذا كان هذا ارسله فريق من سوربي ولاية
 نبراسكا في شهر واحد فكم هي قيمة المبالغ التي ارسلها ويرسلها غيرهم في غير ولايات ؟
 وأثار ذلك انبعاث الكبير بادية لذي عينين في لبنان وغير ولاية من ولايات سورية
 لما كنت في سورية كنت ارى بأمر عيني المبالغ التي كانت ترد على اهالي راشيا
 الوادي وقرها فكانت تلك المبالغ وحدها تختلف كل اسبوع بين الخمسةائة ليرة والالف
 ليرة حتى كثر المال في ذلك النضاء بين الایدي وكثر الاخذ والعطاء وصار ربا الليرة
 في الشهر عشر بارات وعشرين بارة بعد ان كان قبل عهد الخرنالي اميركا لا يبل
 عن غروشين وثلاثة غروش

والدور الجبلية التي يشاهدها الناس اليوم في الاقاليم والولايات والالوية والمديريات والاقضية التي لها علاقة بسوري اميركا قد بنيت ببال هؤلاء ولولا هذا المال لكانت بقيت بلدان وضياع كثيرة اقرب الى الخراب منه الى العمران ولولا ذلك لكانت قدرت الرعية على تأدية الاموال الاميرية لان البلاد السورية ولاسيما في العقد الاخير من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين كانت بحاجة شديدة الى المال . فالاشتغال في ذلك العهد المظلم امست في خبر كان . وكان الحكام والموظفون واهل السلطة والسيادة قد اغتصبوا البقية الباقية من مال الامة ولم يبقوا لها الا الموت ذلاً وفقرًا وجوعاً وقهرًا

واما دعوى القائلين بان ما ربحته سورية مالياً من طريق اميركا لا يوازي عشر معشار ما خسرت من شبانها ورجلها الذين ذهبوا فدية الغربة فأقول لهم انه من البديهي ان من يموت في سورية يموت في اميركا . فالموت موجود في هذه كما هو موجود في تلك خلّ عنك انه اقل بطشاً في اميركا منه في سورية بدليل وفرة الوسائط الصحية في اميركا وقلتها في سورية والسوريون في اميركا محافظون على صحة اجسامهم اكثر بكثير من محافظتهم عليها في سورية

واما القول بان المال الذي فارق السوري ريف آباءهم وامهاتهم واقرباءهم من اجله لا يساوي لوعة ام على فرقة فلذة كبدها فهو قول اعده من تلك الاقوال العتيقة البالية التي كانت وما زالت من اسباب انحطاط الشرق والشرقيين اجتماع الولد بأهله واهله دائماً حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع لا يصير ذلك الولد رجلاً ولهذا ترى رجال الشرق الذين يصح ان يقال فيهم انهم رجال قلائل جداً بل لهذا السبب اصيب الشرق بقحط الرجال

الاميركي يربي ولده، ويعلمه، وحينما يبلغ رشده يقول له اذهب الى العالم وعاركه ودعه بعاركك واما الشرقي فلا يعلم ولده ولا يربيّه تربية الاميركي ولا يعلمه تعليمه، وانما يخاف عليه اذا فارق بيته ولو الى بضعة اميال وهو يعتقد بانه بعمله هذا يحجب، ويغار على مصالحة وخير مستقبله وان هذا هو اهم ما يطلب منه ولكن قد فاز، ان على هذا الخوف « وعدم هذا الخوف » يتوقف سقوط ام وارتفاع امه واذا لم ينتفع سوريو اميركا غير هذا من اميركا فيكفهم لانهم على هذا المبدأ يستطيعون ان يشيدوا بناء امة عالية واما الناهبون الى ان بقاعاً حجة من بقاع سورية قد خربت بسبب « مهاجرة »

سوريي اميركا وانهم لو ظلوا في بلادهم يتعهدون زرعها ونزعها وتعميرها لكانت درعت عليهم وعلى سورية انهار الثروة وكانت هذه الثروة اكبر بكثير من ثروتهم التي حصلوها في اميركا ولكن تلك البقاع زاهية بالحضارة زاهرة بال عمران فهو مذهب فاسد من وجوه حجة

هو مذهب فاسد لان الطور الذي زابلوا فيه وطنهم كان طور الخراب . فكانت سماؤه وأرضه خراباً في خراب وجهاته الاربع خراباً بخراب ولم يستطع في ايامه سوريو اميركا وغير سوريي اميركا ان يثروا ولا ان يعيشوا على الاقل عيشة خالية من ضغط الظالمين وجورهم وتعدي الحاكمين واستبدادهم ولا ان ينسوا كلمة في الاصلاح والعمران

اما كان الفلاح يهجر ارضه ويقطع غرسه ويهمل ضرعه تخلصاً من الظلم ؟ اما كان يترك داره تنعي من بناها كرهاً لاطوعاً لان صبره قد عيل في تلك الايام السوداء ولم يبق في وسعه ان يحتمل فوق ما احتمل بصعوبة لا يستطيع بشري ولا وحش يوتي ان يطيقهما . لماذا هجرتم اوطانكم وخلانكم واخذانكم واخوانكم واعز الناس لديكم ولحبهم اليكم باليهما الاحرار ؟ اهو لكونكم لم تقدرُوا على اِطافة ما يطاق ام لا ؟ كذا تتوقع ان تكونوا عادلين في كتاباتكم عنا في ارض غربتنا . كذا تنتظر انصافاً لا انحافاً ولكن شتم ولشيشكم احكام ان يحقرنا ويرميننا بالعيوب والمورات حتى الذين كنا نعلق على فضلهم ومروءتهم وغيرتهم كبار الامل بل قصت الافكار ان يغفلنا حتى حماة العدل وكماة الفضل الا ان الايام بيننا وبينهم ولكل عصر احكام

ولخلاصة ان سوريي اميركا لم ينجروا وانما عمروا ودواعي الخراب المشهور في سورية عائدة الى تلك الحكومة المشهور امرها وان صح ان الذنب كله او حله راجع على سوريي اميركا فلما ذا فررتم انتم من وجه الحكومة الجارة قبل سوريي اميركا او بعدهم ولم تبقوا في سورية لتصلحوا ما افسده سواكم اولتعمروا لا لتساعدوا على ازدياد الخراب

اشاع والي بيروت وكثيرون غيره اشاعات عن سوريي اميركا لم نسمع بها الا منه ومنهم ولعل الغيرة على مصلحة الدولة دعتهم الى تلك الاشاعات . فاذا اقرضنا وجود افتقار بعض السوريين في اميركا الى القوت الضروري فانه من المؤكد والمحقق وجود كثيرين من السوريين الغير (بضم النين والياء) الذين يعنون بذلك البعض

ويطمئونه ويسدون حاجاته وان فرضنا ان السوريين لم يكتثروا بأخيهام الجائع
تخكومات هذه البلاد الرحومة الشفوقة تعني به وان فرضنا انها لا تعني به فهناك جمعيات
في كل ناحية من نواحي هذه الديار غرضها الاعتناء بالفقراء والمعوزين على انني لم اسمع
ولم يسمع غيري ان سوريا مات جوعاً من اول عهد السفر حتى يومنا هذا وكيف
يموت السوري جوعاً وقللاً فرغ كيسه من المال مهما تكن حالته وحرفته في ارض
غربته . واما القول بان هذه الاشاعات هي نتيجة تقارير معتمدين الدولة العثمانية في اميركا
فاننا لاندري كيف ان هؤلاء المعتمدين يعثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن
سوريي اميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى
وجودهم في اميركا

انا اكتب عن السوريين لا عن سوام من العثمانيين في اميركا واذا كان هنالك
جمهور من مهاجري اترك سلايك وازمير وسواهما لم يفهموا كيفية التماس الرزق في اميركا
من ابوابه وكان معتمد الدولة في اميركا يعنون باخوانهم الاترك المهاجرين (?) لانهم
اترك ويحملون سوام لانهم غير اترك ويرسلون في احوالهم التقارير حياً بمصلحتهم
وغيرة عليهم — فليس المعنى ان السوريين العرب في اميركا صاروا اتركاً حتى يصح
عليهم ما اذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما ارسله معتمد الدولة في اميركا بهذا
الباب اميركا: يوسف جرجس زخم

مقابر^(١) المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بلحود تحت الثرى تدفن فيها الاموات بعد درجها في لفائف الاكفان
اما مباشرة في جوف الارض او في جرار كبيرة من الخنز ويظن انه سرى لم ذلك
اقتداء بقايل حين قتل اخاه هایل وعجز عن مواراة سواته فبعث الله غربا ابريه كيف
يوازي سواة اخيه ففعلوا مثله

(١) محاضرة القاها احمد بك كمال العالم الاثري المصري في اواخر ذي الحجة

سنة ١٣٢٨ في نادي المدارس العليا

واقدم الجثث ما وجد منها مرفصاً على الهيئة التي خلقت بها في احشاء الامهات سوى الرأس فانه يبقى منتصباً لا منطوياً بين الرجلين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار اطفيح من الجهة القبلىة الشرقية وفي جهة أي صير التابعة لمديرية الغيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجباب وجبل السلسلة ثم استمرت للحدود لدفن الفقراء على نمادي الزمن وكان للموميات في بادىء الامر ثلاثة أحوال

الحالة الاولى — يكون هيكل الموية مجتمعاً فترى فيه الركب منضمة الى الصدر وموضوعة فوق الوجه وتلحد في القبر على جنبها اليسر متجهة نحو الجهة القبلىة

الحالة الثانية — يجمعون عظام الميت بعد تجريدها عن اللحم ويفصلون الرأس عن الدنق لتحنيط الرأس وحفظه سليماً وذلك في بعض الموميات

الحالة الثالثة — حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض من الاثاث الذي يتيمأ لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رماد ذلك المحروق ويوضع في قدر وقد خالف الفقراء في صناعة اللحد اولو الثروة والاعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة في صميم الجبال وعلى الاخص في جبل لويه كالمقابر التي نراها الآن بجوار الاهرام في مديرية الجيزة فانها آثار تبتدي فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعدا وطولا حسبما يشاؤون تنتهي بمائة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة تختلف عن مقابرنا الآن الا بعنق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل للنامة غير ضيق فينحتونها في سفح الجبل ويتركون وجهتها الغربية عالية ويجعلون في آخرها منامة مربعة لدفن الميت فيها و يصورون في الجزء الاعلى الذي ترك فوق السطح على حافة البئر صورة الميت وبجانبه باب وهمي لارشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء الى جثتها حيث ترى شبه صاحبها امامها وباباً معها لها فلا تضل عن الوصول اليها ويجعلون تحت هذا الباب الصوري مائدة من الحجر ينصب بجانبها مسلتان صغيرتان وقد كانت يوضع فوقهما الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور مما هو مبین بقلم النقش على جدران القبر

وان كان الميت من اعيان الدولة او من سرارة القوم شادوا له مسطبة وهي بناء جسيم مرتفع كالمرم النافض شكلا او كالمرم المدرج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة في صخر الجبل يوصل الى سرداب طويل يفضي الى منامة معدة لمواراة جثة الميت

فتكون المسطبة عبارة عن تركيب التهرثم يرسمون في طول وجهتها من الاعلى نقوشاً
تضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المستطيلة باب المقبرة محلى
بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى اهله وذويه وتكسي ظاهرها تلك المساطب بنحيت
الاجار او يتنونها باللبن — وفي بعض الاحيان يجعلون للمقابر المنحوتة في صخور
الجلال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصلوات وصور مرسومة بالالوان
كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى
نسب الميت وصاحبه مرتبة في الواح ترتيباً حسناً من قبيل الحلية والزينة للمكان
وفي بعض الاحيان يجعلون امام القبراء، انا يعمل فيه مدخل يفضي الى المأمة — واما
الملوك فأنهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بان جعلوها اهراما كاملة مبنية بالحجر
او باللبن وجعلوا تحتها او في جملها الاماكن اللازمة للجثة وللآثاث والقرابين والصلوات
وشحنوا في بعض الاحيان جدران هذه الاماكن الداخلية بالنقوش الدينية الصعبة
المعنى واليهما الآن وجه، الأثريون مباحثهم ورعايتهم لا يضاعها وحل مغمضاتها —
وتبنى الاهرام بطريقة بسيطة جداً وهي انهم يتفقون اولاً على الرسم المراد ايجاده من
البيوت الداخلية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته، وعرضها ثم يسطرون هذا الرسم الظاهر
البيان الى المهندس المعماري وهو يقوم بالعمل طبقاً للاوامر الصادرة اليه فاذا انجز
الاشغال اللازمة في صخر الجبل من نحت وتفرغ شرع في البناء فيكسوا الاماكن
الداخلية المراد كتابتها بالاجار الملاءم ثم يرتفع فوقها بالبناء فاذا ما علا فوق الارض
جعل البناء على هيئة المسطبة المائلة الاجناب او المستقيمة بحيث يجعلها نافذة عن
القياس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بنائه ومتى أتم المسطبة
الاولى واراد الشروع في الارتفاع بنى مسطبة ثانية فوقها اقل حجماً منها بحيث يجعل في
الفضاء الذي ترك في المسطبة الاولى زلاقة للعمال توصل الى المسطبة الثانية وهذه
الزلاقة تقام بدون مونة وتقل بالرمل والحصى ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الارض
الى الزلاقة الثانية التي فوق المسطبة الاولى حتى تنتهي المسطبة الثانية ثم يشرعون في
المسطبة الثالثة ويجعلونها اقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا
يستمر البناء في اقامة مسطبة بعد اخرى حتى ينتهي العمل بآخر مسطبة فتكون
المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستمر
في ملء الفواغ الموجودة بين المساطب وبعضها متباعد وضع الكسوة الحجرية من

القمة الى القاعدة حتى يتم الهرم واما الاهرام المقامة باللبن فانها كالاھرام المقامة بالاحجار من حيث الوضع والرمم في الاماكن السفلى ولا تختلف عنها الا بالمادة لانها تنقام بوضع اللبن المصنوع بالطين وخط القش بهيئة مدامك بعضها فوق بعض ويكون بين المدامك والآخر طبقة خفيفة من الرمل في مقام المونة لتثبيت اللبن في مكانه فلا تدكه زلازل الارض ولا تزعزعه الزوابع والعواصف

مقابر طيبة

هذه المقابر منحوتة في جوانب الجبل بوادي يعرف الآن ببيان الملوك وبآخر يعرف ببيان الحریم وغالب هذه المقابر يشتمل على طرقات ويوت بعدد وفيها نقوش بالوان وبدون حفر تتضمن تقديم القرابين واقامة الصلوات بناء على ما هو مرسوم في كتاب الموتى المنقوش صورته على حيطان الاهرام

ولا بد لكل قبر من الباب الوهمي لكونه يقوم مقام الايوان الذي يشاد امام المقابر مشحوناً بالرسوم والنقوش وينقشون على هذا الباب توسلاً الى أسوريس أو الى (خونومر) أو مينو أو أمون أو إيتاح أو أتومو أو (رع) أي الى معبودات منف وعين شمس التي عمت عبادتها المدن والقرى في بعض الاقسام بعد ان كانت معبودات للحاضرات الشهيرة تلك هي أوصاف المقابر على وجه عام

تشييع الجنازة

اذا حضر احدهم الموت جهزوه مدة سبعين يوماً وهي المقررة عندهم للتحنيط ثم وضعوه فوق سرير جميل كالوجود منه بعض نماذج في المتحف المصري ووضعوا تحت هذا السرير اربعة قدور فيها احشاؤه التي نزع من جوفه وقت التحنيط ولكل قدر غطاء له صورة مخصوصة اما كراس الانسان او كراس ابن آوى او كراس الباشق او كراس القود أي انها تمثل اولاد حوريس الاربعة وهم (حور) و(أسيب) و(قيح سنو) و(ديوموتف) المعبود لهم حفظ الاجشاء الضرورية للحياة وفي هذه الاثناء يكون القبر قد تمهيأ واستعد للميت ويكون نعيه قد بلغ احبائه ومعارفه ومتى اصبح الصباح وحان وقت (اخفاء رأيه في وادي اوتى واجتماعه بالارض) حسب تعريفيهم هنالك تجلس وفود الناس ويرفعون النمش فيقوم زوجته وخدماتها ويتعلقن بالنعش ويمنجن خروجه من البيت وتأخذهن عبرات الحزن فيكيبن وينحن ويولولن فتجهد الرجال في خلاص النمش ويخرجونه عنوة من باب داره ثم يسيرون به الى

القبر فتبدي^٤ الجنازة بطائفة من العبيد والخدم ومعهم القرايين وهي فطير وازهار وجرار ماء وقارورات فيها شراب ونوافع عطر وطيور مجهرة فوق سلال وعجل يسحبه رجل ليضحي كفارة للميت وعلب في بعضها مأكولات وفي بعضها تماثيل صغيرة لازمة لروح الميت — ومعهم ايضا صوان عليها صحاف فيها فاكهة حولها جريد النخل الاخضر

والطائفة الثانية تحمل الاثاث المعتاد كصناديق الملابس والارائك التي تفتح وتغلق أو ذات المخادع والسرر الجليلة اللازمة للميت تليهم خدمة الاسطبل يقلون عربة كاملة الادوات فيها الجنب والسهام ثم المبراخور يقود عربة يسحبها اثنان من جياذ الخيل والطائفة الثالثة وهي اكثر عدداً من الطائفتين الاولى والثانية نقل التناقي وصندوقا لقدور الاحشاء ثم قدور الاحشاء نفسها فالوجه المستعار المصنوع من المقوى والمصبوغ باللون الازرق والمموه بالذهب ثم الاسلحة والقبضان وعصي الادارة والقلائد والجلعان والنسور المبسوطة الاجنحة على هيئة الدائرة لوضها فوق صدر الميت من قبيل الزينة ايام الاعياد ثم السلال والتماثيل الصغيرة وباشقا برأس انسان رمزاً الى الروح وقد يكون بعض هذه الاشياء من الذهب المصبوب والبعض الآخر مموه بالذهب حتى ان كل من رآها مارة امامه اخذت بعصره لكثرة بهجتها وبريقها

والطائفة الرابعة فيها النائمات يسرن بضجة وغواش وعبد يصب فوق الارض من وقت لآخر بعض نقط من اللبن كأنه يشير الى ارقاد التراب النائرة ثم يعقبه قسيس متشح بجلد النمر يثر بملقعة من الذهب العطر على جموع الخلق — ومن خلفه يأتي النعش وهو على شكل سفينة اسورس فيها نائمات اسيس ونفتيس وفي مقعدها المحكم الوضع قد وضعت جثة الميت محجوبة عن العيون وحولها زوجته واولاده بلبهم احبائه بأغفر الملابس ويبد كل واحد عصا يتوكأ عليها ثم تأتي جيران الميت سائرين بدون نظام وعلى هذا الترتيب تمر الجنازة في الطرقات المعوجة بنظام تام وفيها سفينة النعش فوق السحافة تسحبها الثيران وتسير الهوبنا مستمرة على ذلك مدة ساعات

فيما يحصل اثناء تشييع الجنازة

متى خرج النعش من بيت الميت كثرت البكاء والنحيب وضجت النائمات المأجورة بالولولة والصراخ فيصحن ويصخبن ويقطعن شعورهن ويبدن من الامور ما يستوجب الزفات والحمرات والاسف الزائد وهذا خلاف ما يحصل من اهل الميت واحبائه

قترام في صراخ وانين وبكاء وعويل النساء منهم يتناوبن الرثاء والتأبين طائفة بعد أخرى ويقان ما معناه :

« الى المغرب مسكن اسوريس . الى المغرب أنت الذي كنت احسن الناس وكنت تبغض الرباء » فتجيبهن النائحات ويقان المعبودات نفسها تنفيعك لانك ذاهب اليها الرئيس الى المغرب

هذا ما يحصل من طوائف النساء واما ما يحصل من سائق الثيران التي تسحب النعش فوق الارض فانه يحث هذه الثيران ويقول لها :

« الى المغرب ايها الثيران الساحبة للنعش الى المغرب (الا ترى) ان سيدكم ات خلفكم » فتجيبه الاحباب قائلين :

« لنند اقل طالع الرجل العظيم الذي طالما احب الصدق وكره الكذب » اه

ثم تستمر الجنائزة بعد ذلك في سكوت تام برهة من الزمن وبمدها يصيح احدي النائحات بالرثاء والندب فيجيبها النسوة بما يناسب نديها وهكذا تسير الجنائزة بين نعي ونحيب كما هو حاصل الى الآن في الجنائز وعلى الخصوص في الوجه القبلي وكل من سمع بالجنائزة وجب عليه الاسراع اليها مراعاة لخاطر اهل الميت ووفاء بما تقضيه عادات البلاد وكذا كل من حضر قدم واجب التعزية والسلوان قائلا « الى المغرب » مضمنا اليها — بمض عبارات تشف عن حسن خصال الميت ونصائله ومحاسن اعماله المبرورة وعمائمه من الرقي والشرف في دار دنياه . وقد بدرجون في تعازيهم ما يثير الى فتاء هذه الدنيا والى بقاء الآخرة والى التحفظ والوقاية من هول يوم القيامة . ومتى اقبلت الجنائزة الى شاطئ النيل نزلت حملة القرايين في السفن المعدة لهم ونزلت النائحات وعائلة الميت في سفن اخرى ويضعون النعش في مقعد السفينة بعد كدء ظاهره اما بالانسجة المزركشة المدبجة بانواع الالوان او بستار من الجلد المصبوغ بالالوان المصنوعة صناعة جميلة تشهد لصانعها بالفضل والدوق السليم وفي أثناء جواز النيل يكون الناس وقوا في السفن وجوههم نحو النعش وفيما اسلفنا قلنا ان هذا النعش صنع على نمط الفلك السري الذي اعد للمعبود اسوريس واثبت له عبادة في مدينة العرابية ويعرف عندهم باسم نشتيت اي مبرقش بنقط سود ونقط بيض او المرفوع الذكر . وهو رقيق الجسم خفيفة وشكله مسطح قليل وفي مقدمه ومؤخره زينت من المعدن على هيئة زهر اللوتس وكلاهما مائل ميلا خفيفا الى الامام يخالها الرأي انهما يتوآن لثقل ماني السفينة وفي وسط هذا

الفلك مقعد مزين بياقات من جريد النخل الاخضر فتطوف حوله زوجة المتوفى واولادها نائمة ويكون معها قسيان عليهما لباس وعصابات كزي المعبودتين لاسيس ونفتيس ومعلمهما خلف النعش لوقايته ويقف القسيس المترس على الجنازة امام النعش ويده مجزة يحرق فيها الخنجر وتكون سفينة التامحات خلف سفينة النعش اما باقي السفن فانها تسبح على مقربة منها بقوة المجاذيف وقوة الرجال وهذا التشيع يعرف عندهم بالرحلة او الانتقال الى الدار الآخرة فاذا مارسا النعش على الشاطئ استقبله جموع الناس بالتبجيل والاكرام مودعين له وقائلين :

« لقد حان لك الدخول بسلام في القبر فعليك منا السلام فاذهب بسلام الى العرابة واهبط بسلام نحوها ونحو بحر الغرب » اه
ولقد كان لجواز النيل عندهم شأن عظيم لان الانتقال من هذه الدنيا الى دار الآخرة تختلف احواله عند الامم اما المصريون فقد عرفوا المكان الذي تذهب منه الارواح للموت في دار البقاء وهو عبارة عن نخوة في الجبل الواقع غربي العرابة المدفونة ولا يتأق في الارواح العبور منه في سفينة اسوريس ومن ثم كان عبور الميت للآئيل هو استعداد روحه وتأهبها لتوجهها نحو الفجوة الآتفة الذكر وهناك ترقب محبي الشمس في سفينتها فتقبل بما فيها من طائفة المعبودات نزلت فيها وسبحت في السماء بجثرة اللجة السماوية برسومها في اثناء ذلك اما حالة في جثتها ومحلة بلا بلا المعنادة كأنها حية في دار دنياها او يجعلونها نائمة في نعش حوله التامحات والقسوس ومن خلفها سفن مشحونة بالقرابين ولقد ذهب اليونان بناء على ما بلغهم من الروايات الى ان اغنياء المصريين كانوا يفضلون دفنهم في العرابة بجانب اسوريس وهي البقعة المباركة عندهم ولكن علماء من بعض جثث اولئك الاعيان الذين قيل بدفنهم في العرابة انهم لمخودون في مقابرهم التي اقاموها في منف او في بني حسن او في طيبة فانضح ان الرحلة انصوص عنها في النقوش المصرية القديمة هي للروح لا للجسد — ولنرجع الى امر الجنازة فنقول ان جموع العالم تصبح اثناء تشيع الجنازة وتقول : « الى المغرب الى المغرب دار الحق لقد نعاك وبكاك المكان الذي كنت تمهوا » وتقول التامحات بسلام بسلام اذهب بسلام ايها المدفون الى المغرب سنراك ان شاء الله يوم الحشر لانك ستذهب الآن الى الارض التي تمزج الناس بعضها ببعض »

ثم تصبح الزوجة قائلة

بابلي يا اخي يا حبيبي قف واستقر في مكانك ولا تبتعد عن المكان الديني الذي انت فيه واوجيعته مالي اراك ذاهباً الى السفينة لتجتاز النهر — يا ايها الملاحون لا تسرعوا به بل دعوه لانكم متعودون الى منازلكم اما هو فراحل الى دار الخلود — لماذا اتيت ابنتها السفينة الاسورية ونزعت مني هذا الذي يفارقني؟؟
اما الملاحون فلا يعبأون بهذه العبارات الحزنة ولا يعيرون لها اذناً واعية بل يقولون
كن ثابتاً فوق سطح السفينة لاننا اقربنا الى الشاطئ

ومتي اقبلت السفينة المثقلة للنعش بقوة وتصادمت بالشاطئ ربما يقع منها بعض الرجال في النهر وكذلك لما تأقني باقي السفن وترسو بجانبها بتساقط منها في لجة النيل بعض القرايين لشدة تلاطمها بالشاطئ لكن لا بدلت احد لذلك بل يستمر الاحباب في تأيينهم وراثتهم قائلين

ما اسعد هذا المدح حيث ساعده الحظ فتوجه الى الراحة في قبره الذي اعده لنفسه وسينال من المعبد الرحمة الواسعة فيسمح له بالذهاب الى المغرب محفوفاً بالخدم من جيل لا آخر — وهذا الرثاء لا يمتدحهم عن البكاء والعويل ثم انهم يخرجون الموميا من السفينة ويضعونها ثانياً فوق السحافة وتنظم الجنائز في شكلها الاول وتسير بهذا النظام الى سفح الجبل وهناك يتعذر على الثيران سحب الشعش فتحمله الرجال فوق اعناقهم ويسيروا به الهويتا الى باب القبر المعد لدفنه حيث يجدون هناك نوع مسطبة يوضع الشعش عليها فينصبون صندوق الميت فوق كتيب من الرمل ويعملون وجهه نحو جوع العالم كأنه حل بيته الجديد صحبة احبابه وكأنه قد تأهب لوداعهم للدخول في سكنته الجديد هنالك يتجدد البكاء والعويل وتعلو الاصوات بالنحيب والابنين ويرتفع الصياح والصراخ ويأتي اهل الميت بالازهار فيضعونها فوق صندوقه ثم يعانقونه ويدعونه فتقول الزوجة :

« انا اختك ايها العظيم فلا تتركني فهل تقصد حقيقة ايها الاب العزيز ان تباعد عنك ؟ متى فارقتك صرت وحيداً فهل لك من انيس يرافقت — انا اخطبك انت الذي كنت تود المزاح معي مالي اراك ساكتاً لا تتكلم » اه
وتكون جاريتها في هذا الوقت جاثية خلفها فتقول :

« ها قد اخذ سيدي مني وترك خدمه »

ثم تقول النائمات بعدها

« نوحوا عليه نوحوا وابكوه بلا انقطاع وصيحوا باعلى اصواتكم ٩ وقولوا) ايها الرحالة العظيم المتوجه الى ارض الخلود لقد نزعنا منك فالان نخطبك انت الذي كنت تحب حراك رجلتك لشيئ ما لنا نراك مغلولاً مقيداً مكفناً انت الذي كان لك كثير من الملابس الفاخرة وكنت تحب القماش الالبيض مالم نراك الآن زائداً في ثيابك (التي كانت عليك) بالامس

لقد اصبح الذي يبكيك (كأنه) يتيم الامام والقلب محتوماً عليك لما اصابه من الحزن وحائماً حول جثتك

وفي اثناء العويل والبكاء على الميت يحرق القسيس البخور ويهرق التراب ويقول (هذا) لجنتك ايها المتوفى فلان الصادق القول لدى المعبود العظيم عند ذلك تخفي الموميا في جدها وتستقر في ظلمات القبر الى دهر الدهارين

ولما كان القبر مكنناً لميت كساكن الدنيا للاحياء رأوا ان يجعلوا فيه اماكن للزينة ومصلى يأتي فيها اهل الميت بالقرابين والضحايا في كل يوم عيد وفيه اماكن خصوصية لا يدخلها سوى جثة الميت ويزينون داخل تلك الاماكن بالرسوم والكتابات بعد تليطها ملاحاً لطيفاً يظهر محاسنها ويجعلون تلك الرسوم الواحاً متعاقبة يعلو بعضها بعضاً بهندام ونظام حتى تصل الى السقف فيصورون حرث الارض والزراعة والحصيد وتخزين الغلال وتربية الحيوانات وصيد البر والبحر ويعامل النجارين وصناع العربات والنقائين والصاغة والزجاجين والخبازين وتحضير الطعام واستعداد الموائد مرفقة بالاغاني ورقص العوالم وكل ذلك طلاسهم يعتقدون انها تتحول الى حقائق بسر صيغ يتلوها ليستمع بها الميت في قبره فان اشتبهى شيئاً بتغذى ، فما عليه الا ان يختار ماشاء من الابقار او الاشياء الاخرى المرسومة في قبره ومتى وقع نظره عليها تحولت الى حقيقة وتلذذ بها كما كان يتلذذ في دار دنياه تلك هي عقائدهم التي ساقطهم الى زخرف المقابر ولذلك ترى في رسومها صورة صاحب القبر قد اخذت فخذ الثور من يد خادمها وتغذت منه هذا ما فعله اموات فقراهم

اما اموات الاغنياء وارباب المظاهر فانهم لا يحتاجون غالب الاحيان في اوائل موتهم الى شيء من الرسوم على جدران القبور لان اهلهم وذوهم يقدمون لهم في المواسم وغيرها ما تشتهيهم انفسهم من المأكول والمشرب فيذبحون الضحايا من بقر واوز ويقدمون التبيذ والجمعة وغيرها الي امون او اموريس او فتاح او خونسو فيأخذ المعبود شيئاً منها

لنفسه ويرسل الباقي الى الميت المراد بتلك القرايين ومن ثم وجدت الاوقاف على الاموات وبنوها على شروط كانوا يرمونها مع قسوس للعباد وهؤلاء يقدمون ما هو موقوف للقبور من الاشياء ويقومون بالصلوات والدعوات في الاوقات المعينة وعليه كانت العناية بالحناء ذكر الاموات من الامور المهمة عندهم تكن مع وجود هذه العناية ومرور المدد الطويلة على الاوقاف كان ينتهي امرها بالانقطاع اما لانقراض العائلة واندراسها او بتبديد الاوقاف عقب الانقلابات الكبيرة وبذلك ينقطع الوارد عن الميت فعندئذ لا يجد امامه الا ما هو مرسوم فوق جدران قبره لكن كيف يتسنى للميت القيام والقعود واستمرار الحركة مع ان الموت افقده ذلك والتصبير حول جثته الى جسم لاهرك له ولا قدرة فلا يستطيع المشي ولا التكلم ولا النظر ولا تأدية شيء من الوظائف التي عليها مدار الوجود فلاجل خلاص الجثة من هذه المقيدات المعطلة لعامة حركات الجسم اوجدوا طريقة يسمونها (فتح القم) وهي ان رئيس القسوس واعوانه وهم اولاد حوريس وقفون الجثة المخططة فوق كتيب من الرمل في آخر المصلى المعدة لها وبقراون عليها الصيغة المندسة السرية التي تلاها حوريس على جثة اسوريس ثم يطهرونها بالماء القراح وبالماء الاحمر ويخور الجنوب وبالشب الوارد من الوجه البحري كما يفعل لتماثيل المعبودات عند الشروع في تقديم الحيايا لهم ثم يعملون له العمل اللازم لابقائه من السبات والامانة وتخلسه من افائن الاكفان ويرجعون له الظل الذي تقلص منه وقت خروج روحه ويردون اليه جميع حركاته فيصير جسمه المخطط حياً في عقيدتهم فيتغذى ويتعم كما كان في دار دنياه فاذا كان الجزاؤون يذبحون ثور الجنوب ويقطعون به بعد دفن الميت اسرع القسيس بتناول نخذ هذا الثور ويقدمه لقم الوجه المستعار الموضوع فوق رأس الجثة المخططة لاعتقاده انها حية وانها تتناول شيئاً من ذلك ولما يجد عدم الفائدة بأخذ آلة من خشب لها نصال من حديد ويبربها على فم الجثة مردياً بذلك فتمح فيها ثم يتلو صيغة على الموميا فيصبح في استطاعتها حسب عقيدتهم الذهاب والاياب والنظر والسمع والكلام وتناول شيء من القرايين التي تقدم لها بل وتستطيع ان تدعو كل من راقبها يوم الجنازة الى اول ولية تقدم لها في قبرها بعد الدفن وذلك انهم متى وضعوا تابوت الجثة في منامها انت العبيد بالقرايين وبالقدور الاربعة التي فيها احشاء الميت والصدائيق والاثاث والمأكولات التي احضروها مع الجنازة فيتلو عليها القسيس صلاة معلومة عندهم بعد وضعها في القبر ثم يخرج من عندها وقيم عليها البنائون سداً محكم في نور المشاعل وبعد

فنجيز هذا العمل تقدم العبيد مائدة للخاصين امام القبور في المصلى فيحضر في هذه الوليمة تمثال الميت المرسوم رسماً بارزاً في آخر القاعة الثانية ويتوهمون انه يتناول ما يخصه من هذه الوليمة حسب عقيدتهم القاضية بان للاشياء روحاً وشجاً كما للانسان والحيوان فتمت ذهاب الموميا الى قبرها تلبسها الحياة وتتمتع بفضائلها كما كانت في دار دنياها فالشيخ الموهوم للكرمي او للسريير هو كرمي وسريير حقيقي لجثة الانسان المدفونة فيتمتع بهما ويتلذذ بما يقدم من الشراب واللحوم ايام الجفازة كأنها حية معهم وبينما يكونون مغمورين في ملاذ المطاعم تشغل النساء بالرقص والقصف ويشرن في اغانيهن تارة الى الميت وطوراً الى الاحياء مع مراعاة السجع فيقلن

اكتسب حظ يومك ما الحياة الا لحظة اكتسب حظ يومك لانك متى دخلت قبرك مكثت فيه مكوئاً ازلياً الى دهر الداهرين

فاذا انقضت هذه الوليمة تأهب الجموع للرحيل فعندئذ يقوم العواد امام تمثال الميت ويديه العود ويشرع في نشيد الاغاني القديمة فيقول مامعناه

الدنيا دار انقلاب وتجدد مستمر اذ الامر الذي قضى به اسوريس المعبود الكبير من الغرابة يمكن وهو انه من حسن القضاء (والقدر) انه كلما فني جسم وانقضى حل غيره مكانه وهذا معروف من قديم الزمان (كيف لا) وان الفراغة الاول الذين كانوا يعبدون ودفنوا في اهرامهم ودفنت معهم في تلك الازهرام جثثهم واشباحهم تركوا ما كان لهم من مقاعد القصور التي شيدوها فانقضت نخبهم فلا تياس (ايها الحي) بل اتبع شهوتك ومرورك قدر ما تستطيع وطول ما تعيش في هذه الدنيا فلا تضيئ نفسك الى ان يأتك اليوم الذي يتوصل فيه الانسان الى اسوريس صاحب القلب الثابت فلا يسمع له — كل بكاء الناس لا يفيد الميت الذي في قبره فاكسب حظ يومك ولا تهمل ما فيه مسرتك فلم يستطع احد اخذ شيء من امواله الى دار آخرته ولا احد ذهب اليها وعاد اه

اما اعتقادهم في الجثة فبعضهم يقول انها تبقى في القبر مرتابة الوجود قليلة التحمس بنفسها فلا تبرحها الا اذا انقطع عنها وارد الموءونة اي القرابين التي تقدم لها من لبن اهلها واعتزاها الجوع ويحكون انهم يرونها هائمة في القرى وتلقي نفسها بشراسة على البقايا الموجودة فوق الارض وعلى اقبح القاذورات ويحدث عندها القحط عواجل الفيظ وحسب الانتقام من الاحياء الذين اهلوا امرها فتهم عليهم وتعنفهم وتجدد

فيهم الامراض — ويحكون أيضاً ان بعض الجثث او اشباحها مع تقديم القرابين لها والقيام بما يلزمها فانها شرسة الطبع فتحملها شرستها الى اضطهاد اقرب اهلها فقد جاء عنهم في الآثار ان رجلاً احسن معاشرة زوجته واقام لها جنازة فاخرة يوم وفاتها ووقف لها اشياء كثيرة الا انها نقصته بالاذى فكانت تأتبه كل يوم بهيئات فظيعة ولم يثبتر له اخلاص من سوء اعمالها فلما فرغت جعبة صبره ولم يستطع تكبد هذا التعنيف المستمر كتب لها جواباً ذكر لها فيه حسن المعاشرة والتودد الذي كان بينهما وسألها عن الاسباب التي دعته الى هذه الاعمال السيئة فقال لها ماتعريبه :

منذ صرت زوجاً لك الى هذا اليوم ما الذي فعلته نكايه فيك واخفيه عنك ماذا تفعلين حينما اعترف (امام الرب) بما فعلته لك وقت عرضنا عليه امام مجلسه حينما ادافع بنفسه عن مظلتي امام معبودات الآخرة ويحكم عليك بناء علي ما احمره لهم في مظلتي من مساويك (اخبريني) ماذا تفعلين اه

ثم انه علق هذه الكتابة في تمثال من خشب علي هيئة المرأة ووضعه في قبر زوجته فلما وصلها هذا الجواب خافت من لقاء ربها ومحاسبتها اراحة من تعنيفها — وكثير منهم يقول ان الروح تغادر قبرها وتهاجر الى ارض اخرى كائنة خلف الفجوة الآتفة الذكر وهي الواقعة في جبل العرابية وفي تلك الارض ممالك حقيقية للاموات كل مملكة تحت رعاية معبود مثل ختانتني وبتاح سكرى واسوريس وهذه المعبودات تقبل ارواح المصريين الذين عبدوهم في دار دنياهم فكل من توصل مثلاً الى اسوريس كان تابعاً له وفي مملكته وكل من انتفى الى بتاح سكري كان من اتباعه وفي مملكته وسمى وميتق اسوريس او وميتق ختانتني — واعمر تلك الممالك واكثرها سكاناً مملكة اسوريس وهي عبارة عن جملة جزر نرى من هذه الدنيا اكدافها الظاهرة فجتها البحرية الشرقية السماء وجتها الشرقية الحجرية وهي الشهيرة بآم النجوم ولا يمكن الوصول اليها الا بعد سفرونه مشاق واخطار فتي غادرت الروح جدها جعلت ظهرها نحو الوادي وزجت بكل جسارة وجراً في اغوار الصحراء فتصادفها احدى الجميزات الباسقات هناك في وسط الرمال وتعرف عند فلاحيهم بالشجرة المسحورة فتشاهد بين افئنانها اما المعبودة (نيت) او (حاتحور) او (نوت) فتقدم لها هذه المعبودة صفحة بها خبز واخرى بها ماء فكل روح قبلت هذه العطية كانت من اتباع هذه المعبودة ولا يمكنها الخروج من مملكته الا باذنها ورضائها ويوجد فيها ورا الجميزة بلاد مخفوفة بالخوف مشحونة بالشعابين

والحيوانات الضارية وفيها سهول فيها جميع واباطح تسكنها نسايتس كبيرة تصطاد الارواح بالحبال ويحكون ان كثيراً من الارواح وقعت في تلك المخاطر فهلكت اما ما يكون منها محصناً بالثأتم والشعابذ متوقفاً بسر الطلامم السحرية القوية فانها تقتحم الاخطار وتنجو منها حتى تصل الى شاطئ بحيرة تسمى (خا) فتشاهد هناك الجزائر العديدة فيأتيها بحوث على شكل الطائر ايس المعروف (بابي حنس) ويأخذها على جناحه او يأتيها الملاح المقدس ويأخذها في سفينة الى ان يأتي بها الى اسوريس فيسألها هذا المعبود امام اعضائه وهم اثنان واربعون قاضياً عن اعمالها في دار دنياها ويناقشها الحساب ويزن قلبها تحوت في كفة ميزانه وحينئذ تأتيها معبرة يقال لها (معت) اي العدالة فتلقنها الاعترافات السلبية لتبرأ من كل تهمة توجهت اليها ثم تدخل بعدئذ في رياض يقال لها (سغيت ابالو) في زمرة الارواح السعيدة وهي اراض طيبة المخصوصة يعلو فيها القمع الى سبعة اذرع بما في ذلك السنابل التي تبلغ ارتفاع الواحدة منها ذراعين

والموتى هم المكلفون بزراعته وجمع محصولاته وتخزين الغلال وتد ينوب عنهم في هذا العمل الناق تماثيل صغيرة توضع بجانب جثثهم في القبور ويقال لها (شبتى) اي المحبة وقت نداء صاحبها مباشرة اعمال الفلاحة في حقل (ابالو) المذكور في الاوقات المعينة اما باقي اوقانها فتكون في ولائم مستمرة وفي اغاني ومسامرات ومسررات لانهاية لها

وكثير منهم يقول بيطلات هذه العقيدة وفسادها لما فيها من الخشونة والفظاعة وهؤلاء كانوا يمتهدون في الوقوف على الحقائق وينسبون للارواح درجة اشرف وارقي من ذلك

وكانت لكمته (امونرع) مذاهب في حقيقة ما توول اليه الروح وكلها ضروب من تحمين اللاهوتيين لادخل لافراد الشعب فيها ومضمونها ان الانسان سييمث بعد موته ولا يعلم سر ذلك الا الله الخفي اه

الرأي الصريح

في مقالة « الفصيح العامي والعامي الفصيح »

قرأت في الجزء العاشر من مجلة المقتبس مقالا بعنوان « الفصيح العامي والعامي الفصيح » لحضرة الفاضل نعم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك . قرأته بلف شديد لاني اميل بسائق من طبعي الى المباحث اللغوية ونقد كلام البلغاء وتمييز القول الفصيح من الفث الركيك . ليكون لي من ذلك مادة استعين بها . وقاعدة احتذي مثالا : اقدمت على تصفح هذه المقالة وانا معجب باولئك النفر من اخواننا العرب المسيحيين الذين هجروا وطنهم لكنهم لم يهجروا لغتهم . ولم يذلوا في غربتها . بل رفعوا شأنها وحفظوا من كرامتها . بما نشروه من المجلد . ودبجوه من الرسائل والكتابات المفيدة . وحضرة نعم افندي من هؤلاء الافاضل الذين خدموا لغتنا العربية بما ينشره في جريدته (الهدى) التي لم اذكر من قرائها وانما كنت اقرأ أحيانا نبذة منها في صحيفتنا العربية اما مقال (الفصيح العامي) الذي قرأته اخيرا في مجلة المقتبس فقد رأيت اقل قدراً من ان يعزى الى صاحب جريدة (الهدى) . ولأحظت فيه ركافة في التعبير . وضعفاً في الاسلوب . ومواقع قبح والمناقشة بلغت من الكثرة مبلغاً جعلتني استبعد ان تكون فرطت من قلم كاتب المقالة وانما هو الدهول غلب على صحيح اصولها في ادارة المقتبس فجاءت هكذا مشوهة المثل . طامسة المعالم . وان لم يكن الامر كما ذكرت فيكون الوسط الاعجمي الذي يعيش فيه اخواننا المهاجرون اثر رطائه في صراحة لغتهم . وبدلت عجمته من عروبة لغتهم . والا فكيف نقرأ مقالاً لواحد من اشهر كتابهم في نقد لغة انكتاب وتعليل اغلاطهم في اساليبهم وتركيب كلامهم . وارشادهم الى الطريقة المثلى في التعبير والتخييل ثم بعد هذا كله نسمع في المقال نفسه من الركافة والغموض والعلامة ما لا يتفق وجوده في عشرات من المقالات . الا يكون هذا من الزرائب ؟

لو اقتصر الكاتب على الموضوع الاهم من مقاله : وهو مرد الكلمات العلمية التي يحسبها الكتاب دخيلة وهي عربية فصحى ثم حذم على استعمالها لكان اجاد واكثر . لكنه ذهب

في افانين القول كل مذهب وتعرض لنصح المنشئين والزراية عليهم وارشادهم الى الانشاء العالي فسقط في هذا التعرض من عل واتى بأشد مما نهام عنده وحذرهم منه . ولا مهم عليه .

ولا يكون من الانصاف بعد هذا ان لا نذكر نموذجاً مما نؤاخذ الكاتب فيه . ثم نلفت انظار القاري اليه :

اول ما يؤخذ عليه قوله في العنوان (الفصيح العامي والعامي الفصيح) فانه تكرار لاجن فيه . ولا داعي اليه : ان كلتي (العامي) و (الفصيح) في هذا التركيب وقعنا صفة لمخدوف كأنه يقول (اللفظ الفصيح في اصله العامي في استعماله) ولما عكس وضع الكلمتين كان المعنى (اللفظ العامي في استعماله الفصيح في اصله) وهو نفس المعنى المستفاد من التركيب الاول فكان ذكره زيادة مستغنى عنها . وليس تغليب الكلمتين هنا كما هو في قولهم (كلام الملوك ملوك الكلام) فان هذا القول له معنى خاص لا يستفاد الا بمجموع التركيبين وقد حمل احدهما على الآخر . اي ان لكلام الملوك ميزة على سائر كلام الناس كما ان للملوك ميزة على الناس انفسهم . فالعنى المستفاد من الموضوع والمحمول حسن في ذاته . وزاده حسناً قلب التركيب وعكس الالفاظ حتى استحق بذلك ان يعد في جملة اذراع البديع .

ثم بعد هذا العنوان اراد الكاتب ان يبين مبلغ حاجتنا الى معجم لغوي يجري في تحليل الالفاظ مجرى معاجم اللغات الاوربية فافتتح الكلام بقوله : (ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نجعة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللفظة ما يدل على ازالة الابهام الخ) فقوله (ولا في غير اللفظة) غامض في اتصاله بما قبله مبهم في تعيين المراد منه .

ثم قال (قترى اكثر الكتاب يقرصون فيما لا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والحوشي وان كل من حرف عرف)

الكاتب الذي خط قلمه هذه العبارة هو الذي قال بعد سطرين (قد تهتأ ثوب اللغة حتى كاد يسقط من تقطعه قترى كل من تحيف بيانه عجمة وجدل عن ادعاء ومكابرة يمتحف الفصيح ويستلب البليغ ويحرك خدشه غضباً على كل من ملك من اللغة عنائاً وضبط لها بياناً ويكون لا يدري من اي الدهماء هو الخ) اذا سألت معاجم اللغة عن معنى ماورد في هذه الجملة قد تجد ان معنى (تهتأ) تقطع وبلى . لكك اذا سألت نفسك عما فهمته منها تجدها لا تحير جواباً . ولا تملك خطاباً . واذا الخفت عليها بالسؤال تقول لك يلوح

لي ان الكاتب الفاضل يريد ان يوضح ادعاء اللغة والانشاء الذين ينتقصون غيرهم .
ويعمون عن عيوب انفسهم .

اذا قلنا ان الصحيح سها عن تصحيح كلمتين او ثلاث فهل يعقل ان يكون ركب السهو في كل جمل المقالة جرحاً وتلاعّب بها . وودونك هذه الجملة الاخرى : « وقليل من البحث يرجعها — اي الكلمات العامة — الى اصلها . ويقوم من اللسان مناداه . على ما وقع من نحو خمسين عاماً الى اليوم اذ توكف المجتهدون اثر بلغاء العربية الاقدمين وتنشطوا للبحث والتنقيب واقلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مثابرتهم اللغة الى رونقها الاول بعد خمسين عاماً تأني » الجملة يجمعونها ركيكة ظاهر عليها التكلف . ولعله يريد بقوله « توكف » المجتهدون اثر البلغاء — تتبعوا . ولكن هذا الفعل يتعدى باللام . ويكون معناه التعبد تارة . والتعرض مرة اخرى : فيقال فلان يتوكف لآل فلان اذا تعهدم بالصلوات والعطايا . وفلان يتوكف للامير اي يتعرض له حتى يلقاه . وقوله « مثابرتهم اللغة » صوابه . على اللغة لان المثابرة بمعنى المواظبة . وهما يتعديان بعلى يقال : ثابرت على الامر وواظبت عليه . على ان المجهود في مثل ما يريده الكاتب ان يقال المثابرة على خدمة اللغة او دراسة اللغة لا المثابرة على اللغة . ثم انهي الكاتب باللائمة على المدارس الاجنبية التي توجب على تلاميذها التخطاطب بلغاتها وقال « وبذلك يتسرب العقوق وشي من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين » قد نجد لتسرب العقوق الى العقول معنى لكننا لا نجد ابداً لتسرب البله الى عقولهم معنى ولا شبه معنى بسبب التخطاطب باللغات الاجنبية .
ثم قال الكاتب « ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه .
والنصرع والتصاغر للاجنبي والتمزؤ الظاهر تكلفه والتفوق البادي تحيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجب كل ذروة باقية في جرحها وتحتمل كل درة كسنا نعرفها قبل عصفها . والله في ثداييره شوء ون »

ليس من تعاجيب الدهر ان يقع مثل هذا الكلام في مقال نشر ليكون ثبراساً يهدي الكتاب الى مواقع الفصاحة والبلاغة وحسن التعبير . ويتجنب بهم مزالق الركاكة والعلطة والغموض ؟

وأغرب من ذلك ان حضرة الكاتب اراد ان يذكر عيوباً للغة فعده منها عيباً بعده قوم خريبة من مزاي اللغة العربية ويحسبه آخرون امراً طبعياً لا تخلو منه لغة من اللغات . فقد قال :

(ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولا ماضي لاحدها .
فهل تقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاماً من غير
اجزاء ؟ اننا لاننسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة او يكونون
يحافظون على قديم عقيم لا يسلم به عقل سليم)

لا ترى علاقة بين فلسفة اللغة وبين ان يكون في العربية جموع لامفرد لها : عدد
اهل اللغة طائفة من الجموع لم يعرف لها مفرد : مثل محاسن ومذاكير وتجليد . فذهب
بعضهم الى انها لامفرد لها . وحقق آخرون ان لها مفردات اعملت في الاستعمال . وربما
كان المراد من قول الاولين (لامفرد لها) اي في الاستعمال لا الوضع فلا يكون بين
الفرعيين خلاف .

ولابد من داع دعا اهل اللغة الى اهمال تلك المفردات . وقد قالوا ان جمع (لب)
(الباب) لكثمتهم لما رأوا الجمع ارشقى في اللفظ واخف على السمع اكثر مما من استعمال
الجمع واهمال مفرده وهكذا كان دأب القرآن الكريم في استعمال الجمع دون المفرد .
ومثل هذا يقال في الفعل الذي لم يستعمل مصدره او لم يستعمل ماضيه .
فليست المسألة اذن من مسائل الفلسفة . وانما هي من مسائل تخيير ارشقى كلمات
اللغة للتخاطب والتفاهم .

وفلسفة اللغة لا يصلح ان يكون اتمق فيها مدعاة الاجادة في المنظوم والمنثور .
كما كرره الكاتب في مقاله : فان تلك الفلسفة علم نظري اكثر مما هو عملي . وله ثمرة
خاصة به غير تجويد الانشاء وتجدير الكلام الذي يتوقف على استظهار كثير من كلام
البلغاء وإطالة النظر في اساليبهم والنظن لمناحي كلامهم . هذا هو الطريق لتحصيل
ملكاة الانشاء . اما فلسفة اللغة فلا يكون من اثرها ذلك بل ربما كان للاشتغال بها اسوأ
الاثري في ضعف تلك الملكة والعجز عن تحدي الكلام البليغ .

وقد غلا حضرة الكاتب في الرفع من شأن فلسفة اللغة والمطمن قدر زملائه الكتاب
الذين لم ينالوا حظاً من تلك الفلسفة حتى قال :

(نحن ابعد ابنا : اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواضعه
لأننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين
من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء . او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق
حتى بالبعث والنفاق)

فقد جعل حضرته علة تقصير اخوانه في وضع الكلام مواضع جهلهم فلسفة
اللغة . فهل هذا حق ؟ -

ومما انتقده الكاتب قولهم (دام بقاؤه) فقال (ان طلب الدوام . حماقة وحرام)
وانهم في هذا القول قد طلبوا (البقاء في دار الفناء . وخلود من اعدت لهم الخلود) .
وهذا ذهول من حضرة الكاتب : لان اصل الدوام في اللغة السكون ومنه (ماء دائم) .
ويستعمل ايضا في طول البقاء . وامتداد المدة . ومنه (ديمة) المطر الذي يستمر تهطله
بضعة ايام . ومنه ايضا استعمال (مادام) : فاذا قلت اجتمع بك مادامت في هذه البلدة
كان المعنى مدة بقائك فيها . فقول الكتاب دام بقاؤه . في الدوام بمثابة اطلال الله
بقائه . نعم قد يراد بالدوام الخلود كما في القرآن الكريم (اكملها دائم وظلها) والضمير
يرجع الى الجنة كما ان الخلود نفسه يراد به طول المدة احيانا كما ورد في القرآن الكريم
عن اناس لا يكونون كافرين ومع هذا خبر عنهم بأنهم يدخلون النار ثم يخرجون فيها ففسروا
الخلود بانه طول المكث لا المكث الابدي .

ومما انتقده ايضا وسهبي عليه ، قولهم (همي الدمع من عيونها) ❀ : « كم من
عيون لها » يشير الى ان صوابه ان يقال « من عينيها » . لكن اهل اللغة يجوزون
استعمال صيغة المثني في الجمع والجمع في المثني بل يجوزون احيانا استعمال المفرد في الجمع
والجمع في المفرد . ومثلوا لكل ذلك . وذكروا له اسبابا معتبرة عند اصحاب اللغة .
وفي القرآن الكريم « فقد صغت قلوبكما » . كان الظاهر ان يقال « قلوبكما » لان
المخاطبين اثنين . ولها قلوبان لاقلوب . لكنهم كرهوا اجتماع علامتي تثنية في لفظ
واحد . اما مثل « همي الدمع من عيونها » فيأولونه بارادة البالغة وان المرأة كانت
كأنها تبكي بيون كثيرة . لفرط ما اسبلته من الدموع الزليلة . واكثر ما يؤخذ به
الكتاب انه عاب اخوانه الصحافيين في امر تكاد تري مثله مائلا امام عينيك وملوسا
تحت يديك في كل جملة من اجل مقاله . مثال ذلك انه اخذهم في قولهم « ارسلت له »
وصوابه « ارسلت اليه » . وانتقاده صحيح لكن الرضاء لا يستحقون عليه كل هذا
الازراء والتوبيخ فقد قال في هذا الصدد

(اصعب ما في اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق
يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهم يضحك من كثرة السقطات التي

لا يعذر منشيء عليها وفي مقدرة شراء معجم او في رأسه قوة تميز بين هذا وذاك
(المعنى الخ)

ولكن هل تحسب حضرة الكاتب في منجاة من كل ما تنقص به زملاءه . وهل تراه
احسن استعمال حروف الجر ووضعها مواضعها اللاتقة بها ؟
قال في محجراتك الزملاء المساكين : (فترى اكثر انك تكتب بتخريصون فيما لا يعذرون
عليه) اخطأ الكاتب في استعمال الحرفين — « في » و « على » في جملة واحدة قصيرة .
يقال تخرص عليه اي كذب واقتري . ولا يقال تخرص فيه . ويقال عذره في فعله .
ولا يقال عذره علي فعله : فكان الواجب علي الكاتب ان يقول (بتخريصون علي مالا
يعذرون فيه) علي ان هذه الجملة برمتها لا معنى لها او لا معنى لاستعمال التخريص
في هذا المقام

وما قاله في حدد التهم بالكتاب والمتشئين : « ولماذا لا نكتب ونكتب بفهم وسهولة
وبساطة وسلامة و » حقاً ان حضرتته اشفق علي القراء من اذى ما ينالهم من كد الدهن اذا
اذا قرأوا كثيراً مما يخطئه الكاتبون لكنه لم يشفق هو عليهم في مقاله هذا بل ضربهم
بثالثة الانافي مذقال في خاتمة المقال . وانا اعيدوه علي اسماع قراء المقتبس وان طال :
« ثم ما هي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لا نريد الا نصرف عن جعل الواو
« الثقلية الد » في اولى وعمر وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد
غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ما هي فائدة الحركات اذا كنا نكتب
« اله » ولا يجوز لنا ان نكتب مؤنثه إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد
لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالي وغيره وهل كان كل ما لا يكون
سميه الجامع لا يكون وضعه الواضع جرياً علي القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة
في فعل ولا تكون في آخر مثله تماماً ؟ وكيف تكون صيغة افضل التفضيل في ما لا فعل
له كقولهم هو اقلط منه ؟ او كيف يكون مضارع لا ماضي له كقولهم لم يذر ؟ او مزيد
لا مجرد له . والامثلة ماثورة . وثمت منابت العربية بعد ان كانت مستحسنة . وتقاصح
كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متحصلاً . فوجب ان يرجع الناس الي فقه اللغة
الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الا مالي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اغتر بمقدرة
الكلام علي عواده ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وان اثر او اماً وثقة يجيب الاقلال
من التريد المبهم الذي لا يزيد الا اعتكالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل

مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما ما يدعى السهل الممتنع ويجب أن تكون مجالاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية فترفض كل كتابة عالية بالمعاني الضئيلة وينبذ المغرور والشعور الى ما يفسد الذوق ويدعو الى الهزء ومن فقه اللغة ان نصلح على ما يذلل لنا صعب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا ما نستطيع معه نقل الكلمة الانجمية من نكرة وعلم الى معناها الاصلي .

وقد كان للعرب روم واشام فليكن لنا زيادة على مثالها والله ولي التوفيق اه
هذا ما نأخذ او نعانب به الكتاب الفاضل . ولم نقدم عليه الا عندما آتينا منه في مثاله هراما في اللغة العربية . ورغبة في ان تكون مصونة من عبث العابثين بها . وكيد العاملين على امانتها : فقد اعرب حفظه الله في غير ما موضع من مقاله المذكور عن غير شديدة . وعزمة في اصلاح اللغة اكيدة . من ذلك قوله : « ولو ان الحكومة تقيم الائمة لأقامة الكلام واللفظ لكانت تخدم البلاد والعباد ما زلت مدارسنا نوجب على التلاميذ التخاطب بلغة اجنبية ولا نوجب عليهم التخاطب — ولو ساعة — بفصح لغتهم كأن التخاطب بفصح العربية عار وبفصح اللغات فخار » فلا جرم ان هذه الغيرة من حضرته متعبة يحمدها عليها ومأثرة يجب علينا ان نقفدي به فيها

طرابلس الشام : المغربي

سِرُّ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الآداب العربية

وفق احمد بك زكي بعد عناية عشرين سنة الى جمع طائفة من مخطوطات السلف في علوم مختلفة فعرض على حكومة مصر ان تساعد على تمثيلها بالطبع فعبئت لذلك الف جنيه في ميزانية هذه السنة ووقفت المال الاحتياطي الموجود في دار الكتب المصرية لطبع ما يجب طبعه واليك المجموعة النفيسة التي جمعها صديقنا العالم ومبشر بطبع الكتابين الاولين منها قبل كل شيء وهي بشرى بل بشران للامة العربية بل ولكل من تهمة مدينة العرب الراقية :

موسوعات

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري
جوامع العلوم لقرميين تليد ابى زيد احمد بن سهل البلخي
ادب وبلاغة وانشاء

الفاخر للفضل الضي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتسهيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحميدي
رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من

جمع حفيده

مجموعة ترسل القناضي الفاضل عبد الرحيم البيساني

حديث

فتون العجائب

اكرام الضيف

آداب الملوك

كتاب التاج للملاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف
يفعي لمن ارسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسه ولن ارسله ومن ذم من الرسل
ومن حمد لابي علي الحسن المعروف بابن القراء

كتاب قتيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الام والمالك)

التراجم

إنباه الرواة على أنباه النجاة للقناضي الاكرم الوزير القفطي

ترعة الالباب في الانتاب لابن حجر

التأليف الظاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابى سعيد جقمق

لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابى السعادات محمد بن السلطان الملك الانشرف

لبيد الصمد الصالحى

سبك النضار وكذب المفاجر ونثر الدر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي
اقيبائي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) اعيد الله بن محمد بن عبد
الله الزكي الغزي الحنبلي

التاريخ

كتاب المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب
ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي
شجاع احد وزراء الدولة العباسية
درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبد الله بن ايوب الدواداري المصري
كنز الدرر وجامع الغرر له ايضا .

النسب

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه
الغوري

الجغرافيا

صور الاناليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل الباهلي (بالخرائط)
صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واثقال البلدان ومحل
الغامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم مآثرها بالاعمال
المجموعة اليها (بالخرائط)

هيئة اشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرائط)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف
الادريسي (بالخرائط)

علوم طبيعية وميكانيكية

سرور النفس بمدارك الخواص الخمس لابن المكرم صاحب لسان العرب
الباهر في علم الخيل
الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الخيل (بالاشكال والصور)

رحلة

تاريخ الامير يشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحهم في آسيا
الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

علم حفظ الصحة

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة للقوصوني الطبيب في عصر السلطان
قاصوه الغوري

علم الحيوانات

المر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن
العباسيين عند ما عاجبهم التتر فنتله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية
الاصيلة وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمه الى العربية
ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)
طب الطيور (مستخرج من خزانه الرشيد)

علم المعادن

الجمهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني
ازهار الافكار في جواهر الاجار للتيفاشي

علم الفلك

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني
علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط بيلىك بن عبد الله القيجافي

علم الموسيقى

كتاب العود والملاهي للفضل الضبي
كشف النجوم والكرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

علم الحرب

العز والمنافع للجاهدين بالآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)
الاتيقي في المجاتيقي (بالصور والاشكال)

التذكرة المروية في الحيل الحربية للسائح المروي

- ديانا قديمة -

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب ثمسطس الذي احرقه بعضهم وترجمها
احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وديانة
المجوس)

كتاب الاصنام لابن الكبي •

فنون متنوعة

لطائف المعارف للثياهوري
عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي
الانام با داب دخول الحمام
انكوكب الدرري في اجوبة السلطان الغوري
نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لمجموعة من العلماء في عصر
السلطان الغوري وهو في جملتهم
الترقي في العطر للفيلسوف الكندي
كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك
الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب
بسط الشرق

من اهم ما لفت انظار الغربيين في معرض الصناعات الاسلامية في مونيخ في العهد
الاخير قسم البسط والسجادات الشرقية فقد قدروا ما فيها من الكمال المدهش من
حيث الالوان والنقوش والتراكيب وهيئات ان تعبر الالفاظ عن جمال تقطيعها وظرفها
وتنوع وضعها وجماع صنعها وانضمام اشكالها وترصيعها وتوزيع زينتها السالمة من كل
خلل . قالت احدى المجلات العلمية ومن اهم هذه القطع مجادة اسمها « ربيع كسرى »
يرد عهدها الى الدولة الساسانية التي قضت عليها دولة العرب في القرن السابع للميلاد
وقد تمازج فيها الذهب بالاشجار الكريمة وفيها صور بنيانيع واشجار واطيار واصقاع بديعة
تأخذ بجماع القلب . ولقد نسج الفرس بسطاً من هذا النوع المسماة بسط الحدائق
قبل قيام دولة الاكاسرة بالف سنة فكانوا يصورون فيها غدراناً فيها اسماك واشجار
اللوز مزهرة تتسلق عليها الهوام . ولم تكن تجعل هذه السجادات التي لاندوس عليها
الارجل الا متلطفة على الجدر كما هو الحال في اوربا اليوم بل كانت تبسط على الارض .
وهي من عهد ارتقاء الصناعات الفارسية اي من القرن السادس عشر وكانت تباع منذ
عشرين سنة بضع مئات من الفرنكات اما اليوم فتباع بما يوازي ثقلها ذهباً . ومما
عرض في هذا المعرض بساط اسمه « بساط الصيد » وهو ملك بلاط النمسا ولم يكن
امبراطورها فرنسيس يوسف عارفاً بقيمة هذا الكنز الذي يخويه قصره من قبل وهو
محمول في القرن السادس عشر ايضاً وفيه صورة وعلة يطاردها اسد وهذه الصورة

في بلاد الصين رمز الى طول الحياة وكثيراً كما كانت الصناعة الفارسية تنقل عن الصين وتقلدها في متاحها .

معجم انكليزي

بدأت احدى بيوت المطابع في اكسفورد من بلاد الانكليز بطبع معجم اللغة الانكليزية منذ سبع وعشرين سنة برئاسة السير جيمس موري وهو ارق بموضوعه من المعجم الكبرى في اللغة الاقرسية مثل لته والانكليزية مثل وبستر والالمانية مثل كرم . فيذكر هذا المعجم تاريخ كل مفردة وماتوالى عليها من التشوء مع ازاد الشواهد لذلك ويقوم بتأليفه الف ومائتا لغوي انتخبوا من مشاهير علماء اللغة الانكليزية . وقد بلغ مجموع عناوين الكتب في مكتبة تأليفه عدة ملايين تتألف منها خزانة كتب هائلة اقتضت ان ينشئوا لها بناية خاصة من الحديد مخافة ان تسري اليها النيران وهذا المعجم يصدر في اوقات غير معينة وقد بلغوا به الى حرف ت

ويقدررون بانه يفتحي سنة ١٩١٣ اماثنه فقال ولكن نفقائه قد جمعت . مقدماً باشتراك بعض الكمية به . فاقم واكرم بالمة فيها هذا القدر من العلماء في لغتها عدا من لم يقع عليهم الاختيار ويلاط يطبع فيها مثل هذا المعجم المائل الذي ربما تجاوز ثلاثين مجلداً وشركته ترج به من اول يوم

بردي قديم

اوصى احد المحسنين للقسم المصري في المتحف البريطاني باعظم قطعة من ورق البردي عرفت حتى الآن وطولها ٤١ سنتمراً وعرضها ٥٠ سنتمراً وقد حفظت حروفها ورسومها سالمة من كل سوء . ويرد تاريخها الى ما قبل ٣٠ قرناً وهي عبارة عن صورة ثنية من كتاب الاموات مشفوعة باهتمام الى الرب عمرون ام معبود في ثنية وقد كتبت هذه الورقة قبل الف سنة من التاريخ المسيحي لابنة الملكة نيزي خانسو وهي ذات شأن عظيم في تاريخ الاديان .

صناعات الامراء

تناقلت الصحف ان السلطان الخلع عبد الحميد سجين قصر الاتيني في سلانك يصرف بعض اوقاته في التجارة بعد ان أنزل عن عرش السلطنة . والعادة في الملوك والامراء ان يعتوا به ثمة من الصناعات النفيسة في الغالب او عمل من الاعمال اليدوية يروضون بها انفسهم وحواسهم وكانت هذه العادة شائعة كل الشيوع في فارس وبخاري

وافغانستان وبلوجستان وغيرها من الاصقاع الواقعة في النصف الشرقي من قارة آسيا ولكن ما كان من مميزات الآسيويين ايلم حضارتهم اصبح الآن من مميزات الاوربيين في استنجار عمرانهم فن امرائهم من ينصرفون الى علم او فن او صناعة يدوية وقد يصرفون فيها شطراً صالحاً من اوقاتهم خصوصاً اولئك الذين ليس لهم عمل حقيقي من الامراء والملوك . فقد كان الدوق كارل تيودور البافاري عالماً بطب العيون وممتازاً فيه . وكانت الملكة اميلي ملكة البرنقال . منصرفه الى دراسة السل الرئوي . وسجل الامير هنري دي بروس الالماني اكتشافاً طريقة لتنظيف زجاج السيارات . وعرف ملك بلغاريا بامتيازه في علم الحيل (الميكانيك) وهو الذي يسوق قاطرة القطار الملكي بنفسه . ويخصص ملك نابولي شطراً مهماً من وقته في عمل المعادن . واخترع دوق دولاندبورغ آلة دافعة جديدة للسفن . واخصى الامير جواشم في الحدادة . وكان الامير فرديريك سيمسوند عالماً في النجارة . اما امبراطور المانيا غليوم الثاني فقريحه . متسعة فهو شاعر ومؤلف قصص فاجعات ومصور بل هو يتفرغ ايضاً على تربية المواشي والنباتات وصنع الخزف والفخار . وملكة رومانيا كاتبة من الطراز الاول . والامير اوجين السويدي مصور المناظر الطبيعية . ودوقة دارجل نقاشة ماهرة . وكان الملك ادرارد السابع يصرف جزءاً عظيماً من وقته في تربية الحيوانات

اعظم البوارج

انشأت شركة ويت ستار الانكليزية بارجتين للسفر بين سوسامبتون احدى موافى انكلترا ونيويورك في اميركا وهي من اضخم ما عرف حتى الآن دعتهما (اولميك) و (تيتانيك) وقد انزلت الاولى الى البحر وقریباً تنزل الثانية وطول كل واحدة منهما ٢٥٩ متراً وربع متر وعمقها ٢٨ متراً و٢١ ستمتراً ومحمولها خمسون الف طن ولها ثلاث آلات دافعة وتقطع ٢١ عقدة في الساعة وهي بقوة ٤٦ الف حصان

حكم افريقية

اذا تولى بعضهم المناصب يؤثرون ان يعملوا اعمالاً سخيفة على ان يبقوا بلا عمل (ارسين هوساي)

للمرء بعض الآمال الخيالية التي قد يتعذر الحصول عليها والتعلق باهداب المحال وطلب الابلق العقوق او الصعود الى العيوق (عمانويل اربن)
لا تعمل الحكمة شيئاً مع احساس الضمير العام (كيزو)

الافتناع هو الارادة الانسانية البالغة ابعد مراقبها (بالزك)
 ابداً يظل المرء غير راض عن حاله اذا قاسه باحسن منه (لافيس) .
 اياك والتسافل في التفقات الصغيرة فان ثقباً صغيراً يجري فيه الماء تغرق منه سفينة
 كبرى « فرانكلين »

ان العلام الظاهرة للحزن الكبير تأتي بلى الاحياء كما تكون القلب بلية على الاموات
 فانها كثيراً ماتكون علامة الكبرياء اكثر مما تكون علامة الحزن والفضيلة « شاتوبريان »
 كلنا محكوم علينا ان نموت وما الولادة الا مبدأ الموت « غوته »
 ان الاكثر من الكلمات للتعبير عن اثر مشهور اشبه بقطعة من الذهب تبدلها
 بتقود زائفة « بومارشيه »

الاموات غير مرئيين ولكنهم غير غائبين « هوغو »
 للقلب عقل لا يعرفه العقل نفسه « باسكال »
 اذا سار المرء على خطأ يستحيل ان يصل الى الحقيقة « جوي »
 لا ينبغي خريف الحياة الا ما غرسه كل يوم منها « كراتي »
 الانسانية تأمرني ان اظن خيراً اكثر مما اظن شراً « بوسويه »
 من عاقب وهو في حال الغضب فلا يريد من عقابه الا صلاح بل الانتقام « مونتين »
 ان مما يصعب علينا ان لانكون على اتفاق مع حينا ذاتنا « اسيل »
 كلما وقع في نفس الانسان ان ليس شيء مستحيلاً يقوم باعمال اكبر مما كان يظن
 « مالرب »

من الامراض ان يتطلب المرء الموت واعظم منها مرضاً ان يخاف الموت
 الشهوات كنوع الاطعمة ابسطها هي التي لاتنتقز منها النفس
 على المرء ان يطيل نظره في نفسه قبل ان يفكر في الحكم عليه
 الطاعة اعظم فرحة للمرأة بعد الحب
 على المرء ان يحب بنفسه لان البشر لا يعدلون الا مع من يحبون
 كانت الضرورات في المجتمعات القديمة هي الزوائد اما في المجتمعات الحديثة فان
 الزوائد هي الضرورية

اذا اردت ان يظن بك خيراً فلا تذكر انت ذلك (باسكال)
 نخب العدل كثيراً وقلنا نخب العادلين

الواجب عليّ ان اقوم بما تفرضه عليّ الحياة من الواجبات عليّ اي صورة وكيفية ولكن الواجب القيام بها .

الكسلان الصحيح الجسم اردأ من المريض لانه يأكل ضعفين ولا يعمل عملاً .
ان من يهشمون ابدأ لصحتهم هم كالبحلاء يجمعون الكوز بدون ان يستمتعوا بها
ان قلباً مفسطوراً علي الاستقامة التامة لا يرضى عن الترفع في الاخلاق كاللاذن الصحيحة
السمع لا ترضى عن الموسيقى الرديئة .

ان من يعتقدون من انفسهم الذكاء اكثر من غيرهم هم اقرب الى الانخداع غالباً
الدبابة أم يغفل عنها الانسان عند ما يناديه داعي سعده وهي تنتظرك يوم تصيبك
البوائق (دي ليثي)

ان اصلاح نفوس اغلب الناس عبارة عن ادخال القلب والابدال علي رذائلهم
الافكار رأس مال لا تأتي بفائدة الا في ايدي من رزقوا الترائع والعقول .
تأتي علي المرء احوال يكثُر فيها غمه أكثر من الباكين وبشئى الدموع ان تجري
في مآقيه فلا يجدها

السكك العثمانية

اصدر المسيو الكسيس راي كتابه الرابع عشر في احصاءات السكك الحديدية
العثمانية وحساباتها في السنة الماضية جاء فيه ان دخل السكك العثمانية في آسيا كان
متوسطاً اما مجموع الدخل في السلطنة فقد زاد عن السنة السابقة اذا حسبنا ما نقص
من سكة الروملي من جهة بلغاريا منذ اعلنت استقلالها وقدر النقص ٣١٠ كيلومتراً .
وقد نقصت الضمانات الكيلومترية في السلطنة ٥٧٩ الف فرنك وتقص كثيراً
في ميزانية سنة ١٩١٠ . ١٠ السكة الحجازية فقد بلغ طولها ١٥٠٠ كيلومتر ودخلها
٣ ملايين و ٨٠٠ الف فرنك . وهاك ما اعطته الحكومة العثمانية من الامتيازات
الحديدية : ١ تمديد سكة بغداد بقدر يخط يبلغ طوله ٨٢٠ كيلومتراً وقد بدأت
الاشغال في نقط مختلفة منه وما نقرر ايضاً مد هذا الخط الى حلب . ٢ تمديد خط
حمص - طرابلس وطوله ١٠٢ كيلومتر وصار على اهبة النجاس . ٣ امتياز فرع
من باندرا الى صوما وطوله ١٩٠ كيلومتراً ويتصل بازمير وبحر حمرة وبذلك تقرب
المسافة بين ازمير والاسكندرية . ٤ امتياز فرع من بابا الى اسكي كلبا وطوله ٤٠
كيلومتراً وهو لشركة الروملي والخطوط الثلاثة الاخيرة لا ضمانات كيلومترية لها ومجموع

الخطوط الاربعة الجاري العمل بها يبلغ طولها ١١٥٢ كيلومتراً منها ١١:٢ كيلومتراً في آسيا و ٤٠ في اوربا وهذا يان توزيعها على الامم
 ٨٢٠ كيلومتراً للالمان و ٢٩٣ للفرنسيين و ٤٠ للنسويين
 وهذا يان ماتستمره الام حلاً من السكك جمعاء في السلطنة
 ١٦٩٧ كيلومتراً للفرنسيين و ١٥١٩ للالمان و ١٥٠٠ للعثمانيين و ٩٥٥ للنسويين
 و ٩٠٩ للانكليز و ٤١ لام مختلفة
 ويتبين من ذلك ان الالمان اذا اتوا مد الخطوط المعودة اليهم يصبحون في
 مقدمة الجميع اذ يبلغ مجموع خطوطهم ٢٣٣٩ كيلومتراً و يتلوه الفرنسيون بمخطوط
 مجموعها ١٩٨٩ كيلومتراً

مخطوطات و مطبوعات

الدروس العربية

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٨ ص ٨٨
 اعتاد صديقنا صاحب هذا الكتاب ان ينشر من قلمه كل ما فيه تصحيح الافكار
 وبث اللغة وسفره هذا في النحو من سلسلة كتب في الصرف والنحو وفتوح البلاغة
 والانشاء وقرض الشعر والادبيات واللغة كسبه بعبارة سهلة يفهمها التلميذ وشفعه
 بتأريخ ثرية وشعرية تفيد في احكام ملكة الاعراب فتشكره على غيرة على الآداب
 ونرجوه لانه تمام هذه السلسلة

الطريقة القدسية

او طريقة جديدة للقيودات المزدوجة لوضعها الياس بك القدهسي طبع بالمطبعة
 البطريكية الارثوذكسية بدمشق ص ٣٢

اجاد صديقنا في وضع هذا الكتاب في علم الدويما او طريقة القيود المزدوجة وقد
 قال في مقدمته ان الايطاليين كانوا اسبق الام الى استعمال هذه الطريقة في منتصف
 القرن الرابع عشر وكان اول كتاب ظهر في انكلترا من نوعه سنة ١٥٦٩ سماه مؤلفه
 فن حسابات التجار الطليان او مسك الدفاتر بالقيودات المزدوجة وقد وجد في مدينة
 جنوة سجل امين صندوق البلدية مؤرخاً في سنة ١٣٤٨ وفيه الحسابات مسدونة على

هذه الكيفية ولكن هذه الطريقة لم تشع في أوروبا إلا في القرن السابع عشر والثامن عشر قال ولم تدخل هذه الطريقة إلى بلادنا إلا نحو سنة ١٨٦٥ إذ قام المعلم سليم خاليد المشقي وطبع كتابه البدر النير في أصول الزنجير والف بمعه المعلم ظاهر خير الله الشويري كتابه لمحجة الناظر في مسك الدفاتر ورسالة ترويض المباشر في مسك الدفاتر وتبعه آخرون ووضعوا كتباً على الطريقة الإيطالية وقد شرح المؤلف طريقته الجديدة المبتكرة أحسن شرح يفهمه طالب هذا العلم النافع فله منا التناء على غيرته وفضله

ديوان سلامة بن جندل

رواية أبي سعيد الأصمعي نشره الأب لويس شيخو طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٤٩

نشر هذا الديوان في مجلة المشرق أولاً عن نسختي الاستانة والاسكندرية وعلق عليه منشئها الباحث لمخوظات واصطلاحات وعد سلامة في شعراء النصرانية بالطبع . وشعر العرب العراء كله مما يقتني فللناشر الادب الشكر على عنايته بنشر آثار العرب في أي مظهر أظهرها

كتب متفرقة

الاحكام السلطانية — هذا الكتاب للماوردي المتوفى سنة ٥٤٠ مشهور متداول وقد أعيد طبعه الآن وعني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعماني ويطلب من محل محمد أمين افندي الخانجي في مصر والاستانة

دروس التاريخ الاسلامي — للشيخ محي الدين الخياط وقع في ٩٦ صفحة وهو القسم الثالث منه يشمل على مجمل تاريخ بني امية في الشرق وخريطة الدول العربية الاسلامية ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت .

الخراج في الشرع الاسلامي — كراسة للمسيو كولوزيو طبع في تونس باللغة الافرنسية ذكر فيها تاريخ الخراج في ١٦ صفحة

هل اللغة العربية ميتة — كراسة للمسيو كاموسي قدمها الى المجمع العلمي القرطاجني في ١٧ صفحة قال فيها ان العربية لاتشبه الافرنسية فتد خلت زاهرة الف سنة ومنذ ثلاثمائة سنة وقفت عن التوا اما الافرنسية فقد مضى عليها الف سنة وهي في حال التنبت واخذت تنمو منذ ثلاثمائة سنة وليس القرآن هو السبب في وقوف العربية بل ابتؤها وميلهم عن العلم

وقاية الثيلان من المرض الافرنجي والسيلان — هو كتاب وضعه الدكتور سعيد ابو حمرة صاحب الافكار البرازيلية منذ بضع سنين ونفدت طبعته الاولى فاعاد طبعه الآن واصفا هذه الامراض المدهشة وعلاجها وطرق الشوفي منها بلسان تلي وقد وقع في ١٧٢ صفحة من قطع الوسط وهو يعلم من الامهات في هذا الباب

مجلتان جديدتان

الورقة — مجلة علمية ادبية صناعية لتثنيها الخور فسقفوس جرجس شلحت تصدر في حلب مرة كل شهرين في ٧٦ صفحة وقيمة اشتراكها ريال في حلب وخمسة فرنكات في غيرها

سمير الصبا — مجلة ادبية فنية فكاهية تصدر في حمص مرة في الشهر لصاحبها شكري انندي فارس لوقا في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٢ غرشاً في حمص و١٥ في غيرها
لو ٣ فرنكات وربع في الخارج

خاتمة السنة الخامسة

نحمدك اللهم ان يسرت لنا ختام هذه السنة من المتيسر على النحو الذي نحدناه منذ اول تأسيسه . وبعد فقد اضطررنا الحال الى التنبيل في اصدار اجزاء هذه السنة لنعود الى اعتبار المحرم اول سنة المجلة ونجبر المدة التي انقطعت فيها عن الصدور اشهرآ في العام الفات فاصدرونا اجزاء اثني عشر شهراً في نحو ستة اشهر وألفناها كذلك حتى جاءت بفضل الله ويض ايادي مؤازرينا من اهل البحث والعلم لانتقل في تجويد الموضوعات عن السنين السالفة ان لم نقل انها احسن على كثرة ما انتاب مجرى العمل من العوارض . وفي مأمولنا ان تبدو هذه الصحيفة في سنها السادسة في مظهر ارقى يكون لائقاً بشأن العصر ونهوض البلاد بكثرة سواد الراغبين في العلم والتعلم اليوم بعد اليوم والله أسأل هدايتنا وتسديدنا والتجاوز عن هفواتنا وسنثاننا وهذا جهد المقل وما على من يبذل جهده من خرج والسلام



